



□ التقديس

□ عند الشيعة الاثني عشرية

□ وأثره على عقائدهم

تأليف : خالد إبراهيم محمد إبراهيم

رسالة ماجستير في الآداب قسم الفلسفة

تحت إشراف الأستاذ الدكتور : زين الدين مصطفى الخطيب

يرحب المؤلف بكل تعليق ، أو نقد بناء ، يفيد موضوع البحث .
للتواصل مع المؤلف :

١- محمول : ٠١٠٩٤٠٥٩٩٣٢ / ٠١١٢٥٨٣١٤٣ / ٠١١٢٢٦٦٧٠٧

٢- فيس بوك : khaled heash

٣- العنوان : قرية جزيرة الشيخ ، مركز أبو كبير ، محافظة الشرقية ، مصر .
أسأل الله – عز وجل – أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى ، وأن يكتبه في
ميزان حسنات مؤلفه ، وأن يرحمه ويعفوا عنه ، هو وأباه وأمه ، وزوجته وبنائه ،
وجميع المسلمين أحياء وأمواتاً ! .



جامعة طنطا
كلية الآداب
قسم الفلسفة

التقديس عند الشيعة الاثني عشرية وأثره على عقائدهم

رسالة مُقدّمة لنيل درجة الماجستير
في الآداب قسم الفلسفة

مقدمة من الباحث
خالد إبراهيم محمد إبراهيم

إشراف
الأستاذ الدكتور
زين الدين مصطفى الخطيب
أستاذ الفلسفة الإسلامية والعميد السابق للكلية

١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م





Abstract

Thesis Title: Sanctification of Twelver Shias and its Impact on their Doctrines

Researcher`s Name: Khalid Ibrahim Mohammad Ibrahim.

Degree: Master`s

Methodology: In consistence with the title of the thesis, the researcher defines the term "sanctification", and provides a background on the Twelver Shias (Ithnā`ashariyyah). The researcher tackles also the doctrines of Imamate, Infallibility, Religious Dissimulation (Taqiyyah), Return (Raj`ah), and Bada'.

The Purpose of the Thesis: to show the extent to which the Shi`i doctrine is influenced by the Sanctification of Imams.

Chapterization: the thesis consists of an introduction, six chapters, and a conclusion.

Introduction: it includes a general idea of the topic of the study, and the reasons for choosing it, the methodology of the study.

Chapter I: Definition of Sanctification, and the Twelver Shias.

Chapter II: Sanctification and its Impact on the Doctrine of the Imamate

Chapter III: Sanctification and its Impact on the Doctrine of Infallibility

Chapter IV: Sanctification and its Impact on the Doctrine of Religious Dissimulation (Taqiyyah)

Chapter V: Sanctification and its Impact on the Doctrine of Return (Raj`ah).

Chapter VI: Sanctification and its Impact on the Doctrine of Bada'.

Conclusion: Findings and Recommendations

The researcher defines the term "sanctification" and the shows how this meaning can be attached to persons. Then, he tackles the history of the Twelver Shias including, their beginning and evolution. After that, he examines the beliefs of Shias (from beginning to theorization and from moderation to fanaticism). In addition, the researcher provides a detailed account for the doctrine of the Imamate and shows how this doctrine is affected by the notion of sanctification. Then, the researcher investigates the doctrines of Infallibility, Religious Dissimulation (Taqiyyah), Return (Raj`ah), and Bada' and shows how each of these doctrine is affected by sanctification. Finally, the conclusion includes the most important findings and recommendations.

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: التقديس عند الشيعة الاثني عشرية وأثره على عقائدهم .

اسم الباحث: خالد إبراهيم محمد إبراهيم . **الدرجة:** الماجستير .

خطة الموضوع: سار الباحث حسب عنوان الرسالة بذكر تعريف التقديس ، والشيعة الاثني عشرية، وتحديث عن عقيدة الإمامة ، والعصمة ، والتقية ، والرجعة ، والبداء .

هدف الرسالة: بيان مدى تأثير العقيدة الشيعية بظهور تقديس الأئمة .

فصول الرسالة: اشتملت الرسالة على مقدمة ، وستة فصول ، وخاتمة :

المقدمة: وتحتوي على الفكرة العامة للموضوع ، وأسباب اختياره ، وخطته .

الفصل الأول: تعريف التقديس ، وتعريف الشيعة الاثني عشرية .

الفصل الثاني: التقديس وأثره على عقيدة الإمامة .

الفصل الثالث: التقديس وأثره على عقيدة العصمة .

الفصل الرابع: التقديس وأثره على عقيدة التقية .

الفصل الخامس: التقديس وأثره على عقيدة الرجعة .

الفصل السادس: التقديس وأثره على عقيدة البداء .

الخاتمة: وبها أهم النتائج والتوصيات .

وتناول الباحث داخل الرسالة تعريف التقديس ومعنى تقديس الشخص ، وتعريف الشيعة الاثني عشرية ، وبيان أول ظهورهم ، وكيفية نشأتهم ، وتبلور عقائدهم من البداية إلى التنظير ، ومن الاعتدال إلى الغلو ، ثم تناول عقيدة الإمامة بتعريف مجمل ، وبيان تأثير هذه العقيدة بالتقديس ، ثم التعريف بعقيدة العصمة ، وبيان تأثيرها بالتقديس ، ثم التعريف بعقيدة التقية ، وبيان أثر التقديس عليها ، ثم التعريف بعقيدة الرجعة ، وبيان آثار التقديس عليها ، ثم التعريف بعقيدة البداء ، وبيان آثار التقديس عليها ، ثم خاتمة بها أهم النتائج والتوصيات .

هذا ملخص الرسالة .

وصلني اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين.



﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

سورة البقرة : الآية رقم (٣٢)



شكر وتقدير

إنني في هذا المقام أشكر الله - عز وجل - شكراً يوافي نعمة ويكافئ مزيدة ، ونزولاً على هدي من أدبه ربّه فأحسن تأديبه ، واقتداء بهديه الراشد الذي يقول فيه -ﷺ- : " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " أحمد وصحيح الجامع ١٩٢٦ . واعترافاً بالفضل لذويه ؛ فإنني أتقدم في هذا المقام بأسمى آيات الشكر والعرفان والتقدير لأستاذي الكريم الفاضل ، الأستاذ الدكتور / زين الدين مصطفى الخطيب - أستاذ الفلسفة الإسلامية المتفرغ ، وعميد كلية الآداب الأسبق جامعة طنطا ، ذلك العلم الجليل ، والمربي الفاضل ، والوالد الحاني الذي حثني على اقتحام دروب البحث ، فكان خير دليل ، منذ أن كان البحث بذرة ، فمنت بفكره المنير ، ورعايته الدائمة المتواصلة ، إلى أن أصبحت البذرة ثمرة ، فلم يخل على بوقت ولا توجيه ، مقدراً له ما عاناه من أجلي من تقويم وتوجيه في البحث شكلاً وموضوعاً ، ووضع يدي على عثراتي وهناتي ، شاكراً له عناؤه وصبره ، على استفساراتي طوال فترة إعداد هذا البحث ، ولا أملك إلا أن أقول :

قد طالَ تثقيلي عليك لحاجتي * وعلى الكرام تحملُ الأثقالِ

أوليتني نصراً وكنت ذخيرتي * ووقيتني من مهلك ووبال

فلأشكرنك طول عمري دائماً * حتى تُعَفِّرَ في الثرى أوصالي

ومن توفيق الله وتدييره ، أن هياً لهذه الرسالة ومناقشتها والحكم عليها عليها علمين عالين بارزين كبيرين مفضلين ، وهما الأستاذ الدكتور / محمد محمود عبد الحميد أبو حقف أستاذ الفلسفة الإسلامية المتفرغ ، بكلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، صاحب الخلق الرفيع ، والعلم الغزير ، الذي شهد له القاضي والداني بدمائه خلقه ، وحصافة رأيه ، أشكره ما حييتُ على تفضله بقبول مناقشة هذه الرسالة ، وتقويم ما اعوج منها ، وما فات الباحث من الأمور الكثيرة التي خفيت عليه ، فأسأل الله أن يبارك في عمره وعلمه .

كما أتقدم بخالص الشكر ، وأسمى آيات التقدير والاعتراف بالجميل ، لعلم من أعلام العقيدة والفلسفة ، فضيلة الأستاذ الدكتور / يحيى محمد علي ربيع ، أستاذ ورئيس قسم العقيدة والفلسفة ، بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا ، جامعة الأزهر ، وإن كان القدر لم يسعني أن أتعلم على يديه ، فإن الله تعالى قد حباني بالجلوس بين يديه ، للإفادة من نصائحه الثمينة ، التي ستضفي على البحث رونقاً وجمالاً ، فأسأل الله أن يمتعه بالصحة والعافية ، وأن يمتعنا وطلابه بعلمه ، وأن ينفع به الأمة الإسلامية والعربية ، اللهم آمين .

ولو أنني أوتيتُ كلَ بلاغة * وأفيتُ بحرَ النطقِ في النظم والنثر

لما كنتُ بعد القولِ إلا مُقَصِّراً * ومعترفاً بالعجزِ عن واجبِ الشكرِ

وإن كان لهذا البحثِ ثوابٌ فإني أدعوا الله مخلصاً ، أن يصل ثوابه إلى روح أبي وأمي الغاليين ، فاللهم أسكنهما فسيح جناتك ، وأرحهما كما ربياني صغيراً .

كما أتوجه بخالص الشكر والتقدير لزوجتي الحبيبة ، وأولادي الغوالي ، فجزاهم الله عني خيرَ جزاءٍ ، بسهرهم ، وتعبهم ، وتحملهم المتاعب والمشاق لإعانتني على إكمال بحثي ، فاللهم بارك لهم في حسناتهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ، واسترهم في الدنيا والآخرة ، وأنبئهم نباتاً حسناً .

والحمد لله رب العالمين

المقدمة

وفيها النقاط التالية:

- أهمية البحث وأسباب اختياره .
- أهداف البحث .
- منهج البحث .
- الدراسات السابقة .
- خطة البحث .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، وشرع له سنة حسنة يقتدي بها من أراد هادياً ودليلاً ، واختار لصحبة نبيه -ﷺ- من بين عباده أطهرهم قلوباً وأصدقهم قِيلاً ، وجمع قلوب الرعيل الأول على تقديس وحيه نصراً وتمكيناً ، ووعد الذين قدسوه أن يمكنهم في الأرض إذا حققوا التوحيد واتخذوه سبيلاً ، وقضى قضاءً حتماً أكيداً ، أن الخلاف سنة ماضية في خلقه ، حتى ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وجعل العصمة من مغبة الخلاف الاعتصام بالوحي المطهر ، وما اتخذهُ المؤمنون سبيلاً ، وأوعد من اتبع المتشابه من وحيه بالزيغ عن طريق الهدى والحق ؛ وإن كان عالماً فقيهاً رشيداً ، ووعد من رد المتشابه إلى المحكم أن يهديه صراطاً مستقيماً ، ففاز بالخلوص من صراطه الفرقة الناجية ومن تبعهم منهجاً وقيلاً ، وضل عن طريق الحق من لم يجعل وحي الله أمامه دليلاً ، فجعل هذا دليلاً على أي الفريقين أهدى سبيلاً ، وجعل حب الصحابة في القلوب شرطاً وعلامة لمن أراد أن يميز بين المحق والمبطل فيما ادعاه نجا وطريقاً ، فجعل الناس على صنفين ، صنف : وجوه خاشعة ، عاملة ناصبة ، ولكنها تصلى ناراً حامية ، وتسقى من عين آنية ، في الدنيا والآخرة ، وصنف : وجوه ناعمة ؛ لسعيها راضية ، في جنة عالية ؛ فاللهم اجعلنا ممن انتسب للفرقة الناجية، الظاهرة على الحق حتى قيام الساعة ... آمين.

وبعد :

فإن من أشرف العلوم قدراً ، وأرفعها منزلةً وذكرًا ، وأنفعها عائدةً وذخراً ، علم العقيدة ؛ إذ إن معلومها أشرف ذات ، فعليه قبول الأعمال ، وتصحيح الاعتقاد ، ومن أهم فروعِه : دراسة الفرق ، إذ هي دراسة قديمة حديثة ، فليست العبرة بالمؤسسين ، وإنما العبرة بوجود أفكار تلك الفرق ، وظهور أثرها في أذهان وواقع أبنائها ، فإن الأفكار لا تموت بموت أصحابها ، بل هي كالجرثومة التي تنتقل عدواها ، فتصيب الناس بمثل ما أصابت به صاحبها .

وإن الوحدة الإسلامية التي كانت في السنوات الأولى من بناء دولة الإسلام كانت من معجزات التاريخ ؛ وموضع دراسة الباحثين ، والتي لا يزال يتفاخر بها المسلمون حتى يومنا هذا ، والسبب في ذلك : أن المسلمين كانوا على ما بعث الله -ﷺ- به رسوله -ﷺ- من الهدى ودين الحق ؛ الموافق لصحيح المنقول، وصريح المعقول ، حتى وقوع الفتنة بين الصحابة ، وبسبب تراكم الخلافات التي وقعت بينهم بداية من أحداث السقيفة ، وفك ، والشورى ، وانتهاءً بشهادة سيد شباب أهل الجنة بكربلاء ؛ وذلك لأن المحور الأساسي في حياتهم الفكرية كان الوحي المنزل

بنوعيه : المتلو، والمروي (كتاباً وسنة) ، هذا الدستور الذي بنوا عليه نظام حياتهم الفكرية والتشريعية ؛ مما أكسب هذا الوحي قداسة في قلوب الرعيل الأول غطى على كل قداسة دونها .
ومع هذا الصرع المحتدم بين تراكم الخلافات وتواليها ، وبريق هذه القداسة في قلوب محبيها والمنتمين إليها، بدأت تظهر سنة الله في خلقه ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ^(١)، وغمضت كثير من العقائد على حديثي العهد بالإسلام ، واختلفت الرغبات ، والشهوات، والاتجاهات الفكرية داخل المجتمع المسلم ، وبدأ تقليد السابقين - من غير الثلة المباركة الأولى - يستشري في قلوب وعقول أبناء المسلمين ، واختلفت المدارك ، وظهر حب الرياسة والزعامة والسلطان ، ورجع بعض الناس لعصبيتهم العرقية والطائفية والدينية ؛ فبدأ هذا التقديس يتحول من التوسط والاعتدال ، إلى التطرف والغلو؛ فظهرت فرق الإسلام المختلفة ، وحاولت كل فرقة أن تطوع النص؛ ليتماشى مع عقيدتها وهواها.

وأدى ذلك إلى تشويه الفكر الإسلامي التليد - الذي نستمد منه إيماننا بعظمة ماضينا - ، ودخل فيه من التشويه والدس والتحريف ؛ ولاسيما الفرق التي تعدت الحد الشرعي في تقديس شخص علي بن أبي طالب - عليه السلام - حتى أفسد عليها عقيدتها ؛ فنسبت إليه أقوالاً ، وأفعالاً ، وأخباراً لا يرضاها لنفسه ، ويردها العقل الصريح والنقل الصحيح ، وصورت أحبابه - من الصحابة ومن تبعهم بإحسان - بصورة الظالمين المعتدين له بغصب حقه في الإمامة ، ولأنفسهم برد النص عليه، وطال هذا التقديس أبناءه وأحفاده ؛ فزعموا أنهم منصوص عليهم بأسمائهم، معصومين من قبل الله - عليه السلام - بلاغاً لرسول الله - عليه السلام - ولأمته من بعده في المحافل والمناسبات ؛ فتحقق بذلك قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - حين قال : " لَتَفْتَرِقَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، وَأَضَلُّهَا فِرْقَةٌ وَشَرُّهَا : الدَّاعِيَةُ إِلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، وَآيَةُ ذَلِكَ : أَنَّهُمْ يَشْتُمُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ - عليه السلام - " ^(٢) ، حتى سرت هذه الاعتقادات في أذهان كثير من شباب الأمة المسلمة .

خاصة : في عالم قد انفتح فيه الفضاء للجميع - محققاً كان أو مبطلاً - ليبيت منهجه في نفوس المستمعين ، والمشاهدين ، والقارئین ، عبر الإذاعات ، والفضائيات ، والشبكات ، مما أدى إلى انخداع كثير من أهل السنة بباطل كثير من أهل البدع ، وأهل فرق الضلال ، تحت شعارات الوحدة الإسلامية ، والاعتصام بالكتاب والسنة، والتسامح ، وترك التطرف ، والتكفير ، والتعصب ؛ مع ادعاء بأنه الفرقة الناجية .

وإنَّ إعادة الحديث عن المذاهب الضالة ، وبيان ما فيها من بطلان ، وإظهار عوارها ، هو منهج مستمد من كتاب الله تعالى ؛ فقد قص الله عز وجل علينا في القرآن الكريم ، نبأ قوم لوط ، وقوم

(١) سورة هود : ١١٨ - ١١٩ .

(٢) ابن بطة العكبري : الإبانة الكبرى ج ١ ص ٣٧٥ .

صالح ، وقوم هودٍ ، مقارعاً لهم الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان ، ونقلَ أباطيلهم ، كما قالوها دون حذفٍ أو تبديل .

كما إن التصدي لأهل البدع والأهواء من مطالب الدين ، ودرجات الجهاد ، وأعلى درجات الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ، وهي كلمة حق ، وصرخة في واد ، لعلها تخلع الفرقة من الأوتاد . ومع أن كثيراً من العلماء والكتاب كتب في افتراق الأمة في عقائدهم ، واتجاهاتهم ، فمنهم من طول وأسهب ؛ فأنسى الكلام بعضه بعضاً ، ومنهم من قصر واختصر؛ فغبن صاحب الاعتقاد حقه في عرض حجته ، ووضوح رؤيته للقارئ ، وهذا ما لا يرضاه لنفسه ؛ فصار ظالماً لنفسه ، ولمن نقل عنه ، ولمن نقل له ؛ إذ لم يظهر له كل الحقيقة ؛ فغبنه حقه الذي كان واجباً له .

ولكن المصارحة الفكرية والعقائدية من شأنها أن تؤدي إلى وضوح الرؤية ، وتحقيق القدر المطلوب من التفاهم بين الفرق الإسلامية - لا سيما الشيعة الاثني عشرية - أما الغموض والمداورة والتقية فمن شأنها أن تزيد بذور الشك فتزداد بقعة الخلاف ؛ فيصعب على طالب الحق جمع الخرق؛ فيتسع الخرق على الراقع، فيصعب التلاقي، وتذهب ريح الأمة ، ويفشلوا .

فإن الأمة لم تؤت من ثغر أكبر من فرقتهما ، في الحين الذي لم يكن ثمار هذه الفرقة إلا أعداؤها، مما شجعهم لغرس الفتنة بين المسلمين أكثر وأكثر .

إنَّ أَلْفَ مِعْوَلٍ نَقَضَتْ بِنَاءَ أَمْتِنَا حَتَّى جَعَلَتْهُ أَطْلَالاً ، وإنَّ نَصْفَ هَذِهِ الْمَعَاوِلِ كَانَتْ بِأَيْدِينَا نَحْنُ ، ولو أننا درسنا تاريخنا ، وفتشنا في أسباب الفرقة ، لكان أجدى لنا ، وما تعرضنا في هذا البحث لأنباء الفتن الأولى، إلا بالقدر الذي يعيننا على تجنب فتن أخرى ، ونبتعد عن مزالق الأولين فلا نقع فيها . إن التفرق يساوي في خطورته ، الصواعق التي تنقض من السماء ، أو الزلازل التي تندك بها الأرض ، قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ الأنعام ٦٥ .

فالفرقة هي دابة الأرض التي أكلت قوائم الأمة ، فخرت صريعةً لليدين وللهم ، وقد عرف الواقع الإسلامي بداية التفرق ، حين ظهرت بدعة الخوارج كفرقة سياسية ، ثم ظهرت بإزاءها فرقة الشيعة ؛ الذين تشيعوا لنصرة أهل البيت، حتى قُتل عليٌّ والحسين -عليهما السلام- على يد من باء من مولاة بالخسران ، فكان من نتيجة ذلك وغيره ، أن ظهرت فرقة الشيعة الاثني عشرية التي أخرجت للناس بدعها تحت لافتات إسلامية ، فاغتر بها الكثير ، فظنوا أنهم على الكتاب والسنة ، وما هي إلا جنة للأفكار المسمومة.

وهذه الرسالة تعرض لعقائد الشيعة بوضوح - قدر فهم الباحث المتواضع - على لسان علماء الشيعة أنفسهم، ومن خلال كتبهم المعتمدة ، وهي بمثابة دعوة صريحة وواضحة إلى القريب والبعيد لفتح لإكمال الحوار بين السنة والشيعة ؛ ليربح الإسلام وحدته المنشودة .

ولذلك استخرتُ الله -ﷻ- أن أتناول بالبحث موضوعاً يخدم هذا الحوار ، ويبين حقيقة التقديس عند الشيعة الاثني عشرية ؛ وجعلت عنوانه: (التقديس عند الشيعة الاثني عشرية وأثره على عقائدهم).

◆ أسباب اختيار الموضوع :

• إن من أصعب ما يواجه الباحث المتخصص - فضلاً عن غيره - في تاريخ أمة الإسلام تاريخ عقلها في نشوئه وارتقائه ، وتاريخ دينها ، وما دخله من آراء ومذاهب ، وخاصة : المذاهب الدينية ، والفرق الفكرية ، والنحل العقدية ، في كيفية نشأتها وتطورها ، وتأثير ذلك على مجمل عقائدها ، فقد يكون الباعث على نشأتها غير ما يظهر من عقائدها وتعاليمها ، فقد يكون الباعث على نشأتها سياسياً ، وهي في مظهرها الخارجي مجردة عن السياسة ، وقد يكون الباعث لها إفساد الدين ، وتشكل بشكل المتحمس للدين ، وقد يكون المذهب صالحاً كل الصلاح ، ولكن يحكيه أعداؤه ؛ فيشوّهونه ويلغون فيه ؛ فيفسدونه؛ فيقف الباحث حائراً ضالاً يتطلب بصيصاً من نور يهديه ، أو أثراً في الطريق سلكه من قبله فيحتذيه^(١)؛ ولذلك تكتسب دراسات الفرق الإسلامية أهمية خاصة خلال مراحل التاريخ الإسلامي المتفاوتة ، والتي تؤثر بلا شك في تشكيل مراحل الحضارة الفكرية الإسلامية ؛ فأردت بجهد المتواضع أن أضع بصيص نور لمن يقرأ بحثي لنفهم سوياً قضية من أهم قضايا الفكر الإسلامي وهي : تقديس أهل البيت عند الشيعة ، ومقارنتها باختصار عند أهل السنة ، وبيان الآثار المترتبة على ظهور التقديس داخل المعتقد الشيعي الاثني عشري .

• ظهور التقديس جلياً على عقائد الشيعة الاثني عشرية .

• تقديم دراسة علمية تجمع شتات الموضوع ، مع الشعور بمسئولية إظهار الحق لنفسه أولاً ، ثم لإخوانه من أهل السنة ، والشيعة المنصفين ؛ وخاصة الطالبين الحق منهم .

• محاولة الإجابة عن عدة أسئلة مهمة وهي : كيف انتقل الفكر الإسلامي من الاعتدال والتوسط إلى التطرف والغلو ؟ وهل التقديس نتيجة لهذا التحول فصار متوغلاً في عقيدة القوم ؟ أم هو مظهر من مظاهره ، وسحابة صيف لا تمثل معضلة في التقارب المنشود بين عقيدة أهل السنة ، وعقيدة الشيعة الاثني عشرية .

• الاهتمام البالغ من الشيعة الاثني عشرية بنشر مذهبهم داخل المجتمع المسلم ؛ وذلك مثل ما تفعله سفارات الجمهورية الإيرانية من نشر الكتب الشيعية في مختلف البلاد عن طريق الملحقية

الثقافية الثابتة لها ، مع الادعاء المتواصل من دعائهم بأنه : لا فرق بين أهل السنة والشيعة ^(١) ، وأنهم يتفقون في أصول الدين معهم ، ولا يختلفون إلا في بعض الفروع ، مع تزايد مساس المسلمين لهذه العقيدة خاصة بعد ظهور القنوات والشبكات ، مما أوجد نظريات متباينة عن هذه الفرقة بين مادح داع إلى التقريب ، وذام داع إلى القطيعة .

• يمثل التقديس موضوعاً مرناً في حياة وعقيدة الشيعة الاثني عشرية ؛ لأنه يرتبط بموضوع الإمامة القديم الجديد ؛ إذ يرتبط بتقديس شخص الإمام محور عقيدة القوم ، والذي يربون عليه أبنائهم ، وينشئون عليه طلابهم ، ويحاولون نشره بين أوساط المسلمين .

◆ أهداف البحث:

• من أهم أهداف بحثي في الفرق الضالة والطوائف المنحرفة هو إظهار الحق لنفسي أولاً ، ثم لعموم المسلمين ، والتوصل إلى نقاط اتفاق بين العقيدة السنية والعقيدة الشيعية - مع قلتها - للوصول إلى نقطة لقاء نبدأ منها جمع شتات الاختلاف ؛ عسى الله أن يجعل بين المختلفين منهم مودة ، والله قدير ، والله غفور رحيم .

• اطلاع الأمة الإسلامية على حقيقة معتقد الشيعة الاثني عشرية في تقديس أئمتهم ؛ لنحكم عليهم حكماً موضوعياً لا غلو فيه ، ولا تفريط ؛ إذ الحكم على الشيء فرع عن تصوره .

• الرد عن عرض الصحابة وتابعيهم ، بالرد على من اتهمهم بالنصب لآل البيت ^(٢) ، وتصويرهم بصورة المتباغضين ؛ لا أنهم كانوا إخواناً متحابين ، ببيان أن أتباع الصحابة يعرفون الحق لآل بيت نبيهم ، ويتقربون إلى الله -ﷻ- بحبهم .

• أن نبدأ قراءة التاريخ الإسلامي قراءة جديدة ؛ لنستخرج الحق من بين ركام الباطل .

◆ **منهج البحث :** هذا وقد اقتضى المنهج العلمي أن أبين قبل الكلام في موضوع الرسالة بيان معنى التقديس في اللغة العربية ، كما اقتضى بيان بذور نشأة الشيعة عامة وأسباب نشأتها ، وكيف تحول الفكر الشيعي من كونه لحمية من الجسد المسلم إلى منشق عن الصف .

(١) مثل ادعاء جعفر السبحاني في كتابه رسائل ومقالات في أكثر من موضع منها قوله : " لا خلاف بين الشيعة والسنة في حق النبوة العامة والخاصة إلا شيئاً لا يذكر " . جعفر السبحاني: رسائل ومقالات (الرسالة الأولى) ، ط اعتماد - قم ، نشر مؤسسة الإمام الصادق ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ص ٤٤ .

(٢) أول النصب كان على يد الخوارج الذين كفروا الصحابة -ﷺ- ، وعلى رأسهم علي -ﷺ- .

كما اقتضت ضرورة البحث استخدام منهج يجمع بين التأريخ ، والمقارنة ، والنقد ، والتحليل ؛ فالتأريخي لبيان أسباب المعتقد ، وأثره في واقع الأمة في حينه ، وبعد ظهوره ، والمقارنة لبيان موقف الشيعة وأهل السنة من هذه العقائد ، والنقدي وهو حاضر في كل قضية ؛ ليعيد صياغة العقيدة ؛ لبيان حقها من باطلها - قدر المستطاع - لنضع نقطة نلتقي فيها معهم من داخل كتبهم ؛ لنبدأ الحوار الهادف ، والتحليل لبيان مواطن الصواب ، ومواطن الخطأ ؛ فيظهر للقارئ هذان الجانبان فيقوم ، وينقد ليكون فكرته عن المعتقد.

وحاولت مجتهداً أن أكون موضوعياً في بحثي - قدر المستطاع - ومن الموضوعية : عرض عقائد الاثني عشرية من كتبهم المعتبرة عندهم قديماً وحديثاً ؛ لبيان توحيد الاعتقاد بين العلماء القدامى والفقهاء الجدد ، ولم أنكر عليهم إلا ما يتناقض مع أصول العقيدة ، وثمنت في بعض العقائد قربها من عقيدة أهل السنة ، كما أنني أحياناً أناقشهم على وفق منهجهم ، وبمقتضى مقرراتهم وقواعدهم العقلية ، وليس المقام هنا مقام تكفير وإنما مقام بيان حق وباطل ، وإني لأرجو الله - عز وجل - أن يكونوا مجتهدين في أقوالهم ؛ فيكون لهم لهم الأجر على اجتهادهم ، وأن يهدينا وإياهم سواء السبيل .

وجعلت المنهج متمثلاً في عدة نقاط منها :

عرض المعتقد تاركاً للقارئ الحكم عليه ليس لموافته لأهل السنة ، لكنني شرطت على نفسي أن أرو رواياتهم على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ، ولا نقص عليهم ، ولا زيادة ، دون أن أبين صحاحه من فاسده ، أو حقه من باطله ؛ وإن كان لا يخفى على الأفهام الذكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات بريق الحق ونفحات الباطل.

استخدام طريقة النقد الداخلي للمنهج الشيعي الاثني عشري ؛ فيرد الباحث عليهم من كتبهم ؛ لبيان مدى التناقض في العقيدة في كل موضع على حدة ، أو في آخر الفصل إن احتاج المقام ، وقد أرد رداً مقتضباً ، وقد أظن إن احتاج المقام لذلك في نظر الباحث .

الرد عليهم من صريح كتاب الله ، وصحيح سنة نبيه - ﷺ - مما جاءت به كتب أهل السنة المعتبرة عندهم ما استطعت لذلك سبيلاً .

وكان من أهم ما حرصت عليه ما يلي :

١. الاعتماد على أمهات المراجع الأصلية في التحرير والتوثيق والتخريج والجمع.

٢. التركيز على موضوع البحث وتجنب الاستطراد.

٣. تخريج الآيات القرآنية في الهامش بذكر اسم السورة ورقم الآية.

٤. تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث وبيان ما ذكره أهل الشأن في درجتها .

٥. التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث .

٦. الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في البحث ، ثم ختمت البحث بمجموعة من النتائج والتوصيات.

◆ الدراسات السابقة :

لم أجد من خلال البحث دراسة متخصصة في نفس الموضوع الذي اخترته للبحث والدراسة ولكنني وجدت دراستين لهما علاقة بالبحث :

الدراسة الأولى: رسالة ماجستير بعنوان : تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي . عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة للباحث د / محمد أحمد لوح ، بقسم العقيدة ، بالدراسات العليا ، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية - على ساكنها الصلاة والسلام - وتناول الباحث في دراسته : تقديس الأولياء في الفكر الصوفي من جذوره إلى نتائجه ، وقد أفدت منها دون شك في تصور فكرة تقديس الأشخاص بوجه خاص حيث نسب بعض جذور تقديسهم إلى عقائد الشيعة ؛ مما فتح لي الباب حول تقديس الأشخاص في الفكر الشيعي ؛ لأبدأ نقاط البحث .

الدراسة الثانية: رسالة ماجستير بعنوان : تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره . عرض ونقد ، للباحث : د موسى بن عقيلي بن أحمد الشخي ، بقسم العقيدة ، بكلية الدعوة وأصول الدين ، بجامعة أم القرى بمكة المكرمة - حرسها الله - ، وتحدث الباحث في رسالته عن ظاهرة تقديس الأشخاص عند النصارى مثل تقديسهم لعيسى بن مريم - عليه السلام - ، ومن يسمون عندهم بالرسول ، وتقديس الباباوات ، ورجال الدين ، والآثار التي نتجت عن تقديس هؤلاء الأشخاص داخل الكنيسة وخارجها ، والآثار المتعلقة بظهور الفكر الديني القائم على العداء للكنيسة، وأثره على هذا التقديس، وقد افدت منها في فهم تقديس للشخص والرأي.

الدراسة الثالثة : رسالة ماجستير بعنوان : مظاهر تقديس الأشخاص عند الشيعة الاثنا عشرية عرض ونقد، إعداد الباحث : د عوض بن عيضة بن شريم السني الزهراني ، بجامعة أم القرى ، بكلية الدعوة وأصول الدين ، قسم العقيدة ، وتناول فيها الباحث مظاهر التقديس بنوعيه المشروع والغير مشروع ، وتقديس الشيعة لأئمتهم ، وعصمتهم ، وعلمهم ، وتفضيلهم على الأنبياء - عليهم السلام - ، ومنحهم حق التشريع ، وأصل خلقتهم ، وصرف العبادات إليهم ، وتقديس قبورهم ، وبين عقيدة السلف الصالح في أئمة الشيعة ، وموقف أئمة الشيعة من هذا الغلو ، ولكن عرض الباحث لرسالته اختلف عن عرضي في تحديد التقديس على شخص الإمام فقط ، ولكنني حاولت أن أجمع تقديس الإمام والعقائد والأماكن الناتج عن تقديس أقوال الأئمة كتقديس التقية والرجعة والبداء وغيرها .

◆ **خطة البحث :** سار الباحث على خطة تشمل: مقدمة ، وستة فصول ، وخاتمة :

◆ **أما المقدمة :** واشتملت على : النظرة العامة للموضوع ، وأهميته ، وأسباب اختياره ، والدراسات السابقة ، ومنهج البحث، وخطته .

◆ الفصل الأول : التعريف بالتقديس والشيعة الاثني عشرية ويتكون من مبحثين :

المبحث الأول : تعريف التقديس ، ويتكون من مطلبين :

المطلب الأول : تعريف التقديس في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : نظرة في واقع التقديس عند الشيعة الاثني عشرية .

المبحث الثاني: نشأة الشيعة الاثني عشرية ، ويتكون من مطلبين .

المطلب الأول : تعريف الشيعة الاثني عشرية .

المطلب الثاني : نشأة الشيعة الاثني عشرية وفرقها .

◆ الفصل الثاني: التقديس وأثره على عقيدة الإمامة ، ويتكون من أربعة مباحث .

المبحث الأول : تعريف الإمامة وأدلة إمامة علي - رضي الله عنه - .

المبحث الثاني : الإمامة عند أهل السنة وطرق ثبوتها .

المبحث الثالث : الآثار المترتبة على تقديس الأئمة ، وفيه مطلبان .

المطلب الأول : الآثار المترتبة على تقديس الأئمة ومظاهره على أركان الإيمان .

المطلب الثاني : الآثار المترتبة على تقديس الأئمة ومظاهره على مكانة الأئمة .

المبحث الرابع : تقديس الأئمة في ميزان أهل البيت .

◆ الفصل الثالث: التقديس وأثره على عقيدة العصمة وفيه أربعة مباحث .

المبحث الأول : تعريف العصمة وأدلتها .

المبحث الثاني : آثار التقديس على عقيدة العصمة ، وفيه ثلاثة مطالب .

المطلب الأول : آثار تقديس الأئمة ومظاهره على مكانة القرآن الكريم .

المطلب الثاني : آثار تقديس الأئمة ومظاهره على مكانة الإمام .

المطلب الثالث : آثار تقديس الأئمة ومظاهره على علاقتهم بمخالفهم .

المبحث الثالث : عقيدة العصمة في ميزان أهل البيت .

المبحث الرابع : موقف أهل السنة من القول بالعصمة .

◆ الفصل الرابع: التقديس وأثره على عقيدة التقية ، وفيه خمسة مباحث .

المبحث الأول : تعريف التقية وأدلتها وأهميتها .

المبحث الثاني : آراء الفرق الإسلامية في القول بالتقية .

المبحث الثالث : أقسام التقية وشروطها . المبحث الرابع : تقديس الأئمة وأثره عقيدة التقية .

المبحث الخامس : موقف أهل السنة من التقية .

◆ الفصل الخامس: التقديس وأثره على عقيدة الرجعة ، وفيه أربعة مباحث .

المبحث الأول : تعريف الرجعة ، وأهميتها ، وأدلتها .

المبحث الثاني : مراحل الرجعة ، وفيه ستة مطالب .

- المطلب الأول : أول مراحل الرجعة : عقيدة الغيبة .
- المطلب الثاني : ثاني مراحل الرجعة : عقيدة النيابة عن المنتظر .
- المطلب الثالث : ثالث مراحل الرجعة : عقيدة الظهور .
- المطلب الرابع : رابع مراحل الرجعة : ولاية الفقيه .
- المطلب الخامس : خامس مراحل الرجعة : مقدمات وعلامات الرجعة .
- المطلب السادس : آخر مراحل الرجعة : عقيدة اليوم الآخر .
- المبحث الثالث : تقديس الأئمة ، وأثره على عقيدة الرجعة .
- المبحث الرابع : موقف أهل السنة من القول بالرجعة .
- ◆ الفصل السادس : التقديس وأثره على عقيدة البداء ، وفيه خمسة مباحث .

- المبحث الأول : تعريف البداء ، والنسخ ، وأدلة البداء .
- المبحث الثاني : أهمية البداء داخل المعتقد الشيعي ، وفائدته .
- المبحث الثالث : شروط البداء . المبحث الرابع : تقديس الأئمة ، وأثره على عقيدة البداء .
- المبحث الخامس : الرد على عقيدة البداء .

◆ الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث التي توصل لها الباحث ، وأهم التوصيات .

وبعد ، فإنني حين اطلعت على كتب السابقين ودراساتهم لم اعتمد على كتاباتهم فقط ، بل رجعت بنفسني إلى كتب الشيعة الاثني عشرية المعتمدة ، وتأكدت من كل نقولاتهم ، ولا أدعي أنني وفيت الموضوع حقه ، ولم أخجل من الاقتراب من الكمال فيه - مع أنه غاية لا تدرك - من سؤال أهل التخصص - وهم كثرة بفضل الله تعالى - فإن كان في البحث من فضل فإنه ينسب لهم ، وإن كان ثمة نقص فالباحث يسأل الله - ﷻ - أن يستر العيب ، وأن يتقبل القليل ، ورحم الله قارئاً أهدى إلى عيوبي ، وقد - والله - بذلت جهدي ، وما آلوت ، وتعبت ، وسهرت ، وإني مع ذلك - غير مهموم بنفسني - أحتسب ما لاقيت في هذا البحث عند ملك مقدر ، لا يضيع عنده المعروف ، ولا يغفل سبحانه عن عمل العاملين ، بل هو عالم سبحانه بذات الصدور ، ويعلم الغرض والمستقر من كل الأمور سبحانه ، وبعد ، فيارب ﴿ لَا تَوَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ^(١) ، حقيق علي أن أتمثل قول القائل :

ما خَطَّ كَفَّ امْرئٍ شَيْئاً وَرَاجِعُهُ ◆◆◆ إِلَّا وَعَنْ لَهُ تَبْدِيلُ مَا فِيهِ
وَقَالَ ذَاكَ كَذَا أَوْلَى ، وَذَاكَ كَذَا ◆◆◆ وَإِنْ يَكُنْ هَكَذَا تَسْمُو مَعَانِيهِ

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول

المبحث الأول

تعريف التقديس

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : تعريف التقديس .

المطلب الثاني : أسباب التقديس عند الشيعة

الاثني عشرية .



المبحث الأول

تعريف التقديس

أولاً : معاني التقديس في اللغة : -

بالبحث في معاجم اللغة العربية عن مادة : (ق ، د ، س) الأصل اللُّغوي لكلمة التقديس ، نرى أنها تدور حول عدة معان ؛ من أهمها :-

- ١- **التطهير** : فالقدُّوس : الطاهر المنزَّه عن العيوب والنقائص ، ونقدس لك أي : نطهر أنفسنا لك ، وكذلك نفعل بمن أطاعك نقدسه : أي نطهره ، ومنه قيل : للجنة حظيرة القدس^(١) ، و القدوس : الذي طهر من الأولاد ، والشركاء ، والصاحبة^(٢) ، وادعت الشيعة: قداسة أجسام الأئمة ، وأخلاقهم ، ومراقدهم ؛ لأن التقديس التطهير الإلهي^(٣)

(١) مادة قدس . الجوهري : الصحاح ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٤ ، ١٩٩٠م ج ٣ ص ٩٦٠ . السيد محمد مرتضي الحسيني الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، ط حكومة الكويت ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ج ١٦ ص ٣٥٤ - ٣٦٠ . أبو منصور الأزهري : تهذيب اللغة ، تحقيق : عبد العظيم محمود ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة ، دت ج ٨ ص ٣٩٦ . أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ط دار الفكر - بيروت ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م ج ٥ ص ٦٣ .

(٢) أبو بكر الأنباري : الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق : د حاتم صالح الضامن ، ط مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ج ١ ص ٥٣ .

(٣) من أهم عقائد الشيعة الاثني عشرية : عدم دخول أزواج النبي -ﷺ- في هذا التطهير ، ما خلا خديجة -ﷺ- ، وهذا مردود عليهم من عدة وجوه ؛ من أهمها : أن قرينة السياق صريحة في دخولهن ؛ لأن سباق النظم ؛ قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ ﴾ ، ولحاق النظم قوله تعالى : ﴿ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ ، وقد أجمع علماء الأصول : على أن سبب النزول قطعي الدخول في معنى الآية ، فلا يصح إخراجها إلا بمخصص ، ولا ننكر دخول علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وبقية أهل البيت ، وقد رُوِيَ دخولهم فيه عن النبي -ﷺ- كثير من الصحابة مثل : عائشة ، أم سلمة ، وأنس ، وأبو سعيد الخدري -ﷺ- ، وإنما جاء الخطاب للمذكر ، من باب التغليب ، كما هي عادة القرآن ، وكذلك من أساليب اللغة العربية : إطلاق لفظ الأهل على الزوجة ، ومخاطبته مخاطبة المذكر ، مثل قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ

المذكور في قوله - تعالى - : ﴿ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ^(١) ، فالإمام عند الشيعة معدن القدس، والطهارة من كل ذنب وعيب ، ويتطهر به غيره كذلك .

٢- **التنزيه ، والتبرئة من العيوب ، والبعد عن النقص** : فالله - ﷻ -: القدوس ؛ لأنه منزّه عن الأضداد ، والأنداد، والصاحبة، والولد ، والنقائص^(٢). ومن ذلك أن المهدي يظهر الله به الأرض من كل جور، ويقدها من كل ظلم^(٣).

٣- **البركة** : فالقدوس : المبارك ؛ والمقدس: المبارك ؛ وأرض مقدسة : مباركة^(٤)؛ للبركة التي فيها^(٥)، والقداسة : الطهر، والبركة^(٦) ، ونقدس لك : نُبْرِكَ لك ، أي نقول : تباركت يا ربنا^(٧) ، ومنه : تسمية سرداب سامراء بالعراق : السرداب المقدس المعظم لوجود المنتظر به^(٨) ، ومن هذا المعنى : أن المهدي - كما يدعي الشيعة - عليه أثواباً قدسية، وخلعاً ربانية ، تتقد من بركتها أنوار فضله وهدايته تعالى ، وببركة هدايته وفيضه المقدس، يسطع من جيوب القابلين أنوار القدس من العلوم والمعارف الربانية^(٩).

٤- **التعظيم والتكبير والتعجيد والتشريف** : قدس الله : عَظَّمَهُ ، وكَبَّرَهُ ^(١٠) ، والقُدَّاسُ:المنيع

لأهله امكثوا طه : ١٠ ، وقوله تعالى حكاية عن موسى : ﴿ سَاتِيكُمْ ﴾ . محمد أمين الشنقيطي : أضواء البيان ، ط عالم الفوائد - جدة ، ط ١١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ج ٦ ص ٦٣٥ - ٦٣٨ .
(١) سورة الأحزاب : آية رقم ٣٣ .

(٢) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ج ٥ ص ٦٤ .
(٣) ابن بابويه القمي (الصدوق):كمال الدين وتمام النعمة ، ط الأعلمي- بيروت، ط ١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ص ٣٤٦ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق : عبد الله علي الكبير ، وآخرون ، ط دار المعارف المصرية - القاهرة ، دت ج ٤٠ ص ٣٥٥٠ . ابن سيده : المحكم ج ٦ ص ٢٢٥ .

(٥) الزبيدي : تاج العروس ج ١٦ ص ٣٥٥ - ٣٥٩ . الأزهري : تهذيب اللغة ج ٨ ص ٣٩٦ .

(٦) المعجم الوجيز ، ط وزارة التربية والتعليم ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ص ٤٩٢ - ٤٩٣ بتصرف .

(٧) أبو بكر الأنباري : الزاهر في معاني كلمات الناس ، مادة قدس ج ١ ص ٥٠ .

(٨) علي النمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥هـ) : مستدرك سفينة البحار ، تحقيق : حسن بن علي النمازي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين - قم ، ١٤١٩هـ ج ٥ ص ١٢ .

(٩) السيد نعمة الله الجزائري (ت ١١١٢هـ) : أحوال الإمام المنتظر ، تحقيق : ماجد العطية ، ط دار العلوم ، منشورات دليلنا ، إصدارات مركز وارث الأنبياء للتوثيق والدراسات الإسلامية - بيروت ط ١ ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م ص ٦٤ .

(١٠) المعجم الوجيز : مادة قدس ص ٤٩٢ .

- الضخم من الشرف^(١)، وعند الشيعة: "علي^(٢) خير البشر ، فمن أبى فقد كفر"^(٣).
- ٥- السفينة العظيمة : القادس : السفينة^(٤) ، وقيل : لوح من ألواحها^(٥)، وخصها بعضهم بالسفينة العظيمة^(٦) ، فأهل البيت عند الشيعة : سفينة النجاة .
- ٦- التسبيح : قدسوا الله : سبحانه^(٧) ، وعند اقتران التقديس بالتسبيح ، يرجع التسبيح للعبادة الظاهرية، والتقديس يرجع للاعتقادات الباطنية^(٨).
- ٧- العصمة : قال رسول الله ﷺ - لحسان بن ثابت^(٩) - : " أَهْجُ الْمُشْرِكِينَ فَإِنْ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ"^(١٠)، أي: ومعينك جبريل-عليه السلام-، وقيل : عصمة الله ، وتوفيقه معك^(١١) ؛

-
- (١) الزبيدي : تاج العروس ، مادة قدس جـ ١٦ ص ٣٥٦ .
- (٢) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف : أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم. ولد قبل الهجرة ، وقُبِضَ ٤٠هـ. الأشعري القمي: المقالات والفرق ، ط حيدري ، ط مطبوعاتي عطالي-طهران، ١٣٩١هـ ص ١٢٤-١٢٥. شمس الدين الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : خيرى سعيد ، ط المكتبة التوفيقية - القاهرة ، دت جـ ٢ ص ٥٤٨-٥٩٢ .
- (٣) الصدوق : الأمالي ، ط مؤسسة الأعلمي - بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م ص ٦٦ .
- (٤) أبو عمرو الشيباني : الجيم ، ط المطابع الأميرية - القاهرة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م جـ ٣ ص ٩٠ .
- (٥) ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ، مادة قدس جـ ٦ ص ٢٢٥ .
- (٦) الزبيدي : تاج العروس جـ ١٦ ص ٣٥٦ . تهذيب اللغة جـ ٨ ص ٣٩٦ . لسان العرب جـ ٤٠ ص ٣٥٥٠ .
- (٧) أبو القاسم الزمخشري : أساس البلاغة ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ط منشورات محمد علي بيضون ، نشر دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م جـ ٢ ص ٥٧ . ابن سيده : المحكم الأعظم جـ ٣ ص ٢١١ .
- (٨) أحمد الصاوي الخلوتي : حاشية أحمد الصاوي الخلوتي على تفسير الجلالين ، ط مصطفى البابي الحلبي - القاهرة ، ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م جـ ١ ص ١٩ .
- (٩) حَسَّانُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ حَرَامِ الْأَنْصَارِيِّ : سَيِّدُ الشُّعَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ ، الْمُؤَيَّدُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ، عَاشَ سِتِّينَ سَنَةً فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَسِتِّينَ فِي الْإِسْلَامِ ، لَمْ يَشْهَدْ مَشْهَدًا ، تُوْفِّيَ أَرْبَعَ وَخَمْسِينَ . الذهبي: سير أعلام النبلاء جـ ٤ ص ١١٦-١٢٣ .
- (١٠) النسائي: السنن الكبرى، ط قطر الوطنية-قطر، ط ١ ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م جـ ٨ ص ٤٢٣ .
- (١١) أبو القاسم الزمخشري : أساس البلاغة جـ ٢ ص ٥٨ .

ولذلك تروي الشيعة أن روح القدس ينتقل من النبي بعد موته للإمام ^(١) ؛ لتكتمل له العصمة بتسديد الملك له ، وهو غاية التقديس المذموم .

٨- وصف الشخص بالعلم الغزير؛ مع الطهارة والفضل : فالمقدَّسُ : الحَبْرُ، والعالم ، والراهب ^(٢)، والقدّيس عند النصارى : المؤمن الذي يُتَوَقَّى طاهراً فاضلاً، وكذلك القديسة ^(٣).

٩- ما علا وارتفع من الأرض، وانتفع به : فالقدّس: الموضع المرتفع ، الصالح للزراعة ^(٤).

١٠- ما غلا ثمنه من الدرر: فالقداس : جمان الفضة ^(٥) ، والقدّيس : الدر ^(٦).

١١- الشيء الذي يقدر به الماء ويقسم بين الناس بالسوية : القداس ، والقداس : حصاة توضع في وسط الحوض، إذا غمره الماء رويت الإبل ^(٧) ، وجاء عن علي -عليه السلام-: " فإذا بهاتف يهتف يا أبا الحسن اقبل على يمينك فإذا أنا بقدس من ذهب مغطى فيه ماء أشد بياضاً من الثلج ، وأحلى من العسل ؛ فكان هذا القدس من أقداس الجنة ^(٨) .

١٢- الوعاء الذي بتسلسل أفراده ينتظم سقي الماء للزرع ، وينتظم عمل الطاحونة : القادوس : وعاء من الفخار ، واسع الفوهة ، تنتظم منه ومن أمثاله سلسلة ، تديرها الناعورة ؛ فتغرف الماء من البئر إلى المزرعة ، وقادوس الطاحونة : وعاء يشبه القمع ، يلقي فيه الحب فينزل منه متتابعاً إلى الطاحونة ^(٩)؛ فالإمام عند الشيعة نظام الكون به ينتظم أمر

(١) أبو يعقوب الكليني: الكافي ، تحقيق: محمد جعفر شمس الدين ، ط دار التعارف - بيروت، ط ٣، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م ج ١ ص ٣٢٨.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم ج ٦ ص ٢٢٥ . تاج العروس ج ١٦ ص ٣٥٨ . لسان العرب ج ٤ ص ٣٥٥٠ .

(٣) المعجم الوجيز : مادة قدس ص ٤٩٢ - ٤٩٣ . الزمخشري : أساس البلاغة ج ٢ ص ٥٨ .

(٤) تاج العروس ج ١٦ ص ٣٥٤ - ٣٥٩ . تهذيب اللغة ج ٨ ص ٣٩٧ . لسان العرب ج ٤٠ ص ٣٥٤٩ .

(٥) المحكم والمحيط الأعظم ج ٦ ص ٢٢٥ . الخليل : العين ج ٥ ص ٧٣ .

(٦) لسان العرب ، مادة قدس ج ٤٠ ص ٣٥٥٠ . المحكم والمحيط الأعظم ج ٦ ص ٢٢٥ .

(٧) لسان العرب ، مادة قدس ج ٤٠ ص ٣٥٥٠ . علي بن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ج ٦ ص ٢٢٥ . تاج العروس ج ١٦ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ . تهذيب اللغة ج ٨ ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .

(٨) هاشم البحراني: مدينة المعاجز (معاجز آل البيت)، ط م النعمان - بيروت ، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ج ١ ص ٢٦٧ .

(٩) المعجم الوجيز ص ٤٩٢ . الزبيدي : تاج العروس ج ١٦ ص ٣٥٩ .

العالم فالإمام تلو الإمام سلسلة الوحي المتواصل من الله لأهل الأرض ؛ لأنهم أوعية علم الله ومهبط وحيه كما سترى من خلال الروايات داخل البحث .

معنى تقديس آل البيت : التطهير الإلهي ، المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١)، دون إزالة النجاسة المحسوسة ، فهو : تطهير من القبائح ، والآثام .

ونحن نعتقد بفضل الله : "وَمَنْ أَحْسَنَ الْقَوْلَ فِي أَصْحَابِ^(٢) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وأزواجه الطاهرات، وذرياته المقدسين من كل رجب ؛ فقد برئ من النفاق " ^(٣) .

معنى تقديس الشخص : رفع الشخص فوق منزلته التي أنزله الله إياها ، معتقداً أن له من القداسة الذاتية ، أو المكتسبة ، ما يستوجب الخضوع له ، والإذعان لأوامره ، دون عرضها على ميزان الكتاب والسنة^(٤)؛ مع التوجه إليه حياً وميتاً بأنواع العبادات التي لا يجوز التوجه بها لغير الله^(٥) .

(١) سورة الأحزاب : آية رقم ٣٣ .

(٢) الصحابي عند أهل السنة : من لقي رسول الله ﷺ - مسلماً ، وإن لم تطلُّ صُحْبَتُهُ له ، وإن لم يرو عنه شيئاً ، ومات على الإسلام ، وإن تخللت بينهما ردة على الصحيح ، وكلهم عدول . ابن كثير : الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، تحقيق : الشيخ أحمد شاكر ، نشر دار الكتاب والسنة ، دار الشريعة - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠١٠م ص ١٥٦ - ١٥٨ بتصرف . وعند الشيعة : من طالت صحبته للرسول ﷺ - وحسنت ؛ فأكثرهم ارتد . د إيمان العلواني : مصادر التلقي عند الشيعة الإمامية ، رسالة ماجستير ، قسم الحديث ، كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، ، نشر دار التدمرية - الرياض ، ١٤٢٩هـ ص ٤٨٩ .

(٣) أبو جعفر الطحاوي: العقيدة الطحاوية، ط دار الكوثر - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م ص ٢٨ .
(٤) السنة عند الشيعة : قول المعصوم ، أو فعله ، أو تقريره ، سواء كان نبياً ، أو إماماً . وعند أهل السنة : أقوال النبي ، وأفعاله ، وتقريراته وصفاته الخلقية ، والخلقية ، وسيره ، ومغازيه . انظر د علي جمعة : المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية ، نشر دار السلام - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ص ٢٤ . د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ، نشر دار الحديث - القاهرة ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م ص ٤٠ . د عمر الفرماوي: أصول الرواية عند الشيعة الإمامية ، ط مكتبة جزيرة الورد ، نشر مكتبة الإيمان - المنصورة ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ص ٥٤ .

(٥) محمد أحمد لوح : تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ، ط دار ابن القيم - الدمام - السعودية ، دار ابن عفان - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ج ١ ص ٤٥ .

ويظهر للباحث مما سبق أن الضابط عند أهل السنة والجماعة في إطلاق التقديس على شيء : هو الوقوف على ما ورد فيه من الدليل السمعي ؛ كما جاء في وصف الوادي المقدس ، والأرض المقدسة ، ونحو ذلك ؛ " لأن الوصف بالتقديس حكمٌ ، وذلك لا يعلم إلا من جهة الشرع " (١) .

وكذلك فالتقديس لله -ﷻ- وحده ذاتياً ، فهو المطهر من كل نقص ، والمنزه عن كل عيب ، والبعيد عن كل منقصة ، في أسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، وهو وحده -ﷻ- الذي يقدس من يشاء ، وما شاء بفضلِهِ ، كما قدس الأرض المقدسة ، والوادي المقدس ، والأمم التي يؤخذ لضعفها الحق من قوتها ، ويصل العبد إلى درجة القداسة بعد فضل الله وتوفيقه ، بعمله الصالح ، فإن الأرض لا تقديس أحداً ، وإنما يقديس الإنسان عمله (٢) ، أي : لا تطهره من ذنوبه (٣) ، بل الذي يرفعه عمله .

المطلب الثاني

أولاً : نظرة في واقع التقديس وأسبابه عند الشيعة الإمامية الاثني عشرية :

حين ننظر للعقيدة الشيعية الاثني عشرية ، نجد أنها تقوم على أمرين مهمين يعدان في غاية الخطورة : أولهما : درجة القداسة التي يخلعونها على الإمام علي -ﷺ- ونسله من بعده . ثانيهما : أنهم يعتمدون فقط على الأحاديث التي رويت عن الإمام علي ، والسيدة فاطمة الزهراء (٤) -ﷺ- ونسلهما ، ويرفضون رواية رواة الحديث من غيرهم من باقي فرق

(١) موسى بن عقيلي بن الشيعي: تقديس الأشخاص عند النصارى وآثاره ، رسالة ماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة ، بكلية الدعوة أصول الدين ، جامعة أم القرى ، ١٤٢٩هـ - ص ٧٩ .

(٢) روي عن سلمان الفارسي -ﷺ- في رسالة من أبي الدرداء -ﷺ- يدعو لزيارة الأرض المقدسة . الإمام مالك : الموطأ ، ط دار الحديث - القاهرة ، ط ٤ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، كتاب القضاء ، باب جامع القضاء وكراهيته ج ٢ ص ٥٨٩ . أبو نعيم الأصفهاني : حلية الأولياء ، ترجمة سلمان الفارسي ج ١ ص ٢٠٥ .

(٣) تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي : موطأ مالك . انظر الإمام مالك : الموطأ ج ٢ ص ٥٨٩ .
(٤) فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- سَيِّدَةُ النِّسَاءِ ، مَوْلَاهَا قَبْلَ الْمَبْعُثِ ، تَزَوَّجَهَا عَلِيُّ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ الْحَسَنَ ، وَالْحُسَيْنَ ، وَمُحْسِنًا ، وَأُمُّ كَلْبُومٍ ، وَزَيْنَبُ ، مَاتَتْ ١١هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤١٧-٤٢٧ .

المسلمين ؛ لأنهم يقسمون المسلمين قسمة ثنائية ، وهما : شيعة وغيرهم ، فيقبلون الرواية من شيعتهم دون ما سواهم .

فمن أهم العقائد التي خالفت فيها الشيعة أهل السنة ^(١) : الغلو في الأشخاص ، وتقديسهم ، والقول بعصمتهم ، أو علمهم الغيب ، وتقديس الأشياء ، والموروثات ، والآثار ، والأحجار ، ونحوها ، فالإمام ناحيته مقدسة ، وأقواله ، وأفعاله ، وتوقيعاته مقدسة ، ورسائله مقدسة ، ومدينته مقدسة ، ومكان دفن أئمتهم روضة كروضة النبي - ﷺ - مقدسة ، والمشاهد المبنية على قبورهم مقدسة ، وتربة قبورهم تربة مقدسة ، ومكان إقامة أئمتهم ، وفقهائهم زاوية مقدسة ، وعتباتهم مقدسة ، وحضرتهم مقدسة ، وأضرحتهم مقدسة ، وشريعتهم مقدسة بطبيعة ذواتهم ، وعقيدتهم مقدسة ، كما أن أنفس وأرواح النبي - ﷺ - والأئمة مقدسة ، وأرواح شيعتهم مقدسة ، وذواتهم مقدسة .

هذا وقد بدأ التقديس قديماً من زمان علي - ﷺ - : حين جاء ناسٌ من الذين بذروا فتنة التشيع إلى علي - ﷺ - ، فقالوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ هُوَ ؟ قَالَ : مَنْ أَنَا ؟ قَالُوا : أَنْتَ هُوَ ؟ قَالَ : وَيَكْفُكُمْ مَنْ أَنَا ؟ قَالُوا : أَنْتَ رَبُّنَا ، قَالَ : ارْجِعُوا ، فَأَبَوْا ؛ فَضَرَبَ أَعْنَاقَهُمْ ، ثُمَّ حَدَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ، ثُمَّ أَحْرَقَهُمْ بِالنَّارِ ^(٢) ، فَبَلَغَ ذَلِكَ ابْنَ عَبَّاسٍ - ﷺ - ؛ فَقَالَ : لَمْ أَكُنْ

(١) أهل السنة : قال ابن حزم : هم الصحابة ، ومن سلك نهجهم من خيار التابعين ، وأصحاب الحديث ، ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا ، ومن اقتدى بهم ، وقال ابن تيمية : من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة ؛ فدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة ، وقد يراد به : أهل الحديث والسنة المحضة ؛ فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ، ويقول : إن القرآن غير مخلوق ، وإن الله يرى في الآخرة ، ويثبت القدر ، وغيرها من الأصول . محمد ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، نشر مكتبة الخانجي - القاهرة ، دت ج ٢ ص ١١٣ . ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ، تحقيق : د محمد رشاد سالم ، ط م قرطبة - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ ج ٢ ص ٢٢٠ . د علي الصلابي : عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين ، ط اقرأ - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م ص ١٦ - ١٨ .

(٢) أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر (ابن الأعرابي) : معجم ابن الأعرابي ، تحقيق وتخرير : عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني ، نشر دار ابن الجوزي - السعودية ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ، باب الحاء ج ٢ ص ٧٦٧ .

لأَحْرَقَهُمُ بِالنَّارِ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: لَنَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّهِ، وَكُنْتُ قَاتِلَهُمْ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-: "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ" فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلِيًّا -ﷺ-^(١)؛ فَقَالَ: وَيَحَ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢)، وأمر بجلد الذين فضلوه على أبي بكر^(٣) وعمر^(٤) -ﷺ-^(٥).

وعليه فإن الغلو عند بعض فرق الشيعة بدأ بإسباغ القداسة على الإمام علي بن أبي طالب -ﷺ-، ونسجت أساطير لتبرير هذا الغلو، ونسبت هذه النزعة لشخصية يهودية هي: عبد الله بن سبأ^(٦)؛ فظهرت طائفة السبئية يهتفون بما قيل في الحديث المتقدم^(١).

(١) قال النووي: الصحيح أن الصلاة على غير الأنبياء والملائكة بالاستقلال مكروه كراهة تنزيه؛ لأنه شعار أهل البدع، ولا خلاف أنه يجوز أن يجعل غير الأنبياء تبعاً لهم، فيقال: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، وأصحابه، وأزواجه، وأتباعه. قلت: ومجمل آراء الشافعية أربعة أوجه ١- (أصحابها) مكروه ٢- حرام ٣- خلاف الأولى ٤- مستحب عند أخذ الصدقة، وأما السلام قال: الجويني: أنه في معنى الصلاة ولا يفرد به غير الأنبياء، فلا يقال: علي - عليه السلام - وهذا مجمع عليه ٥ - محيي الدين النووي: المجموع، نشر دار الفكر - بيروت، ١٩٩٧م ج ٦ ص ١٧١ - ١٧٢. القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: د حمزة النشرتي، عبد الحفيظ فرغلي، ط مكتبة النشرتي - القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ج ٢ ص ١٠٧ - ١١٢.

(٢) صحيح سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، دت ك الحدود، ب الحكم في من ارتد ج ٤ ص ١٢٦. البيهقي: السنن الكبرى ج ٨ ص ٣٣٨.

(٣) أبو بكر الصديق: عبد الله، أو عتيق بن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشي التيمي ولد ٥١ قبل البعثة، أول العشرة، لولا خلة الله لنبيه لكان خليل النبي دون أمته كلها، بطل حروب الردة، ووائد فتنتها، توفي ١٣هـ. الأشعري القمي: المقالات والفرق ص ١١٩-١٢٠. الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤١٥ - ٤٥٤.

(٤) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي الفاروق، كنيته: أبو حفص، أسلم ٦ من البعثة، وله ٢٧ سنة، كان محدثاً، ثاني العشرة، لم يزل الإسلام مختفياً حتى أسلم، كان إسلامه فتحاً، ونصراً، يضرب بعدله المثل، فتح الفتوح، ومصر الأمصار، ودون الدواوين، قتل شهيداً ٢٣هـ. الأشعري القمي: المقالات والفرق ص ١٢١. الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٤٥٥ - ٥٠٣.

(٥) رجب البنا: الشيعة والسنة واختلافات الفقه والفكر والتاريخ، ط دار المعارف، ط ٢، ٢٠٠٥م ص ١٠٦.

(٦) عبد الله بن سبأ: رأس الطائفة السبئية. وكانت تقول بألوهية علي، يمني، كان يهودياً وأظهر الإسلام، دخل دمشق في أيام عثمان بن عفان، فأخرجه أهلها، فانصرف إلى مصر، وجهر ببذعته. ومن مذهبه الرجعة كان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بروجوع محمد! ونقل ابن عساكر عن الصادق: لما بويع عليّ قام إليه ابن سبأ، فقال له: أنت خلقت الأرض وبسطت الرزق! فنفاه إلى

وبقيت هذه النزعة في الفكر الشيعي ، حتى نمت وترعرعت في حنايا عقائدهم ، وعقول علمائهم ، وعوامهم ، حتى صارت في أهل البدع ، والمقابرية ، ثم صارت سمة لأهل الأهواء غالباً من الذين يغالون في زعمائهم ، ومفكرهم ، وعلمائهم .

وأهل السنة يعرفون لآل البيت واجب حقهم ؛ لأن هذه النزعة إنما هي نابعة من النصوص التي جعلت لهم خصوصية وميزة ترفعهم في قلوب جميع الناس ، والتي دفعت بجماهير أهل السنة إلى تخطي حواجز السياسة ، وقيود الفقهاء ، والاتجاه بعواطفها ، ومشاعرها نحوهم، فعلى الرغم من محاولات التأويل ^(٢) ، والتحريف ^(٣) للنصوص الواردة فيهم ، برزت مكانتهم ساطعة كالشمس ؛ لتتلاشى أمامها كل خيوط الظلام ، فظهرت الطرق الصوفية ؛ لتعبر عن هذا الحب الجارف لآل البيت ، الذي يعكس توقيرهم في قلوب أهل السنة ، ولكن الشيعة زادت : أنهم معصومون من الصغائر والكبائر والسهو والنسيان ، ولا يقاس بهم أحد ، وأنهم اثنا عشر إماماً معصوماً ^(٤).

ثانياً : أهم أسباب تقديس الأئمة لدى الشيعة الاثني عشرية :

المدانن، وكان يقال له " ابن السوداء " لسواد أمه. وقال ابن حجر العسقلاني " ابن سبأ، من غلاة الزنادقة، أحسب أن علياً حرقه بالنار. الزركلي : الأعلام جـ ٤ ص ٨٨.

(١) رجب البنا : الشيعة والسنة ص ٧٢.

(٢) التأويل: لغة التفسير، ورجوع الشيء لأصله، وفي الاصطلاح : بمعنى الحقيقة التي يؤل إليها الشيء ، فتأويل صفات الله : حقيقة الله ، وقيل: بمعنى التفسير ، والبيان ، وقيل: بمعنى صرف الكلام عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح ؛ لدليل يقتزن به ، فإذا كان الدليل الصارف عن المعنى الراجح صحيحاً؛ كان صحيحاً، وإلا ففساد . ابن العطار : الاعتقاد الخالص، هامش ص ١٢٩-١٣٠.

(٣) التحريف : العدول بالكلام عن وجهه ، وصوابه إلى غيره ، وهو نوعان : لفظي ، مثل نصب لفظ الجلالة ، في قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ الأعراف : ١٦٤ ، وتحريف معنى: مثل تفسير استوى باستولى. ابن العطار: الاعتقاد الخالص من الشك والإلحاد ، تحقيق: د سعد الزويهرى ، ط وزارة الأوقاف القطرية ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م ص ١٣١.

(٤) صالح الورداني : عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب والتباعد ، ط عربية ، نشر مكتبة مدبولي الصغير - القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م ص ٢١٣ - ٢١٧ بتصرف .

السبب الأول : تكفير الإمام علي -عليه السلام- من قبل الخوارج ، الأمر الذي لم يفعله ألدُّ أعدائه ممن قاتله من الصحابة - على حد قول الشيعة - فكان من الطبيعي أن يقابل ذلك التكفير بتقديس علي -عليه السلام- وإن لم يكن في بدايته بنفس هذا الغلو ! .

السبب الثاني : اعتقاد الشيعة ومن تبعهم من الصوفية أن هذا التقديس من حكمة الله -عليه السلام- ؛ لأن من وجوه الحكمة والصلاح في خلق آدم -عليه السلام- وبنيه ، ما سيظهر منه من قداسة الأنبياء ، والأولياء ، وحسن عبادتهم ، وإخلاصهم ^(١) .

السبب الثالث : مقتل الإمام علي وومن بعده الحسين -عليه السلام- ، والمظالم التي وقعت على أهل البيت ، واضطهادهم من قبل بني أمية في زعم علماء الشيعة - وإن كان بعضه حقاً - ؛ فاخترعوا لهم فكرة الوصية ^(٢)، مما أدى إلى أن دعاة كثيرين اتخذوا لهم على مدى التاريخ وصية النبي -عليه السلام- لعلي -عليه السلام- كما زعمت الشيعة الاثنا عشرية ، مطية لتركيز نفوذ قادتهم السياسيين ، وصبغ هذه القيادة بالصبغة الدينية المقدسة ، بحيث لا ينقضي حكمهم ، ففكرة الوصية ساعدت على تمكين التقديس ، وتقوية جذوره داخل المعتقد الشيعي ^(٣) .

(١) محمد جواد البلاغي : الهدى إلى دين المصطفى، ط الأعلمي- بيروت، ط ٢، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ج ٢ ص ١٣٠ .

(٢) فكرة الوصية : يرى اليهود ضرورة تنصيب وصي بعد النبي -عليه السلام- يقوم مقامه في إرشاد الناس من بعده وقد جاءت عدة نصوص في التوراة وغيرها من أسفار اليهود تفيد أن الله تعالى طلب من موسى -عليه السلام- أن يوحي ليوشع ابن نون -عليه السلام- قبل موته ليكون مرشداً لبني إسرائيل من بعده ، مثل : فكلّم الرب موسى قائلاً ليوكّل الرب إله أرواح جميع البشر رجلاً على الجماعة يخرج امامهم ويدخل امامهم ويخرجهم ويدخلهم لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها فقال الرب لموسى: خذ يوشع بن نون رجلاً فيه روح وضع يدك عليه ووقفه قدام العازار الكاهن وقدام كل الجماعة واوصه امام اعينهم ..ففعل موسى كما امره الرب اخذ يوشع ووقفه قدام العازار الكاهن وقدام كل الجماعة ووضع يده عليه واوصاه كما تكلم الرب عن يد موسى . سفر العدد إصحاح ٢٧ / ٢٥ - ٢٣ ، ويعتقد الرافضة أن الوصي بعد النبي -عليه السلام- هو : علي بن ابي طالب. وان اختار على لهذا المنصب لم يكن من قبل النبي -عليه السلام- وانما جاء من الله تعالى.

(٣) رجب البنا : الشيعة والسنة واختلافات الفقه والفكر والتاريخ ص ١٣٧ بتصرف.

السبب الرابع : تأثر العقيدة الشيعية بالعقيدة اليهودية^(١)، وبعض العقائد الفارسية ، والهندية والنصرانية ، مثل : فكرة تأليه الأئمة ، بدعوى حلول قوة إلهية فيهم ، كما زعم الخميني^(٢) اتحاد ذوات الأنبياء والأئمة بالذات العلية فقال : " ظهور الحقائق الإلهية في الهياكل المقدسة الطيبة من الأنبياء والأولياء ، وتفنى ذواتهم ، وصفاتهم ، وأفعالهم في ذات الحق ، وصفاته ، وأفعاله ، فتكون الوحدة التامة ، فتكون الأحدية المحضة ، فتكون لهم النبوة الأولية الأبدية ، والخلافة الظاهرية والباطنية ، وهذا حصل لمولانا أمير المؤمنين ، وأولاده^(٣) .

السبب الخامس : ظهور من أزكى هذه النزعة ، فكان أول من دَوَّنَ في مسألة تقديس الأئمة ، وألفَ فيها بمنهج علم الكلام " علي بن إسماعيل بن ميثم النمار^(٤) ، وبعده " هشام بن الحكم"^(٥) ، الذي فتق الكلام في الإمامة ، وهذب المذهب ، وسهل طريق الحجاج فيه ، وكان حاذقاً بصناعة الكلام " مما ساعد في التأثير على المذهب بكامله^(٦) .

(١) المرجع السابق : ص ١٣٧ نقلا عن كتاب للدكتور : علي الشابي بتصرف.

(٢) روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي الخميني ، زعيم الثورة الإيرانية الإسلامية ، أطيح بالشاة محمد رضا بهلوي ، ولد ٢٤ سبتمبر ١٩٠٢م ، توفي ٣ يونيو ١٩٨٩م ، فيلسوف ، له : ولاية الفقيه وتحرير الوسيلة .

(٣) الإمام روح الله مصطفى الخميني : مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية ، نشر مؤسسة الأعلمي - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ص ١٥٧ - ١٦٣ بتصرف .

(٤) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمار الميثمي ، الرافضي ، الكوفي ، سكن البصرة ، من وجوه المتكلمين عند الإمامية ، أول من تكلم عن مذهب الإمامية ، له مناظرات وكتب منها الكامل في الإمامة ، وكان يقول أقوالا ، ويدعي أنه سمعها من الأئمة ، فإذا روجع فيها قال بخلافها ، ولا يخجل ، من تلاميذه : هشام بن الحكم ، قال الطوسي : " مجهول " ، مات ٢١٠هـ . أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي : الفهرست ، تحقيق : الشيخ جواد القيومي ، ط النشر الإسلامي ، نشر مؤسسة نشر الفقاهة - قم ، ط ١ ، ١٤١٧هـ ص ١٥٠ - ١٥١ . العلامة الحلي : خلاصة الأقوال في معرفة الرجال ، تحقيق : جواد القيومي ، ط سليمانزاده ، نشر الفقاهة - قم ، ط ٤ ، ١٤٣١هـ ص ١٧٦ .

(٥) هشام بن الحكم : أبو محمد البغدادي الكندي ، مولى بني شيبان ، كوفي ، جهمي ، أول من فتق الكلام في الإمامة ، أول متكلمي الشيعة ، وأول من هذب المذهب الاثني عشري ، أستاذ علي بن إسماعيل النمار ، كان من غلمان أبي شاعر الزنديق ، جسمي رؤي ، توفي مستترا ١٩٠هـ / ٨٠٥ م . أبو عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي : رجال الكشي ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، ط مؤسسة الأعلمي

وهنا ينبغي الإشارة إلى : أن هشام بن الحكم من تلامذة الإمام جعفر الصادق وله مؤلفات عديدة ؛ لذلك يمكن القول: بأن الكلام عن عقيدة العصمة بدأ منه ، باعتباره أول من قرر عقائد الإمامية في صورة علمية ، مع كونه كان يجيز على الأنبياء العصيان ، ولا يجيزه على الأئمة ؛ وعلمه : بأن النبي إذا عصى أتاه الوحي بالتنبيه على خطاياه ، والإمام لا ينزل عليه الوحي ، مع قوله بالتجسيم والتشبيه ، مع مصائب جمّة ؛ فكفره الإمامية ^(٢). ومن كانت بداية التقديس المذموم ظهر من هؤلاء السابقين ، إذ يلاحظ الباحث أنهم أكثر فرق الشيعة تمسكا بمبدأ العصمة حتى كاد يكون مبدأ العصمة خاصاً بهم ^(٣).

السبب السادس : وجود توافق في المعنى اللغوي مع مظاهر التقديس عند الاثني عشرية : فإذا ما تتبعنا بعض معاني التقديس ، التي تعرضنا لها في أول المدخل ، نجدها : تتطابق مع فهمهم لتقديس الأئمة ، فمن أهم معاني التقديس: الطهارة والتطهير ، وهذه الصفة متحققة في أهل البيت بنص القرآن - باعتراف السنة والشيعة معاً - قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ^(٤).

ويدل على شمول الآية لهم ؛ ما جاء عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ^(٥) ، والغريب أن الشيعة يكفرونها وهي تروي فضائلهم ، قَالَتْ : خَرَجَ النَّبِيُّ - ﷺ - ذَاتَ غَدَاةٍ وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مَرَحَلٌ ^(٦)

- بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م ص ١٨٦ - ١٩٩ . أبو جعفر البرقي: الرجال، انتشارات دانشگاه تهران ، د ت ص ٣٥ .

(١) ابن النديم : الفهرست ، نشر دار المعرفة - بيروت ، د ت ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٢) أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، تحقيق : محمد عثمان الخشت ، ط مكتبة ابن سينا - القاهرة ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ص ٦٤ - ٦٨ .

(٣) د أبو الفتوح محمد الأنور : شيعة إيران أصولها وموقف أهل السنة منها دراسة مقارنة ، ط الجندي - فافوس - الشرقية - مصر ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م ص ١٠١ - ١٠٢ بتصرف .

(٤) سورة الأحزاب : آية رقم ٣٣ .

(٥) عائشة بنت الصديق أبي بكر التيمي ، أُنْفَقَ نِسَاءُ الْأُمَمَةِ ، وَأُمُّهَا : أُمُّ رُوْمَانَ بِنْتُ عَامِرٍ ، وَتَزَوَّجَهَا نَبِيُّ اللَّهِ - ﷺ - بَعْدَ وَقَاةِ الصَّدِيقَةِ خَدِيجَةَ ، وَدَخَلَ بِهَا فِي شَوَّالٍ ، بَعْدَ بَدْرٍ ، وَهِيَ ابْنَةُ تِسْعٍ ، فَرَوَتْ عَنْهُ عِلْمًا مُبَارَكًا فِيهِ عَاشَتْ ثَلَاثَ وَسِتُّونَ سَنَةً ، تُوْفِّيتَ ٥٧ هـ - ، وقيل : ٥٨ هـ . الذهبي : سير أعلام

النبلاء ج ٣ ص ٢٧ - ٤٦٩ .

مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ ، فَجَاءَ الْحَسَنُ ^(٢) فَأَدْخَلَهُ مَعَهُ ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ ^(٣) فَأَدْخَلَهُ مَعَهُ ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ فَأَدْخَلَهَا مَعَهُ ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ ، فَأَدْخَلَهُ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ^(٤) ؛ وبذلك يتحقق فيهم أهم شروط ^(٥) التقديس ، وهي الطهارة من الرجس الذي جاء في عشرة مواضع من القرآن الكريم ^(٦) ، ويتلخص معناه في : الشيء المستقذر ، الذي يشمل منابع القذارة المتعددة ، الذي ينبعث منه التلوث الروحي أيضاً ، أو من الشيطان ، والشرك ، والشك ، والبخل ، والطمع ، والأهواء ، والبدع ، والإثم ، والعذاب ، والنجاسة ، والنقائص ، والمعنى : إنما يريد -ﷺ- ليذهب عنكم الرجس ، ويصونكم من المعاصي ، صوناً بليغاً فيما أمر ونهى ^(٧).

(١) المرط : كساء من صوف ، أو شعر ، أو كتان ، أو خز ، يؤتزر به ، أو يتخذ درعاً ، يلبسه النساء ، وقوله : مُرَحَّلٌ عليه صورة رحال الإبل ، أو بالجيم عليه صور الرجال ، والصواب الأول . النووي : شرح مسلم ج ١٥ ص ٢٠٤ .

(٢) الحسن بن علي بن أبي طالب : أبو محمد ، سيد شباب أهل الجنة ، وأمه : الزهراء ، ولد بالمدينة ٢ هـ ، بويح بالخلافة يوم مات أبوه ، سار إلى معاوية فالتقى ، فاصطلحا ، وسلم إليه الأمر ، وبايعه ، ورجع إلى المدينة ولم يزل بها إلى أن مات ٤٩ هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٤٧ - ٣٧٣ . الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ١٥٩ .

(٣) الحسين بن علي بن أبي طالب : الشهيد أبو عبد الله ، ولد بالمدينة سنة ثلاث من الهجرة ، أشبهه الناس بالنبي -ﷺ- ، قتل بكر بلاء ، عاشر المحرم ٦١ هـ ، وله ثمان وخمسون سنة . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٧٣ - ٤٠٢ . الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ١٦٠ .

(٤) رواه مسلم ، كتب فضائل الصحابة ، باب فضائل أهل البيت . الإمام النووي : شرح صحيح مسلم ج ١٥ ص ٢٠٣ - ٢٠٤ . البيهقي : السنن الكبرى ، كتاب الصلاة ، باب بيان أهل بيته الذين هم آله ج ٢ ص ١٤٨ .

(٥) الشرط : ما يلزم من عدمه العدم ، ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم ، فيتوقف وجود الحكم على وجوده ، ويلزم من عدمه عدم الحكم ، وهو خارج عن حقيقة الشيء ، مثل : الوضوء شرط الصلاة . د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ص ١٣٨ . أيمن بن علي موسى : غاية المأمول في شرح البداية في الأصول ، نشر دار ابن رجب ، دار الفؤاد - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م ص ١٥٦ .

(٦) ورد لفظ الرجس في سورة المائدة : آية ٩٠ ، والأنعام : آية ١٢٥ ، والأعراف : آية ٧١ ، التوبة : آية ٩٥ ، ١٢٥ ، يونس : آية ١٠٠ ، الحج : آية ٣٠ ، الأحزاب : آية ٣٣ .

(٧) محمود شكري الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ط المنيرية - القاهرة ، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ٢ ، دت ج ٢٢ ص ١٢ .

ولا تقتصر الطهارة على جسد المعصوم ؛ بل ظهرت وزكت روحه ؛ فالنبي -ﷺ- معصوم، ولا يشك أحد في قداسة وظهر روحه الزكية ، وبدنه الشريف ؛ كذلك حال من ورث العصمة من بنيه ، والتي ثبتت لهم بنص آية التطهير دون غيرهم ^(١) .

والمرأة الطاهرة : لقب يختص بالمرأة التي تكون أفضل نساء زمانها ، وأعلاهن شأنًا ، والتي تنقطع عنهن قداسةً، وزهداً ، وعلماً ، وفضلاً ، وحسباً ، ونسباً ، وأصالةً ، ونبلاً ، وعصمةً ، وعفةً ، كما عرفت فاطمة - المكرمة - بهذا اللقب في زمانها ^(٢) .

ومن معاني التقديس البركة ، فهم لا يقدسون الأنبياء كتقديس الأئمة ، ومع ذلك فإن " نفي تقديس الأئمة، لا ينافي مباركتهم ؛ فإن الحكم بالطهارة والتنزه ، أو الدعاء له بالطهارة ، وهذا معنى أرفع من البركة ، والنفع ^(٣) .

ومن معاني التقديس : الوعاء الذي بتسلسل أفراده ينتظم أمر الماء ، ومن هذا الفهم قدسوا الأصلاب التي انتقل فيها علي -ﷺ- وأبنائوه ؛ لأن الله جعل لهم " حركة تقديس فلم تودعه من بعده صلباً إلا جللته نوراً تأنس به الأبصار، وتطمئن إليه القلوب " ^(٤) .

ومن معاني التقديس : القدح والوعاء الذي يتطهر به ، وينطبق هذا المعنى على بعض أدعيتهم عند زيارتهم لمرافد أئمتهم فيقولون : " السلام عليكم يا محال معرفة الله ، السلام عليكم يا مساكن بركة الله ، السلام عليكم يا أوعية تقديس الله ، السلام عليكم يا حفظة سر الله ^(٥) .

ومن معاني التقديس : سلسلة القواديس المتصلة ؛ فلإمام له صلة روحية بالله كصلة الأنبياء ، والإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله ، وأن من أنكر أحدهم مات على الكفر ^(٦) .

(١) العلامة محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ط مؤسسة الوفاء - بيروت ، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط الثالثة المصححة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ج ٢٤ ص ٣٧٠ .

(٢) جعفر مرتضى العاملي:مأساة الزهراء شبّهات وردود، ط السيرة- بيروت/ قم، ط١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ج ١ ص ٣٦ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٦ ص ٢٥٩ .

(٤) المصدر السابق : ج ٢٥ ص ٢٩ .

(٥) المصدر السابق : ج ١٠٢ ص ٢٠٧ .

(٦) د محمد الذهبي : التفسير والمفسرون ، نشر دار الحديث - القاهرة ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م ج ٢ ص ٨ - ٩ .

المبحث الثاني

نشأة الشيعة الاثني عشرية

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: تعريف الشيعة .

المطلب الثاني: نشأة الشيعة الاثني عشرية .

المطلب الثالث: الشيعة في ميزان أهل البيت .



المبحث الثاني

التعريف بالشيعية الاثني عشرية

تفرقت الأمة بعد موت نبينا ﷺ - شيعاً وأحزاباً ، ومن أهم هذه الفرق التي تميزت عن أمة الإسلام في منهجها ، ومتبوعها ، واستدلالاتها ، وزعم غير واحد من الكتاب القدامى والجدد : أن التشيع كسائر المذاهب الإسلامية من إفرازات الصراعات السياسية ، في حين يذهب البعض الآخر إلى القول بأنه نتاج الجدال الكلامي ، والصراع الفكري ؛ فأخذوا يبحثون عن تاريخ نشوئه وظهوره في الساحة الإسلامية ، وكأنهم يتلقون التشيع بوصفه ظاهرة جديدة وافدة على المجتمع الإسلامي^(١)، فهل هم كذلك ؟ أم أنهم من جسد الأمة ؟.

معنى الشيعة في اللغة : من المشايعة ، والمتابعة ، والمناصرة ، والموالاة والمطاوعة ، يقال : فلان من شيعة فلان ، أي : ممن يرى رأيه^(٢)، وهم قوم يهودون هوى عترة^(٣) النبي - ﷺ - ويوالونهم^(٤)، وفي المعنى : " شيعة الدجال " ^(٥) ، أي : أولياؤه ، ومن تابعوه وناصروه واعتقدوا صدقه . والشيعة : أمة لا يحصون مبتدعة ، وغلاتهم : الإمامية

(١) جعفر السبحاني : أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم ، ط مشعر ، نشر معاوية شؤون التعليم والبحوث الإسلامية في الحج بالتعاون مع مؤسسة الإمام الصادق - قم ١٤٢١هـ - ص ١٧ .

(٢) ابن دريد : جمهرة اللغة ج ٣ ص ٦٣ . ابن منظور : لسان العرب ج ٢٧ ص ٢٣٧٧ .

(٣) العترة : العشيرة ؛ لقول الصديق : " نَحْنُ عَتْرَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْضَتُهُ الَّتِي تَفَقَّاتُ عَنْهُ ، وَلَمْ يُنْكِرْهُ أَحَدٌ ، وَهُمْ أَهْلُ اللِّسَانِ ، فَلَا يَعُولُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ . وقال الجوهرى : عترة الرجل : ذريته الأذنون ، ومن مضى منهم ، ومن غبر ، قال ثعلب وابن الأعرابي : العترة الأولاد ، وأولاد الأولاد ، ولم يدخلوا في ذلك العشيرة ، قال - ﷺ - : " عترتي أهل بيتي " ؛ والأول أصح ، وأشهر في عرف الناس . وقال القُتَيْبِيُّ : تشمل المعنيين ؛ فهي لولده ، وولد ولده الذكور ، والإناث ، ولعشيرته الأئمة . البهوتي الخلوتي : حاشية الخلوتي على منتهى الإرادات ، تحقيق : سامي بن عبد الله الصغير ، نشر وزارة الأوقاف القطرية - قطر ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م ج ٣ ص ٥٠٣ .

(٤) مرتضى الزبيدي : تاج العروس ج ٥ ص ٥ . لسان العرب ج ٢٧ ص ٢٣٧٦ - ٢٣٧٩ .

(٥) لفظه : " إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسًا ، وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ : لَا قَدَرَ ، فَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ ؛ فَلَا تَعُودُهُ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ ؛ فَلَا تَشْهَدُوهُمْ ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَالِ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُلْحَقَهُمْ بِهِ " . سنده ضعيف . الإمام أحمد بن حنبل : المسند ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون ، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م باب باقي مسند الأنصار حديث حذيفة بن اليمان ج ٣٨ ص ٤٤٣ . أبو داود : السنن ، كتاب السنة ، باب في القدر ج ٤ ص ٣٥٧ .

الْمُنْتَظِرِيَّة^(١)، يسبون الشيخين ، وغلاة غلاتهم : ضلَّال يكفرون الشيخين ، ومنهم : من يرتقي إلى الزندقة^(٢) ^(٣) ، وسبب تسميتهم بذلك عند الشيعة ؛ لأنهم خلقوا من شعاع نور الأئمة^(٤) .

لفظ الشيعة في القرآن الكريم : قال -ﷺ- : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٥) ، تشيع الفاحشة : تعم ، وتنتشر ، وتشتهر^(٦) .

وقال -ﷺ- : ﴿ ثُمَّ لَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴾^(٧) ، ومعنى الشيعة : الفرقة والأمة ذات دين واحد يتابع بعضهم بعضاً^(٨) .

وقال -ﷺ- : ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ ﴾^(٩) ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾^(١٠) ، أي : من أوليائه وأنصاره .

(١) المنتظرية : كل فرقة تقول : بانتظار المهدي في آخر الزمان ، وهو مسمى يجمع مسميات كثيرة ، يجمعهم هذا الوصف ، واختلافهم في المنتظر أكبر من أن يجمع في موضع واحد .

(٢) الزندقة : القول بأزلية العالم ، وأطلق على الزردشتية ، والمانوية ، والثنوية ، وتوسع فأطلق على كل شاك ، أو ضال ، أو ملحد ، وهي : كلمة فارسية معربة ، منسوبة إلى " زند " اسم كتاب أظهره مزدك في أيام قباد ، وزعم أنه تأويل كتاب المجوس الذي جاء به زرادشت النبي ، فنسب أصحاب مزدك إلى زند وعربت . وعند المالكية ، والشافعية ، والحنابلة ، والجعفرية ، والزيدية : هو الذي يظهر الإسلام ، ويخفي الكفر ، وكان يسمى : منافقاً ، وعند الحنفية ، وفي قول للشافعية : من لا ينتحل ديناً . لسان العرب ج ٢٢ ص ١٨٧١ . المعجم الوجيز ص ٢٩٣ . ابن العطار : الاعتقاد الخالص ص ٣٢٧ .

(٣) السيد محمد مرتضي الحسيني الزبيدي : تاج العروس ، مادة شيع ج ١١ ص ٢٥٧ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٣-٢٤ .

(٥) سورة النور : آية ١٩ .

(٦) أبو بكر الجزائري : أيسر التفاسير ، ط أضواء المنار - جدة ، ط ١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ص ٨٤٠ .

(٧) سورة مريم : آية ٦٩ .

(٨) البغوي : تفسير البغوي ، نشر دار ابن حزم - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ص ٨٠٨ .

(٩) سورة القصص : آية ١٥ .

(١٠) سورة الصافات : آية ٨٣ .

وقال -ﷺ-: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ﴾ ^(١)، أي: فرقهم وجماعتهم ^(٢)، وقال -ﷺ-: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ ^(٣)، أي: فرقاً مختلفة الأهواء ^(٤)، وقال -ﷺ-: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ ^(٥)، أي: أتباعكم، أو أشباهكم ^(٦). وقال -ﷺ-: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ ^(٧)؛ أي: المُشَابِهُونَ فِي النَّحْلَةِ، وَإِنْ كَانُوا سَالِفِينَ ^(٨).

وبذلك يتضح وجود لفظ الشيعة في القرآن، غير أن هذه اللفظة غلبت على من وإلى آل البيت، ولا سيما علي -ﷺ- وذريته، حتى صارت لهم اسماً خاصاً يميزهم ^(٩) عن غيرهم. **الشيعة في شروح السنة النبوية**: ورد لفظ الشيعة بمعنى الأتباع، كحديث: "أَقْبَلَ رَجُلٌ، فَوَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَهُوَ يُعْطِي النَّاسَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ قَدْ رَأَيْتَ مَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْيَوْمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: أَجَلٌ، فَكَيْفَ رَأَيْتَ، قَالَ: لَمْ أَرَكَ عَدَلْتَ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- ثُمَّ قَالَ: وَيْحَكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ الْعَدْلُ عِنْدِي، فَعِنْدَ مَنْ يَكُونُ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا نَقْتُلُهُ، قَالَ: "لَا، دَعُوهُ فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ شِيعَةٌ، يَتَعَمَّقُونَ فِي الدِّينِ، حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهُ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ" ^(١٠)، وفي رواية: "فَاقْتُلُوهُمْ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ" ^(١١)، فالشيعة هنا: تعني الأصحاب، والأتباع، والأئصار. وقال رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-:

(١) سورة الحجر: آية ١٠.

(٢) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٤٢٩.

(٣) سورة الأنعام: آية ٦٥.

(٤) المحلي، والسيوطي: تفسير الجلالين، نشر دار السلام - الرياض، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ص ٢٨٣.

(٥) سورة القمر: آية ٥١.

(٦) الإمام القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٢٩٥١.

(٧) سورة سبأ: آية ٥٤.

(٨) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، نشر الدار التونسية - تونس، ١٩٨٤م ج ٢٢ ص ٢٤٥.

(٩) الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها مقارنة مع المذاهب الأربعة، نشر دار الأضواء - بيروت، ط ١، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ص ٦٥.

(١٠) صحيح. أحمد بن حنبل: المسند، مسند ابن عمرو -ﷺ- ج ١١ ص ٦١٣.

(١١) ضعيف. المصدر السابق: مسند أبو سعيد الخدري -ﷺ- ج ١٧ ص ١٨٨.

ﷺ: "لَكُلِّ أُمَّةٍ مَجُوسٌ" ^(١) ، وَمَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ : الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا قَدَرَ ؛ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ : فَلَا تَشْهَدُوا جَنَازَتَهُ ، وَمَنْ مَرِضَ مِنْهُمْ : فَلَا تَعُودُوهُمْ ، وَهُمْ شِيعَةُ الدَّجَالِ ، وَحَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُلْحِقَهُمُ بِالْدَّجَالِ" ^(٢) ، كما قيل : فَالْمُرْجَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ ^(٣) ؛ فَكِلَاهُمَا شِيعَةُ إِبْلِيسَ ^(٤) .

ولا نتعجب حين نعلم أن شيعة الدجال من اليهود ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: يَنْزِلُ الدَّجَالُ هَذِهِ السَّبْخَةَ ، فَيَكُونُ أَكْثَرُ مَنْ يَخْرُجُ إِلَيْهِ النِّسَاءُ ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ يَعْمِدُ إِلَى حَبِيبَتِهِ : إِمَّا أُمِّهِ ، أَوْ أُخْتِهِ ، أَوْ زَوْجَتِهِ ، فَيُشَدِّدُ رِبَاطَهَا أَوْ تَلْحَقُ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: ثُمَّ يُسَلِّطُونَ عَلَيْهِ ، وَعَلَى شِيعَتِهِ ، وَشِيعَتُهُ الْيَهُودُ ، فَيَقْتُلُوهُمْ ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيَسْتَتِرُ بِالْحَجَرِ أَوْ الشَّجَرِ ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ : يَا مُؤْمِنُ ، هَذَا وَرَائِي يَهُودِيٌّ ؛ فَاقْتُلْهُ ^(٥) .

بل للشيطان شيعة ؛ قَالَ -ﷺ-: "وَلَا تَحْنَبُوا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ وَلَا غُرُوبَهَا فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ" ^(٦) ، وقيل المراد بقرنه : أمته وشيعته ، وقيل : جانب رأسه وهو ظاهر

(١) المجوس: عبدة النار، يقولون بأصلين النور أزلي ، والظلمة محدثة ، وعقائدهم تدور على بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، وبيان سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معاداً. الشهرستاني: الملل والنحل تحقيق : د أحمد حجازي السقا - محمد مهنا ، ط مكتبة جزيرة الورد - المنصورة ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م ص ١٩٢ - ١٩٤ .

(٢) ضعيف . أبو داود : سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في القدر ج ٧ ص ٧٧ . أحمد بن حنبل : المسند ، مسند الكثيرين من الصحابة ، مسند ابن عمرو -ﷺ- ج ٣٨ ص ٤٤٣ .

(٣) الجهمية : أتباع جهم بن صفوان الذي قال بالجبر ، وأتكر الاستطاعات ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين مجازاً ، وأن الجنة والنار تفنيان ، والإيمان هو المعرفة بالله فقط ، وأن الكفر هو الجهل به ، وأن علم الله تعالى حادث ، وامتنع من وصف الله تعالى بأنه شيء ، أو حي ، أو عالم ، أو مريد ، وقال بحدوث كلام الله تعالى ، ولم يسم الله تعالى متكلماً به . البغدادي : الفرق بين الفرق ص ١٩٩ بتصرف . أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل ص ٧٢ - ٧٤ .

(٤) أبو نعيم: حلية الأولياء ، ترجمة محمد بن أسلم - رحمه الله تعالى - ج ٩ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٥) فيه ابن اسحاق مدلس، وقد عنعن. الطبراني : المعجم الكبير ، باب من اسمه علي ج ١٢ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٦) متفق عليه . البخاري : ك بدء الخلق ، ب صفة إبليس وجنوده . فتح الباري ج ٦ ص ٣٧٧ . مسلم : ك صلاة المسافرين وقصرها ، ب الأوقات التي نهى عن الصلاة فيها. النووي : شرح مسلم ج ٥ ص ١١٨ .

الحديث ^(١) ، والمراجع لكتب السنة والحديث لا يجد اطلاق لفظ الشيعة على الفرقة المعروفة الآن ، إلا ما جاء في بعض الأخبار الضعيفة ، أو الموضوعية ^(٢) .

الشيعة في كتب التاريخ : ما زال لفظ الشيعة في صدر الإسلام يستعمل في معنى المتابعة ، والمناصرة فقط ، وكان الصحابة ومن تبعهم يطلقون على من تابع عثمان: "شيعة عثمان - ^(٣) -" ؛ ففي وثيقة التحكيم ورد فيها : " هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ، ومعاوية ^(٤) -" ، ومن معهم من شيعتهم ، من المؤمنين ^(٥) .

حتى إن لفظ الشيعة استخدمه معاوية - ^(٦) - ؛ حين بعث أحد أصحابه إلى اليمن فقال له : " امض حتى تأتي صنعاء فإن لنا بها شيعة " ^(٦) . وقول أحد الصحابة عن عائشة - ^(٧) - : " ما أنا بقاربها ، لأنني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئاً ، فأبَتَ فِيهِمَا إِلَّا مُضِيًّا " ^(٧) .
واستخدمته الشيعة أنفسهم على عمومهم ؛ فعن علي - ^(٨) - في تفسير قوله - ^(٩) - : ﴿رَبَّمَا يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ^(٨) قال : " إذا خرجت أنا وشيعتي ، وخرج عثمان

(١) الإمام النووي : شرح صحيح مسلم ج ٥ ص ١١٨ .

(٢) الموضوع عند الشيعة: ما رواه سني. د عمر الفرماوي: أصول الرواية عند الشيعة الإمامية ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٣) أبو جعفر الكليني : فروع الكافي ج ٤ ص ٥١٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣١ ص ٤٦٨ .
(٤) معاوية بن أبي سفيان أبو عبد الرحمن بن حرب الأموي القرشي المكي ، ملك الإسلام ، خال المؤمنين ، أخته : أم حبيبة ، وأمه هند بنت عتبة - ^(٥) - أسلم أيام عمرة القضاء ، وأعلنه يوم الفتح ، كاتب الوحي والرسائل ، ورؤي في فضله أحاديث ظاهرها الوضع ، مات ٦٠ هـ ، وعاش ٧٧ سنة .
الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٦٣ - ٢٩٢ . ناصر الدين الألباني : صحيح الجامع الصغير ، ط المكتب الإسلامي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ج ١ ص ٧٠ .

(٥) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٥ ص ٥٣ .

(٦) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (اليعقوبي) : تاريخ اليعقوبي ، تحقيق : عبد الأمير مهنا ، نشر الأعلمي - بيروت ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م ج ١ ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٧) القائل: حكيم بن أفلح لسعد بن هشام بن عامر ، والمراد بالشيعة : ما جرى من الحروب بن علي ومعاوية . رواه مسلم : كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض . النووي : شرح مسلم ج ٦ ص ٢٧١ - ٢٧٢ . أحمد بن حنبل : المسند ، حديث السيدة عائشة - ^(٨) -

ج ٤٠ ص ٣١٤ .

(٨) سورة الحجر : آية رقم ٢ .

بن عفان وشيعته ، ونقتل بني أمية ، فعندها يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ^(١) ؛ أي : في الرجعة ؛ مما يدل على بقاء التسمية على إطلاقها حتى آخر الزمان .

ويعترف أحد المعاصرين من الشيعة فيقول : " أصبحت كلمة الشيعة في عصرنا الراهن علماً على التشيع لأهل بيت العصمة والنبوّة ، بعدما كان من الممكن سابقاً أن تسمع شيعة أبي سفيان ^(٢) ، أو شيعة عثمان ، فكلمة التشيع إذاً ... في معناها اللغوي تعني الانحياز العملي لحزب أو جماعة أو موقف سياسي ... والتشيع لآل البيت يعني : الانحياز لمواقفهم السياسية والفقهية والفكرية ^(٣) .

تعريف الشيعة في كتب الإمامية الاثني عشرية : يعرف كل من القمي ^(٤) ، والنوبختي ^(٥) والمفيد ^(٦) الشيعة الاثني عشرية بتعاريف متقاربة مجملها أنهم : أتباع أمير المؤمنين - عليه السلام - على سبيل الولاء ، والاعتقاد لإمامته ، بعد الرسول - عليه السلام - بلا فصل ، ونفي الإمامة عمن

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٤ - ٦٥ .

(٢) أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، أسلم يوم الفتح ، ثم صلح إسلامه ، وكان من ذهابة العرب ، توفي : سنة ٣١ هـ ، أو ٣٢ هـ ، أو ٣٣ هـ ، أو ٣٤ هـ ، وله التسعين . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٨٩ - ٩٠ .

(٣) د أحمد راسم النفيس : الشيعة والثورة ، نشر مركز الأبحاث العقائدية - قم ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م ص ٦ .

(٤) أبو القاسم : سعد بن عبد الله الأشعري القمي ، هو عندهم جليل القدر ، واسع الأخبار ، كثير التصنيف ، ثقة ، من كتبه : التفسير ، الضياء في الإمامة ، ومقالات الإمامية ، فقيه إمامي ، من أهل (قم) سافر كثيراً في طلب الحديث . من كتبه المقالات والفرق ، ومناقب رواة الحديث ، ومثالب رواة الحديث ، وفضل قم والكوفة ، والمنتخبات نحو ألف ورقة ، وفضل العرب ، والرد على الغلاة ، من شيوخ الكليني ، ثقة ، ثبت ، معتمد ، صحيح المذهب عند الشيعة ، سمع فأكثر ، توفي : ٣٠١ هـ ، وقيل : ٢٩٩ هـ . الشيخ الطوسي : الفهرست ص ١٣٥ - ١٣٦ . مقدمة تفسير القمي ج ١ ص ٨ . الذهبي

: سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٥٢٨ . الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ٨٦ .

(٥) النوبختي : الحسن بن موسى ، أبو محمد ، متكلم ، إمامي ، له مصنفات منها : الآراء والديانات ، وكتاب التوحيد ، وحدث العالم ، توفي ٣٢٤ هـ ، وثقه الطوسي . الطوسي : الفهرست ص ٩٦ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٢١٠ .

(٦) المفيد : أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان الكعبري ، ويعرف : بابن المعلم ، ولد ٣٣٦ هـ ، نال مكاتبة مهديهم ، وله قريب من مائتي مصنف ، كان أحد أئمة الضلال ، هلك به خلق من الناس ، ومات سنة ٤١٣ هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

تقدمه في مقام الخلافة ، وجعله في الاعتقاد متبوعاً لهم ، غير تابع لأحد منهم ، على وجه الاقتداء^(١).

وهذا التعريف لا يشير إلى أي أصل من أصول التشيع كمسألة النص ، أو إمامة بقية الأئمة^(٢) ، كما يدخل في هذا التعريف : الإمامية ، والجارودية الزيدية^(٣) ، أما باقي فرق الزيدية ، فليسوا من الشيعة ، ولا تشملهم سمة التشيع^(٤) ، فالشيعة عندهم : كل " مَنْ اتَّبَعَ علياً -عليه السلام- " ^(٥) المسمون بشيعة علي في زمان النبي -صلى الله عليه وسلم- وبعده ، معروفون بانقطاعهم إليه ، والقول بإمامته^(٦).

ويلاحظ على التعريف : عدم الجمع لجميع أنواع المُعرِّف من عقائد وميزات ، مع عدم المنع من دخول غيرهم ، فلو فرضنا : أن أهل السنة أخذوا بأقوال علي -عليه السلام-

(١) أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان الكعبري (المفيد) : أوائل المقالات ، تحقيق : الشيخ إبراهيم الأنصاري ، ط مهر ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد - قم ، ١٤١٣هـ - ص ٣٥ .
(٢) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ، رسالة دكتوراه ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ٢ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ج ١ ص ٣٤ . المفيد : أوائل المقالات ص ٣٧ .

(٣) الجارودية: أصحاب الجارود زياد بن المنذر بن زياد الأعجمي ، القائلين : بتفضيل علي ، وأنه وصي بالوصف لا بالاسم ، وزعموا : أن من رفع علياً عن هذا المقام كفر ، وصرحوا بكفر الصحابة لذلك ، وأن الأمة كفرت لتركها بيعته ، ثم جعلوا الإمامة بعده للحسن ، ثم الحسين ، ثم شوري بين أولادهما ، فمن خرج منهم بسيفه ، ودعا لنفسه فهو مستحق للإمامة ، ومنها تشعبت الزيدية . الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ١٨ . عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٣ .

(٤) المفيد : أوائل المقالات ص ٣٧ . د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة ج ١ ص ٣٥-٣٧ .

(٥) الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الكعبري (المفيد) : الأمالي ، تحقيق : علي أكبر غفاري ، نشر دار التيار الجديد ، دار المرتضى - بيروت ، دت هامش ص ٣٢٨ .

(٦) الحسن بن موسى النوبختي : فرق الشيعة ، منشورات الرضا - بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٣م ص ٥١ .

أو بأقوال جعفر الصادق ^(١) هل يسمون شيعة بهذا أم لا ؟ .

تعريف الشيعة في كتب أهل السنة : ومن أدق التعاريف للشيعة : " هم الذين شايعوا علياً - عليه السلام - على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جلياً وإما خفياً ، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده ، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره ، أو بتقية من عنده ، وقالوا الإمامة ليست قضية مصلحة تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية ؛ وهي ركن الدين لا يجوز للرسول - عليه السلام - إغفاله ، وإهماله ، ولا تفويضه إلى العامة ، وإرساله ، ويجمعهم القول بوجوب التعيين ، والتنصيب ، وثبوت عصمة الأنبياء ، والأئمة ؛ وجوباً عن الكبائر والصغائر ، والقول بالتولي ^(٢) ، والتبري ^(٣) : قولاً ، وفعللاً ، وعقداً إلا في حالة التقية ^(٤) . وهذا التعريف لم يدخل عقائد الغيبة ، والرجعة ، والبداء ^(٥) وغيرها ^(٦) .

ويعرف ابن حزم ^(٧) - رحمه الله - الشيعي بأنه : من قال : أن علياً - عليه السلام - أفضل الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأحقهم بالإمامة ، وولده من بعده ، فهو شيعي ،

(١) جعفر بن محمد الصادق : صدوق ، فقيه ، كنيته : أبو عبد الله ، ولد بالمدينة ٨٣هـ ، أمه : أم فروة بنت القاسم بن محمد النجيب بن أبي بكر ، وأمها : أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر ؛ فكان يقول : ولدني أبو بكر مرتين ، وقال : ما أرجو من شفاعة على شيئاً ، إلا وأنا أرجو من شفاعة أبي بكر مثله ، وقبض بالمدينة ١٤٨هـ ، وله خمس وستون سنة ، وقبره مع أبيه وجده وعمه الحسن . سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٤٦٥ - ٤٧٥ . الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ٢١١ - ٢١٢ .

(٢) الولاء : النصر ظاهراً وباطناً لأهل البيت . محمد القحطاني : الولاء والبراء في الإسلام ، ط المكتبة التوفيقية - القاهرة ، ٢٠٠٣ م ص ٧١ .

(٣) البراء : البعد ، والخلاص ، والعداوة بعد الإعذار والإنذار من أعداء وعداوة أهل البيت . المصدر السابق ص ٧١ .

(٤) أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢١ .

(٥) عقيدة الغيبة تعني غيبة الإمام المنتظر عند الشيعة بجسده حتى يظهر في آخر الزمان ، عقيدة الرجعة تعني رجعة الأئمة لدى الشيعة وأعدائهم بعد موتهم إلى الدنيا قبل القيامة . ، وعقيدة البداء تعني ظهور أمر خفي على الله سبحانه فغير قدره لقدر آخر - نعوذ بالله .

(٦) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ج ١ ص ٤٥ .

(٧) ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي ، الإمام ، الفقيه ، الحافظ ، المتكلم ، الأديب ، الوزير ، الظاهري ، ولد بقرطبة ٣٨٤هـ ، توفى ٤٥٦هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥٢٢ - ٥٣٩ .

وإن خالفهم في ما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون^(١).
ويختار هذا التعريف بعض الشيعة ، ويعتبره من أدق التعاريف ، ويعرض عن تعريف أهل
نحلته ، ويعلل الرفض اختياريه لهذا التعريف بقوله : " ومما حدانا إلى تفضيل تعريف ابن
حزم أن الاعتراف بأفضلية الإمام عليّ على الناس بعد رسول الله -ﷺ- وأنه الإمام ،
والخليفة بعده ، وأن الإمامة في ذريته هو أس التشيع وجوهره "^(٢) .
ويعرف الأشعري^(٣) الشيعة: من شايعوا علياً ، ويقدمونه على سائر الصحابة -ﷺ-^(٤).
ونلاحظ أن تعريف الأشعري هذا : يتفق مع ما تذهب إليه المفضلة من الشيعة - الذين
يفضلون علياً على أبي بكر وعمر -ﷺ- ، وسائر أصحاب رسول الله -ﷺ- والشيعة الاثني
عشرية لا يعتبرون مجرد تقديم علي على سائر أصحاب النبي -ﷺ- كافياً في استحقاق
وصف التشيع ، بل لابد من الاعتقاد بأن خلافة علي بالنص ، وأنها بدأت بعد وفاة
الرسول -ﷺ- لتخرج بعض فرق الزيدية^(٥) من دائرة التشيع ، ويمكن القول بأن تعريف
الأشعري يشمل جميع أقسام الشيعة ، أو معظمها ، ولا يقتصر على من قال بالنص كما تزعم
الرافضة^(٦).

**التعريف المختار للشيعة : نظراً لأن التعاريف السابقة لا تسلم من مقال ؛ لكونها لم تشمل
على جميع عقائد الشيعة ، نقول : إن تعريف الشيعة مرتبط أساساً بأطوار نشأتهم ،**

-
- (١) ابن حزم : الفصل ، نشر مكتبة الخانجي - القاهرة ، دت ج ٢ ص ٩٠ .
(٢) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ج ١ ص ٤٤ .
(٣) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري ، إمام المتكلمين ، ولد ٢٦٠هـ ، أو ٢٧٠هـ ،
عجباً في الذكاء ، برع في الاعتزال ، ثم تبرأ منه ، مات ٣٢٤هـ . له كتاب اللمع ، والإبانة . الذهبي :
سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٥٥٤ - ٥٥٧ .
(٤) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق : محمد
محيي الدين عبد الحميد ، نشر المكتبة العصرية - بيروت - ط ١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ج ١ ص ٦٥ .
(٥) الزيدية : أتباع زيد بن علي بن الحسين ، وبدأ أمرهم بخروج علي بن الحسين بالكوفة داعياً لنفسه ،
وتميزوا عن الشيعة حين أعلن موالاته لأبي بكر وعمر -ﷺ- ، وقالوا : بأن الأمر كان لعلي بعد النبي -
ﷺ- ، ثم للحسن ، ثم للحسين بوصية منهم ، ويقولون : بجواز إمامة المفصول في وجود الفاضل ،
وصحة خلافة الشيخين -ﷺ- ، وصحة خلافة عثمان وعلي -ﷺ- في أول خلافتهم . القمي : المقالات
والفرق ص ١١ - ٧٤ . البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٥ - ٢٦ . بحار الأنوار ج ٣ ص ١٦٢ .
(٦) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ج ١ ص ٤٤ .

ومراحل التطور العقدي لهم ، فإن الناس كانوا في الصدر الأول بعد وقعة صفين على أقسام : أهل سنة : وهم أولو العلم ، وهم محبوبون للصحابه ، كافون عن الخوض فيما شجر بينهم . ثم شيعة : يتوالون ، وينالون ممن حاربوا علياً ، ويقولون : إنهم مسلمون بغاة ظلمة. ثم نواصب : وهم الذين حاربوا علياً - ع - يوم صفين ، ويقولون بإسلام علي وسابقيه ، ويقولون : خذل الخليفة عثمان - ع - .

فما علمت في ذلك الزمان شيعياً كفر معاوية - ع - وحزبه ، ولا ناصبياً كفر علياً - ع - وحزبه ، بل دخلوا في سب وبغض ، ثم صار اليوم شيعة زماننا يكفرون الصحابة ، ويبرؤون منهم جهلاً وعدواناً ، ويتعدون إلى الصديق - ع - قاتلهم الله - وأما نواصب وقتنا فقليل ، وما علمت فيهم من يكفر علياً ولا صحابياً^(١)؛ فالملحوظ أن عقائد الشيعة في تطور مستمر ، فالتشيع في العصر الأول غير التشيع فيما بعده ، ولهذا كان في الصدر الأول لا يسمى شيعياً : إلا من قدم علياً - ع - على عثمان - ع - ، فكان يقال : شيعي ، وعثماني ، والعثماني : من قدم عثمان - ع -^(٢).

فعلى هذا يكون التعريف للشيعة في الصدر الأول : أنهم الذين يقدمون علياً على عثمان فقط ، وهم - وإن سموا بالشيعة - فهم من أهل السنة ؛ لأن مسألة تقديم عثمان على علي ليست من الأصول التي يضل ، أو يبدع ، أو يفسق المخالف فيها^(٣) .

ولعل السبب أن أهل السنة اختلفوا في عثمان وعلي - ع - بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر - ع - أيهما أفضل ، فقدم قوم عثمان - ع - ، وسكتوا ، أو ربعوا بعلي - ع - ، وقدم قوم علياً - ع - ، وقوم توقفوا ، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان - ع - . ونحن نعتقد أن : " تفضيل علي - ع - ليس برفض ، ولا هو ببدعة ، بل قد ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين ، فكل من عثمان وعلي ذو فضل وسابقة وجهاد ، وهما متقاربان في العلم والجلالة ، ولعلهما في الآخرة متساويان في الدرجة ، وهما من سادة الشهداء - ع - ، ولكن جمهور الأمة على ترجيح عثمان على الإمام علي ، وإليه نذهب .

(١) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، في ترجمة الفأفاء خالد بن سلمة الفرشي الكوفي ج ٦ ص ١٨٤ .

(٢) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ج ١ ص ٤٤ .

(٣) دعلي الصلابي:فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة، ط مؤسسة اقرأ - القاهرة،

وَالْخَطْبُ فِي ذَلِكَ يَسِيرٌ، وَالْأَفْضَلُ مِنْهُمَا - بِلَا شَكٍّ - أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ -ؓ-، مَنْ خَالَفَ فِي ذَا فَهُوَ شَيْعِيٌّ جَلَدٌ، وَمَنْ أَبْغَضَ الشَّيْخَيْنِ وَاعْتَقَدَ صِحَّةَ إِمَامَتِهِمَا فَهُوَ رَافِضِيٌّ مَقِيتٌ، وَمَنْ سَبَّهُمَا، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُمَا لَيْسَا بِإِمَامَيَّ هُدَى فَهُوَ مِنْ غُلَاةِ الرَّافِضَةِ - أَبْعَدَهُمُ اللَّهُ - (١).

فالشَّيْعَةُ الْأُولَى عَلَى عَهْدِ عَلِيٍّ -ؓ- كَانُوا يَفْضُلُونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ -ؓ- كَمَا قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ السَّبِيْعِي (٢): خَرَجْتَ مِنَ الْكُوفَةِ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يَشْكُ فِي فَضْلِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ -ؓ- وَتَقْدِيمَهُمَا، وَقَدِمْتَ الْآنَ، وَلَا وَاللَّهِ مَا أُدْرِي مَا يَقُولُونَ (٣).

وهذا نص تاريخي عظيم في تحديد تطور التشيع، فإن أبا إسحاق السبيعي كان شيخ الكوفة وعالمها، ولد في خلافة أمير المؤمنين عثمان -ؓ- قبل شهادته بثلاث سنين، وعمر حتى توفي: ١٢٧هـ، وكان طفلاً في خلافة أمير المؤمنين علي -ؓ-، وهو يقول عن نفسه: رفعني أبي حتى رأيت علي -ؓ- يخطب، أبيض الرأس واللحية، ولو عرفنا متى فارق الكوفة، ثم عاد فزارها، لتوصلنا إلى معرفة الزمن الذي كان فيه شيعة الكوفة يرون تفضيل أبي بكر وعمر -ؓ-، ومتى أخذوا يفارقون علياً -ؓ-، ويخالفونه في ما كان يعلنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه صاحبي رسول الله -ﷺ-، وخليفته على أمته، في أنقى وأظهر أزمانها (٤).

ولكن لم يظل التشيع بهذا النقاء والصفاء، فمبدأ التشيع تغير، فأصبحت الشيعة شيعاً، وصار التشيع قناعاً، يتستر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين؛ ولهذا نرى بعض الأئمة لا يسمون الطاعنين بالشيخين شيعة، بل رافضة؛ لأنهم لا يستحقون وصف التشيع.

فهناك نقطة تحول هي الحرب التي وقعت بين علي ومن تابعه، ومعاوية ومن شايعه، فالذين شايعوا علياً -ؓ- كانوا ثلاث فرق هي: الجمهور الأعظم: يرون إمامة أبي بكر وعمر، وعثمان -ؓ- إلى أن غير السيرة، وأحدث الأحداث (٥)؛ فقد قبض النبي -ﷺ-

(١) الذهبي: سير أعلام النبلاء، في ترجمة الدار قطني ج ١٢ ص ٥٢٢.

(٢) أبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله الهمداني الكوفي، الحافظ، من كبار التابعين، ثقة، حجة بلا نزاع، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان، توفي ١٢٧هـ. سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ١٩٩-٢٠٧.

(٣) د ناصر القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية ج ١ ص ٤٧ نقلاً عن المنتقى.

(٤) د علي الصلابي: فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة ص ٨٢ بتصرف.

(٥) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج ١ هامش ص ٦٥.

وَاسْتَخَارَ الْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ -رضي الله عنه-، فَلَوْ عَلِمُوا أَنَّ فِيهِمْ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْهُ كَانُوا قَدْ غَشُونَا، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ -رضي الله عنه-، فَقَامَ بِمَا قَامَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، جَعَلَ الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَ سِتَّةٍ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى عُثْمَانَ -رضي الله عنه-، فَلَوْ عَلِمُوا أَنَّ فِيهِمْ أَفْضَلُ مِنْهُ كَانُوا قَدْ غَشُونَا^(١).

فرقة أقل عدداً: يرون الإمام بعد النبي -رضي الله عنه- أبا بكر -رضي الله عنه-، ثم عمر -رضي الله عنه-، ثم علياً -رضي الله عنه-، ولا يرون لعثمان -رضي الله عنه- إمامة؛ ولذلك كان لا يسمى شيعياً: إلا من قدم علياً على عثمان -رضي الله عنه-؛ فكان يقال: شيعي وعثماني.

فرقة يسيرة العدد جداً: يرون علياً -رضي الله عنه- أولى بالإمامة قبل أبي بكر -رضي الله عنه-، ويرون إمامة أبي بكر وعمر كانت من الناس على وجه الرأي والمشورة، ويصوبونهم في رأيهم، ولا يخطئونهم، وهم الغالية^(٢).

قُلْتُ: هَذَا التَّشْيِيعُ الَّذِي لَا مَحْدُورَ فِيهِ -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- إِلَّا مِنْ قَبِيلِ الْكَلَامِ فِيمَنْ حَارَبَ عَلِيًّا -رضي الله عنه- مِنَ الصَّحَابَةِ، فَإِنَّهُ قَبِيحٌ يُوْذِي فَاعِلُهُ، وَلَا نَذْرُ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَنَتَرَضَى عَنْهُمْ، وَنَقُولُ: هُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بَعَثَ عَلَى الْإِمَامِ عَلِيٍّ -رضي الله عنه-، وَذَلِكَ بِنَصِّ قَوْلِ الْمُصْطَفَى -رضي الله عنه- لِعَمَّارٍ^(٣): "تَقَاتِلْكَ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ"؛ فَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَرْضَى عَنِ الْجَمِيعِ، وَالْأَلَّ يَجْعَلَنَا مِنْ فِي قَلْبِهِ غِلٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ؛ وَلَا نَرْتَابُ أَنَّ عَلِيًّا أَفْضَلُ مِنْ حَارِبِهِ، وَأَنَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ -رضي الله عنه-^(٤).

(١) في ترجمة شريك من قول حفص بن غياث: قَالَ عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ: فَأَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا أَنَّهُ عَرَضَ هَذَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْطَقَ بِهَذَا لِسَانَهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَشَيْعِيٌّ، وَإِنْ شَرِيكًا لَشَيْعِيٍّ. الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٤٦٧-٤٦٨.

(٢) أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ج ١ هامش ص ٦٥.

(٣) عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ بْنُ عَامِرٍ بْنِ مَالِكِ الْعَنْسِيِّ أَبُو الْيَقْظَانِ، الْمَكِّيُّ، مَوْلَى بَنِي مَخْرُومٍ، الْبَدْرِيُّ، وَأُمُّهُ: سَمِيَّةٌ، لَمْ يَسْلَمْ أَبَوَا أَحَدٍ مِنَ السَّابِقِينَ سِوَى عَمَّارٍ، وَأَبِي بَكْرٍ، عَاشَ ثَلَاثًا وَتِسْعِينَ سَنَةً، قُتِلَ يَوْمَ صِفِّينَ ٣٧ هـ. الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٤٢-٢٥٦.

(٤) الحافظ الذهبي: سير أعلام النبلاء في ترجمة شريك بن عبد الله ج ٧ ص ٢٦٧.

فالشيعة الغالي في زمان السلف وعرفهم : من تكلم في عثمان - (١) ، والزبير - (٢) ، وطلحة - (٣) ، ومعاوية - (٤) ، وطائفة ممن حارب علياً - (٥) - وتعرض لسبهم ، والغالي في زماننا وعرفنا : الذي يكفر هؤلاء السادة ، ويتبرأ من الشيخين ، وهو ضالٌّ مفترٍ (٤).

وهم درجات منها : " مَنْ سَكَتَ عَنْ تَرْحُمِ مِثْلِ الشَّهِيدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُثْمَانَ ، فَإِنَّ فِيهِ شَيْئاً مِنْ تَشْيِيعٍ ، فَمَنْ نَطَقَ فِيهِ بِغَضٍّ وَتَنَقُّصٍ وَهُوَ شَيْعِيٌّ جَلَدٌ يُؤَدَّبُ ، وَإِنْ تَرَقَّى إِلَى الشَّيْخَيْنِ بِذِمٍّ ، فَهُوَ رَافِضِيٌّ خَبِيثٌ ، وَكَذَا مَنْ تَعَرَّضَ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ بِذِمٍّ ، فَهُوَ نَاصِبِيٌّ يَعْزَرُ ، فَإِنْ كَفَّرَهُ ، فَهُوَ خَارِجِيٌّ مَارِقٌ ، بَلْ سَبِيلُنَا أَنْ نَسْتَغْفِرَ لِلْكَلِّ ، وَنُحِبَّهُمْ ، وَنَكْفَ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ (٥) .

وختاماً : يلحظ على تعريفات الشيعة الواردة في معظم كتب المقالات ، أنها دأبت على القول في التعريفات للشيعة بأنهم أتباع علي .. الخ ، وهذا يؤدي إلى نتيجة خاطئة ، تخالف إجماع الأمة وهي : أن يكون عليٌّ شيعياً يرى ما يراه الشيعة ، وهو بريء مما تعتقده الشيعة فيه ، وفي بنيه ؛ ولذلك لابد من وضع قيد ، واحتراز في التعريف ؛ رفعاً

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية الأموي ، يجتمع مع رسول الله - ﷺ - في عبد مناف ، ثالث العشرة ، صلى إلى القبلتين ، وهاجر الهجرتين قتل ٣٥ هـ وهو ابن اثنتين وثمانين سنة. . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٥٠٣ - ٥٢٩ .

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى : أبو عبد الله ، حواري رسول الله - ﷺ - وابن عمته صفيّة ، وأحد العشرة ، وأحد السنة أهل الشورى ، وأول من سل سيفه في سبيل الله ، أسلم وله ست عشرة سنة ، قتل ابن جرموز سنة ست وثلاثين ، وله بضعة وخمسون سنة. انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٣ - ٣٨ .

(٣) طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو التيمي : أبو محمد ، أحد العشرة ، وأوذي في الله ، ثم هاجر ، كانت يده شلاء ؛ مما وقى بها رسول الله - ﷺ - يوم أحد. قتل شهيداً ٣٦ هـ ، وهو ابن ثنتين وستين سنة بالبصرة . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٣ - ٢٣ .

(٤) د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية ص ١٩ . الصلابي : فكر الخوارج والشيعة ج ١ ص ٨٣ .

(٥) سير أعلام النبلاء : ترجمة الحسن بن صالح حين لم يترحم على عثمان - ﷺ - ج ٧ ص ٢٦٧ .

للإيهام ؛ فيقال الشيعة هم : الذين يزعمون أتباع عليٍّ ؛ حيث إنهم لم يتبعوا علياً على الحقيقة^(١).

تعريف الشيعة الاثني عشرية :

الذين يزعمون أنهم أتباع علي -عليه السلام-، ويعتقدون إمامته بنص جلي ، ويؤمنون بعصمته ، هو واحد عشر من بنيه ، أولهم : الحسن بن علي -عليه السلام-، وآخرهم : محمد بن الحسن العسكري - المنتظر الغائب عندهم -^(٢)، ويعتقدون برجعتهم ، وظهورهم بعد موتهم ، والبداء على الله^(٣) ، ويكفرون الصحابة إلا قليلاً ، ويعتقدون مساواة الأئمة للنبي -عليه السلام- في كل شيء إلا النبوة ، مع اعتقاد أنهم يوحى إليهم ، وغير ذلك من عقائد الغلو التي سنتحدث عنها خلال البحث إن شاء الله بشيء من الاختصار ؛ والله الموفق .

المطلب الثاني

نشأة الشيعة الاثني عشرية

أولاً : متى ظهرت الشيعة كفرقة متميزة عن غيرها من فرق الإسلام ؟ :

اختلف الكتاب والمؤرخون ، وتضاربت آراؤهم في نشأة الشيعة والتشيع على آراء من أهمها :

الرأي الأول : التشيع قديم ؛ وجد قبل بعثة النبي -عليه السلام- : تزعم الشيعة عن أبي الحسن^(٤) : " ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ، ولن يبعث الله رسولاً إلا بنبوة محمد -عليه السلام- ، ووصية علي -عليه السلام-"^(٥) ، وعن أبي جعفر في قول الله -عليه السلام- : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾^(٦) ، قال : "عهدنا إليه في محمد ، والأئمة من بعده ؛ فترك ، ولم

(١) د علي الصلابي : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة ج ١ ص ٨٣ .

(٢) هم : المرتضى ، والمجتبى ، والشهيد ، والسجاد ، والباقر ، والصادق ، والكاظم ، والرضي والتقي ، والنقي ، والزكي ، والحجة القائم المنتظر . الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٤٠ .

(٣) د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية عرض ونقد ص ٢٧ .

(٤) إذا قيل : عن أبي الحسن فهو علي بن محمد الهادي ، ولا يحتمل { علي بن أبي طالب ؛ لأن كنيته أبو الحسن الأول ، أو يقال : عن أمير المؤمنين { ، ولا يحتمل : { علي بن موسى الرضا ؛ لأن كنيته أبو الحسن الثاني ، أو يقال : عن الرضا { .

(٥) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٥٠٧ . محمد باقر المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٢٨٠ .

(٦) سورة طه : آية رقم ١١٥ .

يكن له عزم^(١)؛ وإنما سمو هؤلاء الأنبياء بأولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده ، والمهدي وسيرته ، والإقرار به ^(٢)؛ طائعا ، أو كارها ^(٣)، فلا يدخل الجنة إلا من أحبه من الأولين والآخرين، فهو إذاً قسيم الجنة والنار^(٤) . وعن علي-عليه السلام:- "إن الله -ﷻ- عرض ولايتنا على أهل السماوات والأرض ، من الجن ، والإنس ، والثمر وغير ذلك ، فما قبل منه ولايتنا طاب ، وطهر ، وعذب ، وما لم يقبل منه خبث ، وردئ ، ونتين ^(٥)، والعقيق أول جبل أقر لعلي بالوصية ^(٦).

نقد هذا القول : المتتبع لآيات القرآن ، ولعلوم السابقين لا يجد شيئا من هذا : "فهذه كتب الأنبياء -عليهم السلام- التي أخرج الناس ما فيها من ذكر النبي -ﷺ- ليس في شيء منها ذكر علي ، وهؤلاء الذين أسلموا من أهل الكتاب ، لم يذكر واحد منهم أن عليا ذكر عندهم ^(٧)، وإذا كانت ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ، فلماذا ينفرد بنقلها الروافض؟! ^(٨). فهذا يدل على أن هذا الرأي محض افتراء ، أو غلو في التقديس ! .

الرأي الثاني : أن التشيع بدأ مع أول ظهور الإسلام ؛ يزعم بعض الشيعة أن التشيع نتيجة طبيعية للإسلام ، وممثلاً لأطروحة من المفروض للدعوة الإسلامية أن تتوصل إليها ، حفاظاً على

(١) وهذا اتهام لهذا النبي الكريم بالخيانة في بلاغ الرسالة ، فتصادم مع عصمة الأنبياء .

(٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤٨٣ - ٤٨٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٥١ .

(٣) المفيد : الاختصاص ، منشورات الأعلمي - بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م ص ٣٢٩ .

(٤) الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ١٢٨ - ١٢٩ . بحار الأنوار ج ٣٩ ص ١٩٥ .

(٥) الحاج ميرزا حسين النوري الطبرسي : مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل ، تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - بيروت ، ط ٣ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ج ١٦ ص ٤١٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢٨٣ .

(٦) الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي : تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، ط مهر ، تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ / ١٣٧٢ ش ج ٥ ص ٨٧ . بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢٨٣ .

(٧) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، تحقيق د محمد رشاد سالم ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ج ٧ ص ١٧٠ بتصرف .

(٨) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الاثنا عشرية ج ١ ص ٦١ .

نموها السليم ، وكان النبي -ﷺ- يتزعم قيادتها، إذاً فالتشيعُ ظاهرةٌ طبيعيةٌ في إطار الدعوة الإسلامية ، وظهور الشيعة استجابة لتلك الظاهرة الطبيعية ^(١) .

وزعموا أن جماعة كانوا يتشايعون لعلي -ﷺ- في عهد رسول الله -ﷺ- وظهر بوضوح عند حدوث الاختلاف في أمر الخلافة يوم وفاة النبي -ﷺ- كما جاء في حديث السقيفة ، وتشيع يومئذ لعلي جميع بني هاشم وبني المطلب، وانضم إليهم الزبير بن العوام وثلاثة عشر رجلاً ، أو اثنا عشر من المهاجرين والأنصار -ﷺ-، وكان أخلصهم في ولاته أربعة: {سلمان^(٢)، والمقداد^(٣)، وعمار ، وأبو ذر^(٤)-ﷺ-} ^(٥) .

قال النوبختي : أول فرق الشيعة فرقة علي -ﷺ- المسمون : شيعة علي في زمان النبي -ﷺ- وبعده معروفون بانقطاعهم إليه ، والقول بإمامته ^(٦) .

فأول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام في زعم الشيعة : هو نفس صاحب الشريعة الإسلامية ، وأن بذرة التشيع وضعت مع بذرة الإسلام جنباً إلى جنب ، ولم يزل غارسها يتعهدها بالسقي والعناية ، حتى نمت وازدهرت في حياته ، ثم أثمرت بعد وفاته ^(٧) .

ومن يومها فإن الدعوة إلى التشيع - كما تزعم الشيعة - من صاحب الرسالة تمشي معه جنباً إلى جنب مع الدعوة للشهادتين ، قال سلمان الفارسي -ﷺ- : " بايعنا الرسول -ﷺ-

(١) حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص ٤٣ .

(٢) سلمان الفارسي أبو عبد الله ، سابق الفرس إلى الإسلام ، صحب النبي -ﷺ- وخدمه ، وحدث عنه ، توفي: ٣٣هـ بالمدينة . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٠٦ - ٣٤٥ .

(٣) المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك الكندي ، البصري ، أحد السابقين ، ويقال له : ابن الأسود ؛ لأنه ربي في حجر الأسود بن عبد يغوث مات ٣٣هـ . سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٣٠ - ٢٣٢ .

(٤) أبوذر جندب بن جندة الغفاري ، أحد السابقين ، من نجباء الصحابة ، وكان يفتي ، رأساً في الزهد ، شهد فتح بيت المقدس توفي ٣٢هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٩ - ٣٩١ .

(٥) من هؤلاء كما يدعي الشيعة : [سلمان الفارسي ، خالد بن سعيد بن العاص من بني أمية ، و أبو ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر ، وبريدة الأسلمي ، و أبو الهيثم بن التيهان ، وسهل عثمان ابنا حنيف ، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين ، و أبي بن كعب ، وأبو أيوب الأنصاري] . ولا ندري لماذا ارتد هؤلاء بعد ذلك في نظر الشيعة . السيد مرتضى العسكري : عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى ، ط دار الزهراء- بيروت، ط ٦ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ج ١ ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٦) د أحمد أمين: ضحى الإسلام ، ط مكتبة النهضة المصرية ، ط ٩ ، ١٩٧٨م ج ٣ ص ٢٠٦ .

(٧) حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص ١١٨ .

على النصح للمسلمين، والالتزام بعلي والموالاة له^(١)،
وقال أبو سعيد الخدري^(٢): " أمر الناس بخمس فعملوا بأربع وتركوا واحدة : الصلاة ،
والزكاة ، وصوم شهر رمضان ، والحج ، قيل : فما الواحدة التي تركوها ، قال : ولاية
علي - عليه السلام -^(٣) .

فالنبي - عليه السلام - على حد زعمهم : هو الذي بعث عقيدة التشيع ، وأوجدها ، ودعا إلى حب
علي وولائه ، وأول من أطلق لفظ الشيعة على أتباعه ومريديه ، وهذا ما لم يؤيده نص
صحيح عند أهل السنة .

نقد هذا الرأي : هذا غلو ظاهر في التشيع ، فلا يصح عقلاً أن يكون رسول الله - عليه السلام - هو
الذي بعث عقيدة التشيع؛ فإنه أتى بالإسلام نقياً صافياً، ولم يأت بعقائد الشيعة^(٤) .
ولم يكن هناك شيعة بمعناها المعروف اليوم في عهد النبي - عليه السلام - ولكن عرف هذا المعنى
للشيعة بعد وقوع الفتنة، ولم يكن لعليّ حزبٌ منظمٌ متميزٌ، ولم يكن بين يدي رسول الله -
عليه السلام - شيعة ولا سنة قال تعالى: ﴿ إِنْ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾^(٥) ، لا التشيع ، ولا التسنن ،
بل أتى الإسلام ليرفع الحواجز بين الناس .

الرأي الثالث: أن التشيع بدأ يوم السقيفة^(٦) بمجرد أن ذاع خبربيعة الصديق^(٧) :

يزعم الشيعة أنه لما توفي الرسول - عليه السلام - كان أهل البيت يرون أنفسهم أحق بالأمر دون
سواهم من قريش؛ ولما كان جماعة من الصحابة يتشيعون لعلي - عليه السلام -، ولما عدل عنه إلى

(١) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي : الأمالي ، تحقيق : بهراد الجعفري ، علي أكبر
الغفاري، نشر دار الكتب الإسلامية - طهران ، ١٣٨٠ ش ص ٢٤٤ .

(٢) أبو سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان ، المجاهد ، مفتي المدينة ، شهد الخندق ، وبيعة الرضوان ،
من المكثرين ، أحد الفقهاء المجتهدين . وله : ١١٧٠ حديثاً ، مات ٧٤ هـ ، وقيل : ٦٣ هـ . الذهبي : سير
أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٩٦ - ٢٩٩ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١١٥ . الشيخ المفيد : الأمالي ص ١٣٩ .

(٤) د عامر النجار : مذاهب الإسلاميين نشر الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ٢٠٠٥ م ص ٣٨٨ .

(٥) سورة آل عمران : آية رقم ١٩ .

(٦) يقول د عمر الفرمائي : القائلون بهذا هل يسمون الذين تشايعوا لسعد بن عباد يوم السقيفة ؛
لينصبوه خليفة : شيعة سعد ؟ . د : عمر الفرمائي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية ص ٣٠ .

(٧) حسن صادق : جذور الفتنة في الفرق الإسلامية من عهد الرسول حتى مقتل السادات ط مدبولي -
القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٤ م ص ٦٣ .

سواه تأففوا من ذلك ، فإن الزبير اختلط سيفه ، وقال : لا أُعَمِّدُهُ حَتَّى يُبَايَعَ عَلِيٌّ؛ ولذلك فإن البذرة الأولى للتشيع : الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبي -ﷺ- أن أهل بيت النبي أولى الناس أن يخلفوه ، وتأكد هذا الرأي حين : تخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار، مالوا مع عليّ -ﷺ- (١).

يقول النوبختي : قبض رسول الله -ﷺ- فافتقرت الأمة ثلاث فرق ، فرقة منها : سميت الشيعة ، وهم شيعة علي بن أبي طالب واتبعوه ، ولم يرجعوا إلى غيره ، ومنهم افتقرت صنوف الشيعة ، وفرقة منهم : ادعت الإمرة والسلطان ، وهم الأنصار ، ودعوا إلى عقد الأمر لسعد بن عباد الخزرجي -ﷺ-، وفرقة : مالت إلى بيعة أبي بكر بن أبي قحافة -ﷺ-، وتأولت فيه (٢).

ويقول أحد المؤرخين في حوادث وفاة النبي -ﷺ-: إن الإمام علياً أقام ومن معه من شيعته في منزله بعد أن تمت البيعة لأبي بكر -ﷺ- (٣).

نقد هذا القول : إن اختلاف الرأي هنا ليس دليلاً على بداية التشيع ؛ لأن الملتفين حول عليّ لم يجمعهم إلا حبهم له، وتفضيله ، وليس على أصل التفرق إلى فرقتين شيعة وغيرهم ، ولم يكن خلافاً دينياً ، بل رأي سياسي .

بل هو مجرد رأي لبعض الصحابة ، إلا أنه لم يتخط دائرة الرأي الشخصي ، ولم يمنع ذلك الرأي أصحابه أن ينزلوا على رأي الأغلبية ، وأن يدخلوا فيما دخل فيه الناس راضين مطمئنين غير متهمين أحداً ، ولم يكن أحد من هؤلاء الصحابة أو غيرهم يعتقد بعقائد الشيعة ، فالغلو في هذا الرأي واضح لكل ذي لب سليم (٤).

الرأي الرابع : أن التشيع بدأ في خلافة عثمان بن عفان -ﷺ-؛ يذهب كثير من الباحثين إلى أن التشيع ظهر في أواخر عهد عثمان ، ونما وترعرع في عهد علي واتسع بعد مظالم بني أمية (٥)، وخاصة على يد عبد الله بن سبأ ، حيث بقي في الخلافة اثني عشر عاماً، وبموته

(١) منهم : العباس ، والفضل بن العباس ، والزبير ، وخالد بن سعيد ، والمقداد بن عمرو ، وسلمان ، وأبو ذر ، وعمار ، والبراء بن عازب ، وأبي بن كعب. انظر اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٩ .

(٢) النوبختي : فرق الشيعة ص ٣١ - ٣٢ بتصرف يسير .

(٣) جعفر السبحاني: أضواء على عقائد الشيعة الإمامية ص ٢٣. نقلاً عن المسعودي في كتاب الوصية.

(٤) د عامر النجار : في مذاهب الإسلاميين ص ٣٨٩ .

(٥) الإمام محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ، ط دار الفكر العربي - القاهرة ، د ت ص ٣٠ .

حصل الاختلاف وابتداء أمر الروافض ؛ حيث بدأ ابن السوداء يشيع السوء عن عثمان -
 - ويذكر علياً بخير^(١) ، وصار يتنقل من الحجاز إلى أمصار المسلمين يريد إضلالهم^(٢) .
 ومنهم من أرجع تاريخ الظهور إلى يوم فتنه الدار (ومقتل الخليفة الثالث) إذ اصطف
 أنصار علي وهم شيعته مقابل المطالبين بدم عثمان أو العثمانيين ، فإنه لما خالف طلحة
 والزبير علياً -
 - وأبيا إلا الطلب بدم عثمان ، وقصدهما علي ليقاتلهما حتى يفينا إلى
 أمر الله -
 - تسمى من اتبعه على ذلك الشيعة ، فكان يقول شيعتي ، وسماهم :
 الأصفياء ، الأولياء ، شرطة الخميس ، الأصحاب^(٣) .

نقد هذا الرأي : لم يكن في هذا الوقت وجود لتجمع يدعى شيعة عليّ على وجه التسمية
 والتميز ، حتى كان أول من أظهر القول بوجوب إمامة علي ابن السوداء بعد قتل عثمان -
 - ومنه تشعبت أصناف الغلاة^(٤) .

الرأي الخامس : أن التشيع بدأ في خلافة علي بن أبي طالب -
 - يزعم النوبختي أنه لما قتل
 عثمان -
 - بايع الناس علياً -
 - فسموا الجماعة ، ثم افترقوا بعد ذلك ، فصاروا ثلاث
 فرق : فرقة أقامت على ولاية علي -
 - وفرقة اعتزلت مع سعد بن أبي وقاص ،
 فهؤلاء اعتزلوا عن علي -
 - وامتنعوا من محاربته ، والمحاربة معه بعد دخولهم في
 بيعته والرضاء به ؛ فسموا المعتزلة^(٥) ، وصاروا أسلافهم المعتزلة إلى آخر الأبد ، وفرقة
 : خالفت علي -
 - وهم طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعائشة بنت أبي بكر ،
 ومعاوية بن أبي سفيان -
 -^(٦) .

ولكن أصحاب هذا الرأي اختلفوا فيما بينهم ، فمنهم : من أرجع هذا الظهور إلى يوم
 الجمل ، حين خالف طلحة والزبير علياً -
 - ، وأبيا إلا الطلب بدم عثمان -
 - ،

(١) د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية ص ٣٠ .

(٢) د أحمد سيد علي : التقريب بين السنة والشيعة ص ٣٧-٣٨ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ٢٤٩ .

(٤) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١١ .

(٥) المعتزلة : أصحاب واصل بن عطاء الغزال ، ويسمون أصحاب العدل ، والتوحيد ، والقدرية ،
 والعدلية من عقائدهم نفي الصفات ، وخلق القرآن ، وأن العبد يخلق أفعاله . الشهرستاني : الملل والنحل
 ص ٤٢-٤٣ .

(٦) النوبختي : فرق الشيعة ص ٣٤ - ٣٥ بتصرف .

وقصدهما عليٌّ -عليه السلام- ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله ، عندها تسمى من اتبعه باسم الشيعة ^(١) .

ومنهم : من جعله يوم صفين ، وهذا قول الخوانساري ^(٢) ^(٣) ، حيث يقولان إن الأسماء لا توجد قبل المسميات ، ولا الأحزاب قبل الخلافات ، فلما نشأ الخلاف بين علي -عليه السلام- ، ومعاوية -عليه السلام- ، صار لكل أتباعه ، وتحزبوا حزبين سياسيين كبيرين : شيعة علي ، وشيعة معاوية " ^(٤) .

ومنهم من أرجعه إلى الفترة مما بين حادثة التحكيم ، واستشهاد أمير المؤمنين -عليه السلام- ، ولكنه سماهم الرافضة والسبئية ^(٥) ، وجعلهم من فرق الشيعة ، وكأنها تطور . يقول أحد المؤرخين : وفي أواخر عهد علي -عليه السلام- ظهر الخلاف النظري حول الإمامة ؛ عندما ظهرت فكرة الغلو في علي المنسوبة إلى عبد الله بن سبأ ، والتي ربما كانت رد فعل لبواكير الفكر النظري عن الخلافة ، التي ظهرت بتكوين الخوارج ^(٦) كأول فرقة منظمة من فرق الإسلام ^(٧) .

الرأي السادس : أن التشيع ظهر بعد مقتل الإمام الحسين -عليه السلام- : يرى فريق من المؤرخين أن بدء التشيع كان بعد واقعة كربلاء ، واستشهاد الإمام الحسين -عليه السلام- : " حيث كان لمأساة كربلاء أثرها في نمو روح الشيعة ، وازدياد أنصارها حتى إنه يمكن القول : إن حركة الشيعة بدأ ظهورها في العاشر من المحرم " ^(٨) ، يوم قتل الحسين -عليه السلام- ثم تطور التميز

(١) ابن النديم : الفهرست ، نشر دار المعرفة - بيروت ، دت ص ٢٤٩ .

(٢) محمد مهدي بن محمد الكاظمي الموسوي الخوانساري الأصفهاني : مؤرخ إمامي ، ولد ببغداد سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠١م ، وتوفي ببغداد سنة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م . خير الدين الزركلي : الأعلام قاموس تراجم ، ط دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٥ ، ١٩٨٠م ج ٧ ص ١١٦ .

(٣) د أحمد سيد علي : التقريب بين أهل السنة والشيعة ص ٣٨ نقلا عن الخوانساري : روضات الجنات .

(٤) إحسان إلهي ظهير : الشيعة والتشيع ص ٣٧ بتصرف .

(٥) أبو منصور عبد القاهر البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٣٥ .

(٦) الخوارج : خرجوا على علي في صفين ، ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي ، ويكفرون أصحاب الكبائر ، ويرون وجوب الخروج على الإمام إذا خالف الكتاب أو السنة . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ص ٩٨-٩٩ .

(٧) اللواء حسن صادق : جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول حتى مقتل السادات ص ١٢ .

(٨) د أحمد سيد علي : التقريب بين أهل السنة والشيعة ص ٣٩ . نقلا عن فيليب حتى : تاريخ العرب .

عن بقية الفرق ؛ فالشيعة لم تتكون كفرقة دينية كلامية إلا بعد مقتل المختار بن عبيد^(١)، وأنها أخذت شكلها النهائي في عصر جعفر الصادق ، مما يدل على أن اسم الشيعة - كمصطلح - ظهر بعد استشهاد الحسين . لكن لما تولى معاوية -رضي الله عنه- الملك ، أصبح استعمال لفظ الشيعة مقصوراً على أتباع علي ، ودخل في هذا الاستعمال تعارضهم مع الخوارج^(٢) والمرجئة^(٣)، في التسمية فكان ولا بد من التمييز.

الرأي السابع : أن التشيع ظهر في إمامة جعفر الصادق - رحمه الله تعالى - : يرى البعض من غير الشيعة والمعتزلة أن تأريخ ظهور الشيعة يبدأ من عصر جعفر الصادق (٨٠ - ١٤٨ هـ / ٦٩٩ - ٧٦٥ م) ، وهشام بن الحكم (١٩٠ هـ / ٨٠٥ هـ)^(٤) .

الرأي الرابع : إن فكرة التشيع لعلي -رضي الله عنه- كانت موجودة كمجرد فكرة بعد عصر النبوة ، ولما قتل عثمان -رضي الله عنه- انقسم المسلمون إلى حزبين ، الحزب الأكبر سمي شيعة علي ، والحزب الأقل سمي شيعة معاوية ، ثم ما لبث اللفظ بمرور الأيام أن اتخذ معنى محدداً ، وهو : أنصار علي ، وأبنائه ، وأحفاده ، وبمرور الزمن ازداد حماس المؤمنين لعلي وأبنائه كأئمة على المسلمين من حقهم الولاية، والريادة، والإمامة^(٥).

يعتقد الباحث أن المظالم التي توالى أهل البيت كانت سبباً في تسارع انتشار التشيع بين المسلمين الذين يرون وجوب نصرتهم ، فقد ثارت دفائن المحبة لهم ورأى الناس فيهم شهداء الظلم ؛ فامتدح نطق المذهب الشيعي ، وكثر أنصاره^(٦) ؛ فبالرغم من أن نتائج

(١) المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي: ادعى النبوة، ودعا إلى إمامة ابن الحنفية، وقتل ٦٧ هـ . الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ١٩٢ .

(٢) يقول النوبختي: ثم خرجت فرقة ممن كان مع علي ، وخالفته بعد تحكيم الحكيم بينه وبين معاوية ، وقالوا : لا حكم إلا لله ، وكفروا علماً وتبرؤوا منه وأمروا عليهم ذا الشدة، وهم المارقون ، والحرورية ، ومنهم افترقت فرق الخوارج كلها . فرق الشيعة ص ٣٥ .

(٣) المرجئة:الإرجاء أي التأخير، قالوا:الإيمان هو المعرفة بالله ، والخضوع له ، والمحبة بالقلب ، ولا يضر معها ترك الطاعات ، وارتكاب المعاصي ، وإبليس كان عارفاً بالله ، كفر باستكباره ، وإنما لقبوا بالمرجئة ؛ لأنهم يرجئون العمل عن النية، ولأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة . الشهرستاني:الملل والنحل ص ١١٦-١٢٠ .

(٤) اللواء حسن صادق:جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول حتى مقتل السادات ص ٦٣ .

(٥) د مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب ص ١٧١ .

(٦) الشيخ محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٣٠ بتصرف .

اجتماع السقيفة أفضت إلى إقصاء الإمام علي بعيداً عن مركز القرار السياسي ؛ إلا إن ذلك أدى إلى ظهور أول تجمع سياسي للشيعة بعد السقيفة ،

وقد قام أعضاؤه - على حد زعم الشيعة - بشكل جماعي أو فردي في التصدي للدفاع عن حقانية الإمام علي ، وقد تشكل التجمع في بيت فاطمة -عليها السلام- بادئ ذي بدء ، وامتنعوا عن بيعه أبي بكر -عليه السلام- ، لكنهم واجهوا هجوماً من الأكثرية ، ثم ناظروا أبا بكر -عليه السلام- (١). والحقيقة أننا سنجد جماعة غير منظمة تجمعها هذه الآراء حول أحقية علي بالخلافة ، قد ظهرت واستمر هواها مع علي وبني هاشم ، دون أن يتعدى ذلك نطاق الهوى والأمنيات ، والمعتدلون من الشيعة قالوا بأفضلية علي عن بقية الخلفاء ، والمتطرفون قالوا : بتقديسه، وعصمته ، وكفروا من انفض عنه (٢).

ويؤيد هذا من المعقول : أن هذه الأفكار التي تكونت في العصور المتأخرة من فكر الشيعة لم تكن يوماً قولاً صريحاً لأحد الصحابة ، ولا من تابعيهم ، ولكن هذه المضامين التي ولدت من الأفكار الكلية لدى الشيعة الأوائل لم تظهر مرة واحدة ، بل هي تطور طبيعي كمثل أي مذهب ، فأوائل المتمدنية يقعدون القواعد العامة ، ومن بعدهم يفصلون هذه القواعد على ما فهموه من نقلة هذه القواعد لهم ، ولذلك لا نخلط هنا بين السمات التي وصف بها التشيع ، وبين المقومات التي قام عليها التشيع ، فالشيعة يعتبرون : أن جوهر التشيع ظهر في عصر النبي -عليه السلام- وظهرت نزعتة في آخر حياة النبي -عليه السلام- وبعد وفاته ، وتبلور اتجاهه السياسي بعد مقتل عثمان -عليه السلام- ، واستقل مصطلحه بعد مقتل الحسين -عليه السلام-.

وهنا نستطيع أن نفرق بين شيعة علي الذين ناصرته ، ووقفوا بجانبه ، والشيعة الذين تجمعوا بعد مقتل الحسين بن علي -عليه السلام- ، وبدأوا يجتزون الماضي ويبنون عليه سياساتهم ومعتقداتهم (٣) ، حتى كانت التشيع لأهل البيت يعني : الانحياز لمواقفهم السياسية ، والفقهية ، والفكرية (٤).

(١) قصة المناظرة انظر المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٨ ص ١٨٩.

(٢) اللواء حسن صادق: جذور الفتنة في الفرق الإسلامية منذ عهد الرسول حتى مقتل السادات ص ٦٣.

(٣) محمد عبد الرحمن عوض : الشيعة وجذور الكراهية بين الأسطورة والحقيقة ، ط دار البشير - القاهرة ، دت ص ١٥.

(٤) د أحمد راسم النفيس : الشيعة والثورة ص ٦.

ولعل ما يؤيد هذا القول ما رواه أقدم محدثيهم عن خطبة أمير المؤمنين - عليه السلام - في آخر سنة من حياته المباركة ، فخطب خطبة طويلة يبين فيها كيف وجد التشيع ، فتلخص كلامه حين قال له قائل هلا استنفرت الناس : فقال : أما إني قد استنفرتكم فلم تنفروا ، ودعوتكم فلم تسمعوا ، فأنتم شهود كغياب ، وأحياء كأموات ، وصم ذوو أسماع ... أراكم متفرقين حلقاً تنشدون الأشعار ... كأني بكم والله : فيما أرى لو قد حمس الوغى ، واستحر الموت قد انفرجتم عن علي بن أبي طالب انفراج الرأس ، وانفراج المرأة عن قبلها لا تمنع عنها ... - وتبدأ التقيّة - فسأله رجل : ما منعك حين بويع أبو بكر أن تقاتل ، وتضرب بسيفك ؟ قال : ما منعي جبن ، ولكن من ذلك أمر رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : إن وجدت أعواناً ؛ فنبذ إليهم وجاهدهم ، وإن لم تجد أعواناً ؛ فكف يدك ، واحقن دمك ، حتى تجد أعواناً ، وإني خشيت أن يقال فرقت الأمة - وهنا ثبت عدم وجود أعوان - فنشغلت بجمع القرآن في كتاب ، ثم حملت فاطمة والحسن والحسين ؛ فلم أدع أحداً من أهل بدر ، وأهل السابقة من المهاجرين والأنصار إلا ناشدتهم حقي ؛ فلم يستجب من جميع الناس إلا أربعة رهط : الزبير ، وسلمان ، وأبو ذر ، والمقداد - وهنا بدأ التشيع - ولم يكن معي أحد من أهل بيتي ، وبقيت بين جلفين ، خائفين ، ذليلين ، حقيرين : العباس وعقيل ، وكانا قريبي عهد بكفر ، فأكرهوني وقهروني ، وكذلك فعل عثمان استغاث بالناس ، فلم يجد أعواناً ، فكف يده فقتل مظلوماً ، ولو كنت وجدت يوم بويع أبو بكر أربعين رجلاً مطيعين لجاهدتهم ، فأما يوم بويع عمر وعثمان فلا ؛ لأنني كنت بايعت ، ومثلي لا ينكث بيعته ، فأما طلحة والزبير فبايعاني ثم نكثا بيعتي فقتلهما الله إلى النار ، ولو وجدت قبل بيعة عثمان أعواناً لناهضتهم وحاكمتهم إلى الله ، فإن ابن عوف جعلها لعثمان ، واشترط عليه فيما بينه وبينه أن يردّها عليه عند موته ، ولكن بعد مقتل عثمان ووقوع الحروب بينه وبين معاوية ترك التقيّة فكثرت الشيعة منذ ذلك اليوم ، وقد كانوا أقل أهل عسكره ، وصارت الشيعة بعد ذلك أجل الناس وأعظمهم ، وذلك بعد وقعة النهروان ، وهو يأمر بالتهيئة لقتال معاوية ، ثم لم يلبث أن قتل - عليه السلام - (١) .

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي (أسرار آل محمد) ، تحقيق : محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئيني ، نشر الهادي - قم ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ / ١٣٨٧ ش ص ٢١٣ - ٢٢٠ باختصار . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٤٦٥ - ٤٧٢ باختصار .

وقول أحد أهم رواة الشيعة من أصحاب موسى بن جعفر حين سئل : أخبرني عن أصحاب علي يوم حكموا الحكمين ، أكانوا مؤمنين أم كافرين ؟ قال : كانوا ثلاثة أصناف : صنف مؤمنون : فمن قال مثل قولي : إن علياً إمام من عند الله -ﷺ- ومعاوية لا يصلح لها ، فأمنوا بما أنزل الله في علي ، وأقروا به ، وصنف مشركون : فقوم قالوا : علي إمام ، ومعاوية صالح لها ، فأشركوا إذاً ؛ إذ أدخلوا معاوية مع علي، وصنف ضلال: فقوم خرجوا على الحمية ، والعصبية للقبائل ، والعشائر ؛ فلم يعرفوا شيئاً من هذا وهم جهال ، فسئل: فأصحاب معاوية ما كانوا ؟ قال : ثلاثة أصناف : صنف كافرون : الذين قالوا : إن معاوية إمام ، وعلي لا يصلح لها ، فكفروا من جهتين : إذ جحدوا إماماً من الله -ﷻ- ، ونصبوا إماماً ليس من الله ، وصنف مشركون : فقوم قالوا : معاوية إمام ، وعلي يصلح لها ، فأشركوا معاوية مع علي، وصنف ضلال: فعلى سبيل أولئك خرجوا للحمية ، والعصبية للقبائل والعشائر (١) .

ونحن نقول : أبشروا فمعاوية شيعي مثلكم ، ونحن تبع له فإنه لما جاء نعي علي إلى معاوية -ﷺ- قال معاوية -ﷺ-: إنا لله وإنا إليه راجعون ، وجعل يبكي ، فقالت له امرأته: أنت بالأمس تطعن عليه ، واليوم تبكي عليه ، فقال : ويحك إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه ، وعلمه ، وفضله ، وسوابقه ، وخيره (٢) .

ويؤيد هذا ما روي عن معاوية -ﷺ- حين سأله سائل : "أَنْتَ تَنَازَعُ عَلِيًّا ، أَمْ أَنْتَ مِثْلُهُ؟ فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنِّي ، وَأَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنِّي ، وَلَكِنْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عُمَانَ -ﷺ- قُتِلَ مَظْلُومًا ، وَأَنَا ابْنُ عَمِّهِ ، وَالطَّالِبُ بِدَمِهِ ، فَأَتَتْهُ ، فَقَوْلُوا لَهُ ، فَلْيَدْفَعْ إِلَيَّ قَتْلَ عُمَانَ -ﷺ- ، وَأُسَلِّمَ لَهُ . فَأَتَوْا عَلِيًّا -ﷺ- ، فَكَلَّمُوهُ ، فَلَمْ يَدْفَعْهُمْ إِلَيْهِ ، فَعَنْدَهَا صَمَّ أَهْلُ الشَّامِ عَلَى الْقِتَالِ مَعَ مَعَاوِيَةَ -ﷺ- (٣) .

تطور التشيع من مرحلة التكوين حتى مرحلة التمييز العقدي : بعد مقتل الإمام علي -ﷺ- التف الناس حول الحسن -ﷺ- وبايعوه على الخلافة في سنة ٤٠ هـ ، وعقد معهم العهد على سلم من سالمه وحرب من حاربه ، ولكنه لم يرَ من أتباعه ما كان يتمناه من النصر

(١) الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٣٩ - ٣٤٠ بتصرف .

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي : البداية والنهاية ، تحقيق : أكرم عبد اللطيف البوشي، ط إيبكس - بيروت، نشر دار ابن كثير - دمشق ، ط ٢ ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م ج ٨ ص ١٥ .

(٣) المرجع السابق ج ٨ ص ١٨٧ .

التامة، فقد تفرق الناس عنه، فاصطلح مع معاوية -عليه السلام- على شروط اشترطها الحسن بنفسه، اختلف المؤرخون في تحديدها.

وقد ساء الشيعة هذا الصلح، ولكن الحسن -عليه السلام- كان حريصاً على دماء المسلمين؛ فأصلح الله به بين فرقتين عظيمتين من المسلمين^(١).

ولكن الأمر لم ينته بذلك بل تطور بشيء لم يكن في حساب أحد، فقد دس أحدهم السم لسبط النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- : الحسن بن علي -عليه السلام- فقال شهادة ربه^(٢)؛ فأرسل الشيعة للحسين -عليه السلام- يعزونه في مقتل أخيه، ويطلبون منه الخروج على معاوية -عليه السلام- ولكنه لم يستجب لهم حفاظاً على عهد أخيه مع معاوية -عليه السلام-^(٣)، وما لبث معاوية -عليه السلام-: أن طلب البيعة لابنه يزيد^(٤)، ولكن الحسين -عليه السلام- لم يبايع وخرج وكانت المأساة كما هو معلوم في كتب السير، وقام الشيعة بأول حركة خروج على الحاكم ضد الأمويين بقيادة حُجر بن عدي^(٥)، لكن الحركة انتهت بقتل حجر وبعض أتباعه، وبعدها سكنت الشيعة خوفاً من القتل.

ولما مات معاوية -عليه السلام- وطلب يزيد بيعة أهل المدينة، أبى عليه الحسين -عليه السلام-، أن يبايعه، وبعدها أرسل له أهل الكوفة أن يخرج إليهم، فخرج مع أهل بيته جميعاً إلا محمد بن الحنفية^(٦) الذي نصحه بعدم الخروج لهم، ولكنه لم يستجب^(١).

(١) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، نشر دار الحديث - القاهرة، ط ٣، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ج ٥ ص ٣٤٦.

(٢) قيل إن الذي دس له السم امرأته. انظر الزركلي: الأعلام ج ٢ ص ٢٠٠.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ج ٨ ص ٢١٩-٢٢٠. سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٨٢-٣٨٣.

(٤) يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بْنِ أُمَيَّةَ أَبُو خَالِدٍ الْقُرَشِيُّ، غَزَا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ، وَكَانَ أَمِيرَ الْجَيْشِ، وَفِيهِمْ مِثْلُ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، تَسَلَّمَ الْمَلِكُ سَنَةَ سِتِّينَ، وَلَهُ ثَلَاثٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، فَكَانَتْ دَوْلَتُهُ أَقَلَّ مِنْ أَرْبَعِ سِنِينَ؛ وَلَمْ يُمَهِّلْهُ اللَّهُ عَلَى فِعْلِهِ بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ لَمَّا خَلَعُوهُ، لَا نَسْبُهُ وَلَا نُحْبَهُ، تُوْفِيَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ. الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٧٣-٧٦.

(٥) حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ رَبِيعَةَ الْكِنْدِيِّ وَهُوَ حُجْرُ الْخَيْرِ، وَأَبُوهُ عَدِيُّ الْأَدْبَرُ، لَهُ صُحْبَةٌ، مِنْ شِيعَةِ عَلِيِّ شَهِدَ صِفِّينَ أَمِيرًا، مَاتَ ٥١ هـ. الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٩٦-٤٩٩.

(٦) محمد بن الحنفية: محمد بن علي بن أبي طالب، ولد ٢١ هـ، كنيته: أبو القاسم، أمه: خوله بنت جعفر الحنفية، ينسب لها تميزاً له عن الحسنين، وكان يقول: الحسن، والحسين أفضل مني،

ولكنه لم يكن متأكداً من نصرة أهل العراق ، فقد سأل : ما حال أهل العراق ، فكانت الإجابة التي سطرها التاريخ بحروف من دماء الحسين -عليه السلام- : " قُلُوبُهُمْ مَعَكَ ، وَسُيُوفُهُمْ مَعَ بَنِي أُمَيَّة " (٢) ، وحينها تأكد الحسين -عليه السلام- من صدق أخيه الحسن بن علي -عليه السلام- حين قال -عليه السلام- عن شيعته : " أرى - والله - معاوية خيراً لي من هؤلاء ، يزعمون أنهم لي شيعة ، وقد ابتغوا قتلي ، وانتهبوا ثقتي ، وأخذوا مالي ، والله لئن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي ، وآمن به في أهلي ، خير لي من أن يقتلوني فتضيع أهل بيتي وأهلي ، والله لو قاتلت معاوية ؛ لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً " (٣) .

وهنا خير الحسين -عليه السلام- أهله بين أمرين : إما البقاء معه والقتل ، أو الرجوع ؛ فإن القوم لا يريدون غيره ، فأبوا إلا البقاء معه لنيل الشهادة ، وهنا زفت إليهم الشهادة في واقعة كربلاء ، التي كانت ولا تزال ذكرى تنفطر لها قلوب المحبين لآل البيت .

بعد واقعة كربلاء : تطور الأمر حيث كانت تسمية الشيعة غير مرتبطة بمفهوم معين كما هو الحال اليوم ، فإنهم كانوا يقولون : شيعة علي -عليه السلام- وشيعة الحسن -عليه السلام- ، وشيعة الحسين -عليه السلام- ، حتى تتميز عن غيرهم ، ولكن وبعد واقعة كربلاء انصرف المسمى إلى الشيعة الإمامية.

وفي سنة ٦١هـ قتل الحسين -عليه السلام- ، وبدأ بعض الشيعة يبدون ندمهم على عدم نصرتهم له ، وحاولوا التجمع لقتل من قتل الحسين ، لكنهم لم يستطيعوا ذلك حتى مات يزيد بن

وأنا أعلم منهما ، كان واسع العلم ، ورعا ، أسود اللون ، مولده ووفاته بالمدينة ، سنة ٨١هـ ، وقيل:

٨٣هـ . القمي : المقالات والفرق ص ١٦٣ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ١٢٩-١٤٣ .

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢١٩-٢٣٠ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٨٢-٤٠٠ .

(٢) أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبين، ط أمير، انتشارات الشريف الرضي- قم ، ط ٢ ، ١٤١٦هـ /

١٣٧٤ش ص ١١١ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٠ .

معاوية ، فخرجوا في عام ٦٥هـ ، في أربعة آلاف على رأسهم سليمان بن صرد ^(١) ، وسموا بالتوابين ؛ وفشلت ^(٢) .

ثم ظهر المختار الثقفي ؛ ليطالب بثار الحسين ، واستطاع أن يقتل بعضهم ، ودعا بإمامة محمد بن الحنفية - رحمه الله - ، وحاول إقناعه بذلك ، لكنه رفض ، وخاطب علي بن الحسين السجاد ^(٣) ليقتعه بالخروج على بني أمية ، ولكنه رفض ؛ فنأى بإمامة محمد بن الحنفية ، وهذه هي أول فرقة تنفصل عن القول بإمامة الاثني عشر وهي : الكيسانية ^(٤) ، التي تقول بإمامة محمد بن الحنفية - رحمه الله - ^(٥) ، وبعدها كان هذا دأبهم كلما اختلفوا . وهنا : سطع نجم الإمام زين العابدين - علي بن الحسين - الزاهد العابد محارب الغلو الذي قال للشيعنة يوماً : أحبونا حب الإسلام ، الله - عز وجل - ؛ فإنه فما برح بنا حاكم حتى صار علينا عاراً ^(٦) ، وقال : أتاني نفر من أهل العراق ؛ فقالوا : في أبي بكر وعمر وعثمان - ؓ - فلما فرغوا ؛ قال لهم علي بن الحسين : ألا تخبرونني ؟ أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ؟ قالوا : لا ، قال : فأنتم الذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون

(١) سُلَيْمَانُ بْنُ صُرْدٍ أَبُو مُطَرِّفٍ الْخَزَاعِيُّ الْكُوفِيُّ، الْأَمِيرُ، الصَّحَابِيُّ، لَهُ رِوَايَةٌ يَسِيرَةٌ، كَانَ مِنْ كَاتِبِ الْحُسَيْنِ ؛ لِتَبَايَعِهِ، فَلَمَّا عَجَزَ عَنْ نَصْرِهِ نَدِمَ، وَخَرَجَ فِي جَيْشٍ تَابُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ خِذْلَانِهِمُ الْحُسَيْنِ، وَسُمُّوا جَيْشَ التَّوَابِينَ، لِحَرْبِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ؛ فَالْتَحَمَ الْقِتَالُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَقُتِلَ خَلْقٌ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ سَنَةَ ٦٥هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٩٤ - ٣٩٥ .

(٢) وسميت الواقعة : عين وردة . ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ٣٥٣ - ٣٥٩ .

(٣) علي بن الحسين زين العابدين أبو محمد، وأبو الحسين، وأبو الحسن، وأبو عبد الله . وأمه : أم ولد، وُلِدَ ٣٨هـ ، وقيل : ٣٣هـ، كَانَ مَعَ أَبِيهِ يَوْمَ كَرْبَلَاءَ ، وَلَهُ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ، وَلَمْ يُقَاتِلْ ، وَهُوَ عَلِيُّ الْأَصْغَرُ ، قُبِضَ بِالْمَدِينَةِ ٩٥هـ ، وَقُبِرَ بِالْبُقَيْعِ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٢٣ - ٣٣٤ . الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ١٩٩ .

(٤) الكيسانية : القائلون بإمامة محمد بن الحنفية ؛ لأنه كان صاحب راية أبيه يوم الجمل ، أو بوصية من الحسين له، ويسمون : الكيسانية والمختارية ؛ لأن الذي دعاهم إلى ذلك : المختار الثقفي ، وكان لقبه كيسان ، وبعد قتل المختار ادعى أتباعه أنه وصي محمد بن الحنفية . لأشعري القمي : المقالات والفرق ص ٢١-٢٣ . البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٧ - ٢٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣ ص ١٦٢ . النوبختي : فرق الشيعة ص ٥٨ - ٥٩ .

(٥) الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ١٩٢ .

(٦) أبو نعيم : حلية الأولياء ج ٣ ص ١٣٦ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٢٥ .

من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ؟ قالوا : لا ، قال : أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين ؛ ثم قال : أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(١)، اخرجوا فعل الله بكم ، يا أهل الكوفة لا ترفعونا فوق حقنا ^(٢).

ولكنه لاقى من الحجاج ^(٣) أشد العداة ، حتى تولى عمر بن عبد العزيز ^(٤) - رحمه الله - ، الذي أمر بترك لعن علي - عليه السلام - على المنابر ، وحذر من المساس بحقوق آل البيت ، ورد لهم الخمس ، وفدك ، وسماها مظالم ^(٥).

وظل الأمر على ذلك ، حتى ظهر زيد بن علي بن الحسين ^(٦) أخو الإمام الباقر ^(٧) ، في زمن هشام بن عبد الملك ^(٨) ، فاتهمه هشام بطلب الخلافة ونفاه ، وخرج على هشام برغم

(١) سورة الحشر : آية رقم ١٠ .

(٢) أبو نعيم الأصبهاني : حلية الأولياء ج ٣ ص ١٣٧ .

(٣) الحجاج بن يوسف الثقفي : كَانَ ظُلُومًا ، جَبَّارًا ، نَاصِبِيًّا ، خَبِيثًا ، سَقَاكَ لِلدَّمَاءِ ، وَكَانَ ذَا شَجَاعَةٍ ، وَإِقْدَامٍ ، وَمَكْرٍ ، وَدَهَاءٍ ، وَفَصَاحَةٍ ، وَبِلَاغَةٍ ، وَتَعْظِيمٍ لِلْقُرْآنِ ، نَسْبُهُ ، وَلَا نُحْبُهُ ، بَلْ نُبْغِضُهُ فِي اللَّهِ ، وَلَهُ حَسَنَاتٌ مَغْمُورَةٌ فِي بَحْرِ ذُنُوبِهِ ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ ، وَلَهُ تَوْحِيدٌ فِي الْجُمْلَةِ ، أَهْلَكَهُ اللَّهُ ٩٥ هـ ، كَهَلًا .
الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٩٤-٢٩٥ .

(٤) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم : القرشي، الأموي، أمير المؤمنين، أمه : أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولي إمرة المدينة للوليد ، وكان مع سليمان كالوزير ، وولي الخلافة بعده ، فعد مع الخلفاء الراشدين، ولد ٦٣ هـ ، وتوفي ١٠١ هـ ، ومدة خلافته سنتان ونصف، من الطبقة الرابعة ، ثقة ، مأمون ، وكان إمام عدل - رحمه الله - .
الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٥٦٦ - ٥٩١ .

(٥) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٦) زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَبُو الْحُسَيْنِ الْهَاشِمِيُّ ، الْعَلَوِيُّ ، الْمَدَنِيُّ ، ذَا عِلْمٍ ، وَجَلَالَةٍ ، وَصَلَاحٍ ، خَرَجَ ، فَاسْتَشْهَدَ ، عَاشَ نَيْفًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَقُتِلَ : ١٢٢ هـ .
الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ١٩٦-١٩٨ .

(٧) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين: قيل له الباقر لأنه توسع في العلم، ولد بالمدينة ٥٧ هـ ، أو ٥٦ هـ ، ومات ١١٧ هـ ، أو ١١٨ هـ ، أو ١١٤ هـ ، وقبره بالقيع .
سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٣٤ - ٣٣٩ .
المقالات والفرق ص ١٧٦ .

تحذير جميع آل البيت له ؛ فقتله هشام وصلبه ، وبذلك ظهرت فرقة الزيدية ، وفرقة الرافضة الذين امتحنوه ؛ فقالوا : ما تقول في أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- ، فقال : أتولاهما وأتولى من يتولاهما ، فقالوا : إذا نحن نرفضك ؛ فسموا الرافضة ، وبعده خرج ولده يحيى^(٢)؛ فقتل^(٣)، وكان ذلك زمن الإمام الصادق، ومن هنا تحددت سلسلة الأئمة كالتالي:

١. أبو الحسن علي بن أبي طالب ، الملقب بالوصي ، والمرضى .

٢. أبو محمد الحسن بن علي المجتبى ، والزكي .

٣. أبو عبد الله الحسين بن علي الشهيد .

٤. أبو محمد زين العابدين علي بن الحسين السجاد ، يقال له : الأصغر ؛ ليميز عن أخيه الأكبر^(٤).

٥. أبو جعفر محمد بن علي الباقر .

٦. أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق .

(١) هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَبُو الْوَلِيدِ الْفَرَسِيُّ، الْأُمَوِيُّ، الدَّمَشْقِيُّ. وَلَدَ ٧١ هـ / ٦٩٠ م ، وَاسْتُخْلِفَ بَعْدَهُ مَعْقُودٌ لَهُ مِنْ أَخِيهِ يَزِيدَ ١٠٥ هـ ، كَانَ يَكْرَهُ الدَّمَاءَ ، وَلَقَدْ دَخَلَهُ مِنْ مَقْتَلِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَأَبْنَاهُ يَحْيَى أَمْرٌ شَدِيدٌ، حَتَّى قَالَ: وَدِدْتُ لَوْ كُنْتُ أَفْتَدِيَهُمَا ، مَاتَ ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ١٦٥-١٦٦. الزركلي: الأعلام ج ٨ ص ٨٦ .

(٢) يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ولد ٩٨ هـ / ٧١٦ م ، أحد الأبطال، ثار مع أبيه على بني مروان ، وقتل أبوه ، وصلب بالكوفة، ودعا إلى نفسه سراً ، فطلبه أمير العراق يوسف بن عمر؛ فقبض عليه نصر بن سيار ، وصلب جسده بالجوزجان سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م ، وبقي مصلوباً إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني ، فأنزل جثة يحيى فصلى عليها ودفنها . انظر الزركلي : الأعلام ج ٨ ص ١٤٦ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٧ ص ١٦٠ - ١٧٣ .

(٤) عَلِيُّ الْأَكْبَرُ بْنُ الْحُسَيْنِ وَلَدَ فِي خِلاَفَةِ عَثْمَانَ ، أُمُّهُ بَرَّةُ بِنْتُ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ النَّخَعِيِّ ، كُنْيَتُهُ : أَبُو الْحَسَنِ ، وَلَيْسَ لَهُ عَقَبٌ، وَذَكَرَهُ مَعَاوِيَةُ يَوْمًا؛ فَقَالَ: فِيهِ شَجَاعَةُ بَنِي هَاشِمٍ، وَسَخَاءُ بَنِي أُمِيَّةٍ ، قَالَ لِأَبِيهِ يَوْمَ كَرْبَلَاءَ: ارْجِعْ يَا أَبَاهُ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، وَغَدْرُهُمْ ، وَقِلَّةُ وَقَائِهِمْ ؛ قَتَلَ ٦١ هـ. الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ٢٧٧ . بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٣٣٠ .

٧. أبو إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم (١).

٨. أبو الحسن علي بن موسى الرضا (٢).

٩. أبو جعفر محمد بن علي الجواد ، والتقي (٣).

١٠. أبو الحسن علي الهادي ، والنقي (٤).

١١. أبو محمد الحسن بن علي ، العسكري (٥).

(١) موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، الكاظم كُنْيَتُهُ : أَبُو الْحَسَنِ الْعَلَوِيُّ ، وأبو محمد ، وأبو إبراهيم ، وأبو علي، أمه أم ولد ، يقال لها : حميدة البربرية ، ولد ١٢٩هـ ، أو ١٢٨هـ بالمدينة ، حمل هارون موسى معه إلى بغداد، وحبسه به إلى أن توفي في محبسه مسموماً ١٨٣هـ ، أو ١٨٦هـ ، وله خمس وخمسون سنة . الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٤٧٦-٤٧٩ . الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ٢٢٢-٢٢٣ . الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ٣٢١ .

(٢) علي بن موسى بن جعفر : الرضي ، كنيته : أبو القاسم ، وأبو الحسن ، أمه أم ولد حبشية ، يقال لها أم أنس ، كان أسود اللون، ولد : ١٥٣هـ بالمدينة، وقيل : ١٥١هـ ، وقيل : ١٤٨هـ ، وكان المأمون زوجه ابنته أم حبيب سنة ٢٠٢هـ ، وجعله ولي عهده، وضرب اسمه على الدينار والدرهم ، ومات بطوس في حياة المأمون سنة ٢٠٣هـ ، وقيل : ٢٠٢هـ . الأشعري القمي: المقالات والفرق ص ٢٣٥ . الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ٢٥٢-٢٥٦ . الزركلي: الأعلام ج ٥ ص ٢٦ .

(٣) محمد بن علي بن موسى بن جعفر الجواد ، كنيته أبو جعفر ، ولد سنة ١٩٥هـ بالمدينة ، وكان رفيع القدر كأسلافه ، كفله المأمون بعد وفاة أبيه ، ورباه ، وزوجه ابنته أم الفضل ، توفي : ٢١٩هـ أو ٢٢٠هـ ببغداد ، وحملت امرأته إلى قصر عمها المعتصم ، ، وله خمس وعشرون سنة . الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ٢٤٠ . حمزة النشرتي وآخرون : سيرة آل بيت النبي، ط مكتبة النشرتي - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ج ٣ ص ٣ - ١٤ .

(٤) علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الهادي ، كنيته : أبو الحسن الهاشمي ، ولد بالمدينة ٢١٢هـ ، أشخصه جعفر المتوكل من المدينة إلى بغداد ، ثم إلى سر من رأى، إلى أن توفي ودفن بها في أيام المعتز بالله سنة ٢٥٤هـ ، وله إحدى وأربعون سنة وتسعة أشهر ، قبره بداره بها . حمزة النشرتي وآخرون : سيرة آل بيت النبي ج ٣ ص ١٦ - ٢٠ .

(٥) أبو محمد الحسن بن علي العسكري ، أمه أم ولد ، يقال لها : حديثه ، ولد سنة ٢٣١هـ ، أو ٢٣٢هـ ، توفي: ٢٦٠هـ بسر من رأى ، ودفن بجانب قبر أبيه ، وله ٢٨ سنة، وله أخ يدعى جعفرًا ؛ فسماه الشيعة جعفر الكذاب. الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ٢٤٩ .

١٢. أبو القاسم محمد بن الحسن العسكري ^(١).

من هم الرافضة ؟ الروافض في اللغة : كل جند تركوا قائدهم ، والرافضة فرقة من الشيعة ، سموها بذلك : لأنهم بايعوا زيدا بن علي - عليه السلام - ، ثم قالوا له: تبرأ من الشيخين ، فأبى وقال : لا كانا وزيرين جدي - عليه السلام - فتركوه ^(٢) ، ورفضوه ، وانفضوا عنه ، ورفضوا نصحه ؛ فسموا رافضة ^(٣) ، وهناك آراء أخرى في سبب تسميتهم مجملها :

القول الأول : أنهم سموا روافض لرفضهم إمامة زيد بن علي : حين طلبوه أن يتبرأ من الشيخين ، فرفض ؛ فقالوا: إذا نرفضك ، ونرفض ولايتك ، فأرادوا أن يطابقوا عقيدتهم بعقيدته ، ولما اختلفوا عليه تولوا جعفر الصادق ، لأن زيدا خالف مذهب آبائه في الأصول، وفي التبري والتولي ^(٤).

القول الثاني : سموا روافض ؛ لرفضهم لإمامة الشيخين ^(٥) ، سواء تولاهما زيد أم لا .
القول الثالث : سموا روافض ؛ لرفضهم مناصرة أئمتهم ، وغدرهم بهم ، وعدم وفائهم لهم ، واستدلوا بقول الإمام علي - عليه السلام - : " لو ميزت شيعتي لما وجدتكم إلا واصفة ، ولو امتحنتهم لما وجدتكم إلا مرتدين ، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد " ^(٦).
القول الرابع : سموا رافضة لرفضهم الدين ، سماهم به الناس بعد طعنهم في أبي بكر ؛ فمنعهم من ذلك زيد بن علي ؛ فرفضوه ؛ فقال لهم : رفضتموني ؛ فقالوا نعم ؛ فبقي عليهم هذا الاسم ^(٧) .

(١) محمد بن الحسن العسكري ، الإمام الثاني عشر عند الإمامية وممن قال : إن الحسن العسكري لم يعقب: الطبري، ويحيى بن صاعد، وناهيك بهما معرفة، وثقة. الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٢٠-١٢٢.

(٢) محمد مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، مادة (رفض) ج ٥ ص ٣٤ .

(٣) مجمع اللغة العربية المصرية : المعجم الوجيز ، مادة (رفض) ص ٢٧١ .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢٧ .

(٥) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٨٩ .

(٦) الكليني : الروضة من الكافي ج ٧ ص ١٨٤ . د أحمد سيد أحمد علي : التقريب بين أهل السنة والشيعة ، نشر دار اليقين - المنصورة ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م ص ٤٤ .

(٧) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ، ج ١ هامش ص ٨٩ . د محمد خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية ، ط دار ابن رجب ، دار الفوائد - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م ص ١٦٩ .

القول الخامس : لما توفي أبو جعفر افتقرت أصحابه فرقتين ، فرقة منهم قالوا : بإمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الخارج بالمدينة المقتول بها، وزعموا أنه القائم ، وأنه مقيم بجبل العلمية بين مكة ونجد ، وكان أخوه إبراهيم ^(١) خرج بالبصرة ودعا لإمامة أخيه ، وكذلك المغيرة بن سعد ^(٢) لما توفي أبو جعفر محمد بن علي ، وأظهر المقالة بذلك ؛ فبرئت منه الشيعة أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد ، ورفضوه ؛ فزعم أنهم رافضة ، وأنه هو الذي سماهم بهذا الاسم ^(٣) .

القول السادس : سموا رافضة لرفضهم محبة أكثر الصحابة -ﷺ- ، وتكفيرهم ، وطعنهم في الشيخين -ﷺ- ، ورفضهم لإمامتهما ^(٤) .

الرأي الرابع : القول الثاني ؛ نظراً لثبوته تاريخياً ، ولأنه يجمع الآراء الأخرى ، فالشيعة لما رفضوا ولاية الشيخين كان سبباً في عدم الاعتراف بولاية الإمام زيد - رحمه الله - فلا يعدوا أن يكون كل منهما سبباً للآخر ، وهم كذلك لم يناصروا الإمام زيد حين أعلن موقفه من الشيخين ، وكذلك رفضوا محبة الصحابة الذين لم يناصروا آل البيت ؛ فالكل نتيجة لسبب واحد وهو رفض إمامة الشيخين .

الرافضة والشيعة بين العموم والخصوص : اختلف علماء الإسلام في تعيين الموصوف بالرافضة من بين عموم الشيعة ، وملخص هذه الآراء يدور حول ثلاثة مذاهب :-
المذهب الأول : أطلق هذه التسمية على عموم الشيعة ، بل جعلوه لفظاً لا يفارقهم ، حيث جعلوا كل الفرق تنبثق من الروافض ، وهم أربعة أصناف : زيدية ، وإمامية ،

(١) إبراهيم بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن علي بن أبي طالب الهاشمي المدني : عده الطوسي من رجال الصادق ، قتل ١٤٥ هـ ودفن بالكوفة ، كنيته أبو الحسن ، ولقب بأمر المؤمنين ، فقتله عيسى بن موسى بأمر المنصور . النوبختي : فرق الشيعة ص ١٠٨ .

(٢) المغيرة بن سعد البجلي الأبتري بن أكرم الطائي ، تنسب له البترية من الزيدية ، عاصر الباقر ، وكان يكذب عليه ، وصرح أبو جعفر بلعنه ؛ وذلك أنه أفشى سر أبيه الباقر وهو عند الشيعة من المذمومين ، المطعونين ، الكذابين ، ومتهم بالكفر والزندقة . الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢٩٠ .

(٣) النوبختي : فرق الشيعة ص ١٠٧ - ١٠٨ بتصرف .

(٤) د عبد القادر صوفي : دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية ، ط أضواء السلف - الرياض ، ١٣٨٦ هـ / ٢٠٠٥ م ص ١٣ .

وكيسانية ، وغلاة ^(١)، ومنهم من قسم الشيعة باعتبار الرفض إلى قسمين: روافض يدخلون في زمرة المسلمين ، وروافض لا يدخلون في زمرة المسلمين ^(٣) .

المذهب الثاني : الرافضة فرقة من فرق الشيعة المسماة بالإمامية ؛ حيث قسم الشيعة إلى أصناف غلاة ، وغيرهم ، وعد الرافضة إحدى فرق الغلاة ، وقسمها إلى ١٥ فرقة ^(٤).

المذهب الثالث : وصف الرافضة ينطبق على جميع فرق الشيعة عدا الزيدية ؛ واستدل بقصة زيد بن علي معهم ^(٥)، ويؤيده كلام ابن حزم - رحمه الله - : إن جميع الزيدية لا يختلفون أن الإمامة في جميع ولد علي ، ولكن بلا نص ، مع القول بأن علياً كان أفضل أهل زمانه وأحقهم بالأمر بعد النبي ، وقالت الروافض : الإمامة في علي وولده بالنص عليه وأن الصحابة اتفقوا على ظلمه ، وعلى كتمان نص النبي - ﷺ - ^(٦).

ولذا أوجب كثير من العلماء التفرقة بين الروافض والزيدية ، لأنك إذا أردت أن تفرق بين المعتدلين ، وجدت أقربهم لأهل السنة الزيدية ، وغلاتهم أشهرهم الرافضة ^(٧) .

الرأي الرابع : الرأي الأخير ؛ لأنه الأقرب للصواب بالنظر إلى الفرق الشيعية الموجودة في عصرنا الحاضر ؛ بدليل اجتماعهم على رفض خلافة الشيخين ما عدا الزيدية ^(٨).

أثر وصف الرافضة على مسمى الشيعة بين المدح والذم : بعد اندثار كثير من فرق الشيعة ، التصقت تسمية الرافضة بالشيعة الاثني عشرية أكثر من ذي قبل ؛ لأنها أكثر فرق الشيعة الآن عدداً وشهرة ، حتى إنه بمجرد ذكر الرافضة يتجه الفكر إليهم بلا روية ، وذلك يحتم علينا

(١) الغلاة : ينسبون إلى الشيعة الإمامية ، والإمامية يلغونهم ، يجمعون على تأليه علي والأئمة ، ويعتبرونهم صوراً يتمثل فيها الجوهر الإلهي بذاته، وجثمانية الجوهر حادث طارئ . القمي : المقالات والفرق ص ١٧٩-١٨٠.

(٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٣٥-٣٦ .

(٣) د/ أحمد سيد أحمد علي التقريب بين أهل السنة والشيعة ص ٤٥.

(٤) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٦٦-٦٩ بتصرف .

(٥) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٣٥-٣٦.

(٦) ابن حزم الظاهري : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ٤ ص ١٥٦-١٥٧ بتصرف.

(٧) د أحمد سيد أحمد علي : التقريب بين أهل السنة والشيعة ص ٤٦.

(٨) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢٧.

أن ننظر في رأي علماء الاثني عشرية في الاعتراف بهذه التسمية لنحدد موقفنا من هذه التسمية .

الرأي الأول : يطلق هذه التسمية من باب الذم لهم : وهذا على - حد زعم الشيعة - دأب أهل السنة ، أو ما يسمونهم بأعداء أهل البيت ، فهم دائماً يلقبون الشيعة بأوصاف توحى بالذم لهم مثل : " شيعة أبي تراب" ^(١)، وكانوا يسمونهم في عهد الحجاج علوية ، ثم لقبوهم بعد ذلك بالرافضة، ويهود أمة الإسلام ^(٢).

قال رسول الله -ﷺ-: يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يُنْبِزُونَ الرَّافِضَةَ يَرْفُضُونَ الْإِسْلَامَ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ" ^(٣)، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: " يَكُونُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يُسَمُّونَ الرَّافِضَةَ ، يَرْفُضُونَ الْإِسْلَامَ وَيَفْظُونَهُ ، فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ" ^(٤)، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: " يَا عَلِيُّ، سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ يَنْتَحِلُونَ حُبَّنا أَهْلَ الْبَيْتِ، لَهُمْ نَبْرٌ يُسَمُّونَهُ الرَّافِضَةَ" ^(٥)، ويقول طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ ^(٦) - رحمه الله - : " لَوْلَا أَنِّي عَلَى وَضْعٍ لَأَخْبَرْتُكَ بِمَا يَقُولُ الرَّافِضَةُ" ^(٧)، وَسُئِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ^(٨) - رحمه الله - عَنْ الصَّلَاةِ خَلْفَ أَصْحَابِ الْأَهْوَاءِ، فَقَالَ : " يُصَلِّي خَلْفَهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ دَاعِيَةً إِلَى بِدْعَتِهِ مُجَادِلًا بِهَا ، إِلَّا هَذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ

(١) الذي كنى علياً -عليه السلام- بأبي تراب هو رسول الله -ﷺ- وكانت أحب الكنى إليه ، وكان أهل الشام حينما قتل عبيد الله بن زياد سنة ٦٧ هـ يقولون : يا شيعة أبي تراب ، يا شيعة المختار الكذاب ، فقالوا : يا لثارات الحسين . ابن حجر : فتح الباري ج ١ ص ٦٢٧ . النووي : شرح مسلم ج ١ ص ١٩٠ . تاريخ الطبري ج ٦ ص ٨٧-٨٨ .

(٢) أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء ج ٦ ص ٣٨٥ .

(٣) المرجع السابق : ج ٤ ص ٩٥ .

(٤) الطبراني: المعجم الكبير ج ١٢ ص ٢٤٢ .

(٥) أبو نعيم : حلية الأولياء ج ٤ ص ٩٥ - ٩٦ . الطبراني: المعجم الكبير ج ١٢ ص ٢٤٢ .

(٦) طَلْحَةُ بْنُ مُصَرِّفٍ بنِ عَمْرِو الهَمْدَانِيُّ، الْكُوفِيُّ، مُحِبٌّ لِعُثْمَانَ، تُوْفِيَ ١١٢ هـ. سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٣١ - ٣٣ .

(٧) أبو نعيم : حلية الأولياء ج ٥ ص ١٥ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٣٢ .

(٨) عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ بنِ حَسَّانِ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاقِذُ، سَيِّدُ الْحَفَاطِ، أَبُو سَعِيدٍ الْعَنْبَرِيُّ ، وَالْأَزْدِيُّ ، الْبَصْرِيُّ، الثُّلَوِيُّ ، وَلِدَ ١٣٥ هـ ، كَانَ يَكْرَهُ الْجُلُوسَ لَذِي هَوًى أَوْ رَأْيٍ . تُوْفِيَ ١٩٨ هـ . الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٨ ص ١٢٥ - ١٣٤ .

: الْجَهْمِيَّةُ وَالرَّافِضَةُ ؛ فَإِنَّ الْجَهْمِيَّةَ كُفَّارٌ بِكِتَابِ اللَّهِ - ﷻ-، وَالرَّافِضَةُ يَنْتَقِصُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- ^(١) ، وكفى بتلك الروايات دليلاً على ذم التسمية .

الرأي الثاني : من يتشرف بالتسمية : يروي الشيعة زعماً أن أبا جعفر قال: أنا من الرافضة ثلاثاً ^(٢)، وقيل لأبي جعفر: اسم سُمينا به ؛ استحلّت به الولاية دماننا ، وأموالنا ، وعذابنا ، قال : وما هو ؟ قيل : الرافضة، قال : إن سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون ، فأتوا موسى - ﷺ- فلم يكن في قوم موسى الرافضة ، فأوحى الله إلى موسى أن ثبت لهم هذا الاسم في التوراة ، فإني قد نحلّتهم إياه ، وذلك اسم قد نحلّموه الله ، وفي رواية : سماكم الله به في التوراة والإنجيل على لسان موسى وعيسى - ﷺ- ^(٣)، مما حداهم أن يتفاخروا بهذا الاسم ، بعدما قيل لأبي عبد الله : جعلت فداك ، فإننا قد نبّزنا نبزاً ^(٤) ، انكسرت له ظهورنا ، وماتت له أفئدتنا ، واستحلّت له دماننا ، في حديث رواه له فقهاؤهم - يعني أهل السنة - ، فقال أبو عبد الله : الرافضة قيل : نعم ، قال : لا والله ما هم سمؤكم ، ولكن الله سماكم ، رفضوا الخير ، ورفضتم الشر ، افترق الناس كل فرقة ، وتشعبوا كل شعبة ، فانشعبتم مع أهل بيت نبيكم، وذهبت حيث ذهبوا ، واخترتم من اختار الله لكم ، فأبشروا ، ثم أبشروا ، فأنتم والله المرحومون ^(٥) .

سادساً : آراء العلماء في عدد فرق الشيعة :

القول الأول : يقسم الإمام الأشعري الشيعة إلى ثلاثة أصناف : { الغالية ^(٦) } ، والرافضة الإمامية ، والزيدية { ، وهذه الفرق بمجموعها تنقسم إلى خمسة وأربعين فرقة ^(٧) .

القول الثاني : الشيعة اثنتان وعشرون فرقة يكفر بعضهم بعضاً ، أصولهم ثلاثة : { الزيدية ، الغلاة ، الإمامية } ^(١) .

(١) أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء ج ٩ ص ٧ .

(٢) الشيخ على النمازي الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ٤ ص ١٧١ .

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٩٧ . على الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ٤ ص ١٧١ .

(٤) النبز: التداعي بالألقاب السيئة ، ومنه : التنازع بالألقاب . المعجم الوجيز ، مادة نبز ص ٥٩٩ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٤٩ بتصرف . الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٣٤ .

(٦) الغالية : فرق تجمعهم أربع بدع : التشبيه ، والبداء ، والرجعة ، والتناسخ ، منهم : المعاوية ، المغيرة ، وأتباع محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي ، والسبئية ، والمنصورية . الأشعري

القمي: المقالات والفرق ص ٤٣ - ٤٨ . الشهرستاني: الملل والنحل ص ١٤١ .

(٧) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ص ٥ - ٦١ .

- القول الثالث :** يقسمها إلى أربعة: { الزيدية ، والإمامية ، والكيسانية ، والغلاة }^(٢).
- القول الرابع :** يجمع أصول الشيعة في أربع فرق: { الزيدية ، والإمامية ، والغلاة ، والكيسانية } ، ويتفرعون إلى خمس وثلاثين فرقة ^(٣).
- القول الخامس :** يفرقهم الشهرستاني^(٤): إلى خمس فرق : { الزيدية ، والإمامية ، والكيسانية ، والإسماعيلية ^(٥) ، والغلاة } ، وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال ، وبعضهم يميل إلى السنة ، وبعضهم يميل إلى التشبيه ^(٦).
- القول السادس :** يقسمهم لروافض يدخلون في زمرة المسلمين ، وعددهم عشرون فرقة ، وأصولهم ثلاثة: { الزيدية، الكيسانية ، الإمامية ، وروافض لا يدخلون في زمرة المسلمين ، وهم ست : البيانية ^(٧)، والمغيرية ^(٨)،

- (١) عضد الدين الإيجي : المواقف في علم الكلام ، نشر عالم الكتب - بيروت ، دت ص ٤١٨ .
- (٢) البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٣٥ - ٣٦ .
- (٣) فخر الدين الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ط م النهضة المصرية ، دت ص ٥٢ .
- (٤) الشهرستاني : أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، شيخ الكلام، والحكمة، صاحب التصانيف، ولد بشهرستان ٧٤٩هـ / ١٠٨٦م ، برع في الفقه، والأصول، كان إمامياً، إمام عصره في علم الكلام، مات ٥٤٨هـ، صاحب الملل والنحل. الملل والنحل ص ٣-٤. الزركلي: الأعلام ج ٦ ص ٢١٥. سير أعلام النبلاء ج ١٥ ص ٨٨-٨٩ .
- (٥) الإسماعيلية : من غلاة الشيعة ، القائلون : بإمامة إسماعيل بن جعفر بعد أبيه الصادق ، ثم ابنه محمد الإمام السابع عندهم ؛ ولهذا سميت بالسبعية ، من ألقابهم الباطنية ، والقرامطة ، والمزكية ، والتعليمية ، والملحدة ، نفو الصفات ، وأنكروا الفرائض ، ويؤولون النصوص بعيداً عن مقاصد الشريعة . الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٥٣ - ١٥٩ . ابن العطار : الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ص ٢١٩ . الإمام محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب الإسلامية ص ٥٠ - ٥٣ .
- (٦) أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢١ .
- (٧) البيانية : أتباع حمزة بن عمار البربري ، ادعى النبوة ، وأن محمد بن الحنفية هو الله ، فتبعه على ذلك بيان بن سمعان أوائل القرن الثاني الهجري ، وكان تبنياً في الكوفة ، فادعى أن محمد بن الحنفية أوصى إلى ابنه أبو هاشم عبد الله بن محمد، ثم أوصى أبو هاشم إلى بيان ، قتله خالد بن عبد الله القسري ، وصلبه ، ثم أحرقه . الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ٣٢ - ٣٥ . ابن العطار : الاعتقاد الخالص ص ٢٢٤ . الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢٥ - ١٢٦ .
- (٨) المغيرية : أتباع المغيرة بن سعد البجلي الكوفي ، ادعى أن الإمامة في محمد بن علي الملقب بالنفوس الزكية ، وأنه حي لم يمت ، ثم ادعى الإمامة لنفسه ، ثم النبوة ، وأنه لن يموت ، ولما مات اختلف

والمنصورية^(١)، والجناحية^(٢)، والخطابية^(٣)، والحلولية^(٤)،^(٥).

القول السابع: يقسمهم لثلاث طوائف : الأولى : طائفة من الزنادقة تقول : إِنَّ عَلِيًّا إِلَهٌ ، وَهَؤُلَاءِ لَمَّا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ خَدَّ لَهُمْ أَخَايِدَ عِنْدَ بَابِ الْمَسْجِدِ ، وَأَحْرَقَهُمُ بِالنَّارِ ، وَالثَّانِيَّةُ : " السَّابَّةُ " وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَنْ ابْنِ السَّوْدَاءِ أَنَّهُ كَانَ يَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَطَلَبَهُ لِيَقْتُلَهُ ، فَهَرَبَ مِنْهُ ، وَالثَّالِثَةُ : " الْمُفَضَّلَةُ " الَّذِينَ يُفَضِّلُونَهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ - ع -^(٦).

القول الثامن : بعض كتب الرواية عند الشيعة تجعل فرق الشيعة ثلاث عشرة فرقة ، كلها في النار إلا واحدة؛ روي عن الإمام علي - ع - أنه قال : " وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، اثنتان وسبعون فرقة منها في النار ، وفرقة في الجنة ، وهي التي اتبعت وصي محمد - ع - ، فضرب بيده على صدره ، ثم قال : وثلاث عشرة فرقة من الثلاث

أصحابه ، فقليل : برجعتة ، وقيل: برجعة النفس الزكية . القمي : المقالات والفرق ص ٤٣ - ٤٨ . الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٤٣ .

(١) المنصورية : أصحاب أبي منصور العجلي الكوفي ، وكان أمياً لا يقرأ ، تبرأ منه الباقر ، فادعى أن الله عرج به إليه ، ومسح بيده على رأسه ، وادعى النبوة ، وأن الله اتخذه خليلاً ، وأنه خليفة محمد بن علي بن الحسين ، واستحل المحرمات ، ثم قتله يوسف بن عمر والي العراق أيام هشام هو وأتباعه وصلبهم . الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ٤٣ - ٤٨ . الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٤٤ .

(٢) الجناحية : من غلاة الشيعة أصحاب الحلول ، أتباع عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، ادعى الإمامة لنفسه ، فتبعه بعض المغيرية ، ثم ادعى الربوبية ، وأنهم الحواريون ، وكفروا بالجنة والنار ، واستحلوا المحرمات ، قتلهم أبو مسلم الخراساني ، وأنكر أتباعه قتله ، وادعوا أنه حي . البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢١٦ - ٢١٧ . ابن العطار : الاعتقاد الخالص ص ٣٧٤ .

(٣) الخطابية : أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع الرافضي ، قتله عيسى بن موسى في الكوفة ، وصلبه بالكنايس ؛ لأنه كان يزعم أن علياً هو الإله الأكبر ، وجعفر الصادق الإله الأصغر؛ تبرأ منه جعفر الصادق ، ولعنه ، ويعتقدون الشهادة لكل من حلف عندهم أنه محق ويقولون المؤمن لا يكذب ولا يحلف كاذباً . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٤) الحلولية : عشر فرق غرضهم إفساد القول بتوحيد الصانع ، وأكثرهم يرجع إلى الروافض ، منهم البيانية، والجناحية، والسبئية، والخطابية، والنميرية ، والمقتعة ، والرزامية ، والبركوكية ، والحلمانية، والحلاجية، والعذافرة، يجمعون على استباحة المحرمات . البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٢٥ .

(٥) الاسفرائيني : التبصير في الدين ص ٢٣ - ٤٣ .

(٦) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب : عبد الرحمن العاصمي النجدي الحنبلي، وابنه محمد ، ط دار التقوى - بلبيس ، دت ج ١٣ ص ٣٣ - ٣٤ .

والسبعين كلها تنتحل مودتي وحيي ، وواحدة منها في الجنة ، واثننا عشرة منها في النار " (١). والشيعية يزعمون أنهم الناجون وحدهم ! .

القول التاسع : " إن الرافضة انقسمت إلى عشرين فرقة ، أعظمهم بأساً من يقول : إن علياً هو الله . والغرابية (٢) يقولون : إنه رسول الله ، لكن جبريل عدل بالرسالة عنه إلى محمد -ﷺ- حميةً منه ... في كفر بارد لا تسخنه إلا حرارة السيف ، فأماً دفع المناظرة فلا يؤثر فيه " (٣) .

القول العاشر : الشيعة أربع فرق وهم : الشيعة الأولى (المخلصين) وهم من تابع علياً في وقت خلافته من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم ، وكان معه في صفين أكثر من ٨٠٠ صحابي ممن شهد بيعة الرضوان ، وكان ظهور لقب الشيعة كان عام ٣٧هـ ، والثانية : الشيعة التفضيلية ، الذين يفضلون علياً على سائر الصحابة -ﷺ- من غير إكفار ولا سب ولا بغض ، وظهرت هذه الفرقة بعد الأولى بعامين أو ثلاثة ، الثالثة : السبئية (التبرئية) وهم الذين يسبون الصحابة إلا قليلاً منهم ، وينسبونهم للكفر والنفاق ويتبرأون منهم ، الرابعة : الشيعة الغلاة ، القائلون بألوهية علي -ﷺ- (٤).

القول الحادي عشر : يقول النوبختي : بعد موت النبي -ﷺ- افتقرت فرقة الشيعة إلى ثلاث فرق : فرقة قالت : إن علياً إمام مفترض الطاعة ، وقالت بالنص عليه وعلى أولاده من بعده ، والبترية قالت : إن علياً كان أولى الناس بالإمامة لفضله وسابقته ، وكان أفضل الصحابة ، ولكن علياً سلم الأمر لمن قبله عن رضا نفس ، ورضي المسلمون بذلك ، والجارودية قالت : بكفر من تولى الخلافة قبل علي ، ومن رضي به (٥).

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٥٠ . سليم بن قيس : كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ١٦٩ .
(٢) الغرابية : قوم زعموا أن الله -ﷻ- أرسل جبريل إلى علي ، فغلط في طريقه ؛ فذهب إلى محمد لأنه كان يشبهه ، وقالوا : كان أشبه به من الغراب بالغراب ، والذباب بالذباب ، وزعموا أن علياً الرسول ، وأولاده بعده هم الرسل ، وهذه الفرقة تقول : العنوا صاحب الريش يعنون جبريل -ﷺ- ، ويلعنون محمداً -ﷺ- . البغدادي : الفرق بين الفرق ج ١ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ .

(٣) القاضي أبي بكر بن العربي : العواصم من القواصم ص ٢٤٧ .

(٤) شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي : مختصر التحفة الاثني عشرية ، نقله من الفارسية : غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي ، اختصره : محمود شكري الألويسي ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، نشر المكتبة السلفية - القاهرة ، ١٣٨٣هـ ص ٣ - ٩ .

(٥) النوبختي : فرق الشيعة ص ٥٢ - ٥٦ بتصرف .

الحاصل : بغض النظر عن هذا الخلاف فإن أهم فرق الشيعة ثلاث : (الإمامية ، والزيدية ، والغلاة) كما أن معظم هذه الفرق قد درست ، ولم يبق من هذه الفرق إلا الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، وهم الأكثر عدداً ، والزيدية ، والإسماعيلية ، وبعض المنتمين إلى هذه الفرق ويخالفونهم في بعض الأصول أو الفروع لكن ليس لهم وجود يذكر أمام هذه الفرق الثلاث .

وكذلك فإن طائفة الاثني عشرية قد استوعبت جل الآراء والعقائد التي قالت بها الفرق الشيعية الأخرى ، وكانت بمثابة النهر الذي انسكبت فيها كل الجداول والروافد الشيعية المختلفة^(١).

ولذلك كان اختيارنا لموضوع البحث ؛ لأنها أكبر الطوائف اليوم ، كما كانت تمثل أكثرية الشيعة وجمهورها في بعض فترات التاريخ ، فهم "جمهور الشيعة" ، كما قال الأشعري^(٢)، وابن حزم^(٣) - رحمهما الله - .

الشيعة الإمامية الاثني عشرية : هم القائلون : بإمامة علي - عليه السلام - نصاً ظاهراً ، وتعييناً صادقاً من غير تعريض بالوصف بل إشارة بالعين^(٤)، فهي علم على من دان بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان ، وأوجب النص الجلي ، والعصمة ، والكمال لكل إمام ، ثم حصر الإمامة في ولد الحسين بن علي - عليه السلام - وساقها إلى الرضا علي بن موسى^(٥)، وهم الموصوفون بالإيمان من بين سائر الناس ؛ فإن الإيمان لا يثبت إلا لغير الاثني عشرية^(٦). والاثنا عشرية : هي أشهر فرق الشيعة الإمامية حالياً ، بل هي المتبادرة عند الإطلاق من لفظ الإمامية^(٧)، كما أنها الواجهة الرئيسية للتشيع في العصر الحاضر ، وأكثر فرق الشيعة عدداً وانتشاراً ، حيث قامت على عقائدها الدولة الإيرانية ، بعد قيام الثورة الإيرانية ، حيث

(١) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ج ١ ص ٩٦ .

(٢) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٩٠ .

(٣) ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ج ٤ ص ١٥٨ ، ج ٥ ص ٣٨ .

(٤) أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٣٢ .

(٥) المفيد : أوائل المقالات ، تحقيق : إبراهيم الأنصاري ، ط مهر ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - ص ٣٨ .

(٦) المحقق يوسف البحراني : الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ، تحقيق : محمد تقي الإيرواني ، نشر دار الأضواء - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ج ٢٢ ص ٢٠٢ .

(٧) الآلوسي : مختصر التحفة الاثنا عشرية ص ٢٢ .

ينص دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية أن الدستور الإيراني يقوم على المذهب الاثني عشري كما سنوثق ذلك في حديثنا عن ولاية الفقيه .

وتنتشر هذه الفرقة الآن في : إيران ، ومنهم عدد في العراق لا يستهان به ، والشام ، ولبنان ، والكويت، وسوريا^(١)، ويمتد وجودهم للهند ، وباكستان ، والبحرين ، والسعودية ، وأقليات أخرى في دول مختلفة من حيث المكان والعدد والتمركز والتأثير ، فهم يمثلون ثلثي سكان إيران تقريباً ، ونصف سكان العراق ، ومئات الآلاف من سكان لبنان ، وبضعة ملايين بالهند، والجمهوريات الإسلامية المنفصلة عن روسيا^(٢).

متى ظهر مصطلح الشيعة الإمامية الاثني عشرية : ظهر مصطلح الإمامية بعد شيوع مصطلح الشيعة ، ويبدو أن ظهوره مرتبط ببدء الاهتمام الشيعي بمسألة الإمامة ، وظهور الفرق الشيعية التي تقول بإمامة أفراد أهل البيت^(٣).

ولذلك لا نرى هذا المصطلح في كتب الفرق والمقالات المتقدمة ، فلم يذكره القمي في " المقالات والفرق" ، ولا النوبختي في "فرق الشيعة" ، ولا الأشعري في "مقالات الإسلاميين"، وهناك من قال بظهور هذه الفرقة سنة مائتين وخمس وخمسين " (٤) .

بعض الأسماء والالقب التي تشتهر بها الشيعة الاثنا عشرية : نظراً لكثرة فرق الشيعة ؛ تبعاً لتنوع عقائدها يمكن أن تختلط أسماء الفرق ببعضها ، ومن هذه الفرق: الإمامية الاثني عشرية قد تتسمى بعدد من المسميات ، من هذه الأسماء ما تختص به بلا منازع ، ومنها ما يشترك مع غيره ؛ لكنه في الغالب ينصرف إليها ، من أهمها:

الشيعة: اسم الشيعة وإن كان عاماً ، إلا أنه اختص بالشيعة الإمامية الاثني عشرية ، وأصبح علماً عليها ، بحيث أصبح المتبادر من إطلاقه هم ، وذلك لأسباب منها : " أنهم يمثلون القاعدة الكبيرة من بين الفرق الشيعية ، أن مصادر الاثني عشرية في الحديث والرواية قد استوعبت معظم آراء الفرق الشيعية التي خرجت في فترات التاريخ المختلفة ، إن لم تكن كلها ، فأصبحت هذه الطائفة هي الوجه المعبر عن الفرق الشيعية الأخرى " (٥).

(١) د محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ج ٢ ص ١٩ .

(٢) مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب ص ١٨٩ .

(٣) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية ج ١ ص ١٠٥ .

(٤) الألوسي : مختصر التحفة الاثنا عشرية ص ٢٢ .

(٥) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية ج ١ ص ٩٩ - ١٠٠ بتصرف .

الإمامية : وهذه التسمية أشهرها على الإطلاق ، حيث قال المفيد : " الإمامية هم القائلون بوجوب الإمامة ، والعصمة ، ووجوب النص ، وإنما حصل لها هذا الاسم في الأصل لجمعها في المقالة بهذه الأصول ، فكل من جمعها فهو إمامي ، وإن ضم إليها حقاً في المذهب كان أم باطلاً ، ثم أن من شملهم هذا الاسم واستحقه لمعناه قد افرقت كلمتهم في أعيان الأئمة وفي فروع ترجع لهذه الأصول (١).

ويقول الشهرستاني : الإمامية هم القائلون بإمامة علي - عليه السلام - (٢) ، ويوافقه الأشعري ؛ فيقول : " يدعون الإمامية ؛ لقولهم بالنص على إمامة علي - عليه السلام - " (٣).

ومنهم من يقول : أن سبب التسمية " أنهم يزعمون أن الدنيا لا تخلوا عن إمام ، إما ظاهراً مكشوفاً ، وإما باطناً موصوفاً ، وقيل : لأنها جعلت أمور الدين كلها للإمام ، وأنه كالنبي ، ولا يخلو وقت من إمام يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا ، وهي مقاربة " (٤).

الاثنا عشرية : وهذه لهم ميزة لم يقل بها غيرهم ، فكانوا أحق بهذه التسمية ؛ يقول المرتضى : " هذا الاسم يطلق على من يثبت إمامة اثني عشر إماماً ، وقد أثبتناه نحن ، ولا موافق لنا في هذا المذهب فانفردنا نحن بهذا الاسم دون غيرنا " (٥) ؛ فسيبقى لهم اسماً حتى بعد رجعة الأئمة والأوصياء ، حتى لو ولد له أئمة آخرون .

الجعفرية : نسبة إلى جعفر الصادق إمامهم السادس ، فقد روي أن : بعض الشيعة اشتكى لجعفر من هذه التسمية حيث كان يقال " جعفري خبيث " ، فأجابه : " ما أقل والله من يتبع جعفرأ منكم ، إنما أصحابي من اشتد ورعه ، وعمل لخالقه ، ورجا ثوابه ، فهؤلاء أصحابي " (٦) . ومما يؤكد ذلك ما روي : كان في المدينة جواسيس ينظرون إلى من اتفقت عليه شيعة جعفر ؛ فيضربون عنقه " (٧).

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٧ ص ١ . الشريف المرتضى : الفصول المختارة من العيون والمحاسن ، ط مهر ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد - قم ، ط ١ ، ١٣٤١ هـ ص ٢٩٦ .

(٢) أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٣٢ .

(٣) أبو الحسن أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٨٩ .

(٤) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ج ١ ص ١٠٢ بتصرف .

(٥) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، مهدي الرجائي ، ط الخيام - نشر دار القرآن الكريم - قم ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ المجموعة الثالثة ج ٣ ص ١٤٦ .

(٦) بحار الأنوار ج ٧٠ ص ٢٩٨ . علي الشاهرودي : مستدرك سفنة البحار ج ١٠ ص ٢٨٣ .

(٧) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤١٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٢٦٢ .

الخاصة : وهو لقب يطلقه شيوخ الشيعة على طائفتهم ، ويلقبون غيرهم من فرق المسلمين - خاصة أهل السنة - بالعامية ؛ فالخاصة في اصطلاح بعض أهل الدراية : الإمامية الاثنا عشرية ، والعامية أهل السنة والجماعة ، فيقولون هذا من طريق العامة ، وهذا من طريق الخاصة ^(١).

وتظهر هذه التفرقة في إحدى الروايات حين سئل عليٌّ - عليه السلام - : "أرأيت إن غُبِيَ على المفتيين ، ووجدنا أحد الخبرين موافقاً للعامية ، والآخر مخالفاً لهم ، بأي الخبرين نأخذ ؟ قال : بما خالف العامة ؛ فإن فيه الرشاد ، قيل : جُعِلت فداك ، فإن وافقهما الخبران جميعاً ؟ قال : ينظر إلى ما هم إليه أميل - حكاهم وقضاتهم - فيترك ، ويؤخذ بالآخر ، قيل : فإن وافق حكاهم الخبرين جميعاً ؟ قال : إذا كان ذلك ؛ فأرجئه حتى تلقى إمامك ، فإن الوقوف عند الشبهات خير من الافتحام في الهلكات ^(٢).

الرافضة : هذه التسمية قد أطلقها على الاثني عشرية الكثير كالأشعري ^(٣) وابن حزم ^(٤) ، وهناك من يقول : إن أول من أطلق لفظ الرافضة على الشيعة المغيرة بن سعيد ^(٥) ، والذي تنسب إليه طائفة المغيرية ، وقد قتله خالد القسري ^(٦) سنة ١١٩ هـ ؛ وذلك أنه بعد وفاة محمد الباقر مال المغيرة إلى القول بإمامة النفس الزكية ^(٧) ، وأظهر المقالة بذلك ؛ فبرأت

(١) د : ناصر القفاري: أصول مذهب الشيعة الإمامية ص ١١٠. ابن شهر آشوب : مناقب علي بن أبي طالب ، نشر المكتبة الحيدرية - النجف ، ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م ج ١ ص ٣٥٧.

(٢) المحقق البحراني: الحقائق الناضرة ج ١ ص ٩٢. الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ١٢٢.

(٣) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٨٨ .

(٤) ابن حزم : الفصل في الملل والنحل ج ٤ ص ١٥٧-١٥٨ .

(٥) المغيرة بن سعيد : البجلي الكوفي ، أبو عبد الله: دجال ، مبتدع، يقال : له الوصاف، جمع بين الإلحاد والتنجيم ، وكان مجسماً ، ويقول : بتأليه علي ، وتكفير سائر الصحابة ؛ إلا من ثبت مع علي، ويزعم أنه لو أراد أن يحيي عاداً وثموداً لفعل، وإن الأنبياء لم يختلفوا في شيء من الشرائع، قتل ١١٩ هـ. الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ٢٧٦.

(٦) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز أبو الهيثم البجلي، القسري، الدمشقي، أمير العراقين لهشام، وولي مكة للوليد، ثم لسليمان، لكنه فيه نصب معروف، وكان يرمى بالزندقة، وكان على هشام يرجع إلى إسلام ، من حسناته قتله للجعد بن درهم، ومغيرة الكذاب وطالت مدته إلى أن عزله هشام ١٢٠ هـ ، قتل ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م . الزركلي: الأعلام ج ٧ ص ٢٧٦.

(٧) النفس الزكية : محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي - رحمه الله تعالى - .

منه شيعة جعفر بن محمد ، فسماهم الرافضة ، وقد ضعف هذه الرواية كثير من علماء الشيعة^(١).

أصحاب الانتظار: يدعي الاثني عشرية : أن محمد بن الحسن العسكري غائب ، وسيظهر أو سيرجع في آخر الزمان، ونحن ننتظره ، وهذا المذهب ما عليه إمامية زماننا^(٢)؛ ولذلك من أدعيتهم عند قبره يقولون : اللهم صل على الدعوة النبوية، والخلف الصالحة المنتظرية^(٣). ولكن سمة الانتظار صفة عامة تجمع جميع الشيعة تحت مسمائها ونعتها ، مع الخلاف الواضح بينهم في تعيين المنتظر^(٤)؛ وهم أمة لا يحصون ، مبتدعة ، وغلاتهم الإمامية المنتظرية^(٥).

القطعية : وهو من ألقاب الاثني عشرية عند طائفة من أصحاب التصانيف في الفرق ؛ من أمثال الأشعري الذي قال: هم جمهور الشيعة ونصوا على إمامة الاثني عشر^(٦)، والشهرستاني^(٧)، ومنهم من عدها من فرق الإمامية^(٨)، وهذه التسمية تعترف بها طائفة الاثني عشرية ؛ ففي سنة ستين ومائتين قبض أبو محمد الحسن بن علي ، وهو أبو المهدي المنتظر الإمام الثاني عشر عند القطعية من الإمامية ، وهم جمهور الشيعة^(٩) ، وهؤلاء يدعون الاثني عشرية أيضاً ؛ لأنهم ادعوا أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر من أولاد علي بن أبي طالب^(١٠).

رابعاً : فرق الشيعة الاثني عشرية :

(١) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية ج ١ ص ١٠٧. الأشعري القمي: المقالات والفرق ص ٧٦ - ٧٧ .

(٢) فخر الدين الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٥٥ .

(٣) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٧٦ .

(٤) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ج ١ ص ١٠٦ .

(٥) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي : تاج العروس ، مادة شيع ج ٢١ ص ٣٠٣ .

(٦) أبو الحسن الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٩٠-٩١ ، وهامش ج ١ ص ٩٠ .

(٧) سموا قطعية لقطعهم بموت موسى الكاظم - رحمه الله - . الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٣٧ .

(٨) فخر الدين الرازي : اعتقادات فرق المسلمين ص ٥٤ .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٣٣٦ .

(١٠) الإسفرائيني : التبصير في الدين ص ٣٩ .

انقسمت الاثنا عشرية بعد وفاة الحسن العسكري سنة (٢٦٠هـ) ، إلى فرق من أهمها :
الأصولية ، والأخبارية ، والشيخية^(١) ، والكشفية^(٢) ، والركنية^(٣) ، والكريمخانية^(٤) ،
والقزلباشية^(٥) ، والقرتية^(٦) ، والبابية^(٧) ، والكوهريية^(٨) ،

(١) الشيخية أو الأحمدية الكشفية : أتباع أحمد الإحسائي : المولود : ١١٦٦هـ ، والمتوفى : ١٢٤١هـ ، من شيوخ الاثني عشرية ، ترشح كلماته بأنه يعتقد في علي مثلما يعتقد الفلاسفة في العقل الأول ، كما نسب إليه القول بالحلول ، وتأليه الأئمة ، وإنكار المعاد الجسماني ، والاعتقاد بالرجل الكامل ، وهو الأحسائي د. ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية ج ١ ص ١١١ . الزركلي : الأعلام ج ١ ص ١٢٩ .

(٢) الكشفية : أصحاب كاظم بن قاسم الرشتي ، تلميذ الإحسائي ؛ مؤسس الشيخية ، والقائم مقامه من بعده ، والآخذ بنهجها ، مع زيادة في الغلو ، والتطرف ، وسميت بالكشفية : لما ينسب إلى زعيمها من الكشف ، والإلهام ، من الغلاة . د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية ج ١ ص ١١٢ . الزركلي : الأعلام ج ١ ص ١٢٩ .

(٣) الركنية : أتباع مرزا محمد كريم بن إبراهيم خان الكرمانى ، من تلاميذه الرشتي ، سميت بذلك : لقولها بالركن ، والشيعة الكامل ، واعتباره من أصول الدين ، وهو زعيمهم . د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية ج ١ ص ١١٢ - ١١٣ .

(٤) كريمخانية : أتباع محمد الفجري الكرمانى كريم خان الشيعي . د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية ج ١ ص ١١٣ .

(٥) القزلباشية : صوفية متشعبة من أتباع الصفويين ، ولفظ القزلباش معناه : الرؤوس الحمر ، لتغطية رؤوسهم بشعار أحمر ، وهو عبارة عن قلنسوة يلبسونها كشعار لهم . د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية ج ١ ص ١١٣ .

(٦) القرتية : أصحاب امرأة اسمها هند ، وكنيتها : أم سلمة ، ولقبها : قرّة العين ، لقبها بذلك : كاظم الرشتي في مراسلاته إذ كانت من أصحابه ، وهي : ممن قلدت الباب بعد موت الرشتي ، ثم خالفته في عدة أشياء ، منها : رفع التكليف ، وحل الفروج . د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية ج ١ ص ١١٣ .

(٧) البابية : أتباع الباب ميرزا علي محمد الشيرازي ، ولد ١٢٣٥هـ ، وهو من الإمامية الاثني عشرية ، ادعى أنه الباب للإمام المنتظر ، وهو الناطق عنه ، ثم ادعى أنه هو إمامهم الغائب ، ثم زعم أن الله - سبحانه - قد حل فيه ، وله ضروب من الكفر والضلال ، توفي ١٢٦٥هـ . د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ج ١ ص ١١٤ .

(٨) الكوهريية : أتباع الآخوند ملا حسن كوهري ، يروج البعض لنحلته بكر بلاء حتى اليوم ، وكان للكشفية أثر بليغ في ظهورها ، يؤلهون الأئمة ، ويقولون بنفي العقاب عن العصيين . د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية ج ١ ص ١١٤ .

والنوربخشية^(١).

خامساً : الاثنا عشرية تتفرق على حسب منهجها في مصادر التلقي :

نكتفي بالحديث عن افتراق الشيعة إلى أصولية وأخبارية ؛ لأن الأصولية هي أساس المذهب الاثني عشري، وتمثل الأكثرية ، ويقابلها الأخبارية ، وإن كانت أقل منها ، أما ما سواها من فرق فهي ليست بذلك الحجم الذي تمثله الأصولية ، ولذلك اكتفينا بالتعريف الموجز بها ؛ كما أن الخلاف الأصولي الأخباري يمثل خلافاً في بنية المذهب الاثني عشري، وليس مجرد خلاف في فروع يسوغ الخلاف فيها كما في المذاهب الأربعة.

ولذلك نستطيع القول : بأن الخلاف بين الأصوليين والأخباريين هو خلاف بين أركان المذهب ومشيدي بنائه ، فلنتوقف للتعريف بهاتين الطائفتين^(٢).

التيار الأول: الأصولي : الذي يقبل القياس والاجتهاد تأثراً بأهل السنة في علم أصول الفقه^(٣)، وأدلتهم في الأحكام : الكتاب، والسنة، والإجماع^(٤) ، ودليل العقل ، ولا يحكمون بصحة كل ما في الكتب الأربعة^(٥) ، وهؤلاء يعتمدون على الاستنباط والاجتهاد وإعمال العقل ؛ فهم يبحثون ويفكرون بذهنية أصولية^(٦).

(١) النوربخشية : اتباع أبو القاسم محمد نور بخش القوهستاني ، ولد ٧٩٥ هـ ، توجد في وديان هملايا، هملايا، المتصلة بتبت الصينية ، ادعى المهدية لنفسه ، وأكر مهدي الشيعة ، وانفصل عنها ؛ ولهذا قال البعض : أنهم من الصوفية أصحاب وحدة الوجود ، توفي ٨٦٩ هـ . د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الاثنا عشرية ج ١ ص ١١٤ .

(٢) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ج ١ ص ١١٥-١١٦ .

(٣) علم أصول الفقه : هو العلم بالقواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية. د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ص ١٢ . أيمن موسى : غاية المأمول ص ١١ .

(٤) الإجماع لغة : العزم، والاتفاق، وهو : اتفاق المجتهدين من أمة محمد ﷺ - في عصر من العصور على أمر ديني ، وهو نوعان : الصريح ، وسكوتي . أيمن موسى : غاية المأمول ص ٢٦١ - ٢٨١ . وعند الشيعة : اتفاق علماء الطائفة على أمر في عصر بشرط أن يتيقن وجود المعصوم بين المجمعين .

القمي : المقالات والفرق ص ١٤٥ . أيمن موسى : غاية المأمول ص ٢٦١ - ٢٨١ .

(٥) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ج ١ ص ١١٦ .

(٦) د علي السالوس: مع الاثني عشرية في الأصول والفروع، ط دار الفضيلة- الرياض، ط ٧ ، ١٤٢٤ هـ ص ٦٩٣ - ٦٩٦ .

(٦) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ج ٢ ص ٤٥١ بتصرف .

التيار الثاني الأخباري : وهم الذين يرفضون الاعتماد على غير الروايات الواردة عن الأئمة ، ويرون أن كل الروايات صحيحة ، ويرفضون القياس ، فالأخباري : " من لم يعول في الأحكام ، ولم يدون في كتابه سوى الأخبار " ^(١) ، فيتمسكون بظواهر الحديث ، في مقابل الأصوليين الذين يرون الأخذ بالأدلة العقلية في الأحكام ^(٢).

كما إن الأخباريين يمنعون الاجتهاد ، ويعملون بأخبارهم ، ويرون أن ما في كتب الأخبار الأربعة عند الشيعة ^(٣) كلها صحيحة ، قطعية الصدور عن الأئمة ، ويقتصرون على الكتاب والخبر ، ولذلك عُرِفوا بالأخبارية نسبة إلى الأخبار ، وينكرون الإجماع ، ودليل العقل ، ولا يرون حاجة إلى تعلم أصول الفقه ، ولا يرون صحته أصلاً ^(٤) .

ومع الاحترام الكبير لقائلي هذه الآراء فهيا لنسمع أحد محققهم وهو يعلق على كلام الشيخ المفيد على أن الاجتهاد والقياس لا يسوغان ؛ فيقول : للمفيد اجتهادات كثيرة في الفقه ، وكذا لبقية الفقهاء ، حتى الإخباريين مع شدة هجومهم على الأصوليين في مسألة الاجتهاد عندهم اجتهادات كثيرة يظهر بمراجعة كتبهم ؛ مثل الحدائق ^(٥).

سابعاً : حقيقة الخلاف بين التيار الأصولي ، والتيار الأخباري : - الخلاف بين الطائفتين يمثل فروقاً في بنية المذهب الشيعي ، وفي أركانه ، ورجاله حيث يتمثل الفرق بينهما في عدة نقاط من أهمها :-

أولاً : ترى الاخبارية أن الاعتقاد السليم يقوم على العمل بالأخبار المنقولة عن المعصومين فقط ، بغض النظر عن السند وفحوى الكلام وإشاراته ، طالما أن الذي نقلها هم أصحاب الأئمة ، فهي لا تحتاج إلى نظر واستدلال كما لا تحتاج إلى بحث ، ولا تحقيق ، ولا تفتيش لا عن السند ، ولا عن المتن ، فلا يوجد مجال لعمل العقل ، ولا للاجتهاد ، ولا الإجماع ، بينما يرى الأصوليون : وجوب الاعتماد على العقل في استنباط الأحكام ،

(١) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ج ١ ص ٢٩٠ بتصرف .

(٢) إحسان إلهي ظهير : الشيعة والتشيع ص ٣٢٠ بتصرف .

(٣) الكتب الأربعة : الكافي للكليني ، والتهذيب للطوسي ، والاستبصار للطوسي ومن لا يحضره الفقيه للصدوق . د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الإمامية ص ٤٠٤ - ٤٠٥ . د علي السالوس : مع الاثني عشرية ص ٦٩٣ - ٦٩٦ .

(٤) د : ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ج ١ ص ١١٦ .

(٥) تعليق الشيخ : إبراهيم الأنصاري على كلام الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٤٠٧ بتصرف .

ويربطون البحث الفقهي بأصول الفقه ، فكانوا بلا شك حركة تصحيح ، وتجديد مع تأصيل^(١).

ثانيا : يقسم الأصوليون الحديث إلى: صحيح^(٢)، وحسن^(٣)، وموثق^(٤)، وضعيف^(٥)، ويختلفون في العمل بالحديث الموثق ، والحسن، فقبلهما قوم مطلقاً ، وردهما آخرون مطلقاً ، وفصل آخرون بحسب الشهرة وعدمها^(٦)، بينما الأخباريون يقولون : إن كل ما

(١) د علي السالوس : مع الاثني عشرية في الأصول والفروع ج ٣ ص ١٣٤ بتصرف .

(٢) الحديث الصحيح : الحديث المسند الذي يتصل سنده ، بنقل العدل الضابط ، عن مثله ، إلى منتهاه ، ولا يكون شاذاً ، ولا معطلاً . ابن كثير : الباعث الحثيث ص ٢١ . وعند الشيعة: ما اتصلت روايته إلى المعصوم بعدل إمامي ، ويسمى المتصل ، والمعنعن ، وقد يطلق على سليم الطريق من الطعن ، وإن اعتراه إرسال ، أو قطع ، واحتف بقرائن تفيد القطع والوثوق بصدوره عن المعصوم . د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الإمامية ص ٤٤٤ . د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية ص ١٧٧ .

(٣) الحديث الحسن: قال الخطابي : ما عرف مخرجه ، واشتهر رجاله ، وقال الترمذي : هو ألا يكون في إسناده من يتهم بالكذب ، ولا يكون حديثاً شاذاً ، ويروى من غير وجه. ابن كثير : الباعث الحثيث ص ٣٥-٣٦ . وعند الشيعة : ما رواه الممدوح من غير نص على عدالته ، وقيل : أن يكون أوائل رجال السند من الإمامية المنصوص عليهم بالتوثيق ، وأواخرهم من الممدوحين بمدح لم يبلغ درجة التوثيق. انظر د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الإمامية ص ٤٤٤ . د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة ص ١٩٥ .

(٤) الموثق: ما رواه من نص على توثيقه ؛ مع فساد عقيدته ، ويسمى القوي ، وقد يراد بالقوي مروي الإمامي غير المذموم ولا الممدوح ، أو مروي المشهور في التقدم عن الموثق ، وقيل : هو ما اتصل سنده بنقل غير إمامي نص الإمامية على توثيقه في كل الطبقات ، أو في بعضها ، مع إيمان الباقيين ، وعدالتهم ، أو مدحهم. د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الإمامية الاثني عشرية ص ٤٤٥ . د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية ص ١٩٧ .

(٥) الحديث الضعيف: ما لم يجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ، ولا الحسن. ابن كثير : الباعث الحثيث ص ٤١ . وعند الشيعة : ما لم تحتف به قرائن تدل على صحته ، وهو ما قابل الموثق ، أو الصحيح ، أو الحسن ، ويتنوع بزيادة القدح ، ونقصانه ، بأن يشتمل طريقه على مجروح بالفسق ، أو مجهول الحال ، أو وضاع ، وقد جوز أكثر الشيعة العمل به في غير العقائد ، والأحكام ، كفضائل الأعمال ، والترغيب والترهيب ، ويوافهم بعض أهل السنة . د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الإمامية ص ٤٤٦ . د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية ص ٢٠٣ .

(٦) د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الإمامية ص ٤٤٦ .

ورد عن الأئمة في الكتب المعتمدة عندهم صحيح ، لا تحتاج إلى تفتيش عن صحة السند ، وما ورد في غير كتبهم المعتمدة ينقسم إلى صحيح، وضعيف^(١)؛ وذلك لأن أحاديث الأئمة تدور بين التقية وعدمها، لا من دس الوضّاعين، ولا ناقلي الكذب^(٢).

ثالثاً : قال الأخباريون : لا يجوز العمل بظاهر القرآن ، أما الأصوليون فمنعوا العمل بظاهر القرآن إلا بعد الرجوع إلى قول الأئمة ، لأن أقوال الأئمة مخصصة لعموم القرآن ، ومقيدة لإطلاقه^(٣).

هذه هي أهم نقاط الخلاف بين الفرقتين ، وهي تكشف مدى ما بينهما من فروق في مصادر التشريع ، ويبدو أن الخلاف بينهما لا يلتقي إلا في بداية الطريق ، ويفصل تماماً عندما يبدأ العقل بالعمل عند الأصوليين حينها يقف العمل به عند الأخباريين .

ثامناً : الأصول والأركان التي قام عليها المذهب الاثني عشري :

القول الأول : أركان الدين خمسة من عرفها فهو مؤمن ، ومن جهلها كان كافراً : " التوحيد ، والعدل ^(٤) ، والنبوة ، وإمامة الاثني عشر ، والمعاد " ^(٥).

القول الثاني : يزعم كاشف الغطاء إنها أربعة ينبنى عليها الإسلام والإيمان معاً هي : " التوحيد ، والنبوة ، والمعاد ، والعمل بالدعائم التي بني عليها الإسلام ، وهي خمس : الصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج ، والجهاد ، ولكن الشيعة الإمامية زادوا ركناً خامساً هو : الاعتقاد بالإمامة ^(٦) .

(١) د : أحمد سيد أحمد علي : التقريب بين أهل السنة والشيعة ما له وما عليه ص ٥٤ بتصرف.

(٢) د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الإمامية ص ٤٥٢ بتصرف .

(٣) حسن صادق: جذور الفتنة في الفرق الإسلامية من عهد الرسول حتى مقتل السادات ص ٧٠ - ٧١.

(٤) رواية تقتصر على الاثنين فقط . (الصدوق) : التوحيد، تحقيق السيد : هاشم الحسيني الطهراني ،

نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم ، ط ١٠ ، ١٤٣٠هـ - ص ٩٣.

(٥) محمد بن الحسن علي الطوسي: الرسائل العشر، ط مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين

- قم، ط ٢ ، ١٤١٤هـ - ص ١٠٣.

(٦) الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص ١٣٤ .

القول الثالث: بني الإسلام على خمسة: الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصوم ، والولاية^(١)؛ أي : ولاية علي^(٢).

القول الرابع : عن الصادق : " من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج ، والمسائلة في القبر، والشفاعة "^(٣).

القول الخامس : الولاية هي الإسلام كله عن الباقر في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾^(٤)، قال : التسليم لعلي بن أبي طالب بالولاية^(٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴾^(٦)، قال الباقر والصادق: " الدين علي بن أبي طالب "^(٧)، وعن أبي عبد الله : " ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبي قط إلا بها "^(٨).

القول السادس : أركان الإسلام ثلاثة ، عن الصادق : " أثافي^(٩) الإسلام ثلاثة : الصلاة ، والزكاة ، والولاية لا تصح واحدة منها إلا بصاحبها " ^(١٠) .

ونقول : إذا كان هذا خلافهم في أصول المذهب وأركانه ؛ فما بالك بخلافهم في فروعهم ؟!

وقد يسأل سائل : ما السبب في ذكر أهم أصول الدين عند الاثني عشرية هنا ؟ .

والجواب : لنميز هذه الأصول عن فروع الدين^(١) والمذهب عندهم ، ثم لنعلم حكم من خالف خالف في هذه الأصول، وحكم من خالف في الفروع ؛ لنفهم سوياً قدر البون الشاسع بيننا

(١) الشيخ محمد حسن النجفي (الجواهري) : جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ، تحقيق : محمود القوجاتي ، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ط ٧ ، ١٩٨١م ج ١٧ ص ٢٢٣ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١ ص ١٥ .

(٢) رجب البرسي: مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين، ط الأعلمي- بيروت، ط ١٠، دت ص ٦٠ .

(٣) الصدوق : الأمالي ص ٢١٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٢٣ .

(٤) سورة آل عمران : آية رقم ١٩ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٣٤١ .

(٦) سورة الذاريات : آية رقم ٦ .

(٧) المجلسي: بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٣٤١ . ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١١٥ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٣٦ .

(٩) أثافي: الشكل المثلث من الحجارة التي ينصب عليها القدر عند الطبخ ، واستعير هنا للأركان. إحسان ظهير: الشيعة والسنة، ط دار ابن حزم - القاهرة، ط ١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م ص ٦٥ . المعجم الوسيط : مادة آثف ص ٦ .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٣٣٠ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١ ص ١٦ .

! لكننا نَفَاجاً بقول الشريف المرتضى^(٢): اجتمعت الفرقة المحقة على كفر من خالفها في الأصول ؛ كالتوحيد ، والعدل ، والنبوة ، والإمامة^(٣).
حسبنا الله ونعم الوكيل ! .

(١) يقول ابن تيمية : " جَعَلَ الدِّينَ " قِسْمَيْنِ " أَصُولًا وَفُرُوعًا لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا فِي الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَلَكِنَّ هَذَا التَّفْرِيقَ ظَهَرَ مِنْ جِهَةِ الْمُعْتَزَلَةِ ، وَأَدْخَلَهُ فِي أَصُولِ الْفَقْهِ مَنْ نَقَلَ ذَلِكَ عَنْهُمْ . مجموع الفتاوى ج ١٣ ص ١٢٥ .

(٢) الشريف المرتضى: عَلِيُّ بْنُ حُسَيْنِ بْنِ مُوسَى الْقُرْشِيِّ ، نَقِيبُ الْعُلَوِيَّةِ ، مِنْ وَلَدِ الْكَاطِمِ ، وَلِدَ ٣٥٥ هـ ، جَامِعُ كِتَابِ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ ، وَكَهُ كِتَابِ الشَّافِيِّ فِي الْإِمَامَةِ ، وَالذَّخِيرَةِ فِي الْأَصُولِ ، مِنَ الْمُتَبَحِّرِينَ فِي الْكَلَامِ ، وَالْإِعْتِرَالِ ، تُوُفِّيَ سَنَةَ ٤٣٦ هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٣) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى ج ٣ ص ٢٧١ بتصرف .

الفصل الثاني

التقديس

وأثره على عقيدة الإمامة

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الإمامة .

المبحث الثاني: إمامة علي رضي الله عنه .

المبحث الثالث: الإمامة عند أهل السنة .

المبحث الرابع: آثار تقديس الأئمة ومظاهره على أركان الإيمان.

المبحث الخامس: آثار تقديس الأئمة ومظاهره على مكانة الإمام.

المبحث السادس: التقديس في ميزان أئمة أهل البيت .



المبحث الأول

المطلب الأول

تعريف الإمامة وأدلة إمامة علي -عليه السلام-

يعد تقديس الإمام من أخطر المباحث في العقيدة الشيعية ؛ فتقديس الإمام هو السبب الرئيس في ظهور كثير من العقائد الباطلة داخل المعتقد الشيعي ، وبتطور الغلو في تقديسه انشقت الشيعة عن الصف المسلم، فاستقلت ببعض العقائد والعبادات التي تميزت بها عن أهل السنة ، فرفعوا أئمتهم لدرجة تقترب من درجة الرب سبحانه ، ومنحوهم الأسماء والصفات التي لا تجب إلا لله تعالى ، وجعلوا لهم حق التشريع والرزق ، والتصرف في ذرات الكون ، وإحياء الموتى ، وفضلوهم على الأنبياء -عليهم السلام- ، وعلى مكانة القرآن الكريم ، مما جعلهم يخشون الأئمة قريباً من خشية الله سبحانه ، بل قل أشد ، والباحث يحاول أن يلقي نظرة سريعة على هذه المظاهر .

معني الإمامة في اللغة : الإمامة العظمى ، أو الخلافة ، أو إمرة المؤمنين تدل على السلطة الحكومية العليا. وحاولت الشيعة أن تطوع المعنى اللغوي لعقيدتهم في أئمتهم فيقول صاحب أنوارهم : الإمامة أصلها: المتقدم بالناس ، والمطهر ، والذهب الذي يجعل في دار الضرب ؛ ليؤخذ عليه العيار ، والخيط الذي يجمع حبات العقد ، والدليل في السفر في ظلمة الليل ، والسهم الذي يجعل مثلاً يعمل عليه السهام^(١)، ومن يأت به الناس ، وفي التنزيل العزيز: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٢) ، وتزعم الشيعة أن علياً هو الإمام المبين^(٣) .
والخلافة : الإمارة وهي : الخليفة ، وفي حديث عمر -رضي الله عنه- : لَوْ لَا الْخَلِيفَةُ لَأَذْنَتْ^(٤) ، وكلمة للحبش تُسمَّى بها مُلُوكُهَا ، والإمام : المَلِكُ وَكُلُّ مَنْ اقْتَدَى بِهِ وَقُدِّمَ إِمَامٌ^(٥) .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٤٢٨ بتصرف .

(٢) سورة يس : آية رقم ١٢ . والإمام المبين عند أكثر المفسرين : اللوح المحفوظ .

(٣) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٥٥ .

(٤) لم أجده بهذا اللفظ ، رواه البيهقي بلفظ : " لَوْ أَطَقْتُ الْأَذَانَ مَعَ الْخَلِيفَةِ لَأَذْنْتُ " . أبو بكر أحمد بن

الحسين بن علي البيهقي : السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ، مجلس دائرة المعارف النظامية -

حيدر آباد - الهند ، ط ١ ، ١٤٣٤هـ ج ١ ص ٤٣٣ .

(٥) ابن سيده : المخصص، مادة أم ج ١ ص ٣٢٣ .

والإمام : الدليل للمسافرين ، والحادي للآبل، والطريق الواسع الواضح^(١) ، والإمامية : من يقول بإمامة علي وأولاده دون غيرهم^(٢) .

ولفظ الخلافة أفضل في التسمية؛ لأن النبي -ﷺ- سمي به أتباعه من الصحابة -ﷺ- فقال: "فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ بَعْدِي فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ بَعْدِي الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"^(٣).

تعريف الإمامة في الاصطلاح عند الشيعة الاثني عشرية :

لا يبعد المعنى الاصطلاحي للإمامة عن المعنى اللغوي بإطلاقه الشامل للمقتدى بهم عموماً ، في مجالي الخير والشر، طوعاً أو كرهاً ؛ فالإمامة : رئاسة عامة تتضمن الحكم على الأمة كافة^(٤)، لشخص من الأشخاص في أمور الدين والدنيا ؛ وهو علي -ﷺ- المعصوم بنص النبي -ﷺ-^(٥)، فهي خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين ، وسياسة الدنيا به^(٦).

إمامة علي -ﷺ- : تعتقد الشيعة أن الأحق بالإمامة بعد النبي -ﷺ- علي -ﷺ- ويستدلون بما يلي:

أولاً : الأدلة من القرآن : تستدل الشيعة الاثنا عشرية بأدلة من القرآن ليست صريحة في دلالتها على المراد ، ولذلك يستعينون بالروايات المفتراة التي يروونها عن أنمتهم ؛ ليصلوا إلى مبتغاهم ، فيجعلون الآية لا تفسر إلا من عند أهل البيت ، وإن خالفت اللغة والعقل ؛ فيستدلون بأدلة منها :

(١) المعجم الوسيط : مادة أم جـ ١ ص ٢٧ . المعجم الوجيز : مادة أم ص ٢٥ .

(٢) المعجم الوسيط : مادة أم جـ ١ ص ٢٥١ .

(٣) صحيح . أبو داود : السنن جـ ٤ ص ٣٢٩ . الطبراني : المعجم الكبير جـ ١٣ ص ١٦٢ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار جـ ٣٠ ص ٤٣٦ .

(٥) الطوسي : الرسائل العشر ص ١٠٣ .

(٦) ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش ،

نشر دار يعرب - دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م جـ ١ ص ٣٦٥ .

الدليل الأول : قوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ ^(١) مِنْكُمْ ﴾ ^(٢) ،
 ويفسرون أولي الأمر: الأئمة المعصومون من آل البيت ^(٣) ، قال أبو عبد الله: نحن قوم
 فرض الله طاعتنا ^(٤) .

الدليل الثاني : قال -عليه السلام- : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ^(٥) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
 وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ^(٦) ، وزعموا أن إيتاء الزكاة في الركوع كان ^(٧) لآل البيت ^(٨) ،
 وعلي -عليه السلام- خاصة ^(٩) .

الدليل الثالث : قال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(١٠) ، حينما نزلت على النبي -
 عليه السلام- قال لعلي -عليه السلام- : " أنت أخي ^(١١) ، ووصيي ، ووزيري ، ووارثي ، وخليفتي من

- (١) قال ابن عباس: أولوا الأمر الفقهاء، والعلماء، وقال أبو هريرة: الأمراء. تفسير البغوي ص ٣١٢ .
 (٢) سورة النساء : آية رقم ٥٩ .
 (٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٧ ص ٣ .
 (٤) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٤١ . المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١ ص ١١٣ .
 (٥) قال الضحاك : هم المؤمنون ، وعلي من المؤمنين . البغوي : تفسير البغوي ص ٣٨٥ .
 (٦) سورة المائدة : آية رقم ٥٥ .
 (٧) سئل أبو جعفر عن قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
 وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ . المائدة: ٥٥ ، قال: الصحابة ، قيل: هو علي ، قال: علي منهم . أبو نعيم :
 حلية الأولياء ج ٣ ص ١٨٥ .
 (٨) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .
 (٩) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٥ .
 (١٠) سورة الشعراء : آية رقم ٢١٤ .
 (١١) فإن احتج بقوله إن النبي -عليه السلام- أخى بين الصحابة ؛ فاختار علياً -عليه السلام- ، فقال له : " أنت أخي في
 الدنيا والآخرة " المجلسي : بحار الأنوار ج ١٧ ص ٣٦٢ . محمد ناصر الدين الألباني : ضعيف الجامع ،
 نشر المكتب الإسلامي - بيروت ، ط ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ص ٥٥٥ . قيل له : هذه الفضيلة لا توجب
 الخلافة ، ولو كانت هذه توجب الخلافة كانت لها الأبوة أخص وأوجب ، وقد قال ذلك لعمه العباس فقال هو
 أبي ؛ وأب أقرب من الأخ ، مع أن لفظ الأخوة شراكة فيها أبو بكر وغيره ، وكلف الأبوة مخصص
 للعباس ، كما روي أن العباس بن عبد المطلب دخل على رسول الله -عليه السلام- فقال : احفظوني في العباس ،
 عم الرجل صنو أبيه . المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٨٥ . النمازي الشاهرودي: مستدرک سفينة
 البحار ج ٦ ص ٣٨٦ . وعن رسول الله -عليه السلام- : لو اتخذت خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكنه أخي

بعدي^(١)، وهذه منقبة لم يشركه فيها أحد ؛ إذ به تمكن النبي -ﷺ- من تبليغ الرسالة، ولولاه لم تثبت الملة^(٢) .

نقد هذه الأدلة : هذا فيه غلو واضح ، فالدين كمل على يد صاحب الرسالة بتوفيق الله تعالى له ، وهذا خلاف ما هو معروف: أن دعوة النبي -ﷺ- في أول أمرها ، كانت على جبل الصفا في مكة ، حين نادي على بطون قريش بأسمائهم ، وأنذرهم فوقف أمامه أبو لهب وقال : تبأ لك ألهذا جمعنا^(٣) .

الدليل الرابع : قال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ^(٤) وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي^(٥) ﴾ ، لما عاد النبي -ﷺ- من حجة الوداع ، وعند غدیر خم^(٦) قال : الله أكبر ، والله الحمد على إكمال الدين ، وإتمام النعمة ، ورضا الرب برسالتني ، وبالولاية لعلي من بعدي ، ثم قال : من كنت مولاه ؛ فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره ، واخذل من خذله^{(٧) (٨)} .

نقد هذا الدليل : قول الشيعة يشبه ما جاء في التوراة من أن الله سبحانه أمر موسى -ﷺ- أن يوصي ليوشع -ﷺ- فيدعون أن فيها : " فقال الرب لموسى : خذ يوشع بن نون رجلاً فيه روح وضع يدك عليه وأوقفه قدام ألعازار الكاهن وقدام كل الجماعة وأوصه

وصاحبي ، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً . رواه مسلم بروايات متعددة . انظر النووي : شرح صحيح مسلم ج ١٥ ص ١٥٨-١٦٢ .

(١) المجلسي: بحار الأنوار ج ١٨ ص ١٩٢ .

(٢) الشيخ المفيد : الإرشاد ج ١ ص ٥١ .

(٣) تفسير الطبري ج ١٩ ص ١١٧-١١٨ . مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٦١-٦٦٢ .

(٤) أي : بإكمال الشرائع والأحكام ، وإظهار الدين . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١٠٩ .

(٥) سورة المائدة : آية رقم ٣ .

(٦) غدیر خم: ماء بين مكة والمدينة، بإزاء الجحفة، احتفرها عبد شمس بالبطحاء، وقيل: نُسب إلى غَيْضَةٍ تسمى بذلك، والغِيضَةُ: الشجر الملتف، ويوم الغدير: ١٨ ذي الحجة ١٠هـ. د. محمد خليل هراس: شرح العقيدة الواسطية ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥ ص ٢١ .

(٨) ولكنهم لم يكملوا الحديث فقد لقيهُ عُمَرُ فَقَالَ : هَنِيئًا لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ ، أَصْبَحْتَ وَأُمْسَيْتَ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ . ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٤٥ . والسبب في ظني أنهم لا يريدون أن ينسبوا إلى عمر -رضي الله عنه- أي فضيلة.

أمام أعينهم واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل .. ففعل موسى كما أمره الرب^(١) ، وفي موضع آخر تقول التوراة : " قال الرب لموسى هو ذا أيامك قد قربت لكي تموت ادع يشوع وقفا في خيمة الاجتماع لكي أوصيه " ^(٢) .

الدليل الرابع : قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ^(٣) وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ^(٤) ، أي: في ولايتك يا علي^(٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ ^(٦) الْمُؤْمِنِينَ ^(٧) ، ويدعون أن صالح المؤمنين: علي-عليه السلام- ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا ^(٨) وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ^(٩) ، ويدعون أن نفس النبي^(١٠) -عليه السلام- هو علي -عليه السلام- ^(١١) ، ومنزلته كنفس النبي -عليه السلام- حيث قال -عليه السلام-: "لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْهِمْ رَجُلًا كَنَفْسِي فَيَمُضِي فِيهِمْ أَمْرِي" ^(١٢) .

نقد هذا الدليل : نتساءل : هل كل منفذ للأوامر النبي كنفسه ، ويستحق الولاية ؟ .

ثانيا : الأدلة من السنة : استدلت الشيعة على وجوب الإمامة لعلي -عليه السلام- بعدة أحاديث من أهمها : قول رسول الله -عليه السلام-: "أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ، غَيْرَ

(١) الكتاب المقدس : سفر العدد ٢٧ / ١٨ - ٢٣ ص ٢٦٠ .

(٢) الكتاب المقدس : سفر التثنية ٣١ / ١٤ ص ٢٣٠ .

(٣) المعنى : بلغ ما أنزل إليك ، فلا تكتم شيئا منه ، أو بلغ عيب اليهود ، أو في الرجم ، والقصاص ، أو في أمر زينب بنت جحش ، أو في الجهاد ، أو أظهر تبليغه . البغوي : تفسير البغوي ص ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٤) سورة المائدة آية رقم ٦٧ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٦٥ .

(٦) صالح المؤمنين: أبو بكر وعمر ، وقيل : المخلصون . البغوي : تفسير البغوي ص ١٣٢٩ .

(٧) سورة التحريم : آية رقم ٤ .

(٨) معنى أبنائنا: هو مخصوص بالحسن ، والحسين . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٦٨٦ .

ومعنى أنفسنا : علي ، وقيل : أخوانكم من المؤمنين على العموم . البغوي : تفسير البغوي ص ٢١٢ .

(٩) سورة آل عمران آية رقم ٦١ .

(١٠) الشيعة يقولون : أن الأئمة هم نفس الله ، قال تعالى: ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ . آل عمران : ٢٨ ،

ويقول الرضا : " عليٌّ خوفهم به " . ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٦٣ .

(١١) عبد الحسين أحمد الأميني النجفي : موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، نشر مؤسسة

الأعلمي - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ج ٤ ص ١٧٠ . بحار الأنوار ج ٣٨ ص ١٨٨ .

(١٢) محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٤٥٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥ ص ٦٩ .

أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي ^(١) " (٢)، وقوله -عليه السلام-: " عليّ إمام البررة ، وقاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله " (٣)، وقوله -عليه السلام-: " عليّ مع القرآن ، والقرآن مع علي ، لن يفترقا حتى يرثي عليّ الحوض " (٤) ، وقوله -عليه السلام-: " عليّ مني بمنزلة راسي من بدني " (٥) ، وقوله -عليه السلام-: " عليّ يعسوب ^(٦) المؤمنين " (٧)، وقوله -عليه السلام-: " أنت خليفتي " (٨)، وقوله -عليه السلام-: " اسمعوا له ، وأطيعوا " (٩) ، وقوله -عليه السلام-: " من كنت مولاه ؛ فعليّ مولاه ؛ اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه " (١٠)، وهناك الكثير تركناه خشية الإطالة.

ثالثاً : الأدلة من السيرة : وهناك أدلة من السيرة يستدل بها الشيعة من أهمها : أن النبي -عليه السلام- لما أمر بالهجرة ألقى خبره إلى أمير المؤمنين -عليه السلام- ، واستكتمه إياه ، وكلفه الدفاع

(١) عن أبي سعيد قال: خلف رسول الله -عليه السلام- علياً في أهله حين غزا غزاة تبوك فقال بعض الناس: ما منعه أن يخرج إلّا أنه كره صحبته فبلغ ذلك علياً عليه السلام فقال لرسول الله -عليه السلام- زعم الناس أنك تخلفني إلّا أنك كرهت صحبتي ، فقال رسول الله -عليه السلام-: " يا بن أبي طالب أما ترضى أن تنزل مني بمنزلة هارون من موسى. فإن قال الطاعن: لم يرد استخلافه على المدينة. قيل له: هل شاركه في النبوة كما شارك هارون موسى. فإن قال: نعم، كفر وإن قال: لا، قيل له فهل كان أخاه في النسب فإن قال: نعم فقد كذب.. فإذا بطلت أخوة النسب ومشاركة النبوة فقد صحَّ وجه الاستخلاف، وإن جعل استخلافه في حياته على المدينة أصلاً فقد كان -عليه السلام- يستخلف في كل غزاة غزاه غيرها من أصحابه كابن أم مكتوم، وخفاف بن إيماء بن روضة الغفاري وغيرهما من خلفائه. انظر أبو نعيم الأصبهاني : الإمامة والرد على الرافضة ، تحقيق : د علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ، نشر مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ص ٢٢٢.

- (٢) النووي: شرح مسلم ج ١٥ ص ١٨٣ . النوري الطبرسي: مستدرک الوسائل ج ١٨ ص ٣٦٧ .
- (٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٣ ص ٥٣ . الألباني : ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص ٥٥٥ .
- (٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٢٣ . الألباني : ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص ٥٥٥ .
- (٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٢٩٦ . الألباني : ضعيف الجامع الصغير وزيادته ص ٥٥٥ .
- (٦) اليعسوب : أمير النحل ، وذكرها . انظر المعجم الوجيز ، مادة عسب ص ٤١٨ .
- (٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٥٦ . الألباني : ضعيف الجامع ص ٥٥٥ .
- (٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٢ ص ١٦٨ .
- (٩) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٢٩٨ ، ج ٣٨ ص ١١٣ .
- (١٠) المحقق البحراني: الحقائق الناضرة ج ٣ ص ٣٧٨ . محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ١١٠ .

عنه بالمبيت على فراشه ^(١)، فوهب علي -عليه السلام- نفسه لله ؛ لينجو به من كيد الأعداء ، ويتم له -عليه السلام- السلامة والبقاء ^(٢).

نقد هذا الدليل : هذه الفضيلة يشارك علياً فيها كل من شارك في الهجرة بعمل كأبي بكر ، وابنه وكثير من الصحابة -عليهم السلام-.

ومن ذلك : أن النبي -عليه السلام- كان أمين قريش على ودايعهم ، فلما فجأه من الكفار ما أحوجه إلى الهرب من مكة بغتة ^(٣)، لم يجد في قومه وأهله سوى علي -عليه السلام- ^(٤).

ومن ذلك : أن الله تعالى خصه بتلافي فارط من خالف نبيه -عليه السلام- في أوامره ، وإصلاح ما أفسدوه، حتى انتظمت به أسباب الصلاح ؛ ألا ترى أن النبي -عليه السلام- أنفذ خالد بن الوليد -عليه السلام- ^(٥) إلى بني جذيمة داعياً لهم إلى الإسلام ،

(١) لو كان علياً إماماً، ووصياً؛ فهل يعرضه رسول الله -عليه السلام- للهلاك ؟ ويستبقى أبا بكر الذي لو مات ؛ لا ضرر على سلسلة الإمامة من موته؟ ، فإذا قالوا : إن علياً يعلم الغيب ، وأنه لن يموت ، قلنا : فأبي فضل له في المبيت ؟ وهو ليس ابتلاء على الوجه الذي يعرف منه الصادق من الكاذب ؟ . سليمان الخراشي: أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ، ط شبكة الآل - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م ص ٢٦ بتصرف .

(٢) الشيخ المفيد: الإرشاد ج ١ ص ٥١ - ٥٣.

(٣) خروج النبي -عليه السلام- من مكة ، لم يكن هرباً كما يزعمون حاشاه ! ولم يكن فجأة ، بل كان عالماً بذلك من أول يوم من رسالته ، حين أخبره ورقة بن نوفل : يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدْعًا ، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -عليه السلام- : " أَوْمُخِرَجِيْ هُمْ " قَالَ وَرَقَةُ : نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُّؤَزَّرًا " ، ولم يخرج من تلقاء نفسه بل بالوحي ، فعن ابن عباس كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -عليه السلام- بِمَكَّةَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ ، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ الإسراء : ٨٠ ، وقد " تَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ -عليه السلام- عَلَى رِسْلِكَ ، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي " ، ورداً على هذا الطعن فمن الواجب أن نقول : خرج مهاجراً بأمر ربه. ابن حجر : فتح الباري ج ٧ ص ٢٦٥.

(٤) الشيخ المفيد : الإرشاد ج ١ ص ٥٣ - ٥٤.

(٥) خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي : سيف الله أبو سليمان ، أو أبو الوليد ، أمه : لبابة بنت الحارث الهلالية أخت ميمونة أم المؤمنين ، واختلف في وقت إسلامه وهجرته ، فقيل : بعد الحديبية ، وقيل : بعد خيبر ، وقيل : ٥ هـ ، وقيل : ٨ هـ ، ولم يزل يتولى أعنة الخيل ، حتى توفي سنة ٢١ هـ ، وقيل : ٢٢ هـ في خلافة عمر . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢١٨ - ٢٢٩.

ولم ينفذه محارباً^(١)، فخالف أمره، فقتل القوم وهم على الإسلام ، ففرع^(٢) رسول الله - ﷺ - إلى علي ، وأمره أن يدي القتل ، ويرضى بذلك أولياء دمائهم ، فبلغ من ذلك مبلغ الرضا ، وزاد على الواجب بما تبرع به عليهم مما بقي في يده من الأموال^(٣) .
ومن ذلك : أن النبي - ﷺ - لما أراد فتح مكة سأل الله - ﷻ - أن يعمى أخباره على قريش؛ ليدخلها بغتة ؛ فكتب حاطب - ﷺ -^(٤) إلى أهل مكة يخبرهم ، وأعطى الكتاب امرأة سوداء؛ فنزل الوحي بذلك ؛ فاستدعى علياً - ﷺ - ، حتى لحق بالمرأة ، وأخذ الكتاب منها؛ فقال - ﷺ - عن حاطب - ﷺ - : إنه من أهل بدر ، ولعل الله اطلع عليهم فغفر لهم ، وعفا عنه^(٥) ، وغير ذلك مما تركناه خشية الإطالة .

نقد هذه الأدلة : كلها قد تثبت مثلها لغيره من الصحابة فلا تعد دليلاً صريحاً .

رابعاً : الأدلة على إمامة الاثني عشر إماماً : تزعم الاثنا عشرية : إجماع المسلمين على طهارة اثني عشر خليفة وفضلهم ، كما قال النبي - ﷺ - : " يكون اثنا عشر أميراً كلهم من قريش " ^(٦) ، وفي رواية : " إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَنْقُضِي حَتَّى يَمُضِيَ فِيهِمْ اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ "

(١) بعثه رسول الله - ﷺ - إلى الغميصاء - ماء من مياه جذيمة - فدعاهم إلى الإسلام ، فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبياناً ، وجعل خالد قتلاً ، وأسراً ، ودفع إلى كل رجل أسيره ، حتى إذا أصبح فهم من معه أن خالد بن الوليد أمر أن يقتل كل رجل أسيره ، قال ابن عمر : والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل أحد ، فقدموا على النبي - ﷺ - ، فذكر له صنع خالد ، فقال النبي - ﷺ - ، ورفع يديه : اللهم أني أبرأ إليك مما صنع خالد . وكلمة صبياناً تعني : خرجنا من ديننا ، ولما قالوا : صبياناً ، فهمها ابن عمر على أنهم أرادوا الإسلام ؛ لأن قريشاً كانوا يقولون لكل من أسلم : صبأ ، وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها ، وهو الخروج من دين إلى دين ؛ مع قرينة : أنهم لم يصرحوا بقبول الإسلام . وقال الخطابي : يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام ؛ لأنه فهم أنه على سبيل الأتفة ، ولم ينقادوا إلى الدين فقتلهم متأولاً . النسائي : السنن الكبرى ج ٦ ص ٤٩٠ - ٤٩١ .

(٢) هذا من سوء الأدب فإن النبي - ﷺ - كان فرعه لله وحده سبحانه .

(٣) الشيخ المفيد : الإرشاد ج ١ ص ٥٤ - ٥٥ .

(٤) حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير بن سلمة اللخمي - ﷺ - : من مشاهير المهاجرين ، شهد بدرًا والمشاهد ، ومات سنة ثلاثين . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٦٧ - ٣٦٩ .

(٥) الشيخ المفيد : الإرشاد ج ١ ص ٥٦ - ٦٠ .

(٦) رواه البخاري . ابن حجر : فتح الباري ج ١ ص ٢٤٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٣٩ .

قُرَيْشٍ " وفي رواية : لا يزال الإسلام عزيزاً ^(١) ، لكن أهل السنة لم يعين لهم النبي -ﷺ- أسماء هؤلاء الأئمة الأطهار .

ولكن الشيعة يسمونهم كما زعموا قوله -ﷺ-: " ابني هذا الحسين إمام ، ابن إمام ، أخو إمام ، أبو أئمة تسعة ، تاسعهم قائمهم ، وفي رواية : يا أبا عبد الله أنت إمام ... ^(٢) .

ومن أدلتهم : ما جاء أن محمد بن الحنفية - رحمه الله - خاصم علي بن الحسين -ﷺ- في أمر الولاية : فاحتكما إلى الحجر الأسود ، فنطق الحجر الأسود ، وقال لمحمد -ﷺ-: " يا محمد سلم الإمامة لعلي بن الحسين ، فرجع محمد عن منازعته ، وسلمها لعلي -ﷺ- ^(٣) .

ومع ثبوت العدد عند السنة والشيعة لكن هناك اضطراب في عد الأئمة عند الشيعة ؛ فعن الرضا: " سابعنا قائمنا إن شاء الله " ^(٤) ، وعن أبي جعفر بمثله ، وقال الرضا تعليقا : " صدق أبو جعفر سمعته يقول : إن شاء الله " ^(٥) ، وفي بعض الروايات ثلاثة عشر ؛ كما قال أبو جعفر قال رسول الله -ﷺ-: " إني واثنى عشر من ولدي ، وأنت يا علي زر الأرض ، يعني : أوتادها وجبالها بنا أوتاد الأرض أن تسيخ بأهلها ، فإذا ذهب الاثنى عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ، ولم يُنْظَرُوا " ^(٦) ، وهذه فاطمة عدت من ولدها : " اثنى عشر آخرهم القائم : ثلاثة منهم محمد ، وثلاثة منهم علي " ^(٧) ، فهل علي -ﷺ- من ولد فاطمة فإذا لم يكن منهم فالعدد ثلاثة عشر إماماً ، وآخر بعدهم اثنى عشر ؛ قال رسول الله -ﷺ-: " أنا وأحد عشر من صلبي أئمة محدثون " ^(٨) ، وقال -ﷺ-: " ولادة من بعدي علي بن أبي طالب ، وأحد عشر من ولده " ^(٩) ، وقال -ﷺ-: " يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً ، ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً ، فأنت أول الاثنى عشر إماماً " ^(١٠) ،

(١) رواه مسلم . النووي : شرح مسلم ج ٢ ص ٤٤٢ - ٤٤٤ . بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٢٦ .

(٢) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٣٧٢ . علي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ٢٢٩ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٨٢ .

(٤) الميرزا النوري الطبرسي : خاتمة مستدرک الوسائل ج ٤ ص ٢٨٦ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٢٦٠ .

(٦) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٦١٣ . جعفر العاملي : مأساة الزهراء ج ١ ص ١٥٤ .

(٧) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٦١١ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٤٤ .

(٨) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٠٣ . الشيخ المفيد : الإرشاد ج ٢ ص ٣٤٦ .

(٩) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٦١٢ . الشيخ المفيد : الإرشاد ج ٢ ص ٣٤٦ .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٦٠ .

عليّ خاتم الوصيين^(١).

ولا ندري كم عددهم ؛ حيث قدمنا أنه : يجب الإيمان بجميعهم تفصيلاً عندهم ، مع أننا أهل السنة مطالبون بالإيمان بالرسول إجمالاً ، مَنْ علمنا منهم ، وَمَنْ لم نعلم تفصيلاً^(٢) ، ولابد عند الشيعة من الإيمان بالأئمة تفصيلاً ، فكيف بنا الآن ؟ وقد صار العدد المفصل يدور بين ٧ ، ١٢ ، ١٣ ؛ فاللهم ألهمنا الصواب.

المبحث الثاني

الإمامة عند أهل السنة وطرق ثبوتها

أولاً : عقيدتنا في الإمامة : من المعلوم شرعاً أنه لا بد للمسلمين من إمام ؛ لأنه لو لم يكن لهم إمام فإنه يؤدي إلى إظهار الفساد في الأرض ، وشرطه أن يكون عاقلاً ، بالغاً ، ذكراً ، عادلاً ، عالماً بالحلال والحرام ، وأن يكون قرشياً ، والأفضل أن يكون هاشمياً ، أو كونه أفضل الناس ، أو مجتهداً في الأصول ، والفروع ، مهتدياً إلى وجوب التدابير بأسباب الحروب ، قادراً على العدل ، وعلى إقامة الجمعة والأعياد ، وغير ذلك مما يحتاج إليه الناس ؛ لأنه لو لم تكن فيه هذه الشرائط يكون ناقصاً ، وعاجزاً ؛ فيؤدي إلى إظهار الفتن^(٣).
فالإمام : القائد السياسي الذي يتولى إدارة النظام السياسي^(٤) ، ومن أهم شروطه غير ما سبق : النسب ، والإسلام ، وحفظ الشريعة ، وعلم الأحكام ، وصحة التنفيذ ، والتقوى ، وإتيان الطاعة ، وضبط أموال المسلمين ، فالخلافة ليست نظاماً لاهوتياً مقدساً عند أهل السنة ؛ لأن الإمام يجوز عليه ما يجوز على سائر الناس ، ولذا وجب نصُّه ، والالتفاف حوله ، وإعانتته بالحق^(٥) .

(١) بحار الأنوار ج ١٦ ص ٦٢٥ . وعن علي : أنا خاتم . مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٢٦٧ .
(٢) حافظ بن أحمد الحكمي : معارج القبول ، نشر دار ابن القيم - الدمام ، دار ابن حزم - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ج ٢ ص ٦٧٨ بتصرف . د ياسر برهامي : المنة ص ٢٧٣ - ٢٧٤ بتصرف .
(٣) د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية عرض ونقد ص ٥٤ بتصرف .
(٤) لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية : سلسلة الفتوحات العزمية ، الإصدار : ٣٠ ، الشيعة والتشيع في فكر القادة ورؤية الأئمة ، شبهات حول الشيعة ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م ص ١٥ - ١٦ .
(٥) د أحمد غلوش : النظام السياسي في الإسلام ، ط م الرسالة - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ص ١٩١ .

وطاعة الأئمة فرض عين^(١) ؛ لأن الإمام إذا لم يكن مطاعاً ، يؤدي ذلك إلى إخلال نظام الدين والدنيا؛ لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾^(٢) ، إلا فيما يأمرون به من المعاصي، فحينئذ لا إثم على الآبي ، ولا يحل الخروج عليهم ، وإن جاروا ، ولا ينزلون عن الإمامة ، والولاية ، وإن ظلموا ، أو ارتكبوا كبيرة ، ولا ندعوا عليهم ، بل ندعوا لهم بالصلاح والعدل ، وهذا اعتقادنا واعتقاد جماهير أهل السنة والجماعة ، فكما قيل : حكم ظلوم خير من فتنة تدوم . وقد أجمع الصحابة على خلافة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعليّ - ؓ - ، وهم قرشيون ، وعليّ قرشي هاشمي .

ثانياً : بما تثبت الإمامة لولي الأمر ؛ لثبوت الإمامة أربع طرق :

الطريقة الأولى : طريقة الشيعة وبعض المعتزلة وبعض الجبرية (طريقة التعيين بلاشورى من الأمة) :

تزعم الشيعة أن تعيين الإمام بالنص من الله - ﷻ - لنبيه ؛ لأن الذي له في نفسه القدسية استعداد لتحمل أعباء الإمامة العامة ؛ يجب أن لا يعرف إلا بتعريف الله له ، ولا يعين إلا بتعيين الله له ، واختلف أهل السنة في خلافة أبي بكر - ؓ - فذهب بعضهم إلى أنها ثبتت بالنص الخفي والإشارة ، وذهب غيرهم إلى أنها ثبتت بالاختيار من الأمة^(٣) . والأصح أنها كانت بالاشورى ؛ معتمدة على نصوص تبين فضائل أبي بكر - ؓ - .

الطريقة الثانية : (ولاية العهد بترشيح من الخليفة السابق عليه لمن يستحق في نظره) ؛ وذلك بأن

يتولى الإمامة بترشيح ممن سبقه ، وذلك كما فعل أبو بكر - ؓ - حين عهد لعمر - ؓ - بالخلافة^(٤) ، أو لعدد يرشحهم^(٥) ؛ كما عهد عمر - ؓ - للسنة ، ويتبع ذلك في الحالتين ببيعة العامة^(٦) .

(١) فرض العين: هو ما توجه فيه الطلب إلى كل مكلف بعينه ، ولا يجزئ قيام مكلف به عن آخر ، ولا تبرأ الذمة إلا بأدائه . د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ص ١٢٦ . أيمن موسى : غاية المأمول ص ٧٤ .

(٢) سورة النساء : آية رقم ٥٩ .

(٣) د أحمد غلوش : النظام السياسي في الإسلام ص ٢٣٣ .

(٤) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٣٠ - ٣١ . الباجوري:أرجوزة جوهرة التوحيد ، ط جامعة الأزهر ، ٢٠٠٦م / ٢٠٠٧م ، ٥١٤٢٧ / ٥١٤٢٨ ج ٢ ص ٢١٧ .

(٥) لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية : شبهات حول الشيعة ج ١ ص ٢٤ - ٢٥ بتصرف .

(٦) د عمر الفرماوي:أصول الرواية عند الشيعة الإمامية ص ٥٦ . د أحمد غلوش:النظام السياسي في الإسلام ص ٢٣٧ .

والقول بولاية العهد بدون شورى بدعة ، وأعظم من ذلك أن تجعل حقاً لكل خليفة ، وإن كان متغلباً لا يعد من أئمة الحق^(١) ، ولم يراع ما راعه أبو بكر - ﷺ - من استشارة أهل الحل والعقد ؛ لأن الاستخلاف والعهد إن لم يقره أهل الحل والعقد لا يكون المستخلف به إماماً ، ولا يجب له حق الطاعة.

فالعمدة علىبيعة أهل الحل والعقد، لا على الاستخلاف والعهد. ولو أن المسلمين رأوا بعد وفاة أبي بكر - ﷺ - خيراً من عمر - ﷺ - وبايعوه ما عارضهم معارض ، ولا كان عهد أبي بكر حجة عليهم، وكذلك لو بايع المسلمون واحداً غير الستة الذين جعل عمر - ﷺ - الشورى فيهم، فالعهد أو الاستخلاف لا يعدو أن يكون ترشيحاً من السلف للخلف. والأمة بعد ذلك صاحبة القول الفصل فيمن تختاره إماماً، كما أن لها الحق في الإشراف على سياسته في عهد إمامته ، ولها الحق في عزله إذا لم يقم بما عاهدتهم عليه^(٢).

الطريقة الثالثة : (القهر والغلبة) ويسمى الإمام المتغلب؛ حين يستخدم إنسان قوته ، ويستولي على الحكم، بلابيعة ، ولو لم يكن أهلاً لها ؛ لأن درء المفسدة مقدم على جلب المنفعة ، وحقناً للدماء ؛ فلا يجوز الخروج عليه^(٣)، وهذه نظرية تبرير لا تشريع ، وهي استثناء ، وليس لها دليل من الشرع^(٤)، إذ إنها لا تعدو إلا أن تكون حلاً جبرياً بفرض الأمر الواقع ، إذ هي على خلاف الكتاب والسنة التي قررت مبدأ الشورى المجمع عليه بين أهل السنة والجماعة .

(١) غفل المسلمون عن هذا فتركوا الخُلافة لأهل العصبية يتصرفون فيها تصرف المُلوك الوارثين الذين كانوا يزعمون أن الله فضلهم على سائر البشر لذواتهم ولبيوتهم وأوجب طاعتهم والخضوع لهم في كل شيء، فلم يوجد في أهل الحل والعقد من الرؤساء من اهتدى إلى وضع نظام شرعي للخلافة بالمعنى الذي يسمى في هذا العصر بالقانون الأساسي، يقيدون به سلطة الخليفة بنصوص الشرع، ومشاورتهم في الأمر، ومن يقرأ سيرة الراشدين، يجد أنهم منعوا ولاية العهد للوارثين، وقيدوا اختيار الخليفة بالشورى، وبينوا أن السلطة للأمة يقوم بها أهل الحل والعقد منها، وجعلوا ذلك أصولاً متبعة. محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ) : الخلافة ، ط الزهراء للإعلام العربي - القاهرة ، د ت ص ١٤٨.

(٢) د عبد الوهاب خلاف (ت ١٣٧٥هـ) : السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية ، ط دار القلم - القاهرة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ص ٦٣-٦٤.

(٣) الباجوري : جوهرة التوحيد ج ٢ ص ٢١٧. د أحمد غلوش : النظام السياسي ص ٢٣٧.

(٤) لجنة الطريقة العزمية: شبهات حول الشيعة ج ١ ص ٢٥. أحمد غلوش: النظام السياسي ص ٢٣٩.

الطريقة الرابعة : (بيعة أهل الحل والعقد)^(١) وتسمى طريقة الشورى^(٢)؛ حين يقوم أهل الحل والعقد باختيار شخص جامع لشروط الإمامة ، ويرشحونه ، ويباعونه ببيعة خاصة ، وبعدها يقوم المسلمون بمبايعته ببيعة عامة ، مثلبيعة أبي بكر - ﷺ - (٣)، وحيث لا يمكن استشارة المسلمين جميعاً ؛ فلا بد من الأخذ بالميسور من ذوي الرأي (٤)، ويشترط في أهل الشورى : أن يكونوا محيطين بأحكام القرآن والسنة ، غير متهمين في دينهم ، خالين من خوارم المروءة ، وأسباب الفسق ، لهم علم بأمور السياسات (٥) ، وتثبت الإمامة : باختيار أهل الصلاح ، وتنعقد بقدر رجل واحد من أهل العدالة والاجتهاد ، ودلالة الثبوت تفويض النبي - ﷺ - ولاية الإمامة إلى الصحابة (٦) .

المبحث الثالث

المطلب الأول : الآثار المترتبة على تقديس الأئمة ومظاهره على أركان الإيمان

أولاً : ظهور أثر تقديس الأئمة على عقيدة توحيد الله - ﷻ - : تؤمن الشيعة الاثنا عشرية بوجود الله تعالى، ووحدانيته ، وربوبيته ، لكن هذا الإيمان شابته شوائب تأثراً بتقديسيهم لأنتمهم ؛ أفقدت هذا الإيمان مصداقيته ، فوصفوا أنتمهم بصفات لا تنبغي إلا لله سبحانه . فوصفوا الأئمة بالربوبية؛ فرووا بأباطيل منها : أن علياً - ﷺ - : " زُرْ الأرض " (٧)، وقول علي - ﷺ - : " على يدي تقوم الساعة " (٨)، وعن أبي عبد الله في قوله - ﷻ - : ﴿

(١) أهل الحل والعقد: أهل العلم والسياسة والجنود وكبار الجماهير. عمر الفرمائي: أصول الرواية عند الشيعة ص ٥٤.

(٢) لجنة الطريقة العزمية : شبهات حول الشيعة ج ١ ص ٢٤ . بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٣٣٨.

(٣) د أحمد غلوش : النظام السياسي في الإسلام ص ٢٢٣ - ٢٣٩ بتصرف .

(٤) لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية : شبهات حول الشيعة ج ١ ص ٤٠.

(٥) الماوردي : الأحكام السلطانية ص ٢٣ . د عمر الفرمائي: أصول الرواية عند الشيعة الإمامية ص

٥٩. د أحمد غلوش : النظام السياسي في الإسلام ص ٢٣٧.

(٦) عدالة الصحابة: ثابتة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم بنص القرآن؛ منه قوله تعالى: ﴿كنتم

خير أمة أخرجت للناس﴾ . آل عمران : ١١٠ . أبو بكر بن العربي : العواصم من القواصم ص ٣٢.

(٧) قال محمد الباقر البهبودي : في الأصل المطبوع : رب الأرض وهو تصحيف ، ومعنى الزر : ما به

قوام الأرض ، وبه تسكن . انظر المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٩ عن الحسين - ﷺ -

(٨) قال الباقر : يعني في الرجعة . انظر المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٢٠ بتصرف.

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴿١﴾، قال : رب الأرض: إمام الأرض ، فإذا خرج إمام الأرض يستغني الناس عن ضوء الشمس ، ونور القمر ، ويجتزون بنور الإمام (٢) .

وافترضوا أن الخلق عبيدهم مثل إدعائهم أنه ما استأهل خلق من الله النظر إليه إلا بالعبودية لنا (٣)، والناس عبيد لنا (٤) في الطاعة (٥) ، وإن الله خلقنا، وجعلنا عينه في عباده ، ولسانه الناطق في خلقه ، ويده المبسوطة على عباده بالرفقة والرحمة ، ووجهه الذي يؤتى منه ، وخزائنه في سماءه وأرضه ، بنا أثمرت الأشجار ، وأينعت الثمار ، وجرت الأنهار ، وبنا نزل غيث السماء ، ونبت عشب الأرض وعبادتنا عبد الله ، ولولانا نحن ما عبد الله (٦)، ولا يُدري كيف يعبد الرحمن (٧) نعوذ بالله من الضلال .

ونسبوا لهم التشريع بدلاً من الله ؛ فنسبوا لأبي جعفر : " الأئمة منا مفوض إليهم ، فما أحلوا فهو حلال ، وما حرموا فهو حرام " (٨). حتى ولو كان في معصية الله (٩)، فافتروا عن الله - ﷻ - : أقسمت بعزتي أن أدخل الجنة من أطاعه ، وإن عصاني ، وأقسمت بعزتي أن أدخل النار من عصاه، وإن أطاعني (١٠).

(١) سورة الزمر : آية رقم ٦٩ .

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٢٦ . على الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ٤ ص ٤٧ .

(٣) الشيخ المفيد : الاختصاص ص ٢٤٣ عن أبي عبد الله .

(٤) سئل الرضا : شيء يحكونه عنكم الناس يقولون : إن الناس لكم عبيد ؟ فقال : اللهم فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ؛ أنت شاهد بأني لم أقل ذلك قط ، ولا سمعت أحداً من آبائي قاله قط وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأمة وإن هذه منها . بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٦٨ .

(٥) الجواهرى: جواهر الكلام ج ٣٥ ص ٢٣٢ . بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٧٩ عن الرضا .

(٦) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٩٢-١٩٣ عن أبي عبد الله .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٩ .

(٨) محمد الصفار: بصائر الدرجات ص ٤٠٤ . النوري الطبرسي: مستدرك الوسائل ج ١٣ ص ١٣٨ .

(٩) يرد أبو عبد الله فيقول : رجل يزعم أن الأمر مفوض إليهم ؛ فهذا قد وهن الله في سلطانه ، فهو كافر . الصدوق : الخصال ص ١٥٤ .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٠ .

وافترضوا عن الرضا عن آبائه قول رسول الله - ﷺ - سمعت الله - ﷻ - يقول : علي بن أبي طالب ، لا أدخل النار من عرفه وإن عصاني ، ولا أدخل الجنة من أنكره وإن أطاعني ^(١) . سبحان الله ! .

ونسبوا لعلي - ﷺ - إحياء الموتى ومعرفة الغيب : " وأنا إن شئتم أحييت لكم موتاكم " ^(٢) ، ولقد وفدت إلى ربي اثني عشر وفادة ، فعرفني نفسه ، وأعطاني مفاتيح الغيب ^(٣) ... أنا الذي قال الله فيه : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ ^{(٤)(٥)} ، وافترضوا عنه : " أنا الذي علوت فقهرت ، وأنا الذي أحيي وأميت ، وأنا الأول والآخر والظاهر والباطن " ^(٦) .

وعن أمير المؤمنين - ﷺ - : " والذي رفع السماء بغير عمد لو أن أحدهم رام أن يزول من مكانه بقدر نفس واحد لما زال حتى آذن له ، وكذلك يصير حال ولدي الحسن ، وبعده والحسين ، وتسعة من ولد الحسين تاسعهم قائمهم " ^(٧) ، وعنه - ﷺ - أيضاً : " والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إني لأملك من ملكوت السموات والأرض ما لو علمتم ببعضه لما احتمله جنانكم " ^(٨) .

ورفعوهم لدرجة المساواة مع الله سبحانه فزعموا أنه لا فرق بينه وبينهم ، إلا أنهم عباده وخلقهم ^(٩) ، وزعموا لهم الاختلاط بالله سبحانه فافتروا : إن الله تعالى أعظم ، وأعز ، وأجل من أن يُظلم ، ولكنه خلطنا بنفسه ، فجعل ظلمنا ظلمه ، وولايتنا ولايته ^(١٠) .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١١٦ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٩٤ .

(٣) قال الله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ . الأنعام آية رقم : ٥٩ .

(٤) سورة البقرة : آية رقم ٢١٠ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٣٥٠ .

(٦) علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٢٤٩ . بحار الأنوار ج ٤٢ ص ١٨٩ .

(٧) الحسن سليمان الحلي : المحتضر ص ١٣٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣٦ - ٣٧ .

(٨) الحسن بن سليمان الحلي : المحتضر ص ١٣٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣٧ .

(٩) بحار الأنوار ج ٩٨ ص ٣٩٣ . الطوسي : مصباح المتجهد ص ٥٥٦ . مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٦٢٨ .

(١٠) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٩٤ . بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٢٢٢ . مستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ٣١ .

وزعموا لهم الاتحاد والحلول ومنحهم الخصائص الإلهية : خليفته القائم مقامه في الملك والملكوت ، المتحد بحقيقته في حضرة الجبروت ، واللاهوت ، أصل شجرة طوبى ، وحقيقة سدرة المنتهى ، الرفيق الأعلى في مقام أو أدنى ، معلم الروحانيين ، ومؤيد الأنبياء والمرسلين ؛ علي أمير المؤمنين ^(١) ، فهو -ﷺ- بمقام ولايته الكلية قائم على كل نفس بما كسبت ، ومع كل الأشياء؛ معية ^(٢) : قيومية ،

ظلية ^(٣) ، إلهية ، ظل المعية القيومية الحقبة الإلهية ^(٤) ، قال تعالى : ﴿ أَقَمَّنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ ^(٥) ، فهذه خواص آلهية ، وآيات ربانية ^(٦) ، وهو بشر ملكي ، وجسد سماوي ، وأمر إلهي ، وروح قدسي ، ومقام علي ، ونور جلي ، وسر خفي ، فهو ملكي الذات ، إلهي الصفات ، عالم بالمغيبات ، خصاً من رب العالمين ^(٧) ، والحقيقة الإلهية عندهم لا بد لها من التعيين في جسد بشري ، وأنها تظل تنتقل من جسد إلى جسد ، حتى تبلغ كمالها الأعظم في هيكل إنساني هو أعظم هياكلها أو تجسدها ، وهذا الجسد البشري هو بهاء الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ^(٨) ، فروح الإيمان واحدة ، خرجت من عند واحد ،

(١) الخميني: مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية ، ط الأعلمي- بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ص ١٣ .

(٢) هل معنى معية علي للنفوس أنه معهم في كل مكان بذاته أم بعلمه ؟ فإن قلتم بذاته كان علي متحداً مع من هو معه وهو محال ، وإن قلتم بعلمه فأبي العلمين يسبق الآخر بهم علم الله أم علم علي فإن كان الله فعلم علي تحصيل حاصل فلا تكون المعية قيومية لانتظاره الوحي من الله تعالى ، وإن قلتم سبق علم علي علم الله تعالى كفرتم .

(٣) يقول النوبختي : من شاذ صنف الشيعة فرقة مالت إلى عبد الله بن الحارث ، وكان أبوه زنديقاً من أهل المدائن؛ فأدخلهم في الغلو ، والقول بالتناسخ ، والأظلة ، والدور ، وأسند ذلك إلى جابر بن عبد الله الأنصاري ، وهو منه براء . انظر فرق الشيعة ص ٧٤ .

(٤) الخميني : مصباح الهداية مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية ص ١٥٣ .

(٥) سورة الرعد : آية رقم ٣٣ .

(٦) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٦٢ .

(٧) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٧٢ . علي الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ١٨٢ .

(٨) دبسمه جستنيه: أثر الديانات الوثنية في عقيدة الرافضة ص ٣٦٢ ، عن عبد الرحمن الوكيل : البهائية .

وتتفرق في أبدان شتى ، فعليه انتلفت ، وبه تحابت ، وستخرج من شتى ، وتعود واحداً ، وعند واحد^(١).

ووصفوا أئمتهم بصفات الجليل سبحانه ؛ فعندهم الإمام كلمة الله ، وحجة الله^(٢) ، ووجه الله ، ونور الله ، وحجاب الله^(٣) ، وآية الله يختاره ، ويجعل فيه ما يشاء ، ويوجب له الطاعة والولاية على جميع خلقه ، فهو وليه في سماواته وأرضه ، فمن تقدم عليهم كفر بالله من فوق عرشه ، فهو يفعل ما يشاء ، وإذا شاء الله شاء^(٤).

ويزعمون اتحاد الإمام بجسد النبي ﷺ :- فمحمد سيد أهل السماوات والأرضين ، وعلي نفس هذا السيد ، وروحه ، ولحمه ، ودمه ، وأخوه ، وفتاه ، ومؤانسه ، ومؤاسيه ، ومفديه ، وسلطان دولته ، وحامي ملته ، وفارس مملكته ، فعلي سلطان أهل السماوات والأرضين ، وأميرهم ، ووليهم ، ومالكهم ؛ لأنه أولى بهم من أنفسهم ؛ لأنه أمين الله ، وأميره ، ووليّه ، ووالده في الفخار على الإنس والجنة^(٥) ، فمحمد وعلي نور واحد قديم ، وإنما انقسما تسمية ليمتاز النبي عن الولي ؛ كما امتاز الواحد عن الأحد^(٦).

وافترضوا على رب العزة قولاً : يا محمد أنت مني حيث شئت ، وأنا وعلي منك حيث أنت مني ، ومحب علي مني حيث علي منك^(٧).

وعليه فالشرك عندهم في الولاية فقط ، مثل قوله تعالى : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾^(٨) ، أي : " إن أشركت في الولاية غير علي - ﷺ - " ^(٩) ،

(١) الشيخ المفيد : الاختصاص ص ٢٤٢ - ٢٤٣ . عن أبي عبد الله .

(٢) قال تعالى : ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِقَاءِ يَوْمٍ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ . النساء : ١٦٥ .

(٣) قال أمير المؤمنين لرجل : أخطأت ، ثكلتك أمك ؛ إن الله ليس بينه وبين خلقه حجاب ؛ لأنه معهم أينما كانوا ، قال الرجل : ما كفارة ما قلت ، قال : أن تعلم أن الله معك حيث كنت . الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٦ ص ٥٠ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٦٩ عن علي - رضي الله عنه - .

(٥) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٦٤ . وهذا لا يقال عليه إلا إساءة لجنايه سبحانه .

(٦) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٦٦ . كيف يشبه الخلق بالخالق سبحانه هذا بهتان عظيم .

(٧) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٦٧ .

(٨) سورة الزمر : آية رقم ٦٥ .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٣٨٠ . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤٩٥ - ٤٩٦ .

وقوله تعالى: ﴿إِلَٰهَ مَعَ اللَّهِ﴾ ^(١)، أي : إمام هدى مع إمام ضلال في قرن واحد " ^(٢) ؛ لأن حب علي حسنة لا تضر معها سيئة ، وبغضه سيئة لا ينفع معها حسنة ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ ^(٣) ^(٤) .

وزعموا تحكمهم في تسيير الكون كونياً ، وشرعياً ؛ فافتروا : ثم خلق محمداً -ﷺ- وعلياً ، وفاطمة ، فمكثوا ألف ألف وفي رواية : ألف دهر ^(٥)، ثم خلق الأشياء ، وأشهدهم خلقها ، وأجرى عليها طاعتهم ^(٦)، وفوض أمر الأشياء إليهم ، فهم قائمون مقامه، يحلّون ما شاءوا ، ويحرمون ما شاءوا ، ولا يفعلون إلا ما شاء الله... فهذه الديانة التي من تقدمها مرق ^(٧) . وغالوا في خلقهم ؛ فزعموا على علي -ﷺ- : خلقنا من نور الله ، وخلق شيعتنا من شعاع نورنا ^(٨). وبنحوه عن الصادق ^(٩) ^(١٠) وخلق الله كل خير من نور النبي -ﷺ- ^(١١).

-
- (١) سورة النمل : آية رقم ٦٠ .
- (٢) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٣٦١ . الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ١٧١ . أبي عبد الله .
- (٣) سورة الفرقان : آية رقم ٧٠ .
- (٤) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٦٦ .
- (٥) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٣٩ . الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٥١١ - ٥١٢ . أبي جعفر الثاني .
- (٦) إذا قيل إمامة الأئمة أهي داخلية في الرسالة بمعنى : أن يشترط فيه ما يشترط في صاحب الرسالة ، أم هي خارجة عن الرسالة ، بمعنى: أن تكون طاعة الإمام منفصلة عن طاعة الرسول ، فلا يشترط في طاعته ما لا يشترط في طاعة النبي؟ فهذا كله باطل ؛ لأن كل ما أمر به الإمام داخل في الرسالة المحمدية، ولا يجوز طاعته حتى يكون طائعاً لصاحب الرسالة ، وإلا فلا طاعة ؛ فإن الطاعة إنما تجب لله ورسوله ، ولمن أمرت الرسل بطاعته ، إذ لو أمر بما كان موجوداً في الرسالة فإنه تحصل حاصل . عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية ، نشر دار الصديق - صنعاء - اليمن ، ط ٢ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م ص ٣٦ - ٣٧ بتصرف .
- (٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٥ . الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ٢٨٥ .
- (٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢١ .
- (٩) علي الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ١٧٠ . بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢١ .
- (١٠) لكن نجد ما يتعارض مع هذا فعن أبي عبد الله : إن الله خلقنا من عليين ، وخلق أرواحنا من فوق ذلك ، وخلق أرواح شيعتنا من عليين ، وخلق أجسادهم من دون ذلك . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤٥٣ . بحار الأنوار ج ٥ ص ٢٤٣ . ونجد قولاً آخر لأبي عبد الله: إن الله خلقنا من نور عظمته . فأسكن ذلك النور فيه ؛ فكنّا نحن خلقاً وبشراً نورانيين ، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا ، ولذلك صرنا

فإذا كان الخير خلق من النبي -ﷺ- والشيعة خلق من طينة النبي الخيرة ، التي لم يشاركه فيها إلا الأنبياء ، والناصب ^(٢) خلق من طينة أخرى ، فكيف تقع المعصية من الشيعة ؟ !! .

الجواب : وقع ما لم تكن الشيعة تريده ؛ فقد تأثرت كلتا الطينتين بالأخرى ؛ فما يقع فيه الشيعة من جرائم هي من تأثره بطينة الناصب ، وما يعملها الناصب من حسنات هو من تأثره بطينة الشيعة ، فإذا كان يوم القيامة ، فإن سيئات الشيعة توضع على الناصب ، وحسنات الناصب توضع في حسنات الشيعة ^(٣) ؛ وهنا تزر الوازرة وزر الأخرى ! كما ترى العدل الشيعة ^(٤) .

وأكلوا لهم الرزق من الله فنسبوا لعلي -ﷺ- إن الله يقسم أرزاق العباد، ويجريها على أيدينا ^(٥) .

وزعموا لهم كذباً وزورا حساب الخلق فافتروا عن علي -ﷺ- : " إينا إياب هذا الخلق ، وعلينا حسابهم ، فما كان لهم من ذنب بينهم وبين الله -ﷻ- : حتمنا على الله في تركه لنا، فأجابنا إلى ذلك ، وما كان بينهم وبين الناس : استوهبناه منهم ، وأجابوا إلى ذلك ، وعوضهم الله -ﷻ- ^(٦) .

نحن الناس، وصار سائر الناس همج للنار. الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤٥٣ . حسن الحلي : المحتضر ص ٢٨٣ .

(١) بحار الأنوار ج ١٥ ص ٢٤ . علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ١٤ .
(٢) الناصب هم أهل السنة. قال د حسين الموسوي: في جلسة ضمت عدداً من السادة ، وطلاب الحوزة العلمية ، قال الخوئي : قاتل الله الكفرة ، قلنا : من هم ؟ قال: النواصب -أهل السنة- يسبون الحسين بل يسبون أهل البيت ! . الله ثم للتاريخ ص ٢٤ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥ ص ٢٣٠ - ٢٣١ .
(٤) " إِنْ اللَّهَ لَا يَجْعَلُ الذَّنْبَ ذَنْبًا لِمَنْ لَمْ يَفْعَلْهُ ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ أَحَدًا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا بِذَنْبِهِ ؛ فَهُوَ الْقَائِلُ : " ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأنعام: ١٦٤ ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ النور: ٥٤ . ابن تيمية: مجموع الفتاوى ج ٢٤ ص ٣٧٣ .

(٥) إبراهيم الجبهان: تنديد الظلام وتنبيه النيام، ط دار الشعب - القاهرة، المجمع العلمي - جدة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ص ٥١ .

(٦) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ١٣٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٨ ص ٥٠ .

وادعوا أن خزائن الأرض بأيديهم ؛ فعن أبي عبد الله : عندنا خزائن الأرض ، ومفاتيحها ، ولو شئت أن أقول بإحدى رجليّ أخرجي ما فيك من الذهب ؛ لأخرجت ، قال : ثم قال بإحدى رجله فخطها في الأرض خطأ ؛ فانفجرت الأرض ؛ فأخرجت سبيكة ذهب قدر شبر^(١).

حتى افتروا إنهم يعلمون متى ستعلق نطفهم في رحم أزواجهم ، وحين يولدون يكلمهم الله ، ويردون جوابه فور الولادة ؛ فعن أبي عبد الله أنه كان في الحج في السنة التي ولد فيها ولده موسى فبينما هو يأكل إذ أتاه رسول حميدة^(٢) ، فقال : إن حميدة تقول لك : إني قد حضرتني ولادتي ، وقد أمرتني أن لا أسبقك بابني هذا ؛ لقد كنت أعلم به منها ، إنه لما أن كانت الليلة التي علقت فيها بابني هذا المولود ، أتاني آت ؛ فسقاني كما سقاهم ، وأمرني بمثل الذي أمرهم به ؛ فقمتم - بعلم الله - مسروراً بمعرفتي ما يهب الله لي ، فجامعت ؛ فعلقت بابني هذا المولود ، فدونكم ، فهو - والله - صاحبكم من بعدي ، إن نطفة الإمام إذا سكنت في الرحم أربعة أشهر ، وأنشأ فيه الروح بعث الله - تبارك وتعالى - إليه ملكاً يقال : له حيوان ، يكتب في عضده الأيمن : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾^(٣) ، فإذا وقع من بطن أمه وقع واضعاً يديه على الأرض ، رافعاً رأسه إلى السماء ، ويناديه منادٍ من بطنان العرش من قبل رب العزة باسمه واسم أبيه ، اثبت ملياً لعظيم خلقتك ، أنت صفوتي من خلقي ، فإذا انقضى صوت المنادي ، أجابه هو : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٤) فإذا قال ذلك أعطاه الله العلم الأول ، والعلم الآخر ، واستحق زيارة الروح في ليلة القدر ، والروح خلق أعظم من جبرائيل ؛ أليس يقول الله - عز وجل - : ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا ﴾^(٥) ؟^(٦)

(١) الكليني : الأصول من الكافي ج ١ ص ٥٤٧ .

(٢) حميدة البربرية أم موسى الكاظم ، وتسمى المصفاة . البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٧ ص ٤٣٦ .

(٣) سورة الأنعام : آية رقم ١١٥ .

(٤) سورة آل عمران : آية رقم ١٨ .

(٥) سورة القدر : آية رقم ٤ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٣ - ٤ بتصرف .

ونسبوا لهم علم الغيب^(١)، يقول أحدهم مناجياً علياً - عليه السلام - : " السلام على سمّاع السر والنجوى ، الحاكم في يوم الدين، ومنزل المن والسلوى " ^(٢) فما بقي لله ؟ وعن علي - عليه السلام - : " علمت المنايا ، والبلايا ، وفصل الخطاب ، فلم يفتني من سبقني ، ولم يعزب عني ما غاب عني " ^(٣) ^(٤). وزعموا كذباً أن الشمس نادى علياً^(٥) - عليه السلام -

أمام أبي بكر - عليه السلام - ، وعمر - عليه السلام - ، والمهاجرين ، والأنصار بعدما ردها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - بعدما غابت ؛ لأن الإمام علي لم يكن صلى العصر - مع كونها ناقضة للعصمة - ؛ فقالت : " يا أول ، يا آخر ، يا ظاهر ، يا باطن ، يا من هو بكل شيء عليم " ^(٦).

ونسبوا لهم إحياء الموتى ؛ فعن أبي جعفر أنه سئل : أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى، وتبرؤا الأكهم، والأبرص ؟ قال : نعم بإذن الله ثم مسح على عين الراوي فأبصر ^(٧) ، وعن علي - عليه السلام - : أن قريشاً سألت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - إحياء ميت ؛ فقال : انطلق يا علي مع القوم إلى المقابر ، فأحيي لهم - بإذن الله - من يسألونك من آبائهم ، وأمهاتهم ،

(١) يقول المفيد : إن الأئمة من آل محمد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد ، ويعرفون ما كان قبل كونه ، وليس ذلك بواجب في صفاتهم ، ولا شرطاً في إمامتهم ، وليس ذلك بواجب عقلاً ، ولكنه وجب لهم من جهة السماع ، فأما إطلاق القول عليهم بأنهم يعلمون الغيب فهو منكر بين الفساد ؛ لأن هذا الوصف يستحقه من علم الأشياء بنفسه ، وهذا لا يكون إلا لله ، وعلى قولي هذا جماعة من أهل الإمامة إلا من شذ عنهم من المفوضة والغلاة. أوائل المقالات ص ٦٧.

(٢) الميرزا النوري الطبرسي : مستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٢٢٢.

(٣) الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ١٥٧. الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٥٣.

(٤) أظن أن من هذه الأشياء ما اختص الله بعلمها قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ لقمان : آية رقم ٣٤.

(٥) قلتُ : هذا حديث موضوع ، وَغُلُوُّ الرَّافِضَةِ فِي حُبِّ عَلِيٍّ - عليه السلام - حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ وَضَعُوا أَحَادِيثَ كَثِيرَةً فِي فَضَائِلِهِ، مِنْهَا أَنَّ الشَّمْسَ غَابَتْ فَفَاتَتْ عَلِيًّا - عليه السلام - الْعَصْرُ فَرَدَّتْ لَهُ الشَّمْسُ، وَهَذَا مِنْ حَيْثُ النَّقْلُ مُحَالٌ ، وَمِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى : فَإِنَّ الْوَقْتَ قَدْ فَاتَ ، وَعَوْدُهَا طُلُوعٌ مُتَجَدِّدٌ لَا يَرُدُّ الْوَقْتَ. تفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٦٥١.

(٦) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٨٠. علي الشاهرودي: مستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٢٤٨.

(٧) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٥٤٣. المجلسي : بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٣٧.

وأجدادهم ، وعشائريهم ، فانطلقت معهم ، فدعوت الله -ﷺ- باسمه الأعظم ؛ فقاموا من قبورهم ينفضون التراب عن رؤوسهم - بإذن الله - ، وأقبلت قريش تسألهم^(١) .
وعن أبي عبد الله : إن شاباً أتى أمير المؤمنين فقال : إن أخي مات ، وقد حزنت عليه حزناً شديداً ، فقال : تشتهي أن تراه ؟ فقال : بلى ، قال : فأرني قبره ، قال : فخرج ، ومعه بردة رسول الله -ﷺ- متزراً بها ، فلما انتهى إلى القبر ، تلممت شفتاه ، ثم ركض برجله ، فخرج من قبره وهو ينطق بلسان الفرس^(٢) ، فقال له أمير المؤمنين : ألم تمت وأنت رجل من العرب ؟ فقال : بلى ، ولكنني مت على ولاية فلان وفلان^(٣) ، فانقلب لساني على السنة أهل النار^(٤) .

وزعموا أن الرعد والبرق بأمر علي -ﷺ- ؛ فعن أبي عبد الله : " أما إنه ما كان من هذا الرعد ، ومن هذا البرق ؛ فإنه من أمر صاحبكم ، قيل له : من صاحبنا ؟ قال : أمير المؤمنين^(٥) (٦) .

بل ركب السحابة وقال : " أنا عين الله في أرضه ، أنا لسان الله^(٧) الناطق في خلقه^(٨) ؛ أما القرآن فلو استنطقوه فلن ينطق^(٩) ، ففضلوه على القرآن الكريم نعوذ بالله من الضلال! .

وهناك ما يعد من الأساطير فافتروا على النبي -ﷺ- حين سئل : بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟ قال : خاطبني بلسان علي بن أبي طالب^(١٠) ؛ فألهمني أن قلت : أخاطبتني أنت أم علي ؟ قال " يا أحمد ، أنا شيء ليس كالأشياء ، خلقتك من نوري ، وخلقت علياً

(١) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٣٠٤ . علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ٤٩٣ .

(٢) اللغة الفارسية . انظر سامح عباس الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الاثني عشرية ص ١١٣ .

(٣) يقصد أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - . سامح الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية ص ١١٣ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٩٢ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣٣ .

(٦) الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ سورة الرعد : آية رقم ١٢ .
والضمير والاسم الموصول يفيدان الاختصاص بالله -ﷻ- .

(٧) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣٤ بتصرف . الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ١٣٠ .

(٨) القرآن والسنة ليس فيهما ما يدل على اتصافه تعالى بصفة اللسان ! وهذه أمور توقيفية .

(٩) بحار الأنوار ج ٣١ ص ٥٤٦ . علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ١٠٢ .

(١٠) النوري : خاتمة المستدرك ج ١ ص ٢٤٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١١٠ ص ٣١ .

من نورك ، فاطلعت على أسرار قلبك؛ فلم أجد أحب من علي بن أبي طالب إلى قلبك؛ فخطبتك بلسانه؛ كيما يطمئن قلبك^(١).

وادعوا أن الأرض حدثته بأخبارها ليلة عرسه بفاطمة - عليها الرضوان - ففزعت وأخبرت أباهما فقال رسول الله - ﷺ -: إن الله فضل بعك على سائر خلقه ، وأمر الأرض أن تحدثه بأخبارها ، وما يجري على وجهها من مشرق الأرض إلى مغربها ^(٢) .

وغالوا فادعوا أن اسم الإمام مكتوبٌ على الأحجار ، وأوراق الأشجار ، وأجنحة الأطيوار ، وأبواب الجنة والنار ، والعرش ، والأفلاك ، وأجنحة الأملاك^(٣) ، وحُجُب الجلال ، وسرادقات العز والجمال ، وباسمهم تسبح الأطيوار ، وتستغفر لشيعتهم الحيتان في لجج البحار ، وإن العرش لم يستقر حتى كتب عليه بالنور : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، علي ولي الله ^(٤). وغالوا حتى سلبوا صفة الخلق من الله سبحانه ومنحوها لقمة سائغة للأنتمهم فنسبوا لعلي - ﷺ -: فإنا صنائع ربنا ، والناس بعد صنائع لنا^{(٥)(٦)} ، نعوذ بالله وليأذاً بجنابه سبحانه ! .

وهذا بلا شك أثر واضح من تأثر عقيدة الرفض بعقائد إيران الفارسية القديمة فقد شاعت عقيدة حلول الإله في العظماء والملوك ؛ فكان الإيرانيون القدماء يقدسون ملوكهم - الحاخاميين والساسانيين - لصلتهم الخاصة بإله الخير (اهورامزدا) بحلولهم فيه ، كما يعتقدون أنهم ظل الله في الأرض ، وأيدهم الله بروح منه ، حيث تتوارث الروح الإلهية المقدسة عن طريق التناسخ ^(٧) بين الحكام المتعاقبين ؛ ولذلك فكل أمورهم وأوامرهم

(١) الحسن الحلي: المحتضر ص ١٧١ - ١٧٢. المجلسي: بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٨٦ - ٣٨٧.

(٢) الحسن الحلي : المحتضر ص ١٧٢. المجلسي : بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٧١ - ٢٧٢.

(٣) الأملاك : الملائكة ، جنس نوراني لطيف من خلق الله ، ، والأملاك جمع ملك ، وهو جمع قلة يقال : ثلاثة أملاك ، وقيل : جمع ملك . المعجم الوجيز ص ٥٩٠. لسان العرب ج ٤٨ ص ٤٢٦٦.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٧٤.

(٥) مع أن الإمام علي حين سألته أحد الرواة عن الصفات نهى عن الغلو فقال : " لا تجاوز ما في القرآن " الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ١٥٥. وفي رواية : " لا تعدوا القرآن ؛ فتضلوا بعد البيان. الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٣ ص ٥٨.

(٧) التناسخ : عقيدة هندوسية بوذية ، ولها جذور في يونانية كفيثاغورث ، وتعني انتقال الأرواح من جسد شخص إلى شخص، وما يلقي من الراحة ، والتعب ؛ فمرتبت على ما أسلفه الإنسان في بدن آخر،

مقدسة ، كما كان الآشوريون والبابليون يقدسون ملوكهم ، ويعتبرونهم في منزلة فوق البشر، وهذا هو عين قول ابن سبأ حين قال للإمام علي -عليه السلام- أنت هو ، مدعياً أن فيه جزءاً إلهياً كما هي عقيدة اليهود والنصارى وهم في ذلك بعض الموالى الذين أسلموا من هذه الديانات الذين اعتادوا أن يروا ملوكهم منحدرين من أصلاب الآلهة الدنيا ، فنقلوا هذا التوقير الوثني إلى علي وذريته فاعتقدوا شيئاً من ذلك فيهم ^(١) .

وهم في هذا الزعم يشبهون اليهود في قولهم : " فقال الرب لموسى انظر أنا جعلتك إلهاً لفرعون ، وهارون أخوك يكون نبياً " ^(٢) .

فإذا قالوا : هذا من باب التقريب والتشريف لهم ، وليس من باب التمثيل بالله نقول : لهم رويتم عن أبي عبد الله قوله : يسند القائم ظهره إلى الحرم ، ويمد يده ؛ فتراها بيضاء من غير سوء، ويقول: هذه يد الله، وعن الله، وبأمر الله ^(٣)، نحن الأسرار الإلهية، المودعة في الهياكل البشرية، والكلمة الربانية الناطقة، في الأجساد الترابية ^(٤).

نقد هذا الأثر : ونعقب عليهم بتعريف الغالي عندهم : الذي يقول فيهم ما ليس لهم كتفويض أمر الكائنات إليهم مثلاً ، والثاني : الاعتقاد بأن معرفة الإمام وولايته تكفي عن الفرائض ؛ فيتركون الصلاة والزكاة وجميع العبادات اعتماداً على ولايتهم ^(٥) ، فهل ما مر غلو أم لا ؟ .

ونرد بروايات تنقض هذا التقديس المذموم وتثبت التناقض بين أقوالهم وأقوال أهل البيت مثل ما روي عن أبي عبد الله حين علم برجل يقول عليه ذلك ، فقال : كذب عليه لعنة الله، ما خالق إلا الله وحده لا شريك له ، حق على الله أن يذيقنا الموت ، والذي لا يهلك هو الله خالق الخلق ، وبارئ البرية ^(٦).

والجنة والنار في هذه الأبدان ، وعليين هي درجة النبوة أو الملائكة حتى يصل إلى (النرفانا) وهي خلاص بنية النفس من شوائب المادة ، ، وأسفل سافلين هي درجة الحية أو الشيطانية . الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ١٨٢. الشهرستاني : الملل والنحل ص ٢١٤ .

(١) د بسمه جستنية : أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة ص ٢٦٤ - ٢٦٧ بتصرف .

(٢) الكتاب المقدس : سفر الخروج ٧ / ١ - ٢ ص ٩٦ .

(٣) علي النمازي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٤٦٠ .

(٤) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٦٩ - ٧٠ .

(٥) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٨ ص ٣٤٢ . الجواهري : جواهر الكلام ج ٦ ص ٥٤ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٩١ .

وجاء إلى رسول الله ﷺ - رجل فقال : السلام عليك يا ربي ؛ فقال : مالك لعنك الله ، ربي وربك الله ، ولما قالوا ذلك لعلي حرقهم بالنار^(١). وعن أهل البيت قالوا : نزهونا عن الربوبية ، وارفعوا عنا حظوظ البشرية ، يعني : الحظوظ التي تجوز عليكم ، فلا يقاس بنا أحد من الناس^(٢) .

عن الرضا: " فمن ادعى للأنبياء ربوبية ، وادعى للأئمة ربوبية ، أو نبوة ، أو لغير الأئمة إمامة ، فنحن منه براء في الدنيا والآخرة^(٣) .

وعن أبي عبد الله إنا - والله - عبيد مخلوقون ، لنا رب نعبد ؛ إن لم نعبد عذبنا^(٤) .
وعنه في معرض تفسير قوله - تعالى - :

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾^(٥)؛ فقال : " أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ، ولو دعوهم ما أجابوهم ، ولكن أحلوا لهم حراماً ، وحرّموا عليهم حلالاً ؛ فعبدوهم من حيث لا يشعرون " ^(٦). وقوله الله - ﷻ -: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾^(٧)، فقال السائل : يعني بالذين من دونه فلان ، وفلان^(٨)، فقال: " من قال هذا فهو مشرك بالله أنا إلى الله منه برئ - ثلاثاً - بل عنى الله بذلك نفسه"^(٩).

وأهلك علي - ﷺ - قوماً غلو فيه في الربوبية ، فاستتابهم عن ذلك ، فلم يتوبوا ؛ فأهلكهم بالدخان^(١٠). وذلك حين قالوا له: " إنك ربنا ، وأنت الذي خلقتنا ، وأنت الذي

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٩٧ - ٢٩٩ .

(٢) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٦٩ - ٧٠ .

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٣٥ . علي الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ١٧ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٠٣ .

(٥) سورة التوبة : آية رقم ٣١ .

(٦) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٠٦ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٢٤ .

(٧) سورة الزمر : آية رقم ٤٥ .

(٨) يقصدون بقولهم فلان وفلان : أبا بكر وعمر - ﷺ - ولكن هذا من التقية .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٠٢ . محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٥٨٠ . بتصرف .

(١٠) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ٢٦٥ .

رزقنا؛ فقال : ويلكم لا تفعلوا ؛ إنما أنا مخلوق مثلكم ^(١) ، و لعن أبو عبد الله رجلاً ووصفه بأنه : شيطان ابن شيطان؛ لأنهم يقولون بتفضيل الإمام عليّ على النبي -ﷺ- ويقولون : بربوبية عليّ ، ومنهم من قال : بتشخص محمد -ﷺ- في الأشخاص الأربعة - عليّ ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين - وأن محمداً عبداً ، وعلياً رباً ^(٢).

وعنه حين بلغه أن بعض الشيعة يقولون : إن الإله الذي في الأرض هو الإمام ؛ فقال : " لا والله ، لا يأويني وإياه سقف بيت أبداً ، هم شر من اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، والذين أشركوا ، والله ما صغر عظمة الله تصغيرهم شيء قط ، والله لو أقررت بما يقول في أهل الكوفة ؛ لأخذتني الأرض ، وما أنا إلا عبداً ، مملوكاً ، لا أقدر على شيء ، ضرباً ، ولا نفعاً " ^(٣) .

وأعلنها عليّ -ﷺ- صريحة: " ليبلغ الشاهد الغائب : إنني عبد الله ، ابن عبد الله ، عبداً قن ^(٤) ، ابن أمة ، ضمنتني الأصلاب ، والأرحام ، وإنني لميت ، وإنني لمبعوث ، ثم موقوف ، ثم مسئول ، والله لأسألك عما قال هذا الكذاب ، وادعاه عليّ ، وأفزعني ، وأقلقني عن رقادي ، أقول ذلك لأستقر في قبري ^(٥) .

ويكمل أبو عبد الله يقول لرواة من الشيعة قالوا بالربوبية في الصادق ، أو في جميع الأئمة ؛ فوصف نفسه والأئمة قائلاً وقد قام كل شعرة من رأسه : " بل عباداً مكرمون ، لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون " ^(٦) ، ويقول الرضا : فالغلاة قالوا : إن علياً وولده عباد مكرمون ، مخلوقون ، مدبرون ، لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه ، ولا يملكون موتاً ، ولا حياة ، ولا نشوراً ^(٧) .

(١) الكشي : رجال الكشي ص ٢١٨ .

(٢) البحار ج ٢٥ ص ٣٠٥ . الكشي : رجال الكشي : في ترجمة بشار الشعيري ص ٢٨٥ - ٢٨٧ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٩٤ - ٣٩٥ .

(٤) الفن : العبد الخالص . انظر المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٠٨ بتصرف .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٠٧ . الكشي : رجال الكشي ص ٢٨٧ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٠٣ . الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ١٨٧ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٧٨ .

وجاء خبر من الأخبار إلى أمير المؤمنين ؛ فقال: يا أمير المؤمنين أفنبي أنت ؟ فقال :
ويلك ، إنما أنا عبدٌ ، عبد طاعة لا غير ذلك ، من عبيد محمد - ﷺ - (١) ، وعن أبي الحسن
العسكري حين يقال له إن أحد شيعته يقول : إنك أنت الأول والقديم ، فيقول : كذب عليه
لعنة الله (٢) .

ويرد أبو جعفر على من نسب لهم علم الغيب فقال : " يبسط لنا العلم ؛ فنعلم ، ويقبض عنا
فلا نعلم " (٣) ، ويقول الصادق : " يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ! لا يعلم الغيب إلا
الله ، والله لقد هممت بضرب جاريتي فلانة ، فهربت مني ، فما علمت في أي بيوت الدار
هي " (٤) ، وسئل أبو عبد الله عن الإمام يعلم الغيب ؟ قال : لا ، ولكن إذا أراد أن يعلم
الشيء ؛ أعلمه الله ذلك " (٥) ، وقال أيضاً : " فوالله الذي لا إله إلا هو ما أعلم الغيب ، فلا
أجرني الله في أمواتي ، ولا بارك لي في أحيائي ؛ إن قلت ذلك " (٦) .

ويقال لأبي عبد الله : إنكم تقدرون أرزاق العباد ؛ فقال : والله ، ما يقدر أرزاقنا إلا الله ،
ولقد احتجت إلى طعام لعيالي ، فضاقت صدري ، حتى أحرزت قوتهم ، فعندها طابت نفسي ،
لعه الله وبرئ منه ، فقل له : أنلعه ونتبرأ منه ؟ قال نعم ؛ فلغناه وبرئنا منه ، برئ الله
ورسوله منه (٧) .

ثانياً : ظهور أثر تقديس الأئمة على الإيمان بالأسماء الحسنى والصفات العلا لله - ﷺ - (٨) :

(١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٤٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٨٣ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣١٦ .

(٣) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣١١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٩٦ .

(٤) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣١٢-٣١٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٢٣ .

(٥) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣١٣ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٢١ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٠١ .

(٨) صفات الله : التحلية ، والنعته ، واصطلاحاً : صفات توقيفية ، لا مجال فيها للاجتهاد ، والاستحسان ،
فالواجب الوقوف عند ما وصف الله به نفسه ، أو رسوله ، وصفاته سبحانه كلها كمال على الحقيقة ،
ليس فيها شبهة نقص ، ونشأتها ونمرها كما جانت بلا تكييف ، ولا تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تمثيل ، ولا
تشبيه ؛ لأنها جاءت بآياتها نصوص الكتاب والسنة ، والعقل السليم لا يرفض الإقرار بها . الصلابي :
عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين ص ١٩ .

يفتري الشيعة عن علي -عليه السلام- أنه قال : " أول الديانة به معرفته ، وكمال معرفته توحيده، وكمال توحيده نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف ، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة ، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزأه ، ومن جزأه فقد جهله " (١).

وهذا تلفيق في المقدمات ليصل إلى نتيجة خاطئة ، فمقام الإمام علي -عليه السلام- يعلو على هذا التلفيق؛ فإن العلاقة بين الصفات والذات علاقة تلازم ، فالإيمان بالذات يستلزم الإيمان بالصفات ، وكذلك العكس ، لأنه لا يتصور وجود ذات مجردة عن الصفات ، ولا وجود صفة بدون ذات قائمة بها ، وإنما التصور للذات والصفات إنما هو تصور ذهني (٢). ثم ينسبون إلى الجواد: " إن الأسماء والصفات مخلوقات " (٣) ، وينسون أن ما يوصف بالمخلوق لا يكون إلا مخلوقاً ؛ فكيف يوصف الله سبحانه بالحوادث ؟ ، سبحانه هذا بهتان عظيم ! .

لكن مقصدهم يظهر من نفيتهم عن الله صفات الكمال ، أن الهدف هو إهداء هذه الصفات لأئمتهم ، ديانةً وتعبداً لله بذلك!؛ فهذا هو أم علي -عليها السلام- تقول لها الملائكة يوم مولده : " يا فاطمة : سميه علياً؛ فهو عليٌّ ، والله العلي الأعلى ؛ يقول : شققت اسمه من اسمي " (٤). ويفسر أبو عبد الله وجه الله الذي لا يهلك : بالوجه الذي يؤتى منه (٥)؛ أي : الأئمة . فزعموا أن حضرة رسول الله -صلى الله عليه وآله- حقيقة الكائنات ، ومبدأ الموجودات ، وقطب الدائرات، فظاهرها صفة الله ، وباطنها غيب الله ، فهي ظاهر الاسم الأعظم ، وصورة سائر العالم، فروحه نسخة الأحدية في اللاهوت ، وجسده صورة معاني الملك والملكوت ، وذلك لأن الله تعالى تكلم في الأول بكلمة فصارت نوراً، ثم تكلم بكلمة فصارت روحاً ، وأدخلها ذلك النور ، وجعلها حجاباً (٦).

(١) البحار ج ٤ ص ٢٤٧. وبنحوه عن أبي إبراهيم . الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ١٨٩-١٩٠.

(٢) د علي الصلابي : عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين ص ١٠٩ - ١١٠ بتصرف .

(٣) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٦٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٥٣.

(٤) الحسن الحلي: المحتضر ص ٢٦٤. علي الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٧٦.

(٥) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٩٢.

(٦) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٣٠ - ٣١.

ويدعون أن علياً-عليه السلام- قال : أنا أسماء الله الحسنى ، وأمثاله العليا ، وآياته الكبرى ، وأنا صاحب الجنة والنار...أسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ، وإلى تزويج أهل الجنة ، وإلى عذاب أهل النار ، وإلى إياب الخلق جميعاً ... وإلى حساب الخلق جميعاً ... وأنا الذي أنحلني ربي اسمه ^(١) ، ولم يحدد ما الاسم الذي وهب له ! ^(٢) . ونحن الاسم المخزون المكنون نحن الأسماء الحسنى التي لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا ^(٣) ، التي إذا سئل بها أجاب ^(٤) .

وهذا يعطيك الفرق بين خطاب عالم اللاهوت (روحه) الخاص بالإمام علي ، مع عالم الناسوت (جسده)، ليبين للناس الفرق بين هيكل قدسه، وسر نفسه، ومقام التراب، وسر رب الأرباب ^(٥).

ويزعمون أن الله قسم الأسماء ليلة الاسراء والمعراج يوم خاطب الله نبيه بلسان علي ؛ فافتروا : "سمانا الله بخمسة أسماء من أسماء : فالله المحمود ، وأنا محمد ، والله العليُّ، وهذا عليُّ ، والله فاطمٌ، وهذه فاطمة ، والله ذو الإحسان ، وهذا الحسن ، والله المحسن ، وهذا الحسين " ^(٦) والصفات الإلهية ، أولها : الحي، وهو : إمام الأئمة ^(٧) ويزعمون أن

(١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٤٧-٤٩ . ذكر بعضه الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ٥ ص ١٧٣ .
(٢) يقول الحر العاملي : " ما دل من الآية والأحاديث أن الله مختص بالأسماء الحسنى لا تصدق على غيره " . محمد بن الحسن الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة (تكملة الوسائل) ، تحقيق : محمد الحسين القائني ، ط نكين ، نشر مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا - قم ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٣٧٦ش ج ١ ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٣) يقع الباحث في تناقض حين يسمع أبو عبد الله جعفر بن محمد يقول : ان احتمال أمرنا ليس بمعرفته وقبوله ، وفي رواية: ليس هو التصديق به والقبول فقط ، ولا معرفته وولايته فقط . النوري : مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٢٧٥ - ٢٧٧ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٥ . الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ١٣٦ .

(٥) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٣١ بتصرف .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٤٢ . الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ١٤٧ .

(٧) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٣٢ .

علياً الأول ، الآخر، والظاهر، والباطن ، وهو بكل شيء عليم ^(١)، وسلم عليّ على الشمس فأجابته بذلك ^(٢).

وهذا يحتمل أن يراد بالأسماء الله الحسنى أسماؤهم ؛ وإنما نسبها الله إليه؛ لأنه سماهم بها قبل خلقهم ، ويحتمل أن يراد بها ذواتهم ؛ لأن الاسم في اللغة العلامة ، وذواتهم القدسية علامات ظاهرة لوجود ذاته ، وصفاته ، وصفاتهم النورية بيّنات واضحة لتمام أفعاله وكمالاته ... فهم مظاهر الحق ، وأسماءه الحسنى، وآياته الكبرى ^(٣)^(٤).

ويفترون على علي -عليه السلام- أنه نعت نفسه بإنه : عين الله ^(٥)، ولسان الله الناطق ^(٦)، ونور الله الذي لا يطفى ، وباب الله الذي يؤتى منه ، وحجته على عباده ^(٧)، وقلب الله الواعي ^(٨) ، بل كل ما في الذكر الحكيم من آية تذكر فيها : العين ، والوجه ، واليد ، والجنب ، فالمراد بها : الولي ^(٩)، وهو الذي علا فقهر ، ويحيي ويميت ، أنا ويد الله ، وأذن الله ^(١٠)، فما الفرق بين الخالق ، والمخلوق ؟ .

ويزعمون عن الحسين -عليه السلام- أنه قال : " نحن الأولون ، والآخرون ، وكلمة الله ، وخاصة الله ، وأحباء الله ، ووجه الله ، وجنب الله ، ويمين الله ، ونحن محال قدس الله ، من آمن بنا ؛ آمن بالله، ومن رد علينا ؛ رد على الله ، ومن شك فينا ؛ شك في الله ، ومن

(١) علي الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٢٤٨.

(٢) المجلسي بروايات متعددة . المجلسي: بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٨٠ - ١٨٢.

(٣) المولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي الأصول والروضة ، تعليق : الميرزا أبو الحسن الشعراني ، من منشورات المكتبة الإسلامية - طهران ، د ت ج ٤ ص ٢٩١.

(٤) يقول العاملي: إن معاني أسماء الله لا تشبه شيئاً من معاني أسماء الخلق. الفصول المهمة ج ١ ص ٢٠٦.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢ ص ١٨٩. الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٢٤٩.

(٦) حينما نسمي: يد الله ، وجنب الله ، يرد علينا تسمية خالد بن الوليد -عليه السلام- بسيف الله المسلول ، الذي قال حين مات : " فلا نامت أعين الجبناء " حين تمنى أن يموت شهيداً ؛ فقيل : حتى لا يقول قائل : كسرت سيف الله بيدي ، ولذلك لقائل أن يقول : إن ابن ملجم كسر يد الله ، أو عين الله ؛ حاشا لله ! أو يقول من سم أحد الأئمة محوت صفات الله.

(٧) الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ١٣٠. المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣٤.

(٨) الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٥٦٨. المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٩٨.

(٩) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٧٣ - ١٧٤.

(١٠) لا يوجد دليل على وجود صفة الأذن لله تعالى .

عرفنا ؛ عرف الله ، ومن تولى عنا ؛ تولى عن الله ، ومن أطاعنا ؛ أطاع الله ^(١) . بنا عبد الله ، وبنا عرف الله ، وبنا وحد الله ، ومحمد - ﷺ - حجاب الله ^(٢) وحجاب الله انتقل إلى المنتظر فإن الزائر لسردابه يدعو فيقول : السلام عليك يا حجاب الله ^(٣) الأزلي القديم ^(٤) .

وعن أبي جعفر: "إن الله سبحانه تفرد في وحدانيته ، ثم تكلم بكلمة ^(٥)؛ فصارت نوراً ، ثم خلق من ذلك النور : محمداً وعلياً وعترته ، ثم تكلم بكلمة روحاً ، وأسكنها في ذلك النور، وأسكنه في أبداننا ، فنحن روح الله ، وكلمته ، احتجب بنا عن خلقه ^(٦) .

ولا يكتفي الشيعة بصفات الله فينتقلون لصفات القرآن ، والتوحيد ، والنبي ، والبشر ؛ فيفترون على علي - ﷺ -: أنا الهادي ، والمهدي ، وأبو اليتامى والمساكين ، وزوج الأرامل ، وملجأ كل ضعيف ، ومأمن كل خائف، وحبل الله المتين ، وعروة الله الوثقى، وكلمة التقوى ^(٧) ، ووكر ^(٨) لإرادة الله ^(٩) !.

ويغالون فيجعلون أقوال الأئمة أقوال الله تعالى ، فعن الصادق: حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي، حديث علي، وحديث علي حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله تعالى ^(١٠) .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ١٩٤ . المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٠٢ . عن أبي جعفر .

(٣) قال عليٌّ لرجل: أخطأت ، ثكلتك أمك ؛ إن الله ليس بينه وبين خلقه حجاب ؛ لأنه معهم أينما كانوا، قال الرجل: ما كفارة ما قلت، قال: أن تعلم أن الله معك حيث كنت . النوري: مستدرک الوسائل ج ١٦ ص ٥٠ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠٢ ص ٨٩ .

(٥) يذكرنا ذلك بنص في الإنجيل - مع الفارق في التشبيه - يقول : " في البدء كان الكلمة، والكلمة كان من عند الله، وكان الكلمة الله، هذا كان البدء عند الله... والكلمة صار جسداً. إنجيل يوحنا: ١/١ - ١٤ ، ط دار الكتاب المقدس - القاهرة ط ١٩٩٧ م ص ١٢٠ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٣ - ٢٤ بتصرف .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ٩ .

(٨) الوكر : عش الطائر الذي يبيض فيه ويفرخ . المعجم الوسيط ج ٢ ص ١٠٥٣ .

(٩) حسن بن سليمان الحلي : المحتضر ص ٢٢٧ .

(١٠) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٠٥ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٨٣ - ٨٤ .

بل الشرك معهم في الولاية شرك بالله تعالى ؛ فقلوه - ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ ﴾ ^(١) ، أي : " لئن أمرت بولاية أحد مع ولاية عليٍّ من بعدك " ^(٢) ، عن أبي جعفر: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ (بأن لعليٍّ ولاية) وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ (من ليست له ولاية) تُؤْمِنُوا ﴾ ^(٣) ، وقلوه - ﷺ: ﴿ أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ ﴾ ^(٤) ؛ قال أبو عبد الله : إمام هدى مع إمام ضلال في قرنٍ واحدٍ ^(٥) .

فنتج عن هذا القياس ، وهذه المقدمات على سبيل القياس المفصول النتائج : أن حديث كل واحد من الأئمة الطاهرين قول الله - ﷻ - ولا اختلاف في أقوالهم ، كما لا اختلاف في قوله - ﷻ - على وجه الاتحاد ^(٦) ، فهل يدخل قول الله ما قاله الأئمة على سبيل التقية؟ ^(٧) .

نقد هذه الأثر : هم في ذلك يشبهون المجوس الذين ينقل عنهم اليهود في توراتهم المزعومة نصاً بلا تعقيب كأنهم راضون به ؛ فيزعمون : " دخل قدامي دانيال الذي اسمه بلطشاصر كاسم إلهي والذي فيه روح الآلهة القدوسين فقصصت الحلم قدامه يا بلطشاصر كبير المجوس من حيث إني أعلم أن فيك روح الآلهة القدوسين ولا يعسر عليك سر " ^(٨) ، فنسبو لدانيال روح الإله ، وعلم الغيب كما ترى وأكدت الملكة هذا ؛ فقالت : " أيها الملك

(١) سورة الزمر : آية رقم ٦٥ .

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ج ١٧ ص ٨٤ . الشاهرودي: مستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٣٩٣ .

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٣٦٤ .

(٤) سورة النمل : آية رقم ٦١ .

(٥) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٣٦١ . الشاهرودي: مستدرک سفينة البحار ج ١ ص ١٧١ .

(٦) الاتحاد : تصيير الذاتين أو الذوات ذات واحدة ، وامتزاج الشئيين واختلاطهما ، وأما صيرورة شيء عين شيء آخر بأن يكون هناك زيد وعمره مثلاً فيتحدان بأن يصير زيد بعينه عمر ، فهذا ممتنع؛ لأنهما بعد الاتحاد إن كانا موجودين كانا اثنين لا واحداً ، وإن كان أحدهما فقط كان هذا فناء لأحدهما وبقاء لآخر ، وإن لم يكن شيء منهما موجوداً كان هذا فناء لهما وحدوث ثالث ؛ والكل بخلاف المفروض . وعند الصوفية : شهود الوجود الحق الواحد المطلق ؛ فيتحد به الكل ، من حيث كون كل شيء موجوداً به معدوماً بنفسه ، لا من حيث إن له وجوداً خاصاً اتحد به فإنه محال ، والاتحادية هم : قوم يزعمون أن الخالق اتحد بالمخلوق . ابن العطار : الاعتقاد الخالص ص ١٠٥ .

(٧) د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الإمامية الاثني عشرية ص ٤٠٢ .

(٨) الكتاب المقدس : سفر دانيال ٤ / ٨ - ٩ ص ١٣٦٨ .

عش إلى الأبد، لا تفزعك أفكارك ، ولا تتغير هيئتك ، يوجد في مملكتك رجل فيه روح الآلهة القدوسين^(١).

وإذا كان كلام كل واحد من الأئمة هو قول الله -ﷻ- وقول رسوله ؛ فيؤدي ذلك لعدم الوثوق بكلام الله وكلام رسوله ؛ وذلك لأن الأئمة يستخدمون التقية في أقوالهم ؛ فيشك في ظاهر كلامهم ، وينسحب الحكم مباشرة على الكتاب الذي فسروه ، والسنة التي بثوها في الناس^(٢) .

ويسأل علي-ﷺ- سائل : إنا إذا كنا عندك سمعنا ما نسد به ديننا ، وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة لا ندري ما هي ؟ قال : أو قد فعلوها ؟ سمعت النبي-ﷺ- يقول : "أتاني جبريل فقال : يا محمد ، سيكون في أمتك فتنة ، قلت : فما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله ، فيه بيان ما قبلكم من خبر ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم "^(٣)، وإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم ؛ فعليكم بالقرآن^(٤).

وإني لا أشك أن علياً -ﷺ- لو كان يستمع إلى بعض هذه الفقرات ، وفيها إعطاء الأئمة صفات تفوق صفات البشر ، وتكون قريبة من صفات الله ، أو شريكة معه ؛ لأقام الحد على قارئها وواضعها على السواء^(٥).

وهذه الدعاوى العريضة إذا قارناها بالواقع والحوادث التاريخيه التي مرت بالأئمة : نجد أنهم مع هذه الدعاوى لم ينفعوا أنفسهم حتى ؛ فمنهم من مات مقتولاً كعلي والحسن والحسين -ﷺ- ومنهم من مات في السجن محبوساً ، ومنهم من مات بلا ولد كالحسن العسكري ، فكيف وهم لهم هذه القدرات الهائلة ، فهذا ظاهر البطلان ، وأظن أنه من تأثر عقيدة الرافضة بعقيدة النصارى التي تدعي في عيسى -ﷺ- الألوهية ثم تدعي أنه مات مصلوباً ! .

(١) الكتاب المقدس : سفر دانيال ٥ / ١٠ - ١١ ص ١٣٧١ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٩١ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٢٤ - ٢٥ .

(٤) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٦ ص ١٧١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٧ ص ١٣٤ .

(٥) د موسى الموسوي : الشيعة والتصحيح ص ٩٥ .

وهذا الكلام وإن كان يُراد به غير ظاهره ؛ فالأفضل الإمساك عنه ، يقول رسول الله - ﷺ - : " لا تحدثوا الناس بما لا يعرفون ؛ أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسوله ، وامسكوا عما ينكرون " (١).

ولتعلم أن الرافضة لم يقولوا في أول أمرهم بذلك؛ فقد كانوا في أول أمرهم يغفلون في الإثبات حتى التمثيل؛ بل تبناوا هذا المذهب في الفترة من ١٠٥هـ حتى ٢٣٤هـ ؛ حين تداخلت البدع بعضها في بعض فاشتبهوا في هذه الفترة بالتجسيم ، واشتهر في ذلك كثير من ثقاتهم ممن صار لهم فرق تنسب إلى أسمائهم (٢) .

ومما يؤكد ذلك الأسئلة التي جاءت للأئمة من شيعتهم تؤكد أن القائلين بالتجسيم والصورة من الشيعة ؛ فاقراً؛ سئل أبو الحسن الثالث : أن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد : فمنهم من يقول : جسم ، ومنهم من يقول : صورة (٣)، وبالتحديد في عام ٢٥٥هـ سئل إمامهم المنتظر ف قيل له : قد اختلف أصحابنا في التوحيد ، منهم من يقول : هو جسم ، ومنهم من يقول : هو صورة ، فوقع بخطه : سألت عن التوحيد ، وهذا عنكم معزول ، يخلق الله تعالى ما يشاء من الأجسام ، ويصور ما يشاء وليس بمصور (٤)، ثم تبرأ منهم ؛ وقال : دع عنك حيرة الحيران ، واستعذ بالله من الشيطان ، ليس القول ما قال الهشامان (٥) ،

ثم انحسر أنصار هذا التيار، وبدأ يظهر التعطيل (٦) ؛ وصارت الشيعة الاثني عشرية تقول : كمال توحيده : نفي الصفات عنه (١).

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ٧٧. الطبرسي : مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢٧٥.

(٢) د بسمه جستنية : أثر الديانات الوثنية في عقيدة الرافضة ص ٤٧٣ بتصرف .

(٣) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٥٥.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٦١. الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٥٦.

(٥) الهشامان هما : هشام بن الحكم الزاعم بأن الله جسم ، وهشام بن سالم الجواليقي الزاعم بأن الله صورة . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٥٨ - ١٥٩. ويكذب المجلسي هذه الأقوال ويبرئ ساحتهما عما نسب إليهما ؛ إذ لا ريب في جلالة قدر الهشامين . بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٨٨. وأقول : سبحانه الله أراد أن يبرئ الهشامين فوقع في خرم العصمة ! .

(٦) التعطيل : لغة الفراغ، والترك، وهو: إنكار حقيقة النص سواء كان كلياً أم جزئياً ، ومن أمثلته نفي حقيقة الصفات الواجبة لله تعالى ، أو القول : بأنه سميع بلا سمع ونحوه . ابن العطار : الاعتقاد الخالص

ويرد أبو عبد الله فيقول : فاعلم رحمك الله ؛ أن المذهب الصحيح في التوحيد : ما نزل به القرآن من صفات الله -ﷻ- فانف عن الله تعالى البطلان ، والتشبيه ؛ فلا نفي ولا تشبيه ، هو الثابت الموجود تعالى الله عما يصفه الواصفون ، ولا تعدوا القرآن ؛ فتضلوا بعد البيان (٢).

وما يقال هذا : من أعظم الإلحاد في صفات الله تعالى ؛ لأنها لو لم تكن تدل على معاني ، وأوصاف لم يجز أن يخبر الله تعالى ، ورسوله -ﷺ- عنها بمصادرها ، قال -ﷺ- : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴾ (٣) فالقوي اسم لله ، ومعناه : من له القوة ، وهذه صفة لهذا الموصوف ؛ فهل يجزئ متجراً أن يقول : إن الله أنزل ألفاظاً مجردة عن المعنى؟ (٤)، أو يتجراً آخر فيقول : للعبد يسمع بسمعه ، ويبصر ببصره ؟ فإذا ما وصفناه بهذا ، قيل : هذا كمال ، فمن الذم أن يكون العبد لا يسمع ، ولا يبصر ، ومن الذم أن يعتمد على بصر غيره وسمع غيره ، فما بالك بمن نفى سمع الله ، وبصر الله بحجة التشبيه (٥) بالخلق ؟ وهو ليس كمثله شيء ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ ﴾ (٦) فالأحد هو نفسه الصمد فأين التعدد؟ فالأسماء الكثيرة لمسمى واحد سبحانه .

فهؤلاء وجدوا علياً -ﷺ- وبنيه عباداً أكرمهم الله ؛ ليبين لهم فضلهم ، فصغر عندهم خالقهم أن يكون جعل علياً له عبداً ، وأكبروا علياً عن أن يكون الله -ﷻ- له رباً ؛ فسموه بغير اسمه ، فنهاهم هو ، وأتباعه من أهل ملته وشيعته (٧)، فقالوا : لا فرق بينهم وبينك إلا أنهم عبادك وخلقك (٨) ، وبهذا يظهر القرب بين الله وبينهم في الذات والصفات والأفعال

(١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٨٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ٢٢٨ .

(٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٥٣ - ١٥٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٣) سورة هود : آية رقم ٦٦ .

(٤) د علي الصلابي : عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين ص ١١٤ - ١١٥ بتصرف .

(٥) التشبيه : إقامة شيء مقام شيء ؛ لصفة جامعة بينهما ذاتية أو معنوية ، والتشبيه المنفي عن الله ما كان وصفه بشيء من خصائص المخلوقين ؛ بأن يجعل شيئاً من صفاته مشبهاً بخلقه ، أو العكس ، مثل : الله يد كأيدنا ، أو تشبيهه عيسى -ﷺ- بالله سبحانه في صفات الألوهية ، والفرق بينه وبين التمثيل أن التمثيل في كل صفة ، أما التشبيه في بعض الصفات . ابن العطار : الاعتقاد الخالص ص ١٢٩ .

(٦) سورة الإخلاص : آية رقم ١ - ٢ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٧٨ .

(٨) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٣٢ بتصرف .

! نبرأ إلى الله من هذا الضلال المبين ، الذي لا يقول به أحد ؛ تدبر قوله تعالى منزلها
نفسه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ (١).

لكن الأئمة ينقضون هذه الروايات بنصيحة لكل منصف فيقولون : " ما ذلك القرآن عليه
من صفته - ﷺ - فاتبعه ليوصل بينك وبين معرفته ، وأتم به ، واستضيء بنور هدايته " (٢)
، ولا تعدوا القرآن فتضلوا (٣) ؛ فمن وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه ؛ فقد أعظم
على الله الفرية (٤) ، وقال أبو عبد الله : من شبه الله بخلقه فهو مشرك ، ومن نسب إليه
ما نهى عنه فهو كافر (٥).

يرد الرضا على من يقول: صفات الله كلها صفات علي ؛ فلما سمعها ارتعدت فرائضه ،
وتصعب عرقاً ، وقال سبحانه الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، أليس علي آكل من
الآكلين ، وشارباً من الشاربين ، وناكحاً من الناكحين ، ومحدثاً من المحدثين ، وكان مع
ذلك مصلياً ، خاضعاً بين يدي الله ذليلاً ، أفمن كان هذه صفته يكون إلهاً؟ (٦). وبهذا يقع
التناقض بين الروايات فتسقط بعضها بعضاً ويبقى الحق مع أهل السنة والجماعة .

ثالثاً : ظهور أثر تقديس الأئمة على عقيدة الإيمان بالرسول - ﷺ - :

تعتقد الشيعة عقيدة تخالف بها إجماع المسلمين فيزعمون أن الله تعالى لم يخلق خلقاً
أفضل ، ولا أحب ، ولا أكرم من محمد - ﷺ - والأئمة ؛ بذلك أخذ الله الميثاق على النبيين
في الذر (٧) ؛ فعن علي - ﷺ - أنه سمع قوله - ﷺ - : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ
ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا

(١) سورة الشورى : آية رقم ١١ .

(٢) الصدوق : التوحيد ص ٥٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ٢٧٧ .

(٣) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٥٣-١٥٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٤) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٥٥ . بحار الأنوار ج ٣ ص ٢٦٦ ج ٤ ص ٢٩٦ . ص ٥٣

- ٥٤ . الصدوق : التوحيد ص ٧٤ .

(٥) الصدوق : التوحيد ص ٧٦ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٨ ص ٣٣٩ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٧٥ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٧ ص ١١٤ .

غَافِلِينَ ﴿١﴾، فزعموا أن مرتبة الإمامة فوق مرتبة النبوة والرسالة ؛ فما كلم الله موسى تكليماً ، ولا جعل عيسى آية للعالمين إلا بالخضوع لعلي (٢).

وافترضوا رواية ليسينوا إلى خير البشر -ﷺ- فزعموا : إنه لو كان عليّ ظهر قبل رسول الله -ﷺ- لأظهر الشريعة كما أظهر النبي -ﷺ- وكان نبياً مرسلأ ؛ وذلك لاتحادهما في الروحانية ، والمقامات المعنوية والظاهرية (٣).

وغالوا في الأئمة فزعموا أنهم متحدون مع النبي -ﷺ- وجبريل -ﷺ- في الروح : فظاهرهم إمامة ، وباطنهم غيب لا يدرك ، فهم في الأجساد أشباح ، وفي الأشباح أرواح ، وفي الأرواح أنوار ، وفي الأنوار أسرار ، فهم الصفات (٤) ؛ وذلك لأن النبي -ﷺ- قال لجبريل : علي مني وأنا منه ، وقال جبريل : وأنا منكما ؛ فأجراه مجرى نفسه كما جعله الله سبحانه نفس النبي في آية المباهلة (٥).

وزعموا أنهم صنو النبي -ﷺ- في كل فضل ؛ فادعوا قوله -ﷺ-: " أعطاني الله خمساً ، وأعطى علياً خمساً : أعطاني جوامع الكلم ، وأعطى علياً جوامع العلم ، وجعلني نبياً ، وجعله وصياً ، وأعطاني الوحي ، وأعطاه الإلهام ، وأسرى بي إليه ، وفتح له أبواب السماء والحجب حتى نظر إليّ ، ونظرت إليه ، وأعطاني الكوثر ، وأعطاه السلسبيل (٦) ، وأمرني ربي أن أفترض من حقك ما افترضه من حقي ، وإن لحقك مفروض على من آمن بي ، ومن لم يلقه بولايتك لم يلقه بشيء ، ولقد أنزل الله -ﷻ- إلي : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ (يعني في ولايتك يا علي) وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ (٧) ، ولو لم أبلغ ما أمرت به من ولايتك لحبط عملي ، ومن لقي الله بغير ولايتك ؛ فقد حبط

(١) سورة الأعراف : آية رقم ١٧٢.

(٢) الشيخ المفيد : الاختصاص ص ٢٤٣.

(٣) الخميني : مصباح الهداية ص ١٦٣.

(٤) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٧٠.

(٥) الشيخ الأميني : الغدير ج ١ ص ٣٨٩ - ٣٩٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٨ ص ١٨٨.

(٦) الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ١٩٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٨ ص ١٥٧.

(٧) سورة المائدة : آية رقم ٦٧.

عمله ^(١) "وكان هو وعلي نوراً بين يدي الله -ﷻ- قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام ^(٢)» ^(٣).

وقدسوهم أكثر من تقديس الأنبياء -ﷺ- بالاعتقاد بأن الأنبياء لم يصلوا لمعالي الفضل إلا بولايتهم للأئمة فإن ما اتخذ الله تعالى إبراهيم خليلاً إلا لكثرة صلاته على محمد وأهل بيته ^(٤)، كانوا يتوسلون بالأئمة ، وعلى رأسهم سيد الأولين افتروا عليه قول : " اللهم بحرمة عبدك علي اغفر للعاصين من أمتي " ^(٥).

وإن : بني إسرائيل ومعهم موسى -ﷺ- لما كانوا في زمن النيه ، فإذا أرادوا أن يهتدوا إلى الطريق ؛ كانوا يتوسلون بمحمد وآل محمد ، وحين استحر القتل فيهم وفق الله بعضهم فتوسلوا بمحمد وآله ؛ فنودي موسى من السماء : أن كُفَّ القتل عنهم ؛ فقد سألتني بعضهم مسألة ، وأقسم عليّ قسماً ، لو أقسم به هؤلاء العابدون للعجل ، وسألتني بعضهم العصمة حتى لا يعبدوه ؛ لوفقتهم، وعصمتهم ، ولو أقسم عليّ بها إبليس ؛ لهديته ، ولو أقسم عليّ بها نمرود ^(٦)، وفرعون لنجيتهم ^(٧) ، ولما استسقى موسى -ﷺ- لقومه دعا

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٦٥ .

(٢) ليست هذه ميزة لعلي وحده ؛ فعن ابن عباس : إن رجلاً وقع في أب للعباس كان في الجاهلية ، فلطمه العباس ، فجاء قومه فبلغ ذلك النبي ؛ فصعد المنبر وقال : أي أهل الأرض تعلمون أكرم على الله؟ قالوا : أنت . قال : فإن العباس مني وأنا منه . وعن أبي برزة الأسلمي ، أن النبي -ﷺ- كان في مغزى له ، فلما فرغ من القتال فقال : " وهل تفقدون من أحد ، لكنني أفقد جليبيبا فوجوده عند سبعة قد قتلهم وقتلوه " ، فأخبر النبي -ﷺ- فقال : قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه قالها مرتين أو ثلاثاً ، ثم مال بذراعيه هكذا فبسطها فوضع على ذراعي النبي -ﷺ- حتى حفر له فما كان له سرير إلا ذراعي النبي حتى دفن . أبو نعيم : الإمامة ص ٢٢٣ - ٢٢٤ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٣٣ .

(٤) الحسن الحلي : المحتضر ص ١٣٩ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٧ ص ١٩٤ .

(٥) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٣ ص ١٧١ .

(٦) نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ، وقيل : بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، حاج إبراهيم في ربه ، أول جبار ، صاحب الصرح ببابل ، ويقال : نمرود . تفسير الطبري ج ٣ ص ٢٥ - ٢٦ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢٣٥ . النوري : مستدرک الوسائل ج ٥ ص ٢٣٣ - ٢٣٥ .

الله بحق محمد وآل بيته الطاهرين ؛ فأوحى الله إليه : أن اضرب بعصاك الحجر ؛ فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا^(١).

ويزعمون قولاً لو سمعه علي لقتل من قاله كما فعل بابن سبأ ؛ فيزعمون عنه -عليه السلام- :
والذي بعثني بالحق نبياً ؛ إن النار لأشد غضباً على مبغض علي منها على من زعم أن الله ولداً^(٢) ، فمن لم يقر بولاية أحد من الأئمة فهو عندهم : كافر مرتد عن الإسلام^(٣) ، وهو ابن زنا^(٤) ، وهو شر من اليهود ، والنصراني ، والمجوسي ، وأنجس من الكلب^(٥) ومن مات ولم يعرف^(٦) إمام زمانه مات ميتة جاهلية^(٧).

وإنكار النبوة أخف من إنكار الإمامة ؛ لأن الإمامة لطف عام ، والنبوة لطف خاص ؛ لإمكان خلو الزمان من نبي حي بخلاف الإمام ، وإنكار اللطف العام شر من إنكار اللطف الخاص ؛ وإلى هذا أشار الصادق بقوله عن منكر الإمامة أصلاً ورأساً : وهو شرهم^(٨) ، فلا تخلو الأرض من حجة^(٩) ^(١) ، ولأن محمداً -عليه السلام- يتوقف ختمه للنبوة على كون عليٍّ عليّاً -عليه السلام- خاتم الوصيين ؛ إذ لو لم تختم الوصية لم تختم النبوة^(٢) ، وهذا غلو وأساطير مفضوحة^(٣).

(١) المجلسي: بحار الأنوار ج ٩٤ ص ٨-٩ بتصرف.

(٢) الحسن بن سليمان الحلبي: المحتضر ص ١٩٤ . المجلسي: بحار الأنوار ج ٣٨ ص ١٥٨.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٨٩ . البحراني: الحقائق الناضرة ج ١٨ ص ١٥٦.

(٤) البحراني: الحقائق الناضرة ج ١ ص ٢٨٦ . الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١ ص ٢١٩ - ٢٢٠.

(٥) الجواهري النجفي: جواهر الكلام ج ١ ص ٣٦٣ . المجلسي: بحار الأنوار ج ٧٦ ص ٧٢.

(٦) القول بأن الكرامة في مجرد معرفة الإمام باطل ؛ لأن مجرد معرفة الإمام لا تحصل به كرامة ، إلا إذا اقترنت به طاعته ، فإن معرفة النبي -عليه السلام- مع عدم طاعته لا يعد إيماناً كاملاً ، وكان مستحقاً للوعيد بإجماع العقلاء من المسلمين ، فلا يقال : إن حب علي حسنة لا تضر معها سيئة ، فما الحاجة للعمل؟. الغنيمان : مختصر منهاج السنة ص ٤٧.

(٧) البحراني: الحقائق الناضرة ج ٥ ص ١٧٦ . الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٤٦.

(٨) جمال الدين الحسن بن يوسف المطهر الحلبي: الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ط مكتبة الألفين- بنيد القار - الكويت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ٢٣.

(٩) يقول النوبختي: انقطاع الإمامة جائز في المعقول ، والقياس ، والتعارف ، كما جاز أن تنقطع النبوة بعد محمد -عليه السلام- ، فلا يكون بعد محمد -عليه السلام- نبي ، فكذا جاز أن تنقطع الإمامة ؛ لأن الرسالة والنبوة أعظم خطراً وأجل ، والخلق إليها أحوج ، والحجة بها ألزم ، والعذر بها أقطع ؛ لأن معها البراهين الظاهرة ، والأعلام الباهرة ، ومع ذلك فقد انقطعت ، فكذا يجوز أن تنقطع الإمامة ، واعتلوا في ذلك

وزعموا أن علياً قال : وفدت إلى ربي اثني^(٤) عشر وفادة ؛ فعرفني نفسه ، وأعطاني مفاتيح الغيب^(٥) ، وأعطوا علياً - ﷺ - ما لم يعطه محمد - ﷺ - ؛ فيزعمون أن علياً قال : " أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي : علمت المنايا ، والبلايا ، والأنساب ، وفصل الخطاب^(٦) .

بل وزعموا أن من عوقب^(٧) من الأنبياء - ﷺ - عوقب بسببهم فما لقي ما لقي آدم من المصيبة ، وما لقي نوح من الغرق ، وما لقي إبراهيم من النار ، وما لقي يوسف من الجب ، وما لقي أيوب من البلاء ، وما لقي داود من الخطيئة ، إلى أن بعث الله يونس - ﷺ - ؛ فأوحى الله إليه : أن يا يونس تول أمير المؤمنين ، فقال : كيف أتولى من لم أعرفه ؛ فالتقمه الحوت ، حتى قبل ولاية أمير المؤمنين^(٨)^(١) .

بخبر يروى عن الصادق : أن الأرض لا تخلو من حجة ، إلا أن يغضب الله على أهل الأرض بمعاصيهم ، فيرفع عنهم الحجة . النوبختي : فرق الشيعة ص ١٠٢ .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠ ص ١٦٥ . محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٥٢٨ .
(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٦ ص ٣٢٥ .

(٣) وحاشاه فعن أبي عبد الله : حقيق على الله أن يدخل بعض الضال الجنة ، فقليل : كيف ذلك جعلت فداك ؟ قال : يموت الناطق ، ولا ينطق الصامت ، فيموت المرء بينهما ؛ فيدخله الله الجنة ؛ والمراد من الضال من لم يعرف إمام زمانه ؛ وذلك حين يموت الإمام الناطق ولم يظهر الإمام بعده إمامته ؛ فيموت حينئذ ؛ فيصدق عليه اسم الضال مع كونه من أهل الجنة ؛ لعدم تقصير منه في عدم معرفته الإمام . علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٤٧٧ .

(٤) هذا خطأ لغوي أو مطبعي واضح ينتزه عنه مقام أمير المؤمنين ، وهو من أفصح العرب ، والصحيح أن يقال : " وفدت إلى ربي اثنتي عشرة وفادة " . انظر أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي : اللمع في العربية ، تحقيق : د سميح أبو مغلي ، دار مجدلاوي للنشر - عمان - الأردن ، ١٩٨٨م ص ١١٤ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٣٥٠ . الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٩ ص ٥٢٠ .

(٦) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٣٠٦ . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٥٣ .

(٧) ويرد عليهم أحد مفسريهم فيقول : الدليل قد دل على أن الأنبياء - ﷺ - لا تجوز عليهم القبائح على حال ، ومن أجاز العقاب على الأنبياء ؛ فقد أساء عليهم الثناء ، وأعظم الفرية على الله سبحانه وتعالى . أبو الفضل الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ، سورة البقرة آية رقم : ٣٦ ج ١ ص ١١٦ .

(٨) بحار الأنوار ج ١٤ ص ٤٠١-٤٠٢ . ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ١٥٠-١٥١ .

ويصل التقديس إلى درجة إحراج الأنبياء ؛ فعن أبي عبد الله : إذا كان يوم القيامة نادى مناد من بطنان العرش أين خليفة الله في أرضه ؟ فيقوم داود - عليه السلام - فيأتي النداء من عند الله - جل جلاله - لسنا إياك أردنا - وإن كنت لله خليفة - ، ثم ينادي ثانية أين خليفة الله في أرضه ؟ فيقوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - ؛ فيأتي النداء من قبل الله - جل جلاله - يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب خليفة الله في أرضه ، وحجته على عباده ، فمن تعلق بحبله في دار الدنيا ؛ فليتعلق بحبله في هذا اليوم ^(٢).

وافتروا عن علي - عليه السلام - كنت مع الأنبياء باطناً ، ومع رسول الله ظاهراً " ويلقى الخميني : فإنه عليه السلام صاحب الولاية المطلقة الكلية ، والولاية باطن الخلافة ، والولاية المطلقة الكلية باطن الخلافة الكذائية ، فهو بمقام ولايته الكلية : قائم على كل نفس بما كسبت ، ومع كل الأشياء معية قيومية ظلّية إلهية ، ظل المعية القيومية الحقّة الإلهية ^(٣) ، ولذلك : " فإن النبي والأئمة الاثنا عشر أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء ^(٤) ، والأوصياء السابقين ، والملائكة " ^(٥).

وغالوا في علم الأئمة فزعموا أنها أوسع من علم الأنبياء وأشمل ؛ فعن أبي عبد الله : إن عيسى - عليه السلام - أعطي حرفين ، وأعطى موسى بن عمران أربعة أحرف ، وأعطى إبراهيم ثمانية أحرف ، وأعطى نوح خمسة عشر حرفاً ، وأعطى آدم خمسة وعشرون حرفاً ، وإنه جمع الله ذلك لمحمد - عليه السلام - وأهل بيته ^(٦) . وفضلنا عليهم في علمهم ، وعلم رسول الله - عليه السلام - ما لم يعلموا ، وعلمنا علم الرسول وعلمهم ^(٧) .

(١) يرد عليه الرضا فيقول : " قوله - عز وجل - : " وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ " يونس : ٨٧ ؛ إنما ظن أن الله لا يضيق عليه رزقه ، ولو ظن أن الله لا يقدر عليه لكان كافراً " . بحار الأنوار ج ١١ ص ٧٣ .

(٢) الحسن الحلي : المحتضر ص ١٤٩ - ١٥٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣١ ص ٦٥٢ - ٦٥٣ .

(٣) الخميني : مصباح الهداية ص ١٥٣ . الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة ج ١ ص ٤٠٣ .

(٤) ونستغرب أن الإمام أبو عبد الله لما علم بأن هناك من شيعته من يصفه بالنبوة ، فعد ذلك غلوّاً ، وقال : أبرأ إلى الله ممن قال : أنا أنبياء . بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٩١ .

(٥) الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة ج ١ ص ٤٠٣ .

(٦) محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٢٤٤ - ٢٤٥ بروايات . بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٣٤ .

(٧) محمد الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٢٦٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٤٥ .

ويسيئون الله تعالى فيزعمون إن اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً ، وعند آصف^(١) منها حرف واحد ، فتكلم به ، فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس^(٢) ، ونحن عندنا من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً ، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده ، يعني : استبد به ، وخص به نفسه " ^(٣)؛ فهم أفضل ممن الآن إذا علمت أن علمهم يزيد في كل عام ؟ .

وانتهى بهم المطاف إلى أن يسيئوا إلى النبي -ﷺ- ، فعن الباقر والصادق : " أنه -ﷺ- كان لا ينام حتى يقبل عرض وجه فاطمة ، ويضع وجهه بين ثديي فاطمة ، ففاطمة حوراء إنسية ؛ فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي^(٤) ، وهذا لا يقول به أحد من علماء التربية .

وجعلوا النبي -ﷺ- يعمل مرضعاً للحسين -ﷺ- ولم يرضع من فاطمة -ﷺ- ولا من أنثى^(٥).

(١) آصف بن برخيا بن شميعة: كاتب سليمان بن داود، وكان يعرف اسم الله الأعظم، المعني بقوله تعالى: "قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ النَّمْلُ: ٤٠. تفسير البغوي ص ٩٦٢. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٢٣٢٢.

(٢) بلقيس: ملكة حازمة، يمانية، تزوجها سليمان -ﷺ- بعد إسلامها. الزركلي: الأعلام ج ٢ ص ٧٣ - ٧٤.

(٣) الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٢٨٦. المجلسي: بحار الأنوار ج ١٤ ص ١١٣. عن أبي جعفر. (٤) ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٨٣. المجلسي: بحار الأنوار ج ٣ ص ٤٣ - ٤٢. الحسن بن سليمان الحلبي: المحتضر ص ٢٣٨. المجلسي: بحار الأنوار ج ٤ ص ٤. الحر العاملي: الفصول المهمة ج ١ ص ٣٦٢. بحار الأنوار ج ٤ ص ٤. الحسن بن سليمان الحلبي: المحتضر ص ٢٣٨.

(٥) نقول: فلماذا بحثوا للنبي -ﷺ- عن مرضعة، لما ولد النبي -ﷺ- مكث أياماً ليس له لبن، فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه؛ فأنزل الله فيه لبناً؛ فرضع منه أياماً، ولماذا يرضع رسول الله -ﷺ- من امرأة مشركة، ثم لا يرضع الحسين -ﷺ- من سيدة نساء العالمين -ﷺ- ففاته بذلك شرف الشرب من أظهر لبن، ولأنهم مطهرون حتى عند الولادة يروى أن فاطمة -ﷺ- ولدت الحسن والحسين من فخذها الأيسر، ومريم ولدت المسيح عيسى من فخذها الأيمن. الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٥١٩ - ٥٢٠. البحار ج ٣٥ ص ١٣٦. ج ٤٣ ص ٢٥٦. هاشم البحراني: مدينة المعاجز ج ٣ ص ١٧٤.

بل كان يؤتى به للنبي -ﷺ- فيضع إبهامه في فيه ، فيمص منه ما يكفيه ، فنبت لحم الحسين -ﷺ- من لحم رسول الله -ﷺ- ودمه ، أو كان يلقمه لسانه ؛ فيمصه فيجزئ به ^(١) ، وهذا من الأساطير .

وليس هذه أول أسطورة في عائلة عبد المطلب ؛ فقد دعا أحد الرهبان لأبي طالب بأن يرزقه الله تعالى بطعام من الجنة ؛ فأتي بطبق من فواكه الجنة ؛ فتناول أبو طالب منه رمانة ، ونهض فرحاً حتى رجع إلى منزله ؛ فأكلها ؛ فتحولت ماء في صلبه ؛ فجاءت فاطمة بنت أسد ^(٢)؛ فحملت بعلي ؛ وتزلزلت الأرض بقريش أياماً ، وتساقطت الآلهة على وجوهها؛ فتوسل أبو طالب بعلي وفاطمة ؛ فسكنت الأرض ^(٣).

ومن مصائب التقديس الطعن في عرض النبي تفسير قوله الله - تعالى - ﴿ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ ^(٤) فالخيانة ^(٥) ما يعني بذلك إلا الفاحشة ^(٦) ^(٧) ، وهي : ما يشتد قبحه من الذنوب والمعاصي ، والمراد بها هنا : النفاق ، والمخالفة والكفر ^(٨) ، ويقصدون بذلك أزواج

(١) الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٥٣٧. المجلسي: بحار الأنوار ج ٤ ص ٤٤٤. الأميني: الغدير ج ١ ص ٤١٥. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ترجمة الحسن بن علي ج ٤ ص ٣٥٧.

(٢) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي الهاشمية : والدّة عليّ ، حمّة فاطمة ، كانت من المهاجرات الأول، وهي أول هاشمية وكدت هاشمية. الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤١٦.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ١٠ - ١٦ بتصرف .

(٤) سورة التحريم : آية رقم ١٠.

(٥) قال ابن عباس -ﷺ- : ما بغت امرأة نبي قط ، وإنما كانت خيانتها : أنهما كانتا على غير دينهما ، فكانت امرأة نوح تقول للناس : إنه مجنون ، وإذا آمن به أحد أخبرت به الجبابة ، وأما امرأة لوط : فإنها كانت تدل قومه على أضيافه إذا نزل به ضيف بالليل أوقدت النار ، وإذا نزل بالنهار دخنت ؛ ليعلم قومه أنه نزل به ضيف ، وقيل : أسرتا النفاق ، وأظهرتا الإيمان ، وقيل : كانتا كافرتين. تفسير الطبري ج ٢٨ ص ١٨١. تفسير البغوي ص ١٣٣٠. القرطبي ج ٢ ص ٣١١٢.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ١١ ص ٣١٠. علي القمي : تفسير القمي ج ٢ ص ٣٧٧.

(٧) قال الحر العاملي : " وقد حذف الجملة من الكلام ؛ لعدم إمكان التصريح به ". انظر الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٠ ص ٥٥٩. قلت سبحانه الله : استحي الله من التصريح باللفظ ، ولم يستح الكليني ؛ رعاية لمقام النبوة ! .

(٨) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ١٠ ص ٩٣.

الأنبياء الطاهرات - ﷺ - ، والمسلمون بأجمعهم قائلون بعدم وقوع ذلك منهم ^(١) . ثم لا يتورعون أن يقولوا : ^(٢) إن النبي - ﷺ - سيتحمل ذنوب الشيعة عنهم ^(٣) .

ثم يصرّحون بتقصير النبي - ﷺ - في تبليغ أمر الإمامة - متحدين بذلك مشاعر محبيه - فيقول إمامهم الخميني: وواضح أن النبي - ﷺ - لو كان قد بلغ بأمر الإمامة طبقاً لما أمر الله به ، وبذل المساعي في هذا المجال ؛ لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات ، والمشاحنات ، والمعارك ، ولما ظهر خلافات في أصول الدين وفروعه ^(٤) ؛ ولذلك كان ولا بد أن يكمل الدين على أيدي اثني عشر كوكباً منيراً يهتدي بهم في ظلمات البر والبحر ، ويكمل بهم الدين ^(٥) ، ونحن لا نعبد إلهاً يقيم بناء شامخاً للعبادة والعدالة والتدين ، ثم يقوم بهدمه بنفسه ؛ ويجلس يزيداً ومعاوية وعثمان وسواهم من العتاة في مواقع الإمامة على الناس ، ولا يقوم بتقرير مصير الأمة بعد وفاة نبيه ^(٦) .

وغالوا ففضلوا علياً - ﷺ - على النبي - ﷺ - فزعموا أن النبي - ﷺ - قال : " أعطيت ثلاثاً ؛ وعلي مشاركي فيها - ولو جرأوا لقالوا : وعلي أفضل مني فيها - وأعطي عليّ ثلاثاً ، ولم أشاركه فيها ، فقيل : وما الثلاثة التي شاركك فيها ؟ قال : لواء الحمد لي ولعليّ ؛ وعليّ حامله ، والكوثر لي ولعليّ ؛ وعليّ ساقيه ، والجنة والنار لي ؛ وعليّ قسيمهما ، وأما الثلاثة التي أعطي علي ، ولم أشاركه فيها : أعطي علي شجاعة ^(٧) ؛ ولم أعط مثلها ، وأعطي فاطمة زوجة ؛ ولم أعط مثلها ، وأعطي الحسن والحسين ، ولم أعط مثلهما ^(٨) .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ هامش ص ٢٤١ .

(٢) قال الإنجيل عن عيسى - ﷺ - : " الذي فيه الفداء بدمه ، غفران الخطايا " . الإنجيل ، ط صحارا ، نشر دار الكتاب المقدس - القاهرة ، ١٩٩٧ م ، رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس ١ / ٧ ص ٢٥٦ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٣٣ .

(٤) السيد روح الله الخميني : كشف الأسرار ، ترجمة : د محمد البنداري ، تقديم : د محمد أحمد الخطيب ، تعليق : سليم الهلالي ، نشر دار عمار - عمان - الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ص ١٥٥ .

(٥) السيد الخميني : مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية ص ٧ .

(٦) السيد روح الله الخميني : كشف الأسرار ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٧) ويرد عليه عليّ - ﷺ - : " كنا إذا أحمرّ البأس ، وكفّي القوم القوم اتقينا برسول الله - ﷺ - فما يكون منّا أحد أدنى إلى القوم منه . النسائي : السنن الكبرى ج ٩ ص ١٠٧ . بحار الأنوار ج ١٦ ص ٢٣٢ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٩٠ .

نقد هذا الأثر: أحاديث الأشباح^(١) تختلف ألفاظها ، وتتباين معانيها ، وقد بنت الغلاة عليها أباطيل كثيرة ، وصنفوا فيها كتباً : لغو فيها وهذوا فيما أثبتوه منه في معانيها ، وأضافوا ما حوته الكتب إلى جماعة من شيوخ أهل الحق ، وتخرصوا الباطل بإضافتها إليهم ، والصحيح : أنهم في عالم الذر لم يكونوا في تلك الحال صوراً محياة ، ولا أرواحاً ناطقة ، لكنها كانت صوراً على مثل صورهم البشرية^(٢).

يقول أبو عبد الله : اتقوا الله ، وعظموا الله ، وعظموا رسول الله -ﷺ- ولا تفضلوا على رسول الله أحداً، فإن الله تبارك وتعالى قد فضله^(٣).

قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(٤)، ولم يمت -ﷺ- حتى أكمل دوره في الحياة فأوحى الله إليه كل ما تحتاج إليه أمته ، وقال : " مَا تَرَكْتُ شَيْئاً مِمَّا أَمَرَكُم بِهِ اللَّهُ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وفي رواية : يُقَرِّبُكُم مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُم مِنَ النَّارِ ، وَمَا تَرَكْتُ شَيْئاً مِمَّا نَهَاكُم اللَّهُ عَنْهُ ، وفي رواية : يُقَرِّبُكُم مِنَ النَّارِ ، وَيُبَاعِدُكُم مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ ، وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ قَدْ نَفَثَ فِي رَوْعِي : أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا ؛ فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ "^(٥).

وعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -ﷺ- قَالَ : دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَقَالَ : يَا عَلِيُّ إِنَّ فِيكَ مِنْ عِيسَى مِثْلًا أَبْغَضْتَهُ يَهُودٌ حَتَّى بَهْتُوا أُمَّهُ ، وَأَحْبَبْتَهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلُوهُ بِالْمَنْزِلِ الَّذِي لَيْسَ بِهِ ، قَالَ عَلِيُّ -ﷺ- : وَإِنَّهُ يَهْلِكُ فِي مُحِبِّ مُفْرِطٍ ، وَمُبْغِضٍ مُفْرِطٍ ، يَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ يِبْهَتَنِي ، أَلَا وَإِنِّي لَسْتُ بِنَبِيٍّ ، وَلَا يُوحَى إِلَيَّ ، وَلَكِنْ أَعْمَلُ بِكِتَابِ اللَّهِ ، فَمَا أَمَرْتُكُمْ مِنْ طَاعَةٍ بِحَقٍّ ، عَلَيْكُمْ طَاعَتِي فِيمَا أَحْبَبْتُمْ وَكَرِهْتُمْ ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ أَوْ غَيْرِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ ؛ فَلَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ الطَّاعَةِ فِي الْمَعْرُوفِ^(٦).

(١) قال رجب البرسي : الشبح هو الذي يرى شخصه، ولا يعرف معناه . مشارق أنوار اليقين ص ٧٠.

(٢) الشيخ المفيد : المسائل السرورية ص ٣٧ - ٣٩ بتصرف .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٦٩.

(٤) سورة المائدة : آية رقم ٣ .

(٥) الشيخ الأميني : الغدير ج ٧ ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٦) إسناده ضعيف . الإمام أحمد : المسند ج ١ ص ١٦٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٤ ص

٣٦١ - ٣٦٢ . رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٦٠.

وكان هذا الاعتقاد في الرواة يعد غلوّاً قبل تطور التشيع ، فالمبالغة في تفضيل الأئمة وعلو رتبهم قدحاً في من يعتقد هذا الاعتقاد يوجب رد روايته والقدح فيه ^(١).
ويصرح أبو جعفر في إجابة سؤال : أنتم أفضل أم الأنبياء ؟ فقال : بل الأنبياء ^(٢). ويقول أبو عبد الله : من قال بأننا أنبياء ؛ فعليه لعنة الله ، ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله ^(٣) . اللهم نجنا من الهلاك.

رابعاً : ظهور أثر تقديس الأئمة على عقيدة الإيمان بالملائكة - **عليه السلام** : تطور التقديس من المحسوس إلى المعقول ، ومن علم المشاهدة والعيان ، إلى عالم الغيب والكتمان ، فجعلوا الملائكة أدلة على تقديس الأئمة من وجوه متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر :
زعموا أن الملائكة خدمٌ ووكالة أنباء ورفاهيةٌ وموالي لعلي والأئمة : قال رسول الله - ﷺ - علي - عليه السلام - حين تأخر عن الصلاة لأنه لم يجد ماء ليتوضأ فجاءه جبريل وميكائيل بقدس من أقداس الجنة ، والماء من الكوثر وسبق جبريل إلى المسجد فأمسك ركبة النبي - ﷺ - وهو يقول : قف قليلاً حتى يجيء علي فيدرك معك الجماعة ^(٤) ، وعن أبي عبد الله : إنا نرى ما لا يرى الناس ، ونسمع ما لا يسمعون ، إن الملائكة لتتنزل علينا في رحالنا ، وتتقلب على فرشنا ، وتحضر موائدنا ، وتأتينا من كل نبات في زمانه رطب ويابس ، وتقلب علينا أجنحتها ، وما من يوم يأتي علينا ، ولا ليل إلا وأخبار أهل الأرض عندنا ، ^(٥) ، وإن الملائكة تلاعب صبيان الأئمة ، ويلتقطون من زغبها ^(٦) ، وإنهم ليدِينون بولايتنا ^(٧).

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٠ هامش ص ٢٠٨.

(٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٢٨. النوري الطبرسي : مستدرک الوسائل ج ١١ ص ٣٢.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٩٦.

(٤) السيد هاشم البحراني: مدينة المعاجز ج ١ ص ٧٧ - ٧٨. ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٧٦.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٧٤.

(٦) (ريشها) ينظر. محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ١٢٢. بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٤.

(٧) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٥٠٧. محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ١٠٠. عن أبي جعفر.

وأخذوا وظائف الملائكة كما أدوا صفات الله فهم الصافون ، والمسبحون ، وحملة عرش الرحمن ، والسفرة الكرام البررة ^(١)، وعباد الله المكرمون ، لا يسبقونه بالقول ، وهم بأمره يعملون ^(٢).

باسمهم ومراقدهم تُقدّس الملائكة : يفسرون قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ ^(٣) بأن الملائكة : تُقدّس، وتُنزّه، عند قبورهم، ومواضع آثارهم ^(٤)، والملائكة مكثت مائة عام لا تعرف تسبيحاً، ولا تقديساً، فسبحنا ؛ فسيح شيعتنا ؛ فسبحت الملائكة ، وقدسنا ؛ فقدست شيعتنا ؛ فقدست الملائكة، فغفر لنا ولشيعتنا من قبل أن نستغفره ^(٥).

ومن الأساطير أن الملائكة تتزين باسم علي ووجهه: لأن الأئمة أفضل منهم ، وأعظم ثواباً عند الله ^(٦) ؛ ولذلك فالملائكة تتزين باسم علي ؛ ولولا عليّ -عليه السلام- ما عرف جبريل اسم نفسه ، ولا عرف ربه ^(٧)، ولما أرادت الملائكة صورة للنزول يوم بدر نزلت على صورة علي ^(٨)، واسمه مكتوب على خد الحوراء الأيسر ^(٩)، وخلق الله من نور وجهه ٧٠,٠٠٠ ملك ^(١٠)، ومن كثرة صلاة الله عليه اشتاق العرش إليه ؛ فخلق الله ملكاً على صورته وسماه علياً؛ حتى يستقر العرش كلما رآه ^(١١)، وشكت الملائكة إلى الله حبّها لعلي ؛ فخلق الله ملكاً من نور علي، على صورة علي، لتزوره كل جمعة ^(١٢)، وتصحب زوار

(١) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٨٧. الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ١٥٥.

(٢) الكليني: الروضة من الكافي ج ٨ ص ١٨٧. النوري: مستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٤١٧.

(٣) سورة النور : آية رقم ٤٤.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٥٦.

(٥) الحسن الحلبي : المحتضر ص ٢٠٢ . بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٣١. عن رسول الله -عليه السلام-.

(٦) الشيخ المفيد: أوائل المقالات ص ٧١.

(٧) الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ١٨٩.

(٨) البحراني : مدينة المعاجز ج ٢ ص ١١. ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٧٣.

- ٢٧٤.

(٩) هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٢ ص ٣٦.

(١٠) الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ١٧١ . هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٢ ص ٩٣.

(١١) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٦٦. بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٩٧.

(١٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٨٦. الشيخ الأميني : الغدير ج ٢ ص ٣٧١ بتصرف .

قبورهم ^(١)، ويكُون عن قبر الحسين إلى يوم القيامة ^(٢)، ويصلون عنده ، يكون ثواب صلاتهم ، وأجر ذلك لمن زار قبره" ^(٣) .

وخلق الله من نور وجه علي سبعين ألف ملك ، يستغفرون له، ولشيعة ، ولحمبيه إلى يوم القيامة ^(٤).

وهم أول من اتخذ علي بن أبي طالب أخاً ^(٥). ويشيعون جنازاتهم ، ويعينونهم في الغسل والتكفين ^(٦) ، وهذه الزهراء مكثت بعد النبي ﷺ - خمسة وسبعين يوماً ، فأرسل الله إليها جبرائيل يسليها، ويعزيها ، ويحدثها عن أبيها ، وعمّا يحدث لذريتها إلى يوم القيامة ، وكان عليّ يكتب ما سمع حتى جاء به مصحف قدر القرآن ثلاث مرات ^(٧). وحتى يثبتوا تقديس الأئمة لابد من الطعن في الملائكة بأساطير منها: أن الملائكة تخلق وترزق ^(٨)،

ولكنها ليست كالأئمة في السمع والطاعة فيفترون إن الله فوض الأمر إلى ملك من الملائكة ^(٩) ، فخلق سبع سموات ، وسبع أرضين وأشياء ، فلما رأى الأشياء قد انقادت له ، قال : من مثلي ؟ فأرسل الله عليه نيرة من نار مثل أنلمة ، فاستقبلها بجميع ما خلق ، فتخللت لذلك حتى وصلت إليه ، لمّا دخله العجب ^(١٠).

-
- (١) الشيخ الطوسي : مصباح المتجهد ص ٤٩٨ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٤٦٤ .
 (٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٤٠٩ . النوري: مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ٢٤٢ .
 (٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٢٧ . النوري: مستدرك الوسائل ج ٨ ص ٤٨ .
 (٤) الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ١٧١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٣٢٠ .
 (٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٩ ص ١١٠ .
 (٦) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٢ ص ١٠٥-١٠٦ بتصرف .
 (٧) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٩٧ . محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ١٨٨ .
 (٨) قال العاملي : "إن الله خلق الخلق من غير حاجة ، ولا غرض في خلقهم يعود إليه . الفصول المهمة ج ١ ص ٢١٧ .
 (٩) تحت باب إن الله خلق الخلق من غير حاجة إليهم ، ولا غرض في خلقهم يعود إليه قال علي - عليه السلام -
 عن الدنيا : "لم يكونها لتشديد سلطان ، ولا خوف من زوال ، ولا نقصان ، ولا استعانة على ضد مناوئ ، ولا ند مكائر ، ولا شريك مكابر ؛ بل خلقت مربوبون ، وعباد داخرون". الحر العاملي : الفصول المهمة ج ١ ص ٢١٧ .
 (١٠) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٢٢٩ . الحر العاملي : الفصول المهمة ج ١ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .

وزعموا أنهم غير معصومين^(١)، ويثبتون ذلك بأسطورة : إن نفرًا من الملائكة تشاجروا في شيء، فسألوا حكماً من الآدميين ، فاختاروا علي بن أبي طالب -عليه السلام-^(٢). ومثل أسطورة الملك دردائيل الذي أخطأ ؛ فسلبه الله أجنحته، ومقامه من صفوف الملائكة - فدعا النبي -عليه السلام- فرد عليه أجنحته^(٣).

وأسطورة فطرس ، الذي كسر الله جناحه ؛ فأمره النبي -عليه السلام- أن يتمسح ويتمرغ بمهد الحسين ؛ لكي يشفى ، فقال رسول الله -عليه السلام-: " فنظرت إلى ريشه ؛ وإنه ليطلع ، ويجري فيه الدم ، ويطول حتى لحق بجناحه الآخر "^(٤) ، وهل الملائكة خلقت من لحم ودم ! .

نقد هذه الروايات : العجيب أن تقرأ ذلك وقد وردت رواية أن علياً كان يتشرف بمجرد ذكره في السماء حين أخبره النبي -عليه السلام- أنه لما عرج به إلى السماء أمره الله -عليه السلام- أن يبشر علياً بالولاية بعده ؛ فقال علي -عليه السلام-: " يا رسول الله ، بلغ من قدرتي حتى إني أذكر هناك ."^(٥)

ونقول : تسمية جبريل رسول الله إلى محمد -عليه السلام- خادماً له عبارة من لا يعرف قدر الملائكة ، وقدر إرسال الله لهم. ولكن الرافضة غالب حججهم أشعار تليق بجهلهم وظلمهم ، وحكايات مكذوبة تليق بجهلهم وكذبهم ، وما يُثبت أصول الدين بمثل هذه الأشعار ، إلا ليس معدوداً من أولي الأبصار^(٦).

خامساً: ظهور أثر تقديس الأئمة على عقيدة الإيمان بالكتب السماوية المقدسة :

تعتقد الشيعة التقديس لأقوال أنمتهم حتى جعلوها حاكماً على نصوص الكتاب والسنة ؛ فادعوا علمهم بها كلها ، وادعوا كتباً زائدة عن الكتب التي بين أيدي أتباع الأنبياء -عليهم السلام- ، فزعموا أن عندهم صحف إبراهيم -عليه السلام- ، وألواح موسى -عليه السلام-^(٧) .

(١) الشيخ الطوسي : الرسائل العشرة ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٩ ص ١٥٠ . هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ١ ص ٤٤ .

(٣) هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ١ ص ٢٦١ - ٢٦٣ . بحار الأنوار ج ٤ ص ٢٤٨ - ٢٥٠ .

(٤) محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ١٠١ . هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ١ ص ٢٦٣ .

(٥) الشيخ الصدوق : الأمالي ص ٢٢١ - ٢٢٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٣٨ .

(٦) ابن تيمية : منهاج السنة ج ٤ ص ٦٦ . عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة ص ١٦٨ .

(٧) محمد بن حسن الصفار : بصائر الدرجات ص ١٦٨ .

فكأنما علم الأنبياء آثار العلم ، وأما الأئمة فعلموا العلم نفسه ^(١) ! ، وعندهم التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وتبيانها ؛ فهم ورثوا علم النبي ، وجميع الأنبياء ^(٢) . وزعموا أن عندهم القرآن المنزل بتمامه ؛ فإنه لما بويع أمير المؤمنين بالخلافة خرج إلى المسجد ، معتملاً لعمامة رسول الله - ﷺ - لابساً بردته ، فصعد المنبر ، وقال : يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة لو سألتُموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها ، وفيما نزلت ، وأنبأتكم بناسخها من منسوخها ، وخاصها من عامها ، ومحكمها ^(٣) من متشابهها ^(٤) ، ومكيها من مدنيها ، والله ما من فئة تضل أو تهدي ، إلا وأنا أعرف قائدتها ، وسائقها ، وناعقها إلى يوم القيامة ^(٥) .

فالأئمة بالنسبة لعلمه سبحانه : " موضع سره ، ولجأ أمره ، وعيبة ^(٦) علمه ، وموئل حكمه ، وكهوف كتبه ، وجبال دينه ، بهم أقام انحناء ظهره ، وأذهب ارتعاد فرائضه ^(٧) . وزعموا أن علياً قرأ جميع الكتب بما فيها القرآن حين نزل من بطن أمه ^(٨) ، وأنت ترى أن علياً نزل القرآن عليه قبل النبي - ﷺ - جملة واحدة ، فلماذا كان النبي - ﷺ - حين تعرض له مسألة ينتظر الوحي ؛ ليرد على أسئلة السائلين ؟ أما كان من الأفضل أن يسأل علياً فيجيب ؟ ويبلغ هذا الوحي الموثوق به .

(١) سئل أبو عبد الله : إنك تعلم الغيب ؟ أنت عيبة علم الله ؟ موضع سره ؟ أمين على أحيائنا وأمواتنا ؟ قال : فوالله الذي لا إله إلا هو ما أعلم الغيب ، ولا أجرني الله في أمواتي ، ولا بارك لي في أحيائي إن قلت شيئاً من ذلك قط . بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٨٠ - ٢٨١ . محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ١٧٢ .

(٣) المحكم : البين الواضح المعنى الظاهر الدلالة . ابن العطار : الاعتقاد الخالص هامش ص ٢٠٧ .

(٤) المتشابه : ما احتمل عدة أوجه ؛ فيحتاج إلى ترجيح . ابن العطار : الاعتقاد الخالص ص ٢٠٧ .

(٥) الشيخ المفيد : الإرشاد ج ١ ص ٣٤ - ٣٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٤٤ .

(٦) عيبة العلم : موضع سره . الزمخشري : أساس البلاغة ج ٢ ص ١٤٤ . ابن سيده : المحكم الأعظم ج ١ ص ٢٩٥ .

(٧) علي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٣ ص ٩٧ . بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١١٧ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ١٩ - ٢٣ باختصار .

فلماذا قال رسول الله -ﷺ- لا أدري ولم يستح حين سئل : " أَيُّ الْبَقَاعِ شَرٌّ؟ قَالَ: " لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ جِبْرِيلَ " فَسَأَلَ جِبْرِيلَ ، فَقَالَ : لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ مِيكَائِيلَ ، وفي رواية : ربي ، فَجَاءَ فَقَالَ : " خَيْرُ الْبَقَاعِ الْمَسَاجِدُ ، وَشَرُّهَا الْأَسْوَاقُ " (١) .

المطلب الثاني

الآثار المترتبة على تقديس الأئمة ومظاهره على مكانة الأئمة

أولاً : ظهور أثر تقديس الأئمة في الغلو في مكانة الإمام عند الاثني عشرية وحكم منكر الإمام :
من أثر التقديس الواضح في عقيدة الإمامة أن اعتقدوا أن الإمامة من أصول الدين (٢)، ومن أركان الإيمان والإسلام (٣)، بل جعلوها ركناً خامساً (٤)؛ بل هي أهمها ؛ فعن أبي عبد الله -ﷺ-: " ولايتنا ولاية الله التي لم يبعث نبي قط إلا بها " (٥)، فمن أنكر إمامة أحد الأئمة ، وجد فرض الطاعة فهو : كافر ضال مستحق للخلود في النار " (٦)، ومن لم يعرف الإمام ، فإنما يعرف ويعبد غير الله (٧)، وهو ضال (٨).

لأنها عندهم الإسلام كله فعن الباقر والصادق في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٩)، قال الباقر: " التسليم لعلي بالولاية ، وقالوا : الدين علي (١٠).

وليس في الإيمان بولايتهم رخصة عن أبي عبد الله: إن الله -ﷻ- فرض على خلقه خمساً ؛ فرخص في أربع ، ولم يرخص في واحدة (١١) ، فلو أن رجلاً قام ليله لم ينم ،

(١) العاملي : وسائل الشيعة ج ٥ ص ٢٩٣ - ٢٩٤ . الطبراني : المعجم الكبير ج ٢ ص ١٢٨ .

(٢) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١ ص ٨٥ .

(٣) د أبو الفتح الأنور : شيعة إيران وأصولها وموقف أهل السنة منها ص ٨٥ .

(٤) الشيخ حسين آل كاشف الغطاء: أصل الشيعة وأصولها ص ١٣٤ بتصرف .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٣٦ .

(٦) الشيخ المفيد : أوئل المقالات ص ٤٤ .

(٧) أنساعل : ألم يسمعوا قول رسول الله -ﷺ-: يا علي : ما عرف الله تعالى إلا أنا وأنت ، وما عرفني إلا الله وأنت ، وما عرفك إلا الله وأنا ؛ فما حكم الناس؟. الحسن الحلي : المحتضر ص ٧٨ .

(٨) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٣٦ . عن أبي جعفر .

(٩) سورة آل عمران : آية رقم ١٩ .

(١٠) بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٣٤١ . علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٥ ص ١٠٦ .

(١١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٣٣٢ .

وصام نهاره كله ، وتصديق بجميع ماله، وحج جميع دهره ، ولم يعرف ولاية ولي الله فيواليه ، ما كان له ثواب ، ولا من أهل الإيمان^(١) ، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية^(٢) وهي أعظمهن وأشرفهن^(٣) ، فأين توحيد الله تعالى ؟ .

وهذا الزعم يدعمه الأخبار المستفيضة التي وردت بإطلاق الكافر على المخالفين لإتكارهم النصوص على الأئمة^(٤) ؛ المخالف لعلي بعدي كافر ، ومشرك ، وغادر ، والمحب له مؤمن صادق ، والمبغض له منافق ، والمحارب له مارق ، والراد عليه زاهق^(٥) ، فمن تأمر عليه لعنه ، ومن خالفه عذبه^(٦) ، فمن عرفه كان مؤمناً ، ومن أنكره كان كافراً ، ومن جهله كان ضالاً، ومن نصب معه شيئاً كان مشركاً ، ومن جاء بولايته دخل الجنة^(٧) .

ويزعمون - قاتلهم الله - عن رسول الله - ﷺ -: لو أن عبداً عبد الله ما بين الركن والمقام ألف عام^(٨) ، أو ما بين القبر والمنبر، ثم ذبح على فراشه مظلوماً ، ثم لقي الله - ﷻ - بغير ولايتنا ؛ لكان حقيقاً على الله - ﷻ - أن يكبه على منخريه في نار جهنم^(٩) تعالى الله عن الظلم علواً كبيراً ! .

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١ ص ١١٩. النوري: مستدرک الوسائل ج ١٧ ص ٢٦٩. نسبوه للباقر. بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٦٧. الطبرسي: مستدرک الوسائل ج ١ ص ١٥٢ - ١٥٣.

(٢) رد عليهم الإمام علي - ﷻ - حين حضرته الوفاة ؛ فأوصى ابنه الحسن والحسين - ﷻ - وخاصة شيعته قائلاً : "دعوا الناس وما رضوا لأنفسهم ، والزموا أنفسكم السكوت ، ودولة عدوكم ؛ فإنه لا يعدمكم ما ينتحل أمركم". قال سليم بن قيس : والمعنى في يعدمكم غير واضح ؛ أوردناه بعين العبارة. كتاب سليم بن قيس ص ٤٦٤.

(٣) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة ج ١٨ ص ٤٢٣.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٦٦.

(٥) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ١٨.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٨.

(٧) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٥٠٧.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٨٠.

(٩) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١ ص ١٢٣. الطبرسي: مستدرک الوسائل ج ١ ص ١٦٨-١٦٩.

نقد هذا الأثر : هذا القول باطل^(١)، ونتساءل : ما الذي حدث من اللطف في ولاية أئمتهم من فتح البلاد ، وتمكين السلطان للمسلمين ، بل إن اللطف الذي حصل في عهد الخلفاء الثلاثة أكثر من اللطف الذي حصل في عهد الإمام علي - عليه السلام -^(٢).

ونترك الرد لعلي - عليه السلام - ليجعل أصل الدين : التوحيد؛ فيقول : " سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول لما نزلت : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ^(٣) ، قال جبرائيل - عليه السلام - : " يا محمد إن لكل دين أصلاً ، وإن أصل الدين ودعامته : قول لا إله إلا الله ^(٤) .

والمراد بالمودة في القربى : إذا كان لفظ القربى بمعنى : القرابة ، والقرابة إما القرابة المطلقة ، وهي صلة الرحم العامة بين المسلمين ، أو قرابة الرسول - صلى الله عليه وسلم - خاصة فهي تحت على مودتهم ، وعليه فالمقصود بكلا المعنيين القرابة كلها ، وليس فئة معينة .

وتناسى الشيعة ما نقله الله عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في آيات كثيرة : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ ^(٥) ، وقد صرح بأن الأجر الذي يطلبه هو لأتمته فقال : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ ^(٦) ، وقال - عليه السلام - : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ ^(٧) ،

وقال : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٨) ، والقائل - تعالى - : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَّاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ ^(٩) .

ولو أنها أصل وركن من الدين ما رفضها الإمام علي - عليه السلام - حين قال : " دعوني ، والتمسوا غيري ... فإن تركتموني فإنما أنا كأحدكم إلا أنني من أسمعكم وأطوعكم لمن

(١) د أبو الفتوح الأتور: شيعة إيران أصولها وموقف أهل السنة منها ص ٦١ بتصرف .

(٢) عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية ص ١٠٧ .

(٣) سورة الشورى : آية رقم ٢٣ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٢٤٧ .

(٥) سورة الفرقان : آية رقم ٥٧ .

(٦) سورة سبأ : آية رقم ٤٧ .

(٧) سورة ص : آية رقم ٨٦ .

(٨) سورة الأنعام : آية رقم ٩٠ .

(٩) سورة المؤمنون : آية رقم ٧٢ .

وليتموه ^(١) ، فأنا لكم وزيرٌ ، خيرٌ مني لكم أميرٌ؛ فإني أسمعكم ، وأطوعكم ، إن وليتم غيري ^(٢) ، والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية إربة ، ولكنكم دعوتوني إليها ، وحملتوني عليها " ^(٣) .

ولو أنها من أركان الدين لما أجاب الحسن بن علي -عليه السلام- عن سؤال واضح وهو : إن الناس يقولون : إنك تريد الخلافة ؟ فقال : كانت جماجم العرب بيدي ، يسالمون من سالمته ، ويحاربون من حاربت ؛ فتركها ابتغاء وجه الله ، وحقق دماء المسلمين ، ويعلق أبو جعفر: والله الذي صنعه الحسن بن علي -عليه السلام- كان خيراً لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس ^(٤) .

وهذا يدل على بطلان مذهب الشيعة ، إذ كيف يستعفي منها علي -عليه السلام- ، وتنصيبه إماماً ، وخليفة أمر مفروض من الله لازم عندهم كان يطالب علي -عليه السلام- به أبا بكر -عليه السلام- كما تزعمون ؟ ! ^(٥) .

ثانياً : ظهور آثار التقديس في الاعتقاد بأن الكون كله خلق كرامة لهم فصرفوا لهم ألوان العبادات :
يدعي الاثنا عشرية أن الأئمة لولا هم ما خلق الله السماء، ولا الأرض، ولا الجنة، ولا النار، ولا آدم، ولا حواء، ولا الملائكة، ولا شيئاً ممّا خلق ^(٦)، وجعلوا علياً -عليه السلام- قسيم الجنة والنار، ومالك، ورضوان صادران عن أمره ^(٧).
وزعموا أن علياً خير البشر فمن شك أو أبى فقد كفر ^(٨). وزعموا أن الدنيا والآخرة أعطاهما الله لهم كما قال لسليمان -عليه السلام-: ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(٩). ولا

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٢ ص ٨ . أبو جعفر الطبري : تاريخ الطبري ج ٤ ص ٤٣٤ .

(٢) أبو جعفر الطبري : تاريخ الطبري ج ٤ ص ٤٢٧ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٢ ص ٥٠ . أبو جعفر الطبري : تاريخ الطبري ج ٤ ص ٤٢٧ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٥ . ابن كثير : البداية والنهاية ج ٨ ص ٤٨ .

(٥) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ١٢ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٦ ص ٣٧٣ .

(٧) الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ١٢٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٩ ص ١٩٥ .

(٨) الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ٢٦٤ . القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي

المغربي : شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة

المدرسين - قم ، دت ج ١ ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٩) سورة ص : آية رقم ٣٩ .

يُسألون عما يفعلون فيها ؛ جاء عن الحسين -عليه السلام- : إن الإمام لا يبيت ليلة أبداً والله في عنقه حق يسأل عنه " (١) .

وجاء في تفسير قوله -عليه السلام- : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٢) ، أن الله -عليه السلام- جعل الأرض لآدم ، ويجعلها من بعده لأبرار ولده " خلفاؤه " ، فالدنيا كلها للإمام على جهة الملك ، يضعها كيف شاء ، وأنه أولى بها من الذين هي في أيديهم (٣) ، أفضل من أولى العزم من الرسل -عليهم السلام- (٤) ،

وأنهم قبله المصلي ، بمعنى : عند استقبال القبلة في الصلاة اجعل واحداً من الأئمة نصب عينيك (٥) ، والوجه في ذلك كما يبررون : أن دلنا الله على تعظيمهم ، وتبجيلهم ، وجعل ذلك إجلالاً لهم ، ومقدمة لما يفترضه من طاعتهم ، ودليلاً على أن مصالح الدين والدنيا لا تتم إلا بهم (٦) .

والسؤال ما معنى قوله -عليه السلام- : ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ (٧) ، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ (٨) ، وقوله تعالى : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ (٩) ،

(١) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٢ ص ١٣٤ . الجواهري : جواهر الكلام ج ١٦ ص ٤ .

(٢) سورة البقرة : آية رقم ٣٠ .

(٣) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٢ ص ٤٣٧ . الجواهري : جواهر الكلام ج ١٦ ص ٥ .

(٤) أولو العزم : أهل العزيمة الصادقة ، قال تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ الأحقاف : ٣٥ ، وهم خمسة : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد -عليه السلام- ، فكل منهم أتى بعزم ، وشريعة ناسخة لشريعة من تقدمه ، وقيل : ستة : " نوح ، وإبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وأيوب -عليهم السلام- ، وقيل : سموا أولوا العزم ؛ لأنه عهد إليهم في محمد ، والأوصياء من بعده ، والقائم ، وسيرته ، فأجمع عزمهم على ذلك ، والإقرار به ، وروي : لأنهم بعثوا إلى مشارق الأرض ، ومغاربها ، وجننها ، وإنسها ، وقيل : أولو العزم : أولو الجد ، والنبات ، وقيل : من للتبيين ، وأراد جميع الرسل ، والأظهر : أن من للتبيين . الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ٢١٨ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٨٤ ص ٢٠٧ . الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ٤ ص ١٣٢ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥ ص ٢٦٢ .

(٧) سورة البقرة : آية رقم ٢٨٤ .

(٨) سورة آل عمران : آية رقم ١٥٤ .

(٩) سورة المائدة : آية رقم ١٢٠ .

وقوله تعالى : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ ^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْعَيْبُ لِلَّهِ ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا ﴾ ؟ ^(٣) .

ثالثاً : ظهور أثر التقديس في شروط الإمام وصفاته عند الشيعة الاثني عشرية :

وضعت الاثنا عشرية شروطاً لنصب الإمام ، تكاد تتناقض فيما بينها حتى تقصر الأمر على أئمتهم وما شعروا أنهم لما غالوا في تقديسهم جعلها تحقق هذه الشروط مستحيلة في شخص واحد عقلاً ونقلاً منها :

١- أن يكون معروف الجنس (العرب) ، معروف القبيلة (قريش) ، معروف البيت (بيت النبوة) ^(٤) بمعنى كونه قرشياً هاشمياً ^(٥) ، لقوله النبي -ﷺ- : " إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ ، وَاصْطَفَى مِنْ كِنَانَةِ قُرَيْشًا ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ " ^(٦) ، وقول النبي -ﷺ- : الأئمة من قريش ^(٧) ، ثم كونه من آل بيت النبي ، ثم من أبناء الحسن والحسين ^(٨) .

٢- أن يكون منصوباً عليه ^(٩) بالوصية الظاهرة ؛ حتى يكون أولى الناس بمن كان قبله ومن الناس بأنفسهم ،

(١) سورة الأنعام : آية رقم ٥٧ .

(٢) سورة يونس : آية رقم ٢٠ .

(٣) سورة الرعد : آية رقم ٣١ .

(٤) الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣١ ص ٨١ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣١٧ . النووي : شرح صحيح مسلم ج ١٥ ص ٤١ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٥٧ . الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٦٨ .

(٨) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٤٠ . الكليني : الروضة من الكافي ج ١ ص ٣٤١ .

(٩) يتعارض هذا مع ما جاء عن علي حين احتج لنفسه على صحة إمامته ، فقال في كتابه لمعاوية - رضي الله عنهم - : " وبايعني المهاجرون والأنصار بعد ما تشاوروا في ثلاثة أيام ، وهم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان ، وعقدوا إمامتهم ، ولي ذلك أهل بدر والسابقة من المهاجرين والأنصار ، غير أنهم بايعوهم قبلي على غير مشورة من العامة ، فإن كان الله - جل اسمه - جعل الاختيار إلى الأمة ، وهم الذين يختارون ، وينظرون لأنفسهم ، وكان من اختاروه وبايعوه ببيعه ببيعة هدى ، وكان إماماً واجباً على

بحيث يعرفه العامة والخاصة بلا تردد (١).

٣- أن يكون مسلماً غير ظالم لنفسه ؛ لم يسجد لصنم أو وثن (٢)؛ ليحصل الوثوق بقوله؛ فإن غير المسلم ظالم ، وقد قال -ﷺ-: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ النَّارُ﴾ (٣) ، فلا يكون الظالم إماماً للناس ؛ حتى وإن تاب من ظلمه ، فلا يخرج من تناول الآية (٤).

٤- أن يكون مكلفاً؛ فكيف يلي أمر الأمة وهو يحتاج لغيره ، وهو شرط في الإمامة الصغرى فما بالك بالكبرى (٥)؛ ومع ذلك : فمن الثابت أن إمامهم الغائب ثبتت إمامته ، وهو ابن خمس أو ثلاث سنين من خلال توقيعاته ، فلماذا استبعد هذا الشرط وقيل بإمامته ؟ ! (٦) ستفاجأ أنه بلغ خلال هذه المدة ! كما ستري في فصل الرجعة .

٥- أن يكون حراً (٧)؛ لأن الإمامة منصب جليل ، فلا يليق بعبد.

٦- أن يكون معصوماً من القبائح ، والذنوب ، والدناعات ، والإخلال بالواجبات من أول عمره إلى آخره ، ولا يسهو في العبادة (٨)؛

الناس طاعته ونصرته ، فقد تشاوروا في ، واختاروني بإجماع منهم " ، وفي رواية: "وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إماماً ، كان ذلك لله رضاء ، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ، ردوه . كتاب سليم بن قيس ، ص ٢٩١-٢٩٢ .

(١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٤٠ . الشيخ الجواهري: جواهر الكلام ج ١٣ ص ٧٢-٧٣ .

(٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٢٩ . محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٤١٥ .

(٣) سورة هود : آية رقم ١١٣ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٩١ . الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٤١ .

(٥) المجلسي: بحار الأنوار ج ٨٩ ص ١٦٤ . د أحمد غلوش : النظام السياسي في الإسلام ص ٢٤٠ .

(٦) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ٣٧ بتصرف .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٨٩ ص ١٦٤ . د أحمد غلوش : النظام السياسي في الإسلام ص ٢٤٠ .

(٨) المجلسي: بحار الأنوار ج ١٧ ص ١١٠ . الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٣٩ .

لأنه لو لم يكن كذلك لاحتاج إلى إمام آخر^(١).

٧- أن يكون منزهاً عن دناءة الآباء (حسن المنشأ) ، وعهر الأمهات (طهارة الولادة) ، والأمراض المنفرة ، وليس به عاهة ؛ لئلا يكون مستحقاً للإهانة والإتكار ، فيسقط محله من القلوب؛ فتبطل فائدة نصبه^(٢).

٨- أن يكون مؤيداً بروح القدس ، وبينه وبين الله عمود نور ، يرى من خلاله أعمال العباد^(٣).

٩- يعلم الأشياء قبل وقوعها^(٤)، وقال أبو عبد الله : " ليس يخرج شيء من عند الله حتى يبدأ برسول الله -ﷺ- ثم بأمر المؤمنين ، ثم بواحد بعد واحد ؛ لكيلا يكون آخرنا أعلم من أولنا " ^(٥) .

١٠- أن يكون أشجع رعيته^(٦) ، بل أشجع الناس كلهم^(٧).

١١- أن يكون أعقل رعيته وذا رأي وكفاية ؛ لافتقار قيام نظام النوع عليه^(٨).

١٢- أن يكون له المعجزة دليلاً على إمامته^(٩).

١٣- تنام عينه ولا ينام قلبه .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٤٤ . الجواهري : جواهر الكلام ج ١٣ ص ٧٢ - ٧٣ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٠٩ . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

(٣) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٧ . الجواهري النجفي : جواهر الكلام ج ١٣ هامش ص ٧٢ - ٧٣ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦ . الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٣٩ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٥ . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣١٠ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٣ ص ٦٧ .

(٧) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٤٢ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦ . الجواهري النجفي : جواهر الكلام ج ٤٠ ص ١٠ .

(٩) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٤٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦ .

١٤- يرى من خلفه كما يرى من بين يديه ^(١)، ومثل ما جاء أن محمد بن علي بن موسى الرضا تكلم وهو ابن خمسة وعشرين شهراً ، وقال : " الحمد لله الذي خلقنا من نوره بيده ، واصطفانا من بريته ، وجعلنا أمناً على خلقه ووحيه ^(٢) ، ولا يكون له فيء (ظل) ^(٣) ؛ لأنه مخلوق من نور الله ^(٤) ، وكل ما ولد منه يكون مؤمناً ، وإذا وقع على الأرض من بطن أمه وقع على راحتيه رافعاً صوته بالشهادتين ^(٥) ، وأن يولد مختوناً ، مطهراً ، وسائر الكثافات ، ومقطوع السرة ^(٦) ، ولا يرى له حدث ^(٧) ؛ لأن الله وكل الأرض بابتلاع ما يخرج منه ، ولا يحتلم ، ولا يجنب ^(٨) ، ولا يتشاءب ، ولا يتمطى ، وتكون رائحة نجوه (ما يستجى منه) أطيب من رائحة المسك ، والأرض مأمورة بستره وابتلاعه ^(٩) ^(١٠) ، وبه استدل كثير من العلماء على طهارة فضلات النبي -ﷺ- من بول غائط ونحوهما ^(١١) ، وتناسوا أن يشترطوا ألا يرى أحد عورته ؛ كما أخبر علي حين

(١) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦. الجواهري: جواهر الكلام ج ١٣ هامش ص ٧٢-٧٣.

(٢) الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ٢٨١. المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦.

(٣) ابن شهر آشوب: مناقب علي بن أبي طالب ج ١ ص ٢١٧. بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٤٠.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦. الجواهري: جواهر الكلام ج ١٣ هامش ص ٧٢-٧٣.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٩. الجواهري: جواهر الكلام ج ١٣ ص ٧٢-٧٣.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦. الجواهري: جواهر الكلام ج ١٣ ص ٧٢-٧٣.

(٨) يتعارض هذا مع: أن النبي -ﷺ- قال : " ألا إن المسجد لا يحل لجنب إلا لمحمد وآله " ، وفي رواية : " لا يحل لأحد أن يجنب في هذا المسجد إلا إنا ، وعلي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين " . المجلسي :

بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٦٨. البحراني : الحقائق الناضرة ج ٣ ص ٤٩.

(٩) يتعارض هذا مع ما جاء عن أم أيمن -رضي الله عنها- أنها قالت : " كان للنبي -ﷺ- فخارة يبول فيها بالليل ؛ فكنت إذا أصبحت صبيبتها ، فقامت ليلة وأنا عطشانة ؛ فغلطت فشربتها ؛ فذكرت ذلك للنبي -ﷺ- فقال :

إنك لا تشتهي بطنك بعد يومك هذا " . بحار الأنوار ج ٤٣ هامش ص ٢٨. المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٥ ص ٤٥.

(١٠) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦. الجواهري: جواهر الكلام ج ١٣ هامش ص ٧٢-٧٣.

(١١) الخطيب الشربيني : الاقتناع في حل ألفاظ أبي شجاع ج ١ ص ٨٠ .

أوصاه النبي ﷺ - ألا يغسله أحد ؛ فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه ^(١) ويعارضه ما قاله الباقر: كان في رسول الله ﷺ - ثلاث لم تكن لأحد: لم يكن له فيء، وكان لا يمر في طريق فيمر فيه أحد بعد يومين أو ثلاثة إلا عرف أنه مر فيه؛ لطيب عرفه، وكان رسول الله ﷺ - لا يمر بحجر ولا شجر إلا سجد له ^(٢).

١٥- أن تكون إمامته عامة ؛ ولذلك فلا يخفى عليه كلام أحد من الناس ، ولا طير ، ولا بهيمة ، ولا شيء فيه الروح ؛ فمن ليس فيه ذلك فليس بإمام ^(٣).

١٦- أن يكون دعاؤه مستجاباً .

١٧- لو دعا على صخرة ؛ لانشتت نصفين ^(٤) .

١٨- أن يكون عنده سلاح رسول الله ﷺ - وسيفه : ذو الفقار ، ويستوي عليه درعه ^(٥) ، وإن لبسه غيره سواء : طويلهم ، وقصيرهم زادت عليه شبراً ^(٦).

١٩- ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته ، وأسماء أعدائه إلى يوم القيامة ، وعنده الصحيفة الجامعة ، والجفران: الأحمر ، والأبيض ^(٧) .

٢٠- يكون عنده قميص آدم - عليه السلام - ، وعصى وتابوت موسى - عليه السلام - ، وخاتم سليمان - عليه السلام - ؛ كما قال الباقر: إن هذه العصا هي في الأصل عصا آدم - عليه السلام - ، أخذت تنتقل حتى وصلت إلى موسى - عليه السلام - وهي الآن لدينا ، وسوف تنتقل لتصل إلى آخر

(١) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥٢٤. ابن كثير: البداية والنهاية ج ٥ ص ٣٦٩.

(٢) الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٥١٣. المجلسي: بحار الأنوار ج ١٦ ص ٢٤٩.

(٣) الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٣٤١.

(٤) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٧. الشاهرودي: مستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٣٧٣.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦. الشاهرودي: مستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٣٧٣.

(٦) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٦٨. الجواهری: جواهر الكلام ج ١٣ ص ٧٢-٧٣.

(٧) النمازي: مستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٣٧٣. المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٧.

الأئمة ؛ ليقوم عن طريقها بما قام به موسى -عليه السلام- في زمانه ، وعنه : أن أمير المؤمنين -عليه السلام- خرج ذات ليلة بعد العشاء ، يقول : خرج عليكم الإمام ، عليه قميص آدم -عليه السلام- ، وفي يده خاتم سليمان -عليه السلام- ، وعصى موسى -عليه السلام- (١).

٢١- وأن يكون مُحَدَّثًا ، له إلهام ، ونقر في الأسماع ، ونكت في القلوب ، ويسمع الوحي ، وربما تأتيه صورة أعظم من جبرائيل ، وميكائيل ، وربما يعاين ويخاطب الله تعالى (٢)، قال رسول الله -ﷺ-: أنا مدينة العلم ، وعلي بابها ، والمدينة لا تؤتى إلا بالباب ، وإليه الإشارة بقوله : يا علي إن الله أطلعني على ما شاء من غيبه وحياً وتنزيلاً ، وأطلعك عليه إلهاماً (٣).

٢٢- أن يكون له علامات في جسده تدل على إمامته ، كخاتم النبوة ؛ فعن أبي الحسن أنه أمر أحد شيعته : أن يجرد ابنه من قميصه ، وأمره أن ينظر بين كتفيه ، فنظر فإذا في أحد كتفيه شبه الخاتم داخل اللحم ، فقال : هذا الموضع كان في أبي (٤)، وأن يكون مكتوباً على عضده : " وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ؛ ويلبس الهيبة ، وعلم الضمير ، ويطلع على الغيب (٥).

والسؤال هل يستطيعون أن يقولوا لنا هل تحققت كل هذه الشروط في كل إمام من أئمتهم ؟ وأين أدلة ذلك من كتبكم ؟ وهل يجب علينا أن نؤمن بكل هذه الشروط أم أنها من نافلة العلم ؟ .

رابعاً : ظهور الغلو في الحكم على من خالفهم متأثراً بتقليد أئمتهم :

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٤ ص ٨١. محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٢١٠ - ٢١١.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٦. الجواهري: جواهر الكلام ج ١٣ ص ٧٢ - ٧٣.

(٣) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٢٤ - ٢٥.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٢٠. الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٥) يعني يعلم ما في الضمير ، وما تكنه الصدور. المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٦٩.

تقدس الشيعة البراءة من أعداء أهل البيت ، وتطلق الشيعة على مخالفيهم اسم الناصب ، ويقسمونهم قسمين ناصب لعداوة الشيعة ، ويعرفونه بمن نصب للشيعة العدا ، بسبب توليهم لآل البيت ^(١)؛ لأنك لا تجد أحداً يقول : أنا أبغض محمداً ، وآل محمد ، ولكن الناصب لكم ، وهو يعلم أنكم تتولونا ^(٢)، والثاني وهو أشرهما : ناصب العداوة لأهل البيت أو لأحدهم ، وأظهر البغضاء لهم صريحاً ، أو لزوماً ككراهة ذكر فضائلهم ، ومناقبتهم ؛ والعداوة لمحبيهم وهو شر من اليهود والنصارى والمجوس والكفار ^(٣) ، وعلامته تقديم الجبت والطاغوت ^(٤) - أبي بكر وعمر - والاعتقاد بإمامتهما ؛ لأنه لا عداوة أعظم ممن قدم المنحط عن مراتب الكمال ، وفضل المنخرط في سلك الأغبياء والجهال ؛ على من تسنم أوج الجلال حتى شك أنه الله المتعال ^(٥) ، وأتساءل ما هذا الحقد الدفين الذي يضررونه للشيخين - .

فيصرحون بثبوت الكفر ^(٦) ، لأن علياً عندهم باب فتحه الله ، من دخله كان مؤمناً ، ومن خرج منه كان كافراً ^(٧) ، وطاعة علي ذل ، ومعصيته كفر بالله ^(٨) ، والكفر به كفر بالله ، والشرك به شرك بالله ، والشك فيه شك في الله ، والإلحاد فيه إلحاد في الله ، والإتكار له إنكار لله ، والإيمان به إيمان بالله ^(٩) .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦٩ .

(٢) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٥ ص ١٧٧ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٩ ص ٤٨٦ .

(٣) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٥ ص ١٧٧ - ١٧٨ . الجواهري : جواهر الكلام ج ٦ ص ٦٤ .

(٤) روى المجلسي : لا تسموا الملعونين بهذين الاسمين أو لا تتعرضوا لهم بوجه . بحار الأنوار ج ٣ ص ٤٠ . وهذا من باب التقية .

(٥) البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٠ ص ٣٦٣ . الجواهري النجفي : جواهر الكلام ج ٦ ص ٦٤ .

(٦) الحديث المتواتر : هو ما رواه عددٌ كثيرٌ أحالت العادة توافقهم على الكذب ، عن مثلهم ، من الابتداء إلى الانتهاء ، وكان مُستندُ انتِهائهم الحسَّ ، ويفيد العلم لسامعه ، فيتفقون في المعاني بلا اختلاف ، وهذا هو المتواتر المعنوي ، وإن اتفقوا في الألفاظ فهو تواتر لفظي . وعند الشيعة : ما بلغ رواته إلى حيث يحصل العلم بقولهم . د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة ص ٥٤ . ويجب الإشارة أن روايات الشيعة لا تجد فيها هذا النوع أصلاً ؛ إذ رواياهم تدور على التقية .

(٧) الجواهري النجفي : جواهر الكلام ج ٦ ص ٦٠ . كتاب سليم بن قيس ص ٣٨٤ .

(٨) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ١٤٣ .

(٩) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٥ ص ١٨٢ - ١٨٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٩٧ .

ويصرح الصدوق بكفر من خالفهم فيقول : " واعتقادنا فيمن خالفنا في شيء واحد من أمور الدين كاعتقادنا فيمن خالفنا في جميع أمور الدين " (١) .

ويوافقه المفيد فيقول : " اتفقت الإمامية على أن أصحاب البدع كلهم كفار ، وأن على الإمام أن يستتيبهم عند التمكن بعد الدعوة لهم ، وإقامة البينات عليهم ، فإن تابوا عن بدعهم ، وصاروا إلى الصواب ، وإلا قتلهم لردتهم عن الإيمان ، وأن من مات منهم على تلك البدعة ؛ فهو من أهل النار " (٢) .

وهم في الدنيا في حكم الكفار ، ويجري الله عليهم حكم الإسلام توسعةً ، فإذا ظهر القائم يجري عليهم حكم سائر الكفار في جميع الأمور، وفي الآخرة يدخلون النار ماكنين أبداً (٣) . أما معاملة أهل السنة فلا يجوز لأحد من الشيعة أن يغسل مخالفاً في الولاية ، ولا يصلي عليه إلا أن تدعوه ضرورة إلى ذلك من جهة التقية ، فيغسله تغسيل أهل الخلاف ، ولا يترك معه جريدة ، فإذا صلى عليه لغنه في صلاته (٤) .

وزعموا أن أبا عبد الله سئل عن قتل الناصب ، فقال : " حلال الدم ، لكني أتقي عليك ، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً ، أو تغرقه في ماء ؛ لكيلا يشهد به عليك فافعل " (٥) (٦) ؛ لأن المستفيض من الأخبار (٧) ، وتكاثرها تقول : " بكفر المخالف ، ونصبه ، وشركه ، وحل ماله

(١) الصدوق : الاعتقادات ، تحقيق : عصام عبد السيد ، ط مهر ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ / ١٣٧١ ش ص ١١٠ .

(٢) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٤٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٣٦ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦٩ بتصرف .

(٤) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٣ ص ٤٠٥ . الجواهري : جواهر الكلام ج ٤ ص ٨٢ .

(٥) هاشم البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٨ ص ١٥٦ . الجواهري : جواهر الكلام ج ٢١ ص ٣٤٥ .

(٦) يقول د حسين الموسوي : كتبنا المعتمدة تبين لنا الحقيقة ؛ إذ تذكر لنا تذرر أهل البيت من شيعتهم ، وما فعله الشيعة الأوائل بأهل البيت ، ومن الذي سفك دماءهم ، ومن تسبب في مقتلهم ، واستباحة حرماهم ، ومن قتلة الحسين الحقيقيون : إنهم شيعته أهل الكوفة ، أجدادنا ، فلماذا نحمل أهل السنة مسؤولية مقتل الحسين - عليه السلام - ؟! د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ ، نشر دار ابن الجوزي - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٧ م ص ١٥ - ١٦ .

(٧) الخبر المستفيض : هو ما زاد نقلته على ثلاثة في كل مرتبة ، ولم يصل إلى حد التواتر ، سمي به ؛ لوضوحه ، أو اشتهاؤه على الألسنة . د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية ص ١٦٥ .

، ودمه ، وجواز قتله^(١). فيردون بكل جسارة : سئل أبو جعفر فقيل له : إن بعض أصحابنا يفترون ويقذفون من خالفهم ؛ فقال : " الكف عنهم أجمل ؛ الناس كلهم أولاد بغايا ، ما خلا شيعتنا " ^(٢)، والظاهر منها جواز القذف ، والافتراء عليهم ؛ لأن كلمة أجمل لا تعني الحرمة ولا الوجوب ، وقيل : لا يجوز أخذ مال المخالف ، وقتله ، لا يجوز تناول عرضه ؛ الذي هو الغيبة ... ولا يدل جواز لعنه في النص على جواز الغيبة^(٣).

بل تنتفي عنه أخوة الدين ؛ لأنه أنجس من الكلاب ، وهو أشر من ولد الزنا ، واليهودي والنصراني ، والمشرک ، والمجوسي ، وكل من خالف الإسلام ، يستوي في ذلك كل من خالف الاثني عشرية حتى ولو كان من الشيعة الزيدية ، أو الفطحية ، أو الواقفية ^(٤) .

فنحن عندهم مسلموا الدنيا ، كفار الآخرة ، مخلدون في النار أبداً ، نعوذ بالله تعالى .
فقد هذا الأثر : هذا يوافق ما جاء في التوراة التي توصي اليهودي كيف يتعامل مع غيره من الشعوب : " لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق عليهم " ^(٥) ، وحين زعموا أن الله أمرهم بسرقة المصريين عندما أمرهم بالخروج من مصر فادعوا أن الله قال لهم : " فتسلبون المصريين " ^(٦).

قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَهْلُ الْكَذِبِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٧).

ونقول لهم : هلا فعلتم كما فعل علي-عليه السلام- حين سَمِعَ تَحْكِيماً مِنْ نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ؛ فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ-عليه السلام-: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِهَا بَاطِلٌ ، لَكُمْ عَلَيْنَا

(١) السيد هاشم البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٠ ص ٣٦٠ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣١١ . الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٢٧ .

(٣) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٨ ص ١٤٧ .

(٤) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٥ ص ١٨٨ - ١٨٩ . بحار الأنوار ج ٧٦ ص ٧٢ بتصرف .

(٥) الكتاب المقدس : سفر التثنية ٧ / ٢ ص ٢٩٠ .

(٦) الكتاب المقدس : سفر الخروج ٣ / ٢١ - ٢٢ ص ٦١ .

(٧) سورة النساء : آية رقم ٧٥ .

ثَلَاثٌ : لَا نَمْنَعُكُمْ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرُوا فِيهَا اسْمَ اللَّهِ ، وَلَا نَمْنَعُكُمْ الْفَيْءَ مَا كَانَتْ مَعَ أَيْدِينَا ، وَلَا نَبْدَأُكُمْ بِقِتَالٍ " (١).

ومن الثابت أن الحسين -عليه السلام- لم يدع إلى نفسه للتقية ، وللهدنة الحاصلة بينه وبين معاوية ، فالتزم الوفاء بها (٢) ، وما دام أهل السنة والجماعة اتبعوا سيدنا الحسين -عليه السلام- في تقيته ، وإقراره بإمامة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان بمبايعتهم ، والصلاة خلفهم ، فهل تنهمونه بالخوف ، والجبن ، والتقية التي تعني الخضوع للذل؟ (٣).

فلماذا لم يتكلم علي -عليه السلام- عندما أراد الرسول -عليه السلام- قبل وفاته أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده أبداً ، وهو الذي لا يخشى إلا الله ، ويعلم أن الساكت عن الحق شيطان أخرس! (٤).

فَإِنْ احْتَجَّ بِأَنْ مَبَايَعَةَ عَلِيٍّ -عليه السلام- كَانَتْ عَنْ تَقِيَةٍ ، قِيلَ لَهُ : قَدْ احْتَجَجْتَ فِيمَا سَلَفَ مِنْ كَلَامِكَ أَنَّهُ قَعْدَ عَنْ بَيْعَتِهِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، فَلَوْ كَانَتْ عَلَى تَقِيَةٍ لَمَا أَمْهَلَ سَاعَةً ، فَكَيْفَ وَبَقِيَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ لَمْ يَلْقَ بِمَكْرُوهِ ، وَلَمْ يُحْمَلْ عَلَى بَيْعَتِهِ ؛ فَمَنْ أَيُّ شَيْءٍ كَانَ يَخَافُ ؟ وَهَلْ بَايَعَ إِلَّا لَمَّا ظَهَرَ لَهُ مِنَ الْحَقِّ ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ مُتَابَعَةُ الْحَقِّ ، وَمَفَارِقَتُهُ رَأْيَهُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ ؟ فَأَيُّ قَبْحٍ أَقْبَحَ مَا نَسَبْتُمْ إِلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا -عليه السلام- إِذْ قُلْتُمْ : إِنَّهُ فَارَقَ الْحَقَّ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ وَتَابَعَ الْبَاطِلَ وَالْجَوْرَ خَوْفًا مِنَ التَّقِيَةِ ، أَلَيْسَ كَانَ عَامَّةَ الصَّحَابَةِ مِنَ السَّابِقِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ ، أَمَا كَانَ فِيهِمْ وَاحِدٌ يَقُومُ مَعَهُ وَيَتَّبِعُهُ عَلَى رَأْيِهِ ؟ هَذَا يَقْتَضِي مِنْ قَوْلِكُمْ مَا تَضْمُرُونَهُ مِنْ سُوءِ الْإِعْتِقَادِ فِي الصَّحَابَةِ -عليه السلام- ، فَفِي ذَلِكَ تَجُوزُ مَا طَعَنَ بِهِ الْخَوَارِجُ وَالْمُرَاقِ عَلَى تَكْفِيرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ وَعُثْمَانَ -عليه السلام- ، وَهَذَا مَا لَا يَقُولُهُ ذُو عَقْلٍ وَدِينٍ (٥).

ويعجب الإنسان من قولهم : أن من لم يعرف إمامه مات ميتة الجاهلية! كيف ؟ والفقهاء مجمعون على عدم التكليف قبل العلم ، وأن من شروط التكليف بلوغ الرسالة .

(١) الجواهر النجفي : جواهر الكلام ج ٢١ ص ٣٣٢.

(٢) الشيخ المفيد : الإرشاد ج ٢ ص ٣٠ - ٣١.

(٣) د عمر عبد الله كامل : رسالة إلى إخواننا الشيعة الإمامية ص ٢١ .

(٤) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ٢١ .

(٥) أبو نعيم الأصبهاني : الإمامة والرد على الرافضة ص ٢٧٣.

ثم هل يستطيعون أن يقرّوا بكفر الملائكة والأنبياء الذين لم يقرّوا بولاية أئمتهم ، كما جاء عن أبي جعفر حين سأله أحد تلاميذه عن قول أمير المؤمنين : إن أمرنا صعبٌ مُستصعبٌ ، لا يعرفه إلا ملكٌ مقربٌ ، أو نبيٌّ مرسلٌ ، أو عبدٌ امتحن الله قلبه للإيمان ، فقال : نعم من الملائكة مقربين ، وغير مقربين ، ومن الأنبياء مرسلين ، وغير مرسلين ، ومن المؤمنين ممتحنين ، وغير ممتحنين ، وإن أمركم هذا عرض على الملائكة ؛ فلم يقر به إلا المقربون ، وعرض على الأنبياء ؛ فلم يقر به إلا المرسلون ، وعرض على المؤمنين ؛ فلم يقر به إلا الممتحنون ^(١)، فهل هذا يتناسب مع عصمة الأئمة ؟ .

خامساً : ظهور أثر تقديس الأئمة : في الاعتقاد بتقديس بعض بقاع الأرض المنسوبة لهم :

قدست الشيعة الاثني عشرية الأماكن والقبور التي سكنها أئمتهم ، أو ورد نص من قبلهم في تقديسها ؛ فقدسوها تبعاً لتقديسهم لأئمتهم ومن أمثلة هذه الأماكن والبقاع المقدسة عندهم :

تقديس مدينة (قم) الإيرانية ^(٢) :

روت الشيعة في سبب تسميتها (قم) : أن رسول الله - ﷺ - رأى إبليس باركاً بها ، فقال له : قم يا ملعون ؛ فسميت بذلك ^(٣) ، وقيل : لأن سفينة نوح ^(٤) - عليه السلام - لما وصلت إلى جبل قم في الطوفان قامت ، وهي جزء من بيت المقدس ^(٥) ، وقال أبو عبد الله سميت قم :

(١) محمد بن حسين الصفار : بصائر الدرجات ص ٥٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ١٨٥ .
(٢) قم : كلمة فارسية: وهي مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها، وأول من مصّرها طلحة بن الأحموس الأشعري، وأهلها كلهم شيعة إمامية، وكان بدء تمصيرها في أيام الحجاج بن يوسف سنة ٨٣هـ ، والذي نقل التشيع إلى أهلها عبد الله بن سعد بن مالك ابن عامر الأشعري ، وكان إمامياً فلا يوجد بها سنيّ قط ، قد نسبوا إليها جماعة من أهل العلم، منهم: أبو الحسن يعقوب بن عبد الله بن سعد بن مالك الأشعري القمي ، وأبو الحسن علي بن موسى بن داود، وقيل ابن يزيد القمي صاحب أحكام القرآن وإمام الحنفية في عصره . شهاب الدين الحموي (ت ٦٢٦هـ) : معجم البلدان ، ط دار صادر - بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٥ م ج ٤ ص ٣٩٧-٣٩٨ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢١٧ .

(٤) من التناقضات أن تجد نفس هذه الرواية في مدينة الكوفة . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣٨٥ . الجواهري : جواهر الكلام ج ٢٠ ص ٩٠ .

(٥) الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٥٩٧ . بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢١٣ .

لأن أهله يجتمعون مع قائم آل محمد -عليه السلام- فيها ، ويقومون معه، وقال : لولا القميين لضاع الدين^(١).

ويبين الصادق سبب تقديس (قم) فيقول لنا حرمٌ : وهو قم ، وستدفن فيه امرأة من أولادي تسمى : فاطمة^(٢)، من زارها وجبت له الجنة^(٣).

ويقصدون قبرها قداسة لا تقل قداسة عن بيت الله الحرام^(٤) ؛ وهي الكوفة الصغرى ، ألا وإن للجنة ثمانية أبواب ، ثلاثة منها إلى (قم)^(٥)، وعن الرضا: أن لهم ثلاثة أبواب من الثمانية، وقيل باب واحد^(٦).

وعن الرضا: إذا عمت البلايا ؛ فلا بد من اللجوء لها ؛ فالبلاء مدفوع عنها^(٧) ، وعليها ملكاً يرفرف بجناحه ، يسقي الله بلادهم الغيث ، وينزل عليهم البركات ، ويبدل الله سيئاتهم حسنات ، وهم أهل ركوع ، وسجود ، وقيام ، وقعود ، هم الفقهاء ، العلماء ، الفهماء ، هم أهل الدراية، والرواية، وحسن العبادة^(٨).

ويزعمون أن أهلها يحاسبون في حفرهم ، ويحشرون من حفرهم إلى الجنة^(٩) ، فهي تربة قم مقدسة ، معصومون الفتن^(١٠) ، وأهلها حجة على الخلائق ، وذلك في زمان الغيبة ، ولولاها لساخت^(١١) الأرض ورأى صورتها النبي -عليه السلام- ليلة المعراج في السماء

(١) علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٥٩٩. بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢١٦.

(٢) فاطمة بنت موسى بن جعفر: المعروفة بالمعصومة ، وقبتها من بناء سنة ٥٢٩هـ بأمر: شاه بيكم بنت عماد بيك، وأما تذهيبها ووضع الجواهر عليها؛ من آثار السلطان فتح علي شاه القاجاري. بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٣١٧.

(٣) النوري الطبرسي : مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ٣٦٨. المجلسي: بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٣١٧. الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٢٦٢.

(٤) د عامر النجار : مذاهب الإسلاميين ص ٤٥٠ - ٤٥١.

(٥) النمازي : مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٢٦٢. المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢٢٨ .

(٦) علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٥٩٩. بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢١٦ .

(٧) علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٥٩٧. بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢١٤ .

(٨) علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٥٩٩. بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢١٧ .

(٩) الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٦٠٠. المجلسي: بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢١٨.

(١٠) مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٦٠٠. المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢١٨ - ٢١٩.

(١١) ساخت الأرض : انخسفت . المعجم الوجيز ص ٣٣١.

الرابعة على هيئة قبة ، قال جبريل -عليه السلام- : تجتمع فيها عباد الله المؤمنون ، ينتظرون محمداً ، وشفاعته للقيامة ، والحساب ^(١) ، وهي عش آل محمد ومأوى شيعتهم ^(٢) . وأظن أن الحرمين الشريفين لم ينالا ما نالته هذه المدينة وهي لم تكن على عهد -عليه السلام- .

تقديس مدينة كربلاء ^(٣) :

كانت لمأساة مقتل الحسين بكربلاء الأثر البالغ في تقديس هذه المدينة ، فأعطيت كربلاء حسب النصوص الواردة عند الشيعة أكثر مما أعطي لأي أرض أو بقعة أخرى ؛ فزعموا أنها أرض الله المختارة ، وأرض الله المقدسة المباركة ، وحرماً آمناً مباركاً ، وحرماً من حرم الله ، ورسوله ، وقبة الإسلام ، ومن المواضع التي يحب الله أن يعبد ويدعى فيها ^(٤) ، وعن أبي عبد الله : إن أرض الكعبة قالت : من مثلي ، وقد بُني بيتُ الله على ظهري ، يأتيني الناس من كل فجٍ عميق ، وجُعِلت حرم الله ، وأمنه ، فأوحي الله إليها : أن كفي ، وقرى ، ما فضل ما فضلت به فيما أُعطيت أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست في البحر ؛ فحملت من ماء البحر ، ولولا تربة كربلاء ؛ ما فضلتُك ، ولولا من ضمنته كربلاء ؛ لما خلقتُك ، ولا خلقتُ الذي افتخرت به ، فقَرِي ، واستقري ، وكوني ذنباً ، متواضعاً ، ذليلاً ، مهيناً ، غير مستكفٍ ، ولا مستكبرٍ لأرض كربلاء ، وإلا مسختك ، وهويت بك في نار جهنم" ^(٥) .

وعن علي بن الحسين : لا يسكنها إلا النبيون والمرسلون وأولو العزم من الرسل ^(٦) ، وإنها لتزهر بين رياض الجنة كما يزهر الكوكب الدري بين الكواكب لأهل الأرض ، وهي

(١) المجلسي: بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣١١ . الشاهرودي: مستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ٥٩٥ .

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢١٤ . الشاهرودي: مستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ٥٩٧ .

(٣) كَرْبَلَاءُ: الموضع الذي قتل فيه الحسين ابن عليّ -عليه السلام- في طرف البرية عند الكوفة، فأما اشتقاقه فالكربة رخاوة في القدمين، فسُميت بذلك لرخاوتها ، ويقال: كربلت الحنطة إذا هذبتها ونقيتها، فسُميت بذلك لأنها منقاة من الحصى والدغل ، والكربل: اسم نبت الحمّاض ، فيجوز أن يكون هذا الصنف من النبت يكثر نبطه هناك فسمي به ، وقيل سماها الحسين -عليه السلام- . الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٤٤٥ .

(٤) د عامر النجار: مذاهب الإسلاميين ص ٤٥١ ، نقلا عن تاريخ كربلاء د : عبد الجواد آل طعمة .

(٥) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٥١٤ - ٥١٦ . بحار الأنوار ج ٩٨ ص ١٠٧ . ج ١٠١ ص ١٠٨ .

(٦) يتناقض مع : أن الأئمة أفضل من الأنبياء والرسل ؛ لأنهم لم يسكنوا أفضل منازل الجنة مع الأنبياء .

تنادي : أنا أرض الله المقدسة ، الطيبة ، المباركة ، التي تضمنت سيد الشهداء ، وسيد شباب أهل الجنة^(١).

وزعموا عن رسول الله -ﷺ-: يقبر ابني بأرض يقال لها : كربلاء ، هي البقعة التي كانت فيها قبة الإسلام التي نجا الله عليها المؤمنين الذين آمنوا مع نوح في الطوفان^(٢) ، وما من ليلة تمضي إلا وجبرائيل ، وميكائيل يزوران الحسين -ﷺ-^(٣).

عن أبي عبد الله: إن أرض كربلاء ، وماء الفرات أول أرض ، وأول ماء قدس الله -تبارك وتعالى - وبارك الله عليهما ، فقال لها : تكلمي ، قالت : أنا أرض الله المقدسة ، المباركة ، الشفاء في تربتي ، ومائي ، ولا فخر ، بل خاضعة ذليلة لمن فعل بي ذلك ، ولا فخر على من دوني بل شكراً لله ؛ فأكرمها ، وزادها بتواضعها ، وشكرها الله بالحسين -ﷺ- وأصحابه^(٤).

ومن أسباب تقديس كربلاء : " أن مريم - عليها السلام - خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء^(٥) ، فوضعت عيسى -ﷺ- في موضع قبر الحسين -ﷺ- ، ثم رجعت من ليلتها " ^(٦) . ويفترون أن جبريل -ﷺ- أتى بجزء من تربتها ، فأراه للنبي -ﷺ-^(٧) ، وأخبره بأن أمته ستقتل الحسين -ﷺ- بعد موته -ﷺ- ؛ فبكى رسول الله -ﷺ- وضمه إلى صدره^(٨).

(١) النوري: مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ٣٢٣. الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٥١٦.

(٢) النوري : مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ٣٢٤. المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٠٩.

(٣) الطبرسي: مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ٢٦٢. المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٠٩.

(٤) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٥١٦. المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١٠٩.

(٥) من رواياتهم المتناقضة مع هذه الرواية : كان أبو عبد الله يتخلل بساتين الكوفة ، فانتهى إلى نخلة ، فتوضأ ، ثم ركع ، وسجد ، ثم استند إلى النخلة ، فدعا بدعوات ، ثم قال : إنها النخلة التي قال الله لمريم: ﴿ وَهَـزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴾ الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٦ ص ٣٨٠. بحار الأنوار ج ١٤ ص ٢١٢.

(٦) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٥١٧. المجلسي : بحار الأنوار ج ١٤ ص ٢١٢.

(٧) هل سجد الرسول -ﷺ- على التربة الحسينية التي سجد عليها الشيعة ؟ إن قالوا : نعم ، قلنا : هذا كذب ، وإن قالوا : لا ، قلنا: هل أنتم أهدى من الرسول سبيلا ؟. سليمان الخراشي: أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ٢٤.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٣٦. الطبراني : المعجم الكبير ج ٣ ص ١١٤.

وادعوا أن علياً -عليه السلام- لما نزل كربلاء نظر إلى مصارع أهله، وذريته، وشيعته ، وقال :
واهاً لك أيتها التربة ، ليحشرن منك أقوام يدخلون الجنة بغير حساب ، طوبى لك تربة
عليك تهراق دماء الأحياء (١).

نقد هذا الأثر: هم في ذلك يشبهون النصارى الذين قدسوا الصليب الذي يدعون أن عيسى
-عليه السلام- مات عليه ؛ ليخلص المؤمنين بخلاصه من العذاب في الآخرة .

تقديس مدينة الكوفة (٢): بالكوفة كذلك قداسة كبرى عند الشيعة ، لنصوص مفتراه أنها حرم
الله ورسوله ، وحرم علي -عليه السلام- ، الصلاة في مسجدها (٣) بعشرة آلاف صلاة ، والفريضة
تعدل حجة (٤) ، وقال علي -عليه السلام-: " إذا عمت البلايا ؛ فالأمن في الكوفة ونواحيها " (٥) ؛ "
فإن البلاء مدفوع عنها " (٦).

ويكذبون على رسول الله -ﷺ-: طينتنا من المدينة، وطينة شيعتنا من الكوفة ، وطينة
أعدائنا من البصرة (٧). ويدعون أنه مرت جنازة على علي -عليه السلام- بالكوفة ، فقال : هذا قبر

(١) المجلسي بحار الأنوار ج ٤ ص ٢٥٥ - ٢٥٦. الشيخ الصدوق : الأمالي ص ١٠٧.
(٢) الكوفة: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق ويسمّيها قوم خذّ العذراء، سميت الكوفة
لاستدارتها ، وقيل: لاجتماع الناس بها ، ويقال: أخذت الكوفة من الكوفان، أي بلاء وشر ، وقيل: سميت
كوفة لأنها قطعة من البلاد، وأما تمصيرها في أيام عمر بن الخطاب -عليه السلام- سنة ١٧، وقيل: ١٩، وقيل
سنة ١٨ هـ . الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٣٩٠-٣٩٤.

(٣) المقصود بمسجدها : مسجد السهلة المسمى بمسجد بني ظفر ، يدعون أنه كان بيت إدريس ، ومنه
سار إبراهيم إلى اليمن ، وداود إلى جالوت ، ومن طينته كل نبي ، ومنه يقوم القائم . الكليني : فروع
الكافي ج ٣ ص ٤٩٤.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٤٠٠.

(٥) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ٢٠٥.

(٦) المجلسي: بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٠٥. علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٩ ص
١٩٩.

(٧) يكذبون على علي -عليه السلام- عن البصرة: " لعنك الله يا أُنْتَنَ أرضِ تراباً ، وأسرعها خراباً ، وأشدّها عذاباً
؛ والسبب كذبهم علينا أهل البيت ، واستحلالهم الكذب علينا " بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٥٦ بتصرف .
علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٣٦٢. الميرزا النوري: مستدرك الوسائل ج ١٠
ص ٢٠٨. مع أن علياً -عليه السلام- جعل الاعتكاف جائز في مسجدها. الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٠ ص
٥٣٨. مستدرك الوسائل ج ٧ ص ٥٦٢.

يهودا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ^(١)، بكر يعقوب ^(٢)، يحشر من ظهر الكوفة سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ^(٣).

وكان أبو عبد الله يتخلل بساتين الكوفة، فانتهى إلى نخلة، فتوضاً، ثم ركع، وسجد، ثم استند إلى النخلة، فدعا بدعوات، ثم قال: **إِنَّهَا النَّخْلَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ لِمَرْيَمَ ^(٤) - عَلَيْهَا السَّلَامُ - : ﴿وَهَرَيَ إِلَيْكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا﴾** ^(٥) ^(٦)، وسكنها آدم، وفيها الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح ^(٧)، ودفن في ظهرها نوح - ^(٨)، وفيها الجبل الذي كلم الله عليه موسى - ^(٩)، وفيها قدس الله عيسى - ^(١٠)، وهذا من التناقض الواضح فكلها فضائل مزعومة.

والكوفة الصلاة فيها بمائة ألف صلاة، والدرهم فيها بمائة ألف درهم ^(١١)، صلاة الفريضة فيه تعدل حجة، وصلاة نافلة تعدل عمرة ^(١٢).

(١) قبر يهودا: وقع خلاف حوله، فقليل إنه قبر هود - عليه السلام -، وقيل: يهودا، والراجح عند الشيعة أنه قبر يهودا؛ عن الحسن بن علي: يقولون هذا قبر هود النبي - ^(١٣) - كذبوا، لأننا، أعلم به منهم، هذا قبر يهودا بن يعقوب، بكر يعقوب. النوري الطبرسي: مستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٢٢٤. بحار الأنوار ج ١١ ص ٣٦٠.

(٢) بكر يعقوب - ^(١٤) -: "رأوبين"، وأمه ليئة، وليس يهودا كما يدعون. الكتاب المقدس: نشر دار الكتاب المقدس - القاهرة، ١٩٩٨م سفر التكوين ٣٥ / ٢٣، ص ٥٩، ٤٦ / ٦، ص ٧٩.

(٣) الميرزا النوري الطبرسي: مستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٢٢٥.

(٤) من رواياتهم المتناقضة مع هذه الرواية: أن مريم - ^(١٥) - خرجت من دمشق حتى أتت كربلاء فوضعت عيسى - ^(١٦) - في موضع قبر الحسين - ^(١٧) -، ثم رجعت من ليلتها "الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٥١٧. المجلسي: بحار الأنوار ج ١٤ ص ٢١٢.

(٥) سورة مريم: آية رقم ٢٥.

(٦) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ٦ ص ٣٨٠. المجلسي: بحار الأنوار ج ١٤ ص ٢١٢.

(٧) من التناقض أن تجد نفس هذه الرواية في مدينة قم. ينظر علي النمازي الشاهرودي: مستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ٥٩٧. المجلسي: بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢١٣.

(٨) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣٨٥. الجواهر: جواهر الكلام ج ٢٠ ص ٩٠.

(٩) المحقق البحراني: الحقائق الناضرة ج ٧ ص ٣١٦. الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ٥ ص ٢٥٦.

(١٠) المجلسي: بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٣٩١. الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ٥ ص ٢٥٩.

وعن أبي عبد الله: نعم المسجد مسجد الكوفة ، روضة من رياض الجنة ، صلى فيه ألف نبي ، وألف وصي ، ومنه فار التنور ، وفيه نجرت السفينة ، ميمنته رضوان الله ، ووسطه روضة من رياض الجنة ، وميسرته مكر يعني منازل الشياطين ، وقيل : السلطان ، فيه عصا موسى ، وشجرة يقطين ، وخاتم سليمان ، وصرة بابل ، ومجمع الأنبياء ^(١) .
وقال أمير المؤمنين - عليه السلام -: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ^(٢) : المسجد الحرام ، ومسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومسجد الكوفة ^(٣) ، والصحيح أن المسجد الثالث هو المسجد الأقصى ^(٤) .

تقديس مدينة النجف ^(٥) : السبب الرئيس في تقديس النجف : هو وجود قبر علي - عليه السلام - فيها ^(٦) .

(١) بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٣٨٩ . المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٧ ص ٣٢١-٣٢٢ .
(٢) قال بعض المحققين : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المستثنى منه محذوف ، وهو إما جنس قريب ؛ فتقدير الكلام : لا تشد الرحال إلى المساجد إلا ثلاثة ، فغير المساجد مسكوت عنه ، أو جنس بعيد ، والتقدير : لا تشد الرحال إلى موضع يتقرب به إلا للثلاثة ؛ فحينئذ شد الرحال لغيرها للتقرب منه في الصلاة ، فإما أن يقدر عاماً ؛ فيصير لا تشد الرحال إلى مكان في أي أمر إلا لها ، أو يقدر خاصاً بمعنى : للصلاة فيها ، والثاني أرجح ؛ لإفضائه إلى سد باب السفر للتجارة ، وصلة الرحم ، وطلب العلم ، فهذه الأمور يجوز شد الرحال إليها ، حتى إلى غير المساجد الثلاثة . زين الدين الكرمي : شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور ، تحقيق : جمال بن حبيب صلاح ، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء - الرياض ، ط ٤ ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م ص ٩٠ - ٩٢ .
(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ٥ ص ٢٥٧ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار ج ٩٩ ص ٢٤٠ بتصرف .

(٤) الطبراني : المعجم الكبير ج ٢ ص ٢٧٧ . أبو داود : سنن أبي داود ج ٢ ص ١٦٦ .
(٥) النجف: بظهر الكوفة ، وبالقرب منها قبر علي بن أبي طالب - عليه السلام - بها عين ماء تسقي نخلاً كثيراً . الحموي : معجم البلدان ج ٥ ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

(٦) يقول الذهبي في ترجمة عضد الدولة فناخسرو بن حسن بن بويه الديلمي : "كَانَ شَيْعِيًّا جَلَدًا ، أَظْهَرَ بِالنَّجَفِ قَبْرًا زَعَمَ أَنَّهُ قَبْرُ الْإِمَامِ عَلِيٍّ ، وَبَنَى عَلَيْهِ الْمَشْهَدَ ، وَأَقَامَ شَعَارَ الرَّفُضِ ، وَمَاتَ عَاشُورَاءَ ، وَالْأَعْتَزَالَ ، وَيَقُولُ الزَّرْكَلِيُّ : فِي تَمَامِ الْمَتُونِ لِصَلَاحِ الدِّينِ الصَّفَدِيِّ : اخْتَلَفَ فِي مَكَانِ قَبْرِهِ ، فَقِيلَ : فِي قَصْرِ الْإِمَارَةِ بِالْكُوفَةِ ، وَقِيلَ : فِي رَحْبَةِ الْكُوفَةِ ، وَقِيلَ : بِنَجَفِ الْحِيرَةِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ وَضَعَ فِي صَنْدُوقٍ وَحَمَلَ عَلَى بَعِيرٍ يَرِيدُونَ بِهِ الْمَدِينَةَ ؛ فَلَمَّا كَانُوا بِبِلَادِ طَيِّئٍ أَخَذَ بَنُو طَيِّئٍ الْبَعِيرَ وَنَحَرُوهُ ، وَدَفَنُوا عَلِيًّا فِي

ويدعون رواية عن أبي عبد الله: إن النجف كان جبلاً ، وهو الذي قال ابن نوح لأبيه عنه : ﴿ قَالَ سَأَوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾ ^(١) ، ولم يكن على وجه الأرض جبلٌ أعظم منه ، فأوحى الله -ﷻ- إليه : يا جبل أيعتصم بك مني ، فتقطع وصار بعد ذلك بحراً عظيماً ، وكان يسمى ذلك البحر : بحر (ني) ، ثم جف بعد ذلك ، فقيل : ني جف ، فسمي بنجف ^(٢) . قال الصادق: إذا زرت جانب النجف فزر عظام آدم ، وبدن نوح ، وجسم علي -ﷺ- ^(٣) ، وقال الرضا: احضر يوم الغدير عند أمير المؤمنين -ﷺ- ، فإن الله يغفر لكل مؤمن ومؤمنة ، ومسلم ومسلمة ذنوب ستين سنة ، ويعتق من النار ضعف ما أعتق في شهر رمضان ، وليلة القدر ، وليلة الفطر، والدرهم فيه بألف درهم ^(٤) . وهذه الروايات تتناقض مع ما قبلها من فضائل المدن السابقة !.

لكن تقديس الشيعة لهذه المدينة ينهدم إذا علمنا أن هذا القبر بُني ما بين عام ٣٦٧ - ٣٧٢ هـ ، ولم يكن كما زعموا بعد موت الإمام علي -ﷺ- في ٤٠ هـ ^(٥) .

تقديس مدينة سامراء ^(٦) : وسبب ذلك أنها تضم مرقد إمامين من أئمتهم هما : علي الهادي ، والحسن العسكري ، وفيها غاب المنتظر ^(٧) ، ويقصدها على مدار السنة عدد غير قليل من الإمامية ، من داخل العراق وخارجه ؛ لزيارتهم ، والتبرك بمرقدتهما ، وقد جعلوا من أهم طقوس زيارتهما الغسل له ، والدخول بسكينة ووقار ، والتوجه نحو القبر ، والدعاء

أرضهم، ونقل عن المبرد ، قال : أول من حول من قبر إلى قبر علي. سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٣٧٥. الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ٢٩٥ .

(١) سورة هود : آية رقم ٤٣ .

(٢) بحار الأنوار ج ١١ ص ٣٢١ - ٣٢٢ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٩ ص ٥٤٤ .

(٣) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٥٨ - ٢٥٩ . الجواهري النجفي : جواهر الكلام ج ٢٠ ص ٩٢ .

(٤) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣٨٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٩٧ ص ١١٩ .

(٥) شمس الدين الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١٢ ص ٣٧٥ .

(٦) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣٨٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٩٧ ص ١١٩ .

(٧) سامراء: لغة في سرّ من رأى: مدينة كانت بين بغداد وتكريت على شرقي دجلة ، وبها السرداب المعروف في جامعها الذي تزعم الشيعة أن مهديهم يخرج منه . الحموي : معجم البلدان ج ٣ - ص ١٧٣ - ١٧٧ .

لهما ، والتشفع بهما ، وفي زيارتها فضل كبير ؛ فعن الحسن العسكري قال : " قبري بسر من رأى أمان لأهل الجانبين " ^(١).

نقد هذا الأثر : روى عن الباقر: أتدري أي بقعة أفضل من مكة ؟ ... ما بين الحجر الأسود إلى باب الكعبة؛ ذلك حطيم إبراهيم نفسه الذي كان يزود فيه غنمه ، ويصلي فيه ^(٢) . وهذا يدل على ضعف هذه الروايات ، فضلاً عن أنها فيها مبالغات فاحشة .

سادساً : ظهور آثار التقديس في تعظيم أجور زيارة قبور الأئمة :

الشيعة تعظم النبي - ﷺ - وأهل بيته أحياءً ، وتقدهم أمواتاً ^(٣) ، وصرفت اثنا عشرية مخ العبادة لغير الله - ﷻ - ، وجعلوا مشاهد قبور أئمتهم قبلة الدعاء ، ويقدمون لها النذور والقرايين ، ويطوفون حولها ، ويحجون إليها ، ويرون : أن الحج إليها أفضل من حج بيت الله الحرام ، وأن الزائر لقبور الأئمة مثل من زار الله في عرشه ^(٤) ، وقد ألف كثير من علمائهم كتباً كثيرة في آداب زيارة قبور الأئمة ، وفضائلها ، وصلواتها ، وذكرها فيها ما تقشعر منه الأبدان ^(٥) وها هي بعض النماذج .

وجعل الله تعالى - كما تزعم الشيعة - لمن زارهم الثواب الجزيل ، منها : من زار قبر أمير المؤمنين كتب له أجر مائة ألف شهيد ، وغفر له ما تقدم من ذنبه ^(٦) ، ومن زار قبر الحسين محصت ذنوبه ، ويكتب له بكل خطوة حجة ، وكلما رفع قدمه عمرة ^(٧) ، ومن زار الصادق غفرت له ذنوبه ، ولم يمت فقيراً ^(٨) ، من زار جعفرأ وأباه ، لم يشتك عينه ، ولم يصبه سقم ، ولم يمت مبتلى ، وغفرت له ذنوبه ، ولم يمت فقيراً " ^(٩) ،

(١) الجواهري: جواهر الكلام ج ٢٠ ص ٩٩ - ١٠٠. المجلسي: بحار الأنوار ج ١٠٢ ص ٥٩.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٨٦.

(٣) د أبو الفتوح الأتور: شيعة إيران ص ١١٧. نقلا عن علي آل عصفور: شبهات حول التشيع .

(٤) الجواهري: جواهر الكلام ج ٢٠ ص ٩٨. المجلسي: بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ١١٩.

(٥) د أبو الفتوح الأتور: شيعة إيران وأصولها ص ٢٥.

(٦) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣٧٥. الجواهري: جواهر الكلام ج ٢٠ ص ٩٠.

(٧) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٤٤٦. النوري: مستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٢٧٦.

(٨) البحراني: الحدائق الناضرة ج ١٧ ص ٤٣٦. الجواهري: جواهر الكلام ج ٢٠ ص ٨٩.

(٩) المجلسي: بحار الأنوار ج ٩٧ ص ١٤٥.

ومن زار أحدهم كمن زار رسول الله -ﷺ- (١)، وتزوره الملائكة ، والنبيون ، والمؤمنون (٢)، والله يتجلى لزوار قبر الحسين قبل أهل عرفات ، ومن زار الحسين يوم عرفة ، عارفاً بحقه ، كتب الله له ألف حجة مقبولة ، وألف عمرة مبرورة " (٣)، وقال رجل للحسين: إني ما حججت هذا العام لأني لم أجد ما أحج به ، ولكنني عرفتُ عند قبر حسين بن علي ، فقال له ما قصرت عما كان أهل منى فيه ، لولا أنني أكره أن يدع الناس الحج ؛ لحدثتك بحديث لا تدع زيارة قبر الحسين أبداً ، أخبرني أبي: من خرج إلى قبر الحسين عارفاً بحقه ، غير مستكبر ؛ صحبه ألف ملك عن يمينه ، وألف ملك عن يساره ، وكتب له ألف حجة، وألف عمرة مع نبي ، أو وصي نبي (٤)، فلماذا الحج والنفقات ؟.

ظهور أثر التقديس في استغاثتهم بأصحاب القبور وبناء المشاهد عليها :

وحيثما ننظر في استغاثتهم بأصحاب القبور ؛ نسمع أحدهم مخاطباً الإمام علياً -عليه السلام- : "يا أمير المؤمنين ، أنا عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك (٥)، أشهد أنك تسمع صوتي ... أشهد أن روحك المقدسة أعينت بالقدس والسكينة؛ وجُعِلَتْ لها بيتاً" (٦).

ومن العجيب أنهم جعلوا لكل إمام تخصص في تفريج نوع من الكروب : "أما علي بن الحسين ؛ فللنجاة من السلاطين ،

ونفت الشياطين (٧) ، وأما محمد بن علي ، وجعفر بن محمد ؛ فللآخرة ، وما تبتغيه من طاعة الله ، وأما موسى بن جعفر ؛ فالتمس به العافية من الله ، وأما علي بن موسى ؛ فاطلب به السلامة في البراري والبحار ، وأما محمد بن علي ؛ فاستنزل به الرزق من الله (٨)، وأما الحسن بن علي ؛ فللآخرة ، وأما صاحب الزمان ؛ فإذا بلغ منك السيف الذبح ؛ فاستعن به ؛ فإنه يعينك (٩).

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣٧٦. النوري: مستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٢١٢.

(٢) الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٢١٢ - ٢١٣.

(٣) الشيخ الطوسي : مصباح المتعبد ص ٤٩٧.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠١ ص ٩١ . الشيخ الطوسي : مصباح المتعبد ص ٤٩٧ - ٤٩٨.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٢٩٥.

(٦) المصدر السابق : ج ١٠٠ ص ٣٣٥.

(٧) وفي رواية : " ومن معرفة الشياطين " . المجلسي : بحار الأنوار ج ٩٤ ص ٣٣.

(٨) وفي رواية: " فلفضاء النوافل وبر الإخوان " . المجلسي : بحار الأنوار ج ٩٤ ص ٣٣.

(٩) المجلسي: بحار الأنوار ج ٩٤ ص ٣٣. وبعض اللفظ في ج ٥٣ ص ٣٢٤.

وليس الاستغاثة في الدنيا بل في الآخرة أيضاً ؛ فإن عبداً مكث في النار سبعين خريفاً ، ثم إنه سأل الله : بحق محمد وأهل بيته ؛ لَمَّا رحمتني ، فأوحى الله إلى جبرائيل : أن اهبط إلى عبيدي فأخرجهم ، ثم قال الله له : وعزتي وجلالي لولا ما سألتني به ؛ لأطلت هوانك في النار ، ولكنني حتمت على نفسي أن لا يسألني عبدٌ بحق محمد وأهل بيته ؛ إلا غفرت له ما كان بيني وبينه ، وقد غفرت لك اليوم ^(١).

وادعوا أن من ترك زيارتهم كان من أهل النار ^(٢) ، وعق رسول الله - ﷺ - ^(٣) . ويستحب كما تزعم الشيعة السجود على الألواح المتخذة من تربتهم المقدسة الشريفة ؛ لأنه يسهل الخطب ^(٤) ، وتجوز الصلاة إلى قبور الأئمة على كراهة ^(٥) ، وأم غير الأئمة فالظاهر التحريم ^(٦) ، ورويت رخصة ^(٧)

في الصلاة إلى القبر - ولو استدبر القبلة وصلى جاز - ^(٨) ؛ وقيل : استقبال القبر أمر لازم ؛ وإن لم يكن موافقاً للقبلة ؛ لأنه وجه الله هم الأئمة ، ونسبتهم إلى الأماكن على السوية ؛ لإحاطة علمهم ونورهم بجميع الآفاق ^(٩) ، وعن القائم : " أما الصلاة فإنها خلفه ، ويجعل القبر أمامه " ^(١٠) ،

-
- (١) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٧ ص ٩٨ . البحراني : الحقائق الناضرة ج ٨ ص ٤٧٠ .
 (٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠١ ص ٥ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٤٣٢ .
 (٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٧٣ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٤٢٩ .
 (٤) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ١٠ ص ١٧٥ .
 (٥) المكروه : ما طلب الشارع من المكلف الكف عن فعله طلباً غير حتم ، ولا يلحق بفعله ذم من غير حاجة إلى بدل ، وتركه خير من فعله ، ولا عقاب في فعله . انظر د الخلاف : علم أصول الفقه ص ١٣٣ .
 (٦) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٧ ص ٢٢٦ .
 (٧) الرخصة : ما شرعه الله من الأحكام تخفيفاً على المكلف في حالات تقتضي هذا التخفيف ، أو لعذر شاق ، وقد يكون استباحة لمحظور بدليل مع قيام دليل المحظور ، فهو خروج عن الأصل ، وعليه بنيت قاعدة المشقة تجلب التيسير ، مثل الجمع بين الصلاتين ، ويقابلها : العزيمة . عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ص ١٤٢ .

- (٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ١٣٥ . البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٧ ص ٤٢١ .
 (٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠١ ص ٣٦٩ . بتصرف .
 (١٠) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٧ ص ٢١٨ . الجواهري : جواهر الكلام ج ١٣ ص ٢٢٦ .

وقيل : يجعل القبر الإمام ^(١)، والله -ﷺ- يقول : ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ ^(٢)، يعني : الأئمة ^(٣)، فلا بأس بالعمل بها ؛ لصحتها ، ومطابقتها لمقتضى الأصل ، والعمومات ^(٤)، ويستحب ^(٥) الغسل لها ، ولبس أحسن الثياب ، والدخول بخشوع ، ولا يلتفت ، ويجوز التعفير من التراب ، والتقبيل لها ^(٦)؛ لأن مراقدهم أفضل من مكة ؛ فيكون حرمهم أفضل من حرم مكة والمدينة ^(٧) .

والسجود على طين قبر الحسين كما يزعمون ينور إلى الأرض السابعة ، ومن كانت معه سبحة من طين قبره كُتِبَ مُسَبِّحاً ، وإن لم يكن يسبح بها ^(٨)، وكان لأبي عبد الله الصادق خريطة ^(٩) فيها تربة الحسين ، وكان إذا حضرت الصلاة صبه على سجادة ، وسجد عليها ، ثم قال : السجود على تربة أبي عبد الله يخرق الحجب السبع ^(١٠)، ومن سبح بسبحة من طين قبر الحسين تسبيحة ؛ كتب الله له أربعمئة حسنة ، ومحا عنه أربعمئة سيئة ،

(١) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ٨ ص ٣٥٥ .

(٢) سورة الأعراف : آية رقم ٢٩ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٤) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٧ ص ٢٢٥ .

(٥) النذب : طلب الشارع الفعل من المكلف طلباً غير حتم ، ولا يلحق بتركه ذم من غير حاجة إلى بدل ، وفي فعله ثواب امتثالاً ، ولا عقاب في تركه . د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ص ١٢٩ .

(٦) اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ مَنْ زَارَ قَبْرَ النَّبِيِّ -ﷺ-، أَوْ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ : أَنَّهُ لَا يَتَمَسَّحُ بِهِ ، وَلَا يَقْبَلُهُ ؛ بَلْ لَيْسَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْجَمَادَاتِ مَا يُشْرَعُ تَقْبِيلُهَا إِلَّا الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ ، وَفِي الصَّحَّاحِينَ : أَنَّ عُمَرَ قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ ، وَلَا تَنْفَعُ ، وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَقْبَلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ ؛ وَلِهَذَا لَا يُسَنُّ بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ : أَنْ يَقْبَلَ الرَّجُلُ أَوْ يَسْتَلِمَ رُكْنِي الْبَيْتِ وَلَا جُدْرَانَ الْبَيْتِ ، وَلَا مَقَامَ إِبْرَاهِيمَ ، وَلَا صَخْرَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَلَا قَبْرَ أَحَدٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ . حَتَّى تَنَازَعَ الْفُقَهَاءُ فِي وَضْعِ الْيَدِ عَلَى مَنْبَرِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- ؛ فَكَرَهُهُ مَالِكٌ وَغَيْرُهُ ؛ لِأَنَّهُ بَدْعَةٌ ، وَرَخَّصَ فِيهِ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ ؛ لِأَنَّ ابْنَ عُمَرَ فَعَلَهُ . وَأَمَّا التَّمَسُّحُ بِقَبْرِ النَّبِيِّ -ﷺ- وَتَقْبِيلُهُ فَكُلُّهُمُ كَرَهُ ذَلِكَ ، وَنَهَى عَنْهُ . ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ج ٢٧ ص ٧٩ - ٨٠ . ابن حجر : فتح الباري ج ٣ ص ٥٢٤ .

(٧) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ٤٣ ص ٢٩ .

(٨) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٧ ص ٢٦٠ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٥ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٩) الخريطة : وعاء من جلد ، ونحوه يشد على ما فيه . المعجم الوجيز ، مادة خرط ص ١٩٢ .

(١٠) الجواهري : جواهر الكلام ج ٨ ص ٤٣٧ . المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٧ ص ٢٦٠ .

وقضيت له أربعمئة حاجة ، ورفع له أربعمئة درجة ، وهي سبعة مولاتنا فاطمة الزهراء -عليها السلام- لما قتل حمزة (١) -عليه السلام- عملت من طين قبره سبعة تسبيح بها بعد كل صلاة (٢).
نقد هذا الأثر: ينكر أبو عبد الله هذه الأجور قائلاً: " ما أضعف هذا الأحاديث ! ما تعدل هذا كله ، ولكن زوروه ، ولا تجفوه ، فإنه سيد شباب أهل الجنة " (٣).

وعن أمير المؤمنين -عليه السلام-: بعثني رسول الله -صلى الله عليه وآله- في هدم القبور ، وكسر الصور (٤) ، وفي رواية : ولا تدع صورة إلا محوتها ، ولا قبراً إلا سويته (٥) ، وقال جعفر الصادق: " كل ما جعل على القبر من غير تراب القبر ؛ فهو ثقل على الميت " (٦)، بل نهى رسول الله -صلى الله عليه وآله- عن : أن يزداد على القبر تراباً لم يخرج منه (٧) ، وقال الصادق: " لا تطينوا القبر من غير طينه " (٨).

وفي هذه الروايات دلالة على عدم رفع القبر كثيراً ، أو على التسطيح ، وليكن مسطحاً بإجماعنا ؛ لأن رسول الله -صلى الله عليه وآله- سطح قبر ابنه إبراهيم ، وقبر النبي -صلى الله عليه وآله- والقبرين عنده مسطحة لا مشرفة؛ وهذا يدل على أنه أمر متعارف ، والظاهر أن التسطيح مجمع عليه بين الإمامية من أن السنة في القبر يرفع أربع أصابع مفرجة من الأرض ، وإن كان أكثر فلا بأس ، ويكون مسطحاً لا مسنماً (٩).

وقد ثبت عن علي -عليه السلام-: " لا يصلح البناء على القبر ، ولا الجلوس عليه ،

(١) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف : الإمام البطل ، أسد الله البدري ، عم الرسول -صلى الله عليه وآله- وأخوه من الرضاعة ، أعز الله الإسلام به ، سماه النبي -صلى الله عليه وآله- عليه وسلم - سيد الشهداء ، قتل يوم أحد ٣هـ . انظر الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ١٠٤-١٠٥ بتصرف.

(٢) الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ٥ ص ٥٦ . الجواهري : جواهر الكلام ج ١٠ ص ٤٠٣.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠١ ص ٣٥ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٤٣١.

(٤) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٣ ص ٢١١ . الجواهري : جواهر الكلام ج ٤ ص ٣٣٥.

(٥) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٣ ص ٢٠٩ . الجواهري : جواهر الكلام ج ٤ ص ٣١٦.

(٦) البحراني : الحدائق الناضرة ج ٤ ص ١٢٢ . الجواهري : جواهر الكلام ج ٤ ص ٣٣٥.

(٧) البحراني : الحدائق الناضرة ج ٤ ص ١٢٢ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٣ ص ٢٠٢.

(٨) البحراني : الحدائق الناضرة ج ٤ ص ١٣١ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٣ ص ٢٠٢.

(٩) البحراني : الحدائق الناضرة ج ٤ ص ١٢٣-١٢٤ بتصرف . بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٣٦.

ولا تجصيصه ، ولا تطيينه^(١) ^(٢)، وقال أمير المؤمنين -عليه السلام-: لعن -عليه السلام- من جعل القبور مصلى " ^(٣) ؛ وقد وصى بعض أهل البيت: " لا تطف بقبر " ^(٤)، وقال -عليه السلام-: " لا تتخذوا قبوري قبلة ، ولا مسجداً؛ فإن الله تعالى لعن اليهود ؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، وهذه الأخبار روتها الشيعة في كتبهم المعتبرة ولم يستثنوا قبراً ، ولا ريب فإن الإمامية مطبقة على مخالفة قضيتين من هذه : أحدهما البناء ، والأخرى الصلاة في المشاهد المقدسة ؛ فيمكن القدح في هذه الأخبار ^(٥) ، ونهى رسول الله -عليه السلام-: " أن يصلي الرجل في المقابر " ^(٦)، وعن الرضا: وأما القبور فلا يجوز أن تتخذ قبلة ، ولا مسجداً ولا بأس بالصلاة خللها ، ما لم يتخذ شيء منها قبلة، والأصل لا يجوز الصلاة إلى شيء من القبور حتى يكون بين الإنسان وبينه حائل^(٧) وسئل الصادق عن رجل يصلي بين القبور؟ قال : لا يجوز" ^(٨).

(١) الشيخ الجواهري النجفي : جواهر الكلام ج ٤ ص ٣٥١.

(٢) يدل الحديث بمفهومه على جواز رفع القبر، بقدر ما يساعد عليه التراب الخارج منه، بنحو شبر، وأما التجصيص والطلّي، منهي عنه لأنه نوع زينة ، وأما تطيين القبر ، فللعلماء فيه قولان: الأول: الكراهة، نص عليه الشافعي، وأبو حفص من الحنابلة والكراهة عند الشافعي للتحريم إذا أطلقت ، والآخر: أنه لا بأس به. حكاه أبو داود عن أحمد ، وحكاه الترمذي عن الشافعي، قال النووي: الصحيح أنه لا كراهة فيه كما نص عليه الشافعي، ولم يرد فيه نهى ، قلت: ولعل الصواب التفصيل: إن كان المقصود من التطيين المحافظة على القبر ، وبقائه مرفوعاً قدر ما سمح به الشرع، وأن لا تنسفة الرياح ، ولا تبعثره الأمطار ، فهو جائز بدون شك ؛ لأنه يحقق غاية مشروعة ، ولعل هذا هو وجه من قال من الحنابلة أنه يستحب، وإن كان المقصود الزينة ، ونحوها مما لا فائدة فيه ، فلا يجوز ؛ لأنه محدث ، ولأن هذا من وسائل الشرك. ناصر الدين الألباني : أحكام الجنائز ص ٢٦٢ بتصرف .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥١٧.

(٤) بحار الأنوار ج ٦٣ ص ٢٦١. الكليني : فروع الكافي ج ٦ ص ٥٤٧. وسائل الشيعة ج ٤ ص ٥٧٤.

(٥) الجواهري : جواهر الكلام ج ٨ ص ٣٥٤. الحقائق الناضرة ج ٧ ص ٢١٧. الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٣ ص ٢٣٥. المجلسي : بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٢٠.

(٦) الجواهري : جواهر الكلام ج ٨ ص ٣٥٢. البحراني : الحقائق الناضرة ج ٧ ص ٢٠٥.

(٧) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٧ ص ٢١٦ بتصرف .

(٨) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ٨ ص ٣٥٣. البحراني : الحقائق الناضرة ج ٧ ص ٢١٦ .

ومن قواعد الشرع : أنه لا يستحب للداعي أن يستقبل إلا ما يستحب أن يصلي إليه، ألا ترى أن الرجل لما نُهي عن الصلاة إلى جهة المشرق وغيرها ؛ فإنه ينهي أن يتحرى استقبالها وقت الدعاء، ومن الناس من يتحرى وقت دعائه استقبال الجهة التي يكون فيها الرجل الصالح، سواء كانت في المشرق أو غيره، وهذا ضلال بين، وشر واضح، كما أن بعض الناس يمتنع من استدبار الجهة التي فيها بعض الصالحين، وهو يستدبر الجهة التي فيها بيت الله ، وقبر رسول الله ! وكل هذه الأشياء من البدع ؛ فالمشروع استقبال القبلة بالدعاء حتى عند قبر النبي -ﷺ- بعد السلام عليه ، ولا يستلم القبر بيده: ولا يقبله ، وعلى هذا مضت السنة^(١).

وعن الصادق : نهى رسول الله -ﷺ- أن تجصص المقابر ، ويصلى فيها ، ونهى أن يصلي الرجل في المقابر والطرق ، وعن أبي جعفر سئل عن الصلاة بين القبور ؛ فقال : " صل في خلالها ، ولا تتخذ شيئاً منها قبلة فإن رسول الله -ﷺ- نهى عن ذلك ، وقال : لا تتخذوا قبوري قبلة ، ولا مسجداً فإن الله تعالى لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ^(٢) . ونهى رسول الله -ﷺ- : أن يُقعدَ عَلَى الْقَبْرِ ^(٣) ، ونهى رسول الله -ﷺ- أن يصلى على قبر ، أو يقعد عليه ، أو يبني عليه " ، وفي رواية: يبني بدون زيادة عليه ^(٤).

ويقول أحد الكتاب المعاصرين من الشيعة ليظهر مدي تأثير عقائد الديانات الوثنية في العقيدة الشيعية : " لقد زرت مقابر الأولياء في كثير من البلاد الإسلامية فرأيت الزائرين فيها على النمط الذي نراه في مشاهد أئمتنا ودخلت كنائس المسيحيين في كثير من بلاد العالم فرأيت الناس يتبركون بتمثال المسيح ، وبأقدام العذراء وتركوا الله جانباً ، ويطلبون منهما العون في الدنيا والآخرة ، ودخلت معابد البوذيين ^(٥) والهنود والسيخ ، فرأيت ما

(١) الشيخ الألباني : أحكام الجنائز ص ٢٤٧ - ٢٤٨ بتصرف .

(٢) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٧ ص ٢١٧ . الجواهري : جواهر الكلام ج ٨ ص ٣٥٢ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٢ ص ١٧٠ .

(٤) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٤ ص ١٣٠ . الجواهري : جواهر الكلام ج ٨ ص ٣٥٧ .

(٥) البوذية : أتباع بوذا، لها انتشار في الشعوب الآسيوية، ظهر في الهند بعد الديانة البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد ، وكانت في البداية تناهض الهندوسية ، وفيها دعوة إلى التصوف ، ونبذ الترف ، والمناداة بالمحبة ، والتسامح ، وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة بطابع وثني، حتى ألّهُو مؤسسها ، وتتباين عقائدهم ؛ فتجعل البوذية اليابانية : "بوذا" جوهرًا إلهاً حالاً في الكون ، وبوذية

رأيته من قبل في مشاهد المسلمين والمسيحيين ، من تقديم القربان وطلب الحاجات ، وتقبيل التماثيل ، والركوع والخضوع، والخشوع أمامها ، وهكذا رأيت البشرية تعوم في سراب الأوهام ، وعندها أكبرت علماء المسلمين الذين منحهم الله عقولاً مستنيرة ؛ فوقفوا من هذه الأفعال موقف الساخر الغاضب من هذه الأعمال ونسوا قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١)(٢).

والسؤال الآن: هل يثاب مقترف البدعة على نيته الصادقة ؟ بمعنى هل الشيعة الذين لا يعلمون بضعف هذه الروايات ملعونون عملاً بظاهر أحاديث النهي عن اتخاذ القبور مساجد؟.

الجواب : والله أعلم ؛ الله يثيبهم على هذه المحبة ، والاجتهاد لا على البدع ، فإنه لم تفعله السلف، ولو كان خيراً ؛ لسبقونا إليه ؛ لأنه يعتقده صالحاً محضاً ، ولا يعلم أنه مكروه ؛ فإنه يثاب على حسن قصده ، ويعذر لعدم علمه ، بخلاف خبيث القصد ، العالم بالحكم ، فضلاً عن الداعي لذلك (٣).

وإني لا أشك أن الإمام علياً إذا كان يستمع إلى الفقرات التي جاءت في تلك الزيارات ؛ وفيها إعطاء الأئمة صفات تفوق صفات البشر ، وتكون قريبة من صفات الله ، أو شريكة معه ، لأقام الحد على قارئها ، وواضعها على السواء ، وإني أود أن أطلب من الشيعة في كل أرض أن تفكر ملياً في زيارتها لقبور الأئمة التي لا تجدي خيراً لهم ولا للأئمة (٤).

سابعاً : ظهور آثار التقديس : في الاعتقاد بالاستشفاء بتراب قبور الأئمة :

ومن السهل أن نتوقع ظهور عقيدة أخرى مرتبة على تقديس الأئمة ، وقبورهم ، ومشاهدهم المقدسة ، فقد جاء في كتب الشيعة الاثني عشرية عن الرضا: " إن أفضل ما

الهند: لا إله لها ، وبوذية الصين : مالت إلى الاعتقاد بكائن مطلق ؛ يتمثل في شخصيات مختلفة بوذا منها. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ج ١ ص ١٤٢.

(١) سورة الأعراف : آية رقم ١٨٨.

(٢) د موسى الموسوي : الشيعة والتصحيح (الصراع بين الشيعة والتشيع) ، ط دار القلم - الكويت ، ١٤٠٨ / ١٩٨٨ م ص ٨٥.

(٣) زين الدين الكرمي : شفاء الصدور ص ١٠٠ - ١٠١ بتصرف .

(٤) د موسى الموسوي : الشيعة والتصحيح ص ٩٥.

يُفْطَر عليه طين قبر الحسين ؛ وقيل : لا يجوز إلا بغرض الاستشفاء ، وقيل : يستحسن ، والأقرب التحريم ؛ وذلك لأنه يحرم على الناس أكل لحومهم ، ويحل لهم أكل لحومنا ، ولكن الشيء اليسير منه مثل الحمصة ، وهذا صريح في الجواز^(١)؛ لأن تراب قبره : " شفاء من كل داء ، وأمن من كل خوف " ^(٢) ، إلا السام : الموت ^(٣).

بل هو الدواء الأكبر كما يزعمون : فعن أبي عبد الله: لو أن مريضاً من المؤمنين يعرف حق أبي عبد الله وحرمة أخذ له من طين قبر الحسين مثل رأس الأئمة ؛ كان له دواء، وشفاءً ^(٤)، وعنه قال : " حنكوا أولادكم بماء الفرات وتربة الحسين - عليه السلام - " ^(٥) .

ولا يجوز الأكل منه إلا للاستشفاء فقط ؛ فعن أبي عبد الله: من أكل من طين قبر الحسين غير مستشف به؛ فكأنما أكل من لحومنا ، فإذا احتاج أحدكم للأكل منه ؛ ليستشفى به ، فليقل: بسم الله، وبالله ، اللهم رب هذه التربة المباركة الطاهرة ، ورب النور الذي أنزل فيه ، ورب الجسد الذي سكن فيه ، ورب الملائكة الموكلين به ، اجعله شفاءً لي من كذا وكذا ، وأجرع من الماء جرعة خلفه ^(٦).

ويجوز للخوف عن أبي عبد الله: "إذا خفت سلطاناً أو غير سلطان ؛ فلا تخرجن من منزلك إلا ومعك من طين قبر الحسين " ^(٧) ، ولا يلحق به طين غير قبره حتى قبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والأئمة على الأقوى " ^(٨)؛ فالفرع أفضل من الأصل كما تزعم افتراءات الشيعة .

وهذه الطينة المقدسة كما تفترى الشيعة أمنية الحور العين ، ومنتهى مطلبهم ؛ ولذلك فإن الحور العين يطلبن من الملائكة حينما يهبطون إلى الأرض أن تكون هداياهن من طين قبر

(١) البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٠ ص ٢٧٣ - ٢٧٥ . الجواهري: جواهر الكلام ج ٣٦ ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(٢) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٠ ص ٢٧٦ .

(٣) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٦ ص ٢٣٢ . النوري : مستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٣٣٤ .

(٤) الطوسي : مصباح المتعبد ص ٥٠٩ .

(٥) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٢٥ ص ٣٧ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢١ ص ٤٠٧ .

(٦) الطوسي : مصباح المتعبد ص ٥١٠ .

(٧) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٥٢٥ . بحار الأنوار ج ١٠١ ص ١١٨ - ١١٩ .

(٨) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٨ ص ٥٢٥ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٦ ص ٤٥٦ .

الحسين ، فقد جاء عن أئمتهم : " أن الحور العين إذا بصُرْنَ بواحد من الأملاك يهبط إلى الأرض؛ لأمر ما ، يستهدين منه السبح ، والترب من طين قبر الحسين" ^(١).
نقد هذا الأثر : إذا : فلنغلق كليات الطب ، والمستشفيات ، وعيادات الأطباء ، ومعها الصيدليات بالمرّة ؛ فإن الشفاء كله في طينة الحسين التي أظن أنها تكفي الشيعة وحدهم ؛ فنحن لا نؤمن بهذا!!.

ثم إن أكل الطين على اختلاف ضروبه حرام بالاجماع إلا ما خرج بالدليل من أكل التربة الحسينية للاستشفاء فحسب القليل دون الكثير ^(٢)، وحتى طين قبور سائر الأئمة إلا الحسين ^(٣) ، وهو من الوسائوس كما وصى بذلك رسول الله -ﷺ- علياً ^(٤)، ومن أكل الطين فمات فقد أعان على قتل نفسه ^(٥)، وقال أبو عبد الله: من أكل الطين فهو ملعون ^(٦)؛ لأن الله خلق آدم من الطين فحرم على ولده ^(٧).

سابعاً : أثر تقديس الأئمة في الاعتقاد بنزول كتب على الأئمة غير القرآن الكريم : يدعي الشيعة أن علياً كان يتلقى الوحي من جبريل -عليه السلام- في حياة النبي -ﷺ- عند الضرورة ؛ فعن أبي عبد الله: "دعا رسول الله -ﷺ- علياً ، ودعا بدفتر فأملى عليه رسول الله -ﷺ- بطنه ، وأُغميَ عليه" ^(٨) ، فأملى عليه جبريل -عليه السلام- ظهره ، فانتبه رسول الله -ﷺ-؛ فقال : من أملى عليك هذا يا علي ؟ فقال : أنت يا رسول الله ^(٩) ؛ فقال : أنا أملت عليك بطنه ، وجبرائيل -عليه السلام- أملى عليك ظهره، وكان قرآنا يملئ عليه ^(١٠).

-
- (١) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٨ ص ٥٢٥. النوري : مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ٣٤٤.
(٢) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ١١ ص ٣٧٧.
(٣) العاملي: وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٥٢٨. الميرزا النوري: مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ٣٣٧.
(٤) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢ ص ١٣٤. النوري : مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤١٥.
(٥) العاملي: وسائل الشيعة ج ٢٤ ص ٢٢٢. النوري: مستدرك الوسائل ج ١٦ ص ٢٠٢ - ٢٠٣.
(٦) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٤ ص ٢٢٥. المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٠ ص ١٥٢.
(٧) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ٣٣٧ - ٣٣٨. بحار الأنوار ج ٦٠ ص ١٥٢.
(٨) نقول : لا يجوز عقلاً أن يُغمى على النبي -ﷺ- في حال نزول الوحي ؛ لأسباب منها : أنه لم يرد عن أحد حدوث ذلك مع اشتداد الوحي عليه كما جاء أن رسول الله -ﷺ- كان إذا نزلَ عليه الوحي يُعالجُ من ذلك شدةً " ، ولكن لم يقل أحد بأنه أُغمي عليه ، مع ما في ذلك من نقص في عصمة النبي -ﷺ-؛ فهو المعد من قبل الله لتلقي الوحي بإجماع الأمة ، فكيف يغمى عليه ساعة الإحياء ؟. فوصول الوحي إلى الأنبياء محاط بضمان إلهي يمنع التزديد على النص ، ويحول دون التدخل في التبليغ قال تعالى : ﴿عَالِمُ

ومن تقديس الله لأهل البيت عند الشيعة أنه لم يكتف بنزول القرآن عليهم ، بل وتفضل عليهم بكتب لم تنزل على من قبلهم : قال أبو عبد الله: وإن عندنا الجفر ^(٣) الأحمر ، والجفر الأبيض ، ومصحف فاطمة ، وإن عندنا الجامعة فيها جميع ما يحتاج الناس إليه ؛ فسئل : عن تفسير هذا الكلام ، فقال : وأما الجفر الأحمر : فوعاء فيه سلاح رسول الله - ﷺ - ، ولن يخرج حتى يقوم قائمنا أهل البيت ، وأما الجفر الأبيض : فوعاء فيه توراة موسى ، وإنجيل عيسى ، وزبور داود ، وكتب الله الأولى ، وأما مصحف فاطمة : ففيه ما يكون من حادث ، وأسماء كل من يملك إلى أن تقوم الساعة ، وأما الجامعة : فهي كتاب طوله سبعون ذراعاً ، إملأه رسول الله - ﷺ - وخط أمير المؤمنين بيده ، والله : فيه جميع ما يحتاج الناس إلى يوم القيامة ^(٤).

وتجد منهم من يقطع أن مصحف فاطمة كلام الله - ﷻ - وإن كان ليس قرآناً - مثل الأحاديث القدسية - ؛ فعن أبي عبد الله: "وخلفت فاطمة مصحفاً ، ما هو قرآن ، ولكنه

الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً * ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأخصى كل شيء عدداً ﴿ سورة الجن : آيات رقم ٢٦ - ٢٨ . وسئل أبو عبد الله عن الغشبية التي كانت تصيب رسول الله - ﷺ - إذا نزل عليه الوحي ؟ قال : ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد ؛ ذاك تجلي الله له ... تلك النبوة ، وفي رواية : عند مخاطبة الله إياه بغير ترجمان وواسطة ، فهل الإغماء مثل الغفوة أم أنهما مختلفان ؟ . الطبراني : المعجم الكبير ج ١١ ص ٤٥٨ . النسائي : السنن الكبرى ج ٨ ص ٢٨٢ . ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٧١ . بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦١ ، ص ٢٥٦ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٥٨٨ .

(١) ألا يعد هذا إخباراً بغير الحقيقة إن كان الإمام علي يعرف أن من أملاه جبريل - عليه السلام - ، وإن لم يكن يعلم فهو لا يعلم الغيب - كما يزعمون - ، وإن كان سهواً منه فلم يميز الصوت ؛ فهو خرق للعصمة ! .

(٢) هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ١ ص ٣٤٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٩ ص ١٥٢ .

(٣) الجفر : قطعة جلد كتب فيها علي بن أبي طالب - عليه السلام - أو جعفر الصادق - عليه السلام - رحمه الله - الأحداث قبل وقوعها ، وقيل : جلد ثور مملوء علماً ، وعلم الجفر : علم يبحث فيه عن الحروف من حيث دلالتها على أحداث العالم ، والجفر : الشفرة . انظر المعجم الوسيط : ص ١٢٦ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٧٩ .

(٤) المفيد : الإرشاد ج ٢ ص ١٨٥ - ١٨٦ . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٩٤ - ٢٩٦ . محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ١٨٤ - ١٨٥ . الحسن الحلي : المحتضر ص ٢٠٣ - ٢٠٥ .

كلاماً من كلام الله ، أنزله عليها ، إماماً رسول الله -ﷺ- وخطُّ علي -ﷺ- وقيل : كان يمليه جبريل على فاطمة وعلي يكتب ، وليس قرآناً^(١).

ويُظهِرُ سبب نزول هذا المصحف أبو عبد الله حين يسأله أحد الشيعة : " عن الجفر ، فقال : هو جلدٌ ثورٍ مملوءٌ علماً ، قال له : ما الجامعة ؟ قال : تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم ، فيها كل ما يحتاج الناس إليه ، وليس من قضية إلا وهي فيها ، حتى أرش الخدش ، قال : فمصحف فاطمة ؟ قال : فسكت طويلاً ، ثم قال : إنكم لتبحثون عمّا تريدون ، وعمّا لا تريدون ، إن فاطمة مكثت بعد رسول الله -ﷺ- خمسةً وسبعين يوماً ، وقد كان دخلها حزنٌ شديدٌ على أبيها ، وكان جبرائيل يأتيها ؛ فيحسن عزاءها على أبيها ، وكان عليٌّ يكتب ذلك ، فهذا مصحف فاطمة ، فسميت : بالحوراء الإنسية^(٢).

ويبين قدره أبو عبد الله فيقول: وإن عندنا لمصحف فاطمة ، وما يدرهم ما مصحف فاطمة ؟ قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ، والله ما فيه من قرآنكم من حرفٍ ، إنما هو شيء أملاه الله ، وأوحى إليها^(٣).

وقيل هذا فيه زيادة على ما في القرآن الكريم ؛ فعن أبي عبد الله: " ثم أتى الوحي إلى النبي -ﷺ- فقال : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ (بولاية علي) لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴾^(٤)؛ فقيل له : جُعِلَتْ فداك : إنا لا نفرّوها هكذا ، فقال : هكذا والله نزل بها جبرائيل على محمد -ﷺ- ، وهكذا مثبتٌ في مصحف فاطمة^(٥).

وعندهم الجفر الأحمر ، وما يدريك ما الجفر؟ قال: السلاح ؛ وذلك إنها تفتح للدم ، يفتحها صاحب السيف للقتل^(٦)؛ وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا ، والبلايا ، والرزايا ، وعلم ما كان ، وما يكون إلى يوم القيامة^(٧)، ويعنون بصاحب السيف : المهدي^(٨).

(١) محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ١٩٠ - ١٩٢ بروايات متعددة تثبت ما أصلناه في المتن .

(٢) الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ٥٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٥٤٥ .

(٣) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٩٥ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ٢٠٤ .

(٤) سورة المعارج : آية رقم ١ - ٢ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٣٢٤ . الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٥٤ .

(٦) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٧) على النمزي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٢ ص ٦٩ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٨٩ .

وهناك صحيفة أخرى : حكي بعض الشيعة لأبي عبد الله يوماً : " أشهد بالله أنني دخلت على أمك فاطمة في حياة رسول الله ﷺ - فهنيئها بولادة الحسين ، ورأيت في يدها لوحاً أخضراً ، ظننت أنه من زمرد ، ورأيت فيه كتاباً أبيضاً ، وفيه : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من الله العزيز الحكيم ، لمحمد نبيه ، نزل به الروح الأمين من عند رب العالمين" (١).

وهناك صحيفة ٧٠ ذراعاً يعرف بها الخير من الشرير: عن أبي عبد الله: أما والله عندنا مالا نحتاج إلى الناس ، وإن الناس ليحتاجون إلينا ، إن عندنا الصحيفة سبعون ذراعاً ، بخط علي، وإملاء رسول الله ﷺ - فيها من كل حلال وحرام ، إنكم لتأتوننا فتدخلون علينا ؛ فنعرف خياركم من شراركم (٢).

وهناك الصحيفة الجامعة والوسطى فيهما أسماء الشيعة : عن أبي عبد الله أنه قال لأحد الشيعة يوماً : اعلم أن أسماء أبنائك عندنا في الصحيفة الجامعة ، والوسطى ، مُثَبَّتَان مَسْمِيَان مع أسماء شيعتنا ، وأسماء آبائهم ، وأمهاتهم ، وقبائلهم ، وعشائهم ، مُصَوَّرَان ، مُجَلِّيَان ، وأجدادهم ، وأولادهم ، وما يلدون إلى يوم القيامة ، رجلاً رجلاً ، وامرأة امرأة ، وهي صحيفة صفراء ، مدروجة ، مخطوطة بالنور لا بحبر ، قال الراوي : فرجعت من المدينة ، ودخلت الكوفة ، فولد لي والله ولدان ، وابنتان في الأوقات التي قال عنها ، فكان هذا من دلائله (٣).

وعندهم ديوان الشيعة فيه أسماء شيعتهم (٤) وجاءت روايات تشير إلى أنها قد تكون السابقة.

وهناك الناموس : فقد جاءت امرأة لأبي عبد الله فقالت : إن لي ابن أخ ، وهو يعرف فضلكم ، وأنا أحب أن تعلمني أمن شيعتكم ؟ قال : وما اسمه ؟ قالت : فلان بن فلان ، فقال : يا فلانة هات الناموس ؛ فجاءت بصحيفة تحملها كبيرة ، فنشرها ، ثم نظر فيها ،

(١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٦ بتصرف .

(٢) محمد بن الحسن الصفار: بصائر الدرجات ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٣) هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٤ ص ٤٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٤٣.

(٤) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٣ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ . ج ٣ ص ٣٥١.

فقال : نعم ، هو ذا اسمه ، واسم أبيه هيهنا ^(١)، وعن الرضا: إن شيعتنا مكتوبون بأسمائهم ، وأسماء آبائهم أخذ الله علينا ، وعليهم الميثاق ، يردون موردنا ، ويدخلون مدخلنا ، ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم ، أي والله في الناموس ^(٢) .

وهناك العبيطة : عن علي: وأيم الله لو أنشط ، ويؤذن لي ؛ لحدثكم حتى يحول الحول لا أعيد حرفاً ، وأيم الله : إن عندي لصحف كثيرة قطائع رسول الله -ﷺ- وأهل بيته ، وإن فيها لصحيفة ، يقال له : العبيطة ، وما ورد على العرب أشد عليهم منها ، وإن فيها لستين قبيلة من العرب مبهرجة ، مالها في دين الله من نصيب ^(٣).

وهناك صحيفة الأختام : عن أبي عبد الله: إن جبرائيل أتى رسول الله -ﷺ- بصحيفة مختومة بسبع خواتيم ^(٤) من ذهب ، وأمر إذا حضره أجله أن يدفعها إلى علي ؛ فيعمل بما فيه ، ولا يجوز له إلى غيره ، وأن يأمر كل وصي من بعده أن يفك خاتمه ، ويعمل بما فيه ^(٥)؛ ولعل هذه الصحيفة هي التي نزلت على الرسول -ﷺ- قبل وفاته ؛ فعن أبي عبد الله: "إن الله -ﷻ- أنزل على نبيه -ﷺ- كتاباً قبل وفاته ، فقال جبرائيل: يا محمد هذه وصيتك إلى النجبة من أهلك ، قال : وما النجبة ، فقال : علي وولده ، وكان عليه خواتيم من ذهب ، فدفعه النبي -ﷺ- إلى أمير المؤمنين ، وأمره أن يفك خاتمه ، ويعمل بما فيه" ^(٦).

وروي أنها اثنتا عشرة صحيفة : فعن رسول الله -ﷺ-: "إن الله - تبارك وتعالى - أنزل على اثني عشر خاتماً ، واثنني عشرة صحيفة ، اسم كل إمام على خاتمه ، وصفته في

(١) محمد الحسن الصفار: بصائر الدرجات ص ٢٠٦. هاشم البحراني: مدينة المعاجز ج ٣ ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

(٢) محمد الحسن الصفار: بصائر الدرجات ص ٢٠٨. علي الشاهرودي: مستدرک سفينة البحار ج ١ ص ١٤٨.

(٣) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٤) الشيعة الاثنا عشرية تقول : إن عدد الأئمة اثني عشر إماماً ، وهنا: سبع خواتيم ، يعني : أن عدد الأئمة سبعة ، فأين خواتيم الباقيين؟ أم أن جبريل اكتفى بالسبعة ؟ أم أن النبي نسي أو علي أو الراوي نسي العدد ؟ فأين العصمة.

(٥) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ١٨٠.

(٦) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٣٦.

صحيفته^(١) ، وعن أبي جعفر: إن عندي لصحيفة فيها تسع عشرة صحيفة قد حباها رسول الله ﷺ -^(٢).

وهناك صحيفة ذؤابة سيف النبي ﷺ -: فعن الصادق: وُجد في ذؤابة سيف رسول الله ﷺ - صحيفة فإذا فيها مكتوب: بسم الله الرحمن الرحيم: إن أعتى الناس على الله يوم القيامة من قتل غير قاتله، وضرب غير ضاربه، أو أحدث حدثاً، وكفر بالله العظيم: الانتفاء من نسب وإن دق^(٣)، وروي أنها ألف حرف، كل حرف يفتح ألف حرف، والألف حرف، كل حرف منها يفتح ألف حرف، وفي رواية: كلمة تفتح ألف كلمة^(٤).

وهناك صحيفة ذؤابة سيف علي: عن علي - قال: ورثت من رسول الله ﷺ - كتابين: كتاب الله، وكتاب في قراب سيفي^(٥)، وعن أبي عبد الله: كان في ذؤابة سيف علي صحيفة صغيرة، وإن علياً دعا ابنه الحسن؛ فدفعها إليه، ودفع إليه سكيناً، وقال له: افتحها، فلم يستطع أن يفتحها، ففتحها له، ثم قال له: اقرأ، فقرأ الحسن الألف، والباء، والسين، واللام، وحرفاً بعد حرف، ثم طواها، فدفعها إلى ابنه الحسين، فلم يقدر أن يفتحها؛ ففتحها له، ثم قال له: اقرأ يا بني، فقرأها كما قرأ الحسن، ثم طواها فدفعها إلى ابنه ابن الحنفية، فلم يقدر أن يفتحها؛ ففتحها له فقال له: اقرأ، فلم يستخرج منها شيئاً، فأخذها وطواها، ثم علقها في ذؤابة السيف؛ فقبل لأبي عبد الله: وأي شيء كان في تلك الصحيفة؟ قال: هي الأحرف التي يفتح كل حرف ألف حرف، وما خرج منها إلا حرفان إلى الساعة^(٦).

وهناك مصحف علي: عن أحدهما: إن عندنا صحيفة من كتاب علي، أو مصحف علي - طولها سبعون ذراعاً؛ فنحن نتبع؛ فلا نعدوها^(٧)، ومن نصوص هذا المصحف ما

(١) الشيخ الأميني: الغدير ج ٣ ص ٢٨٣.

(٢) محمد الصفار: بصائر الدرجات ص ١٧٨. الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٥٥.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ٢٩ ص ٢٢. المجلسي: بحار الأنوار ج ٧٧ ص ١١٩.

(٤) محمد الصفار: بصائر الدرجات ص ٣٤٩. الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٢٠١.

(٥) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ٢٩ ص ٢٣. النوري: مستدرك الوسائل ج ١٨ ص ٢١٥.

(٦) محمد بن الحسن الصفار: بصائر الدرجات ص ٣٤٨. الشيخ المفيد: الاختصاص، تحقيق: علي أكبر غفاري، نشر مؤسسة الأعلمي - بيروت، ط ١، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م ص ٢٧٤.

(٧) محمد بن الحسن الصفار: بصائر الدرجات ص ١٧٩.

رواه أبو عبد الله والله ما كنّى الله في كتابه حتى قال : ﴿ يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴾ ^(١) ؛ وإنما هي في مصحف علي -عليه السلام- : ﴿ يَاوَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ (الثاني) خَلِيلًا ﴾ وسيظهر يوماً ^(٢).

نقد هذا الأثر : فالذي يستفاد من الروايات في هذا المقام عند المعتدلين من الشيعة أن مصحف علي -عليه السلام- كان مشتملاً على زيادات : تنزيلاً ، أو تأويلاً ، ولا دلالة في شيء من هذه الروايات على أن تلك الزيادات هي من القرآن ... والحاصل : أن وجود الزيادات في مصحف علي -عليه السلام- وإن كان صحيحاً ، إلا أن هذه الزيادات ليست من القرآن ، ومما أمر الرسول -عليه السلام- بتبليغه إلى الأمة ، فإن الالتزام بزيادة مصحفه بهذا النوع من الزيادة قول بلا دليل ، مضافاً إلى أنه باطل قطعاً ، ويدل على بطلانه جميع ما تقدم من الأدلة القاطعة على عدم التحريف في القرآن ^(٣).

ونحن من أهل السنة نعتز بأن لعلي -عليه السلام- مصحفاً كان على ترتيب النزول أوله اقراً ، ثم المدثر، ثم ن، ثم والقلم ... وهكذا إلى آخر المكي ثم المدني ، والله أعلم ^(٤).
ويؤيد ما ذكرنا ما روه عن علي أنه بعد وفاة النبي لزم بيته وأقبل على القرآن يؤلفه ، ويجمعه ؛ فلم يخرج من بيته حتى جمعه على تنزيله ، وتأويله ، والناسخ والمنسوخ فجمعه في ثوب واحد وختمه ^(٥) ؛ مع كون الرضا قال لهم : " وشريعة محمد لا تنسخ إلى يوم القيامة ، ولا نبي بعده إلى يوم القيامة ، فمن ادعى بعد نبينا ، أو أتى بعد القرآن بكتاب ؛ قدمه مباح لكل من سمع ذلك منه ^(٦).

(١) سورة الفرقان : آية رقم ٢٨ .

(٢) قال المجلسي : هذا من التفسير لا من التنزيل . بحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٩ .

(٣) أبو القاسم الموسوي الخوئي : البيان في تفسير القرآن ، ط فروردين ، منشورات أنوار الهدى - قم ، ط ٨ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

(٤) ابن حجر : فتح الباري ج ٩ ص ٤٩ .

(٥) سليم بن قيس الهلالي : كتاب سليم بن قيس ص ١٤٦ بتصرف .

(٦) العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٨ ص ٣٣٨ . الفصول المهمة ج ١ ص ٢٨ . بحار الأنوار ج ١١ ص ٣٥ .

وعن أبي عبد الله: إن الله - عز ذكره - ختم بنبيكم النبيين ؛ فلا نبي بعده أبداً ، وختم بكتابتكم الكتب ؛ فلا كتاب بعده أبداً ، وأنزل فيه تبيان كل شيء (١).

والسؤال الآن أليس من لطف الله - ﷻ - أن يخرج الأئمة هذه الصحف ، حتى يهتدي بها الضال ، ويتثبت بها الشيعة ومن والاهم ، أم من اللطف إخفاء الوحي عن الناس ؛ فيهلكوا ؟ وقد قال علي : " إن الله لم يأخذ على الجاهل عهداً بطلب العلم ؛ حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم ، ومن كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار (٢) .

أم أن هذه الصحف فيها ما يستحي من ذكره الشيعة ؟ قال الله - جل جلاله - : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ (٣).

وقد سئل علي - ﷻ - " ما كان النبي - ﷺ - يسر إليك ؛ فغضب ، وقال : ما كان النبي - ﷺ - يسر إلي شيئاً يكتمه الناس ، غير أنه قد حدثني بكلمات أربع : " لعن الله من لعن والده ، ولعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى محدثاً ، ولعن الله من غير منار الأرض " ، وفي رواية : سئل علي ، أخصكم رسول الله - ﷺ - بشيء ؟ فقال : ما خصنا رسول الله - ﷺ - بشيء لم يعم به الناس كافة ، إلا ما كان في قراب سيفي هذا ، قال : فأخرج صحيفة مكتوب فيها : لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من سرق منار الأرض ، ولعن الله من لعن والده ، ولعن الله من آوى محدثاً " (٤) ، وهذا دليل على أن أحكام النبي - ﷺ - وتشريعاته كانت ظاهرة ، ولم يكتم منها عن الصحابة شيئاً ، ولم يجوز لهم كتمان شيء من الوحي .

وقد رجح بعض العلماء أن هذه الكتب ما هي إلا تفسير لكتاب الله ، نقلها الشيعة عن آل البيت ، وبعضهم حكم عليها بأنها أوهام ، وأباطيل ، لا ثبوت لها إلا في عقول الشيعة (٥) . وإذا كانوا يقصدون أن هذا الصحف تفسير وشرح للقرآن ، فلماذا يسمونه مصحفاً ؟ وفي أي لغة تتساوى كلمة المصحف في المعنى مع كلمة التفسير ، أو التأويل ،

(١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٢٤ . وبنحوه المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٥ .

(٢) البحراني : الحقائق الناضرة ج ١ ص ١٦١ . المازندراني : شرح أصول الكافي ج ٢ ص ١٣٢ .

(٣) سورة آل عمران : آية رقم ١٨٧ .

(٤) النووي : شرح صحيح مسلم ج ١٣ ص ١٥٠-١٥١ .

(٥) د محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ج ٢ ص ١٧ .

أو الشرح ؟ ^(١).

ويؤكد بعضهم أنه ليس قرآنًا بما جاء عن أبي عبد الله: " مصحف فاطمة ما فيه شيء من كتاب الله ، وإنما هو شيء أُلقيَ عليها بعد موت أبيها -عليه السلام- " ^(٢).

وعن أبي الحسن -عليه السلام-: " إنما هلك من كان قبلكم بالقياس ، وإن الله لم يقبض نبيه حتى أكمل له جميع دينه في حلاله وحرامه ، فجاءكم ممّا تحتاجون إليه في حياته ، وتستغيثون به ، وبأهل بيته بعد موته ، وإنه مصحف عند أهل بيته حتى إن فيه لأرش خدش الكف ^(٣).

ثامناً : ظهور أثر التقديس في نظرتهم لفقهاءهم :

تقدس الشيعة الاثنا عشرية فقهاءهم قريباً من تقديس أئمتهم ، وذلك بسبب النصوص التي افترها هؤلاء على أئمتهم حتى يبقى دينهم ولا يندثر بغيبة منتظرهم ، ومن أجل ذلك سماهم الإيرانيون باسم : الآقا ، وهو اسم يتضمن نوعاً من التبجيل ، والتقديس لا يوجد عندما يطلق على غيرهم ، وتعني بالعربية : السيد ^(٤) ، وجعلوا لهم مقام الفتوى مكان الإمام في حالة غيابه ، وادعوا حصول المفتي على ملكة عالية من العدالة تقترب من العصمة ، تبلغ بالشخص مرتبة القدسية في نفوس الناس ؛ فإن وزير الملك العظيم يقتبس من عظمة ملكه فضلاً وعظمة لا يدانيه فضل ... وإن أببت إلا أن يقام لك شاهد من آثار الشريعة القدسية ^(٥) ؛ فالحديث المروي عن رسول الله -عليه السلام- ، الذي مدح فيه فقهاء الشيعة على لسانه فقال : " علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل " ^(٦) ، وفي أكثر الروايات : أفضل من أنبياء بني إسرائيل ^(٧).

(١) د إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الإمامية ص ١٧٦ .

(٢) على النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٢٠٧ .

(٣) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ١٨١ .

(٤) د علي شريعتي : التشيع العلوي والتشيع الصفوي ، ترجمة : حيدر مجيد ، نشر دار الأمير للثقافة والعلوم - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م هامش ص ١٥٥ .

(٥) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٧٨ .

(٦) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٢ . الحقائق الناضرة ج ١١ ص ٢٠٧ . مستدرك الوسائل ج ١٧ ص ٣٢٠ .

(٧) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٧٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ هامش ص ٣٠٤ .

وقال: منزلة الفقيه في هذا الوقت كمنزلة الأنبياء في بني إسرائيل^(١)، وقوله : من صلى خلف عالم ؛ فكأنما صلى خلف رسول الله -ﷺ-^(٢)، وعن أبي جعفر: علماء أمتي مرابطون بالثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا، وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب، ألا من انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم، والترك، والخزر^(٣) ألف ألف مرة^(٤).

ومن عظيم قدرهم المزعوم : أنهم لولاهم لعاد الناس جميعاً إلى الردة ؛ فعن علي بن محمد: "لولا من يبقى بعد غيبة قائمنا من العلماء الداعين إليه ... لما بقي أحد إلا ارتد عن دين الله ، الذين يمسون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة أولئك هم الأفضلون عند الله "^(٥).

وعن القائم مخاطباً الناس : "وأما الحوادث الواقعة ؛ فارجعوا فيها إلى رواية حديثنا فإنهم حجتني عليكم ، وأنا حجة الله " ^(٦)، وفي رواية قال عن الفقيه في عصر الغيبة : فإنه خليفتي عليكم ؛ فإني قد جعلته عليكم حاكماً^(٧)، وفي رواية : الراد عليه كالراد علينا^(٨)، والمراد منه : أنهم حجتني عليكم في جميع ما أنا فيه حجة الله عليكم إلا ما خرج ، وحينئذ تظهر ثمرة ذلك بناء على عموم هذه الرئاسة : أن للمجتهد نصب مقلده للقضاء بين الناس بفتاواه التي هي حلالهم وحرامهم؛ فيكون حكمه حكم مجتهد ، وحكم مجتهد حكمهم ، وحكمهم حكم الله تعالى شأنه ، والراد عليهم راد على الله تعالى^(٩).

وعن علي-ﷺ-: " مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأمناء على حاله وحرامه"^(١٠).

(١) علي النمازي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ٢٨٣.

(٢) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١١ ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٣) الخزر : جيل من الأتراك حكم بعض أوروبا وآسيا . الزمخشري : أساس البلاغة ج ١ ص ٣٨٨.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ٥ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ٢-٣ .

(٦) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٤٠.المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج

١٣ ص ٢٥٩. الجواهري : جواهر الكلام ج ١١ ص ١٩٠.

(٧) الشيخ الجواهري النجفي : جواهر الكلام ج ٢١ ص ٣٩٥.

(٨) المصدر السابق ج ٤٠ ص ٧٢.

(٩) المصدر السابق ج ٤٠ ص ١٨.

(١٠)النوري : مستدرک الوسائل ج ١٧ ص ٣١٦. المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠٠ ص ٨٠ .

ولكن لا يستطيع أحد منهم أن يدعي الولاية لنفسه ولا لغيره ، لأن كل راية ترفع قبل راية القائم؛ فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله - عز وجل - حتى ولو كان من أهل البيت ^(١).
نقد هذا الأثر : نرد بكلمة واحدة لا تقبل شهادة الشاهد لنفسه ولا لأصله ولا لفرعه فلا نسلم برواياتهم .

تاسعاً : ظهور أثر التقديس في نظرة الشيعة لمذهبهم ، ولأنفسهم :

كما يقال : من طبخ شيئاً أكل منه ، فقد طال التقديس الشيعة أنفسهم ومذهبهم ، ورووا روايات مفتراة ليزكوا أنفسهم ، ويرفعوا قدر الشيعة أمام عوامهم ، مع أن أهل البيت يناون بأنفسهم ومتببعيهم أن يتكلوا على محبتهم لأهل البيت ، أو يظن الشيعة أن يكون القول بالتشيع كاف للنجاة في الدنيا والآخرة ؛ فيقولون كما قال أبو جعفر: " لا تذهب بكم المذاهب ؛ فوالله ما شيعتنا إلا من أطاع الله تعالى " ^(٢).

ومع ذلك فإذا نظرت في كتب التشيع : ترى أن الشيعة يقدسون مذهبهم تقديساً ، واضحاً ، جلياً؛ تبعاً لتقديسهم لأنتمهم ، ويصفون أنفسهم بصفات التقديس ، والتعظيم بل يصل بهم الأمر إلى أن ينقلوا عن أبي جعفر قال تعالى : " لأعذبن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام جائر ليس من الله ، وإن كانت الرعية في أعمالها برة تقية ، ولأعفون عن كل رعية في الإسلام دانت بولاية كل إمام عادل من الله ، وإن كانت الرعية في أنفسها ظالمة مسيئة " ^(٣).

ومن أمثلة هذه الأوصاف التي وصفوا بها أنفسهم :-

فادعوا أنهم سبيل الله، وشعبه المختار فعن العسكري: سبيل الله شيعتنا ^(٤)، وعن جعفر بن محمد : شيعتنا خيرة الله من أمة نبيه - ﷺ - ^(٥)، وعن الرضا: توضع يوم القيامة منابر حول العرش لشيعتي وشيعة أهل بيتي ^(٦).

-
- (١) الكليني: الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٣٣-٢٣٤. العاملي: وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٥٢.
(٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٢٣٣ - ٢٣٤. النعمان المغربي: شرح الأخبار ج ٣ ص ٥٠١.
(٣) الصدوق: ثواب الأعمال ص ٢٤٦. الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٤٣٨. بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٩٣.
(٤) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٢ ص ٢٠٠. الجواهري: جواهر الكلام ج ١٥ ص ٣٦٩.
(٥) الشيخ المفيد : الأمالي ص ٣٠٨. المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٢٢.
(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٩.

وزعموا أن رسول الله ﷺ - علياً - ﷺ - فقال : يا علي محبوبك جيران الله في دار الفردوس ، فإن الله ﷻ - قد رضي عنهم ، شيعتك المنتجبون ، ولولا أنت وشيعتك ما قام لله ﷻ - دين ، ولولا من في الأرض منكم ما أنزلت السماء قطرها ... يا علي شيعتك تعرف بحزب الله ، أنت وشيعتك القائمون بالقسط ، وخيرة الله من خلقه ... إلى آخر فضائلهم في الحديث الطويل^(١) ، وغيرها الكثير^(٢).

ويقصدون إجماعهم بوصفه حجة ؛ زعماً منهم ؛ لكون الإمام المعصوم الغائب المسردب فيهم ، ودخول من قوله حجة في جملتهم ؛ ومن هذه صورته لا يجوز أن يجمع على باطل في زعمهم^(٣) ؛ فكيف يثبتون دخوله ؟ .

ويدعون أنهم أظهر الأنساب : عن أبي عبد الله أنه سئل : من أين دخل على الناس الزنا ، قال : " من قبل خمسين أهل البيت ، إلا شيعتنا الأطيبين فإنه محلل لهم لميلادهم " ^(٤) ، وعن أبي جعفر سئل : عن بعض أصحابه يفترون ، ويقذفون من خالفهم ؟ فقال : " إن الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا " ^(٥) ، وعن رسول الله ﷺ - : " لا يبغضك يا علي إلا ولد الزنا " ^(٦) ؛ ولذلك فإن الله ﷻ - يبدأ بالنظر إلى زوار قبر الحسين عشية عرفة قبل أهل عرفات ؛ فقليل له ؛ وكيف ذلك ، قال : لأن في أولئك أولاد زنا ، وليس في هؤلاء أولاد زنا^(٧) ، إذا كان يوم القيامة

(١) شرح الأخبار ج ٢ ص ٣٩٦ - ٤٠٠ . بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٣٠٦ - ٣٠٩ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٦٥ - ٩٨ .

(٣) الشيخ الطوسي : الرسائل العشر ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٤) أصول الكافي ج ١ ص ٦٢٦ . وسائل الشيعة ج ٩ ص ٥٤٤ . جواهر الكلام ج ١٦ ص ١٥٧ .

(٥) يقول الحر العاملي : من أوضح الواضحات في جواز غيبة المخالفين : طعن الأئمة بأنهم أولاد زنا ... فإذا كان الأئمة طعنوا فيهم ، واغتابوهم بهذه الغيبة التي لا أعظم منها في الدين بالنسبة إلى المؤمنين والمسلمين ؛ فكيف يتم المنع من غيبتهم ؟ . انظر الحقائق الناضرة ج ١٨ هامش ص ١٥٥ .

(٦) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٢٧ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٣٧ .

(٧) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٥ ص ١٩١ . الجواهري : جواهر الكلام ج ٦ ص ٩٦ .

(٨) الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٢٨٣ . الطوسي : مصباح المتعبد ص ٤٩٧ .

دعي الناس بأسماء أمهاتهم^(١) سوى شيعتنا، فإنهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مولدهم^(٢).

ويدعون أنهم الناجون فعن علي-عليه السلام-: مات رسول الله -ﷺ- وهو ساخط على أمته إلا الشيعة^(٣).

وعن أبي جعفر: "هلك الناس في بطونهم ، وفروجهم ؛ لأنهم لم يؤدوا إلينا حقنا ، ألا وإن شيعتنا من ذلك وآبائهم في حل"^(٤) ، وهذا الهلاك من عهد الصحابة إلى يومنا هذا ؛ فعن علي-عليه السلام-: هلك الناس أجمعون إلا ثلاثة^(٥)، حين ساووا بين أئمة الهدى ، وبين أئمة الكفر^(٦)؛ مع أنهم رووا عن النبي -ﷺ-: إذا سمعتم الرجل يقول : هلك الناس ؛ فهو أهلكهم^(٧).

وقال ابن عباس-عليه السلام-: سميت فاطمة : فاطمة ؛ لأن الله -ﷻ- فطمها وشيعتها ومن أحبها من النار ، سمعت رسول الله -ﷺ- يقول^(٨).

ثم لا يتورعون عن إدعاء يشبه إدعاء النصارى في عيسى -ﷺ- أنه مات على الصليب فداءً لذنوب شعبه ؛ فقالوا : بأن النبي -ﷺ- سيتحمل ذنوب الشيعة عنهم ؛ فليفعلوا ما شاءوا ، وسيسد المهدي يوم القيامة ديونهم فليقترضوا كيف شاءوا ولا يردوا ؛ فقد أخبر الصادق بأن النبي -ﷺ- دعا ربه قائلاً : " اللهم حملني ذنوب شيعة أخي ، وأولادي الأوصياء ما تقدم منها وما تأخر إلى يوم القيامة ، ولا تفضحني بين النبيين والمرسلين ، من شيعتنا ؛ فحملة الله إياها ، وغفر جميعها ... أول ما يبتدئ المهدي أن ينادي في جميع

(١) في عرصات القيامة ينادى على أصحاب الحقوق باسمهم واسم آبائهم ؛ قال رسول الله -ﷺ-: " إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ، يرفع لكل غدير لواء ، فقيل: هذه غدير فلان بن فلان ، فليست الشيعة وهدم ابن حجر : فتح الباري ج ١٠ ص ٦٣٤. النووي : شرح مسلم ج ١٢ ص ٢٨٦.

(٢) المفيد : الإرشاد ج ١ ص ٤٤. النعمان : شرح الأخبار ج ٣ ص ٤٩٥. بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٥٠.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٨ ص ٦٥.

(٤) البحار ج ٩٦ ص ١٨٦. جواهر الكلام ج ١٦ ص ١٣٨. وسائل الشيعة ج ٩ ص ٥٤٣.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٥٢.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٩ ص ٨٢.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٣ ص ١٩٨. الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٩ ص ١١.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٢. الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٢٤٣.

العالم : ألا من له دين ؛ فليذكره حتى يرد الثومة والخردلة ، فضلاً عن القناطير المقنطرة من الذهب ، والفضة ، والأملاك ؛ فيوفيه إياها^(١).

وادعوا أن فضل زيارة وصلة الصالحين من الشيعة يعدل فضل زيارة وصلة أئمتهم : عن الصادق : من لم يقدر على صلتنا ؛ فليصل صالح موالينا ؛ يكتب له ثواب صلتنا ، ومن لم يقدر على زيارتنا ؛ فليزر صالح موالينا ؛ يكتب له ثواب زيارتنا^(٢) ، فهم المتقون ، الصديقون ، الشهداء ؛ لأن كل كلمة في القرآن الكريم توحى بالتقوى ، فالمقصود بها الشيعة^(٣) ، وفي تفسير قوله -ﷺ- : ﴿ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾^(٤) عن رسول الله -ﷺ- : " أنت يا علي ، وشيعتك " ^(٥).

والملائكة تصاحبهم وتحفظهم : عن أبي جعفر : " ما من عبد من شيعتنا يقوم إلى الصلاة ، إلا اكتنفته بعدد من خالفه ملائكة يصلون خلفه ، ويدعون الله تعالى له ، حتى يفرغ من صلاته " ^(٦) ، لكنها تتأدب معهم ، فلا تحضر مجالسهم الخاصة ، عن أبي عبد الله : " إذا قعدا يتحدثان ، قالت الحفظة بعضها لبعض : اعتزلوا بنا لعل لهما سراً ، وقد ستر الله عليهما " ^(٧). وادعوا أن أرواحهم نورانية إلهية فعن أبي جعفر : " إن الله -ﷻ- أجرى في المؤمن من ريح روح الله " ^(٨) ؛ فهم مخلوقون من نور الله ، ومن عليين ، ومن طينة الأنبياء ، ومن طينة الجنان ، ومن طينة مخزونة ؛ وهم أهل دين الله ، والحق ، ومحط نظر الله ، ومعرفة ، وحب ، وطهارته ، وشفاعته ، وأهل جنانه^(٩).

وادعوا أنهم سبب الطاعات ، وأعداؤهم سبب المعاصي : عن الباقر : خلق الله طينة الشيعة ، وطينة الناصب ، وأن الله مزج بينهما ، فما رأيته من الشيعة من : زنا ، أو من

(١) علي الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ٤١٢. بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٣٣ - ٣٤.

(٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٩ ص ٤٧٦. المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٣٥٤ .

(٣) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ج ٢ ص ١٨٣.

(٤) سورة البينة : آية رقم ٧.

(٥) إسناده مرسل وابن حميد متهم بالكذب : ابن جرير الطبري : تفسير الطبري ج ١٦ ص ٢٩٠.

(٦) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة ج ٦ ص ٧.

(٧) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ٨ ص ٥٦٢. المازندراني: شرح الكافي ج ٩ ص ٥٦ - ٥٧.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٧٥. أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي : المحاسن ، تحقيق: مهدي الرجائي ، ط المجمع العالمي لأهل البيت ، ط ٣ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م ج ١ ص ٢١٩.

(٩) أحمد بن محمد بن خالد البرقي : المحاسن ج ١ ص ٢١٩ - ٢٢١.

لواط ، أو من ترك صلاة ، أو صيام ، أو حج ، أو جهاد ، أو خيانة ، أو كبيرة من هذه الكبائر ، فهو من طينة الناصب ، وعنصره الذي مزج فيه ؛ لأن من عنصر الناصب وطنيته : اكتساب المآثم والفواحش والكبائر، وما رأيت من الناصب ، ومواظبته على الصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، والجهاد ، وأبواب البر ، فهو من طينة المؤمن الذي مزج فيه ؛ لأن من عنصر المؤمن اكتساب الحسنات ، واستعمال الخير ، واجتناب المآثم ^(١) .

المغفرة للشيعنة ومحبيهم: " عن رسول الله -ﷺ- : يا علي إن الله قد غفر لك ، ولولدك ، ولشيعتك ، ولمحبي شيعتك ، ولمحبي محبي شيعتك ؛ فأبشر ^(٢) ، وبشره أيضاً فقال : " إن شيعتك مغفور لهم على ما كان فيهم من ذنوب وعيوب " ^(٣) .

وادعوا أنهم الموصولون بالله ورسوله وآل بيته في الآخرة وأصحاب الشفاعة : عن علي: يوم القيامة أنا آخذ بحجرة الله ، ونحن آخذون بحجرة ^(٤) نبينا ، وشيعتنا آخذون بحجرتنا " ^(٥) ، ولا تستخفوا بالفقير منهم ؛ فإن الرجل منهم يشفع في مثل ربيعة ومضر ^(٦) . وادعوا أنهم الذين يتقبل الله منهم العمل دون غيرهم : قال محمد بن الحنفية: أما ترضون أن صلاتكم تقبل، وصلاتهم لا تقبل ، وحجكم يقبل ، وحجهم لا يقبل ^(٧) ، ويقسم أبو عبد الله : " والله ما الحج إلا لكم ، لا والله ما يتقبل الله إلا منكم ^(٨) .

لهم فردوس الجنة : عن أبي عبد الله: أنتم للجنة ، والجنة لكم ، أنتم أهل الرضا عن الله لرضاه عنكم ، للجنة خلقتكم ،

(١) الصدوق : علل الشرائع (سلوا أهل البيت)، نشر المرتضى- بيروت ، ط١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ص ٥٨٩ - ٥٩٤ بتصرف.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٠١ . الشيخ الأميني : الغدير ج ٣ ص ١٠٨ .

(٣) النوري: مستدرك الوسائل ج ٤ ص ٢٠٩ الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ١١١ .

(٤) الحجرة: موضع شد الإزار من الوسط، وموضع التكة من السراويل، وأخذ بحجرتة: استعان به. المعجم الوسيط ص ١٥٨ .

(٥) القاضي المغربي: شرح الأخبار ج ٣ ص ٥٧٤ . أبو جعفر البرقي : المحاسن ج ١ ص ٢٩١ .

(٦) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ٥٤ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٨) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ١٩١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٧٢ .

وفي الجنة نعيمكم ^(١). وقال رسول الله -ﷺ- لعلي-عليه السلام: إذا كان الغد كلم الشمس ؛ لتعرف كرامتك على الله تعالى ، فقالت أبشر فإن لك ، ومحبيك وشيعتك ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ^(٢) .

وادعوا أن النار لا تاكلهم في الدنيا ولا في الآخرة ، كما جاء عن عمار بن ياسر -رضي الله عنه- أن رجلاً من الشيعة جاء لأمير المؤمنين يريد أن يطهره من ذنوبه ، وأعظمها : أنه يلوط بالصبيان ، فأمر عماراً فجاء بألف حزمة حطب ، وأمر الناس فاجتمعوا ، وقال للرجل : إن كنت من الشيعة لن تمسك النار، وإن كنت من المخالفين فالنار تأكل لحملك وتكسر عظمك ، وقدح النار ، فاحترق القصب، وكان على الرجل ثياب بيض لم تلعقها النار ، ولم يقربها الدخان ^(٣) .

ثم يدعون أن في الآخرة يؤتى بالمقصر من الشيعة ، وقد حاز الولاية ، والتقية ، وحقوق إخوانه ، ويوقف بإزائه ما بين مائة وأكثر من ذلك ، إلى مائة ألف من النصاب ؛ فيقال له : هؤلاء فداؤك من النار، فيدخل هؤلاء المؤمنون الجنة ، وأولئك النصاب النار ^(٤) ، إلى غير ذلك ^(٥) .

نقد هذا الأثر: هذا يشبه ما جاء في التوراة في قصة يوشع بن نون -عليه السلام- حين أمر الله الشمس لتقف على يوشع فقال - كما تزعم توراتهم - : " حينئذ كلم يشوع الرب يوم أسلم الرب الأموريين أمام بني إسرائيل وقال أمام عيون إسرائيل يا شمس دومي على جبعون ويا قمر على وادي أيلون فدامت الشمس ووقف القمر حتى انتقم الشعب من أعدائه ... ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل " ^(٦).

ويشبه أكثر ما جاء في التوراة من تقديس اليهود لأنفسهم : " لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك ، إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعباً أخص من جميع الشعوب الذين على وجه

(١) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٨٢ - ٢٨٣ . بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٤٤ .

(٢) الشيخ الصدوق: الخصال ص ١٨٧ . المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٧ ص ٤٠٥ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٤٣ - ٤٤ . هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ١ ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٨ ص ٤٤ - ٤٥ .

(٥) الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ٣٤ .

(٦) الكتاب المقدس : سفر يشوع ١٠ / ١٢ - ١٤ ص ٣٥٢ .

الأرض " (١) ، ونص آخر يدل على كونهم وحدهم مغفور لهم يقول : " غفرت إثم شعبك ، سترت كل خطيتهم " (٢) ، ونص ثالث يدل على تقديس الكهنة والشعب : " وأنتم تكونون مملكة كهنة وأمة مقدسة " (٣) ؛ كما قدست الشيعة فقهاءها ، وشعبها .

وهم يشبهون اليهود أيضاً الذين يقولون : " إننا لم نولد من زنا لنا أب واحد وهو الله " (٤) ، أما جميع الأمم غيرهم زناة لأنهم شربوا جميعاً من خمر الزنا ؛ هم وملوكهم (٥) . ولكن أهل السنة يروون أن كل مَنْ يحاسب تناديهم الملائكة عند موتهم باسمهم وأسماء آبائهم كما قال رسول الله -ﷺ- : استحسنوا أسماءكم ؛ فإنكم تدعون بها يوم القيامة ، قم يا فلان بن فلان إلى نورك ، قم يا فلان بن فلان لا نور لك (٦) .

والسؤال : فكيف يرد الشيعة على ما رماه به أئمتهم في كتبهم وليذكروا لنا من هو المخاطب بهذه الكلمات؟ قال الإمام علي -ﷺ- لأهل الكوفة : " فقبأ لكم يا أشباه الرجال ، ولا رجال ، حلوم الأطفال ، وعقول ربات الحجال ، أيها الشاهدة أبدانهم ، الغائبة عقولهم ، المختلفة أهواؤهم ، ما أعز الله نصر من دعاكم ، ولا استراح قلب من قاساكم ، ولا قرت عين من آواكم ، كلامكم يوهي الصم الصلاب ، وفعلكم يطمع فيكم العدو المرتاب ، يا ويحكم ... المغرور من غررتموه ، من فاز بكم فاز بالسهم الأخيب ، أصبحت لا أطمع في نصركم ، ولا أصدق قولكم ، فرق الله بيني وبينكم ، وأعقبني بكم من هو خير لي منكم ، وأعقبكم من هو شر لكم مني ، إمامكم يطيع الله وأنتم تعصونه ، وإمام أهل الشام يعصي الله ، وهم يطيعونه ، والله لوددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم ؛ فأخذ مني عشرة منكم ، وأعطاني واحداً منهم (٧) ،

(١) يراجع الكتاب المقدس : سفر النثنية ٧ / ٦ ص ٢٩٠ .

(٢) يراجع الكتاب المقدس : مزمور ٨٥ / ١-٢ ص ٨٩٣ .

(٣) يراجع الكتاب المقدس : سفر الخروج ١٩ / ٥-٦ ص ١١٨ .

(٤) يراجع إنجيل يوحنا ٨ / ٤١ ص ١٦٣ .

(٥) يراجع رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٤ / ٨ ص ٤١١ ، ٣ / ١٨ ص ٤١٥ .

(٦) الكليني: الفروع من الكافي ج ٦ ص ٢١. البحراني: الحقائق الناضرة ج ٢٥ ص ٣٩. وسائل الشيعة ج ٢١ ص ٣٨٩ .

(٧) الشيخ المفيد : الإرشاد ج ١ ص ٢٧٩. المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٤ ص ٦٥ .

وفي رواية : " والله لقد أفسدتم عليّ رأيي بالعصيان " (١) ، وفي رواية : " الله يعلم لقد سئمت الحياة بين أظهركم ، ولوددت أن الله يقبضني إلى رحمته من بينكم " (٢) .
وقال لهم : " أف لكم ، لقد سئمت عتابكم ... ما أنتم لي بثقة ، وما أنتم بركن يمال بكم ، ولا زوافر عز يفتقر إليكم ، ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها ؛ فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر " (٣) ، وقال : " أبيتم علي إباء المخالفين الجفاة ، والمنايذين العصاة " (٤) .
وقال : " منيت بمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ، لا أبا لكم ، ما تنتظرون بنصركم ربكم ؟ أما دين يجمعكم ؟ ولا حمية تحمشمكم ؟ أقوم فيكم مستصرخاً ، وأناديكم متغوئاً ؛ فلا تسمعون لي قولاً ، ولا تطيعون لي أمراً " (٥) .
وقال الحسين - عليه السلام - : " اللهم امنعهم بركات الأرض ، وفرقهم فرقاً ، ومزقهم تمزيقاً ، واجعلهم طرائق قديماً ، ولا ترض الولاة عنهم أبداً ، فإنهم دعونا لينصرونا ، ثم عدوا علينا فقتلونا " (٦) ، وقال : " يزعمون أنهم لي شيعة ، ابتغوا قتلي ، وانهبوا ثقتي ، وأخذوا مالي ، والله لأن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي ، وأؤمن به في أهلي ، خير من أن يقتلوني ، فتضيع أهل بيتي وأهلي ، والله لو قاتلت معاوية ؛ لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً " (٧) ؛ ولا تعجب فقد " بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفاً ، غدروا به ، وخرجوا عليه ، وبيعته في أعناقهم ، فقتلوه " (٨) .
ولما سمع زين العابدين نساء الكوفة ورجالها يبكون ، قال : " إن هؤلاء يبكون علينا ، فمن قتلنا غيرهم " ثم وصفهم بالغدر والظلم (٩) ، وقال لأهل العراق : " هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخذعتموه ، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق ، ثم قاتلتموه وخذلتموه

(١) الشيخ الصدوق : معاني الأخبار ص ٣١٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٤ ص ٦٥ .

(٢) الشيخ المفيد : الإرشاد ج ١ ص ٢٨٠ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٤ ص ٧٤ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٣ ص ١٠٦ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٣ ص ٣٢٢ . الشيخ الأميني : الغدير ج ٢ ص ١٥٦ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٤ ص ٣٢ .

(٦) الشيخ المفيد : الإرشاد ج ٢ ص ١١٠ - ١١١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٤٣ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٠ .

(٨) السيد محسن الأمين : أعيان الشيعة ج ١ ص ٢٦ .

(٩) الطبرسي : الاحتجاج ج ٢ ص ٢٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١٦٢ - ١٦٣ بتصرف .

، بأية عين تنظرون إلى رسول الله ﷺ - وهو يقول لكم : قاتلتكم عترتي ، وانتهكتم حرمتي ، فلستم من أمتي " (١).

وقال الباقر: " لو كان الناس كلهم لنا شيعة ، لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكاكاً والربع الآخر أحق " (٢)، وعنه : " لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد، إنهم طالما اتكئوا على الأرائك ، فقالوا: نحن شيعة علي" (٣).

ونختم الفصل بما قاله أئمة أهل البيت عن شيعتهم ، لنبين حقيقة مقال السلف : إن الشيعة أفرطت في حبِّ عليٍّ (٤) ؛ كما أفرطت النصارى في حب المسيح (٥)، بل وادعت الشيعة أن السلف الصالح منعوا الناس من ذكر فضائل علي - ﷺ - (٦) في مقابل فضائل أبي بكر وعمر - ﷺ -؛ ليصبحوا دائماً الفرقة المظلومة لكسب تعاطف الناس معهم معطلين ذلك بتقديس أهل البيت وجفاء الناس لهم ، واتفاقهم على ظلمهم .

فيخاطب عليٌّ - ﷺ - أتباعه من الشيعة فيقول : " أيها الشاهدة أبدانهم ، الغائبة عقولهم ، المختلفة أهوائهم، المبتلى بهم أمراؤهم ، صاحبكم يطيع الله ، وأنتم تعصونه ، وصاحب أهل الشام- يعني معاوية - ﷺ - يعصي الله ، وهم يطيعونه ، لوددت أن معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم ، فأخذ مني عشرة منكم ، وأعطاني رجلاً منهم ، يا أهل الكوفة منيت بكم بثلاث واثنين : صمّ ذوو أسماع ، وبكمّ ذوو كلام ، وعميّ ذوو أبصار ، لا أحرارُ صدق عند اللقاء ، ولا إخوانُ ثقة عند البلاء ، تربت أيمانكم يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها ، كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب آخر (٧).

وقال أيضاً عن شيعته : " لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة ، ولو امتحنتهم ؛ لما وجدتهم إلا مرتدين ، ولو تمحصتهم ؛ لما خلص من الألف واحد ، ولو غربلتهم ؛ لم يبق

(١) الشيخ الطبرسي : الاحتجاج ج ٢ ص ٣٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٣ .

(٢) النوري: خاتمة المستدرك ج ٥ ص ٢٨٥. هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٥ ص ١٩٨ .

(٣) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ١٨٤ - ١٨٥ .

(٤) أبو نعيم : حلية الأولياء ج ٦ ص ٣٥٨ ، من قول الفضيل بن عياض - رحمه الله - .

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٧٣ في ترجمة الشعبي - رحمه الله - .

(٦) أبو نعيم : حلية الأولياء ج ٧ ص ٢٧ - ٢٨ ، من قول سفيان الثوري - رحمه الله - .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٤ ص ٨١ . الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ١٧٩ .

منهم إلا ما كان لي ، إنهم طالما اتكئوا على الأرائك ، فقالوا : نحن شيعة علي ، إنما شيعة علي : من صدق قوله فعله ^(١)، وعنه قال : "تفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، شرها فرقة تنتحل حبنا ، وتفارق أمرنا" ^(٢) ، وفي رواية : " ألا إني منيت بمن لا يطيع إذا أمرت ، ولا يجيب إذا دعوت ^(٣)، وقال أيضاً : " والله إن جاءني الموت لتجدني لصحبكم قالياً ، ألا دين يجمعكم ؟ ألا حمية تغيظكم ؟ ألا تسمعون عدوكم ينتقص بلادكم ، ويشن الغارات عليكم ؟ أدعوكم فتعصوني ، وتخالفوني ! ، ثم أنا أدعوكم وأنتم أولي النهى وبقية الناس فتختلفون وتفترقون عني ، وتعصوني ، وتخالفون علي ^(٤) .

وهذه أقوال العالم بهم ، الخبير بأحوالهم ، من جربهم وابتلي بهم ، كيف بهؤلاء إذا سمعوا حديث يوم الحديبية : " إِنَّ عُرْوَةَ ^(٥) جَعَلَ يَرْمُقُ النَّبِيَّ ﷺ - بِعَيْنِهِ ، قَالَ : فَوَاللَّهِ مَا تَنَحَّمُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - نَحَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ؛ فَذَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ ؛ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضْئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا ؛ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحْدِثُونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ ؛ تَعْظِيمًا لَهُ ، فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ ، وَكِسْرَى ، وَالنَّجَاشِيِّ ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ﷺ - " ^(٦) .

ثم يأتي اليوم الذي نسمع فيه من وصفهم علي ﷺ - بصفات الذم ، والجبن ، والخذلان التي مضى ذكرها ، يكفرون ، ويلعنون ، مَنْ هذه أعمالهم مع نبيهم ﷺ - فأين المنصفون من الشيعة ؟ ليروا هذا البون الشاسع بين أصحاب النبي ﷺ - الذين آووه ونصروه ، ونقلوا دينه للآفاق ، حتى فتحوا فارس نفسها ، وأصحاب علي ﷺ - الذين تركوا نصرته ، وخانوا عهوده ، وسبوا أحبابه من أصحاب النبي ﷺ - الذين نقلوا الدين لهم ، وتعلموا الدين من علمائهم ، أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ؟ والله غفور رحيم .

(١) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ١٨٤-١٨٥ .

(٢) أبو نعيم الأصفهاني : حلية الأولياء ج ٥ ص ٨ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٤ ص ٣٢ .

(٤) المصدر السابق : ج ٣٣ ص ٥٦٤ .

(٥) عُرْوَةُ بَنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ : صحابي ، عَمُ الْمُغِيرَةِ بَنِ شُعْبَةَ ، بَعَثَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - دَاعِيًا إِلَى الطَّائِفِ ، فَتَقَتَّلُوهُ بَعْدَ مَقْفَلِهِ مِنْ حُنَيْنٍ ٩هـ / ٦٣٠م . الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ٢٢٧ .

(٦) ابن حجر : فتح الباري ج ٥ ص ٣٧٢ .

وعن الحسين -عليه السلام- قال : " أرى والله أن معاوية خيرٌ لي من هؤلاء ، يزعمون أنهم لي شيعة ، ابتغوا قتلي ، وانتهبوا ثقتي ، وأخذوا مالي " (١).

وبعد أن كتب أكثر أهل الكوفة إلى معاوية -عليه السلام- : " إنا معك ، وإن شئت أخذنا الحسن ، وبعثناه إليك ، ثم أغاروا على فسطاطه ، وضربوه بحربة (٢) ، بل إن رؤساء القبائل كتب منهم جماعة منهم لا يستهان بها إلى معاوية بالسمع والطاعة له في السر ، واستحثوه على المسير نحوهم ، وضمنوا له تسليم الحسن -عليه السلام- إليه عند دنوهم من عسكره ، أو الفتك به (٣) ، حتى قال المختار الثقفي لعمه : هل لك في الغناء والشرف ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : تستوثق من الحسن ، وتستأنم به إلى معاوية ، وفي رواية : دعني أضرب عنق هذا -يعني : الحسن- وأذهب به إلى معاوية ؛ فقال له عمه : قبحك الله (٤) ، وخطب الحسن -عليه السلام- في الكوفة بعد مقتل أبيه فقال : وكنتم تتوجهون معنا- وفي رواية : وكنتم في منتدبكم إلى صفين - ، ودينكم أمام دنياكم ، وقد أصبحتم الآن ودنياكم أمام دينكم ، وكنا لكم ، وكنتم لنا ، وقد صرتم اليوم علينا (٥) ، فازدادت بصيرة الحسن -عليه السلام- بخذلان القوم له (٦).

وها هي فاطمة الصغرى (٧) تقول : " يا أهل الكوفة ، يا أهل الغدر ، والمكر ، والخيلاء ، إنا أهل بيت ابتلانا الله بكم ، وابتلاككم بنا ، فجعل بلاتنا حسناً ، فكذبتمونا ، وكفرتُمونا ، ورأيتم قتالنا حلالاً ، وأموالنا نهباً ، كما قتلتم جدنا بالأمس ، وسيوفكم تقطر من دماننا أهل

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٠.

(٢) المصدر السابق : ج ٤٤ ص ٤٥.

(٣) الشيخ المفيد : الارشاد في معرفة حجج الله على العباد ، تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ج ٢ ص ١٢.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٤ هامش ص ٢٨.

(٥) المصدر السابق : ج ٤٤ هامش ص ٢٢.

(٦) الشيخ المفيد : الارشاد ج ٢ ص ١٣. المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢١.

(٧) فاطمة الصغرى : فاطمة بنت علي بن أبي طالب ، أمها أم ولد ، من فضليات النساء ، كانت عند أبي سعيد بن عقيل بن أبي طالب ، ثم تزوجها سعيد بن الأسود بن أبي البحتري ، قالت عن عمر بن عبد العزيز : فلو كان بقي لنا ما احتجنا لأحد توفيت ١١٧ هـ. الزركلي : الأعلام ج ٥ ص ١٣١.

البيت ؛ لحقد متقدم، قرت بذلك عيونكم، وفرحت به قلوبكم، اجترأ منكم على الله ، ومكرأ مكرتم^(١).

ويقول بعض المعاصرين عن شيعة علي : بيد أن الأمور لم تستقم للإمام الحسن لجملة من الأسباب المعروفة ، أهمها : تخاذل أهل العراق أولاً ، وكون الشيوخ الذين بايعوا علياً والتفوا حوله كانوا من عبدة الغنائم والمناصب ، ولم يكن لهؤلاء نصيب في خلافة الحسن إلا ما كان لهم عند أبيه من قبل ثانياً ، وإن عدداً غير قليل ممن بايع الحسن كانوا من المنافقين ، يراسلون معاوية بالسمع والطاعة ثالثاً ، كما أن قسماً من جيشه كان من الخوارج أو أبنائهم رابعاً^(٢) .

المبحث الرابع التقديس في ميزان أئمة أهل البيت

الغلو في التقديس أمر مرفوض لدى كل ذي لب ، وكراهية الغلو تنبعث من تحذير القرآن والسنة النبوية منه ، وتاريخ الغلو مع تاريخ الانحراف توأمان ؛ ولهذا فنحن لا نستطيع أن نجد انحرافاً من دون أن يكون مبدؤه ومنشأه ظهور الغلو في الشيء المقدس .

نعم : إن الغلو في حب الرجل خلق له فضائل مفتراة تبعد جداً عن ساحة النبي الأقدس - صلى الله عليه وآله وسلم - أن ييوح بشيء منها ، وإنما يد الافتعال نسجت له على نول ما نسجته لبقية الخلفاء مناقب تندى له جبين الإنسانية^(٣).

فهذا رسول الله - ﷺ - يقال له يا محمد ، أتريد أن نعبدك ، ونتخذك رباً ، فقال : معاذ الله أن نعبد غير الله، أو أن نأمر بغير عبادة الله ، ولا ينبغي أن يسجد لأحد من دون الله ، ولكن أكرموا نبيكم، واعرفوا الحق لأهله^(٤).

وإن الشيعة مثل الدنيا في حب علي وبغض أعدائه ؛ كما قال علي - ﷺ - وجعفر بن محمد : إذا أقبلت الدنيا على إنسان أعطته محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبت محاسن نفسه^(٥)، ولكن الموضوعية والإنصاف يقتضيان : إعطاء كل ذي حق حقه بلا إفراط ولا تفريط .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٥ ص ١١٠ .

(٢) الشيخ جعفر السبحاني : أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم ص ٣٥ .

(٣) الشيخ الأميني : الغدير ج ١١ ص ٧٥ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٦٣ .

قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(٢)، فدللت الآية على عدم جواز نسبة الخلق ، والرزق ، والإماتة ، والإحياء إلى غيره سبحانه من الأنبياء والأئمة وأنه شرك ^(٣).

ونحن نقول لعقلاء الشيعة غقرأوا لما قال صاحب بحار الأنوار : إن العلم والعقل قد يستوليان على النفس فيظهر له عيوب نفسه ، ويأول بعقله عيوب غيره ما أمكنه ، وقد يستولي الجهل فيرى محاسن غيره مساوئ ، ومساوئ نفسه محاسن ، ومفتاح الجهل الرضا بالجهل ، والاعتقاد به ، وبأنه كمال لا ينبغي مفارقتها ، ومفتاح العلم طلب تحصيل العلم بدلا عن الجهل ، والكمال بدلا عن النقص ، وينبغي أن يعلم أن سعيه مع عدم مساعدة التوفيق لا ينفع ؛ فيتوسل بجنابه تعالى ليوفقه ^(٤).

جاء عن شريك بن عبد الله النخعي القاضي الكوفي ^(٥) : أنه قيل له : إن أقواماً يزعمون أن جعفر بن محمد ضعيف الحديث ؛ فقال : أخبرك القصة ، كان جعفر بن محمد رجلاً صالحاً مسلماً ورعاً ، فاكتنفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون من عندهم ، ويقولون حدثنا جعفر بن محمد ، ويتحدثون بأحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر ؛ ليستأكلون الناس بها ... ذكروا أن جعفرأ حدثهم أن معرفة الإمام تكفي عن الصوم والصلاة ، وعن رجعتة هو وأبيه وجده يوم القيامة ، وأن علياً في السحاب ، يطير مع الريح ، وأنه كان يتكلم بعد الموت ، وأنه كان يتحرك على المغتسل ، وأن إله السماء ، وإله الأرض الإمام ؛ فجعلوا لله شريكاً ، جهال ضلال ^(٦).

(١) مستدرک سفینه البحار ج ٣ ص ٣٦٢. بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٦٤ ، ج ٧٥ ص ٣٥٧.

(٢) سورة الروم : آية رقم ٤٠.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٦٣ .

(٤) المصدر السابق : ج ١ ص ٩٣ .

(٥) شريك بن عبد الله بن أبي نمر المدني المحدث ، حدث عن أنس ، وحدث عنه مالك ، وسليمان بن بلال ، قال ابن معين والنسائي : ليس به بأس ، ووثقه أبو داود ، مات قبل ١٤٠ هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٤٦١ - ٤٧٢ .

(٦) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ٤ ص ٢٧٤ بتصرف .

وعلى هذا كان التشيع معتدلاً ، حتى جاء الشيطان فألقى لهم أصلاً صحيحاً وهو حب آل البيت ، ثم طرأت عليهم التلبيسات من عدم الفهم حتى ضلوا ، وأكثر ما ظهر ذلك في الشيعة ، ولا سيما في الإمامية منهم ؛ فدخلت عليهم الأبالسة أولاً بحب آل البيت ، واستفراغ الحب فيهم ، ورأوا في ذلك أسنى القربات إلى الله - وكذلك هو لو وقفوا ، ولا يزيدون عليه - إلا أنهم تعدوا من حب آل البيت إلى طريقين : منهم من تعدى إلى بغض الصحابة وسبهم ؛ حيث لم يقدموهم ، وتخللوا أن أهل البيت أولى بهذه المناصب الدنيوية ؛ فكان منهم ما قد عرف واستفاض ، وطائفة زادت إلى سب الصحابة وتكفيرهم ؛ لما لم ينصوا على رتبهم ، وتقديمتهم في الخلافة للناس ، بل وكفروا كل راض بحب الصحابة - ثم تطور الأمر إلى تكفير كل مخالف لهم حتى ولو كان من الشيعة ؛ طالما لم يقل بقولهم .

هذا وللأئمة خط واضح لا لبس فيه ولا غموض ، وكانوا كثيراً ما يؤكدون على التزام هذا الخط ، وأنهم لا يتقون فيه أحداً ، ومن خط الأئمة محاربة الغلو فيهم ، وتكفير القائل به ، ولم يعهد عن أحد منهم إلا الإقرار بالعبودية لله ، ونهاية الخضوع له ؛ الذي فاقوا فيه الناس^(١).

ومن ذلك : النهي عن الحلف بغير الله^(٢) ، فلا يجوز لأحد أن يحلف برسول الله -ﷺ- ، ولا بأمر المؤمنين ، ولا بأحد من الأئمة ؛ لقوله -ﷺ- : إذا حلفتُم فاحلفوا بالله ، وإلا فاتركوا^(٣) ، ولقوله -ﷺ- : " من حلف بغير الله فقد أشرك " ^(٤) ، وفي رواية : " كفر " ^(٥) ، وفي رواية : فليس من الله في شيء^(٦) ؛ ويقول آل البيت : لله -ﷻ- أن يقسم من خلقه بما شاء ، وليس لخلقه أن يقسموا إلا به -ﷻ-^(٧).

(١) كتاب الفقه المنسوب للإمام الرضا (فقه الرضا) ، تقديم : جواد الشهرستاني - قم ، تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - بيروت ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م ص ٢٧ .

(٢) الشيخ الصدوق : الأمالي ص ٣١٠ .

(٣) الميرزا النوري الطبرسي : مستدرک الوسائل ج ١٦ ص ٦٥ .

(٤) الجواهري : جواهر الكلام ج ٤٠ ص ٢٢٧ . الطبرسي : مستدرک الوسائل ج ١٦ ص ٥٠ .

(٥) الجواهري النجفي : جواهر الكلام ج ٤٠ ص ٢٢٧ .

(٦) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٣ ص ٢٥٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٦ ص ٣٣١ .

(٧) الجواهري : جواهر الكلام ج ٣٥ ص ٢٢٩ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٣ ص ٢٦٠ .

وعن صاحب الزمان: تعالى الله -ﷻ- عما يصفون سبحانه وبحمده ، ليس نحن شركاء الله في علمه ، ولا في قدرته ، بل لا يعلم الغيب غيره ^(١).

ومن خطهم : التواضع وهضم النفس وطلب الشورى : فهذا علي -ﷺ- يقول: " فلا تكفوا عني مقالة بحق ، أو مشورة بعدل ، فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ ، ولا آمن ذلك من فعلي ، إلا أن يكفيني الله من نفسي ما هو أملك به مني ، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره ؛ يملك منا ما لا نملك من أنفسنا ، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه ، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى ، وأعطانا البصيرة بعد العمى " ^(٢) ، ولم يكن في أمير المؤمنين شر ، وإنما أخرج الكلام على اعتقادهم فيه ^(٣)؛ أي : الغلو المذموم .

وعن أبي الحسن: " إن الله غضب على الشيعة ، فخيرني نفسي أو هم ، فوقيتهم - والله - بنفسي " ^(٤).

وينقض الإمام علي -ﷺ- نظرية استحقاقه الإمامة بلا منازع ، والنص عليه ، ونظرية الوصية ، والعصمة ، ويؤكد نظرية الشورى ؛ فيقول : " والواجب في حكم الله ، وحكم الإسلام على المسلمين بعدما يموت إمامهم أو يقتل ضالاً كان أو مهتدياً ، مظلوماً كان أو ظالماً ، حلال الدم أو حرام الدم ^(٥) أن لا يعملوا عملاً ، ولا يحدثوا حدثاً ، ولا يقدموا يداً ، ولا رجلاً ، ولا يبدعوا بشيء قبل أن يختاروا لأنفسهم إماماً ، عفيفاً ، وعالماً ، ورعاً ، عارفاً بالقضاء ، والسنة ، يجمع أمرهم ، ويحكم بينهم ، ويأخذ للمظلوم من الظالم حقه " ^(٦).

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٦٧ - ٢٦٨.

(٢) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٧٦. المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢٥٣.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠ ص ٣٧٩.

(٤) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي ، جمعها : السيد محمد تقى

الموسوي ، تحقيق : علي الفاضلي ، نشر دار الحديث - قم ، ١ ، ١٤٢٥ هـ / ١٣٨٣ ش ص ٢٠٤.

(٥) الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ٧ ص ١٢٣ - ١٢٤. كتاب سليم بن قيس ص ٢٩١.

(٦) الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ٦ ص ١٤. المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٣ ص ١٤٤.

ويقول وهو في سياقة الموت ، حين قال له بعض الحضور : ألا تستخلف علينا ؟ فقال : ما استخلف رسول الله - ﷺ - فاستخلف ، ولكن إن يرد الله بالناس خيراً؛ فسيجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم ^(١).

ودخل رجلان من الزيدية على زيد بن علي - رحمه الله - فقالا : " أفياكم إمام مفترض الطاعة ؛ فقال : لا؛ فقالا : قد أخبرنا عنك الثقات : أنك تفتي ، وتقر ، وتقول به ، ونسميهم لك : فلان وفلان ، وهم أصحاب ورع ، وتشمير ، وهم ممن لا يكذب ؛ فغضب أبو عبد الله ؛ فقال : ما أمرتهم بهذا ، كذبا لعنهما الله " ^(٢).

ويعترف الإمام زيد بن علي بعدم علمه بإمامة أبيه زين العابدين ، فقال : لمن أخبره بذلك : " كنت أجلس مع أبي ، ويبرد لي اللقمة الحارة حتى تبرد شفقة عليّ ، ولم يشفق علي من حر النار ، إذ أخبرك بالدين ، ولم يخبرني به ؟ ! " ^(٣) . يعني أخبره بإمامته ، ولم يخبر ابنه ! ، فنحن نحتج الآن عليكم بأقوال النبي - ﷺ - والأئمة الصادق ، والكاظم ، والرضا فمن منا أهل الجاهلية ؟ ومن منا يتبع الإمام الظاهر ، ويسمع له ، ويطيع ؟ ^(٤) .

فالأئمة لم يدعوا لأنفسهم أكثر من حقهم ، وكانوا يعرفون قدرهم ، لا يعدونه ، يخافون ربهم من فوقهم ، ويفعلون ما يؤمرون - ما استطاعوا - وهذا هو مبحث العصمة في الفصل الثاني إن شاء الله تعالى .

ولقد تحدث أبو عبد الله عن كيفية دخول هذا التقديس المذموم إلى العقيدة الشيعية فقال : كان المغيرة بن سعيد ^(٥) يعتمد الكذب على أبي ، ويأخذ كتب أصحابه ، وكان أصحابه المستترون بأصحاب أبي يأخذون الكتب من أصحاب أبي ، فيدفعونها إلى المغيرة ، فكان يدس فيها كت الكفر والزندقة ، ويسننها إلى أبي ، ثم يدفعها إلى أصحابه ، ويأمرهم أن

(١) حكم عليه بالتزوير الشيخ الأميني : الغدير ج ٥ ص ٤٤٠ .

(٢) محمد الصفار: بصائر الدرجات ص ٢١٠ - ٢١١ . أصول الكافي ج ١ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٣) الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ . النوري: مستدرک الوسائل ج ١١ ص ٣٢ .

(٤) د عمر عبد الله كامل : رسالة إلى إخواننا الشيعة الإمامية ص ١٠٥ .

(٥) المغيرة بن سعد : كَانَ رَافِضِيًّا، خَبِيثًا، كَذَابًا، سَاحِرًا، ادَّعَى النُّبُوَّةَ، وَفَضَّلَ عَلِيًّا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَكَانَ مُجَسِّمًا ، قال الحسن بن الحسن : دَخَلَ عَلَى الْمُغِيرَةَ بْنِ سَعِيدٍ ، فَذَكَرَ مِنْ قَرَابَتِي وَشَبْهِي بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - ، ثُمَّ لَعَنَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ ، فَقُلْتُ: يَا عَدُوَّ اللَّهِ، أَعِنْدِي! ثُمَّ خَنَقَتْهُ حَتَّى دَلَعَ لِسَانَهُ ، وكان يدعي إحياء الموتى ، قتله خالد القسري سنة ١١٩ هـ . الزركلي: الأعلام ج ٧ ص ٢٧٦ . سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٢٢٩ .

يبثوها في الشيعة ؛ فكل ما كان في كتب أصحاب أبي من الغلو فذاك مما دسه المغيرة بن سعيد في كتبهم ، ألا ترى ما ورد عنهم من حثهم شيعتهم على الكتابة لما يسمعون منه ، وإلى تحذيرهم الشيعة عن مداخله كل من أظهر البدع ، وأمرهم بمجانبتهم ، وتعريفهم لهم بأعيانهم ، ولعنوا جماعة ممن كانوا كذلك ، وجمع كثير ممن تسموا بالشيعة ، وأظهروا المقالات الشنيعة من الغلو ، والإباحات ، والتناسخ ، التي خرجت التوقعات في لعنهم ، والبراءة منهم في كل مكان وزمان^(١).

ثم تبعه أصحاب الأئمة كما جاء عن أحد روايتهم قال لأبي جعفر الثاني جعلت فداك ، إن مشايخنا رووا عن أبي جعفر ، وأبي عبد الله وكانت التقية شديدة ؛ فكتبوا كتبهم ، ولم ترو عنهم ؛ فلما ماتوا صارت الكتب إلينا ؛ فقال : حدثوا بها فإنها حق^(٢).

ولم يكلف الإمام نفسه أن يقول للسائل اعرضها علي ، أو أن يسأل السائل من هؤلاء الأصحاب ؟ وماذا كتبوا ؟ ومن الذي نقل الكتب عنهم ؟ ولم يأمره بأن يريه الكتب التي رووها هؤلاء الرواة ، وبعد هذا الجهد الجهد للحفاظ على الشرع تأكد عنده صدق الكتب فقال : إنها حق ! .

وهكذا بدأ تاريخ التقديس بهذا الوجه وانتهى بهذه الفرقة العمياء التي لا يدري المسلم الغيور على وحدة أمته كيف يلثم صدعها ، ويضيق خرقها ؟ والله المستعان .

وقيل للحسن : إن هذه الشيعة يزعمون أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، فقال : كذبوا والله ما هؤلاء بالشيعة ، لو علمنا أنه مبعوث ما زوجنا نساءه ، ولا قسمنا ماله " ^(٣).

وبذلك يظهر أن أئمة أهل البيت لم يقولوا بما قاله أتباعهم فيهم .

والسؤال : هل يستطيع فقهاء الشيعة الآن ان ينكروا هذه الروايات ؟ أو يوفقوا بينها بالتقية ؟ أو يطرحوا بعضها دون بعض ؟ وفي كل الحالات تسقط الروايات بعضها بعضاً ؛ فالدليل إذا تطرق له الاحتمال سقط به الاستدلال ! والله أعلم .

(١) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١ ص ١١ - ١٢ .

(٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٠٦ .

(٣) السيد مرتضى العسكري : عبد الله بن سبأ ج ٢ ص ٢٣٥ .

الفصل الثالث

التقديس وأثره على عقيدة العصمة

وفيه سبعة مباحث:

- المبحث الأول: تعريف العصمة .
- المبحث الثاني: موقف الفرق الإسلامية من عصمة الأنبياء.
- المبحث الثالث: تقديس الأئمة وأثره على القرآن الكريم .
- المبحث الرابع: تقديس الأئمة وأثره على مكانة الإمام .
- المبحث الخامس: تقديس الأئمة وأثره على علاقة الشيعة
الاثني عشرية بالفرق الأخرى .
- المبحث السادس: موقف الأئمة من القول بالعصمة .
- المبحث السابع: موقف أهل السنة من القول بالعصمة .



المبحث الأول

تعريف العصمة وأدلتها

من الواضح أن الشيعة غالت في تقديس أئمتهم ، حتى وصلت بهم مرحلة الجنوح الفكري السياسي لتقديس أشخاص ونصوص ومذاهب ، وجعلها مقدسة لا تخطئ الرأي ولا تحيد ، ورفعها فوق مستوى النقد والمحاسبة ، ويرى هؤلاء الأتباع أن كل ما يصدر عن زعماءهم يعد معصوماً من أي خطأ أو زلل ، مهما كان الخطأ بادياً بجلاء ووضوح للعيان حتى لبسطاء الأفهام والإدراك.

فما أن يبادر من يخالفونهم الرأي بنقد أئمتهم ، حتى تحمر الحلق ، وتنتفخ الأوداج ، وتنطلق عبارات الدفاع المحموم ، بعيداً عن الموضوعية ، رغم المحاولات المستميتة في التبرير والتماس الأعذار بأسلوب عاطفي أعمى ، وولاء لا متناه لوهم الكمال في رمز العصمة في خيالهم السقيم ، وهدفهم من هذا التقديس شل الفكر ، وتعطيل حركته الإيجابية المتجددة ، وعزله عن الواقع ، وتعظيمه لاحتقار التابع لذاته وشخصيته وفكره ؛ ليعيش في فراغ الماضي ، فيقتل فيه الاستمرارية والتجديد ، والصواب : أن نحبههم ونحترمهم ، ونقتدي بهم ونتبعهم ، ولكن لا نرفعهم فوق مستوى أن يخطئوا ، وهذا الاحترام الشرعي .

العصمة في اللغة : ملكة إلهية تمنع من فعل المَعْصِيَةِ ، والميل إِلَيْهَا مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا ^(١) ، وأصلها : أن يعصمك الله من الشر ، أي : يدفع عنك ^(٢) ، أو يمنعك ^(٣) ، وتدل على الإمساك ، والمنع ، والملازمة ، والوقاية ^(٤) ، وفي التنزيل : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ ^(٥) ، أي : لا معصوم إلا المرحوم ، وقال الله - ﷻ - حكايةً عن امرأة العزيز ^(٦) :

(١) المعجم الوسيط ، مادة عصم ج ٢ ص ٦٠٥ .

(٢) الخليل بن أحمد : العين ، مادة عصم ج ١ ص ٣١٣ .

(٣) أبو بكر الأتباري : الزاهر ، مادة عصم ج ١ ص ٤٧٠ .

(٤) ابن فارس : مقاييس اللغة ج ٤ ص ٣٣١ . ابن سيده : المحكم والمحيط الأعظم ، مادة عصم ج ١ ص ٤٥٧ .

(٥) سورة هود : آية رقم ٤٤ .

(٦) امرأة العزيز : اسمها راعيل ، أو رعائيل ، أو زليخا ، واسم العزيز : فطير ، وقيل : إطفير بن روحيب . الطبري : تفسير الطبري ج ١٢ ص ١٨٤ بتصرف . البغوي : تفسير البغوي ص ٦٤٠ .

﴿ وَرَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاَسْتَعْصَمَ ﴾^(١)، وَعِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ: يَمْنَعُهُنَّ مِنَ الضَّيَاعِ وَالْحَاجَةِ^(٢).
والعصمة من الله : التوفيق الذي يسلم به الإنسان مما يكره؛ فتسمى: توفيقاً، وعصمة^(٣).

تعريف العصمة في اصطلاح الشيعة الاثني عشرية : هناك سؤال : هل العصمة خلق مستمد من ملكة نفسانية ، أم منحة من الله -ﷻ- يمنحها من يشاء من عباده فميتنع بها المعصوم من فعل المعصية ؟ وكان هناك ردود مدعاة من قبل الشيعة منها : يعرف علي بن الحسين المعصوم بأنه المعتصم بحبل الله ، وهو القرآن ، لا يفترقان إلى يوم القيامة ، والإمام يهدي إلى القرآن ، والقرآن يهدي إلى الإمام ، وذلك قوله -ﷻ- : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾^(٤)، أي : أن معصوميته بسبب اعتصامه بالقرآن ، وعدم مفارقتة عنه ^(٥) .

ويعرف أبو عبد الله المعصوم بأنه : الممتنع بالله -ﷻ- من جميع محارم الله ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(٦). أي : بتوفيق الله -ﷻ-^(٧) .

وعرف المفيد المعصوم بأنه : من يمتنع باختياره عن فعل الذنوب والقبايح ، عند اللطف الذي يحصل من الله -ﷻ- في حقه ، لطف يمتنع من يختص به عن فعل المعصية ، ولا يمنعه على وجه القهر^(٨). فهي ملكة ربانية^(٩).

مكانة عقيدة العصمة وأهميتها عند الشيعة الاثني عشرية :

١- تعد العصمة عند الشيعة الاثني عشرية مجمع الكمالات ؛ باعتبار عموم دائرتها ، وإحاطتها بجميع الصفات والأفعال من الجهة العليا ، وهي جهة التلقي من الفيض الإلهي ؛ لقوة استعدادها لذلك ، ومن الجهة السفلى ، وهي جهة الأداء والتبليغ ، وتربية الرعية ،

(١) سورة يوسف : آية رقم ٣٢.

(٢) ابن منظور : لسان العرب ، مادة عصم ج ٤ ص ٢٩٧٦ بتصرف .

(٣) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٣٤-١٣٥ بتصرف .

(٤) سورة الإسراء : آية رقم ٩.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٩٤.

(٦) سورة آل عمران : آية رقم ١٠١.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٩٤-١٩٥ .

(٨) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٦٤ .

(٩) الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : العصمة، تحقيق : صالح أحمد الدباب ، نشر مؤسسة البلاغ ، شمس هجر - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ص ٣٨ .

وعمارة مدينة الكون والنظام ؛ لأنها العدالة المطلقة ، المستلزمة لحفظ النسب الإيجادية الإلهية بين جميع الموجودات ، ويدعون رواية : بالعدول قامت السماوات والأرض ؛ لأنهم يسرون في أحوالهم، وأقوالهم، وأفعالها على مقتضاها فيرتفع الفساد من البلاد ^(١).

2- كما تظهر أهمية العصمة: في كونها شرطاً أساسياً في من ينوب عن النبي -ﷺ- بعد موته ؛ لاستكمال الإنذار ؛ ذلك لأن : " النبي -ﷺ- لم يكتف بإنذار من بعده إلا بنائب يبلغ عنه ، كما أنه في زمانه -ﷺ- بعث قوماً لإنذار من بعده عنه ، والفرق بين بعثه في حال الحياة ، والمنذر بعد الوفاة : أن في الأول لم يشترط العصمة ، بخلاف الثاني ؛ لأنه إن ظهر منهم فسق في حياته ، كان يمكنه عزلهم ، بخلافه بعد الوفاة ^(٢)، وهذا فيه طعن في النبي -ﷺ- بالتقصير في الدعوة ومهامها.

حكم منكر عصمة الأنبياء -ﷺ- : من دان بالوحدانية وصحة نبوة نبينا -ﷺ- ولكن جوز على الأنبياء فيما أتوا به المعصية، فهو: كافر بإجماع؛ كالمفلسفة، والروافض، وغلاة المتصوفة ^(٣)، وأصحاب الإباحة ^(٤)، فمضمون أقوالهم: إبطال الشرائع، وتعطيل الأوامر والنواهي، وتكذيب الرسل، والارتياح فيما أتوا به، وكذلك من أضاف إلى النبي -ﷺ- تعدد الكذب فيما بلغه، وأخبر به ، أو شك في صدقه ، أو سبه ، أو قال لم يبلغ ، أو استخف به ، أو بأحد من الأنبياء ، أو أزرى عليهم ، أو آذاهم ، أو قتل نبياً ، أو حاربه فهو: كافر بإجماع ^(٥).

(١) الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : العصمة ص ٤٥ - ٤٦ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٩٣ .

(٣) غلاة المتصوفة : فرق شتى يجمعهم القول بالحلول ، والاتحاد ، وبمشاهدة الله جهاً ، ووحدية الوجود ، وإسقاط الشرائع ، وتحليل المحرمات ، كالحلاجية. الأشعري: مقالات الإسلاميين ص ٢٧٨-٢٨٨ .
البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٦٠-٢٦٤ .

(٤) أصحاب الإباحة : الذين استباحوا المحرمات ، منهم : قبل الإسلام مثل المزدكية القائلين : بالشراسة في الأموال والنساء ، ومنهم بعد الإسلام مثل البابكية ، والمازيارية (المحمرة) ، وقيل : هم الملاحدة .
البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٢٦٦ .

(٥) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ٣٥٧ .

والرافضة القائلون : بمشاركة علي في الرسالة للنبي -ﷺ- وكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة ، أو من ادّعى النبوة لنفسه ، أو جوز اكتسابها ، والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها ، ومن ادّعى أنه يوحى إليه ، وإن لم يدع النبوة ، مكذبون للنبي -ﷺ-؛ لأنه أخبر أنه خاتم النبيين ، وأنه لا نبي بعده ، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره ، ولا شك في كفر هؤلاء قطعاً، إجماعاً، وسمعاً^(١).

من هم المعصومون عند الشيعة الاثني عشرية ؟

المعصومون عند الإمامية أربعة عشر هم : النبي -ﷺ- ، وفاطمة الزهراء -ﷺ- ، وجميع المؤمنين من الملائكة^(٢) والنبيين -ﷺ- ، والأئمة المعصومين واثنى عشر إماماً^(٣) . ويدعون أن النبي -ﷺ- ساوى السيدة فاطمة بعلي -ﷺ- ؛ فيقول : " ما سوى الله قط امرأة برجل ، إلا ما كان من تسوية الله -ﷻ- فاطمة لعلي ؛ فألحق الله -ﷻ- فاطمة بأفضل رجال العالمين"^(٤).

فيدعون أن الأئمة أفضل من الأنبياء في العصمة فيقولون : الأنبياء والأئمة معصومون في حال نبوتهم وإمامتهم من الكبائر والصغائر كلها ، والعقل يجوز عليهم ترك مندوب إليه على غير التعمد للتقصير والعصيان ، ولا يجوز عليهم ترك مفترض ، إلا أن نبينا -ﷺ- والأئمة كانوا سالمين من ترك المندوب والمفترض قبل حال إمامتهم وبعدها ، وأما الوصف لهم بالكمال في كل أحوالهم ؛ فهم كاملون في كل أحوالهم التي كانوا فيها حججاً لله تعالى

(١) علاء الدين بن العطار : الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ص ٢١٧-٢٢٦ بتصرف .

(٢) وينقض هذا قول أحد محدثيهم : إن ظاهر مذهب الإمامية أن إبليس كان من جملة الملائكة ، وإنما عصى بترك السجود ، وليس جميع الملائكة معصومين ، بل نقطع على أن الرسل منهم كذلك ، والباقي يجوز عليهم الخطأ ، وهو مذهب كثير من المفسرين والعلماء " . الشيخ الطوسي : الرسائل العشرة (رسائل الشيخ الطوسي) ص ٣٢٧ - ٣٢٨ . وعن أبي عبد الله : إن الله عرض ولاية أمير المؤمنين فقبلها الملائكة ، وأبأها ملك يقال له : فُطْرُس ، فكسر الله جناحه ، فلما ولد الحسين ، نزل مع جبريل ؛ ليهنئ النبي -ﷺ- فأمره أن يتمسح ويتمرغ بمهد الحسين ؛ لكي يشفى ، فقال رسول الله -ﷺ- : " فنظرت إلى ريشه ؛ وإنه ليطلع ، ويجري فيه الدم ، ويطول حتى لحق بجناحه الآخر " . محمدالصفار : بصائر الدرجات ص ١٠١ . الميرزا الطبرسي : مستدرك الوسائل ج ١٠ ص ٤١٠-٤١١ .

(٣) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٣٥ .

(٤) بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٤٨ - ٤٩ . الشاهرودي مستدرك سفينة البحار ج ٥ ص ٣٠٨ .

على خلقه إلى أن قبضهم الله تعالى^(١)، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من أحوالهم ، فقد جهلهم ، ومن جهلهم فقد كفر ، واعتقادنا فيهم أنهم موصوفون بالكمال والعلم من أوائل أمورهم إلى أواخرها ، لا يصفون في شيء من أحوالهم بنقص ولا بجهل ، وهي تفضل من الله^(٢) .

من أول من قال بعصمة الأئمة ؟ يترجح عند البعض : إن أول من قال بالعصمة هو ابن سبأ المتوفى (٤٠ هـ) ، ولكن من الباحثين قالوا : بأنه لم يرد نص عن ابن سبأ يتحدث فيه عن عصمة الأئمة ، وقيل : إن القول بالعصمة لم يعرف إلا على يد هشام بن الحكم المتوفى (١٩٠ هـ) ، ويؤيد هذا: أن القول بالعصمة نشأ ، وظهر في عصر جعفر الصادق - رحمه الله - ؛ لأن هشام من المعاصرين له^(٣) ، والله أعلم.

أدلة الشيعة الاثني عشرية على عصمة الأئمة :

أولاً : الأدلة العقلية من نصوصهم : من أهم هذه الأدلة: آية التطهير ، وقوله - ﷺ - : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾^(٤) إذ المذنب ظالم لنفسه ؛ فلا يستحق الإمامة كما قال تعالى: ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾^(٥).

ومن الروايات : عن علي بن الحسين: " الإمام منا لا يكون إلا معصوماً ، وليست العصمة في ظاهر الخلقة ؛ فيعرف بها ، فلذلك لا يكون إلا منصوفاً " ^(٦) عليه ، ومنها أنهم زعموا أن النبي - ﷺ - دعا علي - ﷺ - فقال : اللهم اهد قلبه ، وثبت لسانه ، قال علي - ﷺ - : فما شككت في قضاء بين اثنين ^(٧).

الأدلة العقلية على وجوب عصمة الأئمة :

(١) المفيد : تصحيح اعتقاد الإمامية ص ١٢٩ - ١٣٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٧ ص ٩٦ .

(٢) الشيخ الصدوق : الاعتقادات ص ٩٦ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٧ ص ٩٦ بتصرف .

(٣) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية ج ٢ ص ٧٧٧ بتصرف .

(٤) سورة البقرة : آية رقم ١٢٤ .

(٥) سورة فاطر : آية رقم ٣٢ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٩٤ .

(٧) حديث حسن لغيره . الإمام أحمد : المسند ج ١ ص ١١١ . وهو دليل غير صريح .

الدليل الأول : وفور علم الأئمة ؛ فلأجله يستحقون العصمة ؛ عن أبي جعفر: " الله أجل ، وأعز ، وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه " (١) ، عن علي بن الحسين أنه سئل : " الأئمة يعلمون ما يضر ؟ فقال : علمت والله ما علمت الأنبياء والرسل ... ونزاد ما لم تزد الأنبياء " (٢).

الدليل الثاني : الممكنات تحتاج في وجودها وعدمها إلى علة ليست من جنسها إذ لو كانت من جنسها لاحتاجت إلى علة أخرى واجبة غير ممكنة ، كذلك الخطأ من البشر ممكن فإذا أردنا رفع الخطأ الممكن يجب أن نرجع إلى المجرد من الخطأ وهو المعصوم ، ولو جاز على الإمام الخطأ ؛ لافتقر إلى إمام آخر يسدده ، وينقل الكلام إليه ، ويتسلسل ، أو يثبت المطلوب ، وهو وجوب عصمة الإمام من الزلل أو الخطأ ؛ ولأنه حافظ للشرع ، فلو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه الزيادة فيه ، والنقصان منه؛ فيجب أن يكون الإمام له من الصفات ما ليس لغيره من البشر ، حتى يستطيع أن يعصمهم من الضلال بعصمته منه (٣) .

الدليل الثالث : إن الله نصب الإمام ليكون حجة على عباده، ولولا استحقاقه العصمة؛ لصارت الطاعة منه معصية ، والمعصية طاعة؛ لأن الناس إن أطاعوه عصوا الله، والعكس، وهذا مستحيل، فوجب العصمة للإمام ، ولو فعل الخطيئة، فإما أن يجب الإنكار عليه أو لا، فإن وجب عليه الإنكار سقط محله من القلوب، ولم يتبع، والغرض من نصبه إتباعه، وإن لم يجب الإنكار عليه، سقط وجوب النهي عن المنكر وهو باطل (٤).

الدليل الرابع : يقول الشيعة إن مفهوم الإمام يتضمن معنى العصمة ؛ لأن الإمام لغة هو المؤتم به، فلو جاز عليه الذنب ، فحال إقدامه على الذنب إما أن يقتدى به أو لا ، فإن كان الأول كان الأول كان الله تعالى قد أمر بالذنب وهذا محال ، وإن كان الثاني - خرج الإمام عن كونه إماما فيستحيل رفع التناقض بين وجوب كونه مؤتما به وبين وجوب الأمر

(١) محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ١٥٧ - ١٥٨ . الكليني : الأصول الكافي ج ١ ص ٣١٨ .

(٢) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٢٧٩ .

(٣) د أحمد الوائلي : هوية التشيع ، نشر مركز الأبحاث العقائدية - قم ، ط ٢ ، د ت ص ١٤٦ بتصرف .

(٤) المفيد:النكت الاعتقادية، تحقيق:رضا المختاري، ط مهر- قم، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ

المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ص ٤٠ .

بالمعروف والنهي عن المنكر إلا بتصور أن العصمة متضمنة في مفهوم الإمام ولازمة لوجوده (١) .

هل العصمة تقتضي الإجبار ، ويتمكن المعصوم من فعل المعصية ؟ أم أنه مجبر على الطاعة ؟

يدعي الشيعة : بأن العصمة مؤكدة للاختيار لا منافية له، وفرق بين أن نحكم قطعاً بعدم إمكان صدور المعصية منه رأساً؛ لأنه لا يريدّها، وبين أن نحكم بعدم إمكان إرادته لها؛ لعدم إمكان صدورّها منه (٢) ، إذ العصمة من الله تعالى لحججه هي التوفيق ، واللفظ ، وتفضل من الله تعالى على من علم أنه يتمسك بعصمته ، والاعتصام فعل المعتصم ، وليست العصمة مانعة من القدرة على القبيح ، ولا مضطرة للمعصوم إلى الحسن ، ولا ملجئة له إليه ، بل هي الشيء الذي يعلم الله تعالى أنه إذا فعله بعبد من عبيده لم يؤثر معه معصيته له ، وليس كل الخلق يعلم هذا من حاله ، بل المعلوم منهم ذلك هم الصفوة والأخير، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) ، والأئمة معصومون في حال نبوتهم وإمامتهم ، من الكبائر، ومن الصغائر (٥).

فإن قيل : "معصوم اسم مفعول ؛ فيكون مجبوراً ، ولا فخر في ذلك على إنسان ؟ قلنا : العصمة الملجئة من الله إنما هي من الغلط والنسيان ، وأما العصمة التي لا يقع منها عصيان ؛ فهي لطف يفعله الله ، لا يوجب الإجبار ؛ فالمعصوم يترك الذنوب ؛ إما للطف من نفسه بزيادة عقله ، وعلمه، وإنما استحق المعصوم العصمة بكسبه أسبابها ، وباقي الرعية ليس ذلك فيهم ، ولا يقال : الأنفس متساوية ، فهذا ترجيح بلا مرجح ؛ فنقول : يجوز للفاعل بالاختيار أن يرجح بلا مرجح ، ولو كانت الأفعال متساوية ؛ لعمل الجميع

(١) د أحمد الوائلي : هوية التشيع ص ١٤٧ .

(٢) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ، تذييل العلامة الزنجاني ص ٣١٦ .

(٣) سورة الأنبياء : آية رقم ١٠١ .

(٤) سورة الدخان : آية رقم ٣٢ .

(٥) الشيخ المفيد : تصحيح اعتقاد الإمامية ص ١٢٨ - ١٢٩ .

نفس العمل في نفس الوقت ، وهذا باطل ، وما دام ذلك لا يحدث ؛ فوجب القول بالاختيار للمعصوم وغير المعصوم ^(١).

والراجح : أن العصمة لا تنافي القدرة ، بل المعصوم قادر على فعل المعصية ، وإلا لما استحق المدح على ترك المعصية ، ولا الثواب ، ولبطل الثواب والعقاب في حقه ، فكان خارجاً عن التكليف ، وذلك باطل بالإجماع ^(٢) ، وحكومة الفقيه وولايته هي من فروع ولاية الإمام ، وحكومته لا شيء في مقابلها ، حتى ينافي اشتراط العصمة ^(٣).

الخلاف بين الفرق في عصمة الأنبياء - عليه السلام : ليس في الفرق الإسلامية من يوجب للأنبياء العصمة مطلقاً ، صغيرة كانت ، أو كبيرة ، قبل النبوة ، وبعدها إلا الشيعة الإمامية الاثني عشرية .

ثم إن الخلاف الواقع بين علماء الفريقين يرجع إلى أقسام أربعة : أحدها : ما يقع في باب العقائد ، وثانيها : ما يقع في باب التبليغ ، وثالثها : ما يقع في الأحكام والفتيا ، ورابعها : في أفعالهم وسيرهم ^(٤).

الأول : فيما يرجع إلى الاعتقاد كالشرك والكفر والضلال ، فلا خلاف بين المسلمين في نفي ذلك عنهم ، وأجمعت الأمة على عصمتهم عنها قبل النبوة وبعدها ، إلا ما يحكى عن بعض الخوارج من الأزارقة ^(٥) يرون : جواز صدور الذنب عنهم ؛ لأنهم يذهبون إلى تكفير مرتكبي الذنوب مطلقاً ، بل تجاوزوا إلى تجويز الكفر على الأنبياء - عليهم السلام - ، فقالوا : يجوز أن يبعث الله نبياً علم أنه يكفر بعد نبوته ! ^(٦) ونقول : قال تعالى عن شعيب - عليه السلام - : ﴿

(١) زين الدين علي بن يونس العاملي النباطي البياضي : الصراط المستقيم إلى معرفة من يستحق التقديم ، نشر المكتبة المرتضوية لأحياء الآثار الجعفرية - طهران ، د ج ١ ص ١١٦ - ١١٨ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٧ ص ٩٤ . الشاهدي : مستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٢٥٦ .

(٣) الشيخ المفيد : أوائل المقالات تذييل العلامة الزنجاني ص ٣٧٧ .

(٤) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٦٤ - ١٦٥ بتصرف .

(٥) الأزارقة : من الخوارج ، أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق غلبوا على بلدان من فارس أيام ابن الزبير ، إلى أن هزمهم المهلب بن أبي صفرة في أيام الحجاج ، يكفرون علناً والصحابه ، وأباحوا قتل أطفال المخالفين ، ومنعوا التقية ، وجوزوا الكفر على الأنبياء ، ويكفرون مرتكب الكبيرة . الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٠١ - ١٠٤ .

(٦) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٦٤ - ١٦٥ بتصرف .

قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا ﴿١﴾ ، فكيف نجوز عليهم الكفر وقد سماه شعيب - عليه السلام - افتراءً وكذباً ؟ .

الثاني : أما فيما يرجع إلى تبليغ الرسالة ، وبيان الأحكام ، فقد اتفقت الأمة بل جميع أرباب الملل والشرائع : على وجوب عصمتهم عن الكذب ، والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ ، عمداً أو سهواً ، ونسب إلى بعض الأشاعرة (٢) ، وهو أبو بكر الباقلاني (٣) تجويز ذلك عليهم إذا كان من جهة السهو ، والنسيان ، وفلتات اللسان (٤) .

ونقول قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (٥) .

الثالث : أما ما يتعلق بالفتيا ، فأجمعوا على أنه لا يجوز خطأهم فيه عمداً ، ولا سهواً ، إلا شذمة قليلة من العامة - (٦) ويقصدون بذلك - مدعين - أنهم أهل السنة .

الرابع : أما ما يتعلق بالأفعال ، وهو الذي يقع في أفعالهم فقد اختلفوا فيه على خمسة أقوال :

القول الأول : مذهب أصحابنا الإمامية : وهو أنه لا يصدر عنهم الذنب ، لا صغيرة ، ولا كبيرة ، ولا عمداً ، ولا نسياناً ، ولا لخطأ التأويل ، ولا للإسهاء من الله سبحانه ، ولم يخالف فيه إلا الصدوق (١) ، فإنه جوز الإسهاء ، لا السهو الذي يكون من الشيطان .

(١) سورة الأعراف : آية رقم ٨٨ - ٨٩ .

(٢) الأشاعرة : أصحاب أبي الحسن الأشعري ، أثبتوا لله بعض الصفات ، ولهم نظرية الكسب ، ويحكمون النص في كل قضايا الاعتقاد ، ولهم تأويل في بعض الصفات ، والفرق بين الأشاعرة والأشعرية أن الأشعرية في مقابلة الماتريدية ، وهم الذين تبعوا أبا الحسن الأشعري . والأشاعرة في مقابلة المعتزلة شاملة للماتريدية ، والأشعرية . والأشاعرة إذا وقعت في مقابلة الحكماء فالمراد بها المتكلمون . الشهرستاني: الملل والنحل ص ٧٨-٨٨ بتصرف .

(٣) الباقلاني : القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني البصري ، الأشعري ، المتكلم ، المولود ٣٣٨هـ / ٩٥٠م ، سكن بغداد ، انتهت إليه رئاسة الأشاعرة في زمانه ، وله تصانيف منها : إعجاز القرآن ، وكشف الأسرار الباطنية ، والملل والنحل ، توفي ٤٠٣هـ / ١٠١٣م . بحار الأنوار ج ١١ ص ٨٩ . الشهرستاني : الملل والنحل هامش ص ٨٠ . سير أعلام النبلاء ج ١٣ ص ١٠٦ - ١٠٨ .

(٤) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٦٤-١٦٥ بتصرف .

(٥) سورة النجم : آية رقم ٣ - ٤ .

(٦) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٦٤-١٦٥ بتصرف .

القول الثاني : لا يجوز عليهم الكبائر ، ويجوز عليهم الصغائر ، إلا الصغائر الخسيسة المنفرة كسرقة حبة أو لقمة ، وكل ما ينسب فاعله إلى الدناءة والضعة ، وهذا قول أكثر المعتزلة ^(٢) .

القول الثالث : أنه لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ، ولا كبيرة ، على جهة العمد ، لكن يجوز على جهة التأويل ، أو السهو ، وهو قول أبي علي الجبائي ^(٣) .

القول الرابع : أنه لا يقع منهم الذنب إلا على جهة السهو والخطأ ، لكنهم مآخذون بما يقع منهم سهواً ، وإن كان موضوعاً عن أمهم هذه المؤاخظة ؛ لقوة معرفتهم ، وعلو رتبتهم ، وكثرة دلائلهم ، وإنهم يقدرون من التحفظ على ما لا يقدر عليه غيرهم ، وهو قول النظام ^(٤) ، وجعفر بن مبشر ^(٥) ، ومن تبعهما ^(٦) .

(١) يقول الصدوق : وليس سهو النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - كسهونا ؛ لأن سهوه من الله إنما هو إسهاء ؛ ليعلم أنه بشر مخلوق ؛ فلا يتخذ رباً ومعبوداً دونه ، وليعلم الناس بسهوه حكم السهو ، وسهونا عن الشيطان ، وليس للشيطان على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والأئمة سلطان . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٠٣ . الشاهدي : مستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٣١٦ .

(٢) أجمع أهل السنة على عصمة الأنبياء من الصغائر المزرية ؛ لأن ذلك طعناً فيهم ، أما الصغائر غير المنفرة ؛ فهذا وقع الخلاف فيه ، وهو خلاف سائغ ، والراجح : عصمتهم من تعدد المعاصي عموماً . د ياسر برهامي : المنة شرح اعتقاد أهل السنة ص ٢٦٧ بتصرف .

(٣) أبو علي محمد بن عبد الوهاب البصري الجبائي ، شيخ المعتزلة ، كان متوسعاً في العلم ، نزل علم الكلام ، وسهله ، وكان يقف في أبي بكر وعليّ : أيهما أفضل ؟ مات بالبصرة ٣٠٣ هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١١ ص ٢٤١-٢٤٢ .

(٤) إبراهيم بن سيار بن هاني البصري ، أبو إسحاق النظام من أئمة المعتزلة ، تبحر في الفلسفة ، وانفرد بآراء تابعته فيها (النظامية) ، وأما شهرته بالنظام فأشيعه يقولون : إنها من إجادته نظم الكلام ، وخصومه يقولون : إنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة . عاشر النظام في شبابه قوماً من الثنوية ، والسمنية ، وملاحدة الفلاسفة ، وأخذ عنهم ، توفي ٢٣١ هـ . انظر الزركلي : الأعلام ج ١ ص ٤٣ .

(٥) جعفر بن مبشر بن أحمد الثقفي : متكلم ، من كبار المعتزلة ، توفي ببغداد سنة ٢٣٤ هـ . انظر الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ١٢٦ .

(٦) قلت : وقوع المخالفة من الأنبياء ، وتسمية ذلك ذنباً ؛ صرح به القرآن ؛ قال تعالى : ﴿ لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ، الفتح : ٢ ، وقال تعالى : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ ، طه : ١٢١ . وإن كنا لا نسمي ذلك معصية ولكن الذنب في اللغة واسع المعنى يشمل كل مخالفة حتى وإن دقت : من صغيرة وزلة ، لكن من الأدب ألا يقال إلا من باب التنظير فقط .

القول الخامس : يجوز عليهم الكبائر ، والصغائر ، عمداً ، وسهواً ، وخطأً ، وهو قول الحشوية ^(١) ، وكثير من أصحاب الحديث من العامة ^(٢) ، يعني : أهل السنة . وهذا من باب الافتراء على أصحاب الحديث فإنهم لا يقولون بذلك ، فالجمهور من أهل السنة والفقهاء قائلون : بأنهم معصومون من ذلك من قبل الله ، معصمون باختيارهم وكسبهم ^(٣) .

القول الراجح عند الشيعة : إن الأنبياء -عليهم السلام- والأئمة من بعدهم معصومون في حال نبوتهم ، وإمامتهم من الكبائر ، والصغائر كلها ، والعقل يجوز عليهم ترك مندوب إليه على غير التعمد ، لا للتقصير والعصيان ، ولا يجوز عليهم ترك مفترض إلا أن نبينا محمداً -عليه السلام- والأئمة من بعده كانوا سالمين من ترك المندوب ، والمفترض قبل حال إمامتهم وبعدها ^(٤) . ونقول : إن ذنوب الأنبياء -عليهم السلام- من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، بمعنى أنهم لعلو شأنهم قد يؤخذون بأشد مما يؤخذ به غيرهم ، فترك الأفضل في حقهم يسمى ذنباً كقوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ ^(٥) ، والخطأ كقوله تعالى : ﴿ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ﴾ ^(٦) ، والنسيان كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَيَّ وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ ^(٧) ؛ والفتور عن الذكر كقوله -عليه السلام- : " إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ " ^(٨) ، فإنه يسمى ذنباً من باب المجاز فقط؛ ولكنهم يستغفرون الله -عليه السلام- ويتوبون إليه منها ^(٩) .

(١) الحشوية : الحشو لغة : ما تملأ به الوسادة ، واصطلاحاً : الزائد الذي لا طائل تحته ، والحشوية : الذين يحشون الأحاديث التي لا أصل لها في المروية عن النبي -عليه السلام- ويدخلونها فيها ، وجميعهم يقولون : بالجبر والتشبيه . انظر الشيخ المفيد : المسائل السرورية ، تحقيق : صائب عبد الحميد ، ط مهر - قم ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ - هامش ص ٤٧ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ١١ ص ٨٦ - ٩٠ بتصرف .

(٣) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ١٩٥ - ١٩٧ بتصرف .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٧ ص ٩٧ .

(٥) سورة عبس : آية رقم ١ .

(٦) سورة القصص : آية رقم ١٥ .

(٧) سورة طه : آية رقم ١١٦ .

(٨) رواه البخاري : فتح الباري ج ١١ ص ١١٤ . رواه مسلم :: شرح مسلم ج ١٧ ص ٢٦ - ٢٧ .

(٩) د ياسر برهامي : المنة شرح اعتقاد أهل السنة ص ٢٦٨ .

المبحث الثاني

آثار التقديس على عقيدة العصمة

المطلب الأول : أثر تقديس الأئمة على مكانة القرآن الكريم

أولاً : ظهور آثار التقديس في الاعتقاد بأن القرآن ليس بحجة إلا بقول الأئمة^(١) :

من إدعاءات الشيعة وللأسف هي من أصولهم أن القرآن لا يكون حجة إلا بقيم^(٢)، وأن علياً كان قيم القرآن ، وكانت طاعته مفترضة ، فالقرآن في حاجة للإمام ؛ لأن القرآن يخاصم به المرجئ^(٣)، والقدري ، والزنديق الذي لا يؤمن به ، حتى يغلب الرجال بخصومته^(٤) ، وأتعجب من هذا القول حيث لم يقولوا أن الحجة على القرآن هو صاحب الدعوة -ﷺ؛ فبأي عقل اهتدوا إلى هذا الدليل العقلي ؟ ولماذا لا يكون القرآن دستوراً وحيداً للتشريع بعد موت النبي -ﷺ- ؟ فيدعون أن علياً -ﷺ- قال : " فاستنطقوه فلن ينطق لكم ، ولكن أخبركم عنه "^(٥) ، ويكذبون فإنه قال كما سنوثق بعد ذلك في النقد : هو لسان الله الناطق . وتدعي الشيعة أن الرسول -ﷺ- رحل وخلف في أمته وديعتين عظيمتين^(٦) : "الكتاب والعتره"^(١)،

(١) قالت الشيعة : بأن معظم روايات الكافي ضعيفة ؟ ! وليس لدينا صحيح إلا القرآن ؟ فكيف يدعون بعد هذا أن التفسير الإلهي للقرآن موجود في كتاب معظم رواياته ضعيفة . سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ٢١ - ٢٢ .

(٢) عن الصادق : " إن الله أنزل في القرآن نبياناً لكل شيء ، حتى والله ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد ، حتى لا يستطيع عبد أن يقول : لو كان هذا أنزل في القرآن ؟ إلا وقد أنزله الله فيه " . الكليني : الكافي ج ١ ص ١١٣ . الحر العاملي : الفصول المهمة ج ١ ص ٤٨٢ .

(٣) المرجئة : فرقة قالت بتأخير العمل عن النية ، وأنه لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ، ويوكلون الحكم في مرتكب الكبيرة إلى الله في الدنيا والآخرة . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ص ١١٦ .

(٤) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٤٤ . بتصرف . الصدوق : علل الشرائع ص ١٩٠ . بتصرف .

(٥) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١١٥ . الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٧ ص ٣٣٦ .

(٦) يعني : أن المعيار في العلم بحسن الأشياء وقبحها ، وما يجب فعلها وتركها ؛ الشريعة المقدسة ، وما صدر في ذلك عن أهل بيت العصمة ! . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٣ ص ٦٣ .

وأمر بالتمسك بهما إلى يوم القيامة^(٢)، كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة^(٣)، والسنة المعتبرة سنة المعصومين من أهل البيت^(٤)، وهذا ضرب من التخييط ؛ حين ترى أن أهل البيت يستخدمون التقية ، فكيف نهدي لصحة أقوالهم ، ومناط أحكامهم ، إلا بأقوال غير المعصومين من علمائهم وفقهائهم ؟ فنحور بلا فائدة !.

وساواوا في التشريع بين أقوال أئمتهم وأقوال الله ورسوله - نعوذ بالله - فيدعون عن أبي عبد الله : " حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين ، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله - ﷺ - ، وحديث رسول الله قول الله - عز وجل - " (٥) ؛ وهذا إسناد ذهبي لا يدعيه إلا من غالى في التقديس وغرق في بحوره^(٦).

ويدعون العصمة للأئمتهم من يوم الولادة ؛ فيكذبون على أبي عبد الله : ولدني رسول الله - ﷺ - وأنا أعلم كتاب الله ، وفيه بدء الخلق ، وما هو كائن إلى يوم القيامة^(٧) .

(١) رواه مسلم بلفظ : قام رسول الله - ﷺ - يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ووعظ وذكر ، ثم قال أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي فقال له حصين ومن أهل بيته ؟ يا زيد أليس نسأوه من أهل بيته ؟ قال نسأوه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال كل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال نعم. النووي: شرح مسلم ج ١٥ ص ١٨٨-١٨٩. ورواه الطبراني بلفظ : " أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنِ اخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَمْرَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ ، حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ "الطبراني: المعجم الكبير ج ٣ ص ١١٠. النسائي: السنن الكبرى ج ٨ ص ٣٦٢-٣٦٣.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥ ص ٢١. المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٩ ص ٣٦٠.

(٣) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٢٣. المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١ ص ٨٨.

(٤) الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٥) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٠٥. الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٨٣ - ٨٤.

(٦) قال علي-ﷺ-: إذا حدثتم بحديث فأسندوه إلى الذي حدثكم به ، فإن كان حقاً فلكم ، وإن كان كذباً فلعنكم . الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ١٠٤.

(٧) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١١٥. محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٢٣٤.

وينتقصون حجية التشريع في عهد النبي -ﷺ- فيدعون : أن حكمة التدريج اقتضت بيان جملة من الأحكام، وكتمان جملة ، ولكن النبي -ﷺ- أودعها عند أوصياؤه ، كل وصي يعهد بها إلى الآخر ؛ لينشرها في الوقت المناسب لها ، حسب الحكمة ، من عام^(١) مخصص^(٢)، أو مطلق^(٣) مقيد^(٤) ، أو مجمل^(٥) ، مبين^(٦)، إلى أمثال ذلك ، فقد يذكر النبي -ﷺ- عاماً ، ويذكر مخصصه بعد برهة من حياته ، وقد لا يذكره أصلاً ، بل يودعه عند وصيه إلى وقته^(٧) ، وكأنهم لم يعلموا أن الدين كمل والنعمة تمت ، وهي النعمة الوحيدة في القرآن الكريم التي أتمها الله على عباده نزولاً ، وتشريعاً ، ويدعون أن الناس يكفيهم القرآن ؛ لو وجدوا له مفسراً ، وإن رسول الله -ﷺ- فسر له لرجل واحد، وهو علي بن أبي طالب إبان أجله^(٨) ، ومن يبتغي علمه عند غير عليّ هلك^(٩). فمنهم من منع فهم شيء منه مطلقاً ،

(١) العام: لغة الشامل ، اصطلاحاً : اللفظ الدال على جميع أجزاء ماهية مدلوله ؛ فيجمع أنواع ، أو أجناس ، أو أفراد، بلا حصر فيحتاج إلى غيره ليخصص نوعاً، أو جنساً، أو فرداً . أيمن موسى : غاية المأمول ص ٣٦٢ - ٣٦٣.

(٢) الخاص : لغة الأفراد ، اصطلاحاً : اللفظ الدال على مسمى واحد ؛ فيقصر حكم العام على بعض أفراده . مثل : الوصية جائزه لكل الأقارب ، ويخصصها : بغير الورثة . أيمن موسى : غاية المأمول ص ٣٦٣ بتصرف .

(٣) المطلق : لغة ضد المقيد ، واصطلاحاً : ما كان شائعاً في جنسه ؛ فيدل على فرد غير معين ، مثل : الوصية جائزه في كل الحالات ، ويقيدها غير مضار . أيمن بن علي موسى : غاية المأمول ص ٣٩٣ .

(٤) المقيد : لغة ما يحد الحركة ، واصطلاحاً : ما قيد بوصف ، مثل عتق الرقبة في كفارة الظهار ، قيدت بالمؤمنة . أيمن بن علي موسى : غاية المأمول في شرح البداية في الأصول ص ٣٩٤ بتصرف .

(٥) المجمل : لغة المبهم ، اصطلاحاً : ما احتمل أكثر من معنى دون رجحان ؛ فيحتاج في فهم مراده إلى غيره ، إما بتعيينه ، أو ببيان صفته ، أو مقداره ، مثل : لفظ القرء هل يعني (الحيض أم الطهر) فيحتاج تفسير معناها للفظ يوضح المراد منه . أيمن بن علي موسى : غاية المأمول ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٦) المبين : لغة الموضح ، اصطلاحاً : ما دل على المعنى المراد ؛ فاستقل بنفسه في الدلالة على معناه ، مثل لفظ السماء . أيمن بن علي موسى : غاية المأمول في شرح البداية في الأصول ص ٣٥٩ .

(٧) محمد الحسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة أصولها ص ١٦٢ بتصرف يسير .

(٨) الكليني:أصول الكافي ج ١ ص ٣٠٥ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٧٨ .

(٩) الصدوق : الأمالي ص ٥٨ . بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٩٤ . الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٨٦ .

حتى مثل قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ^(١) إلا بتفسير من أصحاب العصمة ^(٢) ، لأن أخبار المنع أكثر عدداً ، وأصرح دلالة على عدم جواز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر القرآن إلا من بعد تفسيرها من الأئمة ؛ فهم الذين ورثوا الكتاب ، وهم الذين عناهم الله في قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ ^(٣) ^(٤).

وقد قرر هذا هشام بن الحكم حين قال : هل نفعلنا الكتاب والسنة في رفع الاختلاف عنا ؟ فإن قلت لم نختلف كذبت ، وإن قلت أن الكتاب والسنة يرفعان عنا الاختلاف أبطلت ؛ لأنهما يحتملان الوجوه ، فما الحجة ؟ وإنما أراد الله بتعميته عليهم أن ينتهوا إلى بابه ، وصراطه ، ويعبدوه ، وينتهوا في قوله إلى طاعة القوأم بكتابه ، والناطقين عن أمره ، وأن يستنبطوا ما احتاجوا إليه من ذلك عنهم لا عن أنفسهم ^(٥).

ويدعون أن علياً - عليه السلام - فضل نفسه على القرآن والرسول فقال: "القرآن كتاب الله الصامت، وأنا كتاب الله الناطق" ^(٦) ، وهو المخاطب به دون رسول الله ^(٧) ، وعليه نزل قبل الناس ، وله فسر قبل الناس ^(٨) ، فإذا دار الأمر بين التحفظ على قول الإمام ، وما نطق به القرآن ، فلا بد من اتباع الإمام ؛ لأن الله تعالى فوض للنبي - صلى الله عليه وآله - والأئمة أمر الدين ^(٩) الله أكبر هذا بهتان عظيم نبرأ إلى الله منه ! .

نتساءل هل يجوز أن نقول : قال تعالى مكان قولنا قال الإمام ؟ فيجيبون بجسارة وسوء أدب مع الله - عز وجل - : أن حديث كل واحد من الأئمة قول الله - عز وجل - ولا اختلاف في أقوالهم ؛ كما لا خلاف في قوله تعالى ، وجه الاتحاد ظاهر لمن له عقل سليم ... فعلى هذا يجوز من

(١) سورة الإخلاص : آية رقم ١ .

(٢) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ج ١ ص ٢٧ .

(٣) سورة العنكبوت : آية رقم ٤٩ .

(٤) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ج ١ ص ٢٧ .

(٥) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١ ص ٢٨-٢٩ بتصرف .

(٦) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٣٤ . البحراني: الحقائق الناضرة ج ١ ص ٣٠ . مستدرك سفينة البحار ج ٩ ص ٢١ .

(٧) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ج ١٧ ص ٣٣٥ . عن أبي عبد الله .

(٨) محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٢٣٤ . وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٩٧ . بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٩٦ .

(٩) الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٣٢٣ . بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٤٨ - ٣٥٠ .

سمع حديثاً عن أبي عبد الله أن يرويه عن أبيه ، أو عن أحد من أجداده ، بل يجوز أن يقول : قال الله تعالى ؟ قال أبو عبد الله: بجوازه بل بأولويته^(١).
وسأل أحد الرواة أبا عبد الله: "الحديث أسمع منك أرويه عن أبيك^(٢)، أو أسمع من أبيك أرويه عنك؟ قال : سواء ، إلا أنك ترويه عن أبي أحب إلي ! بل ما سمعت مني فاروه عن أبي^(٣).

ويدعون حق التشريع للأئمتهم فيفترون عن أبي جعفر: من أحلنا له شيئاً أصابه من أعمال الظالمين^(٤)؛ فهو حلال ، لأن الأئمة منا مفوض إليهم ، فما أحلوا فهو حلال ، وما حرموا فهو حرام^(٥) ، والناس عبيد^(٦) لنا في الطاعة^(٧)، فإن الله خلق الخلق وفوض إلينا أمر الدين ، نحن المحلّون لحلاله ، والمحرمون لحرامه^(٨).

نقد هذا الأثر : يرد عليهم قوله -عليه السلام-: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾^(٩).

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي ج ٢ ص ٢٧٢.

(٢) هذا الفعل : يسمى في مصطلح الحديث حديث ضعيف منقطع ، يعني : سقط من الإسناد رجل ، وهذا فتح الباب لهم أن يرووا ما شاءوا عن الأئمة ، ويتخيرون القائل من المعصومين بلا تورع . ابن كثير : الباعث الحديث ص ٤٦.

(٣) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٠٤ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٥٥ .

(٤) وكأنهم ما سمعوا قول النبي -عليه السلام-: " أَيُّهَا النَّاسُ : إِنَّهُ لَيْسَ بِي تَحْرِيمٌ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لِي " ، وقوله : وَإِنِّي لَسْتُ أَحْرَمُ حَلَالًا ، وَلَكِنِّي أَحِلُّ حَرَامًا " وقال أيضاً : " الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ إِلَّا شَرْطًا حَرَّمَ حَلَالًا ، وَأَحَلَّ حَرَامًا ، وَالصُّلْحُ جَائِزٌ بَيْنَ النَّاسِ ، إِلَّا صُلْحًا أَحَلَّ حَرَامًا ، أَوْ حَرَّمَ حَلَالًا . النووي : شرح صحيح مسلم ج ٥ ص ٥٤ . ابن حجر: فتح الباري ج ٦ ص ٢٣٩ . الطبراني: المعجم الكبير ج ١٧ ص ٢٢ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٣٤ . محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٤٢٥ .

(٦) قال الرضا : اللهم أنت شاهد بأنني لم أقل ذلك قط ، ولا سمعت أحداً من آبائي قال ذلك قط ، وإذا كانوا عبيداً لنا فممن نبيعهم . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٦٨ .

(٧) وسائل الشيعة ج ٢٣ ص ٢٦٢ . بحار الأنوار ص ٢٥ ص ٢٧٩ . جواهر الكلام ج ٣٥ ص ٢٣٢ . عن الرضا .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٣٩ . عن رسول الله -عليه السلام-.

(٩) سورة آل عمران : آية رقم ٧٩ .

ومن الراجح : أن هذا القول يرجع لابن سبأ اليهودي حيث قال : " القرآن جزء من تسعة أجزاء ، وعلمه عند علي - عليه السلام - ؛ فنهاه علي - عليه السلام - " (١) .

وإن سلمنا بهذا الباطل ، فهذا يضعهم في مأزق صعب حين يأتي سائل لأبي عبد الله فيسأله : " جعلتُ فداك يأتينا الرجل من قبلكم ، يُعرفُ بالكذب ؛ فيحدث بالحديث ؛ فنستبشعه (٢) ؟ ، فقال أبو عبد الله يقول لك : إني قلت لليل إنه نهار ، أو للنهار إنه ليل ؟ قال : لا ، قال : فإن قال لك هذا أني قلته ، فلا تكذب به ؛ فإنك إنما تكذبن (٣) ، فكيف يكون قول الله بشعاً تعالى الله عما يقول الظالمون ! . وهذا يناقض أبسط قواعد المنطق : أن الشيء هو نفسه ، ولا يكون غيره ، بلا ثالث بينهما ، فكيف يكون الليل نهاراً ، والحق باطلاً ، أليس هذا من غبن (٤) العقل ، ونقصه ، وكيف يعرف الحق بهدي مثل هذا الهدي ؟ وكأن كلام الأئمة يحتاج إلى أئمة لتفسيره ! .

وتعجب حين تقرأ أن الأئمة إذا ظهر القائم حكموا بحكم داود ، وآل سليمان ، ولا يسألون البينة (٥) - مع أن القرآن نسخ شرع كل من سبقه من الأمم - .

وعن أبي الحسن : ولا تقل لما بلغك عنا ، أو نسب إلينا هذا باطل ؛ وإن كنت تعرف خلافه ؛ فإنك لا تدري لم قلنا ، وعلى أي وجه وصفة (٦) . وعن أبي عبد الله : لا تكذبوا بحديث أتاكم به أحد ؛ فإنكم لا تدرون لعله من الحق ؛ فتكذبوا الله فوق عرشه (٧) .

حتى ولو حكموا في الآية الواحدة بأحكام مختلفة ، ولو في مجلس واحد ، فعلينا السمع والطاعة ؛ فعن أبي عبد الله : أنه سأله رجل عن آية من كتاب الله ؛ فأخبره بها ، ثم سأله آخر عن تلك الآية ؛ فأخبره بخلاف ما أخبر به الأول ، قال الراوي : فدخلني من ذلك ما شاء الله ، حتى كأن قلبي يشترح بالسكاكين ؛ فقلت في نفسي : تركتُ عالماً بالشام لا

(١) السيد مرتضى العسكري : عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى ج ٢ ص ٢٣٩ .

(٢) بشع الطعام : صار طعمه كريهاً ، وبشع الفم : تغيرت رائحته ، وبشع الوجه : قبح منظره . المعجم الوسيط ص ٥٨ .

(٣) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٥٨١ - ٥٨٢ .

(٤) غبن رأيه : ضعف ونقص ، وغلبه الجهل . انظر المعجم الوسيط ص ٦٤٣ - ٦٤٤ بتصرف .

(٥) بروايات متعددة . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤٦٢ - ٤٦٣ . المازندراني : شرح أصول الكافي ج ٢ ص ٣٩٣ .

(٦) الكليني : روضة الكافي ج ٨ ص ١٠٨ . محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٥٨١ - ٥٨٢ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ١٨٦ . محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٥٨١ - ٥٨٢ .

يخطئ في الواو ، ولا في شبهة ، وجئت إلى هذا يخطئ هذا الخطأ كله ، فبينما أنا كذلك إذ دخل عليه آخر ، فسأله عن تلك الآية ، فأخبره بخلاف ما أخبرني ، وأخبر صاحبي ؛ فسكنت نفسي ؛ فعلمت أن ذلك منه تقية ، ثم التفت إليه أبو عبد الله فقال : إن الله فوض إلى سليمان -عليه السلام- فقال : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ^(١) ، وفوض إلى نبيه -عليه السلام- فقال : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ ^(٢) ، فما فوض إلى رسول الله -عليه السلام- فقد فوضه إلينا ^(٣).

وكان الواجب على الراوي أن يسأل الإمام عن حكم التقية ؟ ثم يطلب منه بيان أي الأقوال منها يعمل بها من هذه الأقوال المختلفة ؟ وهل فعل النبي -عليه السلام- ذلك ؟ وهل هذا من كتمان العلم ؟ وهل الثلاثة من الشيعة أم من غيرهم حتى يتقيهم ؟ كل هذا قبل أن تسكن نفسه !.

وهذا النوع هو الذي يسميه العلماء - إن أحسن الظن بهم - : تغير الفتوى بتغير الزمان ، أو بتغير الحال ، أو بتغير المكان ، أو بتغير الشخص ، أو بتغير النيات ، أو بتغير العوائد (مثل تغيير المنكر بما هو أنكر ، أو فعل حلال يؤدي إلى حرام) ، وليس المقصود بتغير الفتوى -كما يظنه البعض- التلاعب بالنصوص الشرعية ، والدعوة إلى الأمور المحرمة ، وهذا لا يصدر من إنسان عالم قرأ نصوص الكتاب والسنة ، وفكر في دين الله ، وشرع الله ، ولكن قد توجد أمور تقتضي تغير الأحكام كما ذكرنا .

ومن المعلوم عند أهل العلم أن تغيير الفتوى في المسألة الواحدة من العالم الواحد لا بد له من سبب صحيح ، وإذا أفتى في واقعة ثم تغيرت الواقعة ؛ وجب أن تتغير الفتوى تبعاً لتغير الواقعة ، وهذا مما لا يخفى على لبيب

وقد رد علي -عليه السلام- وبنوه : " وكتاب الله بين أظهركم ، ناطق ، لا يعيى لسانه ، وبيت لا تهدم أركانه " ^(٤) ، ويقول أمير المؤمنين : إذا حدثتم بحديث فأسندوه إلى الذي حدثكم به ؛

(١) سورة ص : آية رقم ٣٩ .

(٢) سورة الحشر : آية رقم ٧ .

(٣) البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٢ ص ٣٥٧ . الحسن الحلي : المحتضر ص ٢١٣-٢١٤ .

(٤) د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الإمامية ص ٣١٥ ، عن بهج الصباغة للتستري .

فإن كان حقاً فلكم ، وإن كان كذباً فعليه ^(١)، ونقول : أليست الفتوى تتغير من حال التقية لحال الأمن ؟ فكيف نميز ؟ .

والمثل يقول : إذا كنت كذوباً فكن ذكوراً ؛ فنجدهم يتناقضون ؛ فيروون أن أبا عبد الله قال لأتباعه : " إياكم ؛ والكذب المفترع ^(٢) ؛ قيل : وما الكذب المفترع ؟ ، قال : أن يحدثك الرجل بالحديث ، فتركه ، وترويه عن الذي حدثك عنه ^(٣) ، وفي رواية : " فترويه عن غير الذي حدثك به " ^(٤)، فكيف يوفقون بين الحديثين ؟ .

وأنكر علي - عليه السلام - ذلك فقال : " والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن ، إلا فهماً يُعطى رجل في كتابه " ^(٥) .

يقول أبو عبد الله حين سئل : هل روي عنكم أن الخمر ، والميسر ، والأنصاب ، والأزلام رجال ؟ فقال : ما كان الله - جل جلاله - ليخاطب خلقه بما لا يعلمون ^(٦) ، فالشيعة كذبوا الله ، وكذبوا رسوله ، وجدوا كتاب الله الناطق ^(٧) ، وقالت فاطمة - عليها السلام - : استخلف عليكم كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ^(٨) ، وقال علي بن أبي طالب - عليه السلام - : وكتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيا لسانه ^(٩) .

-
- (١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٠٤ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٥٥ .
 (٢) المفترع : من الفرع بمعنى العلو ، ويكون بحذف الواسطة لعلو الإسناد . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٠٥ .
 (٣) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٠٥ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٨ ص ٥٧ .
 (٤) بحار الأنوار ج ٢ ص ١٥٨ . محمد المازندراني : شرح أصول الكافي ج ٢ ص ٢٧٠ .
 (٥) جعفر السبحاني : رسائل ومقالات ، ط اعتماد ، نشر مؤسسة الصادق - قم ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ج ١ ص ١١١ .
 (٦) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٢ ص ١٢١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٠٠ .
 (٧) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٥٧ . لفظ للشيخ الصدوق تأكيداً للحديث : الأمالي تفسير : واعلموا إنما غنمتم ص ٣٨١ . وسائل الشيعة ج ٩ ص ٥١٢ . بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٣٠ .
 (٨) الطبرسي : الاحتجاج ج ١ ص ١٢٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٢٢٢ .
 (٩) ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ط سليمان زاده - قم ، نشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب - قم ، ط ١ ، التصحيح الثالث ، ١٤٢٦ هـ / ١٣٨٤ ش ج ٦ ص ٥٨٢ .

وهذا رسول الله -ﷺ- يحذر الناس قوله تعالى : " ما آمن بي من فسر برأيه كلامي ، وما على ديني من استعمل القياس في ديني ^(١) ، من فسر القرآن برأيه ؛ فليتبوأ مقعده من النار ^(٢) ، وافترى على الله الكذب ^(٣) ، وفي رواية : " فقد كفر " ^(٤) ، وإن أصاب (الحق فقد أخطأ ^(٥)) لم يؤجر ، وإن أخطأ خر أبعد من السماء ^(٦) .

ووضعت أئمة آل البيت قواعد لفهم القرآن فقالوا : ما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه ، وإذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهداً من كتاب الله أو من قول رسول الله -ﷺ- وإلا فالذي جاءكم به أولى به ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف ، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله ^(٧) .

وقال رسول الله -ﷺ- في خطبته في منى : " يا أيها الناس ! ما جاءكم عني موافقاً لكتاب الله فقد قلته ، وما جاءكم عني يخالف كتاب الله لم أقله " ^(٨) .

ونحن نسأل علماء الشيعة بعدما سقنا بعض الروايات في حكم تفسير القرآن بالرأي : من الذي يستطيع أن يميز روايات الأئمة التي قيلت على سبيل التقية من الأخرى ؟ هل هو معصوم مثلهم ؟ أم أنه مثلنا من غير أهل العصمة ؟ وما حكمه إن حكم رأيه في كلام الله والمعصومين ؟ .

ثانياً : ظهور آثار التقديس في تفسير القرآن بما يوافق مذهبهم وتسمية شعائر الإسلام بأسماء الأئمة :

(١) الصدوق : التوحيد ص ٦٧ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٤٥ .

(٢) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٦ ص ٣٥٥ .

(٣) الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٤٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٢٧ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٥١٢ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٢٠٣ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٥١٢ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٢٠٥ .

(٦) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٦ ص ٣٥٥ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٢٠٢ .

(٧) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٢٣ . العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١١١ .

(٨) البرقي : تضاد مفاتيح الجنان مع آي القرآن ص ٤٤ . العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١١١ .

من التقديس المذموم أن يتحول كل مقدس في الدين إلى معنى واحد وتعبير مقصور على أشخاص معدودة تختزل كل شعائر الدين فيهم ، وكأن هذا الإسلام ليس ديناً عالمياً ، يدخله من شاء الله له الهداية .

ولذلك قامت عقيدة الشيعة على تأويل آيات القرآن ، وصرف معانيها إلى غير ما فهمه منها الصحابة عن النبي -ﷺ- وأئمة الإسلام من بعدهم ^(١).

فترى الشيعة يفسرون القرآن بما يوافق مذهبهم حتى وإن خالف اللغة والعقل والمنطق السليم ، وهذه بعض الأمثلة : أولها تفسيرهم لقول الله -ﷻ- : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾ ^(٢) ، هي : عقب الحسين ^(٣).

وقوله تعالى : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ ^(٤).

ولاية علي ^(٥) ، و هم ﴿ حبل الله ﴾ ^(٦) ولاية علي ، والأئمة من بعده ^(٧) ، والبيوت في قوله تعالى : ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ ^(٨) : بيوت الأئمة ^(٩).

والأئمة الصلاة ، والزكاة ، والحج ، وسائر الطاعات ، وأعداؤهم الفواحش ، والمعاصي ، والأئمة آيات الله ، وبيناته ، وكتابه ، والسبع المثاني ، والصافون ، والمسبحون ، وصاحب المقام المعلوم ، وحملة عرش الرحمن ، والسفرة الكرام البررة ، وكلمات الله ، وحرمان الله ، والمظلومون ، والمستضعفون ، وأهل الأعراف ، والوالدين ، والولد ، والأرحام ، وذوي القربى ، والماء المعين ، والبئر المعطلة ، والقصر المشيد ، والسحاب ، والمطر ، والظل ، والفواكه وسائر المنافع بعلمهم وبركاتهم ، وجنب الله ، وروحه ، ويده ،

(١) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٦ ص ٣٥٥ .

(٢) سورة الزخرف : آية رقم ٢٨ . والكلمة الباقية هي : كلمة التوحيد . تفسير الجلالين ص ١٠٠٢ .

(٣) الشيخ الصدوق : علل الشرائع ص ٢٠٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٢ ص ٦٦ .

(٤) كلمة التقوى : الشهادة . بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٣٥ . مستدرك الوسائل ج ١١ ص ١٠٦ .

(٥) سورة الفتح : آية رقم ٢٦ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٩٢ .

(٧) سورة آل عمران : آية رقم ١٠٣ .

(٨) حبل الله تعالى : دينه . انظر الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٣٥ .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٣٥ .

(١٠) سورة النور : آية رقم ٣٦ .

(١١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦٩ ص ١٢ بتصرف .

وحزب الله ، وبقيته ، وكعبته ، وقبلته ، والبحر ، واللؤلؤ ، والمرجان ، والنحل ، والأيلام ، والشهور .

وتأويل شيعتهم أصحاب اليمين ، وأعدائهم الفجار ، والأشرار ، وأصحاب الشمال ، وتأويل الكفار ، والمشركين ، والكفر ، والشرك ، والجب ، والطاغوت ، واللات ، والعزى ، والأصنام أعدائهم ومخالفهم ، وولايتهم العدل ، والمعروف ، والإحسان ، والقسط ، والميزان ، وترك ولايتهم الكفر ، والفسوق والعصيان ، والفحشاء ، والمنكر ، والبغي^(١) . والسؤال : ما الذي بقي في القرآن من الدين ؟ ! .

نقد هذا الأثر : قال أبو عبد الله: " إن حديثنا تشتمز منه القلوب ، فمن عرف فزيدهم ، ومن أنكر فذروههم^(٢) ، وهذا فتنة^(٣) ، لأن من حديثهم ما لا يحتمله ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، ولا عبد مؤمن ، ولا يحتمله غيرهم^(٤) ؛ فماذا نفعل نحن وقد تعبدنا الله بالتدبر والتفكر في آياته الكونية؟ .

ومن الغريب أن في نفس الكتاب الذي ذكر هذه الأبواب يذكر أن تفسير هذه المسميات بالأئمة من الغلو على عهد الأئمة ، جاء رجل إلى الحسن العسكري فقال : إن رجلاً يزعم أن الصلاة ، والزكاة ، والحج ، والصوم معرفتك ... فقال : كذب عليه لعنة الله^(٥) .

ثالثاً : ظهور آثار التقديس في إنكار القراءات المتواترة عند أهل السنة :

ومن قبيح تقديسهم لتحريف القرآن الكريم أنكروا القراءات وجعلوها سبباً في تأكيد التحريف المزعوم ؛ لأنها لم تصدر عن أئمتهم ، فادعوا أن رجلاً سأل أبا عبد الله : إن الناس يقولون : إن القرآن نزل على سبعة أحرف ؟ فقال : " كذبوا أعداء الله ، ولكنه نزل على حرف واحد ، من عند واحد^(٦) ، ولذلك فإن القراءات السبع - فضلاً عن العشر - وإن ادعى بعض علمائنا تواترها عن النبي ﷺ - إلا أن الثابت في أخبارنا - وعليه جملة من أصحابنا - خلافه ، وإن صرحت أخبارنا بالرخصة لنا في القراءة بها حتى يظهر صاحب

(١) عناوين أبواب روايات تثبتتها في جزء كامل من بحار الأنوار . ج ٢٤ من ص ١ حتى آخر الجزء .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ١٩٢ .

(٣) محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٥٤ . الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢٩٢ .

(٤) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٥٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ١٩٣ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣١٦ .

(٦) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٨ ص ٩٨ . مولى المازندراني : شرح الكافي ج ١١ ص ٦٦ .

الأمر ، وليس بالبعيد أن تكون هذه القراءة كغيرها من المحدثات في القرآن العزيز ؛ لثبوت التغيير والتبديل فيه عندنا زيادة ونقصانا ، وإن كان بعض أصحابنا نفاه ، لكن في أخبارنا ما يردده ^(١) .

ويستدلون بها على تحريف القرآن - قاتلهم الله - فيدعون : أن التغيير في الحروف والحركات وقع بدليل وجود الاختلاف في قراءة بعض الآيات ، وبلوغ القراءات إلى السبع أو العشر يشهد بذلك ، وإنما نعتقد أن اختلافها لم يأت من الله ولا الرسول - ﷺ - بل جاء من المسلمين نتيجة عدم وقوفهم الدقيق على القراءة التي علمهم إياها رسول الله - ﷺ - وتفرقهم في البلاد كالعراق والشام ، مع وجود بعض اللهجات الخاصة في هذه البلاد مما تمهد الأرضية اللازمة لوقوع التحريف في الإعراب والحروف ، كما يمكن أن تكون علّة ذلك عدم وجود النقط والاعراب في المصحف في ذلك الزمان ^(٢) ، فالقراءات غير متواترة ، بل بين ما هو اجتهد من القارئ ، وبين ما هو منقول بخبر الواحد ^(٣) ، نعوذ بالله من هذه الجرأة على كتاب الله تعالى .

يقول بعض المعاصرين : كما أن بعض القراء أو الأدباء أوجدوا القراءات ، ورووها في كتبهم ، والحال إنه ليس لها أصل ولا تواتر من زمن النبي - ﷺ - ، وبعد اعتراف جمع من المحققين على عدم اعتبار القراءات الشاذة وحتى المشهورة منها ^(٤) .

نقد هذا الأثر : يرد عليه الصادق على هؤلاء النوكى فيقول : القرآن واحد ، نزل من عند واحد ، على واحد؛ وإنما الاختلاف من جهة الرواة ^(٥) ، وهذا مقتضى العقل والعادة في نقل الكتب القديمة ورواياتها والأشعار والخطب وغيرها ؛ إذ لم نر كتابا أو قصيدة أو خطبة حفظ الرواة ، واتفقوا على جميع ألفاظها ، وحركاتها ، وتقديمها ، وتأخيرها ، بل الغالب اختلاف النسخ ؛ ولذلك اتفق المسلمون قاطبة على عدم قبول غير المتواتر ، وأما قراءة

(١) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٢ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ بتصرف .

(٢) رسول جعفریان : أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة ، ط سلمان الفارسي ، نشر ممثلية الإمام القائد السيد الخامني في الحج - قم ، ١٣٤١ هـ ، أول المقدمة ص ٤ - ٥ .

(٣) كلام أبو القاسم الخوئي في كتاب البيان نقله البحراني : الحقائق الناضرة ج ٨ هامش ص ٩٦ .

(٤) رسول جعفریان : أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة ص ١٢ - ١٣ .

(٥) الشيخ الصدوق : الاعتقادات ص ٨٦ .

السبعة فكانت مشهورة ، متداولة في مشارق الأرض ومغاربها بحيث يمتنع تواطؤ الناقلين عنهم على الكذب عمداً ولا سهواً ، ولا يبعد عندي تواتر العشر أيضاً ^(١).
والسؤال : أيهم أعظم جرماً : من قرأ الكلمة بمعان متقاربة ؟ أمّن فسرّها بمعنى لم يؤيده عقل ، ولا نقل ، ولا لغة؟ أمّن زاد في القرآن المتواتر ألفاظاً من بنيات أفكاره ؟ .

رابعاً : ظهور آثار التقديس في ادعائهم وقوع التحريف في القرآن الكريم :

لما تعرض الشيعة للانتقاد لعدم وجود أسماء الأئمة ، كان تقديسهم للأئمة أعظم من تقديسهم للقرآن ، فلم يتورعوا أن ينسبوا للقرآن التحريف بدلاً من نسبة النقص إلى مذهبهم ! ، ولما لم يجدوا ذلك ؛ تأولوا الآيات حتى يؤيدوا مذهبهم ، لكن الناس قالوا كيف يكون الأمر بهذه الأهمية ، ثم لا يصرح به في القرآن؛ فلم يجدوا طريقة أسهل من القول بالتحريف ^(٢) .

ولا يتوهم واحد أن الخلاف بين القائلين بالتحريف والمنكرين له يعد خلافاً سائغاً ، أو خلاف تنوع، بل هو خلاف تضاد ، فلا بد من تحديد موقفهم منه بكل صراحة ، إذا القول بالتحريف فيه هدم لقداسة القرآن في قلوب المسلمين ، وفي نفيه اجتماع كلمة ، ووحدّة تشريع ومنهج ودستور ، فلا يستهان بالخلاف .

فالشيعية يعتقدون أن نزول القرآن لشيئين لا ثالث لهما : " أحدهما : الثناء على علي ، ومدحه وإعلاء شأنه وذريته، والثاني : ثلب أصحاب رسول الله -ﷺ- وذكر معائبهم ؛ ولهذا زعموا : إنه ضاع من القرآن ثلثاه ، أو رבעه ، أو ثلاثة أرباعه" ^(٣).

ومن أهم القائلين بتحريف القرآن شيخهم المفيد ^(٤) الذي يقول : واتفقوا على أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تأليف القرآن ، وعدلوا فيه عن موجب التنزيل وسنة النبي -

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ١١ ص ٦٥ .

(٢) د محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٢٨ .

(٣) عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية ص ٨ .

(٤) علق إبراهيم الأنصاري على كلام المفيد : وعلق عليه محقق كتابه فيقول : ظاهر كلام الشيخ مسألة التحريف ، لا يخلو عن تهافت يعرف بالرجوع إلى ما ذكره في القول : ٥٩ ؛ فإنه وإن أكد رأيه المذكور ههنا في تأليف القرآن ، ولكنه تردد بل مال إلى عدم التحريف بمعنى الزيادة والنقصان ؛ فراجع . أوائل المقالات ص ٢٩٣ .

ﷺ- (١) ، فإن الأخبار قد جاءت مستفيضة^(٢) عن أئمة الهدى من آل محمد -ﷺ- باختلاف القرآن ، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان ، فأما القول بالتأليف فالموجود يقضي بتقديم المتأخر ، وتأخير المتقدم ، وأما النقصان فالحقول لا تحيله ، ولا تمنع من وقوعه ، وأما الزيادة فيه فمقطوع على فسادها (٣) .

ويصرح المفيد بعقيدته الباطلة في القرآن في رواية يفترها على رسول الله -ﷺ- فيقول : ترد أمتي يوم القيامة على خمس رايات ، فأقول : ماذا فعلتم بالثقلين ؟ فيقولون : أما الأكبر : فحرفنا ، ومزقنا ، وأما الأصغر : فعاديننا ، وأبغضنا (٤) ، وعن أبي جعفر بنحوه (٥) ، ويتهمون عمر بن الخطاب والصحابة -رضي الله عنهم- بأنهم من المنافقين ، ويحرف كتاب الله (٦) ، فعليهم لعنة الله ، ولعنة رسوله ، وملائكته ، ولعنة آبائي الكرام البررة ، ولعنتي ، ولعنة شيعتي إلى يوم القيامة (٧) ، ويسمونهم طواغيت الأمة (٨) .

وصرح القمي في تفسيره بعقيدته الباطلة فيقول : فالقرآن منه ناسخ ، ومنسوخ ، ومنه محكم ، ومنه متشابه ، ومنه عام ، ومنه خاص ، ومنه تقديم وتأخير ، ومنه منقطع ، ومنه معطوف ، ومنه حرف مكان حرف ، ومنه على خلاف ما أنزل الله (٩) .

(١) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٤٦ .

(٢) قال المجلسي : هذه الروايات مطروحة أو مؤولة . انظر : بحار الأنوار ج ٣٥ هامش ص ٢٣٥ .

(٣) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٨٠ - ٨١ .

(٤) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٠٣ . أبو القاسم الخوئي : البيان في تفسير القرآن ص ٢٢٧ .

(٥) عن أبي جعفر : أما كتاب الله فحرفوا ، وأما الكعبة فهدموا ، وأما العترة فقتلوا ، وكل ودايع الله فقد تبرأوا . محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٤٥٦ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٤١ . وعنه -ﷺ- الصدوق : الخصال ج ١ ص ١٧٥ . بحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٨٦ - ١٨٧ . مستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ٣٨ .

(٦) الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ٩٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣١ ص ١٢٣ .

(٧) الكليني : روضة الكافي ج ٨ ص ١٠٧ . بحار الأنوار ج ٢ ص ٨٢ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٥٠ .

(٨) عن علي -رضي الله عنه- : ونبذة الكتاب ، ونفثة الشيطان ، وعصبة الآثام ، ومحرفي الكتاب ، ومطفئي السنن . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٨ . أبو القاسم الخوئي : البيان في تفسير القرآن ص ٢٢٨ .

(٩) القمي : تفسير القمي ج ١ ص ٥ .

ويدعون على أبي عبد الله قول : إن سورة الأحزاب فضحت نساء قريش من العرب ، وكانت أطول من سورة البقرة ، ولكن نقصوها ، وحرفوها^(١)، وقوله : أصحاب العربية يحرفون الكلم عن مواضعه^(٢) ؛ ولذلك يجب على كل شيعي إذا زار قبر الحسين -عليه السلام- أن يلعن أبا بكر وعمر -عليهما السلام- لزعيمهم أنهم حرفوا القرآن^(٣) .

وذكروا من أدلة التحريف المزعوم عن عمر بن الخطاب -عليه السلام- وهو يقول لأبي بكر -عليه السلام- : إن علياً -عليه السلام- جاءنا بالقرآن ، وفيه فضائح المهاجرين والأنصار ، وقد رأينا أن نؤلف القرآن ، ونسقط منه ما كان فيه فضيحة ، وهتك للمهاجرين والأنصار ؛ فأجابه زيد إلى ذلك ، فقال عمر -عليه السلام- فإن أظهر عليّ القرآن نقتله ونستريح منه ؛ فدبر في قتله على يد خالد بن الوليد -عليه السلام- ؛ فلم يقدر على ذلك^(٤).

ومنها : قرأ رجل على أبي عبد الله حروفاً من القرآن ليس على ما يقرؤها الناس ، فقال : كُفَّ عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس ، حتى يقوم القائم فإذا قام القائم ، قرأ كتاب الله -عليه السلام- على حد ، وأخرج المصحف الذي كتبه علي -عليه السلام- يوم خرج إلى الناس حين فرغ منه وكتبه ، فقال لهم : هذا كتاب الله -عليه السلام- كما أنزله الله على محمد -عليه السلام- وقد جمعته من اللوحين ، فقالوا : هو ذا عندنا مصحف جامع فيه القرآن لا حاجة لنا فيه ، فقال : أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا ، أبداً إنما كان على أن أخبركم حين جمعته لتقرؤوه^(٥).

ومنها : عن أبي الحسن أنه دفع مصحفاً لأحد الرواة ، وقال له : " لا تنظر فيه ؛ ففتحه ، وقرأ فيه : ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾^(٦) ، فوجد فيها اسم سبعين رجلاً من قريش ، بأسمائهم ، وأسماء آبائهم"^(١).

(١) الشيخ الصدوق : ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ، تعليق : الشيخ حسين الأعلمي ، ط سليمانزاده ، نشر طليعة نور - قم ، ط ٥ ، ١٤٣١هـ - ص ١٣٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ - ص ٢٣٥ .

(٢) الطبرسي : مستدرك الوسائل ج ٤ - ص ٢٨٠ . مستدرك سفينة البحار ج ٧ - ص ١٣٩ .

(٣) المفيد : المزار (مناسك المزار) تحقيق : آية الله الحاج السيد محمد باقر الأبطحي ، ط مهر ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ص ١٠٧ . بحار الأنوار ج ١٠١ - ص ١٥٠ . أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي : كامل الزيارات ، تحقيق : جواد القيومي ، ط مؤسسة النشر الإسلامي ، نشر الفقاهة - قم ، ط ١ ، ١٤١٧هـ - ص ٣٨٧ .

(٤) كتاب سليم بن قيس ص ١٤٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٩٢ - ص ٤٢ - ٤٣ .

(٥) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ١١ - ص ٧٤ - ٧٥ .

(٦) سورة البينة : آية رقم ١ .

تناقضهم في قدر المحذوف من القرآن الكريم : زعموا عن أبي جعفر: "نزل القرآن أربعة أرباع ، ربع فينا ، وربع في عدونا ، وربع سنن وأمثال ، وربع فرائض وأحكام " (٢)، وفي رواية : فضائل وإنذار ولم يذكر عدونا (٣).

وعن علي -عليه السلام- : "نزل القرآن أثلاثا : ثلث فينا وفي عدونا ، وثلث سنن وأمثال ، وثلث فرائض وأحكام ،

ولنا كرائم القرآن " (٤)، وعنه: ثلث فينا وفي أحبائنا ، وثلث في عدونا وعدو من كان قبلنا ، وثلث سنة ومثل (٥).

وعن رسول -عليه السلام- مرفوعاً (٦) : "القرآن ألف ألف وسبعة وعشرون ألف حرف " (٧). ولنعطيك مثلاً على تناقضهم في التحريف بين مثبت ومنكر فانظر إلى ما رواه الشيعة عن أبي عبد الله: "إن القرآن الذي جاء به جبرائيل -عليه السلام- إلى محمد -عليه السلام- سبعة عشر (٨) ألف

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ١١ ص ٧١ - ٧٢.

(٢) الشيخ المفيد : المسائل السرورية ، تحقيق : صائب عبد الحميد ، ط مهر - قم ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ص ٨٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٠٥.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٣٦٥ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٥٠.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١١٤ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ٤٥٨.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٩٢ ص ١١٥.

(٦) الحديث المرفوع عند أهل السنة : ما يضيفه الراوي للنبي -عليه السلام- ويقابله الموقوف ، وهو : ما روي عن الصحابي ، ولم يضيفه للنبي ، أما عند الشيعة : فله إطلاقان ؛ الأول : ما سقط من وسط إسناده أو آخره واحداً أو أكثر مع التصريح بلفظ الرفع ، والثاني : ما أضيف إلى المعصوم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، ويقابله الموقوف: ما يروي عن صاحب للمعصوم سواء كان نبياً أو إماماً مع الوقوف عليه ، وقيل : يمكن أن يقف على غير مصاحب للمعصوم ، وقد يطلق عليه الأثر إن كان صحابياً لنبي . د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية عرض ونقد ص ٢٠٥ بتصرف .

(٧) السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي : البيان في تفسير القرآن ، ط فرور دين - قم ، نشر أنوار الهدى ، ط ٨ ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ص ٢٠٢ - ٢٠٣ . نقلاً عن الطبراني وأشار في الهامش لكتاب الاتقان ج ١ ص ١٢١.

(٨) ويرد عليه المعلق : كلمة " عشر " زيدت قطعاً من بعض النسخ أو الرواة ، وسبعة آلاف تقريب ؛ فإن عدد آي القرآن بين السنة والسبعة آلاف ، وهل يتصور أن يجعل الكتاب الذي نقل هذه الرواية دليلاً على ثبوت التغيير في القرآن ، وقد حكم جل محققي الطائفة بكونه مجعولاً . يقصد كتاب سليم بن قيس الهلالي . تعليق أبو الحسن الشعراني . محمد المازندراني : شرح الكافي ج ١١ هامش ص ٧٦.

آية" (١). ويعلق شارح الكافي : آي القرآن ستة آلاف وخمسمائة ... كان الزائد (٢) على ذلك مما في هذا الحديث سقط بالتحريف ، واسقاط بعض القرآن ، وتحريفه ثبت من طرقنا بالتواتر معنى ؛ كما يظهر لمن تأمل في كتب الأحاديث من أولها إلى آخرها (٣) .

وقد ينسبون اعتقاد تحريف القرآن إلى أهل السنة ؛ فيقول بعضهم : ومن عجائب الدهر أن تظهر شردمة في عصرنا ، تتهم شيعة أهل البيت بأنهم يقولون بتحريف القرآن ، وأن عندنا قرآناً آخر غير ما في أيدي عامة المسلمين ، فتصدى لهم علماء الشيعة وكتّابهم ، وردوا عليهم كذبهم ، واثبتوا لهم أن الشيعة هم حفظة القرآن ، وأن القائلين بتحريف القرآن هم الذين خالفوا أهل البيت وشيعتهم (٤) .

ويتهم أحد المعاصرين أهل السنة فيقول : ولكن مع الأسف يوجد في كتب الآثار والأخبار لأهل السنة بعض الروايات في باب جمع القرآن التي وضعت لأجل إثبات الفضيلة لبعض الصحابة ؛ فأوجدت المشكلة في إثبات تواتر القرآن ، كما أن بعض القراء أو الأدباء أوجدوا القراءات ، ورووها في كتبهم ، والحال إنه ليس لها أصل ولا تواتر من زمن النبي ﷺ - ، وأيضاً يوجد في وسط أخباري الشيعة أشخاص لعدم وعيهم أو تأثرهم بمجغولات الغلاة ذهبوا يفتشون في القرآن على اسم علي والأئمة (٥) .

الرد على هذا الأثر من واقع كتبهم : وبغض النظر عن مناقشة سند هذه الرواية ، فإنها لا تخرج إلا من طريق واحد ، وفي الكافي فقط دون جميع كتب الحديث الشيعية ، فهي إذن من أخبار الآحاد ، كما أنها مخرجة في باب النوادر ، والنادر هو الشاذ (٦) الذي لا عمل

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ١١ ص ٧٦ .

(٢) يجيبه الصدوق : إنه قد نزل من الوحي الذي ليس بقرآن ، ما لو جمع إلى القرآن لكان مبلغه مقدار سبعة عشر ألف آية . الصدوق : الاعتقادات ص ٨٤ - ٨٥ .

(٣) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ١١ ص ٧٦ .

(٤) محمد زكريا اللامردي (محامي أهل البيت) : فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب ، ط مؤسسة النجف الأشرف - ألمانيا ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م ، مقدمة علي الكوراني ص ٧-٨ .

(٥) رسول جعفریان : أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة ، أول المقدمة ص ٤ .

(٦) الحديث الشاذ أو النادر عند الشيعة : ما خالف المشهور ، وهو ما روى الثقة إذا خالف المشهور ، فإن كان غير ثقة وله إسناد واحد وخالف الثقات كان منكراً . وقال الشافعي : يروي الثقة حديثاً يخالف ما روى الناس . د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية ص ٢١٨ . ابن كثير : الباعث الحثيث ص ٥١ - ٥٢ .

عليه ، وقد ورد تصريح الإمام الصادق في الكافي نفسه بترك الشاذ الذي ليس بمشهور^(١) ، والأخذ بالمجمع عليه ؛ لأن المجمع عليه لا ريب فيه^(٢) .

ويوجد من علماء الشيعة من يعتقد بغير ذلك ؛ فيقول الصدوق : اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد -ﷺ- هو ما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس ، ليس بأكثر من ذلك ... ومن نسب إلينا أنا نقول إنه أكثر من ذلك فهو كاذب^(٣) ، فالقرآن لم يتعرض لأي نوع من التحريف ، والذي بين أيدينا هو عين القرآن الذي نزل على صدر الحبيب محمد -ﷺ- فلا زيادة ولا نقصان ، حتى بكلمة واحدة ولا بحرف واحد^(٤) .

ونحن الآن بناءً على قولهم هذا نتهم علياً -ﷺ- والأئمة من بعده أنهم هم سبب ضلال أكثر الناس في العصور التي تلت هذه الواقعة ؛ فأبي فتنة أعظم أن يعتمد الأئمة إخفاء القرآن عنا حتى لو منعهم الصحابة من ذلك قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾^(٥) ، فما ذنبنا نحن ؟.

فعن أبي جعفر: ما جمعه وحفظه كما أنزله الله تعالى إلا علي^(٦) ،

(١) الحديث المشهور عند الشيعة : ما زادت روايته عن ثلاثة في كل طبقة ، أو في بعضها ، ويسمى المستفيض ، وقد يطلق على ما اشتهر العمل به. د عمر الفرماني: أصول الرواية عند الشيعة ص ١٦٥ .

(٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٢٢ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٢٢ .

(٣) الشيخ الصدوق : الاعتقادات ص ٨٤ .

(٤) قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : من جملة من صرح بهذا : الشيخ الطوسي (٤٦٠ هـ) ، الشريف المرتضى ، الشيخ الصدوق ، المفسر الطبرسي ، الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء ، المفيد ، البهائي ، القاضي نور الله . انظر الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ج ٦ ص ٥٧٨ .

(٥) سورة المائدة : آية رقم ٨ .

(٦) القول بأنه لم يجمع القرآن غير علي يتهم النبي -ﷺ- بأنه لم يجمع القرآن ؛ لأنهم لم يستثنوا أحداً ، وعندما تولى علي لم نجده خالف الخلفاء الراشدين قبله ؛ فلم يخرج للناس قرآناً غير الذي عندهم ، ولم ينكر على أحد منهم شيئاً ... فلو كانوا كفاراً ؛ فلماذا لم يبين ذلك ، والسلطة كانت في يده ؟ فهل هو خائن للأمة ، ولم يبين لهم الأمر ، أم سكت على إخفاء الشرع ؛ وحاشاه من ذلك . سليمان الخراشي :

أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ٢٢ - ٢٣ .

والأئمة من بعده ^(١) ؛ ولذلك إذا بحث بين علماء الشيعة وأبنائهم في العراق وإيران ، لا تجد من يحفظ القرآن ، ولا حتى من يستطيع أن يقيم حروفه بلسانه، ولا يعرف وجوه أدائه إلا قليلاً .

ثم يتناولون ، فيقول أحدهم : أتريدون منا أن نتحد على قرآن يتضمن حكاية عن بقرة ؟ وقصة غرامية كقصة يوسف؟ وهل مثل هذه الحكايات العجائزية تسمى قرآناً؟ " ^(٢) .

وها هنا سؤالان محرجان للشيعة الاثني عشرية :

الأول : ما دام أبو بكر وعمر -عليهما السلام- قد حرفا هذه الآيات ، فلماذا لم يقم علي -عليه السلام- بعد أن صار خليفة للمسلمين بتوضيح هذا الأمر؟ أو على الأقل إعادة هذه الآيات في القرآن كما أنزلت ؟ ! لا يجرئ اللسان أن ينطق قول : أن علياً قد جبن عن ذلك فحاشاه ! .

الثاني : أن بعض هذه الآيات التي حرفت تخبرنا صراحة بأن هذا لن يكون ، فتأملوا تحريفهم قوله تعالى : ﴿ بَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا (آل محمد حقهم) قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا (آل محمد حقهم) رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ، فمتى وقع هذا الرجز ، فأين صبرهم على سنن الله في كونه ؟ ولكنهم لا يعلمون أن الرجز هذا نزل فعلاً ، ولن ينزل ثانية ؛ لأنه فعل ماض ^(٣) .

ونجيب : أن الإمام علي -عليه السلام- بقي خليفة ما يزيد عن أربعة أعوام وستة أشهر ، ولم يخرج القرآن ، ولم يبين مواضع التحريف ، وهو يصلي بالناس إماماً ، لم يقرأ بآية في الصلاة غير التي في المصحف ، فمن نتبع المعصوم عندهم ؟ أم من يدعون التحريف عندهم ؟ .

ويؤكد بعض المعاصرين عدم التحريف فيقول : " وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو نفس القرآن المنزل على النبي ، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق ، أو مغالط ، أو مشتبّه ، وكلهم على غير هدى ؛ فإنه كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه " ^(٤) .

(١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٢٨ .

(٢) إبراهيم الجبهان : تبديد الظلام ص ١١ . عن خطبة " عبد الرزاق البصير " بالكويت ، وهو من دعاة الإمامية .

(٣) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ٤٩ - ٥٠ بتصرف .

(٤) محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية ، ط مركز الأبحاث العقائدية (قسم المشتركين) - قم ، ١٤٢٢هـ - ص ٦٢ .

ويقول المفيد: "إن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى ، والأخبار الواردة من طرقنا أو من طرقهم - أي العامة - الظاهرة في نقصه ، أو تحريفه ، ضعيفة^(١) شاذة ، وأخبار آحاد ، لا تفيد علماً ، ولا عملاً ، فإما أن تأول بنحو من الاعتبار ، أو يضرب بها الجدار^(٢) ، فلا شك أن ما بين الدفتين من القرآن جميعه كتاب الله تعالى وتنزيله ، وليس فيه شيء من كلام البشر^(٣) .

ولذلك أجمع المسلمون من الشيعة والسنة - اجماعاً عملياً - على أن ما بين دفتي المصحف هو تمام القرآن الشريف ، كما تشهد بذلك المصاحف المنتشرة في جميع بلاد الإسلام ، والمتداولة بين المسلمين قاطبة ، وفوق ذلك أن الإمام علي - عليه السلام - احتج بالقرآن على أهل الجمل ، ودعا إليه في التحكيم على أهل صفين ، فلو كان في القرآن ما ليس منه ، أو أنه لم يشتمل على كل القرآن ؛ لما صح به الاحتجاج ، ولا قبوله في التحكيم^(٤) .

وروايات تحريف القرآن - مع الاغضاء عما في سندها من الضعف - أنها مخالفة للكتاب ، والسنة ، لإجماع المسلمين على عدم الزيادة في القرآن ، ولا حرفاً واحداً ، وقد ادعى الاجماع كثيرون على عدم الزيادة في القرآن^(٥)، فهؤلاء أعلام الإمامية ، وحملة علومهم الكالئين لنواميسهم وعقائدهم قديماً وحديثاً، وهذه فرق الشيعة وفي مقدمتهم الإمامية مجمعة على أن ما بين الدفتين هو ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه^(٦).

ويقول بعض المعاصرين : الذي وضع كتاب فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب ، هو الذي أقر أعين اليهود والنصارى بوضع ألعن كتاب في الإسلام ، وزعم بأن الله عجز عن حفظ كتابه في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٧) ، وأنه قد حُرِّف

(١) الضعيف عندهم : هو ما يرويه جاعل ، أو كذاب ، أو لا ديني ، أو فاسق . البرقعي : تضاد مفاتيح الجنان مع آي القرآن ص ٤٣ .

(٢) حسين آل كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص ١٤٣ - ١٤٤ بتصرف .

(٣) الشيخ المفيد : المسائل السرورية ص ٧٨ - ٨١ باختصار .

(٤) د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الإمامية الاثني عشرية ص ١٥٠ .

(٥) ممن نقل عنهم الاجماع: المفيد، والطوسي، والبهائي . الخوئي: البيان في تفسير القرآن ص ٢٣٣ .

(٦) الشيخ الأميني : الغدير ج ٣ ص ١٣٦ .

(٧) سورة الحجر : آية رقم ٩ .

كتاب الله - والعياذ بالله - وزاد الناس فيه ، ونقصوا منه ، تماماً مثل ما فعله البشر بالتوراة والإنجيل!، وقد اعتمد هؤلاء المحدثين على ما رواه المنافقون، وأعداء الدين ^(١).

أمثلة من التحريف المزعوم في كتاب الله - ﷺ: بسبب كثرة الروايات سنكتفي ببعضها من مصدرين فقط من مصادرهم المعتمدة : روى عن أبي عبد الله في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (في ولاية علي وولاية الأئمة من بعده) فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ هكذا نزلت ، قال المحقق في الهامش : بهذا المعنى والتفسير ^(٢) .

وقرأ: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ - في علي - بَغْيًا ﴾ ^(٣).
وروى إن جبرئيل - عليه السلام - نزل بهذه الآية على محمد - ﷺ - هكذا : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾ (في علي) فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴿ ^(٤).

وقولهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا ﴾ (في علي) نُورًا مُبِينًا ﴿ ، قال المحقق في الهامش : لسيئت في المصحف هكذا فصدر الآية في سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا ﴾ { ٤٧ } ، وآخرها في آواخر تلك السورة : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ { ١٤٧ } وكأنه سقط من الخبر شيء ^(٥).

وعن أبي جعفر قال : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ ﴾ (محمد - ﷺ -) بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ (بموالاته علي) فَاسْتَكْبَرْتُمْ فَقَرِيبًا (من آل محمد) كَذَّبْتُمْ وَقَرِيبًا تَقْتُلُونَ ﴿ ^(٦).

(١) سيد أبو الفضل بن الرضا البرقي القمي : تضاد مفاتيح الجنان مع أي القرآن ص ٤١ .

(٢) الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٤٨١ . قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ الأحزاب : ٧١ .

(٣) الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٤٨٤ . قال تعالى ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا ﴾ البقرة : ٩٠ .

(٤) الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٤٨٤ . قال تعالى ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ البقرة : ٢٣ .

(٥) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤٨٥ .

(٦) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤٨٥ . قال تعالى : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَقَرِيبًا كَذَّبْتُمْ وَقَرِيبًا تَقْتُلُونَ ﴾ . البقرة : ٨٧ . وأنت ترى أنهم حذفوا من الآية كلمة رسول ، ووضعوا مكانها كلمة محمد .

وعن الرضا قال : ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ (بولاية علي) مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ يا محمد من ولاية علي هكذا في الكتاب مخطوطة ، قال المحقق : في الكتاب الذي جمعه أمير المؤمنين أو في اللوح المحفوظ ^(١).

وعن أبي عبد الله قال : ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا (بتركهم ولاية أمير المؤمنين) عَذَابًا شَدِيدًا (في الدنيا) وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٢)، وعنه : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ (وأهل الولاية) كَفَرْتُمْ ﴾ ^(٣) ، وقال أبو جعفر نزل جبرائيل بهذه الآية هكذا : ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا (آل محمد حقهم) عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾ يعني : عذابا في الرجعة ^(٤).

وقال : نزل جبريل -عليه السلام- بهذه الآية هكذا : ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ (آل محمد حقهم) إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ ^(٥)، وقال : نزل جبريل -عليه السلام- بهذه الآية هكذا : ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ (في علي) أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ﴾ ^(٦).

وقال أيضاً : نزل جبريل -عليه السلام- بهذه الآية هكذا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا (آل محمد حقهم) لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ ^(٧).

وقال أيضاً : نزل جبريل -عليه السلام- بهذه الآية هكذا : ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ (آل محمد حقهم) غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا - آل محمد - رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ^(٨).

(١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤٨٦ . قال تعالى : ﴿ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ . الشورى : ١٣ .

(٢) أصول الكافي ج ١ ص ٤٨٩ . قال تعالى : ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ . فصلت : ٢٧ .

(٣) أصول الكافي ج ١ ص ٤٨٩ . قال تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ﴾ . غافر : ١٢ .

(٤) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١١٧ . قال تعالى : ﴿ فَإِنَّ لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ ﴾ . الطور : ٤٧ .

(٥) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٦٤ . قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنَّ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴾ . الفرقان : ٨ .

(٦) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٦٤ . قال تعالى : ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ ﴾ . النساء : ١٦٦ .

(٧) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٦٤ . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ . النساء : ١٦٨ .

وعن علي أنه قرأ قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ (فيقضوا ما عليهم من الحق) أمَّ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَالِهَا^(٢).

الرد على هذه الروايات من كتب الشيعة : مضمون هذه الروايات يخالف ما عليه أصحابنا المحققون من أن ما بين الدفتين هو ما نزل على محمد -ﷺ- وهي أخبار آحاد لا يوجب علماً ، ولا عملاً ، ولا تعارض المعلوم القطعي^(٣) ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٤) ، من جميع النواحي : من التحريف ، من التغيير ، من الزيادة من النقصان ، من الضياع ، من التلف ، من المعتقدات الضالة ، ومن سفسطات الأعداء المزاجية ، ووساوسهم الشيطانية^(٥) .

المطلب الثاني

الآثار المترتبة على تقديس الأئمة ومظاهره على مكانة الأئمة

أولاً : ظهور آثار التقديس الاعتقاد بأن النبي -ﷺ- لم يكن أمياً بعد النبوة :

ومن جملة تقديسهم أنهم سلبوا النبي -ﷺ- أهم دليل على صحة نبوته وأنه مبلغ عن ربه ، بلا تعلم من بشر ولا حاجة لقراءة لكتب من سبقه ، فالأمية هي دليل واضح على صدق دعواه -ﷺ- .

قال المفيد : إن النبي -ﷺ- بعد أن خصه الله بنبوته ، كان كاملاً يحسن الكتابة ، بدليل أن الله تعالى جعل النبي -ﷺ- حاكماً بين الخلق في جميع ما اختلفوا فيه ، فلا بد أن يعلمه الحكم في ذلك ، وقد ثبت أن أمور الخلق قد يتعلق أكثرها بالكتابة ، فتثبت بها الحقوق ، وتبرؤ بها الذمم ، وتقوم بها البيئات ، وتحفظ بها الديون ، وتحاط بها الأسباب ، وأنها فضل تشرف المتحلي به على العاقل منه ، وإذا صح أن الله قد جعل نبيه ؛ ثبت أنه كان

(١) البحار ٩٢ ص ٦٤ . قال تعالى : ﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ . البقرة : ٥٩ .

(٢) بحار الأنوار ج ٩٢ ص ٦٥ . قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ أمَّ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَالِهَا^(٢) . محمد : ٢٤ .

(٣) تعليق : الميرزا أبو الحسن الشعراني . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٩ هامش ص ٢٨٤ .

(٤) سورة الحجر : آية رقم ٩ .

(٥) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ج ٦ ص ٥٧٧ .

عالماً بالكتابة محسناً لها ، وشيء آخر وهو أن النبي -ﷺ- لو كان لا يحسن الكتابة ولا يعرفها ؛ لكان محتاجاً في فهم ما تضمنته الكتب من العقود، وغير ذلك إلى بعض رعيته ؛ ولو جاز أن يحوجه الله في بعض ما كلفه الحكم فيه إلى بعض رعيته؛ لجاز أن يحوجه في جميع ما كلفه الحكم فيه إلى سواه ؛ وذلك مناف لصفاته ، ومضاد لحكمة باعته؛ فثبت أنه -ﷺ- كان يحسن الكتابة (١).

وشيء آخر وهو قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (٢) ، ومحال أن يعلمهم الكتاب وهو لا يحسنه ، كما يستحيل أن يعلمهم الحكمة وهو لا يعرفها (٣).

وكم من معلم للقرآن وهو ماهر به وهو لا يقرأ ، ولا يكتب ، ولم يعب عليه أحد ذلك ، بل قد يكون كفيفاً! . ويدل على ذلك أيضاً قوله - جل جلاله - : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَا زُنَابَ الْمُبِطِلُونَ ﴾ (٤)، فنفي عنه إحسان الكتابة ، وخطه قبل النبوة خاصة ، فأوجب بذلك إحسانه الكتابة بعد أن نبأه الله تعالى ، وهذا مذهب جماعة من الإمامية، ويخالف فيه باقيهم، وسائر المذاهب والفرق يدفعونه، وينكرونه (٥).

وإنما سُمِّيَ أُمِّيٌّ ؛ لأنه كان من مكة ، ومكة أم القرى ، لقوله تعالى : ﴿ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ (٦) (٧)، وكان رسول الله -ﷺ- يقرأ ويكتب باثنين وسبعين ،

أو قال بثلاثة وسبعين لساناً (٨)، بل بكل لسان ، ويقرأ ما لم يكتب (٩)، وقيل أُمِّيٌّ : يعلم ما في أم الكتاب وهو اللوح المحفوظ ؛ لعلمه بما فيه (١٠).

(١) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٣٧ بتصرف .

(٢) سورة الجمعة : آية رقم ٢ .

(٣) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٣٧ .

(٤) سورة العنكبوت : آية رقم ٤٨ .

(٥) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٣٧ .

(٦) سورة الأنعام : آية رقم ٩٢ .

(٧) العاملي : الفصول المهمة ج ١ ص ٤١٢-٤١٣ . محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٢٦٣ .

(٨) الصدوق : علل الشرائع ص ١٢٦ . محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٢٦٣ .

(٩) الصدوق : علل الشرائع ص ١٢٧ . محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(١٠) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ١١ ص ٢٨٢ .

نقد هذا الأثر: نقل الشيعة عن ابن عباس -رضي الله عنه-: "النبي الأمي نبيكم ، كان أمياً ، لا يكتب ، ولا يقرأ ، ولا يحسب ^(١) ، ومع أنه -رضي الله عنه- كان لا يكتب ، لكنه أوتي علم كل شيء ، حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط ، وحسن تصويرها ، وهذا - وإن لم تصح الرواية أنه -رضي الله عنه- كتب - فلا يبعد أن يُرزق علم هذا ، ويمنع الكتابة والقراءة ؛ وهو كما قال -رضي الله عنه- : ﴿ رَسُوْلُهُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ ﴾ ^(٢) لم يكتب ، ولم يقرأ ، ولا عرف بصحبة من هذه صفته ، ولا نشأ بين قوم لهم علم ، ولا قراءة لشيء من علومه التي جاء بها ، ولا عُرف هو قبل بشيء منها ^(٣) .

وقيل : الرسول بالنسبة إلى الله ، والنبي بالنسبة إلى العباد ، والأمي بالنظر إلى نفسه ؛ لأنه منسوب إلى أمه ، أي : هو كما خرج من بطن أمه لا يقرأ ولا يكتب ^(٤) ، فهل الإعجاز في كون النبي -رضي الله عنه- أتى بعلوم لم يسبقه بها أحد ، وهو أمي ؛ أم الإعجاز أن يأتي بهذه العلوم مع كونه متعلماً؟.

أم أننا مضطرون لتصديق ما رواه عن جعفر بن محمد (عن الترجمة الفورية) قال : ما أنزل الله كتاباً ، ولا وحياً إلا بالعربية ، فكان يقع في مسامع الأنبياء بالأسنة قومهم ، وكان يقع في مسامع نبينا بالعربية ؛ فإذا كلم به قومه كلمهم بالعربية ، فيقع في مسامعهم بلسانهم ، وكان أحداً لا يخاطب رسول الله -رضي الله عنه- بأي لسان خاطبه إلا وقع في مسامعه بالعربية ، كل ذلك يترجم جبرائيل عنه تشريفاً من الله له ^(٥) .

ثانياً : ظهور آثار التقديس في تعطيل العمل بالشيعة :

كان من نتيجة تقديس الأئمة وأقوالهم : أن تعطلت كثيرٌ من أحكام الشرع وحدوده ، فيعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن الأئمة أمرهم أمر الله ، ونهيهم نهي الله ، وطاعتهم طاعته ، ومعصيتهم معصيته ، والراد عليهم كالراد على رسول الله ، والراد على رسول الله كالراد على الله ؛ ولهذا تعتقد أن الأحكام الشرعية الإلهية لا تستقي إلا من نمير ماء الأئمة ، ولا

(١) البغوي : تفسير البغوي ص ٤٩٤ . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ١٣٢٨ .

(٢) سورة الأعراف : آية رقم ١٥٨ .

(٣) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ١ ص ٣٧٤ - ٣٧٥ بتصرف .

(٤) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ٥ ص ٢١١-٢١٢ .

(٥) الصدوق : علل الشرائع ص ١٢٨ .

يصح أخذها إلا منهم ، ولا تفرغ ذمة المكلف بالرجوع إلى غيرهم ، ولا يطمئن بينه وبين الله إلى أنه قد أدى ما عليه من التكاليف المفروضة إلا من طريقهم^(١).

فماذا يفعل الناس اليوم ، وقد غاب الإمام عنهم في غيبته الكبرى ، وليس لهم طريق لمعرفة تفسير القرآن الكريم - الذي اختلفوا في العمل به - إلا من هذا الإمام .

وافترضوا على الصادق أمره لكل شيعي لا يعرف حكم شيء : أرجه حتى تلقى إمامك ؛ فإن الوقوف عند الشبهات خير من الاقتحام في الهلكات^(٢) ، وينفذ كثير من فقهاءهم فيقول : " وعندي في كلا الحكمين توقف ؛ لعدم الظفر بشيء من النصوص من أهل العصمة فيها ، وقد أرجيت حكمها إلى العالم من أهل بيت محمد ورددتها إلى الله ورسوله ، وإليه صلوات الله ، وسلامه عليه " ^(٣).

وتطاول مفتيهم فقال : بعدم جواز العمل بشيء من القرآن ، إلا ما ورد تفسيره عن أهل العصمة ، واقتصر آخرون على العمل بمحكماته ، وتعدى آخرون حتى كادوا يشاركوا الأئمة في تأويل متشابهاته^(٤) ، فالاعتماد على كلام المفسرين في مقابلة تفسير أهل البيت خروج عن الدين^(٥).

فينتج عن ذلك تعطيل الشريعة ، لغياب الإمام المعصوم ، وعدم وجوده بين الناس ، حتى يرجع إليه ليكون المرجع الوحيد لفهم الكتاب ، والسنة ، واستنباط الأحكام^(٦).

أوقفوا العمل بظاهر القرآن ؛ لأن : " في الكتاب الآيات المتشابهات ، والمجملات ، وأوامر خفيات ، خبط المفسرون فيها ، فإتباع بعضهم لا ترجيح فيه ، والكل غير ممكن لتضاد القول وتنافيه ؛ فلا بد من معصوم يتعين الرجوع إليه ، والتعويل في ذلك عليه ؛ إذ الأئمة غير مأمونة الخطأ ، والخلاف بين علمائها واقع ولا خلاف في وقوعه " ^(٧) . وما دام الإمام المفسر غائباً فمن يفسر لنا القرآن غيره ؟ للنتظر ! .

(١) محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية ص ٧٩-٨٠.

(٢) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٠ ص ٦٧.

(٣) المصدر السابق ج ٢٤ ص ٤٧١.

(٤) المصدر السابق ج ١ ص ١٦٩ بتصرف.

(٥) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٨ ص ٤٥.

(٦) د أبو الفتوح الأنور : شيعة إيران أصولها وموقف أهل السنة منها ص ١٣٠.

(٧) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم ج ١ ص ١١٣.

والحدود أيضاً لا تقام ؛ فعن أبي عبد الله : " دمان في الإسلام حلال من الله تعالى لا يقضي فيها أحد ، حتى يبعث الله قائمنا أهل البيت ؛ فإذا بعث الله تعالى قائمنا أهل البيت حكم فيهما بحكم الله لا يريد عليهما بينة : الزاني المحصن يجرمه ، ومانع الزكاة فيضرب عنقه " (١) .

وجهاد الطلب معطل ؛ لغياب صاحب الزمان ، بل محرم ؛ لذا لم يسجل التاريخ - ولن يسجل - جهاداً للشيعة ضد الكفار ؛ بل حروبهم كلها ضد أهل السنة في العراق ، وغيرها ؛ قال أبو عبد الله : " القتال مع غير الإمام المفترض طاعته حرام ، مثل الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير " (٢) ، وعن علي -عليه السلام- : لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا يؤمن في الحكم ، ولا ينفذ في الفئ أمر الله -عليه السلام- فإنه إن مات في هذا المكان كان معيناً لعدونا في حبس حقنا ، والإشاعة بدمائنا ، وميته ميتة جاهلية (٣) .

فالسبب في توقف الجهاد عندهم أنه : لم يجز على مذهبنا المقاتلة مع الكفار إلا بإذن الإمام ، وولي المقاتلة هو صاحب الزمان المنتظر (٤) ، وبالطبع لم يأذن .

حتى الفقهاء " في عصر غيبة ولي الأمر، وسلطان العصر، يقوم نوابه - وهم الفقهاء الجامعون لشرائط الفتوى والقضاء - مقامه في إجراءات السياسات ، وسائر ما للإمام، إلا البداءة بالجهاد (٥) .

حتى لو خرج أقوى القواد من فقهاء الإمامية ، أو رجال السياسة ، أو من آل البيت غير المهدي فلا يجوز الجهاد؛ لأن كل راية ترفع قبل قيام القائم : فصاحبها طاغوت يعبد من دون الله (٦) ، و " مثل من خرج من أهل البيت قبل قيام القائم مثل فرخ طار ووقع من وكره فتلاعبت به الصبيان " (٧) .

(١) أبو جعفر البرقي : المحاسن ج ١ ص ١٦٩ . الصدوق : ثواب الأعمال ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٢) الجواهري : جواهر الكلام ج ٢١ ص ١١ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٤٥ .

(٣) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ٢١ ص ١٣ .

(٤) كلام عبد الرحيم الشيرازي محقق بحار الأنوار . بحار الأنوار ج ٩٠ هامش ص ٧٠ .

(٥) روح الله الموسوي الخميني: تحرير الوسيلة، ط سفارة إيران- دمشق، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م ج ١ ص ٤٣٥ .

(٦) الكليني: الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٣٤ . الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٥٢ .

(٧) الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١١ ص ٣٧ . النعمان: شرح الأخبار ج ٣ ص ٥٦٠ .

حتى وإن وقع الظلم على عباد الله لا يجوز الجهاد ؛ فعن أبي عبد الله قال : "ما خرج ولا يخرج منا أهل البيت إلى قيام قائمنا أحد ؛ ليدفع ظلماً ، أو ينعش حقاً ؛ إلا اصطلته البلية ، وكان قيامه زيادة في مكروهنّا وشيعتنا"^(١) .

ويرون العمل بنصوص مفتراة عن النبي -ﷺ- مثل : حب علي حسنة لا تضر معها سيئة ، فلماذا العمل بالشرعية إذا كان حب علي حسنة لا يضر معها سيئة ؟ وهو الخلاص لهم من كل سيئة عملوها ، وهو الذي معه جوازات مرورهم على الصراط ، ونجاتهم من النار ، وتثقيل موازينهم ، مهما عظم الذنب^(٢) .

ولماذا الخوف ؟ ولماذا العمل ؟ وقد أقسم أبو عبد الله : "والله ، لا يجتمع في النار منكم ثلاثة ، لا والله ، ولا اثنان ، لا والله ، ولا واحد " ^(٣) ؛ حتى يملأ صحيفته حسنات من غير عمل ^(٤) ؛ حتى إن أذنب فحب علي يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب^(٥) ، لا تستخفوا بفقرائ شيعة علي ، وعترته من بعده ؛ فإن الرجل منهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر^(٦) ، وأقلهم من يشفع في ثلاثين ^(٧) . فلماذا العمل ؟ ! .

وها هي الفرصة تتاح لكل متحفل من قيود الشرعية في ثلاثة أيام كل عام ، في عيد الغدير الذي هو أعظم عندهم من الفطر والأضحى ، وهو عيد مقتل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يدعون أن الرضا قال : إن الله -ﷻ- يأمر فيه الكرام الكاتبين أن يرفعوا القلم عن محبي أهل البيت ، وشيعتهم ثلاثة أيام^(٨) من يوم الغدير ،

(١) هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٤ ص ٤١ .

(٢) إبراهيم السلیمان الجبهان : تبديد الظلام وتنبيه النيام ص ٤٧-٤٨ بتصرف .

(٣) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٣١٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٧٩ .

(٤) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٤٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٣٦ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٣٠٦ .

(٦) الشيخ الصدوق : الأمالي ص ٢٢٧ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٢٣٣ .

(٧) الشيخ الصدوق : الاعتقادات ص ٦٦ .

(٨) يقول سيد علي أشرف بعد رواية هذا الحديث الطويل معلقاً : ظاهر هذا الحديث عدم كتابة السيئات ، وفيها إشكال من ناحيتين : الأولى عدم التناهما مع أخبار الوعيد على مخالفة التكاليف الواجبة ،

ولا يكتبون عليهم شيئاً من خطاياهم ؛ كرامة لمحمد ، وعلي ، والأئمة (١).
ثم يتطور الأمر لإسقاط التكاليف ، وسقوط الحساب ؛ يقول الرضا: " رفع القلم عن شيعتنا ، فقيل : كيف ذلك ، قال : لأنهم أخذ عليهم العهد بالتقية في دولة الباطل " (٢)، حتى ولو فعلوا الذنوب كلها ؛ فإن الله -ﷻ- ملأه يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا (٣).
ولماذا العمل وشيعة علي الطائع والعاصي من أهل الجنة ، وعلي وهبت نصف حسناته لشيعته ! وقال الحسن مثلها، وقال الحسين كذلك ، وقال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : " ما أنتم بأكرم مني ، إني قد وهبت لشيعة علي نصف حسناتي ، وقال الله -ﷻ- : " ما أنتم بأكرم مني ، إني غفرت لشيعة علي ، ومحبيه ذنوبهم جميعاً (٤). ولو طلبوهم في النار ما وجدوا منكم أحداً (٥).

ولهم أن يتركوا الصلاة والزكاة والحج ؛ فهي فروض كفاية ، إذا فعلها البعض سقط الإثم عن الباقيين ؛ عن أبي عبد الله: " إن الله ليدفع بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يصلي من شيعتنا ، إن الله ليدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي من شيعتنا، إن الله ليدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج من شيعتنا (٦).

وبدأ المفيد سلسلة أخرى من تعطيل العبادات بجعله من وظائف الإمام جامع للناس في الجمعيات والأعياد (٧)، فلا يصح الحكم ، ولا الحدود ، ولا الجمعة إلا بإمام عدل ، تقى (٨)،

والمحرمة ، والثانية : عدم صحة إظهار هذا العفو، وإبرازه للمكلفين ؛ لما فيه من الجراءة، والتمرد على مخالفة المولى عز وجل . الحلبي : المحتضر ص ٩٥ - ٩٦ .

(١) علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس : إقبال الأعمال ، تقديم : حسين الأعلمي ، منشورات الأعلمي - بيروت ، ط ١، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م ص ٧٧٨. بحار الأنوار ج ٣١ ص ١٢٥. النمازي : مستدرك سفينة البحار ج ٤ ص ١٧٤.

(٢) الصدوق : عيون أخبار الرضا ، ط أمير ، منشورات الشريف الرضي - قم ، ط ١، ١٣٧٨هـ ج ٢ ص ٢٦١ . بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٩٩.

(٣) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٤٠. المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٢٣.

(٤) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ١١٦ - ١١٧ .

(٥) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٦٩. المجلسي : بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٥٤.

(٦) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١ ص ٢٨. بحار الأنوار ج ٧٣ ص ٣٨٢ - ٣٨٣.

(٧) الشيخ المفيد : الاحتجاج ج ٢ ص ٣٤٢.

وإذا شهد الجمعة مع أئمة الجور تقية ، لا يعتد بها ، ويصلي الظهر لنفسه^(٢)، ثم بدأ التصريح بعدم فرضية الجمعة في عصر الغيبة ؛ لأن الجمعة لا تجب إلا في وجود السلطان العادل أو من ينصبه السلطان للصلاة^(٣)، وجاءت الروايات تعضد أن الجمعة لنا، والجماعة لشيعتنا^(٤)، ولا يخفى صراحة كلامه في نفي الوجوب العيني عقداً ، وأن جوازه في عصر الغيبة رخصة لا عزيمة، لا في العقد ، ولا في الاجتماع بعد العقد^(٥) .

ثم ظهر القول بحرمة صلاة الجمعة في عصر الغيبة لأن إمامة الصلاة من مناصب الإمام ؛ فلا يتصرف فيه أحد ، ولا ينوب منابه فيه إلا بإذنه ، وهذا ثابت ضرورة من الدين والعقل والاجماع فعلاً وقولاً ، وما يتوهم من أن الفقهاء مأذون لهم في القضاء والفتيا وهما أعظم فظاير الفساد ، فإنهم إذا صلوا الجمعة قاموا مقام الإمام بغير إذن، ولا دليل على الإذن^(٦)، وعليه فلا يجوز إقامة صلاة الجمعة .

نقد هذا الأثر: مع أن أبا جعفر قال لشيعته : "إني لا أغني عنكم من الله شيئاً ، إلا بورع واجتهاد"^(٧)؛ فكيف بهم وقد تحللوا من العبادات ؟ . وهذا يقترب من عقائد الغلاة : فإنهم كانوا يعتقدون أن كل من والى الأئمة جاز له ترك العبادة اتكالا على ذلك ، وكان أصحابنا القدماء يمتحنون من رمي بالغلو في أوقات الصلاة^(٨).

قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾^(٩). وقال تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾^(١٠). قال تعالى :

(١) رويت روايات عن أبي عبد الله وجعفر بن محمد وعن أبي جعفر . المجلسي : بحار الأنوار ج ٨٩ ص ٢٥٦. الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ٦ ص ١٣ - ١٤ .

(٢) عن علي بن الحسين . المجلسي : بحار الأنوار ج ٨٩ ص ٢٥٥ .

(٣) الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ج ١٠ ص ١١ .

(٤) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ١١ ص ١٥٨ .

(٥) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ١١ ص ١٥١ - ١٥٢ بتصرف .

(٦) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ١١ ص ١٧٩ - ١٨٠ باختصار .

(٧) الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ٣ ص ٧٦ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ هامش ص ٣٣ .

(٩) سورة الإسراء : آية رقم ١٩ .

(١٠) سورة طه : آية رقم ١٥ .

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾^(١). فأين هم من هذه الآيات ؟

ثالثاً : ظهور آثار التقديس في الكذب على أهل البيت :

نظراً لقداسة أقوال الأئمة لدى الشيعة أصبح من المهم لدى المستدل أن يأتي بما يوافق هواه ومذهبه ، وليس كل الشيعة صادقون ، بل لا يخلو أي مذهب من كاذب عليه ، وهذه طبيعة الخلق فمنهم آدم - عليه السلام - ومنهم إبليس ، ولكل منهما أتباع .

فإن من ركب القبائح والفواحش من علماء العامة ؛ فلا تقبلوا منهم عنا شيئاً ، ولا كرامة ، وإنما كثر التخليط فيما يتحمل عنا أهل البيت لذلك ؛ لأن الفسقة يتحملون عنا ؛ فيحرفونه بأسره ؛ لجهلهم ، ويضعون الأشياء على غير وجهها ؛ لقلّة معرفتهم ، وآخرون يتعمدون الكذب علينا^(٢)؛ ليجروا من عرض الدنيا ما هو زادهم إلى نار جهنم ، ومنهم قوم نصاب ، لا يقدرون على القدح فينا ، يتعلمون بعض علومنا الصحيحة ، ثم يضيفون إليه أضعاف وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها ؛ فيتقبلونه المستسلمون من شيعتنا ؛ فضلوا وأضلوا ، فيجمع لعنة في الدنيا والآخرة^(٣).

والسبب في ذلك - كما تدعي الشيعة - أهل البصرة الذين استحلوا الكذب على أمير المؤمنين فلعنهم ، ولعن أرضهم ، وسماها أتن أرض^(٤)، والخلفاء وبنو أمية الذين بذلوا الأموال في الكذب عليهم^(٥).

واستمع لهذا الحديث العجيب : جاء رجل إلى أبي عبد الله فقال : جُعِلْتُ فداك ؛ إن رجلاً يأتينا من قبلك يُعَرِّفُ بالكذب ؛ فيحدث بالحديث فنستبشعه ، فقال أبو عبد الله: يقول لك :

(١) سورة النجم : آية رقم ٣٩ - ٤١ .

(٢) وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٣١ . الطبرسي: الاحتجاج ج ٢ ص ٢٢٥ - ٢٢٦ . بحار الأنوار ج ٢ ص ٨٨ .

(٣) الطبرسي : الاحتجاج ج ٢ ص ٢٢٦ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ٨٨ .

(٤) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ١٤٢ . علي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٣٦٢ .

(٥) بحار الأنوار ج ٦٠ ص ٢٠٤ . علي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٣ ص ١٢٤ .

إني قلت : لليل إنه نهار ، أو للنهار إنه ليل ؟ قال : نعم ، قال : فإن قال لك هذا أي قلته ، فلا تكذب به^(١)، فإنك إنما تكذبني^(٢) .

وفي رواية : إن الرجل ليأتينا من قبلك ، فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر ؛ فيضيق بذلك صدورنا حتى نكذبه ، فقال : أليس عني يحدثكم ؟ قال : بلى ، قال : فيقول لليل : إنه نهار ، وللنهار : إنه ليل ؟ قال : لا ، فقال : رده إلينا ؛ فإنك إن كذبت فإنما تكذبنا^(٣) .
وكثيرا ما جاء اللعن على لسان الأئمة لأناس بأعيانهم ، ويسمونهم بأسمائهم^(٤) ؛ لكذبهم على آل البيت ، فمن أين نطمئن لأحاديث عن أناس لم يثق فيهم أئمتهم .
فهل يوجد عند الشيعة كتاب صحيح يقطعون بصحته مثل ما عند أهل السنة ؟ وإن كان لهم فما هي هذه الكتب ؟ وما هي قواعدهم في الجرح والتعديل ؟ وما هي أزمى أسانيدهم ؟ حتى نستطيع أن نتبع أئمتهم .

المطلب الثالث

آثار تقديس الأئمة على علاقتهم بمخالفهم

أولاً : ظهور آثار التقديس في اعتقاد وجوب مخالفة العامة (أهل السنة) في عباداتهم :

لما قدس الشيعة أنفسهم ومذهبهم تبعاً لتقديس أئمتهم ، نأوا بأنفسهم أن يتساووا مع عامة المسلمين من أهل السنة ؛ فقدسوا مخالفتهم ، والبعد عن موافقتهم في العبادات والمعاملات ! .

(١) يقول الطبري : " فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين : مما يستكره قارئه ، أو يستشنع سامعه ؛ من أجل أنه لم يعرف له وجهها في الصحة ، ولا معنى في الحقيقة ؛ فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا ، وإنما أتى من قبل بعض ناقله إلينا ، وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلينا " .
تاريخ الطبري ج ١ ص ١٣ . فمن ترى أحرص على الصدق ؟ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ٢١١ .

(٣) بحار الأنوار ج ٢ ص ١٨٧ . محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٥٨١ - ٥٨٢ .

(٤) جاء اللعن على لسان أبي عبد الله لراوه منهم : بنان التبان ، والمغيرة بن سعيد ، وأبو بصير ، وزرارة بن أعين الذي يوجد له في الكافي ٧٠٠ رواية تقريباً ، وفي تهذيب الأحكام ٧٧٥ ، وفي الاستبصار ٢٥٠ ، وفي من لا يحضره الفقيه ٢٥٠ . د عمر الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية ص ١٩٣ .

يقول أحد محققهم مدعياً أن من القواعد المقررة عن أهل العصمة : "عرض الأخبار عند اختلافها على مذهب العامة ، والأخذ بخلافها ، والأخبار المخالفة للمشهور موافقة لهم" ^(١)، فإن كان الخبران مشهورين، قد ينظر : فما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة وخالف العامة ؛ فيؤخذ به ، ويترك ما خالف حكمه حكم الكتاب والسنة ^(٢) ووافق العامة ^(٣) ، ثم ينظر إلى ما هم إليه أميل حكمهم وقضاتهم ؛ فيترك ويؤخذ الآخر، وإن وافقتهم كل الأخبار ؛ فأرجئه حتى تلقى إمامك ^(٤) ، فإن وافقت مذهب العامة ؛ فتحمل على التقية ^(٥).

وفيفتون بوجوب طرح ما خالف روايات أهل البيت ^(٦)؛ ويدعون أن كل ما خالف أهل السنة من الأخبار الخارجة عن الأئمة فهو موافق للقرآن العزيز ، وإن لم يهتدوا إلى وجه الموافقة ؛ وذلك لأن الأحكام الواقعية الخارجة - لا على جهة التقية - لا يجوز مخالفتها للقرآن ؛ ولأن ما عليه العامة مخالف للحنيفية ؛ لما استفاد من أخبار من أنهم ليسوا من الحنيفية على شيء ، وأنهم لم يبق في أيديهم إلا استقبال القبلة ، وأنهم ليسوا إلا مثل الجدر المنصوبة ^(٧)؛ ولدخولهم في تسمية النواصب ^(٨) أعداء أهل البيت ، وعبادتهم باطلة ؛ للقطع بكفرهم على وجه لا يقبل الإنكار ؛ فمن اهتدى للتشيع لا يعيد عبادته فضلاً من الله عليه ، لا لأنها صحيحة في ذاتها ، بل لفضل الله عليه بالهداية ، كما تفضل على الكافر بعد دخوله في الإيمان؛ لما ورد عن أبي عبد الله: أبحج الرجل عن النصّاب قال : لا ^(٩).

(١) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٣ ص ٥٨ .

(٢) يناقض نفسه ويقول : قد تقرر في القواعد المروية عنهم عرض الأخبار المختلفة على الكتاب العزيز ، والأخذ بما وافقه ، وطرح ما خالفه. المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٤ ص ٢٤٦ .

(٣) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ٢ ص ٤٠٧ .

(٤) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٠٧ . عن أبي عبد الله.

(٥) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٦ ص ١٨٥ - ١٨٦ باختصار .

(٦) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٢ ص ٤٠٨ .

(٧) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٣ ص ٥٨ - ٥٩ بتصرف.

(٨) النواصب : من طوائف أهل البدع التي أصيبت في معتقدها بعدم التوفيق للاعتقاد السديد ، فقد زين لهم الشيطان التدين ببغض علي بن أبي طالب كما تعدى بغضهم إلى أهل البيت. د علي الصلابي : الحسن بن علي ص ١٥٧ .

(٩) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٤ ص ٤٢٣ - ٤٢٤ .

نقد هذا الأثر: ننق لهم نصاً من كتبهم : قال رسول الله -ﷺ- : إنه سيكذب علي كما كذب على الذين من كان قبلي، فما جاءكم عني من حديث وافق كتاب الله فهو حديثي ، وأما ما خالف كتاب الله ؛ فليس من حديثي ^(١).

ثانياً : ظهور آثار التقديس في اعتقاد بطلان عبادة الفرق المخالفة للشيعة :

يزعم الشيعة أن الروايات استفاضت والأخبار عن الأئمة بكفر المخالفين ، ونصبهم وشركهم ، وأن الكلب، واليهودي خير منهم ، ولا يجامع الإسلام البتة ، وأمثال ذلك مما يدل على خروجهم عن الملة المحمدية ، والشريعة النبوية بالكلية ^(٢) ، وللإجماع المنقول على شرطية الإيمان في صحة العبادات ؛ يعلم بطلان عبادة المخالف ، وإن كانت موافقة لما عند الشيعة من شرائط ؛ إذ الظاهر أن المراد بالإيمان: المعنى الأخص ^(٣).

بل جاء اللعن لكل المخالفين على لسان أئمة آل البيت - كما تزعم الشيعة كذباً - حين سئلوا عن حكم الجلوس إلى المخالفين ، وأخذ الحديث عنهم ؛ قال الرضا: " لا تأتهم ، ولا تسمع منهم ؛ لعنهم الله ، ولعن مللهم المشركة " ^(٤) ، وإن أمرهم في الآخرة - أي المخالفين - لأضيق من الحلقة ، لا يعفى عنهم ، كما يعفى عن مذنب الشيعة ، ولو قام القائم بدأ بقتل هؤلاء قبل الكفار ، ولا أستطيع تكفيرهم تقية ، فالمخالفين ليسوا من أهل الجنان ، ولا من أهل المنزل بين الجنة والنار ، وهي الأعراف ، بل هم مخلدون في النار ^(٥).

نقد هذا الأثر: يتناقض الشيعة عندما يروون عن جعفر بن محمد عن أبيه : " أن علياً لم يكن ينسب أحداً من أهل البغي إلى الشرك ، ولا إلى النفاق ، ولكن كان يقول : إخواننا بغوا علينا " ، وعنه : أنه سئل عن الذين قاتلهم من أهل القبلة : أكافرون هم ؟ قال : كفروا بالأحكام ، وكفروا بالنعمة ، ليس كفر المشركين الذين دفعوا النبوة ، ولم يقرؤوا بالإسلام ، ولو كانوا كذلك ما حلت لنا مناكتهم ، ولا ذبائهم ، ولا موارثتهم ^(٦).

(١) بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٢٧ . حديث موضوع انظر الموضوعات للصنعاني ج ١ ص ٢٤ .

(٢) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٠ ص ٤٣ .

(٣) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ٣ ص ٣٩ .

(٤) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢١ ص ٤٧٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ٢١٦ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦١ .

(٦) الجواهري : جواهر الكلام ج ٢١ ص ٣٣٨ . النوري : مستدرک الوسائل ج ١١ ص ٦٨ .

فإن قيل هذا من باب التقية^(١)، قلنا : وجهه غير واضح ؛ فإن الظاهر أن أمير المؤمنين كان يعاملهم معاملة المسلمين ، وكان يقول : من الشرك فروا ، وليسوا منافقين ؛ إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً^(٢) .

ثالثاً : ظهور الإساءة للنبي - ﷺ - وآل بيته من الأئمة والصحابة - ﷺ - :

حاول الشيعة تقديس الأئمة فدنسوه من حيث لا يشعرون ، وذلك أن التقديس حكم شرعي خاص بالله تعالى، فمن تقمص دور المشرع وقع في التناقض - عياداً بالله تعالى - مما قالوه .

ومن الغريب أن أول من أساء لأهل البيت الشيعة أنفسهم ؛ فيدعون : بأن النبي لو كان قد بلغ بأمر الإمامة طبقاً لما أمر الله به ، وبذل المساعي في هذا المجال ؛ لما نشبت في البلدان الإسلامية كل هذه الاختلافات ، والمشاحنات، والمعارك ، ولما ظهر خلافات في أصول الدين وفروعه^(٣) .

ويتهمون النبي - ﷺ - في مهمته الرئيسية ؛ ويتهمون الله - ﷻ - بالتقية والخوف ؛ كما تفهم من قول الخميني : لقد أثبتنا في بداية هذا الحديث بأن النبي أحجم عن التطرق إلى الإمامة في القرآن؛ لخشيته أن يصاب القرآن من بعده بالتحريف - ﷺ - أو أن تشتد الخلافات بين المسلمين ؛ فيؤثر ذلك على الإسلام ، فذكر الإمامة بتحفظ خوفاً من المنافقين^(٤) فأين التوقير لله ونبيه - ﷺ - ، وكأن القرآن من صنعه - ﷺ - .

واتهمت الشيعة النبي - ﷺ - بالجبين - نعوذ بالله - في تبليغ الرسالة ؛ حيث افتروا أن النبي - ﷺ - جاءه جبريل - عليه السلام - يطلب منه أن يبلغ وصية الله له بخلافة علي ، ويأخذ على الصحابة العهد والميثاق ، فقال : أخشى أن يكذبني قومي ، فلما بلغ غدير خم ، جاءه جبريل بالزجر ، والانتهاز ، والعصمة من الناس ، فقال : يا محمد إن الله يقرؤك السلام ، ويقول لك : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ - فِي عَلِي - وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾^(٥) ، فلما نزلت جمع الناس ، وقال : إني أؤدي ما أوحى

(١) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٨٣ .

(٢) الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ج ٢ ص ٨٠٦ - ٨٠٧ .

(٣) الخميني : كشف الأسرار ص ١٥٥ .

(٤) الخميني : كشف الأسرار ص ١٤٩ .

(٥) سورة المائدة : آية رقم ٦٧ .

إليَّ به ؛ خوفاً من أن تحل بي قارعة لا يدفعها عني أحد ، وأوحى إلي بسم الله الرحمن الرحيم ثم تلا الآية^(١).

ومن جملة إساءاتهم تسمية أمير المؤمنين بالبعوضة، وما فوقها رسول الله -ﷺ-^(٢)، ويفسرون قول الله -ﷻ- : ﴿ قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾^(٤)، بأنه : علي -ﷺ-^(٥)، وسموا الحسن -ﷺ- بمذل المؤمنين، ومسود الوجوه^(٦)؛

حين تنازل عن الخلافة لمعاوية -ﷺ-^(٧) ووثب عسكر الحسن -ﷺ- بالحسن ، فانتهبوا فسطاطه ، وأخذوا متاعه، وطعنوه في خاصرته ، فردوه جريحاً إلى المدائن^(٨) .

وأساءوا إلى أظهر نساء العالمين : فاطمة الزهراء -ﷺ- حيث رووا عن سلمان -ﷺ- أنه لقيه علي -ﷺ- فقال له : صر إلى منزل فاطمة ؛ فإنها إليك مشتاقة، وإنها اتحفت بتحفة من الجنة ، تريد أن تتحفك منها ، فدخلت فإذا هي جالسة في صحن الحجرة ، عليها قطعة عباءة ، إذا خمرت رأسها انجلى ساقها ، وإذا غطت ساقها انكشف رأسها ، فلما نظرت إلى اعتجرت ، ثم قالت : يا سلمان جفوتني بعد وفاة أبي ، قلت حبيبتي أجفاكم !^(٩) ما هذا الهراء ، والديانة ؟ ألا يوجد استئذان قبل الدخول ، أو لا يوجد محرم معهما ؟ .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٠٤-٢٠٦ بتصرف.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٩٣. علي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٣٧٦.

(٣) ويفترون رواية أن البعوض كان رجلاً يستهزئ بالأنبياء - عليهم السلام - ويشتمهم ، ويكلح في وجوههم ، ويصفق بيديه ؛ فمسخه الله تعالى بعوضاً، ثم لا يتورعون عن وصف الكرام بذلك ! . الصدوق : علل الشرائع ص ٤٧٦. وسائل الشيعة ج ٢٤ ص ١١١. بحار الأنوار ج ٦٥ ص ٢٢١.

(٤) سورة عبس : آية رقم ١٧.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٩٩.

(٦) المفيد : الاختصاص ص ٨٨. أبو الفرج : مقاتل الطالبين ص ٧٥. بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٤. ج ٢٨ ص ٢٥٨.

(٧) هل كان الحسن مذلاً للمؤمنين ؟ ! أم أنه كان معزاً لهم ، لأنه حقن دمائهم ، ووحد صفوفهم بتصرفه الحكيم ، ونظره الثاقب ؟ ! وهذا القول ينسب إلى أبي عبد الله والله إنه لبرئ من هذا الكلام. د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ ص ٢٦.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٦١.

(٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٦٦ بتصرف. ج ٩٥ ص ٣٦ - ٣٧. وأصل الخبر رواه أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري ولم يذكر كشف الساق : دلائل الإمامة ، ط الأعلمي - بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ص ٣٠ - ٣١.

ويفترون عن الباقر والصادق أنه -عليه السلام- كان لا ينام حتى يضع وجهه بين ثديي فاطمة ويدعو لها ، وفي رواية : حتى يقبل بين ثدييها ^(١) ؛ وفاطمة امرأة بالغة فهل يعقل هذا ^(٢)، ولعل هذا الذي جعل بعض نساءه ينكرن عليه كثرة تقبيله لفاطمة -عليها السلام- ^(٣).

ويفترون عن علي -عليه السلام- ألفاظاً قبيحة يتعالى مقامه الشريف أن يتلفظ بهذه الألفاظ ؛ كما روي أن امرأة قاطعته فقال لها : يا التي لا تحيض كما تحيض النساء ، كذبت يا جريئة ، يا بذينة ، يا سلفع ، يا سلققية ، يا التي لا تحمل من حيث يحمل النساء ^(٤)، والسلقلقية : تحيض من دبرها ^(٥) ، والسلفع : هي الجريئة على الرجال ^(٦) .

ثم الإساءة تشمل النبي وآله الأطهار في أخلاقهم ؛ فرووا عن الرضا أن النبي -عليه السلام- قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى في أمر أراده ، فرأى امرأته تغتسل ؛ فقال لها : سبحان الذي خلقك ، فلم يعلم زيد ما أراد بذلك ، وظن أنه قال ذلك لما أعجبه من حسناتها ^(٧)، ألا يوجد استئذان قبل الدخول حتى لا تقع عينه عليها ، ألا يوجد حياء منها ؛ فتعلم بمجيئه فتستتر ، سبحانك هذا بهتان عظيم ! .

وتأتي واحدة من قواصم الظهر كسابقتها : عن أبي عبد الله : كان رسول الله -عليه السلام- يأتي مرضع فاطمة ، فيتفل في أفواههن ، ويقول لفاطمة : لا ترضعيهم ^(٨) ، وكان ريقه يجرئهم ^(٩) . ومن الإساءة للإمام الحسين -عليه السلام- أن ادعوا أن السيدة فاطمة كرهت حملة ، وولادته ، وقالت : لا حاجة لي في مولود مني تقتله أمتك من بعدك ^(١٠).

(١) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٥٥ . ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٨٢ .

(٢) د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ ص ٢٩ .

(٣) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٤٢ . ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ٣٨٣ .

(٤) الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ٢ ص ٤٠ - ٤١ . محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٣٩٦ - ٣٩٨ .

(٥) الشيخ المفيد : الاختصاص هامش ص ٢٩٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٢٦ .

(٦) الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ١٠٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٢٦ .

(٧) الشيخ الصدوق : عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٨٠ - ١٨١ بتصرف . الطبرسي : الاحتجاج

ج ٢ ص ١٩٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١١ ص ٨٣ - ٨٤ . ج ٢٢ ص ٢١٧ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٠ . ج ٤٣ ص ٢٥٠ .

(٩) قال ابن حجر : اسناده لا بأس به في الرواية الثانية . انظر فتح الباري ج ٤ ص ٢٣٥ .

(١٠) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٥٣٦ - ٥٣٧ . البحراني : الحقائق الناضرة ج ٢٥ ص ٨١ .

وهذا أحد روايتهم ^(١) صرح : أنه شرط في لحية أبي عبد الله ، وقال : لا يفلح أبداً ؛ بسبب مسألة فقهية لم يعجبه جوابه عنها ^(٢) .

ويفترون عن الصادق : " إنما أكره النظر إلى عورة المسلم ؛ فأما النظر إلى عورة من ليس بمسلم ؛ مثل نظرك إلى عورة حمار " ^(٣) ؛ أليست دعوة للفواحش ؟ ! ^(٤) .

وهذا زين العابدين سأل يزيدي بن معاوية أن يكون عبداً له ؟ فرضي أن يكون عبداً ليزيد ، وقال له : قد أقررت لك بما سألت أنا عبد مكره ؛ فإن شئت فأمسك ، وإن شئت فبع ، فقال له يزيد : أولى لك حققت دمك ، ولم ينقصك ذلك من شرفك ^(٥) .

ولا يقتصر الأمر على الأئمة ^(٦) ، بل طال بنات النبي - ﷺ - فادعوا :

(١) هو أبو بصير ، والحق لنا أن نبكي دماً لقد مضى على كتاب الكشي عشرة قرون ، وتداولته الشيعة كلهم على اختلاف فرقهم ، فما رأيت أحداً منهم اعترض على هذا الكلام ، أو أنكره ، أو نبه عليه . د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ ص ٢٦ .

(٢) هو : زرارة بن أعين ، وله جماعة تتبعه تسمى الزرارية . انظر الكشي : رجال الكشي ص ١٢٠ .

(٣) الجواهري : جواهر الكلام ج ٢ ص ٥ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٤) يُسْتَحَبُّ للعالم والمعلم والقاضي والمفتي والشيخ المرَبِّي ومَن يقتدى به ويؤخذ عنه: أن يجتنب الأفعال والأقوال والتصرفات التي ظاهرها خلاف الصواب وإن كان محققاً فيها، لأنه إذا فعل ذلك ترتب عليه مفسد، من جملتها: توهّم كثير ممّن يعلم ذلك منه أن هذا جائز على ظاهره بكل حال، وأن يبقى ذلك شرعاً وأمرأ معمولاً به أبداً، ومنها وقوع الناس فيه بالتنقص، واعتقادهم نقصه، وإطلاق ألسنتهم بذلك، ومنها أن الناس يُسيئون الظنّ به فينفرون عنه، ويُنفّرون غيرهم عن أخذ العلم عنه، وتسقط رواياته وشهادته، ويبطل العمل بفتواه، ويذهب ركون النفوس إلى ما يقوله من العلوم، وهذه مفسد ظاهرة، فينبغي له اجتناب أفرادها، فكيف بمجموعها؟ فإن احتاج إلى شيء من ذلك وكان محققاً في نفس الأمر لم يظهره، فإن أظهره أو ظهر أو رأى المصلحة في إظهاره ليعلم جوازه وحكم الشرع فيه، فينبغي أن يقول: هذا الذي فعلته ليس بحرام، أو إنما فعلته لتعلموا أنه ليس بحرام إذا كان على هذا الوجه الذي فعلته، وهو كذا وكذا، ودليله كذا وكذا. النووي: الأذكار من كلام سيد الأبرار، ط دار المنهاج - جدة - نشر وزارة الأوقاف القطرية ، ط ٤ ، ٣٣١٤هـ / ٢٠١٢م ص ٥١٩ - ٥٢٠ .

(٥) الكليني: الروضة من الكافي ج ٨ ص ١٨٩ - ١٩٠ . الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

(٦) أكثر من تعرض للطعن: الإمامين محمد الباقر ، وابنه جعفر الصادق ، فقد نسبت إليهم أغلب المسائل: كالقول بالتقية ، والمتعة ، واللواط بالنساء ، وإعارة الفروج ، وهما بريئان من هذا كله . انظر د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ ص ٣١ .

أن رقية -ﷺ- (١)، وزينب -ﷺ- (٢) زوجتا عثمان بن عفان -ﷺ- ، لم تكونا (٣) ابنتي رسول الله -ﷺ- ، ولا خديجة -ﷺ- بحجة أنه لا يجوز أن يزوج النبي -ﷺ- ابنته من كافر ؛ ولكنهما كانتا ربيبتين له -ﷺ- من هالة (٤) أخت خديجة -ﷺ- من جحش (٥) ، ونتعجب من هذا الخطأ ، فعثمان -ﷺ- لم يكن زوجاً لزينب -ﷺ- ؛ وتزوج بعد رقية بأم كلثوم -ﷺ- (٦) . (٧)

ثم يهدم صراحاً ليقم ترحاً ؛ فيقول المفيد : وإنما زوجه النبي -ﷺ- على ظاهر إسلامه ، ثم إنه تغير بعد ذلك ، أو زوجه على الظاهر ، وكان باطنه مستوراً عنه -ﷺ- ويمكن أن

(١) رُقِيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-: تَزَوَّجَهَا عْتَبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ. فَفَارَقَهَا قَبْلَ الدُّخُولِ. وَأَسْلَمَتْ مَعَ أُمِّهَا، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ هَاجِرَتْ مَعَهُ إِلَى الْحَبَشَةِ الْهَجْرَتَيْنِ جَمِيعاً، وَمَرَضَتْ قُبَيْلَ بَدْرٍ، فَخَلَفَ النَّبِيُّ -ﷺ- عَلَيْهَا عُثْمَانُ؛ فَتَوَفَّيَتْ، وَالْمُسْلِمُونَ بِبَدْرٍ. الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥٠٠-٥٠١. الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ٣١. د حمزة النشرتي ، الشيخ عبد الحفيظ فرغلي ، د عبد الحميد مصطفى: سيرة آل بيت النبي ج ١ ص ٤٨٩ - ٤٩٣ .

(٢) زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ-: وَأَكْبَرُ أَخَوَاتِهَا، مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ ، تَزَوَّجَهَا فِي حَيَاةِ أُمِّهَا ابْنُ خَالَتِهَا أَبُو الْعَاصِ؛ فَوَلَدَتْ لَهُ أُمَامَةَ الَّتِي تَزَوَّجَ بِهَا: عَلِيٌّ بَعْدَ فَاطِمَةَ، وَهَاجِرَتْ قَبْلَ إِسْلَامِ زَوْجِهَا بِسِتِّ سِنِينَ. تَوَفَّيَتْ: ٥٨ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٩٧-٥٠٠. د حمزة النشرتي ، عبد الحفيظ فرغلي : سيرة آل بيت النبي ج ١ ص ٤٧٩ - ٤٨٨ .

(٣) يرد عليه الشيخ المفيد : إن زينب ورقية كانتا ابنتي رسول الله -ﷺ- والمخاف لذلك شاذ بخلافه ، فأما تزويجه لهما بكافرين ؛ فإن ذلك كان قبل تحريم مناكرة الكفار. الشيخ المفيد : المسائل العكبرية (المسائل الحاجبية) ، تحقيق : علي أكبر الإلهي الخراساني ، ط مهر - قم ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ص ١٢٠. الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ٣٩٦ .

(٤) هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ : الصَّحَابِيَّةُ ، أُخْتُ خَدِيجَةَ ، أُمُّ أَبِي الْعَاصِ لَقِيطُ بْنُ بَنِ الرَّبِيعِ زَوْجُ زَيْنَبُ بِنْتُ النَّبِيِّ ، وَكَانَ النَّبِيُّ -ﷺ- يَحِبُّ أَنْ يَرَاهَا لِشَبْهِهَا بِخَدِيجَةَ. ابن حجر : فتح الباري ج ٧ ص ١٦١ .

(٥) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٢٠٩ . بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٥٢ .

(٦) أُمُّ كُلْثُومُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- عَقَدَ عَلَيْهَا عُنْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ ، وَفَارَقَهَا قَبْلَ الدُّخُولِ لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ: تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، فَتَزَوَّجَتْ ذِي النُّورَيْنِ لَمَّا مَاتَتْ رُقِيَّةُ ، فَتَوَفَّيَتْ فِي حَيَاتِهِ -ﷺ- بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ مِنَ الْهِجْرَةِ. الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥٠١-٥٠٤ .

(٧) زينب -ﷺ- كانت زوجة العاص بن الربيع -ﷺ- . سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٩٧-٥٠١ .

يستر الله على نبيه نفاق ^(١) كثير من المنافقين ، ويمكن أن يكون الله أباح له مناكحة من يظاهر الإسلام ، وإن علم من باطنه النفاق ، وهي خاصية له -ﷺ- ^(٢).
 ويتهمون أنه لما ماتت رقية -ﷺ- بضرب زوجها عثمان ؛ لعنه النبي خمس مرات ، وقال : لا يتبعنا أحد ألم بجاريته البارحة ^(٣) ، وشكى عثمان بطنه ورجع ، ولعنه جماعة حيث حرموا الصلاة عليه بسببه ^(٤).

ويتمادون في الإيذاء ؛ فيفسرون قول الله -ﷻ- : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾ ^(٥)، عن الصادق : يعني الثالث - أي : عثمان - وزوجته رقية بنت رسول الله -ﷺ- ، ومعنى ونجني من فرعون وعمله : أي من الثالث وعمله ، ونجني من القوم الظالمين : بني أمية ، وعن الباقر في قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ فِرْعَوْنُ - يعني الثالث - وَمَنْ قَبْلَهُ - يعني الأولين - وَالْمُؤْتَفِكَاتُ - أهل البصرة - بِالْحَاطِئَةِ - هي عائشة - ﴾ ^(٦) ، وروي عن النبي -ﷺ- : لكل أمة فرعون ، وعثمان فرعون هذه الأمة ^(٧) .

ويتطورون فيطلقون على عمر -ﷺ- لقبى : إبليس الأبالسة ، وفرعون هذه الأمة ، ويصفونه بالملعون ، والرجس ، والنجس ، والخبيث ، والمخبث ، والشيطان ^(٨) ، ويفسرون

(١) كيف يقولون ذلك وهم يعتقدون أن الأمة يعرفون الظاهر والباطن وهم بكل شيء علماء ؟ .

(٢) الشيخ المفيد : المسائل السرورية ، تحقيق : صائب عبد الحميد ، ط مهر - قم ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣هـ - ص ٩٢ - ٩٤ . بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٦٤ - ١٦٥ . علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٣٤٣ - ٣٤٤ .

(٣) قال المجلسي - لعنه الله - : وهو { لعنه الله زنى بجارية رقية في تلك الليلة } . بحار الأنوار ج ٨١ ص ٣٩٣ .

(٤) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم ج ٣ ص ٣٤ .

(٥) سورة التحريم : آية رقم ١١ .

(٦) سورة الحاقة : آية رقم ٩ .

(٧) ثم يتناقض ويقول : إن فرعون هو : الأول ، يعني : أبو بكر ، وهامان هو : عمر ، ثم يتناقض أكثر ، فيقول : إن معاوية فرعون هذه الأمة . الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ١٨٥ بتصرف .

(٨) بحار الأنوار ج ٣١ ص ٥٩٧ . علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٤١٥ .

قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ ^(١) ؛ بأن الكافر هو : الثاني - يعني : عمراً - ^(٢)، كان على أمير المؤمنين ظهيراً ^(٣) .

ويسئنون لعرض النبي -ﷺ- فيتهمون الحصان الرزان ، وسيد من صان العرض بعد الأنبياء ؛ فيروون عن أمير المؤمنين -ﷺ- أنه قال : " سافرت مع رسول الله -ﷺ- ليس له خادم غيري ، وكان رسول الله -ﷺ- ينام بيني وبين عائشة ، ليس علينا ثلاثتنا لحاف غيره ، إذا قام إلى صلاة الليل ؛ يحط بيده اللحاف من وسطه بيني وبين عائشة ، حتى يمس اللحاف الفراش الذي تحتنا ^(٤) .

ويقعون في أبناء الزهراء جميعاً : حينما يسأل أبو جعفر عن اسم المهدي الذي يخاف القتل فغاب ؛ فقال : سألتني عن أمر لو أن بني فاطمة عرفوه ؛ لحرصوا على أن يقطعوه بضعة بضعة ^(٥) .

ويسئنون لواحد من أبناء أهل البيت بهدف تقديس أخيه ، فيفترون : وأما القائلون بإمامة جعفر بن علي بعد أخيه ؛ فقولهم باطل بما دللنا عليه ، وجعفر لم يكن معصوماً بلا خلاف ، وما ظهر من أفعاله التي تنافي العصمة أكثر من أن يحصى ، لا نطول بذكرها الكتاب ^(٦) ؛ وما روي عن أبي الحسن حين ولد له جعفر، هنأه الناس به ، فلم يروا به سروراً ، وقال : سيضل خلقاً كثيراً ، وما روي فيه وله من الأفعال والأقوال الشنيعة أكثر من أن تحصى ننزه كتابنا عن ذلك ^(٧) ، ولما دخل السجن مع أبي محمد نادى بأعلى صوته : واشطناه

(١) سورة الفرقان : آية رقم ٥٥ .

(٢) مع أن عمر -ﷺ- كان لا يسمح لأحد بالظعن في علي -ﷺ- ؛ بدليل أن عمر سمع رجلاً يقع في علي -ﷺ- فقال له عمر -ﷺ- : " تعرف صاحب هذا القبر ؟ أما تعلم أنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، ويليك ، لا تذكر علياً إلا بخير ؛ فإنك إن تنقصته آذيت هذا في قبره -ﷺ- " . الشيخ الصدوق : الأمالي ص ٢٨٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٣٠٣ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣١ ص ٥٩٠ .

(٤) كتاب سليم بن قيس ص ٤٢٢-٤٢٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢ .

(٥) أبو جعفر الطوسي : الغيبة، ط الفجر - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ / ١٣٨١ م ص ٢٠٨ . البحار ج ٥١ ص ٣١ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢١٢ .

(٧) المصدر السابق ج ٥١ ص ٢١٣ .

يعني جارية له ، فزجره أبو محمد ، وقال له اسكت ، وإنهم رأوا فيه آثار السكر، فنام على تلك الحال^(١) .

وبدأت بهذا لتعلم أنهم لن يراعوا الله حقه في احترام آل البيت من غير أنمتهم فاسمع إذا ما روه عن الباقر واصفاً العباس -عليه السلام-^(٢) ، وعقيل عمي النبي -عليه السلام- قال : بقي مع علي رجلان ضعيفان ذليلان حديثا عهد بإسلام ، وكانا من الطلقاء^(٣) ، وكذبوا على علي -عليه السلام- قال عنهما : وبقيت بين جلفين ، جافيين ، ذليلين ، حقيرين ، عاجزين : العباس وعقيل ، وكانا قريبي عهد بكفر^(٤) .

وأخرج ابن عباس من قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾^(٥) ثم قال : ثم تركته يومه ذلك لسخافة عقله^(٦) .

ويدعون على عبد الله وعبيد الله^(٧) ابني العباس -عليه السلام- : " اللهم العن ابني فلان ، وأعم أبصارهما ، كما عميت قلوبهما ، واجعل عمي أبصارهما دليلا على عمي قلوبهما "^(٨) .
ويلخص المفيد حقداً دفيناً فيقول : إن التسليم لمن صحب النبي -عليه السلام- بالصحبة ، لا يستلزم عصمتهم من الضلال ، ولا يرفع عنهم جواز الغلط ، والسهو ، والنسيان ، ولا يحيل منهم تعمد العناد ، وقد ظهر هذا فيما صنع شركاؤهم في الصحبة ، والهجرة والسبق

(١) المصدر السابق ج ٥٠ ص ٣٠٧ .

(٢) العباس بن عبد المطلب ، وَلِدَ قَبْلَ عَامِ الْفِيلِ بِثَلَاثِ سِنِينَ ، أَسْلَمَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ ، وَكَتَمَ إِسْلَامَهُ ، وَخَرَجَ مَعَ قَوْمِهِ إِلَى بَدْرٍ ، فَأُسِيرَ يَوْمَئِذٍ ، فَادَّعَى أَنَّهُ مُسْلِمٌ ، وَلَيْسَ مِنَ الطُّلُقَاءِ ؛ فَإِنَّهُ قَدِمَ إِلَى النَّبِيِّ -عليه السلام- قَبْلَ الْفَتْحِ ، كَانَ شَرِيفًا ، مَهْيَبًا . كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -عليه السلام- يُجِلُّهُ إِجْلَالَ الْوَالِدِ ، تُوْفِيَ ٣٢ هـ ، وَلَهُ سِتٌّ وَتَمَانُونَ سَنَةً . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٩١ - ٤٠٩ .

(٣) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ١٦٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٥١ .

(٤) كتاب سليم بن قيس ص ٢١٦ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٤٦٨ .

(٥) سورة فصلت : آية رقم ٣٠ .

(٦) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٠٢ - ٣٠٣ . بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٧٨ - ٧٩ .

(٧) عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ -عليه السلام- وَلِدَ : فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ، وَلَهُ رُؤْيَا ، كَانَ أَصْغَرَ مَنْ عَبْدِ اللَّهِ بِسَنَةِ ، أَسْلَمَ مَعَ أَبِيهِ ، تُوْفِيَ بِالْمَدِينَةِ أَيَّامَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٩ - ٣٠ .

(٨) الشيخ الطوسي : اختيار معرفة الرجال ج ١ ص ٢٧٠ .

إلى الإسلام ، حين رجع الأمر إلى أمير المؤمنين باختيار الجمهور منهم ، والاجتماع ، فنكثوا بيعته ، فلو كانت الصحبة مانعة من الضلال ؛ لمنعت من ذلك ، وقد علمتم عداوتهم لأمر المؤمنين ، وإظهارهم البراءة منه ، والقنوت عليه^(١).

ويقول الطوسي : وقد رأينا من جملة السابقين ، ومن جملة المبايعين تحت الشجرة من وقع منهم الخطأ ، ألا ترى أن طلحة - ؓ - والزبير - ؓ - كانا من جملة السابقين ، ومن جملة المبايعين تحت الشجرة ، وقد نكثا ببيعة أمير المؤمنين ، وقتلاه ، وسفكا دم شيعته ، وتغلبا على أموال المسلمين ، وكذلك فعلت عائشة - ؓ - ، وهذا سعد بن أبي وقاص - ؓ - (٢) ، قد تأخر عنبيعة أمير المؤمنين - ؓ - (٣).

واتهمت الشيعة الصحابة والتابعين كلهم بما فيهم أهل البيت إلا ثلاثة بالزنا - نعوذ بالله - ؛ حيث روي أن امرأة جاءت إلى علي - ؓ - واعترفت بجريمة الزنا ، وطلبت منه أن يطهرها ، فقال للناس يوم إقامة الحد : لا يقيم الحد من الله عليه حد ، فمن كان عليه مثل ما عليها ؛ فلا يقيم عليها الحد ، فانصرف الناس يومئذ ، وفيهم محمد بن الحنفية ، ما خلا علي والحسن والحسين - ؓ - فأقاموا الحد (٤) ؛ حسبنا الله ونعم الوكيل !.

ويصورون جيل الصحابة بجيل الدس والتآمر على الدعوة وصاحبها ؛ فيروون : أن أبا بكر ، وعمر ، وعائشة ، وحفصة - ؓ - حاولوا أن يسقوا رسول الله - ﷺ - سماً ، بعدما أخبرهما أن أبا بكر وعمر - ؓ - سيليان أمر الأمة بعده ظالمين فاجرين غادرين ؛ فكفروا

(١) الشيخ المفيد : الإفصاح في الإمامة ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم ، ط ٢ ، ١٣٤١هـ - ص ٤٠-٤١ بتصرف.

(٢) سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيّب الزهري : كنيته أبو إسحاق ، أحد العشرة ، شهد بدرًا ، والحديبية ، وأحد أهل الشورى ، من أخوال النبي ، أول من رمى بسهم في سبيل الله ، وقال له النبي - ﷺ - يوم أحد : ارم فذاك أبي وأمي توفي وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ٥٦هـ ، وقيل : ٥٧هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥٣ - ٧٢.

(٣) الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي : الرسائل العشرة ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم - إيران ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ - ص ١٢٩ بتصرف .

(٤) الكليني : فروع الكافي ج ٧ ص ١٩٩ - ٢٠١ . العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٨ ص ٥٣ .

بذلك جميعاً ، فاستعجلاً ذلك ^(١)؛ حتى يتولى الخلافة بعده أبو بكر غصباً ، فجاءه جبريل فأخبره ؛ فنزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ ^(٢) .

وادعوا على أبي بكر وعمر وخالد -ﷺ- أنهم تأمروا على قتل علي ، لولا أن أسماء بنت عميس ^(٣) أخبرته ، فنجّاه الله منهم ^(٤) .

ولا يكتفون بتكفير الصحابة -ﷺ- وحدهم ، بل طال التكفير كل الأمم من الإنس والجن والحيوان ، من قبل الخلق حتى تقوم الساعة ، فكذبوا عن أبي عبد الله أن رسول الله -ﷺ- قال لعلي -ﷺ- يا علي أنت الذي احتج الله بك على الخلايق حين قال لهم : ألسن بربكم ؟ ومحمد نبيكم ؟ قالوا : بلى ، قال : وعلي أمامكم ، قال : فأبى الخلائق جميعاً عن ولايتك والإقرار بفضلك ، وعتوا عنها استكباراً إلا قليلاً منهم ^(٥) .

ولا يكتفون بذلك بل صوروا رسول الإسلام في صورة المربي الفاشل - نعوذ بالله - الذي عجز عن تربية صحابته وحوارييه ، بل وأزواجه ، حتى أنه - على حد زعمهم - حينما انتقل إلى رحاب ربه لم يبق على دينه إلا عدد يعد على إصبع اليد الواحدة ^(٦)؛ عن أبي جعفر: كان الناس أهل ردة بعد النبي -ﷺ- إلا ثلاثة نفر: المقداد ، وأبو ذر ، وسلمان ^(٧)، ثم زادوا أربعة ؛ فقال أبو جعفر : ثم أناب الناس بعد ، فكان أول من أناب أبو ساسان

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٤٦ بتصرف . وبدون السب والسم : تفسير القرطبي ج ٢ ص ٣١٠٥ - ٣١٠٦ .

(٢) التحريم : ١ . والصحيح أن سبب نزولها : تحريم النبي -ﷺ- العسل على نفسه . تفسير البغوي ص ١٣٢٦ .

(٣) أسماء بنت عميس بن معبد بن الحارث الخثعمية : أم عبد الله من المهاجرات الأول ، هاجر بها زوجها جعفر الطيار إلى الحبشة ، فولدت هناك عبد الله ، ومحمداً ، وعوناً ، هاجرت معه سنة سبع ، واستشهد يوم مؤتة ، تزوج بها أبو بكر ، فولدت محمداً ، وأوصى أن تغسله ، ثم تزوجت علياً ، فولدت: يحيى ، وعوناً . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٥١٩ - ٥٢١ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٩ ص ١٢٦ - ١٢٧ بتصرف .

(٥) رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين ص ١٧ - ١٨ .

(٦) أبو الحسن الندوي : صورتان متضادتان عند السنة والشيعة الإمامية ص ٩ .

(٧) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ١٩٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٣٦ .

الأنصاري-^(١) ، وعمار بن ياسر-^(٢) ، وشتيرة^(٣) ، وأبو عمرة^(٤) ، فلم يكن يعرف حق أمير المؤمنين -^(٥) إلا هؤلاء السبعة^(٦) وكان يقسم أبو عبد الله ويقول : " فو الله ما وقى بها إلا سبعة نفر " ^(٧) ، والسؤال : الذين أنابوا هل أوبتهم من كفر ، أم ردة ، أم من معصية ، أم من سنة إلى شيعة ؟ ^(٨) .

ثم يقل العدد إلى أربعة فقط ؛ فإن علياً -^(٩) كما زعموا بعد تولي أبو بكر -^(١٠) ، عمل عملاً يناقض عزة النفس المعهودة عنه ؛ لما جاء الليل ، حمل فاطمة على حمار ، وأخذ بيدي ابنه الحسن والحسين -^(١١) ، فلم يدع أحداً من أصحاب النبي -^(١٢) إلا أتاه في منزله ؛ فناشدهم الله حقه ، ودعاهم إلى نصرته ، فما استجاب غير أربعة ، وهؤلاء الأربعة لم يكلفوا أنفسهم الخروج معه ؛ فلزم بيته^(١٣) ، بعدما قال العشرة المبشرون بالجنة ، ومعهم السيوف لمناصري علي : لئن عاد منكم أحد فتكلم بمثل الذي تكلم به ؛ لنملأن

(١) أبو ساسان : حزين بن المنذر ، أو ابن الحارث بن ولة الرقاشي البصري ، ولد ١٨هـ / ٦٣٩م ، تابعي ، ثقة ، سمع عثمان وعلياً ، كان صاحب رؤية علي يوم صفين ، ووفد على معاوية ؛ فأكرمه . مات ٩٩ أو ١٠٠هـ أو ٩٧هـ . الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ٢٦٣ .

(٢) شتيرة : من أصحاب الإمام علي ، وثقه الكشي ، ومدحه . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٣٠ ص ٣٩٠ .

(٣) أبو عمرة : بشر بن عمرو بن محسن الأنصاري ، المستشهد بصفين ، بدري . الأميني : الغدير ج ٩ ص ٣٦٣ .

(٤) الشيخ المفيد : الاختصاص ص ٢٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٤٤٠ .

(٥) بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٧٨ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٤٣٨ .

(٦) ولا أدري لما استثنى هؤلاء ، مع أنهم كانوا يقرون بإمامة أبي بكر وعمر -^(١٤) ، بل تولي سلمان الفارسي-^(١٥) ولاية المدائن في عهد عمر -^(١٦) ، وتولى عمار -^(١٧) الكوفة ، وإمارة العساكر في عهد عثمان -^(١٨) . المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٨ ص ٣٠٨ . سامح الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ص ٤٤ .

(٧) سليم بن قيس : كتاب سليم بن قيس ص ١٤٧ - ١٤٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

أسيافنا منه ؛ فجلسوا في منازلهم ، ولم يتكلم أحد منهم بعد ذلك" ^(١) . وقالوا عن عبد الله بن الزبير ^(٢) -رضي الله عنه- : " كان أعدى عدو أهل البيت " ^(٣) .

وأما الإساءة لعائشة -رضي الله عنها- فزعموا : أن توثيقها محل خلاف ، وفي أخبارنا ذمها ، والقدر فيها ؛ لأنها ممن يكذب على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ؛ ولبغضها لأمير المؤمنين ، وكانت تحرض عليه أهل الشام ، وكان لها غلام أسود سمته عبد الرحمن ؛ حباً لقاتل علي ، وهذا البغض أشهر من كفر إبليس ، وهذا كاف للدلالة على كفرها ، ونفاقها ؛ المانعين من قبول رواياتها مطلقاً ^(٤) .

وزعموا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يشفق من سوء صنيعها ، وما تحدث في الناس من الفتن المضلة الهالكة للأمة من دون توبة ، حيث تمنى موتها فرغبت عن استغفار الرسول ، ودعائه ، والدخول في الجنة ، فاشتغلت بالفتن حتى صدق فيها : فخانتاهما ^(٥) . وكان علي يتعصب لمارية ، وجرت لمارية نكبة مناسبة لنكبة عائشة ؛ فبرأها علي منها ، وكشف بطلانها ، وذلك مما يوغر صدر عائشة ، ومات إبراهيم ؛ فأبطنت شماتة ، وإن أظهرت كآبة ^(٦) ، ثم قال تعالى : ﴿ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحَ وَامْرَأَتُ لُوطَ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ ^(٧) ، والمعنى : والله ما عنى بقوله ﴿

(١) الشيخ الصدوق : الخصال ص ٤٦٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢١٣ .

(٢) عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي : أمير المؤمنين ، أبو بكر ، وأبو خبيب القرشي أول مولود للمهاجرين بالمدينة ، ولد : ٢ هـ . وقيل : سنة إحدى ، ببيع له بالخلافة سنة ٦٤ هـ عقيب موت يزيد ابن معاوية ، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام ، وجعل قاعدة ملكه المدينة . مدة خلافته تسع سنين ، توفي ٧٣ هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٤٣٠ - ٤٤٢ . الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ٨٧ .

(٣) بحار الأنوار ج ٧١ ص ١٢٣ . علي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٢٧٩ .

(٤) يعني : طلحة بن عبيد الله - رضي الله عنه - حين قال : لئن قبض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأتكن عائشة ، فنزلت الآية تحرم ذلك . بحار الأنوار ج ٢٨ ص ١٤٩ - ١٥١ . تفسير البغوي ص ١٠٥٠ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٨ هامش ص ١٥١ - ١٥٢ بتصرف .

(٦) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٣٧ - ٢٣٨ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٥١١ .

(٧) سورة التحريم : آية رقم ١٠ .

فَخَانَتْهَا هَا ﴿إِلَّا الْفَاحِشَةُ﴾^(١) ، ولقيمن المهدي^(٢) الحد على فلانة^(٣) ،
 فيما أتت في طريق البصرة^(٤)؛ وكان فلان^(٥) يحبها ، فلما أرادت أن تخرج إلى البصرة ،
 قال لها فلان : لا يحل لك أن تخرجين من غير محرم ، فزوجت نفسها من فلان^(٧) ^(٨).
 ويزيدون الطين بلة ؛ ويروون : أن علياً - عليه السلام - دخل على النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وعائشة قاعدة
 خلفه ، وعليها كساء ، والبيت غاص بأهله ، فلم يجد مكاناً ؛ فأشار إليه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ها هنا
 ، يعني : خلفه ؛ فجاء فقعده بينه - عليه السلام - وبين عائشة ؛ فقالت : ما وجدت لإستك موضعاً غير
 حجري^(٩) ،

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ١١ ص ٣١٠. قال مولى محمد صالح المازندراني : المراد بها هنا :
 النفاق ، والمخالفة ، والكفر . المازندراني : شرح الكافي ج ١٠ ص ٩٣ . علي القمي : تفسير القمي
 ج ٢ ص ٣٧٧.

(٢) قال المجلسي : " يعني القائم في الرجعة " . انظر المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٤١.
 (٣) قال عبدالرحيم الشيرازي : عرّض بعائشة ؛ لأن النبي لم يتزوج بkra غيرها . بحار الأنوار ج ٢٢
 ص ٢٤٠.

(٤) علي بن إبراهيم القمي : تفسير القمي ج ٢ ص ٣٧٧.
 (٥) قال عبدالرحيم الشيرازي : " فيه شناعة شديدة ، وغرابة عجيبة ؛ نستبعد صدور مثله عن شيخنا
 علي بن إبراهيم ، بل نظن أنه من زيادات غيره ، فهذه المقالة يخالفها المسلمون بأجمعهم من الخاصة
 والعامّة ، وكلهم يقرّون بقداصة أذيال أزواج النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - مما ذكر " . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢
 هامش ص ٢٤٠ بتصرف .

(٦) قال المجلسي : المراد بفلان طلحة ، وفي الخبر غرائب لا نعلم حقيقتها ، فالله يعلم وحججه جهة
 صدورها . بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٤١.

(٧) علي بن إبراهيم القمي : تفسير القمي ج ٢ ص ٣٧٧. قال عبدالرحيم الشيرازي : " فيه غرابة
 شديدة ، لأن نكاح أزواج النبي كان محرماً ، والمسلمون بأجمعهم قائلون : بعدم وقوع ذلك منها " ،
 والمراد بفلان : طلحة بن عبيد الله . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٤٠. ج ٢٢ ص ٢٤١.

(٨) والغريب أن في رواية أبي جعفر أنه لم يصرح بل قال : ما عنى بذلك إلا فإذا بصاحب الهامش
 يهملش ويقول : المستثنى محذوف ، وهو : الفاحشة ، وقيل : مؤلة بمحض التزويج ، ولاحظ أنه ليس
 كلام المعصومين ! بل أتباعهم الذين فسروا إشارتهم ! . فروع الكافي ج ٣ ص ٣٥٥ . الكليني : الفروع
 من الكافي ج ٥ هامش ص ٣٥٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٤١.

(٩) انظر كتاب سليم بن قيس ص ٢٨٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٤٥.

فقدعته^(١)، وفي رواية : مجلساً غير فحذي^(٢) ، وفي كلتا الروايتين لا يغضب النبي - ﷺ - منه ، بل منها ، ويزجرها ، ويقول - ﷺ - : " لا تؤذيني في أخي علي ؛ فإنه أمير المؤمنين ، وقائد الغر المحجلين ، وصاحب لواء الحمد^(٣) .
وقد جاء من الروايات - عندهم كذباً - ما يدل على شقاوتها^(٤)، بل وطئت عنقه^(٥) - ﷺ - وهو ساجد حتى قال لها - ﷺ - : " لقد أوجعت عنقي يا عائشة " ^(٦) ، ويدعون أن الصادق يكفر عائشة ، وحفصة^(٧) ، ويستدل بقوله - ﷺ - : ﴿ فَقَدْ صَعَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾^(٨) ؛ يعني زاغت^(٩)، والزيف عندهم

(١) قدعته: من القدع، وهو الكف والمنع، أو: رمته بالفحش، وسوء القول. بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٤٦.

(٢) سليم بن قيس الهلالي : كتاب سليم بن قيس ص ٢٨٧.

(٣) الطبرسي : الأمالي ص ٨٦٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٣٠٣.

(٤) مع المراجع السابقة : علي النمازي : مستدرک سفينة البحار ج ٢ ص ٨١.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٤٢.

(٦) هذا من باب التحريف ؛ فقد رواه أهل السنة بغير ذلك ، قالت : فَقَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - لَيْلَةً مِنَ الْفَرَّاشِ فَالْتَمَسْتُهُ ، فَوَقَعْتُ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ ، وَهُوَ يَقُولُ : " اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ، لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ " . انظر محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي: شرح صحيح مسلم ج ٤ ص ٤٤٩ - ٤٥٠. فأنت ترى أن اليد نقلت رجلا ، والقدم انقلبت عنقا .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٤٥ . الكليني : فروع الكافي ج ١ ص ٣١١.

(٨) حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية أم المؤمنين ، تزوجها النبي - ﷺ - بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهَا مِنْ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ ، فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ مِنَ الْهَجْرَةِ ، مَوْلِدَهَا قَبْلَ الْمَبْعَثِ بِخَمْسِ سِنِينَ ، وَرَوَى أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - طَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً ، ثُمَّ رَاجَعَهَا ، وَقَالَ: إِنَّهَا صَوَامَةٌ ، قَوَامَةٌ ، وَهِيَ زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ ، تُوَفِّيَتْ : سَنَةَ ٤١ هـ ، عَامَ الْجَمَاعَةِ . وَقِيلَ: ٤٥ هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٤٨٥-٤٨٨.

(٩) سورة التحريم : آية رقم ٤.

(١٠) قال أهل السنة وبعض الشيعة : الزيف : الميل عن الحق ، أو عن الاستقامة حيث أحببنا ما كره رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - من اجتناب جاريته ، واجتناب العسل ، فوجب التوبة. القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٣١٠٦ بتصرف . الطبري : تفسير الطبري ج ٢٨ ص ١٧١ بتصرف . ابن منظور : لسان العرب ج ٢١ ص ١٩٠٠. بحار الأنوار ج ١٩ ص ٣٢٢ . تفسير البغوي ص ١٣٢٨ بتصرف .

: الكفر^(١) نعوذ بالله -ﷺ- .

نقد هذا الأثر: يتناقض بعض الشيعة المعاصرين مع تكفير كل الصحابة إلا سبعة أو أقل ، فعد الذين اشتهروا بالتشيع على عهد النبي -ﷺ- فبلغوا خمسين صحابياً ، وعدهم من الطبقة الأولى للتشيع^(٢) ، ويا تعاسة قوم طبقتهم الأولى ارتد معظمهم .

وهذا اتهام لكافة الصحابة -ﷺ- بتضييع أهم أركان الإيمان ؛ التي تستحق - بلا مبالغة - أن تزهد من أجلها الأرواح ؛ لترتقي في درجات الشهادة ، لكنهم لم يفعلوا ، وهذا يؤدي بنا إلى أحد احتمالين : أولهما : أن الصحابة -ﷺ- عملوا بالتقية ؛ وفي ظني أن الشيعة لن يعيبوا عليهم ذلك؛ فهو تسعة أعشار الدين.

ثانيهما : أنهم تركوا ذلك ردة كما يزعمون ؛ فهل سمعوا أن الصحابة -ﷺ- عارضوا خير البشر يوم الحديبية في بداية الأمر حينما سمعوا الشروط الجائرة ، وأنهم رأوا رجالاً كانوا يعارضون النبي -ﷺ- ثم عفا عنهم في كل ذلك؛ ليبنى لهم صرحاً من صروح حرية الرأي المنضبط بالكتاب والسنة ؛ فلا يخافون في الله لومة لائم ، فهل هؤلاء يعجزون أن يقولوا قولة الحق في وجه سلطان جائر ؛ لينالوا درجة سيد الشهداء، وهي أسمى أمانهم التي خرجوا من أجلها في أكثر من عشرين غزوة ، وأربعين سرية ؟ فليجب العاقل .

ونقول : إن الدعوة التي لا تثمر في حياة قائدها ، والدين الذي لا يستطيع أن يقدم للعالم عدداً وجيهاً من نماذج عملية ناجحة بناءة ، ومجتمعاً مثالياً في أيام الداعي وحامل رسالته الأولى ؛ لا يعتبر ناجحاً ، فكيف بمن جاء في أزمان بعدت عن مصدر الهدى هل يكفل بالنجاح ؟^(٣).

ولا أدري لماذا لم ينقض هؤلاء الكفار الكثيرون على القلة القليلة المؤمنة بعد النبي -ﷺ- ويرجعوا الأمر كما كان عليه آباؤهم وأجدادهم^(٤) ، ويتخلصوا من هذه الأقلية ، ومع التأكيد على أنهم لم يفعلوا ؛ فنعم العمل مع المخالفين في الرأي ، فهذه حقوق الإنسان كما تقرها المنظمات العالمية لحقوق الإنسان .

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٤٦ . زين الدين البياضي : الصراط المستقيم ج ٣ ص ١٦٨ .

(٢) الشيخ جعفر السبحاني : أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم ص ٢٥ - ٢٨ باختصار .

(٣) أبو الحسن الندوي : صورتان متضادتان عند السنة والشيعة الإمامية ص ٢٢ بتصرف .

(٤) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ٤٣ بتصرف .

ونقف وقفة مع قذف عائشة -عليها السلام- ، الذي يندى له الجبين عرقاً من هذه الجراحة على عرض رسول الله -ﷺ- وكيف يدعون زواجها ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ ١ ، إن تُبْذُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ٢ ، ولو فعلت : فلماذا لم يعاقبها علي والصحابه -عليهم السلام- على مخالفتها للقرآن الكريم ، والقرآن واضح الدلالة على حرمة ذلك ، والخيانة هنا لا تعني الانحراف عن جادة العفة ، والنجاسة ، لكن الخيانة والنفاق هنا بمعنى واحد ٣ .

ويا ليتهم وقفوا حيث أوقفهم علي -عليها السلام- حين قال مبيناً عدم جواز التكلم في عرضها ؛ فقال : وأما عائشة فأدركها رأي النساء ، ولها بعد ذلك حرمتها الأولى ، والحساب على الله ، يعفو عن من يشاء ، ويعذب من يشاء ٤ ، فأمسكوا ألسنتهم كما علمهم .

ولكن الشيعة المعاصرين لا يتورعون في إطلاق الكفر والنفاق على الصديقة بنت الصديق ، أو الصوامة القوامه ؛ فيصرحون بكفرهما وخبثهما ، نعوذ بالله من قولهم كما تسمع في فضائياتهم التي ملؤها بالسب والطعن في الشريفة العفيفة الحصان الرزان حبيبة المصطفى -ﷺ- .

وكيف يكفرونها ؟ وقد مات رسول الله -ﷺ- وهي في عصمته ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكَافِرِ ﴾ ٥ ، فإنه من كانت عنده امرأة كافرة ؛ فليعرض عليها الإسلام فإن قبلت فهي امرأته ، وإلا فهي بريئة منه ، فنهى الله أن يمسك بعصمتها ٦ ، فهي مؤمنة قبل موت النبي -ﷺ- ، وأما بعد وفاته ؛ فإن تنزلنا في الكلام ؛ فيقول النبي -ﷺ- من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة ، وإن زنى وإن سرق ٧ ، وهي ممن قالت : لا إله إلا الله ،

(١) سورة الأحزاب : آية رقم ٥٣ - ٥٤ .

(٢) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ج ١٤ ص ٢٩٨ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٣٤ ، ج ٣٢ ص ٢٢٣ ، ٢٤٠ . مستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٥٠٩ .

(٤) سورة الممتحنة : آية رقم ١٠ .

(٥) تفسير القمي ج ٢ ص ٣٦٣ . المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٢٤ ص ١٠ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣ ص ١٣ .

وهي كما أخبر النبي ﷺ: إن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا ، وفي رواية : لأحسنهما خلقاً كان معها في الدنيا ^(١)، ومن أحسن خلقاً من حبيبنا ﷺ.

مع أن السنة والشيعة مجمعون على أنه لا يجوز أن يلعن شخص بخصوصه إلا إن علم موته على الكفر ، كأبي جهل ، وأبي لهب ، وأما من لم يعلم فيه ذلك فلا يجوز لعنه ، حتى إن الكافر الحي المعين لا يجوز لعنه ؛ لأن اللعن غير السائغ يعود على صاحبه؛ ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: إن اللعنة إذا خرجت من صاحبها ترددت بينه وبين الذي يلعن ، فإذا وجدت مساغاً ، وإلا رجعت إلى صاحبها ، وكان أحق بها ؛ فاحذروا أن تلعنوا مؤمناً ؛ فيحل بكم ^(٢).

قال أبو زرعة الرازي ^(٣) - رحمه الله - : " إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَنْتَقِصُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَاعْلَمْ أَنَّهُ زَنْدِيقٌ ، وَذَلِكَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ - عِنْدَنَا حَقٌّ ، وَالْقُرْآنَ حَقٌّ ، وَإِنَّمَا أَدَّى إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - ، وَإِنَّمَا يُرِيدُونَ أَنْ يُجَرِّحُوا شُهُودَنَا لِيُبْطِلُوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ، وَالْجَرِّحُ بِهِمْ أَوْلَى وَهُمْ زَنَادِقَةٌ ^(٤) .

والصحابية - ﷺ - : هم الذين مدحهم الله ، ووصفهم ، وأثنى عليهم ، ووعدهم مغفرةً وأجرًا عظيمًا. فمن نسب واحداً من الصحابة إلى كذب فهو خارج عن الشريعة، مبطل للقرآن ، طاعن على رسول الله ﷺ - ، ومتى ألحق واحد منهم تكذيباً فقد سب، لأنه لا عار ولا عيب بعد الكفر بالله أعظم من الكذب، وقد لعن رسول الله ﷺ - من سب أصحابه، فالمكذب لأصغرهم - ولا صغیر فيهم - داخل في لعنة الله التي شهد بها رسول الله ﷺ - وألزمها كل من سب واحداً من أصحابه أو طعن عليه ^(٥).

(١) الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٨ ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٣٠١ .

(٣) أبو زرعة الرازي : عبيد الله بن عبد الكريم، محدث الرِّيِّ ، مؤلده: بعد نيّف ومائتين ، كان يحفظ مئة ألف حديث، توفي بالري : ٥٢٦ هـ . الزركلي : الأعلام ج ٤ ص ١٩٤ .

(٤) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (الخطيب البغدادي) : الكفاية في معرفة أصول علم الرواية ، تحقيق : أبو اسحاق إبراهيم بن مصطفى آل بجبح الدمياطي ، نشر دار الهدى - ميت غمر - الدقهلية ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م ج ١ ص ١٨٨ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٢٨٦٢ - ٢٨٦٣ .

ومن تتبع أقوال الأئمة في كتب الشيعة المعتبرة ؛ يجدهم يبينون أن السب والطعن ليس من سنتهم؛ فيقول أبو عبد الله مبيناً علامة المؤمن : " إنما المؤمن الذي إذا غضب لم يخرج غضبه من حق ، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ، وإذا قدر لم يأخذ أكثر مما له " (١) .

ويقفون بالمرصاد لمن تطرق إلى الصحابة بأذى ؛ فعن علي بن الحسين ، قال : " أتاني نفرٌ من أهل العراق ، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان -عليهم السلام- ، فلما فرغوا ، قال لهم علي بن الحسين : أأنا تخبروني ؟ أنتم المهاجرون الأولون الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون ؟ قالوا : لا ، قال : فأنتم الذين تبوءوا الدار واليما من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ؟ قالوا : لا ، قال : أما أنتم فقد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين ، ثم قال : أشهد أنكم لستم من الذين قال الله ﷻ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴿ اخرجوا فعل الله بكم ﴾ (٢) .

والشيعة الحق عند الأئمة هو من عفا لسانه عن غيره من المسلمين فلا يلطخ لسانه بسب ، ولا بلعن فالشيعة المؤمن : كاظم غيظه ، صافياً خلقه ، الشر منه مأمون ، يعفو عن ظلمه ، ويصفح عما قد تبين له ، بعيداً جهله ، ليناً قوله ، لا يحيف على من يبغض ، ولا يائث فيمن يحب ، يعترف بالحق ، لا يتناز بالآلقاب ، ولا يشمت بالمصائب (٣) . وقال أبو عبد الله : " شيعتنا من لا يعلو صوته سمعه ، ولا تعدوا شحناؤه بدنه ، ولا يختلف أهواؤهم ، فعلق السائل ، وقال : فكيف أصنع بهؤلاء المتشيعه ؟ (٤) .

وعن سعد بن أبي وقاص -عليه السلام- أنه رأى جماعةً عكوفاً على رجل ؛ فأدخل رأسه من بين اثنين ؛ فإذا هو يسب علياً وطلحة والزبير ، فنهاه عن ذلك قائلاً : " إنك تشتم قوماً قد سبق لهم من الله ما سبق ، فوالله لتكفن عن شتمهم ، أو لدأعون الله -ﷻ- عليك " ، فلم ينته ؛

(١) الشيخ الصدوق : الخصال ص ١٠٥ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٣٥٨ .

(٢) أبو نعيم الأصفهاني : حلية الأولياء ج ٣ ص ١٣٧ .

(٣) الصدوق : الأمالي ص ٤٠٩ . الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١١ ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٤) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ٩ ص ١٦٣ - ١٦٦ .

فَقَالَ الرَّجُلُ: تَتَعَهَّدُنِي كَأَنَّكَ نَبِيٌّ ، فَأَنْصَرَفَ سَعْدٌ ، فَدَخَلَ دَارَ آلِ فُلَانٍ فَتَوَضَّأَ ، وَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَبَّ أَقْوَامًا قَدْ سَبَقَ لَهُمْ مِنْكَ سَابِقَةُ الْحُسْنَى ، وَأَنَّهُ قَدْ أَسْخَطَكَ سَبُّهُ إِيَّاهُمْ ؛ فَاجْعَلْهُ الْيَوْمَ آيَةً وَعِبْرَةً . قَالَ فَخَرَجَتْ بُخْتِيَّةُ^(١) نَادِرَةً مِنْ دَارِ آلِ فُلَانٍ لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ ، حَتَّى دَخَلَتْ بَيْنَ أَضْعَافِ النَّاسِ ؛ فَافْتَرَقَ النَّاسُ ، فَأَخَذَتْهُ بَيْنَ قَوَائِمِهَا ، فَلَمْ تَزَلْ تَتَخَبَّطُهُ حَتَّى مَاتَ ، قَالَ الرَّاوي : فَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ يَسْتَعْدُونَ وَرَاءَ سَعْدٍ يَقُولُونَ: اسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ^(٢).

خامساً : ظهور آثار التقديس السلبية في لعن الخلفاء الثلاثة والصحابة -

مع أن رسول الله -ﷺ- قال : للشيععة في كتبهم : من سب نبياً قتل ، ومن سب صاحب نبى جلد^(٣) لا يراعي الشيععة الاثني عشرية مشاعر ملايين المسلمين السنة ؛ فيقومون بأقذر حركة لتشيويه أفضل الناس بعد النبي -ﷺ- فأساءوا للخلفاء الثلاثة -ﷺ- فيفسرون قوله -ﷺ-: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتِ (الأول) وَالْعُزَّى (الثاني) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (الثالث) ﴾^(٤) ،^(٥) " فلا يقاس من لم يكفر طرفة عين بالرحمن ، بمن خدم في أكثر عمره للأوثان - يعنون بذلك أبا بكر وعمر -ﷺ- " ^(٦) .

ثم يكذبون على أبي عبد الله إجابة سؤال : لماذا سمي أبو بكر -ﷺ- صديقاً ؛ فيقول : لأن علياً -ﷺ- أراه شيئاً من الغيب ، فقال أبو بكر : الآن صدقت بأنك ساحر ، فقال النبي -ﷺ- الصديق أنت^(٧) ، وسمي عمر الفاروق ؛ لأنه فرق بين الحق والباطل ، فأخذ الناس بالباطل^(٨).

(١) البختية : مؤنث البختي الإبل الخرسانية ذات السنامين . المعجم الوجيز ص ٣٨ .

(٢) الطبراني : المعجم الكبير ج ١ ص ١٤٠ . قال الحكي رجاله رجال الصحيح : معارج القبول ج ٣ ص ١٢٣١-١٢٣٢ .

(٣) الجواهري النجفي : جواهر الكلام ج ٤١ ص ١٣٧ .

(٤) سورة النجم : آيات رقم ١٩ - ٢٠ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٩٦ .

(٦) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم ج ٣ ص ١٥٥ .

(٧) محمد احسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٤٦٧ . الحسن الحلي : المحتضر ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٠ ص ١٩٤ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ١٩١ .

وعن أبي جعفر: "أكبر الكبائر صاحب القول : أنا أبرأ ممن يبرأ من أبي بكر وعمر" (١) -

وعن الباقر والصادق: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم ، ومنهم من زعم أن لفلان وفلان نصيباً في الإسلام" (٢)، يعنون : أبا بكر وعمر -

ويأتي الدور على أبي بكر - - ، فاتهموه بالجهل ، وعبادة الأصنام ، والجبن (٣) ، بعد الإسلام ، ونسبوا لأبي بكر - - قوله إن نسلم لهم محمداً برمته نسلم ، فقال له عمر - : لا ، ولكن نتخذ صنماً عظيماً نعبده سراً ، فانطلق علي بأمر رسول الله ؛ فجاء بالصنم فكسره ، وعند موت أبي بكر أخذ يدعوا بالويل والثبور على نفسه لما رأى رسول الله وعلي يبشرانه بالنار في أسفل سافلين ، فعرض عليه أن يقول : لا إله إلا الله ؛ فقال : لا أقولها أبداً ، حتى أرد النار فأدخل التابوت أنا وعمر ، هذا التابوت في جب في جهنم عليه صخرة ، إذا أراد الله أن تسعر جهنم رفع الصخرة ، ولعن أبو بكر عمراً لأنه هو من اتخذه خليلاً فأضله (٤).

ومعهم في هذا الجب : معاوية - - (٥)، وهما على صورة حمارين ، إذا شهقا في النار انزعج أهل النار من شدة صراخهما (٦)، ومعهم سبعة من العشرة المبشرين بالجنة (٧) ؛ وكل ذلك لأنهما كما افتروا عن علي بن الحسين : كافران ، كافر من أحبهما ، وفي رواية : هما

(١) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ج ١١ ص ٣٥٨.

(٢) بالفاظ متقاربة في بعضها ذكر فلان وفي بعضها بدون ذكرهما . المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٥ ص ١٨٠. الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤٣٤-٤٣٥. المجلسي : بحار الأنوار ج ٣١ ص ٦٠٥.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٧٢.

(٤) هاشم البحراني: مدينة المعاجز ج ١ ص ٣٠٠ - ٣٠٣. كتاب سليم بن قيس ص ٢٤٨ - ٢٥٠. بحار الأنوار ج ٣٠ ص ١٢٧ - ١٣٣. الشيخ المفيد : الإفصاح ص ٧٢-٧٣ بتصرف.

(٥) بحار الأنوار ج ٣٣ ص ٢١٠. النعمان: شرح الأخبار ج ٢ ص ٥٣٦. الأميني : الغدير ج ١٠ ص ١٧٧.

(٦) المجلسي: بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٧٧. الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ٤٠٦.

(٧) أبو بكر وعمر = ٢ ، ومعهم ٧ = ٩ ، ويبقى علي. بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٣٢٤.

أول من ظلمنا ، وأخذ حقنا ، وأخذ ميراثنا ، وجلسا مجلساً كنا أحق به منهما ، لا غفر الله لهما ، ولا رحمهما ، كافران ، كافر من تولاهما ^(١) .

ويصرح جامع بحار علمهم ؛ فيقول : " والأخبار الدالة على كفر أبي بكر وعمر وأضرابهما ، وثواب لعنهم ، والبراءة منهم ، وما يتضمن بدعهم أكثر من يذكر في هذا المجلد ، أو في مجلدات شتى ، وفيما أوردناه كفاية لمن أراد الله هدايته الصراط المستقيم " ^(٢) ، فيعنون بالأشقي في القرآن : عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ^(٣) ، وهو الذي لا يعذب عذابه أحد ، ولا يوثق وثاقه أحد ، والمنكر والفسوق ، لعنة الله عليهم ، وعلى أشياعهم ^(٤) ، فليس شيء في القرآن يقول تعالى فيه : وقال الشيطان إلا وهو الثاني ؛ ولذلك يضاعف له الأغلال ^(٥) .

ووصل بهم الأمر أن ادعوا : أن عمراً - رضي الله عنه - ليس بولد الخطاب بن عدي ؛ فقد روي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد أن جماعة اتهموه بقتل عمر - رضي الله عنه - ؛ فأراهم صحيفة فيها نسب عمر الحقيقي ، وأن أم الخطاب كانت أمة للزبير بن عبد المطلب ^(٦) ، ففجر بها نفيل - جد عمر - فأحبها ، ثم هرب إلى الشام ، ثم قال الزبير : إن الشيطان له دولة ، وإن ابن هذا ابن شيطان ، ولست آمن أن يترأس علينا ، وكان يهددهم بها أبو عبد الله أن يفضحهم بهذه الصحيفة التي فيها نسب عمر ، حيث كان يطالب به بنو المطلب ؛ ليكون عبداً عندهم ؛ لأن الخطاب ابن أمتهم ، وليس أصيل الحرية ! ^(٧) ، وكان الخطاب أباه ، وجده ، وخاله ، وكانت ختمة أمه ، وأخته ، وعمته ، وهذا ينسب للصادق ^(٨) .

(١) الميرزا النوري: مستدرک الوسائل ج ١٨ ص ١٧٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣٨١ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣٩٩ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٨ ص ٣١٤ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٠ ص ١٧١ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٣٢ - ٢٣٣ باختصار .

(٦) الزبير بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي: الشاعر، كنيته أبو الطاهر، والد عبد الله بن الزبير، من إشراف قريش، أول من دعا إلى حلف الفضول، ولم يدرك الإسلام، أكبر أعمام النبي أدركه النبي في طفولته. الزركلي: الأعلام ج ٣ ص ٤٢ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٦٨ - ٢٧٠ بتصرف .

(٨) د علي شريعتي : التشيع العلوي والتشيع الصفوي ص ١٠٢ .

وكذبوا عن أبي جعفر قال رسول الله -ﷺ- : " إن أبا بكر وعمر يليان أمر الأمة بعدي ، ظالمين ، فاجرين ، غادرين ^(١) ، ويجمعون كذباً على كفر عمر ^(٢) ، بعد إظهاره الإيمان ، واعترافه بذلك على نفسه ^(٣) .

ويقول أمير المؤمنين -ﷺ- : " إن من لقي الله -ﷻ- مؤمناً بأن عثمان قد قُتِلَ مظلوماً؛ لقي الله ساخطاً عليه ^(٤) ، وهذا لا يعد إلجاءً! ^(٥) .

وزعموا أن معاوية -ﷺ- هو فرعون هذه الأمة ^(٦) ؛ وعمر بن العاص سامري هذه الأمة ^(٧) ، وأبو موسى الأشعري جاثليق هذه الأمة ^{(٨)(٩)} ، وزعموا أن لعن رسول الله -ﷺ-

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٤٦ بتصرف.

(٢) يكفي للرد عليهم قول رسول الله -ﷺ- : " إيها يا بن الخطاب ، والذي نفسي بيده ما لقيت الشيطان سالكاً فجاً قط؛ إلا سلك الشيطان فجاً غير فجك " . قال ابن حجر: فيه فضيلة لعمر تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه ، لا أن ذلك يقتضي ثبوت العصمة له ؛ ولا يمنع ذلك من وسوسته ولكن لا يكون له سلطان عليه ، وهذا يدل على صلابته في الدين ؛ فإن العصمة في حق النبي واجبة ، وفي حق غيره ممكنة. انظر ابن حجر : فتح الباري ج ٧ ص ٥٣-٥٤ .

(٣) السيد الشريف الرضي : الفصول المختارة ص ٢٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠ ص ٤١٣ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢١٩ .

(٥) من الإلجاء ما جاء عن أبي عبد الله : إن الله خلق خلقه ؛ فخلق قوماً لحبنا ، لو أن أحدهم خرج من هذا الرأي : لرده الله إليه ، وإن رغم أنفه ، وخلق قوماً لبغضنا لا يحبوننا أبداً . البرقي : المحاسن ج ١ ص ٣١٧ - ٣١٨ .

(٦) الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ١٨٥ . الحقائق الناضرة ج ١٧ ص ٣٤٨ .

(٧) عمرو بن العاص بن وائل السهمي : أبو عبد الله وأبو محمد داهية قریش ، يضربُ به المثلُ في الدَّهَاءِ ، أسلمَ وهاجرَ سنة ثمان ، ففرَّحَ النَّبِيُّ -ﷺ- بِقُدُومِهِ ، سَكَنَ مِصرَ ، وَبِهَا مَاتَ ، قَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- : ابْنَا العاصِ مُؤْمِنَانِ ، عَمْرُو وَهَشمٌ ، مات : ٤٣ هـ ، وقيل : ٤٢ هـ . انظر الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٢١ - ٢٣٦ .

(٨) أبو موسى الأشعري : عبد الله بن قيس ، المقرئ ، استعمله النَّبِيُّ -ﷺ- ، وَوَلِيَ إمْرَةَ الكُوفَةِ لعمرَ ، وإمْرَةَ البَصْرَةِ ، هاجرَ إلى الحبشة ، وأوَّلُ مشاهدِهِ خَيْبرَ ، ومَاتَ ٤٢ هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣٧-٥٠ .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣١ ص ٤٣٨ .

معاوية وأخاه يزيد ، وأباهما : أبو سفيان -ﷺ- ، وسماه الأقيس^(١) ، ودعا عليه وعمراً -ﷺ- ؛ فقال : اللهم اركسهما ركساً ، ودعهما إلى النار دعاً ، وسماهما المنافقين ، وقال : يحشر معاوية على غير ملتي ، اللهم العنه ، ولا تشبعه إلا بالتراب ، وقال : إست معاوية في النار ، وإذا رأيت معاوية على منبري ؛ فاقتلوه ، وفي لفظ : فاضربوا عنقه^(٢) .
وفسروا قوله تعالى : ﴿ فَقَاتِلُوا أَمِيَّةَ الْكُفْرِ ﴾^(٣) بطلحة والزبير -ﷺ-^(٤) ، وقوله -ﷺ- : ﴿ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ ﴾^(٥) ببني أمية^(٦)^(٧) .

ويكذبون عن الصادق أنه سماهم المنافقين وهم : أبو بكر ، وعمر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبي حذيفة ، والمغيرة بن شعبة -ﷺ-^(٨) .

وأنس بن مالك -ﷺ- " مشهور بالإعراض عن علي ، وهو الذي كتم فضيلته ، ورده يوم الطائر ، وفي دون هذا تتهم روايته ، وتسقط عدالته " ^(٩) ، وكان من الثلاثة الكذابين^(١٠) .
كما تذهب الشيعة الاثني عشرية إلى تخطئة المتقدمين على علي -ﷺ-^(١١) ؛ وعلى ذلك لا طاعة لمن تقدم على علي ، وحديث الاقتداء بهم موضوع ، حيث لا مانع من ضلالهم ، ونقصهم عقلاً ،

(١) الأقيس : من خرج صدره ، ودخل ظهره خلقة ، والمتقاعس الراجع إلى الخلف. القاضي النعمان المغربي : شرح الأخبار ج ٢ ص ٥٢٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٣ ص ١٦٤ .

(٢) الشيخ الأميني : الغدير ج ٩ ص ١٧٣ - ١٧٨ باختصار .

(٣) سورة التوبة آية رقم ١٢ .

(٤) القمي : تفسير القمي ج ١ ص ٢٨٣ .

(٥) سورة الإسراء : آية رقم ٦٠ .

(٦) القمي : تفسير القمي ج ٢ ص ٢١ .

(٧) يقول ابن العربي : وعجبا لاستكبار الناس ولاية بني أمية ، وأول من عقد لهم الولاية رسول الله -ﷺ- فإنه ولي يوم الفتح عتاب بن أسيد ، واستكتب معاوية أميناً على وحيه . ابن العربي : العواصم من القواصم ص ٢٣٤ .

(٨) القمي : تفسير القمي ج ١ ص ٣٠١ .

(٩) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم ج ٣ ص ١٤٤ بتصرف .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٨ ص ١٥٤ .

(١١) الشيخ المفيد : الإفصاح ص ٨١ .

فهم من الضالين^(١).

وزعموا كاذبين مفترين أن أبا بكر ، وعمر ، وعثمان -رضي الله عنهم- اغتصبوا الخلافة ، وبذلك خرجوا عن أوامر الله ورسوله -ﷺ- وغيروا وبدلوا ، ثم أصروا على الخطيئة ، وبذلك حرموا الأمة من حقها ، وخلفوا أعظم المفسد ، والتفرقة ، والعداء في الأمة الواحدة^(٢) ، وظلموا آل البيت ؛ فاستحقوا اللعن من الرضا^(٣) ، ويدعون كل شيعي أن يقول عند زيارة قبور أئمتهم : اللهم العن الجوابيت ، والطواغيت ، والفراعنة ، واللات ، والعزى^(٤) ، وأشياعهم ، وأتباعهم^(٥) ، اللهم العن أبا سفيان ، ومعاوية ، وعلى يزيد بن معاوية اللعنة أبد الآبدين ، اللهم فضاعف عليهم اللعنة أبداً^(٦) ، اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد^(٧) ، وآخر تابع له على ذلك^(٨) ، اللهم العن الذين بدلا دينك ، وحرفا كتابك ، وردا عليك كلامك ، وجلسا في مجلس ليس لهما^(٩).

ويلعنون عقيب الفرائض : أربعة من الرجال ، وأربعة من النساء ، ويسميهم بأسمائهم ، ولهم بذلك سبعين حسنة ، ومحو عشر سيئات ، ورفعوا عشر درجات^(١٠).

(١) الشيخ المفيد : الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين - عليه السلام - ص ٢١٩-٢٢٢ بتصرف.

(٢) د جواد جعفر خليلي : محاكمات الخلفاء وأتباعهم ، ط الإرشاد - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م ص ٣٤٠.

(٣) الفقه المنسوب للإمام الرضا (فقه الرضا) ص ٤٠٥.

(٤) يعني باللات والعزى : صنمي قريش أبا بكر وعمر . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٨٤.

(٥) الطوسي : مصباح المتعبد ص ٥١٧ . أبو القاسم القمي : كامل الزيارات ص ٩٩.

(٦) أبو القاسم القمي : كامل الزيارات ص ٣٣١.

(٧) يفترون على أبي جعفر أنه سأل عن أبي بكر وعمر ، قال : هما أول من ظلمنا حقنا ثلاث مرات ، وعن أبي جعفر : ما قطرت قطرة من دماننا ، ولا من دماء أحد من المسلمين ؛ إلا وهي في أعناقهما إلى يوم القيامة . بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٣٨١ - ٣٨٢.

(٨) الطوسي : مصباح المتعبد ص ٥٣٩ . أبو القاسم القمي : كامل الزيارات ص ٣٣١.

(٩) الميرزا النوري الطبرسي : مستدرك الوسائل ج ٥ ص ١٤٠.

(١٠) مثل : معاوية ، وعمرو بن العاص ، وأبو الأعور السلمي ، وحبیب بن مسلمة الفهري ، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، والضحاك بن قيس الفهري ، والوليد بن عقبة ، وجماعة آخرين من المنافقين والطفاء . أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الأصفهاني (ت ٦٤٠هـ) : رشح الولاء في شرح دعاء صنمي قريش ، تحقيق : قيس العطار ، ١٤٢١هـ ، د ط أوت ص ٨ . الحلي : المحتضر ص ٧٢.

ومن أفحش أدعيتهم دعاء صنمي قريش ^(١)، وأجر الداعي به كالرامي مع النبي ﷺ - في بدر ، وأحد ، وحنين بألف ألف سهم ^(٢) ، وألف كثير من علمائهم كتباً في شرحه ، وأثبت فيه أن المقصود بالأربعة الملعونين : أبي بكر ، وعمر ، وعائشة ، وحفصة - ﷺ - ^(٣) ، ونص الدعاء يندى له الجبين أسفاً يجرح مشاعر المحبين فسأكتفي بالإشارة إلى بعض مظانه ^(٤).

ويجرون علي أقوال شنيعة فيهم ، فيدعون أنهم : " اتخذوا العجل رباً ، والشياطين حزباً ؛ كل ذلك بغضة لبيت الصفوة ، ودار العصمة ، وحسداً لمعدن الرسالة والحكمة ، وزين لهم الشيطان أعمالهم ، فتباً لهم ، وسحقاً ، كيف اختاروا إماماً جاهلاً عابداً للأصنام؟ جباناً يوم الزحام ؟ ^(٥) ، ويدعون أن أول من بايع أبا بكر الشيطان في صورة رجل شيخ كبير مستبشر ^(٦).

وينسحب الحكم بالكفر على كل من تولى منصب الخلافة بعد الخلفاء الراشدين ^(٧)، حتى وإن كان شيعياً ، وأبطلوا إمامة زيد بن علي ^(٨) .

ومن أدلة بطلان خلافة أبي بكر - ﷺ - كما زعمت الشيعة : أن فاطمة بنت رسول الله - ﷺ - أرسلت إليه تسأله ميراثها من أبيها - ﷺ - مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك ، وما بقي من خمس خيبر ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - قَالَ : لَا نَوْرَثُ مَا تَرَكَنَاهُ صَدَقَةً ، إِنَّمَا

(١) الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ٧١.

(٢) الطبرسي: مستدرك الوسائل ج ٤ ص ٤٠٥ . الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٦١١ .

(٣) أهمها كتاب رشح الولاء في شرح دعاء صنمي قريش : للشيخ أسعد بن عبد القاهر بن أسعد الأصفهاني ، يقع في ٥٧٢ صفحة وذكر في مقدمته أكثر من تسعة شروح لهذا الدعاء ص ٩ - ١٠ .

(٤) ونصه : اللهم العن صنمي قريش وَجَبَّتِيهَا وَطَاغُوتِيهَا وَإِفْكِيهَا وَأَبْنِيهَا الَّذِينَ خَالَفَا أَمْرَكَ وَأَنْكَرَا وَحِيكَ وَجَحَدَا إِنْعَامَكَ وَعَصَيَا رَسُولَكَ وَقَلَّبَا دِينَكَ وَحَرَّفَا كِتَابَكَ وَعَطَلَا أَحْكَامَكَ وَأَبْطَلَا فَرَائِضَكَ وَأَلْحَدَا فِي آيَاتِكَ وَعَادِيَا أَوْلِيَاءَكَ وَوَالِيَا أَعْدَاءَكَ وَخَرَبَا بِلَادَكَ وَافْسَدَا عِبَادَكَ ، اللهم العنهما .. الخ . الحلبي: المحتضر ص ١١١ - ١١٦ . بحار الأنوار ج ٨٥ ص ٢٦٠ - ٢٦٨ . مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ١٥٣ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٧٢ .

(٦) الكليني: الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٦٨ . كتاب سليم بن قيس ص ١٤٥ . بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٦٣ .

(٧) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٣٧٦ بتصرف .

(٨) بحار الأنوار ج ١٠ ص ٤٥١ . علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٣٤٢ .

يَأْكُلُ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ ، لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَزِيدُوا عَلَى الْمَأْكَلِ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْ صَدَقَاتِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- عَنْ حَالِهَا الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَلَا أَعْمَلَنَّ فِيهَا بِمَا عَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- فَأَبَى أَبُو بَكْرٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى فَاطِمَةَ مِنْهَا شَيْئًا ^(١). وإذا ثبتت عصمة فاطمة وجب قبول قولها بدلائل صدقها ، واستغنت بعصمتها عن الشهود ^(٢)؛ ثبت أن من منعها حقها في ميراث أبيها ^(٣) قد جار في حكمه ، وآذى الله ورسوله -ﷺ- بإيذائه فاطمة قال الله -ﷻ-: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ ^(٤) ، فَوَجَدَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَهَجَرَتْهُ فَلَمْ تَكَلِّمْهُ حَتَّى تُوفِّيَتْ ^(٥)؛

(١) فتح الباري ج ٦ ص ٢٢٣. بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٠٠. الأميني : الغدير ج ٧ ص ٢٥٥.

(٢) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ٤٠ ص ٨٩.

(٣) بوب الكليني بابا في الكافي بعنوان : إن النساء لا يرثن من العقار شيئا " ، وروى عن أبي جعفر: " النساء لا يرثن من الأرض ، ولا من العقار شيئا " . فلا حق لفاطمة -ﷺ- أن تطالب بميراثها ، وروى الكليني : خلق الله آدم ، وأقطعه الدنيا قطيعة ، فما كان لآدم فرسول الله ، وما كان لرسول الله -ﷺ- فهو للأئمة من آل محمد " ؛ فأحق الناس بالمطالبة بفدك هو علي ؛ لأنه أول إمام ، ولم نره فعل ذلك فمن نتبع . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤٧٦ ، والفروع ج ٥ ص ١٣٥.

(٤) سورة الأحزاب : آية رقم ٥٧.

(٥) الأمر انتهى لما أُرْسِلَ عَلِيٌّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَنْ اثْنَا وَلَا يَأْتِنَا مَعَكَ أَحَدٌ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ فَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ ثُمَّ قَالَ: إِنَّا قَدْ عَرَفْنَا يَا أَبَا بَكْرٍ فَضِيلَتَكَ وَمَا أَعْطَاكَ اللَّهُ ، وَإِنَّا لَمْ نَنْفَسْ عَلَيْكَ خَيْرًا سَاقَهُ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَكَنَّكَ اسْتَبَدَدْتَ عَلَيْنَا بِالْأَمْرِ ، وَكُنَّا نَرَى لَنَا حَقًّا ، وَذَكَرَ قَرَابَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- وَحَقَّهُمْ فَلَمْ يَزَلْ يَتَكَلَّمُ حَتَّى فَاضَتْ عَيْنَا أَبِي بَكْرٍ ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي ، وَأَمَّا الَّذِي شَجَرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ ، فَإِنِّي لَمْ أَلْ فِيهَا عَنِ الْخَيْرِ ، وَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لَأُتْرِكَ فِيهَا أَمْرًا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- يَصْنَعُ فِيهَا إِلَّا صَنَعْتُهُ ، قَالَ عَلِيٌّ : مَوْعِدُكَ الْعَشِيَّةَ لِلْبَيْعَةِ ، فَارْتَقَى أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَتَشَهَّدَ وَذَكَرَ شَأْنَ عَلِيٍّ ، وَتَخَلَّفَهُ عَنِ الْبَيْعَةِ ، وَعَذَرَهُ بِالَّذِي اعْتَدَرَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَتَشَهَّدَ عَلِيٌّ فَعَظَّمَ حَقَّ أَبِي بَكْرٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْهُ عَلَى الَّذِي صَنَعَ نَفَاسَةً عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَلَا انْكَارُ فَضِيلَتِهِ الَّتِي فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهَا ، فَسَرَّ بِذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ ، وَقَالُوا لِعَلِيٍّ : أَصَبْتَ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى عَلِيٍّ قَرِيبًا حِينَ رَاجَعَ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ. ابن حبان البستي (ت ٣٥٤هـ) : صحيح ابن حبان ، تحقيق : د محمد علي سونمر ، د خالص آي دمير ، ط ابن حزم - بيروت ، نشر وزارة الأوقاف القطرية ، ط ١ ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م ج ٧ ص ٨١ - ٨٢. فتح الباري ج ٦ ص ٢٢٣ - ٢٢٥. النووي : شرح مسلم ج ٢ ص ٣٢٠ - ٣٢٢.

وبذلك بطلت خلافته لكونه ظالماً^(١).

ولكن نبيه : إن الله تعالى صان الأنبياء أن يورثوا دنيا^(٢) ؛ لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم ؛ بأنهم طلبوا الدنيا ، وورثوها لورثتهم ، ثم إن من ورثة النبي -ﷺ- أزواجه ، ومنهم عائشة ، وقد حرمن نصيبهن من الميراث ، ولم يعطهن أبو بكر شيئاً^(٣).
وأما إبطال خلافة عمر -ﷺ- فلأسباب كثيرة كما يدعون ، كخطأه في الأحكام ، حتى اشتهر في الجماعات قوله : " كل أفقه من عمر حتى المخدرات ، ومنها أنه خالف في قطع يد السارق ، وأحرق ناس بالنار مع قول النبي -ﷺ- : لا يعذب بالنار إلا رب النار ، ولم يعرف ميراث الجدة ، ولا الكلالة ، وعطل أحكام الله بالإطلاق "^(٤)، ويخرجون بألفاظ لا تليق إلا بأمثال الشيعة ، فيعلقون على قوله تعالى : ﴿ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴾^(٥)، ففي بطن الآية إطلاق الانثى عليهم ؛ للأنوثية السارية في أكثرهم ، لاسيما الثاني ، كما مر في تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا ﴾^(٦)، أن كل من تسمى بأمر المؤمنين ، ورضي بهذا اللقب غيره ؛ فهو مبتلى بالعلة الملعونة^(٧).

ويدعون بأن إبليس يؤتى به مقيداً في سبعين غلاً ، فينظر إلى زفر^(٨) - يعني عمراً - في عشرين ومائة كبل ، وعشرين ومائة غل ، ببغيه على علي -ﷺ-^(٩)؛ ونتساءل : هل

(١) الشيخ المفيد : الفصول المختارة ص ٨٩ .

(٢) قال سول الله -ﷺ- : " العلماء ورثة الأنبياء ؛ وذلك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ، وإنما ورثوا أحاديث من أحاديثهم ، فمن أخذ بشيء منها أخذ خطأً وإفراً". الكليني:أصول الكافي ج ١ ص ٨٠.الصدوق:الأمالي ص ٥٤ .

(٣)أبو بكر بن العربي : العواصم من القواصم ص ٤٨ - ٤٩. الجوهري : السقيفة وفدك ص ١٨٩ .

(٤) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم ج ٢ ص ٣٠٥ بتصرف .

(٥) سورة النجم : آية رقم ٢١ .

(٦) سورة النساء : آية رقم ١١٧ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٩٧ .

(٨) الزُّفْرُ: السقاء الذي يُحمل فيه الماء، ومنه قيل للإماء اللاتي تحملن القرب:زَوَافِر، والزُّفْرُ: النهر ، نوع من الشَّبّ وسخ يميل إلىالصفرة ويسمى أيضاً دهن الجبل ، زِفْر تصحيف ذفر: نتن، عفن، زفرة: قذارة وكلام قذر بذيء، وشتائم بذينة. وقيل : الشجاع والسيد الكبير والبحر والنهر الكثير الماء والرجل الجواد والعطية الكثيرة والكتيبة . المعجم الوسيط ، مادة زفر ج ١ ص ٣٩٥ .

(٩) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٣٢ - ٢٣٣. علي الشاهرودي:مستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ١٠ .

يكون البغي على عليٍّ أعظم جرماً ، وعقاباً من الرد على الله -ﷻ- ؟ !^(١) ، فيسمون عمراً بإبليس الأبالسة ، وفرعون الفراعنة -ﷻ-^(٢) ، ولذلك يدعون أن الدرك الأسفل من النار خاص بالشيخين -ﷻ- وإبليس أخف منهم عذاباً^(٣).

وقد أطلقت الاثنا عشرية على أبي بكر وعمر -ﷻ- ألقاباً قبيحة مثل : الجبت^(٤) والطاغوت^(٥)، وصنمي قريش^(٦)، والأوثان الأربعة ، والأنداد الأربعة ، مع عثمان ومعاوية^(٧)، أبو الفصيل ، ورمع ، ونعثل^(٨).

وتراهم قلبوا أسمائهم -ﷻ-؛ فقالوا: { أبو الفصيل (أبو بكر) ، ورمع (عمر) ، ونعثل^(٩) (عثمان) ، ومعاوية } ومن دان بدينهم^(١٠)؛ فلاحظ : لفظ البكر معناه : الفتى القوي من الإبل^(١١)، بينما الفصيل هو : ولد الناقة الصغير بعد فطامه^(١) ، كما سموهما :

(١) د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الشيعة الإمامية ص ٥٤٧ .
(٢) المجلسي: بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٥٥ . الشاهروودي : مستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٤١٥ .
(٣) المجلسي: بحار الأنوار ج ٨ ص ٣١٥ - ٣١٦ ، ج ٣٠ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ باختصار . المفيد : الاختصاص ص ١١٣ . الصدوق : ثواب الأعمال ص ٢٤٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٠ ص ١٨٨ . كتاب سليم بن قيس ص ١٦٤ - ١٦٥ . المجلسي: بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٤١ . مستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٣٠٦ . المجلسي: بحار الأنوار ج ٣١ ص ١٢٤ . الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ٩٥ . الصدوق : الاعتقادات ص ١٠٦ - ١٠٧ . المجلسي: بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦٦ . ج ٢٧ ص ٦٣ .

(٤) الجبت: كل ما عبد من دون الله والكاهن والساحر والسحر . المعجم الوسيط ، ج ١ ص ١٠٤ .
(٥) قال : إن كل من قدم الجبت والطاغوت فهو ناصب . الحدائق الناضرة ج ٥ ص ١٨٦ ، ١٧٧ . وسائل الشيعة ج ٩ ص ٤٩١ . عن الصادق : من أقر بسبعة فهو مؤمن : البراءة من الجبت والطاغوت . جواهر الكلام ج ٣٦ ص ٢٤٧ . البحار ج ٣١ ص ٦٢٩ ، ٦٦٠ .

(٦) علي النمازي الشاهروودي : مستدرک الوسائل ج ١٠ ص ٣٤٢ .

(٧) الصدوق : الاعتقادات ص ١٠٦ - ١٠٧ . المجلسي: بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦٦ .

(٨) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٥٨ . الشاهروودي : مستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٢٥١ .

(٩) النعثل: الشيخ الأحمق طويل اللحية ، قال ابن الكلبي: شبهوه برجلٍ من أهل مصر اسمه نعثل ، كان طويل اللحية ، للسخرية به ، مع أنه جميل الصورة جداً ، ويقال النعثل التيس الكبير عظيم اللحية . علي العاملي : الصراط المستقيم ج ٣ ص ٣٠ .

(١٠) المجلسي: بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٥٨ . ج ٣١ ص ٦٠٧ .

(١١) المعجم الوجيز ، مادة : بكر ص ٥٩ .

: (زريقاً ، وحبتراً) ^(٢) ، وسمو عمراً : زفر ، ودلام ^(٣) ^(٤) ، وتيماً وعدياً ^(٥) ، لأنهم ردوا الناس عن الإسلام قهقري ... بعد موتي ^(٦) ، فهم في التابوت الأسفل من النار ^(٧) .
ولا يزال الحقد مستمراً ، ففي التسعينات من القرن الماضي ، زار أحد الرؤساء الإيرانيين مسجد رسول الله - ﷺ - ووقف أمام قبره الشريف للسلام ، فلما تنحى ، وكان في مواجهة قبر الشيخين بصق عليهما ، ورآه الناس ^(٨) .
ويحتفلون بمقتل عمر في شهر المحرم من كل عام ، واختلفوا في اليوم الذي طعن فيه فقيل : ٢٦ سنة ٢٣ هـ وقبض يوم ٢٩ منه ^(٩) ، وقيل : ٢٩ ربيع الأول ، وقيل : ٩ ربيع الأول ، وقيل : ٢ ذي الحجة ، ويعتبرونه يوم العيد الكبير ^(١٠) ، افتروه عن النبي - ﷺ - أمرهم فيه بالعبادة ، والتوسعة على الأهل ؛ ويسمونه : يوم نزع السواد ^(١١) ، والغدير الثاني ، ورفع القلم عن الشيعة ، وتحطيط الأوزار ، والبركة ، وفرح الشيعة ^(١٢) .
وللأسف فإن في مدينة كاشان الإيرانية ^(١٣) في منطقة تسمى : " باغي فين " مشهداً على غرار الجندي المجهول ، فيه قبر وهمي لأبي لؤلؤة فيروز الفارسي المجوسي قاتل عمر - ﷺ - ، حيث أطلقوا عليه ما معناه باللغة العربية : " مرقد بابا شجاع الدين " ، وقد كتب على

-
- (١) المعجم الوسيط ، مادة : فصل ص ٦٩١ .
(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٠ هامش ص ١٥٣ . هامش ص ١٥٧ .
(٣) الدلام : السواد والأسود . انظر المعجم الوسيط ، مادة دلم ص ٢٩٤ .
(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٧٢ - ٧٣ . علي العاملي : الصراط المستقيم ج ٣ ص ٤٠ .
(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٢٢٥ .
(٦) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٦٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٥٨ .
(٧) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ، ص ٤٠٩ . الشيخ الصدوق : الخصال ص ٤٥٨ - ٤٥٩ .
(٨) هو : رافسنجاني . انظر محمد عبد الرحمن عوض : الشيعة وجذور الكراهية ص ٢٧ بتصرف .
(٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٨ ص ٣٧٢ .
(١٠) الشيخ المفيد : مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة ، تحقيق : الشيخ مهدي نجف ، ط مهر - قم ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ ص ٤٢ .
(١١) يذكرون العيد بنوع من التقية . الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ج ٣ ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .
(١٢) من أراد المزيد من هذه الأسماء ؛ فليُنظر المجلسي : بحار الأنوار ج ٣١ ص ١٢٧ - ١٢٩ ج ٥٨ ص ٣٧٢ . الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ٨٩ بتصرف . باب ما جاء في عمر بن الخطاب من أنه كان منافقاً ص ٩٠ .
(١٣) د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ ص ٨١ حيث أكد المؤلف أنه رأى هذا المشهد بنفسه .

جدران هذا المشهد بالفارسي : " مرك بر أبو بكر ، مرك بر عمر ، مرك بر عثمان " ومعناه بالعربية : الموت لأبي بكر ، الموت لعمر ، الموت لعثمان ، وهذا المشهد يزار من قبل الإيرانيين ، وتلقى فيه التبرعات ، وكانت وزارة الإرشاد الإيرانية قد باشرت توسعته وتجديده ، وطبعت كارتات تستخدم لإرسال الرسائل والمكاتيب عليها صورته ^(١) .

ويدعون أن الله عاقب بني أمية بأن يمسح كل ميت منهم وزغاً ، فكذبوا أن أبا عبد الله وقف أمام وزغ فحرك الوزغ لسانه ، فقال إن الوزغ يقول لي : لئن ذكرت عثمان لأسبَنَ علياً ، وقال : إنه ليس يموت أحد من بني أمية إلا مسخ وزغاً ^(٢) ،

وإن عبد الملك مسخ لما حضره الموت وزغاً ^(٣) ، ثم هرب ، فجاءوا بجذع نخلة ، ولفوه في الكفن ، ودفنوه ، ولم يطلع على ذلك إلا أبو عبد الله ، وأولاد عبد الملك ^(٤) .

وهذا المسخ كما يدعون : إما بمسحه قبل موته ، أو بتعلق روحه بجسد مثالي على صورة الوزغ؛ وهما ليسا تناسخاً ^(٥) ، أو بتغيير جسده الأصلي إلى تلك الصورة ، ويمكن أن يكون ذهب بجسده إلى الجحيم ، أو أحرق ، وتصور لهم جسده المثالي ، ولهذا كان يطلق على حكام بني أمية الوزغ بن الوزغ ^(٦) .

(١) كاشان: مدينة بما وراء النهر على بابها وادي أخسيكث. الحموي : معجم البلدان ج ٤ ص ٤٣٠ .

(٢) البحراني: الحقائق الناضرة ج ٤ ص ١٩٥ . العاملي : الصراط المستقيم ج ٢ ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٣) كيف يفشي سره أبو عبد الله ؛ ورسول الله -ﷺ- يقول : أذكروا محاسن موتاكم ، لا تقولوا في موتاكم إلا خيراً ، وقال : " جاوزا الناس بالكف عن مساوئهم " المجلسي: بحار الأنوار ج ٧٥ ص

٢٣٩ . ج ٥١ ص ٢٤١ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٩ ص ٤٦٢ . ج ١٠ ص ٣٥٧ .

(٤) المجلسي: بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٣٥ . الكليني : أصول الكافي ج ٨ ص ١٨٧ - ١٨٨ . قال

المجلسي : كأنهم غفلوا عن هذا الخبر إذ لم يذكروه في باب الاحتجاج ، وإن كان مجهولاً . بحار الأنوار

ج ٦١ ص ٥٤ .

(٥) التناسخ : تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمان بين التعلقين ؛ للتعشق الذاتي بين الروح والجسد ، وقال الذاهبون إلى التناسخ : إنما تبقى مجردة عن الأبدان النفوس الكاملة التي خرجت كمالاتها من القوة إلى الفعل ، ولم يبق لها شيء من الكمالات الممكنة بالقوة ، فصارت ظاهرة عن جمع العلائق الجسمانية ، وتخلصت إلى عالم القدس . وأما النفوس الناقصة التي بقي شيء من كمالاتها بالقوة ، فإنها تتردد في الأبدان الإنسانية ، وتنقل من بدن إلى بدن آخر حتى تبلغ النهاية فيما هو كمال لها من علومها وأخلاقها ، فحينئذ تبقى مجردة مطهرة عن التعلق بالأبدان . د بسمه جستبيته : أثر الديانات الوثنية في عقيدة الرافضة ص ٣٥٨ .

(٦) المجلسي: بحار الأنوار ج ٦١ ص ٥٤ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٢٩١ .

نقد هذا الأثر بذكر بعض أقوال الأئمة في الصحابة - من واقع كتب الشيعة :

نحن نوقن أن أئمة أهل البيت يعف لسانهم ، وتطهرت قلوبهم ، مما يدعيه هؤلاء النوكى ، وما يخرجونه من سواد قلوبهم التي امتلأت حقداً وبغضاً على من سلبهم ملكهم الفارسي فاسمع لكلام الأحبة بعضهم في بعض فكأنما آل النبي وصحبه روح يضم جميعها جسدان : يُسأل أبو جعفر الباقر: أرأيت أبا بكر وعمر هل ظلماكم من حقكم شيئاً ؟ أو ذهباً من حقكم بشيء ؟ فقال : لا ، والله الذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، ما ظلمنا من حقنا مثقال حبة من خردل ؛ فقال السائل : أفأتولاهما ؟ قال : نعم ، ويحك ، تولهما في الدنيا والآخرة ؛ وما أصابك ففي عنقي^(١).

وكيف يكون ردهم حين يسمعون ما قاله أحد الخوارج لعلي - ع - عمن حاربه وهو في الكوفة بين أنصاره بعيداً عن أسباب النقية : إنهم الباغون الظالمون الكافرون المشركون ؛ فقال له أمير المؤمنين : ثكلتك أمك ما أقواك بالباطل ، وأجراك على أن تقول ما لم تعلم ، أبطلت يا ابن السوداء، ليس القوم كما تقول ، لو كانوا مشركين : سبينا ، وغنمنا أموالهم، وما ناكحناهم ، ولا وارثناهم^(٢) .

ويثني علي - ع - على الشيخين - ع - فقال : استخلف أبو بكر - ع - فأقام ، ثم استخلف عمر فأقام واستقام حتى ضرب الدهر بجرانه^(٣).

ويقول - ع - : " وكان بدء أمرنا أنا إلتقيناه والقوم من أهل الشام ، والظاهر أن ربنا واحد ، ونبينا واحد ، ودعوتنا إلى الإسلام واحدة ، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ، ولا يستزيدوننا ، الأمر واحد ، إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ، ونحن منه براء" ^(٤) ، وما قاله الروافض في الصحابة: " ما رضيته النصارى واليهود في أصحاب

(١) أبو زيد عمر بن شبه (اسمه زيد) بن عبيدة بن ربيعة النميري البصري (ت ٢٦٢هـ) : تاريخ المدينة ، تحقيق : فهيم محمد شلتوت ، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد - جدة ، ١٣٩٩هـ - ج ١ ص ٢٠١ .

(٢) القائل: عبد الله بن وهب الراسبي. المفيد: المسألة الكافئة في إبطال توبة الخاطئة، تحقيق: علي أكبر زماني نژاد ، ط مهر - قم ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣هـ / ١٣٧١ش ص ٣٢ . بحار الأنوار ج ٣٢ ص ٣٥٤ .

(٣) الشيخ الأميني : الغدير ج ٥ ص ٤٤٠ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٣ ص ٣٠٧ .

موسى وعيسى -عليهما السلام- حين حكموا عليهم بأنهم اتفقوا على الكفر والباطل ^(١) ، فالطعن فيهم طعن في الدين ^(٢) .

ويقول أحد مصلحيهم : سبب العداء بين الطائفتين : أن الشيعة ترى جواز المس من كرامة الخلفاء ، والطعن فيهم ... فليس هذا رأي جميع الشيعة ، وإنما هو رأي فردي من بعضهم ، وربما لا يوافق عليه الأكثر ، كيف وفي أخبار أئمة الشيعة النهي عن ذلك ، فلا يصح معاداة الشيعة أجمع لإساءة بعض المتطرفين منهم ^(٣) .

وها هو عيسى -عليه السلام- يبشر بعصر الصحابة ، ويبين قدرهم ، ويقول : " صدقوا النبي الأمي : كلامه القرآن ، دينه الإسلام ، طوبى لمن أدرك زمانه ، وشهد أيامه ، وسمع كلامه ، وطوبى شجرة في الجنة " ^(٤) . ويبين قدرهم -عليهم السلام- فيقول : " مَهْمَا أُوتِيتُمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ، فَالْعَمَلُ بِهِ لَا عَذْرَ لِأَحَدٍ فِي تَرْكِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ؛ فَسُنَّةٌ مِنْ مَنِي مَاضِيَةٍ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ سُنَّةً مِنْ مَنِي ، فَمَا قَالَ أَصْحَابِي ، إِنَّ أَصْحَابِي بِمَنْزِلَةِ النُّجُومِ فِي السَّمَاءِ ، فَأَيُّمَا أَخَذْتُمْ بِهِ اهْتَدَيْتُمْ ، وَاخْتَلَفَ أَصْحَابِي لَكُمْ رَحْمَةٌ " ^(٥) . سبحان ربي ^(٦) .

ويقول -عليه السلام- : " أَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي ، فَإِذَا قُبِضْتُ ؛ دَنَا مِنْ أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي ، فَإِذَا قُبِضَ أَصْحَابِي ؛ دَنَا مِنْ أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ ، وَلَا يَزَالُ هَذَا الدِّينُ ظَاهِرًا عَلَى الْأَدْيَانِ كُلِّهَا ؛ مَا دَامَ فِيكُمْ مَنْ قَدْ رَأَى " ^(٧) ، وقيل لأبي عبد الله: أخبرني عن

(١) القاضي أبو بكر بن العربي : العواصم من القواصم ص ١٨٥ بتصرف .

(٢) عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية ص ١٢ .

(٣) د علي شريعتي : التشيع العلوي والتشيع الصفوي ص ١٠٥ .

(٤) الشيخ الصدوق : الأمالي ص ٢٠١ - ٢٠٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٤ ص ٢٨٥ .

(٥) الخطيب البغدادي : الكفاية في أصول الرواية ج ١ ص ١٨٤ . الشيخ الصدوق : معاني الأخبار ص ١٥٦ - ١٥٧ . محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٤١ . بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٢٠ . علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ١٧٤ .

(٦) العجيب أنهم يزيدون لفظة : يا رسول الله ومن أصحابك ؟ قال : أهل بيتي ، فيصير إشكالاً لأن آل البيت لا يختلفون لأنهم يوحى إليهم ؛ فكيف يكون خلافهم رحمة ؟ يفتنون الشيعة بمر الحق ، وربما أفتوهم بالتقية ؛ فما يختلف من قولهم فهو للتقية ، والتقية رحمة للشيعة الصدوق : معاني الأخبار ص ١٥٦ - ١٥٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٢٠ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

أصحاب رسول الله -ﷺ- صدقوا على محمد-ﷺ- أم كذبوا؟ قال: بل صدقوا ^(١). وقال رسول الله -ﷺ-: " اللهم اغفر للأتصار ، ولأبناء الأتصار ، ولأبناء أبناء الأتصار " ^(٢). وقال علي -عليه السلام-: " فاز أهل السبق بسبقهم ، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم ، ولا ينبغي لمن ليست لهم مثل سوابقهم في الدين ، ولا فضائلهم في الإسلام ؛ أن ينازعهم الأمر الذي هم أهله ، وأولى به " ^(٣).

وقال علي -عليه السلام- لشيعته: " لقد رأيت أصحاب محمد -ﷺ- فما أرى أحداً يشبههم منكم ، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً ، وقد باتوا سجداً وقياماً ، يراوحون بين جباههم وخدودهم ، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم ، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم ، إذا ذكر الله هملت أعينهم ، حتى تبل جيوبهم ، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف ؛ خوفاً من العقاب ، ورجاء الثواب " ^(٤).

وقال أبو عبد الله: " كان أصحاب رسول الله -ﷺ- اثني عشر ألفاً ، ثمانية آلاف من المدينة ، وألفان من مكة ، وألفان من الطلقاء ، ولم ير فيهم قدري ، ولا مرجي ، ولا حروري ، ولا معتزلي ، ولا صاحب رأي ، كانوا يبكون الليل والنهار ، ويقولون : اقْبُضْ أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير " ^(٥).

ولما سئل علي عن سبب بيعته لأبي بكر قال: " لولا أنا رأينا أبا بكر لها أهلاً ؛ لما تركناه " ^(٦) ، وقيل له : ألا توصي ، قال : " ما أوصى رسول الله -ﷺ- فأوصي ، ولكن إذا أراد الله بالناس خيراً استجمعهم على خيرهم ،

(١) أصول الكافي ج ١ ص ١١٩. وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٢٠٨. بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٢٨.
(٢) المفيد : الإرشاد ج ١ ص ١٤٦. بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٥٩. مستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٧٠.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٢ ص ٤٢٩. الشيخ الأميني : الغدير ج ١٠ ص ٣٧٩ - ٣٨٠.
(٤) النوري : خاتمة المستدرک ج ١ ص ٢١١ - ٢١٢. البحار ج ٣٤ ص ٨٢. ج ٦٩ ص ٣٠٧.
(٥) الصدوق : الخصال ص ٦٣٩ - ٦٤٠. البحار ج ٢٢ ص ٣٠٥. خاتمة المستدرک ج ١ ص ٢١٢.
(٦) أبو بكر الجوهري : السقيفة وفدك ، تحقيق : باسم مجيد الساعدي ، نشر قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة - كربلاء، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م ص ٣٦.

كما جمعهم بعد نبيهم -ﷺ- على خيرهم " (١).

وقال -ﷺ- في خطبة له : " اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين ، قيل : من هم ؟ قال : أبو بكر وعمر وإماما الهدى ، من اقتدى بهما عصم ، ومن تبع آثارهما هدى إلى صراط مستقيم " (٢).

ويسأل موسى -عليه السلام- ربه -ﷻ- : " هل في صحابة الأنبياء أكرم عندك من صحابتي ؟ قال الله -ﷻ- : يا موسى أما علمت أن فضل صحابة محمد -ﷺ- على جميع صحابة المرسلين كفضل آل محمد على جميع آل النبيين ، وكفضل محمد على جميع المرسلين ؟ " (٣). وكتب لمعاوية -ﷺ- : " وكان أفضلهم في الإسلام ، وأنصحهم لله ورسوله : الخليفة الصديق ، وخليفة الخليفة الفاروق ، ولعمري إن مكانهما من الإسلام لعظيم ، وإن المصاب بهما لجرح في الإسلام شديد ، رحمهما الله ، وجزاهما بأحسن الجزاء ، وذكرت أن عثمان كان في الفضل ثالثاً ؛ فسيجزيه الله بإحسانه " (٤).

ونقول : إن صح كلام الشيعة يلزم منه : أن علياً غير معصوم ، حيث بايع أبا بكر وعمر ، وهما كافرين ، ناصبين ظالمين إقراراً منه لهما ، وهذا خاتم للعصمة ، وعون للظالم على ظلمه ، وهذا لا يقع من معصوم قط ، أو أن فعله هو عين الصواب ! ؛ لأنهما خليفتان ، مؤمنان ، صادقان ، عادلان ؛ فيكون الشيعة قد خالفوا إمامهم ، في تكفيرهما ، وسبهما ، ولعنهما ، وعدم الرضا بخلافتهما (٥)، فمن نتبع الشيعة أم إمامهم ؟ .

(١) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم ج ٢ ص ٤٠ .

(٢) الشريف المرتضى : الشافي في الإمامة ، تحقيق : السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، ط شريعت ، نشر مؤسسة الصادق - طهران ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٦ م ج ٣ ص ٩٣ - ٩٤ . علي العاملي : الصراط المستقيم ج ٣ ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٣) الحسن سليمان الحلبي : المحتضر ص ٢٧٤ . بحار الأنوار ج ١٣ ص ٣٤١ . ج ٩٢ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٤) نصر بن مزاحم المنقري (ت ٣١٣ هـ) : وقعة صفين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، نشر دار الجبل - بيروت ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م ص ٨٨ - ٨٩ . بحار الأنوار ج ٣٣ ص ١١٠ .

(٥) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ١٠ .

وسألت امرأة جعفر الصادق : عن أبي بكر وعمر -عليهما السلام- : أتتولاهما وتحبهما ؛ فقال لها : "تولييهما"^(١)، قالت : فأقول لربي إذا لقيته : إنك أمرتني بولايتيهما؟ قال : نعم"^(٢)، وعن أبي عبد الله : أتولاهما"^(٣).

ويقول الباقر : "بلغني أن قوماً بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا، ويتناولون أبا بكر وعمر -عليهما السلام- ويزعمون أنني أمرتهم بذلك ، فأبلغهم أنني إلى الله منهم برئ، والذي نفس محمد بيده : لو وليت لتقربت إلى الله بدمائهم، لا نالتني شفاعة محمد -عليه السلام- أبداً إن لم أكن أستغفر لهما، وأترحم عليهما"^(٤).

وعنه لما قال لأحد الشيعة : إن أبا بكر الصديق كان لسيفه حليّة ، فقال له الرجل : تقول الصديق ؟ قال : "نعم الصديق ، فمن لم يقل الصديق ؛ فلا صدق الله له قولاً في الدنيا ، ولا في الآخرة " ^(٥) .

ولكنهم لم يتبعوا الشيعة الأوائل مثل شريك بن عبد الله النخعي^(٦) - رحمه الله - حين قال : "قُبِضَ النَّبِيُّ -عليه السلام- وَاسْتَخَارَ الْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ، فَلَوْ عَلِمُوا أَنَّ فِيهِمْ أَحَدًا أَفْضَلَ مِنْهُ كَانُوا قَدْ عَشُونَا، ثُمَّ اسْتَخْلَفَ أَبُو بَكْرٍ عُمَرَ، فَقَامَ بِمَا قَامَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، جَعَلَ الْأَمْرَ شُورَى بَيْنَ سِتَّةٍ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى عُثْمَانَ، فَلَوْ عَلِمُوا أَنَّ فِيهِمْ أَفْضَلَ مِنْهُ

(١) يقول د حسين الموسوي : لما سألت الإمام الخوئي عن قول أبي عبد الله للمرأة بتولي أبي بكر وعمر ، قال : إنما قال لها ذلك تقية ! وأقول للإمام الخوئي : إن المرأة كانت من الشيعة ، وأبو بصير من أصحاب الصادق - عليه السلام - فما كان هناك موجب للتقية ؛ فالحق إن هذا التبرير الذي قال به الخوئي غير صحيح . لله ثم للتاريخ ص ٢٥ .

(٢) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٨٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٢٤١ .

(٣) الكليني : الفروع من الكافي ج ٣ ص ٢٢ . الطبرسي : الاحتجاج ج ٢ ص ١٠٤ . بحار الأنوار ج ٣١ ص ٣٥٢ .

(٤) المستشار عبد الحليم الجندي : الإمام جعفر الصادق ، نشر دار المعارف - القاهرة ، ١٩٨٦ م ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٥) بحار الأنوار ج ٢٩ هامش ص ٦٥١ . عبد الحليم الجندي : الإمام جعفر الصادق ص ١٢٩ .

(٦) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ النَّخَعِيُّ شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَتَقَّهَ: ابْنُ مَعِينٍ وُلِدَ ٩٥ هـ وَتُوفِيَ ١٧٧ هـ . الزركلي: الأعلام ج ٣ ص ١٦٣ .

كَانُوا قَدْ غَشُونَا^(١)، هَذَا النَّشِيعُ الَّذِي لَا مَحْذُورَ فِيهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - ، وَلَا نَذْكُرُ أَحَدًا مِنْ الصَّحَابَةِ إِلَّا بِخَيْرٍ، وَنَتَرْضَى عَنْهُمْ^(٢) .

وكيف يكون ردهم حين يسمعون أن علياً - عليه السلام - لَمَّا قَتَلَ عمرو بن عبد ود^(٣) ، قام إليه أبو بكر وعمر - عليهما السلام - فقبلا رأسه ، ووجه رسول الله يتهلل^(٤) ، وعن علي - عليه السلام - قال رسول الله - عليه السلام - إنه لم يكن قبلي نبي إلا قد أعطي سبعة رفقاء نجباء وزراء ، وإني أعطيت أربعة عشر : حمزة ، وجعفر^(٥) ، وعلي ، وحسن ، وحسين ، وأبا بكر ، وعمر ، والمقداد ، وابن مسعود ، وأبو ذر ، وحذيفة^(٦) ، وسلمان ، وعمار ، وبلال - عليه السلام -^(٧) .

(١) قَالَ عَلِيُّ بْنُ حُشْرَمٍ: فَأَخْبَرَنِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ: أَنَّهُ عَرَضَ هَذَا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ إِدْرِيسَ، فَقَالَ ابْنُ إِدْرِيسَ: أَنْتَ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ حَفْصٍ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْطَقَ بِهَذَا لِسَانَهُ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَشَيْعِيٌّ، وَإِنَّ شَرِيكًا لَشَيْعِيٍّ. سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ٤٦٨ .

(٢) الحافظ الذهبي : سير أعلام النبلاء في ترجمة شريك بن عبد الله ج ٧ ص ٤٦٧ - ٤٦٨ .

(٣) عمر بن ود : أو عمرو بن عبد ود العامري، من بني لؤي، فارس قریش وشجاعها في الجاهلية. أدرك الإسلام ، ولم يسلم، وعاش إلى أن كانت وقعة الخندق فحضرها ، وقد تجاوز الثمانين، فقتله علي بن أبي طالب. ولم يشتهر عمرو اشتهاه غيره من فرسان الجاهلية ؛ لأنه لم يكن صاحب غارات ، ونهب ، قتل ٥ هـ / ٦٢٧ هـ . الزركلي : الأعلام ج ٥ ص ٨١ .

(٤) المفيد: الإرشاد ج ١ ص ١٠٤ - ١٠٥ . بحار الأنوار ج ٢٠ ص ٤ . الطبرسي: مجمع البيان ج ٨ ص ١٠١ .

(٥) جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ الْهَاشِمِيُّ: أَبُو الْمَسَاكِينِ، الشَّهِيدُ الطَّيَّارُ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ - عليه السلام - هَاجَرَ الْهَجْرَتَيْنِ، وَافَى الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ عَلَى خَيْبَرَ ، ثُمَّ أَمَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ - عليه السلام - عَلَى جَيْشِ غَزْوَةِ مَوْتَةَ بِنَاحِيَةِ الْكَرْكِ، فَاسْتُشْهِدَ ٨ هـ . الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٠٥ - ٢١٧ . الزركلي: الأعلام ج ٢ ص ١٢٥ .

(٦) حَذِيفَةُ بْنُ الْيَمَانِ بْنِ حَسَلٍ بْنِ جَابِرِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْيَمَانِ: صَاحِبُ السَّرِّ ، لِأَنَّهُ مِنْ وَلَدِ الْيَمَانِ بْنِ جَرُودَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ قَطِيعَةَ بْنِ عَبْسٍ، يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مُهَاجِرِيٌّ، وَخَالَفَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَعَدَّاهُ فِي الْأَنْصَارِ لِحُلْفِهِ، شَهِدَ أَحَدًا، سَكَنَ الْكُوفَةَ وَتُوفِيَ ٣٦ هـ بِالْمَدَائِنِ، بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ بِقَلِيلٍ ، وَلَمْ يَدْرِكِ الْجَمَلَ، وَتَبَرَّأَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَتْلِ عُثْمَانَ، وَمِنْ قَتْلِهِ . الزركلي : الأعلام ج ٢ ص ١٧١ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٢٥ - ٣٠ .

(٧) بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو عَمْرٍو، وَأَبُو عَبْدِ الْكَرِيمِ ، أُمِّهِ حَمَامَةُ، مِنَ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ شَهِدَ بَدْرًا وَالْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - عليه السلام - كَانَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ فِي اللَّهِ ؛ فَاشْتَرَاهُ الصَّدِيقُ فَأَعْتَقَهُ، وَتَرَبَّأَ أَبِي بَكْرٍ ، كَانَ يُؤَذِّنُ لِرَسُولِ اللَّهِ - عليه السلام - سَفَرًا وَحَضْرًا، وَكَانَ خَازِنَهُ عَلَى بَيْتِ مَالِهِ، تُوْفِيَ بِدِمَشْقَ وَهُوَ ابْنُ بَضْعٍ وَسِتِّينَ ، سَنَةً ٢٠ هـ ، أو ١٨ هـ ، وَقِيلَ : بِحَبَبٍ . سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٠٦ - ٢١٨ .

وقال النبي -ﷺ- : اقتدوا باللذين من بعدي : أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- ، وكان عمر -رضي الله عنه- (٢) ، إن أبا بكر مني بمنزلة السمع ، وإن عمر مني بمنزلة البصر ، وإن عثمان مني بمنزلة الفؤاد (٣).

ويعترف عليٌّ أن أبا بكر وعمر -رضي الله عنهما- سرا وفرحا بزواجه من فاطمة ؛ حين أخبرهم عليٌّ بذلك (٤)، وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه في القضايا : " إن أبا بكر وعمر وعثمان كانوا يرفعونها إلى علي ؛ لعلمه بها ، لا يستبدون برأي دونه ، فما حكم فهو جائز " (٥).

ويقول عليٌّ -رضي الله عنه- : لله بلاء فلان - يعني الخليفة الثاني - ؛ فقد قوّم الأود - يعني عدل الاعوجاج - وداوى العمَد - يعني العلة - وخلف الفتنة - تركها خلفه لا هو أدركها ، ولا هي أدركته - وأقام السنة ، وذهب نقي الثوب ، قليل العيب ، أصاب خيرها ، وسبق شرها ، رحل وتركهم في طرق متشعبة (٦).

ولما طعن عمر -رضي الله عنه- قال عليٌّ -رضي الله عنه- : وددنا أنا زدنا في عمره من أعمارنا (٧)، بايع عمر - يعني : أبا بكر - فكان مرضي السيرة من الناس (٨)، فلما احتضر بعث إلى عمر فولاه (٩) ، فسمعنا وأطعنا وناصحنا ، وتولى عمر الأمر ، فكان مرضي السيرة ، ميمون النقيبة (١٠).

(١) آية الله المحقق المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ، ط الدار الإسلامية - بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م ج ٢ ص ١١١ . الطبراني : المعجم الكبير ج ٦ ص ٢١٥ - ٢١٦ .

(٢) المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه ج ٢ ص ٥١٧ . الأميني : الغدير ج ٦ ص ١٤٢ - ١٤٤ .

(٣) الصدوق : عيون أخبار الرضا ج ١ ص ٢٨٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٠ ص ١٨٠ .

(٤) يراجع الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٤ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٥) الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٨ ص ٣٠ .

(٦) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد إبراهيم ، ط الأميرة - بيروت ، نشر دار الكتاب العربي - بغداد ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م ج ١٢ ص ١٨٩ .

(٧) أبو نعيم : حلية الأولياء ج ٣ ص ١٩٩ . عبد الحليم الجندي : الإمام جعفر الصادق ص ٣٦ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٠ ص ١٣ .

(٩) علق المجلسي : ما مر من وصف أبي بكر وعمر من آثار التقية ، والمصلحة في الخطبة ظاهرة ، بل الظاهر أنها من إلحاقات المخالفين . انظر بحار الأنوار ج ٣٣ ص ٥٧٤ .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٣ ص ٥٦٩ .

ومن العجيب أن ترى أتباع إمام يسبون رجلاً سُمي أئمتهم أولادهم بأسمائهم ، مثل: { أبو بكر بن علي^(١) ، وعمر بن علي^(٢)، وعثمان بن علي^(٣) ، وأبوبكر بن الحسن بن علي^(٤)، وعمر بن الحسن^(٥)، وأبوبكر بن الحسين^(٦) ، وعمر بن علي زين العابدين بن الحسين^(٧) }^(٨) ،

(١) أبو بكر بن علي بن أبي طالب : أمه ليلى بنت مسعود الدرامية ، قتل مع أخيه الحسين بكربلاء . مجدي فتحي السيد : صحيح التوثيق في سيرة وحياة أمير المؤمنين علي ص ١٦ . النعمان المغربي : شرح الأخبار ج ٣ ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٢) عمر بن علي بن أبي طالب : يلقب بعمر الأطراف ، أمه الصهباء ، ويقال : أم حبيبة التغلبية ، قتل مع أخيه الحسين بكربلاء . انظر مجدي السيد : صحيح التوثيق في سيرة وحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص ١٦ .

(٣) عثمان بن علي بن أبي طالب : أمه أم البنين فاطمة بنت حزام ، قتل مع أخيه الحسين بكربلاء ، وهو ابن ٢١ سنة . مجدي السيد : صحيح التوثيق في سيرة وحياة أمير المؤمنين علي ص ١٦ . وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٣٤٢ .

(٤) أبو بكر بن الحسن بن علي بن أبي طالب : قتل مع عمه الحسين في كربلاء ٦١ هـ أم ولد لا يعرف اسمها . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٦٣ . النعمان المغربي : شرح الأخبار ج ٣ هامش ص ١٧٨ - ١٧٩ .

(٥) عمر بن الحسن بن علي بن أبي طالب : أحد الرواة المأخوذ عنهم من أهل البيت وهو ممن استشهد مع الحسين - عليه السلام - بكربلاء ، وقيل : أسر فقط . المفيد : الإرشاد ج ٢ ص ٢٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٦٣ . القاضي النعمان المغربي : شرح الأخبار ج ١ ص ٤٦١ . إحسان إلهي ظهير : الشيعة وآل البيت ، نشر دار ابن حزم - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ص ١٤٩ نقلا عن جلاء العيون للمجلسي .

(٦) أبو بكر بن الحسين بن علي بن أبي طالب : قتل مع جده الحسين في كربلاء ٦١ هـ ، أم ولد لا يعرف اسمها . القاضي النعمان المغربي : شرح الأخبار ج ٣ ص ١٧٨ .

(٧) عمر بن علي بن الحسين : كان يلقب بأبي حفص الأشرف ، وكان جليل القدر في الدولتين الأموية والعباسية ، وكان ذا علم . انظر الطوسي : رجال الطوسي ص ١٣٩ .

(٨) وقد سُمي الإمام جعفر الصادق ابنته بعائشة ، ولها مرقد في القاهرة باسمها ، وهي أخت الإمام موسى الكاظم . انظر د حمزة النشرتي ، الشيخ عبد الحفيظ فرغلي ، د عبد الحميد مصطفى : سيرة آل بيت النبي ج ٣ ص ٥٣ .

وغيرهم من أبناء أبناء الأئمة (١).

المبحث الثالث عقيدة العصمة في ميزان أهل البيت

يعترف بعض علماء الاثني عشرية بوجود مشكلة في عقيدة العصمة ، فيقول: "إذا أحطت خبراً بما تلونا عليك ؛ فاعلم أن هذه المسألة في غاية الإشكال ، لدلالة كثير من الأخبار والآيات على صدور السهو عنهم مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ قَنُوسٍ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ (٢) ، وإطباق الأصحاب إلا من شذ منهم على : عدم جواز السهو عليهم (٣). ومصدر الخطورة في عقيدة العصمة : أنها مصادرة لكل الآراء ، وغلق للأبواب أمام العقل والتفكير ، وسد للطريق أمام ذوي البصيرة ؛ لتحل الأهواء محل النصوص الدينية ؛ فبعقيدة العصمة صودرت كل الآراء والاجتهادات ، فكيف تنطق بعد كلام المعصوم ؟ ، فلا يجد المرء أمامه سوى التسليم والقبول ، دون مناقشة ، وهكذا استقر الفساد ، وساد ضياع العقول الذكية (٤).

(١) مثل : عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب الذي خرج ابنه يحيى ؛ الذي خرج أيام المتوكل ، وقتل سنة ٢٥٠هـ أيام المستعين ، وعمر بن إسحاق بن الحسن بن علي بن الحسين الذي خرج مع الحسين المعروف : بصاحب فخ ؛ أيام موسى الهادي الذي شاور موسى بن جعفر ؛ فأذن له بالخروج ، وعمر بن الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن الحسن بن علي ، وعمر بن الحسين بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وعمر بن سليمان بن عبد الله بن الحسن بن علي العريضي بن جعفر الصادق ، وعمر بن علي بن أحمد بن علي بن عبد الله بن الحسن بن علي العريضي بن جعفر الصادق ، وعمر بن إسماعيل بن الحسين بن محمد بن علي بن أحمد بن علي بن عبد الله بن الحسن بن علي العريضي بن جعفر الصادق ، وعمر بن موسى الكاظم ، وعمر بن أحمد بن الحسين بن موسى الكاظم ، وعمر بن الحسين شيتي إحسان إلهي ظهير : الشيعة وآل البيت ص ١٥٠ . وانظر في ذلك كتاب أبو الفرج الأصفهاني : مقاتل الطالبين كاملاً .

(٢) سورة طه : آية رقم ١١٥ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٧ ص ١١٨ بتصرف .

(٤) محمد عبد الرحمن عوض : الشيعة وجذور الكراهية ص ٥٦ بتصرف .

فهئئت لهم هذه العقيدة أن يردوا أخبار الأئمة ، التي تقول بعدم عصمتهم ، أو تأويلها ، أو تكذيبها، حتى يلبسوا على عوام الشيعة ؛ فتبقى مذعنة لرأي الفقيه النائب عن الغائب ، وهذا هو الاختطاف الذهني بكل أركانه ومعانيه .

وبالبحث تجد أن الرافضة قد وضعت مقالتين ، لا يظهر معهما لأئمتهم أي خطأ ، أو ذنب ؛ لتتم لهم العصمة : أولاها: البداء ؛ فإذا أخبروهم بأنهم تملكوا ، فلم يكن قالوا : بدا لله فيه . وثانيهما : التقية ؛ كلما تكلموا بشيء ، فظهر بطلانه ، قالوا : خرج على التقية ^(١) . ومن أدلة سهوه -ﷺ- قوله -ﷺ-: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٢) . قال الجبائي : وفي هذه الآية دلالة على بطلان قول الإمامية في جواز التقية على الأنبياء والأئمة ، وأن النسيان لا يجوز على الأنبياء ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ ^(٤) . والنسيان هنا معناه : الترك ^(٥) ، ونقول : حتى وإن كان معناه الترك ؛ فهو ضد العصمة ؛ لأن العصمة تقتضي عدم ترك المندوب . وقوله تعالى : ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ^(٦) ، بأن ينسخ تلاوته ، وقيل : المراد القلة والندرة ؛ لما روي أنه -ﷺ- نسي آية في قراءته في الصلاة ، فحسب أبي أنها نسخت ، فسأله : فقال : نسيتهما ، أو نفي النسيان رأساً ؛ فإن القلة تستعمل في النفي ، وقيل : معناه : النهي ، أي : فلا تغفل عن تكراره ، وقراءته ^(٧) . والتلاوة وإن كانت مستحبة ؛ فتركها يبطل العصمة .

(١) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم ج ٢ ص ٢٧٠ .

(٢) سورة الأنعام : آية رقم ٦٨ .

(٣) علق المجلسي : وهذا القول غير صحيح ، ولا مستقيم ؛ لأن الإمامية إنما تجوز التقية على الإمام فيما يكون عليه دلالة قاطعة توصل إلى العلم ، ويكون المكلف مزاح العلة في تكليف ذلك ، فأما ما لا يعرف إلا بقول الإمام من الأحكام، ولا يكون على ذلك دليل إلا من جهته ، فلا يجوز عليه التقية فيه ؛ فالمراد من الآية : الخطاب للنبي وآله ظاهراً ، والمراد غيرهم ، أو من قبيل الخطاب العام . بحار الأنوار ج ١٧ ص ٩٨ بتصرف .

(٤) سورة الكهف : آية رقم ١٨ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٧ ص ٩٩ .

(٦) سورة الأعلى : آية رقم ٦ - ٧ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٧ ص ٩٩ .

ومن أدلة سهوه حديث أن النبي ﷺ - صلى خمس ركعات ^(١) ، فقليل له : هل زيدت الصلاة ، فلما ذكره ، قام فاستقبل القبلة ، فسجد للسهو ، ثم قال : هما المرغمتان ^(٢) . ولكن الأئمة لا يرضون بذلك لأنفسهم ، فقد سئل الرضا: " إن في الكوفة قوما يزعمون أن النبي ﷺ - لم يقع عليه السهو في صلاته ؟ فقال : كذبوا لعنهم الله ، إن الذي لا يسهو هو الله لا إله إلا هو " ^(٣) .

ويقول أبو جعفر: " لا ترفعوا علياً فوق ما رفعه الله ، ولا تضعوا علياً دون ما وضعه الله ، كفي بعلي أن يقاتل أهل الكرة ، ويزوج أهل الجنة " ^(٤) .

يقول أحد محققيه ^(٥) ؛ ليوضح غلو الشيعة اليوم: " إن القدماء كانوا يهتمون الرجل بالغلو ، وينسبونه إليه بما ليس غلواً بوجه ، مثل عدهم نفي السهو عن النبي ﷺ - والأئمة غلواً " ^(٦) .

فكون نفي سهو النبي اليوم من ضروريات مذهب التشيع ، وقد عدّه الصدوق غلواً ، مع أنه اليوم من ضروريات المذهب يدل على أن هناك تطوراً في تقديس الشيعة لأئمتهم . وهذا إقرار من واحد من أكبر شيوخهم المعاصرين في علم الرجال ، يتضمن: الاعتراف بتغيير المذهب ، وتطوره من الاعتدال إلى التطرف ، وأن من ضروريات مذهب الشيعة اليوم أموراً كانت عند القدماء غلواً ^(٧) .

ويقول الصدوق : إن الغلاة والمفوضة لعنهم الله : ينكرون سهو النبي ﷺ - ^(١) ، ثم قطع الصدوق بإمكانه ، ونقل عن علماء الشيعة : أول درجة في الغلو نفي السهو عن النبي ﷺ - .

(١) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٩ ص ١١٧ .

(٢) المرغمتان : سجدتا السهو لكونهما يرغمان أنف الشيطان .

(٣) بحار الأنوار ج ١٧ ج ١٠٥ . المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٨ ص ٤٢٤ .

(٤) الشيخ الصدوق : الأمالي ص ١٦١ . محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٤٥٨ .

(٥) هو الممقاني: عبد الله بن محمد حسن الممقاني ، ولد بالنجف ١٢٩٠ هـ ، وتوفي بها ١٣٥١ هـ ، قال : هذا في دفاعه عن المفضل بن عمرو الجعفي ، فيما رمي به من قبل الشيعة . سامح الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية ص ٣٧ .

(٦) عبد الله المامقاني (ت ١٣٥١ هـ) : تنقيح المقال في علم الرجال ، تحقيق : السيد محيي الدين المامقاني ، ط ستارة ، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم ، ١٤٢٤ هـ / ١٣٨١ ش ج ٧ ص ٨ .

(٧) سامح الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الإثنى عشرية ص ٣٧ بتصرف .

ويعترف المفيد بأن جماعة من علماء قم : يقصرون تقصيراً ظاهراً في الدين ، وينزلون الأئمة عن مراتبهم ، ويزعمون أنهم كانوا لا يعرفون كثيراً من الأحكام الدينية ، حتى ينكت في قلوبهم ، ورأينا من يقول : إنهم كانوا يلتجئون في حكم الشريعة إلى الرأي والظنون ، ويدعون مع ذلك أنهم علماء ، وهذا هو التقصير الذي لا شبهة فيه^(٢)، ومن هؤلاء صنف من الغلاة المفوضة ، وقولهم الذي فارقوا به من سواهم: اعترافهم بحدوث الأئمة ، وخلقهم، ونفي القدم عنهم ، وإضافة الخلق والرزق مع ذلك إليهم ، ودعواهم أن الله سبحانه تفرد بخلقهم خاصة ، وأنهم سبحانه فوض إليهم خلق العالم بما فيه ، وجميع الأفعال^(٣).

وهنا نقف بين كلام الصدوق المتوفى: ٣٨١هـ ، وكلام المفيد المتوفى: ٤١٣هـ : الذي يمكن أن يؤرخ لنا متى بدأ ظهور الغلو بين الوسط الشيعي كما ترى من الفقرات الماضية. ثم إن القول بعصمة الأئمة يوقع الاثني عشرية في شرك الرد على الشبهات التي رووها في كتبهم عن النبي -ﷺ- مثل : ما جاء أنه أمر بلالاً أن يكلاً لهم الليل ، حتى يوقظهم لصلاة الصبح ، ولكن بلالاً غلبته عيناه فنام ، ولم يستيقظ النبي -ﷺ- إلا على حر الشمس ، فقام فأمر الصحابة أن يستيقظوا ، ويتحولوا من هذا الوادي ، وقال : إن به شيطاناً^(٤) ، ولما تحول منه أمر بلالاً فأذن وأقام ، وصلى بالصحابة الصبح^(٥). ومن ذلك : أن النبي -ﷺ- شغل يوم الخندق عن أربع صلوات ، حتى ذهب من الليل ما شاء ، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلّى الظهر ، والعصر ، والمغرب ، والعشاء^(٦) ، ثم قال:

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٠٢.

(٢) المفيد : تصحيح اعتقاد الإمامية ص ١٣٥ - ١٣٦. بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٣) الميرزا النوري : خاتمة المستدرک ج ٥ ص ٢٣٤.

(٤) فيه قدح في العصمة . بحار الأنوار ج ٨١ ص ١٦٦. وسائل الشيعة ج ٨ ص ٢٦٧.

(٥) قال البهائي : ربما يظن تطرق الضعف فيه ؛ لأنه ينافي العصمة ، وقال المجلسي لم نطلع على راد لهذا الخبر من جهة الإسناد، وهو ما يفيد جواز حصول ذلك من المعصوم . بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٠٧-١٠٨ بتصرف.

(٦) علق المجلسي: بأنه لا ينافي العصمة ؛ لأن الصلاة تسقط مع الخوف، ثم تقضى. بحار الأنوار ج ٨٤ ص ١٦٦.

مَلَأَ اللَّهُ قُبُورَهُمْ وَبَيَّوتَهُمْ نَارًا، كَمَا حَبَسُونَا، وَشَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ^(١).

وكذلك ما جاء أن النبي -ﷺ- هَمَّ أَنْ يَدْعُو عَلَى كِفَارِ قَرِيشَ بِالْهَلَاكِ وَالْعَذَابِ ، لَكِنْ اللَّهُ نَهَاَهُ ، وَقَالَ لَهُ : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٢) ، فَقَدْ اسْتَحَقُّوا التَّعْذِيبَ بِظُلْمِهِمْ^(٣).

وعلماء الإسلام من السنة والشيعة تلقوا أخبار نوم النبي -ﷺ- عن الصلاة بالقبول ، ولا عار في الرقود عن الفريضة ؛ لأن النبي -ﷺ- فعل ذلك رحمة للعباد ، ولئلا يعير بعضهم بعضاً^(٤)^(٥).

ويؤكد نسيان النبي -ﷺ- أنه نسي أن يقول إن شاء الله ؛ فذكره جبريل -عليه السلام- حين قال : كيف أنتم يا معاشر قريش : وقد كفرتم بعدي ، ثم رأيتوني في كتيبة من أصحابي أضرب وجوهكم ورقابكم بالسيف ، فنزل جبريل -عليه السلام- وقال : قل إن شاء الله ، أو علي ، فقالها النبي -ﷺ-^(٦) ، وفي حجة الوداع^(٧).

ثم تجد عندهم ما يتناقض مع العصمة فعن علي -عليه السلام- : " فلا تكفو عني مقالة بحق ، أو مشورة بعدل ؛ فإنني لست في نفسي بفوق ما أن أخطئ ، ولا آمن ذلك من فعلي ، إلا أن يكفيني الله من نفسي ما هو أملك به مني ، فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب لا رب غيره

(١) أبو نعيم : حلية الأولياء ج ٥ ص ٣٥ . الطبراني : المعجم الكبير ج ١٢ ص ٢٦ . جواهر الكلام ج ٧ ص ١٣ .

(٢) سورة آل عمران : آية رقم ١٢٨ .

(٣) قال المجلسي : كون الأمر في الإهلاك ، والتعذيب ، وقبول التوبة إلى الله تعالى لا ينافي عصمته -ﷺ- بوجه ؛ حيث كان الدعاء عليهم لم يكن منهيًا عنه ؛ وإنما أمره تعالى بالكف ؛ لنوع من المصلحة . بحار الأنوار ج ١٧ ص ٣٧ .

(٤) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ١٣ ص ٧٢ .

(٥) قلت : فيه إساءة للنبي -ﷺ- صلى الله عليه وسلم - حيث جوزوا السهو والنوم على النبي ولم يجوزوه على أئمتهم .

(٦) المصدر السابق ج ٢٩ ص ٤٦١ بتصرف .

(٧) الشيخ الطوسي : الأمالي ص ٧٤٢ .

، يملك منا ما لا نملك من أنفسنا ، وأخرجنا مما كنا فيه إلى ما صلحنا عليه، فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى ، وأعطانا البصيرة بعد العمى " (١).

وقال : ما أهمني ذنب أمهلت بعده حتى أصلي ركعتين ... وكان يدعوا فيقول : " اللهم إني أعوذ بك من ذنب يحبط العمل ، وأعوذ بك من ذنب يعجل النقم ، وأعوذ بك من ذنب يمنع الدعاء ، وأعوذ بك من ذنب يمنع التوبة ، وأعوذ بك من ذنب يهتك العصمة ، وأعوذ بك من ذنب يورث الندم " (٢) ومثل هذا الدعاء كثير عن علي - عليه السلام - (٣) وأئمة أهل البيت - رحمهم الله تعالى - مثل الرضا (٤) ، وأبي جعفر (٥) والسجاد (٦) ، وزين العابدين (٧) ، وعلي (٨) ، والصادق (٩). والسؤال : هل هذا من التقية ؟.

وأرسل الخليفة المنصور إلى أبي عبد الله جعفر الصادق ؛ فقال له : أنت تزعم للناس أنك تعلم الغيب ؟ قال : من أخبرك هذا ؟ قال : هذا الشيخ ، وأشار إلى شيخ قاعد بين يديه ، فقال له جعفر : أنت سمعتني قلت هذا ؟ قال الشيخ : نعم ، قال : أيلحف يا أمير المؤمنين ؟ فقال له المنصور : احلف ، فلما بدء في الحلف قال له جعفر : إن العبد إذا حلف باليمين التي ينزه الله عنها وهو كاذب : امتنع الله - عليه السلام - من عقوبته عليها في عاجلته ، لما نزه الله - عليه السلام - ولكني أنا استحلّفه ، قل : أبرأ إلى الله - عليه السلام - من حوله وقوته ، وألجأ إلى حولي وقوتي ، إن لم أكن سمعتك تقول هذا القول ، فما أتم اليمين حتى دلح - أخرج - لسانه كما يدلح الكلب ، ومات لوقته ، ونهض جعفر - رحمه الله - (١٠).

-
- (١) من باب هضم النفس . بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢٥٣. الكليني : روضة الكافي ج ٨ ص ٢٧٦ .
 (٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٩١ ص ٣٨٢ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٩ ص ٥٦٤ .
 (٣) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٤٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٢ .
 (٤) الطوسي : مصباح المتهدد ص ٤٨١-٤٨٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٠٣ . الشيخ الصدوق : الأمالي ص ٢٦٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٩٤ ص ٩٢ .
 (٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٨٩ ص ٢٥٠-٢٥١ .
 (٦) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٧٨ .
 (٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٦ ص ٨١ .
 (٨) النوري الطبرسي : مستدرک الوسائل ج ٦ ص ٣٤١ .
 (٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ٩٨ ص ٢٥٥ .
 (١٠) الطوسي : الأمالي ص ٦٨٤-٦٨٥ . الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٦ ص ٧٠-٧١ . مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٦٣ .

وعن الكاظم سئل : يزعمون أنك تعلم الغيب ؟ فقال: سبحان الله ! ضع يدك على رأسي ؛ فوالله ما بقيت شعرة فيه، ولا في جسدي إلا قامت ، لا والله ما هي إلا وراثثة عن رسول الله - ﷺ - (١).

وعن أبي عبد الله : " صلى عليّ - ﷺ - بالناس على غير طهارة ، وكانت الظهر ، ثم دخل ؛ فخرج مناديه أن أمير المؤمنين صلى على غير طهارة ؛ فأعيدوا ، وليلبلغ الشاهد الغائب " (٢) ، وكان يقول: " إنا لنذنب ونسيء ، ثم نتوب إلى الله متاباً " (٣) .

وعن أبي جعفر قال : " إن أبي ضرب غلاماً أسوداً بسوط ؛ فبكى الغلام ، وقال : تبعتني في حاجتك ، ثم تضربني ؟ قال أبو جعفر: فبكى أبي ، وقال : يا بني اذهب إلى قبر رسول الله - ﷺ - فصل ركعتين ، ثم قل : اللهم اغفر لعلي بن الحسين خطيئته يوم الدين ، ثم قال للغلام : اذهب أنت حر لوجه الله (٤) .

وعن زيد بن علي قال : " صليت مع أبي المغرب ، فنسي فاتحة الكتاب في الركعة الأولى ، فقرأها في الثانية " (٥) .

ولماذا لا يكون الإمام غير معصوم ؟ وهل الإمام إلا بشر مثلنا ؟ " يولد ، ويلد ، ويصح ، ويمرض ، ويأكل ، ويشرب ، ويبول ، ويتغوط ، وينكح ، وينام ، وينسى ، ويسهو ، ويفرح ، ويحزن ، ويضحك ، ويبكي ، ويحيى ، ويموت ، ويقبر فيزار ، ويحشر ، ويوقف ، ويعرض ، ويسأل ، ويثاب ، ويكرم ، ويشفع " (٦) .

(١) الشيخ المفيد : الأمالي ص ٢٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٩٣ .

(٢) يقول الحر العاملي : هذا خبر شاذ مخالف للأحاديث كلها ، وهو ينافي العصمة ، فلا يجوز العمل به ، والحديث محمول على التقية ؛ لأن العامة يقتلون مثل ذلك عن عمر . انظر الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٨ ص ٣٧٣-٣٧٤ بتصرف . المحقق البحراني : الحدائق الناضرة ج ١١ ص ٢٣٢ . بحار الأنوار ج ٨٨ ص ٦٨ . الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ١٤ ص ٥ .

(٣) يقول المجلسي : لا خلاف بين علمائنا في أنهم معصومون عن كل قبيح مطلقاً ، وأنهم يسمون ترك المندوب ذنباً وسيئة بالنسبة إلى كمالهم . انظر بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٠٧ .

(٤) النوري: مستدرك الوسائل ج ١٥ ص ٤٢٧ . وسائل الشيعة ج ٢٢ ص ٤٠١ . البحار ج ٢٣ ص ٣٨٤ .

(٥) يقول الحر العاملي : يحتمل كون زيد لم يسمع فاتحة الكتاب لبعده ، وعدم رفع أبيه صوته ، كما رفعه في الثانية ، وإلا فمقام العصمة ينزه عن السهو . انظر وسائل الشيعة ج ٦ ص ٩٢ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٧-١١٨ .

وعن أبي عبد الله: "فوا الله ما نحن إلا عبيد ، خلقنا الله ، واصطفانا ما نقدر على ضرر ، ولا نفع إلا بقدرته ، ولعن الله من قال فينا ما لا نقول في أنفسنا " (١).

وعن أبي عبد الله: فوالله ، ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا ، ما نقدر على ضرر ولا نفع ، وإن رحمتنا فبرحمته ، وإن عذبنا فبذنوبنا ، والله ما لنا عند الله حجة ، ولا معنا من الله براءة ، وإنا لميتون ، ومقبورون ، ومنشرون ، ومبعوثون ، وموقوفون ، ومسؤولون ، مالههم ، ويلهم ، لعنهم الله ، لقد آذوا الله ، وآذوا رسوله -ﷺ- في قبره ، وأمير المؤمنين ، وفاطمة ، والأئمة ، وها أنا ذا بين أظهركم لحم رسول الله ، وجلد رسول -ﷺ- أبيت على فراشي خائفاً ، وجلاً ، مرعوباً ، يأمنون وأفزع ، ينامون على فرشهم وأنا خائف ساهر لله -ﷻ- أشهدكم أنني امرؤ ولدني رسول -ﷺ- وما معي براءة من الله ، إن أطعته رحمني ، وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً ، أو أشد عذابه (٢) .

وعن أبي عبد الله حين بلغه أن بعض الشيعة يقول أن الإله الذي في الأرض هو الإمام ؛ فقال : " والله لو أقررت بما يقول في أهل الكوفة ؛ لأخذتني الأرض ، وما أنا إلا عبدٌ ، مملوكٌ ، لا أقدر على شيء ، ضُرٌّ ، ولا نفعٌ " (٣) .

وبعد مقارنة هذه الروايات ما سبق نكتشف التناقض الواضح بين ما قاله أئمة أهل البيت ، وبين ما رواه الشيعة عنهم ، وبذلك تسقط الروايات بعضها بعضاً ، والحمد لله الذي هدانا لصراطه المستقيم.

المبحث الرابع

موقف أهل السنة من القول بالعصمة

يعلم كل ناظر في القرآن ما رفع الإسلام من شأن الأنبياء والمرسلين . والمنزلة التي أحلهم من حيث هم حملة الوحي ، وقدوة البشر في الفضائل ، وصالح الأعمال ، وتنزيهه إياهم عما رماهم به أعداؤهم ، وما نسبته إليهم المعتقدون بأديانهم ، كل هذا صيانة للشرع ومبلغه .

(١) عبد الحليم الجندي : جعفر الصادق ص ١٥١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٨٩ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٩٠ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٩٤ - ٣٩٥ .

ولا يخفى على أحد أن الله -ﷻ- قد قرر عصمة الرسل كافة من الزلل في التبليغ ،
والزيغ عن الوجهة التي وجه الله وجوههم نحوها من قول أو عمل ، وخص خاتمهم محمداً
-ﷺ- فوق ذلك بمزايا ، فصلت في ثنايا الكتاب العزيز؛ لذلك فإن عصمة الرسل في التبليغ
عن الله أصل من أصول الإسلام ، أجمعت عليه الأمة ، ومن خالف ؛ فإنما هو في غير
الإخبار عن الله ، وإبلاغ وحيه إلى خلقه" (١).

ويجب أن يعتقد المؤمن أن الأنبياء -ﷺ- أكمل الخلق علماً ، وعملاً ، وأصدقهم ،
وأبرهم ، وأكملهم أخلاقاً وأعمالاً ، وأن الله خصهم بخصائص وفضائل لا يلحقهم فيها أحد
، وأن الله برأهم من كل خلق رذيل ، وأنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله -ﷻ- ، وأنه
لا يستقر في خبرهم ، وتبليغهم إلا الحق والصواب ، وأنه يجب الإيمان بهم ، وبكل ما
أوتوه من الله ، ومحبتهم ، وتعظيمهم على أكمل الوجوه (٢).

تعريف العصمة عند أهل السنة : لغة : الحفظ من الوقوع في الذنب ، أو المنع منه ، أو
عدم قدرة المعصية ، أو خلق مانع من ارتكاب المعصية ، وأحسن ما قيل فيها : أنها ملكة
نفسانية ، تمنع صاحبها الفجور (٣).

لن تكون العصمة عند أهل السنة وما مظاهرها :

أجمع أهل السنة على أن العصمة المطلقة لله -ﷻ- ولكتابه الذي : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ
بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ (٤)، فغيره من الكتب قد يقع فيه الخطأ والزلل
؛ لأنها من تأليف البشر، والخطأ والزلل من شعارهم ؛ أبى الله أن تكون العصمة لغيره
سبحانه وكتابه ورسوله -ﷻ-.

(١) محمد عبده: دروس من القرآن الكريم، ط شركة الأمل - ط الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة، ط
٢٠١١م ص ١٣٦.

(٢) عبد الله بن الجبرين: شرح أصول العقائد الدينية ، ط دار كنوز أشبيليا- الرياض، ط ١٤٣٠هـ /
٢٠٠٩م ص ١٢٢.

(٣) الإسنوي : نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول ، تحقيق : الشيخ محمد بخيت المطيعي ، ط مطابع
المعاهد الأزهرية - القاهرة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م ج ٣ ص ٦٢٠.

(٤) سورة فصلت : آية رقم ٤٠ .

ونحن نعتقد العصمة في إجماع علماء الأمة في كل عصر فإن الأمة لا تجتمع على معصية ، فإذا أجمعوا على أمر وثبت هذا الاجماع حصل به العلم ضرورة ؛ فهو سبيل المؤمنين ، جعلنا الله تبعاً لهم .

ولا يوجد من البشر من هو معصوم سوى الأنبياء -ﷺ- لنلا يؤدي اشتراط العصمة في الشهادة إلى سد باب الشهادة ، وهو مفتوح لا يغلق ، حيث اتفقت كل الفرق الإسلامية حتى الشيعة : أن العدل تقبل شهادته؛ لأن الأنبياء وسائط بين الله -ﷻ- وبين خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه ، ومع ذلك فظواهرهم ، وأجسامهم ، وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر ، طارئ عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض، والأسقام، ونعوت الإنسانية.

ولكن أرواحهم ، وبواطنهم متصفة بأعلى من أوصاف البشر ، متعلقة بالملأ الأعلى ، متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والآفات ، لا يلحقها غالباً عجز البشر ، ولا ضعف الإنسانية ؛ إذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم ؛ لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ، ورؤيتهم ومخاطبتهم، ومخالتهم ، وكذلك لو كانت أجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة ، وبخلاف صفات البشر لما أطاق البشر ، ومن أرسلوا إليهم مخالطتهم^(١). وهذه العصمة لها مظاهر ثبتت بأدلة الشرع منها قول رسول الله -ﷺ- : " صاحبكم خليل الله " ^(٢) ، ومنها: "إن عيني تنامان ، ولا ينام قلبي" ^(٣)، ومنها: "إني لست مثلكم ، إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني" ^(٤).

ويكمل الله -ﷻ- نبيه العصمة : بشق صدره -ﷺ- فَنَشَأَ عَلَى أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ مِنَ الْعِصْمَةِ مِنَ الشَّيْطَانِ ، ثُمَّ وَقَعَ شَقُّ الصَّدْرِ عِنْدَ الْبُعْثِ زِيَادَةً فِي إِكْرَامِهِ ؛ لِيَتَلَقَّى مَا يُوحَى إِلَيْهِ بِقَلْبٍ قَوِيٍّ فِي أَكْمَلِ الْأَحْوَالِ مِنَ التَّطْهِيرِ ، ثُمَّ وَقَعَ شَقُّ الصَّدْرِ عِنْدَ إِرَادَةِ الْعُرُوجِ إِلَى السَّمَاءِ ؛ لِيَتَأَهَّبَ لِلْمُنَاجَاةِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْحِكْمَةُ فِي هَذَا الْغَسْلِ : لِنَقْعِ الْمُبَالِغَةِ فِي الْإِسْبَاغِ بِحُصُولِ الْمَرَّةِ الثَّالِثَةِ ، كَمَا تَقَرَّرَ فِي شَرْعِهِ -ﷺ- ^(٥).

(١) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ١٣١ بتصرف .

(٢) رواه البخاري . ابن حجر : فتح الباري ج ١ ص ٦٥٣ . الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته ج ٢ ص ٩٣٧ .

(٣) رواه البخاري . فتح الباري ج ٣ ص ٣٩ . الألباني: صحيح الجامع ج ٢ ص ١٣١٢ .

(٤) رواه البخاري . فتح الباري ج ٤ ص ٢٣٧-٢٣٨ . الألباني: صحيح الجامع ج ١ ص ٤٩٠ .

(٥) الإمام ابن حجر : فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٤-٢٣٥ .

وقد وقع إجماع المسلمين على عصمة النبي ﷺ - فيما تعلق بالتوحيد ، والعلم بالله وصفاته ، والإيمان به ، وبما أوحى إليه ، وأن ذلك يكون في غاية المعرفة ، ووضوح العلم واليقين ، وانتفاء الجهل ، أو الشك ، أو الريب فيه ، وكل ما يضاد اليقين ^(١).

وقد اختلف العلماء في عصمة النبي ﷺ - قبل البعثة ، والصواب : أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله ، وصفاته ، والتشكيك في شيء من ذلك ، وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ، ونشأتهم على التوحيد والإيمان ، بل على إشراق أنوار المعارف ، ونفحات أطاف السعادة ، ولم ينقل أحد من أهل الأخبار : أن أحداً نبئ واصطفى ممن عرف بكفر وإشراك قبل النبوة ؛ ومستند هذا الباب : النقل ؛ وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر عن كانت هذه سبيله ^(٢) ؛ ولذلك اتفقوا على أن النبي ﷺ - لم يعبد صنما قط ، والأنبياء قبل النبوة معصومون من الكفر.

واختلفوا في العصمة من المعاصي قبل النبوة ؛ فقليل : لا يمتنع عقلاً عليهم الذنب ، سواء كان كفراً أو كبيرة ، أو صغيرة ، ولكن الواقع أنه لم يبعث نبي قط فأشرك بالله طرفة عين ، وكذلك لا يكفرون بالتبعية لأبائهم ، وقد يموت الآباء قبل الولادة ، وذلك لكرامتهم على الله - ﷻ - .

وإن صدر عنهم الذنب قبل النبوة ، فيطلق عليه الذنب مجازاً ؛ لأنه لا حكم ، ولا تكليف قبل الشرع ، أو يطلق عليها الزلة ، وهي : أن يقصد فعل المباح ؛ فيلزم أمر يكون معصية ، لو صدر عمداً ، كوكز موسى الرجل القبطي ؛ ففضى عليه ، وحيث لم يكن عمداً ، فليس بمعصية : لا كبيرة ، ولا صغيرة ؛ ولذلك ترتبط الزلة بالتنبيه من الفاعل ، أو من الله بوحى ؛ لئلا يُقْتَدَى به ، فإذا جاز عليهم الزلة ، جاز عليهم السهو ، والخطأ ؛ لأنه لا يكون معصية ^(٣).

وقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمة النبي ﷺ - من رذيلة الغلط في تلقي الوحي ، وتبليغه ونزاهته منها ، وكذلك ينتزه عن أن يتسود عليه الشيطان ، ويشبه عليه القرآن ، حتى يجعل فيه ما ليس منه ، أو يعتقد أن من القرآن ما ليس منه ، حتى يفهمه جبريل - عليه السلام - أو يقول كلاماً من قبل نفسه عمداً ، ويدخله في القرآن ؛ فهذا كفر ، ولا يجوز ذلك

(١) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ١٣٣ بتصرف.

(٢) المرجع السابق ج ٢ ص ١٥١ بتصرف.

(٣) الإسنوي : نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول ج ٣ ص ٦٢١-٦٢٢ بتصرف.

سهواً ، فلا يجري الكفر على لسانه ، أو قلبه ، لا عمداً ، ولا سهواً ، أو أن يشتبه عليه ما يلقيه الملك بما يلقي الشيطان ، أو أن يقول على الله ، لا عمداً ، ولا سهواً .
قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ ^(١) ، فإذا جاء حديث يخل بعصمة النبي -ﷺ- من العقائد الفاسدة ، لا يقبل على أي وجه جاء ، وقد عد الأصوليون الخبر الذي يكون على تلك الصفة من الأخبار التي يجب القطع بكذبها ، حتى ولو سودت بها كتب الحديث ، أو اشتملت عليها كتب التفسير ، فليس كل مخطوط مقبول كما هو معلوم ^(٢) .

ومن أدلة العقل على ثبوت عصمة الأنبياء من الكفر والشرك أن : قريشاً قد رمت نبينا بكل ما افترته ، وعير كفار الأمم أنبيائهم بكل ما أمكنها واختلقته ، مما نص الله تعالى عليه في قرآنه ، أو نقلته لنا الرواة ، ولم نجد شيئاً من ذلك تعبيراً لواحد منهم برفضه آلهته التي كان يعبدها ، وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه من عبادة آلهتهم ، التي عبدوها ، بل كان إبراهيم -ﷺ- يدعو : ﴿ وَاجْتُنِبِي وَبَيْتِي أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ ^(٣) ، وقد سأل أباه وقومه : ﴿ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ^(٤) ؛ فلم يجيبوه بقولهم : ما كنت تعبدُه معنا ، بل جابههم بقوله : ﴿ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٥) .
وأجمعوا على عصمتهم من تعمد الكذب في الأحكام وغيرها ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ لَا إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ^(٦) ، فكل نطق لا يكون إلا وحياً ، فلا يتصور أن يكون فيه كذباً متعمداً ، أما المعارض ^(٧) : فتجوز عليهم مثل قول إبراهيم -ﷺ- : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾

(١) سورة الحاقة : آية رقم ٤٤-٤٧ .

(٢) الشيخ محمد عبده : دروس من القرآن الكريم سلسلة ذاكرة الكتابة ص ١٤١-١٤٢ بتصرف .

(٣) سورة إبراهيم : آية رقم ٣٥ .

(٤) سورة الشعراء : آية رقم ٧٠ .

(٥) سورة الشعراء : آيات رقم ٧٥-٧٦ .

(٦) سورة النجم : آية رقم ٣ - ٤ .

(٧) قال النووي : واعلم أن التورية والتعريض معناهما : أن تطلق لفظاً هو ظاهر في معنى ، وتريد به معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ ، لكنه خلاف ظاهره ، وهذا ضرب من التغير والخداع . قال العلماء : فإن دعت إلى ذلك مصلحة شرعية راجحة على خداع المخاطب ، أو حاجة لا مندوحة عنها إلا بالكذب ، فلا بأس

(١) ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ (٢) ، وقوله لسارة زوجته : " فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكَ أُخْتِي ، فَإِنَّكَ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ ، فَإِنِّي لَأَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرِكَ " (٣) ، فكلها كان لغرض شرعي كما يفهم من السياق ، وهو دليل على عصمتهم من تعدد الكبيرة ، والصغيرة ؛ لأنه لو جازت عليهم ؛ لما احتاجوا إلى المعارض بالقول ؛ ليبتعدوا عن الكذب ، واتفقوا على عصمتهم من تعدد الكبيرة ، والصغيرة الدالة على الخسة (٤) .

فأما ما عدا هذا من عقود قلوبهم في التوحيد ، والشرع ، والمعارف ، والأمور الدينية ؛ فجماعها أنها مملوءة علماً ، ويقيناً على الجملة ، واحتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه (٥) .

أما الكذب غلطاً : فمنع الجمهور صدوره عنهم ؛ لدلالة المعجزة ، ولا يرد في ذلك حديث ذي اليمين : حين قال ما قصرت ، وما نسيت ؛ حيث كان هذا على ظنه الراجح - ﷺ - ، ولو كان كذباً ؛ لبين - ﷺ - حين نبهه القوم على سهوه في الصلاة ، ولكنه رجع عن ما رد به عليهم لما علم أنه سها في صلاته (٦) ؛ وفيه دليل على عدالة الصحابة ؛ حيث قبل شهادتهم .

واختلفوا في وقوع الكبائر والصغائر منهم ؛ فقليل : أنهم معصومون من الكبائر عمداً وسهواً ، ومن الصغائر عمداً لا سهواً ، فهي من باب مباحات العوام سينات المقربين ، وقيل : أنهم معصومون عن تعدد الذنب مطلقاً ، دون سهوه ، سواء كان صغيرة ، أو كبيرة ، لكن بشرط أن يتذكروه وينبهوا غيرهم عليه .

بالتعريض ، وإن لم يكن شئ من ذلك ؛ فهو مكروه وليس بحرام ، إلا أن يتوصل به إلى أخذ باطل ، أو دفع حق ؛ فيصير حينئذ حراماً ، هذا ضابط الباب . الأذكار ص ٦١٢ .

(١) الصافات : ٨٩ . أي سأسقم ، لأن الإنسان عرضة للأسقام . تفسير الجلالين ص ٩١٧ . شرح النووي لمسلم ج ٥ ص ١٣٣ .

(٢) الأنبياء : ٦٣ . وفيه تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلهاً . تفسير الجلالين ص ٦٧٠ .

(٣) يعني : أخوة الدين . انظر النووي : شرح صحيح مسلم ج ١٥ ص ١٣٣ .

(٤) الإسنوي : نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول ج ٣ ص ٦٢٥ بتصرف .

(٥) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ١٥٩ .

(٦) الإسنوي : نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول ج ٣ ص ٦٢٠ .

وقيل : معصومون عن تعدد الكبائر فقط ، فأما صدور الكبيرة ؛ لنسيان أو تأويل أو خطأ فقد اتفق الكل على جوازه سوى الرافضة ، وأما الصغيرة فقد اتفق الكثير على جوازه عمداً وسهواً (١) .

وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من الصغائر التي تزي بفاعلها ، وتحط منزلته ، وتسقط مروءته ، واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر منهم ، فذهب معظم الفقهاء ، والمحدثين ، والمتكلمين من السلف والخلف : إلى جواز وقوعها منهم ؛ وحجتهم ظاهر القرآن والأخبار ، وذهب جماعة من أهل التحقيق والنظر من الفقهاء والمتكلمين من أئمتنا : إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر ، وأن منصب النبوة يجلب عن مواقعها ، وعن مخالفة الله تعالى عمداً ، وتكلموا على الأحاديث الواردة في ذلك وتأويلها ، وأن ما ذكر عنهم في ذلك إنما هو فيما كان منهم على تأويل ، أو سهو ، أو من إذن الله تعالى في أشياء أشفقوا من المؤاخذه بها ، وأشياء منهم قبل النبوة ، وهذا هو المذهب الحق (٢) ، ونحن نقول به ونتابع فيه أهل السنة والحمد لله ! .

فأما ما تعلق بأمر الدنيا : فلا يشترط في حق الأنبياء العصمة ، من القطع بعدم معرفة الأنبياء ببعضها ، أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ، ولا وصم عليهم فيه ؛ إذ هم مهم متعلقة بالآخرة ، وأمر الشريعة وقوانينها ، وأمور الدنيا تضادها ، بخلاف أهل الدنيا: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (٣) .

فأما أمور الدنيا التي تحتاج إلى خبرة وتجربة ؛ فإنهم كانوا من أهلها ، بل هم أول العالمين بها ، وأما الأمور التي لا تحتاج إلى تجربة واختصاص فلا حرج في سؤال النبياء لأهل الذكر فيها ، ولا حرج في ذلك .

ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئاً من أمر الدنيا ؛ فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة والبله ؛ وهم المنزهون عنه ، بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا ، وقلدوا سياستهم ، وهدايتهم ، والنظر في مصالح دينهم ودنياهم ، وهذا لا يكون مع عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية ، وأحوال الأنبياء ، وسيرهم في هذا الباب معلومة ، ومعرفتهم بذلك كله مشهورة (٤) .

(١) المرجع السابق ج ٣ ص ٦٢٦ - ٦٢٩ بتصرف .

(٢) الإمام النووي : شرح مسلم ج ٣ ص ٥٥ - ٥٦ بتصرف .

(٣) سورة الروم : آية رقم ٧ .

(٤) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ١٥٩ - ١٦٠ .

وأما إن كان هذا العقد مما يتعلق بالدين ، فلا يصح من النبي -ﷺ- إلا العلم به ، ولا يجوز عليه جهله جملة ؛ لأنه لا يخلو أن يكون حصل عنده ذلك عن وحى من الله ، فهو ما لا يصح الشك منه فيه ، فكيف الجهل؟ ، أو يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء ، على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين، وعلى قوله -ﷺ-: "إِنِّي إِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ فِيمَا لَمْ يَنْزَلْ عَلَيَّ فِيهِ شَيْءٌ" (١).

وحديث : إِنْكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَإِنَّمَا أَقْضِي بَيْنَكُمْ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ مِنْكُمْ، فَمَنْ قَضَيْتَ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ (٢)، وكقصة أسرى بدر (٣) ، والإذن للمتخلفين (٤) ، على رأى بعضهم ، فلا يكون أيضا ما يعتقدهم ما يثمره اجتهاده إلا حقا وصحياً .

وبالجملة : فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي أمر بالدعوة إليه ؛ إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه ، وأما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والأرض ، وخلق الله ، وتعيين أسمائه الحسنی ، وآياته الكبرى ، وأمور الآخرة ، وأشراف الساعة ، وأحوال السعداء والأشقياء ، وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه إلا بوحي . ولا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك ، وإن كان عنده من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر ؛ لقوله -ﷺ-: "إني فيما لم يوح إلي كأحدكم" (٥).

(١) حسن . محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي : مشكاة المصابيح ، تحقيق : الشيخ الألباني ، نشر المكتب الإسلامي ، ط ١ ١٣٨١هـ / ١٩٦١م دمشق ، ط ٢ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م بيروت ج ٢ ص ١١١٣ .

(٢) الطبراني: المعجم الكبير ج ٢٣ ص ٢٩٨ . أبو نعيم: الحلية ج ٣ ص ٢٢٥ . سنن النسائي ج ٦ ص ٤٨٦-٤٨٧ .

(٣) يقصد بذلك عتاب الله للصحابه حين أشاروا عليه باستبقاء الرجال ، وأخذ الفدية منهم ، فنزل قوله تعالى " ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض " الأنفال : ٦٧ . الإمام القرطبي : تفسير القرطبي ج ١ ص ١٣٩٥ .

(٤) يقصد عتاب الله لنبيه -ﷺ- حين أذن للمتخلفين عن غزوة تبوك بالعودة ، وعفا الله عنه؛ فقال: " عفا الله عنك لما أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين " التوبة : ٤٣ . مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٤٥-١٤٦ .

(٥) الألباني : ضعيف الجامع الصغير وزيادته ، وقال: موضوع رواه الطبراني ، وابن شاهين في السنة عن معاذ ص ٣٠٥ .

ولقوله -ﷺ- في صفة الجنة : " ولا خطر على قلب بشر " ^(١) ؛ وقول موسى للخضر -ﷺ- : ﴿ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ﴾ ^(٢) ، وقوله -ﷺ- : " أسألك بأسمائك الحسنی ما علمت منها وما لم أعلم " ^(٣) ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(٤) ، حتى ينتهي العلم إلى الله ؛ إذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ^(٥) .

ومن خصائصه -ﷺ- والانبیاء -ﷺ- : أنه يجوز لهم أن يحكموا في قضية وهم في حال الغضب ؛ لوجود العصمة في حقهم ، والأمن من التعدي ؛ ولأن غضبهم يكون للحق ^(٦) .
والنبي -ﷺ- معصوم أيضا من : السماع لبطانة السوء من أهل المشورة ، قال -ﷺ- : " ما بعث الله من نبي ، ولا استخلف من خليفة ، إلا كانت له بطانتان : بطانة تأمره بالمعروف ، وتحضه عليه ، وبطانة تأمره بالشر ، وتحضه عليه ، فالمعصوم من عصم الله تعالى " ^(٧) .

ولا ينافي ذلك أن يعرض للنبي -ﷺ- الانشغال في الصلاة ، فذهب معظم المحققين وجماهير العلماء إلى جواز ذلك ، ووقوعه منهم ، وهذا هو الحق ، ثم لا بد من تنبيههم عليه ، وذكرهم إياه إما في الحين على قول جمهور المتكلمين ، وإما قبل وفاتهم على قول بعضهم ؛ ليسنوا حكم ذلك ، ويبينوه قبل انخراط مدتهم ، وليصح تبليغهم ما أنزل إليهم ، وكذلك لا خلاف أنهم معصومون من الصغائر التي تترى بفاعلها ، وتحط منزلته ، وتسقط مرواته ، واختلفوا في وقوع غيرها من الصغائر منهم ؛ فذهب معظم الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من السلف والخلف إلى جواز وقوعها منهم ، وحجبتهم ظواهر القرآن والأخبار ،

(١) رواد البخاري: فتح الباري ج ٨ ص ٦٠٤. معجم الطبراني ج ١ ص ٥٣.

(٢) سورة الكهف : آية رقم ٦٦.

(٣) ضعيف . أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني : الدعاء ، تحقيق : د محمد سعيد بن محمد حسن البخاري ، نشر دار البشائر الإسلامية - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ج ٢ ص ٨٣٤ - ٨٣٥ .

(٤) سورة يوسف : آية رقم ٧٦.

(٥) القاضي عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ١٦٢.

(٦) الإمام ابن حجر : فتح الباري ج ١٣ ص ١٦٠ بتصرف .

(٧) قال ابن حجر: استشكل هذا التقسيم بالنسبة للنبي - صلى الله عليه وسلم - لأنه وإن جاز عقلاً أن يكون في من يداخله من أهل الشر، لكنه لا يتصور منه أنه يصغي إليه ، ولا يعمل بقوله لوجود العصمة ، وبقيّة الحديث : " والمعصوم من عصم الله " يدل على سلامة النبي -ﷺ- فلا يلزم من وجود من يشير بالشر أن يقبل منه . وقيل : المراد بالبطانتين في حق النبي الملك والشیطان ، وقد عصم من الشيطان بل أسلم قرينه. فتح الباري ج ١٣ ص ٢١٩ بتصرف .

وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ التَّحْقِيقِ وَالنَّظَرِ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ أُنْمَتَنَا إِلَى عَصْمَتِهِمْ مِنَ الصَّغَائِرِ كَعَصْمَتِهِمْ مِنَ الْكِبَائِرِ ، وَأَنَّ مَنْصِبَ النُّبُوَّةِ يَجُلُ عَنْ مَوَاقِعِهَا ، وَعَنْ مُخَالَفَةِ اللَّهِ ^(١) . وكذلك فالنبي -ﷺ- معصوم من النظر إلى النساء الأجنبية نظرة شهوة ، بل إن النبي -ﷺ- محرم لجميع نساء الأمة ، وعدوا ذلك من خصائصه ، مع ما كان عليه -ﷺ- من ملاك إربه نحو زوجاته ، فما بالك بغيرهن ؛ وهو المنزه عن كل فعل قبيح ، وقول رث -ﷺ- ^(٢) .

وأجمعت الأمة على عصمة الأنبياء -ﷺ- من الشيطان ، وكفايته منه ، لا في جسمه من أنواع الأذى ، ولا على خاطره بالوساوس ، قال رسول الله -ﷺ- ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن ، وقرينه من الملائكة ، قالوا: وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياي ، ولكن الله تعالى أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير ، وفي رواية عائشة: فأسلم بضم الميم : أي فأسلم أنا منه ، وصحح بعضهم هذه الرواية ، ورجحها ، ومعنى : فأسلم : أي القرين ، أي: أنه انتقل من حال كفره إلى الإسلام، فصار لا يأمرني إلا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث، ورواه بعضهم فاستسلم ^(٣) . والإعانة من الله لنبيه -ﷺ- كانت بالعصمة . فإذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بني آدم ، فكيف بمن بعد منه ، ولم يلزم صحبته ، ولا أقدره على الدنو منه . وقد جاءت الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن ، رغبة في إطفاء نوره ، وإماتة نفسه ^(٤) ، ولكنهم يؤسوا من إغوائه ؛ فانقلبوا خاسرين ،

(١) الإمام النووي : شرح مسلم ج ٣ ص ٥٥ - ٥٦ .

(٢) الإمام ابن حجر : فتح الباري ج ١١ ص ٨٩ بتصرف .

(٣) الإمام النووي : شرح صحيح مسلم ج ١٧ ص ١٦٣ - ١٦٤ بتصرف .

(٤) عن أَبِي التَّيَّاحِ قَالَ : قُلْتُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ التَّمِيمِيِّ - وَكَانَ كَبِيرًا - : أَدْرَكَتَ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ : نَعَمْ ، قُلْتُ : كَيْفَ صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- لَيْلَةَ كَادَتْهُ الشَّيَاطِينُ ، فَقَالَ : إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَحَدَّرَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- مِنَ الْأَوْدِيَةِ وَالشَّعَابِ ، وَفِيهِمْ شَيْطَانٌ بِيَدِهِ شُعْلَةُ نَارٍ ، يُرِيدُ أَنْ يَحْرِقَ بِهَا وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- فَهَبَّطَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ -ﷺ- فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ قُلْ ، قَالَ : مَا أَقُولُ ، قَالَ : قُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، وَذَرَأَ وَبَرَأَ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا ، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ طَارِقٍ إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ ، قَالَ : فَطَفَنَتْ نَارُهُمْ وَهَرَمَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى . انظر أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي : الدعوات الكبير ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، نشر غراس - الكويت ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٩ م ج ٢ ص ٢٣٨ - ٢٣٩ . عَنْ النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ إِنَّ عَفْرِيَّتًا مِنَ الْجَنِّ تَقْلَتَ عَلَى الْبَارِحَةِ - أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا - لِيَقْطَعَ عَلَيَّ

وكتعرضه له في صلاته فأخذه النبي ﷺ - وأسرّه ، وأمثلة هذا كثيرة ، وكل هذا فقد كفاه الله أمره ، وعصمه ضره وشره ، ولذا قال أهل العلم : إن الشيطان لم يسلط على النبي - ﷺ - بأكثر من التعرض له ، ولم يجعل به قدرة عليه ، والحمد لله .

وكذلك لا يصح ، ولا يملك أن يتصور له الشيطان في صورة الملك ، ويُلَبَس عليه ، لا في أول الرسالة ، ولا بعدها: قال تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَخَصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ (١).

فَمَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا وَمَعَهُ مَلَائِكَةٌ يَحْرُسُونَهُ مِنَ الشَّيَاطِينِ عَنْ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِصُورَةِ الْمَلِكِ، فَإِذَا جَاءَهُ شَيْطَانٌ فِي صُورَةِ الْمَلِكِ قَالُوا: هَذَا شَيْطَانٌ فَاحْذَرُهُ. وَإِنْ جَاءَهُ الْمَلِكُ قَالُوا: هَذَا رَسُولُ رَبِّكَ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: رَصَدًا أَيَّ حَفَظَةً يَحْفَظُونَ النَّبِيَّ - ﷺ - مِنْ أَمَامِهِ وَوَرَائِهِ مِنَ الْجِنَّ وَالشَّيَاطِينِ (٢) .

وقد اتفقوا على أن تقرير النبي ﷺ - لما يفعل بحضرته ، أو يُقال ، ويطلع عليه بغير إنكار : دال على الجواز ؛ لأن العصمة تنفي عنه ما يحتمل في حق غيره ، فلا يقر غيره على باطل" (٣) ، ومن القواعد الأصولية : لا يجوز تأخير البيان عن وقت الخطاب ، أو لا يجوز تأخير البيان عن وقت النطق أو عن وقت الحاجة .

الصَّلَاةَ، فَأَمَكَّنِي اللَّهُ مِنْهُ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَصْبُحُوا وَتَنْظُرُوا إِلَيْهِ كَلِّكُمْ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سَلِيمَانَ: رَبِّ هَبْ لِي مَلَكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي فَرْدَهُ خَاسِنًا " . رواه البخاري : فتح الباري ج ٨ ص ٦٤٠-٦٤١ . " أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - فَرَأَى عَفْرِيَّتًا مِنَ الْجِنِّ يَطْلُبُهُ بِشَعْلَةٍ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا التَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - رَأَاهُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَفَلَا أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ تَقُولُهُنَّ، إِذَا قُلْتَهُنَّ طَفِفَتْ شَعْلَتُهُ، وَخَرَّ لِفَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: بَلَى، فَقَالَ جِبْرِيلُ فَقُلْ: أَعُوذُ بِوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، وَبِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ اللَّاتِي لَا يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلَا فَاجِرٌ، مِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَشَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَشَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الْأَرْضِ، وَشَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمَنُ " . مالك: الموطأ ص ٧٢٥ .

(١) سورة الجن : آيات ٢٦ - ٢٧ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٣١٧٢ .

(٣) ابن حجر : فتح الباري ج ١٣ ص ٣٦٩ - ٣٧٠ .

وكذا خاطر الأنبياء -عليهم السلام- وتفكيرهم ، فليس بواجب العصمة من الهم بما يخالف العصمة ، واستدلوا بقتل الخضر -عليه السلام- للغلام ، فليس للنبي -عليه السلام- أن يفعل ما يخطر بباليه ، من قتل الغلام من غير وحي^(١)، كما في سورة الكهف : ٧٤ .

فالخلاصة : أن جمهور أهل السنة متفقون على أن الأنبياء معصومون في تبليغ الرسالة ، ولا يجوز أن يستقر في شيء من الشريعة خطأ باتفاق المسلمين ، وكل ما يبلغونه عن الله -تعالى- من الأمر والنهي يجب طاعتهم فيه باتفاق المسلمين ، إلا الخوارج ؛ فإنهم لا يقولون بعصمة الأنبياء في الأوامر والنواهي.

وما أخبروا به يجب تصديقهم فيه بإجماع المسلمين ، وأكثر الناس لا يجوزون عليهم الكبائر ، وإن قالوا بجواز الصغائر عليهم ، فإنهم لا يقرون عليها ، بل يحصل لهم بالتوبة منها من المنزلة مما كان قبل ذلك ، وللناس في جواز الخطأ عليهم في الاجتهاد قولان معروفان ، وهم متفقون على أنهم لا يقرون عليه وإنما يطاعون فيما أقرؤا عليه ، لا فيما غيره الله ، ونهى عنه ، ولم يأمر بالطاعة فيه ، أما عصمة الأئمة فلم يقل به إلا الإمامية، والإسماعيلية^(٢).

وعلى ما مر نتطيع أن نقول إن نهج أهل السنة في توقير النبي -عليه السلام- منهج منضبط بالكتاب والسنة ، ولا يحدوهم إلى القول بعصمته إلا ما جاء في كتاب الله ، وسنته ، لا كما ادعت الشيعة في أئمتهم بعصبية دينية ، أو بهوى عقلي ، لا يدعمه إلا روايات مفتراة عن أئمة أهل البيت الذين عارضوا هذا القول أشد معارضة ، ولم يقولوه عن أنفسهم ، فهم يعرفون قدر أنفسهم أمام الله تعالى .

(١) بدر الدين العيني : عمدة القاري شرح صحيح البخاري جـ ٢ ص ٦٠ بتصرف .

(٢) عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية ص ١٠٤ - ١٠٥ بتصرف .

الفصل الرابع

التقديس وأثره على عقيدة التقية

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف التقية .

المبحث الثاني: آراء الفرق الإسلامية في التقية .

المبحث الثالث: أقسام التقية وشروطها .

المبحث الرابع: تقديس الأئمة وأثره في عقيدة التقية.

المبحث الخامس: موقف أهل السنة من التقية .



المبحث الأول

تعريف التقية وأدلتها وأهميتها

قدست الشيعة التقية تبعاً لتقديسهم للروايات التي نقلت عن أنمتهم ؛ فجعلوها صفة من صفات الله - سبحانه عما يقولون علواً كبيراً - ، وصفة من صفات رسوله - ﷺ - ، ومن صفات أنمتهم ، بل صفة لجميع الصالحين ، وأنها تسعة أعشار الدين ، وكفروا تاركها ، وساووها بحرمة مكة - حرسها الله - فقالوا : " التقية حرم المؤمن ، كما أن الكعبة حرم الله " (١) ، ويدعون أن التقية مما أجمع المسلمون على جوازه ، وإن اختلفت تسميتهم لها ، فسامها بعضهم : بالكذب لأجل الضرورة أو المصلحة ، وقد عمل بها الصالحون ، فهي من دين المتقين الأبرار ، وعكس القول بها كذب ظاهر (٢) .

فالحكم مشترك بين سائر المسلمين في اتقائهم شر غير المسلمين ، لأن القتال بين المسلمين لأعظم شراً ، وأفدح أثراً من القتال مع غيرهم : يصدع جمعهم ، ويشنت شملهم ، ويطمع فيهم عدوهم ، ويسهل دخول المستعمرين بلادهم ، ولكن السؤال : لماذا ورد الأمر بالتقية في أخبار الإمامية دون غيرهم ؟ (٣) .

والجواب : أن الشيعة انفردت بنوع خاص من التقية يجعلها نظرة خلقية خاصة بهم ، أفردتهم بصفة بارزة ، وطبعت روحهم بطابع خاص معين ، وغدت عندهم مدرسة للمخاتلة ، والغدر ، ووسيلة لإنشاء الجمعيات السرية ، والتبشير الباطني الهدام (٤) .

معني التقية في اللغة : -اختلف علماء اللغة في ضبط كلمة التقية فمنهم من قرأها : (تَقِيَّة) بفتح التاء والقاف المكسورة ، وتشديد الياء المفتوحة ، ومنهم من قرأها : (تَقِيَّة)

(١) أبو نصر السراج الطوسي : اللمع ، تحقيق : د عبد الحليم محمود - طه عبد الباقي سرور ، ط دار الكتب الحديثة - القاهرة ، مكتبة المثنى - بغداد ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م ص ٣٠٣ .

(٢) محمد صادق الروحاني : فقه الصادق ، منشورات الاجتهاد - قم ، ط ١ ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م ج ٧ ص ٣٠٣-٣٠٤ .

(٣) السيد الشهيد محمد الصدر : تاريخ الغيبة الكبرى ، ط مكتبة البصائر - بيروت ، نشر هيئة تراث السيد الشهيد الصدر - النجف ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م ص ٤٤٨ - ٤٤٩ بتصرف يسير .

(٤) حسن صادق : جذور الفتنة في الفرق الإسلامية ص ٧٤ نقلاً عن كولدزير : العقيدة والشريعة .

بضم التاء ، وتسكين القاف ، والياء المفتوحة المخففة ، ولكن الراجح الكلمة الأولى^(١)؛ وهي إحدى القراءات في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾^(٢)(٣).

والتقية والتقاة : أنهم يتقون بعضهم بعضاً ، ويظهرون الصلح ، والاتفاق وباطنهم بخلاف ذلك " ^(٤). والمراد هنا : التحفظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل مخالف للحق ^(٥).

التقية في بعض تفاسير الشيعة والسنة :

ورد ذكر التقية في قوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾^(٦) ، قال ابن عباس -رضي الله عنه-: " التكلم باللسان ، دون قلبه ، ولا يقتل ، ولا يأتي مأثماً ، ولا يهرق دم مسلم ، وما لم يستحل ماله ، فالتقية باللسان ، وليس بالعمل ، وتكون لمن حُمِلَ على أمر أن يتكلم به وهو معصية فتكلم مخافة الناس ^(٧) باللسان دون القلب ، وهذا قبل عزة الإسلام في بلد ليس قوياً فيها^(٨) ، فالكلمة المليئة للجانب ، المبعدة للبغضاء ، بأن يعطوهم حلاوة لسانهم ، دون قلوبهم ، وأعمالهم ^(٩) ، فلا يستحل دماً

(١) الأزهري : تهذيب اللغة ج ٩ ص ٣٧٤. الفيروز أبادي : القاموس المحيط ج ٤ ص ٤٠٣.

(٢) سورة آل عمران : آية رقم ٢٨.

(٣) يقول ابن الجزري (ت ٨٣٣ هـ): «وَاخْتَلَفُوا فِي تَقَاةٍ فَقَرَأَ يَعْقُوبُ تَقِيَّةً بَفَتْحِ الْيَاءِ وَكَسْرِ الْقَافِ وَتَشْدِيدِ الْيَاءِ مَقْتُوحَةً بَعْدَهَا، وَعَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ رُسِمَتْ فِي جَمِيعِ الْمَصَاحِفِ. وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِضَمِّ التَّاءِ وَأَلْفِ بَعْدِ الْقَافِ فِي اللَّفْظِ. ينظر النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الصباغ ، ط دار الكتب العلمية - بيروت، دت ج ٢ ص ٢٣٩. يقول ابن عاشور : «وَالْتَقَاةُ : تَجَنُّبُ الْمَكْرُوهِ ، وَتَعْدِيَّتُهُ بِحَرْفِ (مِنْ) ؛ إِمَّا لِأَنَّ الْالتَّقَاةَ تَسْتَرُ فَعْدِي بَمِنْ، وَإِمَّا لِتَضْمِينِهِ مَعْنَى : تَخَافُوا . وَتُقَاةٌ قَرَأَهُ الْجُمْهُورُ، وَهَذِهِ التَّقِيَّةُ مِثْلُ الْحَالِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَمْ يَجِدُوا سَبِيلًا لِلْهَجْرَةِ، وَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ التَّقَاةُ غَيْرَ دَائِمَةٍ ؛ لِأَنَّهَا إِذَا طَالَتْ دَخَلَ الْكُفْرُ فِي الذَّرَارِي . التحرير والتنوير ج ٣ ص ٢٢٠ - ٢٢١.

(٤) لسان العرب ج ١٥ ص ٤٠٢ - ٤٠٣. الفيروز أبادي: القاموس المحيط ج ١ ص ١٧٣.

(٥) مرتضى الأنصاري: التقية ، تحقيق: فارس الحسون ، ط مهر، نشر م قائم آل محمد - قم، ط ١، ١٤١٢ هـ ص ٣٧.

(٦) سورة آل عمران : آية رقم ٢٨ .

(٧) تفسير الطبري ج ٣ ص ٢٥٣ بتصرف . القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٦٦٥ .

(٨) تفسير الجلالين ص ١١٩ .

(٩) أبو بكر الجزائري : أيسر التفاسير ص ١٤٦ بتصرف .

حراماً ، ولا مالا حراماً ، أو يظهر الكفار على عورة المسلمين ، والتقية لا تكون إلا مع خوف القتل ، وسلامة النية ، ويحذركم الله نفسه (١).

وأما قوله تعالى : ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ ؛ قيل : لا مصانعة ، والتقاة ليست بأن أكذب ، وأقول بلساني ما ليس في قلبي ، فإن هذا نفاق ، ولا يوافقهم على دينهم كله ، بل غايته أن يكون كمؤمن آل فرعون (٢)، وامرأة فرعون (٣) ، وكتمان الدين شيء ، وإظهار الدين الباطل شيء آخر (٤).

والإسلام يجيز للإنسان صراحة أن يمتنع عن إعلان الحق مؤقتاً ، وأن يؤدي واجبه في الخفاء ، حين يعرضه ذلك لخطر في النفس والمال والعرض ، وحين لا يكون للإعلان نتيجة مهمة وفائدة كبيرة (٥).

ويقول صاحب مجمع البيان : التقية : الإظهار باللسان خلاف ما ينطوي عليه القلب ؛ للخوف على النفس، وهي جائزة في جميع الأحوال عند الضرورة (٦).

تعريف التقية اصطلاحاً عند الاثني عشرية : مجمل تعريف التقية : عندهم كتمان الحق ، وستر الاعتقاد فيه ، ومكاتمة المخالفين ، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين والدنيا (٧) ، بالإتيان بعمل لا يهدم حقاً ، ولا يبني باطلاً ، مخالف للحق ، أو ترك عمل موافق للحق ، أو كتمان المذهب، تحفظاً عن ضرر الغير على الشخص ، أو الإسلام ، أو التشيع ، أو اعزاز الدين ، واعلاء كلمة الإسلام ، وتقوية لشوكتهم (٨) ؛ لبعض المصالح التي تصل إلى حد الضرورة ، وإظهار خلاف الواقع عند خوف الضرر العظيم (٩).

(١) الحسين بن مسعود البغوي : تفسير البغوي ص ١٩٩ .

(٢) مؤمن آل فرعون ذكرت قصته في سورة غافر آيات ٢٨ - ٤٥ .

(٣) امرأة فرعون ذكرت قصتها في سورة التحريم آية رقم ١١ .

(٤) عبد الرحمن السعدي : تفسير الكريم الرحمن هامش ص ١٢٧ .

(٥) ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج ٢ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ .

(٦) الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٧) الشيخ المفيد : تصحيح اعتقاد الإمامية ص ١٣٦ .

(٨) محمد صادق الحسيني الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣٠٨ .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤٢٦ بتصرف . محمد المعلم : التقية في فقه أهل البيت ،

تقريباً لبحث الحاج مسلم الداوري ، ط العلمية - قم ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ج ١ ص ٦٠ .

نقد هذا التعريف : نهانا الله عن كتمان العلم فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿^(١) ، فهذه دلالة على أن كتمان الحق مع الحاجة إلى إظهاره من أعظم الكبائر ، وأن من كتم شيئاً من علوم الدين ، وفعل مثل فعلهم فهو مثلهم في عظم الجرم ، ولزمه كما لزم الوعيد ، وقد وعن النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " من سئل عن علم يعلمه فكتمه ؛ ألجم يوم القيامة بلجام من نار "^(٢).

أدلة التقية عند الاثني عشرية التي قدستها تبعاً لتقديس أقوال أئمتهم :

تزعم الشيعة أن كل الآيات الدالة على اليسر ، ونفي الحرج ، وعدم إلقاء النفس في التهلكة ، والتي تتكلم عن الإكراه ، والضرورة ، ودفع كل ذلك : دليلاً على التقية ^(٣) . قال تعالى : ﴿ فَاَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ * إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿^(٤) ؛ وهذا يدل على أن التقية كانت في شرع من قبلنا ، وأنهم هاجروا بدينهم ؛ لما عرض عليهم الملك عبادة الأصنام ؛ فكتموا إيمانهم ، مع ربط الله على قلوبهم ^(٥) .

وقال -عليه السلام- : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ ^(٦) ، وكتم الإيمان: التقية لا غير ؛ لأنه

(١) سورة البقرة : آيات رقم ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) الطبراني: المعجم الكبير ج ٧ ص ٣٩٢ . أبو داود : السنن ج ٣ ص ٣٦٠ . المازندراني: شرح الكافي ج ٤ ص ٧٣ .

(٣) د السيد ثامر العميدي: التقية في الفكر الإسلامي، ط مهر، نشر مركز الرسالة - قم ، ط ١ ، ١٤١٩ هـ - ص ٣١ .

(٤) سورة الكهف : آية رقم ١٩ - ٢٠ .

(٥) د السيد ثامر العميدي : التقية في الفكر الإسلامي ص ٣٣ - ٣٤ بتصرف .

(٦) سورة غافر : آية رقم ٢٨ .

خاف من القتل ، حين قال فرعون : ﴿ ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى ﴾ ^(١) ، مع كون القرآن لم يصف هذا الرجل العظيم بالنفاق ^(٢) ؛ فإنه نوى الإيمان بقلبه ، ومنعته التقية أن يتلفظ بلسانه ، ولكن لم تمنعه التقية أن يتلفظ بالإيمان بينه وبين الله تعالى ؛ إنما تمنعه التقية من أن يسمعه غيره ، وليس من شرط الإيمان أن يسمعه الغير ؛ وإنما يشترط ذلك إذا كان مع مؤمن ، فيسمعه ليكف عن نفسه وماله ^(٣).

وقال تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(٤) ، وسبب نزول هذه الآية : " كان أول من أظهر إسلامه سبعة رسول الله ﷺ - وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ^(٥) ، وصهيب ^(٦) ، وبلال ، والمقداد . فأما رسول الله ﷺ - فمنعه الله بعمه أبي طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون ، وألبسوهم أدراع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم من أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا ، إلا بلال ؛ فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأخذوه فأعطوه الولدان ، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة ، وهو يقول أحَدٌ أَحَدٌ " ^(٧) .

ومن أدلتهم قوله سبحانه : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ ^(٨).

(١) سورة غافر : آية رقم ٢٦ .

(٢) د السيد ثامر العميدي : التقية في الفكر الإسلامي ص ٣٦ - ٣٧ بتصرف .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٢٧٠١ بتصرف .

(٤) سورة النحل : آية رقم ١٠٦ .

(٥) سمية بنت الخياط : زوج ياسر ، وأم عمار بن ياسر ، وهي أول شهيدة في الإسلام ، قتلها أبو جهل في السنة السابعة قبل الهجرة . الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ١٣٩ - ١٤٠ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ١ ص ١٣٧ .

(٦) صُهَيْبُ بْنُ سَنَانٍ أَبُو يَحْيَى النَّمِرِيُّ الرُّومِيُّ ؛ لِأَنَّهُ أَقَامَ فِي الرُّومِ مَدَّةً ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ ، مِنْ كِبَارِ الْبَدْرِيِّينَ . وَلَمَّا طَعِنَ عُمَرُ ، اسْتَنَابَهُ عَلَى الصَّلَاةِ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى أَنْ يَتَّفِقَ أَهْلُ الشُّوَرَى عَلَى إِمَامٍ ، مَاتَ بِالْمَدِينَةِ سَنَةً ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ ، عَنْ سَبْعِينَ سَنَةً ، وَكَانَ مِمَّنْ اعْتَزَلَ الْفِتْنَةَ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٥٢ - ٣٥٨ . الأعلام ج ٣ ص ٢١٠ .

(٧) ابن حبان : صحيح ابن حبان ج ٤ ص ٢٧٢ . أبو نعيم : حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٩ .

(٨) سورة آل عمران : آية رقم ٢٨ .

وقال -عليه السلام- : ﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ ^(١) ؛ عن الصادق : " التي هي أحسن : التقية " ^(٢) .

والأصل فيها ما أشتهر من أقوال أهل البيت، وأفعالهم ، ففي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ^(٣) ، معناها : أعلمكم بالتقية ^(٤) ، وعنه : " التقية ديني ودين آبائي " ^(٥) .

ومن أدلة التقية التي جعلتهم يقدسونها : تقية النبي -عليه السلام- - قريشاً عند فتح مكة حين أراد تصحيح بناء الكعبة ، حين قالت عائشة -عليها السلام- : " عَنِ الْحَجَرِ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ ، قَالَ : " نَعَمْ " ، قالت : فَلِمَ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ ، قَالَ : " إِنَّ قَوْمَكَ قَصَرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ " ، قالت : فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا ، قَالَ : " فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكَ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا ، وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثٌ عَهُدُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؛ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكَرَ قُلُوبُهُمْ ؛ لَنَظَرْتُ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ ، وَأَنْ أُلْزِقَ بَابَهُ بِالْأَرْضِ " ^(٦) ، ولعل هذا من القواعد العقلية التي قررتها الشرائع السماوية ، وهي تقديم الأهم على المهم ؛ فتكون التقية من القواعد العقلية الشرعية ^(٧) .

واعتقد أن هذا ليس من التقية بدليل قوله -عليه السلام- : " فَأَخَافُ أَنْ تُنْكَرَ قُلُوبُهُمْ " ، ثم إن هذا ليس حراماً ، وإنما هو من باب خلاف الأولى ؛ حيث إن الحجر لا يُطَاف فيه حتى وإن لم يبن .

ومن الأدلة التي تفرد بها الشيعة : عن الحسين -عليه السلام- : " لولا التقية ما عرف ولينا من عدونا " ^(٨) ، وعنه : " يغفر الله للمؤمن كل ذنب ، ما خلا ذنبيين : ترك التقية ، وتضييع حق

(١) سورة فصلت : آية رقم ٣٤ .

(٢) محمد المازندراني : شرح الكافي ج ٩ ص ١١٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٩٨ .

(٣) سورة الحجرات : آية رقم ١٣ .

(٤) الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ١٠٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤٢٨ .

(٥) الجواهري : جواهر الكلام ج ٩ ص ٣٩١ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٠٤ .

(٦) رواه البخاري:فتح الباري ج ٣ ص ٥٠١-٥٠٢ . البغوي:شرح السنة ج ١٠٨-١٠٩.بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٤١٢ .

(٧) د السيد ثامر العميدي : التقية في الفكر الإسلامي ص ٥٨ .

(٨) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٢٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤١٥ .

الإخوان^(١) ، وعن محمد بن علي : " أشرف أخلاق الأئمة ، والفاضلين من شيعتنا : استعمال التقية^(٢) .

ونسأل كل شيعي : هل اتقيت مرة ؟ وممن اتقيت ؟ وإذا لم تتق ولو مرة هل تكون من الذين قال عنهم الرضا: عليكم بالتقية^(٣) ؟ فإنه ليس منا من يجعلها شعاره ، ودثاره مع من يأمنه ؛ لتكون سجيته مع من يحذره^(٤) ،

أو ما قاله أبو عبد الله: " لا دين لمن لا تقية له " ^(٥) ، وعن جعفر الصادق: " لا إيمان لمن لا تقية له " ^(٦) ، وعنه: " تارك التقية كافر " ^(٧) ، وعنه : " اتق حيث لا يتقى " ^(٨) ، لا خير فيمن لا تقية له^(٩) .

وروي أن أبا عبد الله كان يمشي في سوق المدينة يوماً ، وخلفه أبو الحسن موسى الرضا ف جذب رجل ثوب أبي الحسن ، وسأله : عن أبي عبد الله ، وقال : من الشيخ ؟ ، فقال أبو الحسن : لا أعرفه ^(١٠) ، وقال الصادق : إني لاسمع الرجل في المسجد وهو يشتمني ؛ فاستتر منه بالسارية كي لا يراني^(١١) .

نقد هذه الأدلة : هل التقية أهم أركان من الإسلام كما زعموا أنه دخل عليه رجلان من الزيدية يسألان أبي عبد الله : أفياكم إمام مفترض الطاعة ؟ ، قال : لا ، فقالا : قد أخبرنا

- (١) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٢٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤١٥ .
- (٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١١ ص ٤٧٣ - ٤٧٤ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤١٥ .
- (٣) فقه الرضا ص ٣٣٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٥٩ .
- (٤) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢١٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٩٥ .
- (٥) فقه الرضا ص ٣٣٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٤٧ .
- (٦) فقه الرضا ص ٣٣٨ . وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢١٢ . بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٩٥ .
- (٧) فقه الرضا ص ٣٣٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٤٧ .
- (٨) فقه الرضا ص ٣٣٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٤٧ بتصرف .
- (٩) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢١٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٩٧ .
- (١٠) مستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٤١٧ . بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٤٧ . فقه الرضا ص ٣٣٨ .
- (١١) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ١٠٨ .

عنك الثقات أنك تفتي ، وتقر ، وتقول به ، ونسميهم لك فلان وفلان ، وهم أصحاب ورع ، وتشمير ، وهم ممن لا يكذب ، فغضب وقال : ما أمرتهم بهذا ^(١).

ويدخل عليه رجل ليسأل عن رؤيا ، ومعه أبو حنيفة - رحمه الله - فيقول : هاتها فإن العالم بها جالس ، وأومئ إلى أبي حنيفة ، ففسرها أبو حنيفة ؛ فقال : أصبت والله يا أبا حنيفة ، ثم خرج أبو حنيفة ، فقيل له : إني كرهت تعبير هذا الناصب ، فقال : لا يسوءك ، وليس التعبير كما عبره ، فقيل له : جعلت فداك ! فقولك : أصبت ، وتحلف عليه ، وهو مخطئ ، قال : نعم حلفت عليه : أنه أصاب الخطأ ^(٢).

والتقية تنتهي عند عز الإسلام وأهله لا كما يروون : " التقية ديني من أول الدهر إلى آخره " ^(٣).

قَالَ الْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ : إِذَا تَلَفَّظَ الْمُكْرَهُ بِالْكَفْرِ ؛ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُجْرِيَهُ عَلَى لِسَانِهِ إِلَّا مَجْرَى الْمَعَارِضِ ، فَإِنَّ فِي الْمَعَارِضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ . ومتى لم يكن كذلك كَانَ كَافِرًا ؛ لِأَنَّ الْمَعَارِضَ لَا سُلْطَانَ لِلْإِكْرَاهِ عَلَيْهَا . مِثَالُهُ أَنْ يُقَالَ لَهُ : اكْفُرْ بِاللَّهِ ؛ فَيَقُولُ : بِاللَّاهِي ، فَيَزِيدُ الْيَأْسَ ، وَكَذَلِكَ إِذَا قِيلَ لَهُ : اكْفُرْ بِالنَّبِيِّ فَيَقُولُ هُوَ كَافِرٌ بِالنَّبِيِّ ، مُشَدِّدًا وَهُوَ الْمَكَانُ الْمُرْتَفَعُ ^(٤).

وأعطوا التقية صبغة التقديس والتعظيم ^(٥) ؛ فإن الأئمة لم يقولوا بكثير مما قالتها فقهاؤهم ، ومن خلال مطالعات كتب الشيعة يفهم أن الكتابات الخاصة بالكتمان والتقية بدأت من أهل الكوفة الذين خضعوا لتأثير ابن سبأ في أواخر القرن الأول الهجري ، والنصف الأول من القرن الثاني : أي زمان الباقر وجعفر الصادق فوضعت عقيدة الكتمان والتقية داخل المؤلفات الشيعية لإنقاذ عقيدة التشيع من تضارب الأقوال ^(٦).

(١) محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٢١٠ . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٣١ - ٢٣٢ بتصرف . المازندراني : شرح الكافي ج ١٢ ص ٣٨٧ - ٣٨٨ .

(٣) فقه الرضا ص ٣٣٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٤٧ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ١٨٠٦ .

(٥) إحسان ظهير: الشيعة والسنة ، ط دار ابن حزم - القاهرة ، ط ١ ، ١٣٠٤هـ / ٢٠٠٩م ص ١٣٧ .

(٦) الشيخ محمد منظور نعماني : الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام ، ترجمة : د سميير إبراهيم ، ط مكتبة عبير للكتاب والأشغال التجارية - حلوان - مصر ، ١٩٨٦م ص ١٧٩ بتصرف .

ونشفق عليهم وعلى أنفسنا إن كنا شيعة - نعوذ بالله - حين يقول أبو جعفر: " والله إن أحب أصحابي إلي : أورعهم ، وأفقههم ، وأكتمهم لحديثنا ، وإن أسوأهم عندي حالاً ، وأمقتهم : للذي إذا سمع الحديث ينسب إلينا ويروى عنا فلم يعقله ، ولم يقبله ، اشمأز منه ، وجده ، وكفر من دان به ، وهو لا يدري لعل الحديث من عندنا خرج ، وأسند إلينا ؛ فيكون بذلك خارجاً عن ولايتنا " (١) فكيف نصل للحق ؟.

أهمية عقيدة التقية عند الاثني عشرية :

تعد التقية والكتمان من أهم معتقدات الشيعة الاثني عشرية ، فإن التقية يجب أن تستحوذ على ٩٠ % من الدين عندهم ، بينما يستحوذ الكتمان على الباقي ؛ مستدلين بحديث : " إن تسعة أعشار الدين في التقية ، ولا دين لمن لا تقية له ، والتقية في كل شيء إلا النبذ ، والمسح على الخفين (٢) .

والفارق بين التقية عند أهل السنة والشيعة : أن الشيعة توسعت في استخدامها حتى خرجوا بها من حال الضرورة إلى حال الاختيار ، فهي ليست استثناء يزول بزوال سببه ، بل هي سلوك جماعي دائم ، وواجب مستمر حتى يخرج القائم ، وهي عندهم مع كل مخالف : من أهل السنة ، والكفار ، وأهل الكتاب (٣) .

وبناء على هذه العقيدة يقسمون : الدور إلى دارين : دار التقية ، ودار الإيمان ، والدول إلى دولتين : دولة الحق ، ودولة الباطل ، والناس إلى : خاصة لا يجوز معاملتهم بالتقية ، وعامة تجوز معهم التقية ، والقلوب إلى قلبين : قلوب مؤمنين ، وقلوب منافقين ، والدين دينان : دين البرانية ، ودين الجوانية ، أو الظاهر والباطن ؛ كما سترى إن شاء الله ! . ويدعون عن الرضا: إن المؤمن أخذ عن الله الكتمان ، وعن نبيه -ﷺ- مداراة الناس (٤) ، ويقول أبو عبد الله: التقية ترس الله بينه وبين خلقه (٥) ، نسأل الله العافية من هذا الكذب ! فجعلوا التقية من صفات الله - سبحانه عما يقولون - فعن أبي جعفر: " سر أسرها الله إلى

(١) العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ٨٧ - ٨٨ . محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٥٨١ .

(٢) الجواهري: جواره الكلام ج ٢ ص ٣٢٧ . هاشم البحراني : الحدائق الناضرة ج ٢ ص ٣١٠ .

(٣) د زياد بن عابد المشوخي: الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي، ط دار كنوز أشبيليا-الرياض، ١٤٣٣هـ ص ٣٩٦ .

(٤) فقه الرضا ص ٣٦٨ . النوري : مستدرک الوسائل ج ٩ ص ٣٧ . بحار الأنوار ج ٧١ ص ٩٠ .

(٥) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٠٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤٣٥ .

جبرئيل ، وأسرهما جبرئيل إلى محمد -ﷺ- وأسرهما محمد إلى عليّ -ﷺ- وأسرهما عليّ إلى من شاء الله ، ثم أنتم تتكلمون بها في الطريق " (١) .

وتقلب الموازين فهم على دين من كتبه أعزه الله ، ومن أذاعه أذله الله (٢) ، ومن كانت له تقية رفعه الله، ومن لم تكن له تقية وضعه الله (٣) ، وتارك التقية كافر ، فإن الإذاعة كفر ، والمذيع والقاتل شريكاً (٤) . وبعد تكفير تاركها (٥) ، يساوونه بتارك الصلاة (٦) ، ومسلوب الإيمان (٧) ، والقاتل المتعمد (٨) ، الجاحد للإمامتهم (٩) .

ويدعون بالرحمة لعبد يسمع من مكنون سرنا ؛ فدفنه في قلبه (١٠) ، وما ذنب أهل السنة في عدم علمهم؟.

نقد هذه الروايات : فإن التقية من أخطر ما يؤمن به الشيعة ، ويميزهم من الطوائف الأخرى ، ويحول بينهم وبين الالتقاء بهم ، لأنه لا يُعلم ظاهرهم من باطنهم ، وكذبهم من صدقهم ، وهذا " أول موانع التجاوب الصادق بالإخلاص بيننا وبينهم ، فإنها عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر لنا بغير ما يبطنون ، فيخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به من رغبتهم في التفاهم والتقارب ، وهم لا يريدون ذلك ، ولا يرضون به، ولا يعملون به " (١١) .

-
- (١) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٢٩٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ٨٠ .
 (٢) أبو جعفر البرقي : المحاسن ج ١ ص ٤٠٠ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٣٥ .
 (٣) البرقي : المحاسن ج ١ ص ٤٠٠ . وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٠٦ . بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٩٨ .
 (٤) فقه الرضا ص ٣٣٨ . بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٤٧ . مستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ٤٦٦ .
 (٥) فقه الرضا ص ٣٣٨ . بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٤٧ . مستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٤١٧ .
 (٦) وسائل الشيعة ج ١٠ ص ١٣١ . مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٢٥٤ . البحار ج ٥٠ ص ١٨١ .
 (٧) وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٥٠ . بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٨٥ . مستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ٤٦٧ .
 (٨) العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٥٠ . الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ٤٦٧ .
 (٩) البرقي : المحاسن ج ٢ ص ٣٩٧ - ٣٩٨ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٣٧ .
 (١٠) الطبرسي : مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ . النعمان : شرح الأخبار ج ٣ ص ٥٠٧ .
 (١١) محب الدين الخطيب : الخطوط العريضة هدية مجلة الأزهر لشهر ذي الحجة ١٤٣٣ هـ ص ٣٨ .

فالتقية نظام سري يسرون على تعاليمه ، فيدعون في الخفاء لإمامهم المختفي ، ويظهرون الطاعة لمن بيده الأمر ، فإذا قويت شوكتهم أعلنوها ثورة مسلحة في وجه الدولة القائمة الظالمة ^(١) ، وقد نزه الله المؤمنين من أهل البيت ، بل كانوا من أعظم الناس صدقاً ، وكان دينهم التقوى ، لا التقية ^(٢) .

وكانت التقية وما تزال مخرجاً بل باباً واسعاً من كل تناقض يقع بين الروايات الواردة في كتبهم ، ومن كل تناقض ؛ فإننا إذا خاصمناهم بقول من أقوال أئمتهم مما يوافق قولنا ؛ قالوا : هذا من باب التقية ؛ فحكموا أقوالهم على أقوال المعصومين ، ونسأل : أليس هذا رد عليهم ؟ وما حكم من رد عليهم وكان مخطئاً ؟ !

الفرق بين التقية وبعض المصطلحات الأخرى :

اعلم أن هذا الباب من أهم الأبواب ، فإنه مما يكثر استعماله ، وتعمُّ به البلوى ؛ فينبغي لنا أن نعتني بتحقيقه ، وينبغي للواقف عليه أن يتأمله ويعمل به ، وقد علمنا ما في الكذب من التحريم الغليظ ، وما في إطلاق اللسان من الخطر ، وهذا الباب طريقٌ إلى السلامة ^(٣) . وتكون التقية باستخدام المداراة ، والمعاريض ، والتورية ، وبما يوهم المحبة ، والموالاة ، بشرط أن يضرر خلافه ^(٤) ؛ فمن الواجب توضيح معانيها لنعرف كيف يستخدمها المتقي . لأن هؤلاء تَنَقَّصُوا عَلِيًّا مِنْ حَيْثُ قَصَدُوا تَعْظِيمَهُ ؛ لِأَنَّهُمْ نَسَبُوهُ مَعَ شَجَاعَتِهِ الْعُظْمَى ، وَصَلَّابَتِهِ فِي الدِّينِ إِلَى الْمُدَاهَنَةِ ، وَالنَّقِيَّةِ ، وَالْإِعْرَاضِ عَنْ طَلَبِ حَقِّهِ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى ذَلِكَ ^(٥) .

أولاً : الفرق بين التقية والمداراة : المداراة : مدافعة ذي الحق عن حقه ^(٦) ، وخَفَضُ الْجَنَاحِ لِلنَّاسِ ، وَلِينُ الْكَلِمَةِ ، وَتَرْكُ الْإِغْلَظِ لَهُمْ فِي الْقَوْلِ ، وَالرَّفْقُ بِالْجَاهِلِ فِي التَّعْلِيمِ ، وَبِالْفَاسِقِ فِي النَّهْيِ عَنْ فِعْلِهِ ^(٧) ، وَلَا يَكُونُ فِيهَا قَدْحٌ فِي الدِّينِ ، وَالْمُدَاهَنَةُ الْمَذْمُومَةُ : أَنْ يَكُونَ فِيهَا

(١) د محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٩ .

(٢) إحسان ظهير : التصوف ، ط دار ابن حزم - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ص ٢٥٩ .

(٣) النووي : الأذكار ص ٦١٢ .

(٤) د زياد بن عابد المشوخي : الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي ص ٣٩٩ .

(٥) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٥ ص ٤٠٨ .

(٦) الشيخ الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ج ١ ص ٣٣٥ .

(٧) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ١٠ ص ٥٩٥ بتصرف .

تَرْيِينُ الْقَبِيحِ ، وَتَصْوِيبُ الْبَاطِلِ ^(١) . حتى يرجعوا من الجهل المركب إلى البسيط ، ثم يداويه ^(٢) ، قال الله لموسى وهارون - عليهما السلام - ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيًّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ ^(٣) ؛ ويقول رسول الله - ﷺ - : إنا لنكشر - نضحك - في وجوه أقوام ، وإن قلوبنا لتبغضهم ^(٤) ، وعنه - ﷺ - : " إن شر الناس الذي يكرم اتقاء لشره " ^(٥) ؛ وفي رواية : " إِنَّهُ مُنَافِقٌ أَدَارِيهِ عَنْ نِفَاقِهِ ، فَأَخْشَى أَنْ يُفْسِدَ عَلَيَّ غَيْرَهُ " ^(٦) . فالمدارة بالقول والتقية بالفعل .

ثانياً : الفرق بين التقية والمداهنة : المداهنة : معاشرة الفاسق ، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه ^(٧) ، وإظهار خلاف ما تضرع ^(٨) ، وترك ما يجب لله ، من الغيرة ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والتغافل عن ذلك ؛ لغرض دنيوي ، وهوى نفسي ، فالمداهنة هي المعاشرة والاستئناس مع وجود المنكر والقدرة على الإنكار ^(٩) . وعلى كل حال : فإنه لا يجوز للمسلم أن يحضر بمكان يعصى الله فيه جهاراً ، وهو ساكت ، فإما أن ينكر ، أو يهجر ؛ كما قال رسول الله - ﷺ - : " إِذَا عُمِلَتِ الْخَطِيئَةُ فِي الْأَرْضِ كَانَ مِنْ شَهِدِهَا فَكَرَهَا - وَقَالَ مَرَّةً : فَأَنْكَرَهَا - كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا ، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا " ^(١٠) .

ثالثاً : الفرق بين التقية والمعارض والتورية : التورية والتعريض : أن تطلق لفظاً هو ظاهر في معنى ، وتريد به معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ ، لكنه خلاف ظاهره ، وهذا ضرب من

(١) ابن حجر : فتح الباري ج ١٣ ص ٦٢ .

(٢) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ٨ ص ٣٢٢ .

(٣) سورة طه : آية رقم ٣٤-٤٤ .

(٤) رواه البخاري عن أبي الدرداء : فتح الباري ج ١٠ ص ٥٩٥ . بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٢٠٥ .

(٥) رواه البخاري : فتح الباري ج ١٠ ص ٥١٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٢٠٥ .

(٦) أبو نعيم : حلية الأولياء ج ٤ ص ١٩١ . ابن حجر : فتح الباري ج ١٠ ص ٥٩٥ .

(٧) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ١٠ ص ٥٩٥ بتصرف .

(٨) أبي جعفر البرقي : المحاسن ج ١ هامش ص ٣١١ .

(٩) محماس بن عبد الله بن محمد الجلود : الموالات والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، نشر دار اليقين -

المنصورة ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ج ١ ص ٢٢١-٢٢٢ .

(١٠) الطبراني : المعجم الكبير ج ١٧ ص ١٣٩ . والرضا بالمعصية معصية . تفسير القرطبي ج ١

ص ٧٧٣ .

التغريز والخداع^(١)، فالمعاريض : كلام له وجهان ، يطلق أحدهما ، ويراد لازمه ، قال رسول الله -ﷺ-: " إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب " (٢) .

رابعاً : الفرق بين التقية والخداع في الحرب : سواء كان الكذب في الحرب صريحاً ، أو بالمعاريض والتورية ؛ فإن هذا لا يدخل في باب التقية ، حيث صرح كثير من العلماء بجواز الكذب ، فالظاهر إباحة حقيقة الكذب، والتعريض أولى ... والخداع في حال الحرب ممنوع منه النبي مطلقاً لأنه من خصائصه^(٣) -ﷺ- فلا يتعاطى شيئاً من ذلك ، وإن كان مباحاً لغيره^(٤) . قال النبي -ﷺ- : الحرب خدعة^(٥) تكلموا بما أردتم^(٦)، وقوله -ﷺ- : " لا يحلُّ الكذب إلا في ثلاث: الرجل يكذب في الحرب ، ويصلح بين اثنين، ويحدث أهله " (٧) .

خامساً : الفرق بين التقية والنفاق :

-
- (١) النووي : الأذكار ص ٦١٢ . ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٩ ص ٢٠٦ .
- (٢) علي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ١٧١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٢٥٦ . ومندوحة : سعة وفسحة أي لا يضطر للكذب . الحسين بن مسعود البغوي : شرح السنة ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، نشر المكتب الإسلامي - بيروت ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ج ١٣ ص ١٥٥ - ١٥٦ . البيهقي : السنن الكبرى ج ١٠ ص ١٩٩ باب المعاريض فيها مندوحة عن الكذب وجعله البخاري باباً في كتاب العلم . الطبراني : المعجم الكبير ج ١٨ ص ١٠٦ .
- (٣) يقول المحقق البحراني عن إحدى خصائص النبي -ﷺ- : تحريم خائنة الأعين عليه ، وهي الغمز بها بمعنى الإيماء بها إلى مباح من ضرب ، وقتل على خلاف ما تشعر به الحال ، عن الصادق أنه سئل : عن معناها ، فقال : ألم تر إلى الرجل ينظر إلى الشيء ، وكأنه لا ينظر إليه ؛ فذلك خائنة الأعين ، وقيل : هي مسارقة النظر إلى ما لا يحل النظر إليه ، وعن عباد بن بشير : يا رسول الله ، إن عيني ما زالت في عينك ؛ انتظارك أن تومئ إلى فأقتله ، فقال -ﷺ- : إن الأنبياء لا يكون لهم خائنة الأعين ؛ لأنه يشبه الخيانة من حيث إنه يخفى ، ولا يحرم ذلك على غيره إلا في محظور ، والأشهر أنه مختص بالحرب .
- الحر العاملي : الحقائق الناضرة ج ٢٣ ص ١٠٦ - ١٠٧ . الجواهري : جواهر الكلام ج ٢٩ ص ١٢٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٦ ص ٣٨٨ .
- (٤) الإمام ابن حجر : فتح الباري ج ٦ ص ١٧٨ .
- (٥) رواه البخاري : فتح الباري ج ٦ ص ١٧٦ - ١٧٧ .
- (٦) الجواهري : جواهر الكلام ج ٢١ ص ٨٠ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٥ ص ١٣٣ - ١٣٤ .
- (٧) البغوي : شرح السنة ج ١ ص ٢٩٩ . وبلغظ يرخص في شيء من الكذب مسلم . النووي : شرح صحيح مسلم ج ٦ ص ٣٩٥ .

- ١ - التقية : إيمان في القلب ، وإظهار خلافه في الخارج ، والنفاق عكسه ^(١) .
 - ٢ - النفاق يكون في حال قوة المسلمين ، أما التقية في حال ضعف المسلمين ^(٢) .
 - ٣ - أن في التقية مصلحة المؤمنين ولكن التقية المعتد بها شرعاً ، وفي النفاق ذل المنافقين لأنه حب الكفر والنفاق .
 - ٤ - اعتنت الشريعة برفع الحرج لبيان جواز التقية ، وفي المقابل جاء التحذير للمنافقين ، ببيان مساوئ النفاق .
 - ٥ - التقية ثابتة بنصوص من الكتاب والسنة ، وكذلك النفاق ، ولو كانا متحدين في المعنى لوضح الشرع .
 - ٦ - التقية فضيلة ، والنفاق رذيلة فكيف يجتمعان .
 - ٧ - ثبوت عمل الصالحين بالتقية يثبت أنهم غير منافقين ^(٣) .
- وبينا الفرق بين هذه المصطلحات حتى لا تتداخل التقية مع هذه المصطلحات ، حتى يستطيع الباحث أن يبتعد عن التقية ما استطاع إلى ذلك سبيلاً بطريق شرعي منضبط ، ليس فيه ضياع للدين ، ولا إقراراً على منكر ، ولا رضا بالباطل ، بل كما قيل آخر الدواء الكي ، فالتقية آخر طريق للخلاص من الظلم ، ولم تكن يوماً أول الطرق .

المبحث الثاني

آراء الفرق الإسلامية في التقية

اختلفت آراء الفرق في حكم التقية على حسب قواعدهم الاعتقادية ، ونجملها فيما يلي :

- (١) الشيخ مرتضى الأنصاري : التقية ص ٥ أول صفحة في كلمة المؤسسة .
- (٢) د زياد بن عابد المشوخي : الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي ص ٣٩٩ .
- (٣) د السيد ثامر العميدي : التقية في الفكر الإسلامي ص ١٢٢ - ٢٤١ بتصرف .

أولاً: المعتزلة : أجازت التقية عند الخطر المهلك ، وخوف تلف النفس ، والصدق أولى فالمراد بتلك الموالاتة : مخالفة ومعاشرة ظاهرة ، والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء ، وانتظار زوال المانع ، كقول عيسى -عليه السلام-: كن وسطاً وامش جانباً^(١) ، قال تعالى : ﴿ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبُخْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾^(٢) وكفى به دليلاً على أنه مأخوذ على العلماء أن يبينوا الحق للناس ، وما علموه ، وأن لا يكتُموا منه شيئاً لغرض فاسد: من تسهيل على الظلمة ، وتطيب لنفوسهم ، واستجلاب لمسارهم ، أو لجرّ منفعة ، وحطام دنيا ، أو لتقية : مما لا دليل عليه ، ولا أمانة ، أو لبخل بالعلم ، وغبرة أن ينسب إليه غيرهم^(٣).

ثانياً : الخوارج : قالت الأزارقة : إن التقية غير جائزة في قول ولا عمل ، وديار مخالفهم ديار كفر ، وكفروا القعدة عن القتال ، فالتقية لا تحل ، والقعود عن القتال كفر^(٤) . وقالت النجدات^(٥) : التقية جائزة في القول والعمل كله ، وإن كان في قتل النفوس ، والقعود جائز ، والجهاد إن أمكنه أفضل إن كانوا مهوورين ، وإن كان الجهاد ممكناً ؛ فالقعود كفر ، ومع ذلك استحل بعضهم دماء أهل العهد والذمة ، وأموالهم في حال التقية ، وحكم بالبراءة ممن حرمها^(٦) ،

(١) أبو القاسم جار الله محمود عمر الزمخشري الخوارزمي (ت ٥٣٨ هـ) : تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، نشر دار المعرفة - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٣٠ هـ / ٢٠٠٩ م ص ١٦٧ . والأثر عن عيسى -عليه السلام- أخرجه أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى : ٣٣٣ هـ) : المجالسة وجواهر العلم ، المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، الناشر : جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم) ، دار ابن حزم - بيروت ، ١٤١٩ هـ عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ج ٣ ص ٤٧٩ . عن إبراهيم بن أدهم وليس بحديث وقد أوصى به بعض أصحابه .

(٢) سورة آل عمران : آية رقم ١٨٧ .

(٣) الزمخشري : تفسير الكشاف ص ٢١٠ .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٠٣ ، ص ١٠٦ . البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٨٤ .

(٥) النجدات العاذرية : أصحاب نجدة أو عاصم بن عامر الحنفي ، بايعوه على إمرة المؤمنين ، ثم اختلفوا عليه ، فكفروه بعضهم ، من عقائدهم : الدين معرفة الله ورسله ، وتحريم دماء المسلمين ، وهذا ليس فيه عذر بالجهل . الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٠٤ - ١٠٦ .

(٦) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٠٤ - ١٠٦ .

وقالت الصفرية الزيدانية^(١) : لم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا موافقين في الدين والاعتقاد ، وقالوا : بجواز التقية في القول ، دون الفعل^(٢) ، وجوزت الإباضية^(٣) العمل بالتقية كما يظهر من الأحاديث التي رووها ، فيروون عن ابن عباس قول النبي -ﷺ- : رفع عن أمتي الخطأ ، والنسيان ، وما لم يستطيعوا ، وما أكرهوا عليه ، وعن ابن مسعود : ما من كلمة تدفع عني ضرب سوطين : إلا تكلمت بها ، وليس للرجل على نفسه بأمين إذا ضرب ، أو عذب ، أو حبس ، أو قيد^(٤) ، وقال بعضهم : نتوقف في جميع من كان في دار التقية من أهل القبلة إلا من عرف منه إيمان فنتولاه عليه ، أو كفر فنتبرأ منه ، وحرّموا الاغتيالات والقتل والسرقّة في السر^(٥) .

ويعلق على هذه الآراء الألوسي^(٦) - رحمه الله - فيقول : أما الخوارج فذهبوا إلى أنه لا تجوز التقية بحال ، ولا يراعى المال ، وحفظ النفس ، والعرض في مقابلة الدين أصلاً ، ولهم تشديدات في هذا الباب عجيبة ، منها أن أحداً لو كان يصلي ، وجاء سارق ، أو غاصب ليسرق ، أو يغصب ماله الخطير لا يقطع الصلاة ، بل يحرم عليه قطعها ، ولا يخفى أن هذا المذهب من التفريط بمكان^(٧) .

(١) الصفرية: أصحاب زياد بن صفر ، لم يكفروا من قعد عن قتال الظالمين ، إذا وافقوا الخوارج في الدين والاعتقاد ، وجوزوا زواج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية ، وقالوا : الشرك طاعة الشيطان ، وعبادة الأوثان ، والكفر كفران كفر نعمة ، وإنكار الربوبية ، والبراءة براءتان: من أهل الحدود سنة ، ومن أهل الجحود فريضة. الشهرستاني: الملل والنحل ص ١١٤ .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١١٤ .

(٣) الإباضية : أصحاب عبد الله بن إياض الذي خرج في أيام مروان بن محمد ، وهم من الخوارج ، يكفرون أهل القبلة ، لكن يحلون مناكرتهم ، ودارهم دار إسلام إلا عسكر السلطان ، عندهم مرتكب الكبيرة مؤمن ، لكنه كافر كفر نعمه ، وأفعال العباد مخلوقة لله ومكتسبة للعبد . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ص ١١٢ - ١١٣ .

(٤) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني (٥٧٠هـ) : الترتيب في الصحيح من حديث الرسول ، تحقيق : نور الدين عبد الله بن حميد السالمي ، ط مكتبة مسقط - سلطنة عُمان ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ص ٣٤٨ - ٣٤٩ .

(٥) القائل : أخنس بن قيس مؤسس الأخنسية من الثعلبية الخارجية . الملل والنحل ص ١١٠ .

(٦) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني: مفسر، سكن بغداد، ولد ١٢١٧هـ ، وتوفي ١٢٧٠هـ ، صاحب كتاب مختصر التحفة الاثني عشرية . الزركلي: الأعلام ج ٧ ص ١٧٦ .

(٧) الألوسي : تفسير روح المعاني ج ٣ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

التقية عند الشيعة : والشيعة في التقية على مذهبين :

المذهب الأول : يقول بالتقية لدرء الضرر الذي يترتب على المجاهرة بالمذهب الشيعي والدعوة إليه ، وهذا رأي المعتدلين الذين عاشوا في مجتمع يسوده التسامح السياسي والمذهبي .

والمذهب الثاني : يقول بأن التقية واجبة ، فمن تركها فكأنما ترك فرضاً لازماً كالصلاة ، وقد جعلوا من ذلك سكوت الأئمة عن حقهم في الإمامة ^(١).

وادعوا قصصاً تفيد أن التقية واجبة حتى في الأشياء التي ليس فيها شبهة كالسلام كما روي النوبختي أن الرجل كان يلقي إمامه فيحيد عنه ، ويترك السلام عليه ، فيشكره على ذلك ويحمده ، وإذا سلم عليه ذمه، ويقدم عليه بالمكروه ، وعن أبي الحسن الرضا: لو علمت ما يريد القوم مني لأهلك نفسي عندي بما لا يوثق ديني بلعب الحمام والديكة ، وأشباه ذلك ^(٢).

حكم التقية عند الشيعة الاثني عشرية : تعتقد بعض الشيعة الاثني عشرية أن التقية لا تقل في الأهمية عن أركان الدين ، وتعد التقية طبيعة ذاتية في بنية المذهب ، وحالة مستمرة ، وسلوك جماعي دائم حتى يوم القيامة .

ويعتقد بعض الاثني عشرية وجوبها : يقول الصدوق : اعتقادنا في التقية أنها واجبة ، من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة ، وقيل للصادق : إنا نرى في المسجد رجلاً يعلن بسبب أعدائكم ويسميهم ، فقال : ماله - لعنه الله - يعرض بنا ، والتقية واجبة لا يجوز رفعها إلى أن يخرج القائم ، فمن تركها قبل خروجه ؛ فقد خرج عن دين الله ، ودين الإمامية ، وخالف الله ، ورسوله ، والأئمة، واعتقادنا فيمن خالفنا في شيء من أمور الدين ، كان كمن خالفنا في جميع أمور الدين ^(٣) .

(١) حسن صادق : جذور الفتنة في الفرق الإسلامية من عهد الرسول حتى مقتل السادات ص ٧٤ .

(٢) النوبختي : فرق الشيعة ص ١٦٩ .

(٣) الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ١٠٧ - ١١٠ باختصار. أبو جعفر الطوسي (ت

١٤٦٠ هـ) : التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، ط دار إحياء التراث العربي -

بيروت ، د ت ج ٣ ص ٤٣٥ .

ويتشدد بعضهم فيقول : التقية فريضة واجبة علينا في دولة الظالمين : فمن تركها ؛ فقد خالف دين الإمامية وفارقه^(١)، فمن الموبقات ترك التقية^(٢)، وأعظم الفرائض استعمال التقية مع أعداء الله - ﷺ -^(٣).

ومنهم من يقول بجوازها : قال المفيد : إن التقية جائزة في الدين عند الخوف على النفس، وقد تجوز في حال دون حال ؛ للخوف على المال ؛ ولضروب من الاستصلاح عند الضرورة ، وربما وجبت فيها؛ لضرب من اللطف والاستصلاح^(٤).

ومنهم من يقول : التقية رخصة للمؤمن^(٥)، يمكن أن يتعاطاها ، والأفضل ترك إظهارها ، وكذلك في كل أمر كان فيه إعزاز الدين ؛ فإقامة المرء عليه حتى يقتل ؛ أفضل من الأخذ بالرخصة في العدول عنه حتى يسلم ، فالتقية رخصة ، والإفصاح بالحق فضيلة^(٦) ، واستدلوا بحديث النبي - ﷺ - حين علم بقصة قتل مسلمة الكذاب لرجل من أصحابه لم يتقيه ، ونجاة آخر اتقاه ، وقال : أنت رسول الله فقال - ﷺ - : وأما هذا المقتول : فمضى على صدقه ، وتقيته ، وأخذ بفضله ؛ (فقد صدع بالحق) فهنيئاً له ، وأما الآخر : فقبل رخصة الله ؛ فلا تبعة عليه^(٧) ، وعن علي - ﷺ - : " التقية من أفضل أعمال المؤمن^(٨) .

وقال بعضهم : حكم التقية يختلف باختلاف الظروف : تكون واجبة حينما تتعرض حياة الإنسان للخطر دونما فائدة تذكر، أما إذا كانت التقية سبباً في ترويج الباطل ، وضلالة الناس،

- (١) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤٢١ . علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٤١٦ .
- (٢) الطبرسي: مستدرك الوسائل ج ٣ ص ١٦ . الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٣٢٢ .
- (٣) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٢١ - ٢٢٢ .
- (٤) المفيد : أوائل المقالات ص ١١٨ - ١١٩ . بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٣٣٠ . الطبرسي : مجمع البيان ج ٢ ص ٢٢١ .
- (٥) علي بن إبراهيم القمي : تفسير القمي ج ١ ص ١٠٠ .
- (٦) الشريف الرضي : حقائق التأويل في مشابهة التنزيل ، شرح العلامة : محمد الرضا آل كاشف الغطاء ، نشر دار الأضواء - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ص ٧٦ . الطوسي: التبيان ج ٢ ص ٤٣٥ . الطبرسي: مجمع البيان ج ٢ ص ٢٢٢ .
- (٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٤٠٤ - ٤٠٥ . الطبرسي : مجمع البيان ج ٢ ص ٢٢٢ . الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ج ٢ ص ٤٣٥ . النوري : مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٢٧٤ .
- (٨) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٢٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٢٢٩ .

وإسناد الظالم؛ فهي هنا حرام^(١)، واستدلوا بقول الرضا والحسن العسكري : إنكم تتقون حيث لا تجب التقية ، وتتركون حيث لابد من التقية^(٢) .

ومنهم من يقول التقية من حسنات (فضائل) الإسلام : لأنها ضرورة فطرية ، عقلية ، دينية ، أصلحية ؛ فإن تشريع التقية خير دليل على شمولية الإسلام ، ومرونته ، واتساعه لكل الظروف والأحوال ، فهو بتشريعه للتقية يحافظ على الرسالة ؛ من خلال الحفاظ على رائدها : محمد -ﷺ- وجنوده الإبرار حاملي لواء الدعوة ، وليست نفاقاً ، ولا انهزاماً ، بدليل : أن الحسين الساكت أيام معاوية ، هو نفسه الحسين الثائر على يزيد ، فسكوته وثورته كانتا للحفاظ على الحق والدين وهنا وقائع كثيرة للنبي -ﷺ- تثبت هذا^(٣).

ومنهم من يقول هي سبيل الكرامة : يفترون عن الصادق في قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ ﴾^(٤) : أعلمكم بالتقية^(٥) ، وهي سبيل الطهارة الظاهرية مع سلامة الدين والدنيا ؛ خالطوا الناس بالبرانية، وخالفوهم بالجوانية^(٦) ، ما دامت الإمرة صبيانية^(٧) ، الرياء مع المنافق في داره عباده ، ومع المؤمن شرك^(٨) ، وهي طريقة لتكفير السيئات ؛ قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا (على التقية) وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ (التقية) السَّيِّئَةِ ﴾^(٩) الإذاعة^(١٠).

ويعلق الإمام الألوسي على هذا الاضطراب فيقول : وأما الشيعة فكلهم مضطرب في هذا المقام ؛ فقال بعضهم : إنها جائزة في الأقوال كلها عند الضرورة ، وربما وجبت فيها لضرب من اللطف والاستصلاح ، ولا تجوز في الأفعال ، كقتل المؤمن ، ولا فيما يعلم أو

(١) ناصر الشيرازي : المثل في تفسير كتاب الله المنزل ج ٢ ص ٢٤٧ .

(٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢١٧ . الأنصاري : التقية ص ٦٠ .

(٣) السيد جعفر مرتضى العاملي : الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، نشر دار الهادي ، دار السيرة - بيروت ، ط ٤ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ج ٣ ص ١١١ - ١١٢ بتصرف .

(٤) سورة الحجرات : آية رقم ١٣ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤٢١ . الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ١٠٨ .

(٦) البرانية: الظاهر والعلانية، والجوانية : الباطن والسر . المازندراني : شرح الكافي ج ٩ ص ١١٦ .

(٧) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢١٩ . الصدوق : الاعتقادات ص ١٠٩ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤٢١ . الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ١٠٩ .

(٩) سورة القصص : آية رقم ٥٤ .

(١٠) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ٩ ص ١٠٩ .

يغلب على الظن أنه إفساد في الدين ، وقال المفيد: إنها قد تجب أحياناً ، وقد يكون فعلها في وقت أفضل من تركها ، وقد يكون تركها أفضل من فعلها ، وقال أبو جعفر الطوسي : إن ظاهر الروايات يدل على أنها واجبة عند الخوف على النفس ، وقال غيره : إنها واجبة عند الخوف على المال أيضا ، ومستحبة لصيانة العرض حتى يسن لمن اجتمع مع أهل السنة أن يوافقهم في صلاتهم ، وصيامهم ، وسائر ما يدينون به ، ومنهم من ذهب إلى جواز - بل وجوب - إظهار الكفر لأدنى مخافة أو طمع ، وأفتى كثير منهم بالأفضلية ، ولا يخفى أنه من الإفراط بمكان ، وحملوا أكثر أفعال الأئمة مما يوافق مذهب أهل السنة ، ويقوم به الدليل على رد مذهب الشيعة على التقية ، وجعلوا هذا أصلاً أصيلاً عندهم ، وأسسوا عليه دينهم - وهو الشائع الآن فيما بينهم - حتى نسبوا ذلك للأنبياء ، وجل غرضهم من ذلك : إبطال خلافة الخلفاء الراشدين - ﷺ - ويأبى الله تعالى ذلك ^(١).

والراجح : أنها تتضمن الأحكام التكليفية الخمسة ^(٢) ، وسيأتي بيانها إن شاء الله . قلت : والتوفيق بين هذه الآراء التي يلمس التعارض بينها من لديه أدنى مسحة علم من علم أصول الفقه ، فضلاً عن المتعلمين والعلماء : أن التقية تتوقف على تقدير الشخص نفسه ، وفهمه لواقعه الذي يعاصره ، مع نية الخير ، وخوف المعصية ؛ حيث يقول أبو عبد الله : التقية في كل ضرورة ، وصاحبها أعلم بها حين تنزل به ، وفي رواية : التقية في كل شيء يضطر إليه ابن آدم؛ فقد أحله الله ^(٣).

وإذا كان المسلم ضعيفاً ، فإنه لا مبرر لأن يدخل في صراع عنيف مع الآخرين ، ينتهي بالقضاء عليه ، أو عليه وعلى عقيدته معاً ، لأن المبدأ لا يستفيد من صراع هكذا ، بل ربما يلحق به الضرر ؛ فلذلك كان تشريع التقية من باب العبادة والحفاظ على الكليات الخمس ^(٤) .

(١) الألوسي : تفسير روح المعاني ج ٣ ص ١٢٣ .

(٢) الأحكام التكليفية : هي خطاب الشرع المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء سواء كان فعلاً : { الوجوب والاستحباب } ، أو تركاً : { الكراهة ، والحرمة } أو التخيير بين الفعل أو الترك (الإباحة) . أيمن موسى : غاية المأمول ص ٥٦ .

(٣) البحراني: الحقائق الناضرة ج ١٣ ص ٧٠ - ٧١. الجواهري: جواهر الكلام ج ١٦ ص ٢٦٠ .

(٤) السيد جعفر مرتضى العاملي : الصحيح من سيرة النبي الأعظم ج ٣ ص ١١٤ .

ولو سلمنا بما تقول الشيعة لم نأمن أن أكثر ما ظهر من النبي -ﷺ- أن يكون على سبيل التقية لكن الرسول -ﷺ- فأنما لم تجز التقية عليه ؛ لأن الشريعة لا تعرف إلا من جهته ، ولا يوصل إليها إلا بقوله ، فمتى جازت التقية عليه ، لم يكن لنا العلم بما كلفناه طريق (١).

وعليه : فلا تجوز التقية على الأئمة ؛ لأنهم صنوا النبي -ﷺ- في الدعوة والعلم ، وبهم يعرف الناس علوم الدين ، والحلال من الحرام ، فلا يمكن أن تظهر منهم تقية على الراجح. كما إن القول باستتار الإمام تقية باطل ؛ فهل يعقل أن يكون الشخص الجامع لشروط الإمامة إماماً مستوراً، لَكِنَّهُ يُخْفِي نَفْسَهُ مَخَافَةً مَنْ غَلَبَ عَلَى الْمُلْكِ مِمَّنْ لَا يَصْلُحُ لِلْإِمَامَةِ (٢).

موارد التقية عند الشيعة الاثني عشرية : تكون التقية في كل شيء ، حتى يبلغ الدم ، فإذا بلغ الدم فلا تقية (٣)؛ لأنها جُعِلَتْ ليحَقِّنَ بها الدماء ، فإذا بلغ الدم فلا تقية (٤) ، وقد قرر علماءهم أن هناك أموراً تدخل في التقية تبلغ أربعين باباً تقريباً منها: أصول الدين: كالتقية في أظهار الكفر، أو إنكار أحد أصول الدين، والبراءة ، وسب الأنبياء، والأئمة.

فروع الدين : مثل التقية في مودة المخالفين ، واتخاذهم أولياء ، وابتدائهم بالسلام ، والحكم بطهارتهم ونجاستهم ، وجواز إطعامهم ، وحكم دخولهم المسجد ، وإلحاقهم بالكفار ، وحكم أكل طعامهم وذبائحهم، ومناكرتهم ، وغير ذلك.

ومنها أمور غير مشروطة بقصد القرية مثل : التقية في كتمان الدين والولاية ، والحديث عن الكفار والمخالفين ، وتسمية الحجة ، والجمع بين اسمه وكنيته .

ومنها أمور غير مشروطة بقصد القرية مثل : التقية في غسل الوجه واليدين ثلاثاً ، وغسلهما من الأعلى أم من الأسفل ، ومسح الرأس كله أو بعضه ، مع الأذنين أو بدونهما ، مسح الرأس والرجلين بماء الوضوء أو بماء مستأنف، وجواز المسح على الخفين .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٤٠٠.

(٢) أبو حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، وآخرون ، نشر دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ج ١ ص ٥٥١.

(٣) الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢٧٤ . بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٩٩.

(٤) الجواهري النجفي : جواهر الكلام ج ٤٢ ص ٤٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٣٢٩.

ومنها التقية في الوقت : مثل وقت صلاة المغرب والإفطار من الصوم ، والصلاة قبل الغروب .

ومنها التقية في الصلاة : مثل جواز الاقتداء بالمخالف ، حكم الاقتداء بسائر فرق الشيعة غير الإمامية ، حكم الاقتداء بالموافق مع عدم إحراز الشرائط ، والجهر بالسلمة ، وقول آمين ، والتكفير في الصلاة ، والسجود على الأرض والنبات .

ومنها التقية في الصوم : مثل حكم الإفطار في حال التقية ، ووجوب القضاء فيه .
ومنها التقية في الحج : مثل حكم التظليل في حال الإحرام ، والوقوف بعرفة والمشعر ومنى .

ومنها التقية في الزكاة : مثل شرائط المستحق للزكاة ، وإعطاء الزكاة للمخالف .
ومنها التقية في الجهاد : مثل أقسام الجهاد ، شروط الجهاد البدائي بإذن المعصوم ، التحقق حول الاجتهاد البدائي في زمان النبي ، التهمة بأن الإسلام دين الدم والسيوف .
ومنها التقية مع السلطان : مثل حكم معاونة السلطان الجائر ، حكم قبول الولاية منه في القضاء والفتوى ، وحكم التقية في الإضرار بالناس ، وحكم جوائز السلطان ، وحكم أموال السلطان بالنسبة إلى الورثة وللمستحقين والحاكم الشرعي .
ومنها التقية في الغناء : مثل حكمه وموضوعه ، وحكم آلات وأفعال اللهو ، والمستثنى منه .

ومنها التقية في النكاح : ويتناول حكم مناكرة أهل الكتاب والمخالفين ، والطلاق ، والميراث .

أما الموارد التي لا يجوز التقية فيها سنة : التقية في الدم ، وفيما يوجب الفساد في الدين ، وفي البراءة من أمير المؤمنين ، وفي متعة الحج ، وفي المسح على الخفين ، وفي شرب النبيذ ^(١) .

ومن الغريب أن الرضا أمر بالتقية في كل شيء ، فقال : إتق حيث لا يُتَقَى ^(٢) . فهل بقي شيء لم تدخل فيه التقية ، والمعنى : لا أجوز لكم ترك التقية في شيء اتفق عليه أهل

(١) محمد علي المعلم : التقية في فقه أهل البيت ج ١ ص ٦٨ - ٧٣ ملخصاً . أجمل هذه الموارد باستفاضة جعفر السبحاني: التقية موضوعاً وحكماً في الكتاب والسنة، ط دار جواد الأئمة-بيروت ، ط ١، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .

(٢) فقه الرضا ص ٣٣٨ . بحار الأنوار ج ٧٨ ص ٣٤٧ . مستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ١٧٤ .

بلادكم من معاشرة أهل الكتاب ، والحكم بطهارتهم ^(١)، ونتساءل : كيف نوفق بين هذا وبين ما جاء أن التقية لا تكون في الأشياء اليسيرة التي لا تبلغ الخوف على النفس أو المال ؟ أليس هذا باب فتن ؟ ^(٢).

الإكراه وعلاقته بالتقية : إن نفي الملازمة بين الإكراه والتقية من بعض الوجوه ، لا يعني نفيها من كل الوجوه ، ولا يعني عدم الحاجة إلى دراسة الإكراه في بحث التقية ، فلا يمكن إغفاله بحال ؛ لأنه من أهم ذرائع التقية ، ويظهر هذا في أن معظم التفصيلات الفقهية في فقه المذاهب الأربعة عند أهل السنة ، التي تتحدث عن التقية ؛ إنما هي مبحوثة في باب الإكراه غالباً ؛ لأن العلاقة بين الإكراه والتقية علاقة السبب بالمسبب ، والعلة بالمعلول ، فضلاً على أن فهم أحكام التقية ، متوقف على فهم الإكراه ، بحيث لو لم نذكر هذه الأمور لاضطررنا لذكرها ثانية ، مع كونهما فيهما اشتراكاً في معنى الإكراه ومقوماته ، وأسبابه ؛ إذاً فلننقف هنية عند الإكراه ^(٣).

تعريف الإكراه : الإكراه لغة : حمل الإنسان على أمر لا يريده طبعاً أو شرعاً . في الشرع : حمل الغير على ما يكره بالوعيد بالقتل ، أو بالتهديد بالضرب ، أو السجن أو إتلاف المال ، أو الأذى الشديد ، أو الإيلام القوي ^(٤).

وَاخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي حَدِّ الْإِكْرَاهِ ، فَرَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ -ؓ- أَنَّهُ قَالَ : لَيْسَ الرَّجُلُ آمِنٌ عَلَى نَفْسِهِ إِذَا أَخَفَّتْهُ ، أَوْ أَوْثَقَتْهُ ، أَوْ ضَرَبَتْهُ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ -ؓ- : مَا كَلَامٌ يَدْرَأُ عَنِّي سَوَاطِينَ إِلَّا كُنْتُ مُتَكَلِّمًا بِهِ . وَقِيلَ : الْقَيْدُ إِكْرَاهٌ ، وَالسَّجْنُ إِكْرَاهٌ ، وَالْوَعْدُ الْمُخَوِّفُ إِكْرَاهٌ ، وَإِنْ لَمْ يَقَعْ ، إِذَا تَحَقَّقَ ظُلْمٌ ذَلِكَ الْمُعْتَدِي ، وَإِنْفَاذُهُ لِمَا يَتَوَعَّدُ بِهِ ، وَمَا كَانَ يُؤْلَمُ مِنَ الضَّرْبِ ، وَمَا كَانَ مِنْ سَجْنٍ يَدْخُلُ مِنْهُ الضَّيْقُ عَلَى الْمُكْرَه . وَإِكْرَاهُ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ إِكْرَاهٌ . وَتَنَاقَضَ الْكُوفِيُّونَ فَلَمْ يَجْعَلُوا السَّجْنَ وَالْقَيْدَ إِكْرَاهًا ؛ لِأَنَّهُ لَا يَخَافُ مِنْهُمَا التَّلَفَ .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٨٠ ص ٤٨ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤٢٤ .

(٣) د السيد ثامر العميدي : التقية في الفكر الإسلامي ص ١٣ - ١٤ بتصرف .

(٤) السيد سابق : فقه السنة ، نشر دار الريان للتراث - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ج ٣

وجعلوها إكراهاً في إقراره لفلان عندي ألف درهم . وفي إجماعهم على أن الألم والوجع الشديد إكراه ما يدلُّ على أنَّ الإكراهَ يَكُونُ مِنْ غَيْرِ تَلَفِ نَفْسٍ ^(١) .

أركان الإكراه : الأول : المَكْرَه : وهو من يصدر منه الإكراه ، ويشترط فيه : أن يكون قادراً على تنفيذ تهديده . الثاني : المَكْرَه : وهو من يقع عليه الإكراه ، ويشترط فيه : أن يكون متأكداً ، أو غالباً على ظنه حصول الضرر على نفسه ، أو ماله ، أو عرضه ، أو على إخوانه ، أو دينه ؛ إذا لم يَأْتَمِرْ بأمر المَكْرَه ؛ مع عجزه عن دفع ما يتهدد به بهرب ، أو استغاثة ، أو المقاومة ، ونحو ذلك ^(٢) .

الثالث المَكْرَه به : وهو نوع الضرر الذي توعده به المَكْرَه ، سواء كان الضرر متعلقاً بالنفس ، أو المال ، أو العرض ، أو إخوانه المسلمين ، أو الدين ؛ وسواء كان الضرر مادياً كالضرب المبرح ، أو قطع عضو ، أو أخذ مال ، أو كان الضرر معنوياً كالإهانة ، والتشهير ونحوها .

الرابع المَكْرَه عليه : وهو ما يراد تنفيذه من المَكْرَه ، سواء كان كلاماً ، أو فعلاً ، ويشترط فيه : ألا يكون الضرر الناتج عنه أكبر من الضرر المتوعد به ، وأن يكون مما يحرم تعاطيه على المَكْرَه ، فلا يجوز الزنا إذا أكره عليه مع التهديد بقطع الراتب مثلاً ؛ لأن الزنا خطره أشد ، وأن يعلم أنه بفعله ينج من الشر المتوعد به ؛ وإلا فلا يجوز ^(٣) .

أركان التقية عند الشيعة الاثني عشرية : الأول : المتقي : وهو المَكْرَه . الثاني : المتقى منه : وهو ما يهدد به . الثالث : ما يُتَقَى عليه : وهو كل ما دل العقل والشرع على ضرورة حفظه . الرابع : ما يُتَقَى به : وهو نوع العمل المحرم المراد إنجازه ^(٤) .

شروط الإكراه :

١ - قدرة مكره بكسر الراء على تحقيق ما هدد به ، بولاية أو تغليب ، عاجلاً ، ظلماً ؛ بأن يكون فاعل الإكراه قادراً على إيقاع ما يهدد به .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ١٨٠٧ .

(٢) الخطيب الشربيني: الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، ط قطاع المعاهد الأزهرية، ٢٠٠٤هـ/ ٢٠٠٥م ج ٣ ص ٦ .

(٣) د السيد العميدي : التقية في الفكر الإسلامي ص ١٤ - ١٥ . الشربيني: الإقناع ج ٣ ص ٦ .

(٤) د السيد ثامر العميدي : التقية في الفكر الإسلامي ص ١٠٨ - ١٠٩ بتصرف .

٢- عجز مكره بفتح الرَّاءِ عَنْ دَفْعِهِ ؛ بأن يكون المأمور عاجزاً عن الدفع ، ولو بالفرار والهرب .

٣- أن يتيقن ، أو يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به المَكْرَه ما هدد به .

٤- أن يكون ما هدد به فورياً ، فلو قال : إن لم تفعل كذا ؛ ضربتك غداً ، لا يعد مكرهاً ، ويستثنى : ما إذا ذكر زمناً قريباً جداً ، أو جرت العادة بأنه لا يخلف .

٥- أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره ^(١) .

وَيَخْتَلَفُ الْإِكْرَاهُ بِاخْتِلَافِ الْأَشْخَاصِ ، وَالْأَسْبَابِ الْمَكْرَهَ عَلَيْهَا ؛ فَقَدْ يَكُونُ الشَّيْءُ إِكْرَاهًا فِي شَخْصٍ دُونَ آخَرَ ، وَفِي سَبَبٍ دُونَ آخَرَ ، فَالْإِكْرَاهُ بِإِتْلَافِ مَالٍ لَنَا يَضِيقُ عَلَى الْمَكْرَهِ بَفَتْحِ الرَّاءِ كخمسَةِ دَرَاهِمٍ فِي حَقِّ الْمُوسِرِ لَيْسَ بِإِكْرَاهٍ ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَحَمَّلُهُ ، بِخِلَافِ الْمَالِ الَّذِي يَضِيقُ عَلَيْهِ ، وَالْحَبْسُ فِي الْوَجْهِ إِكْرَاهٌ وَإِنْ قُلَّ ، وَالضَّرْبُ الْيَسِيرُ فِي أَهْلِ الْمَرْوَعَاتِ إِكْرَاهٌ ^(٢) .

الضرورة والإكراه ، وأبعاد الاختلاف والاتفاق في حق الإنسان المكلف : يفرق بين الإكراه والضرورة بأمور منها: أن الإكراه يكون من شخص آخر ، أما الضرورة تكون حالة تضطر الشخص لفعل لا يريده ، مثل أن يأكل الميتة عند خوف الهلاك .

والإكراه قد يتكرر في الفعل في نفس الوقت ، غير أن الضرورة لا تتكرر ؛ فالضرورة تقدر بقدرها، كأن تكون على قدر سد الرمق في أكل الميتة .

ويجمع بينهما : بأن الهدف منهما دفع الضرر ، وكذلك لا يترتب على كل من المضطر والمكره آثار شرعية إذا تحققت الشروط ^(٣) ، فالمشقة تجلب التيسير ، ومن أهم أسبابها : الإكراه : ومن أجله أبيع للمكره التلفظ بكلمة الكفر ، وترك الواجب ، وإتلاف مال الغير ، وأكل الميتة ، وشرب الخمر ؛ فالمشقة تجلب التيسير ، والإكراه من الرخص ^(٤) .

(١) محمد بن سعيد القحطاني : الولاء والبراء في الإسلام ص ١٠٨ - ١٠٩ بتصرف .

(٢) شمس الدين الشربيني الخطيب : الإقناع ج ٣ ص ٢٠ .

(٣) د السيد ثامر العميدي : التقية في الفكر الإسلامي ص ٢٩ بتصرف .

(٤) د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ص ٢٤١ بتصرف .

المبحث الثالث

أقسام التقية وشروطها

أقسام التقية باعتبار حكمها التكليفي :

القسم الأول : التقية الواجبة : ما كانت لدفع ضرر واجب فعلاً^(١)، متوجه لنفس المتقي ، أو عرضه ، أو ماله ، أو إخوانه المسلمين ، أو دينه ؛ ما لم يؤدي إلى ضرر أكبر في الدين ، أو المجتمع ، مثل إفطار الصائم آخر يوم في رمضان ؛ إذا أعلن الإمام الجائر أنه العيد ، وهو تحت عين هذا الظالم ؛ فيجب الإفطار تقية ، وقد حدث هذا كما يدعون للصادق مع السفاح^(٢) أول ملوك بني العباس^(٣).

القسم الثاني : التقية المستعجلة : ما كان تركها مفضي إلى الضرر تدريجياً ، كترك المداراة مع أهل السنة ، وهجرهم ، في المعاشرة في بلادهم ، فإنه ينجر إلى حصول المباينة ؛ الموجب لتضرره منهم ، كالترتيب في تسبيح الزهراء^(٤)، وترك بعض فصول الأذان^(٥) ^(٦)، فيكون استعمالها موجباً للتحرز من الضرر^(٧).

القسم الثالث : التقية المباحة : ما كان فيها التحرز من الضرر مساوياً لعدم التحرز منه في نظر الشارع^(٨)؛ لكون المصلحة المترتبة على التقية أو تركها متساويتين ، كما في إظهار كلمة الكفر ، إذا كان الإكراه عليه بالقتل ؛ فإنه إن قالها نجا من القتل ، وإن تركها كان

(١) مرتضى الأنصاري : التقية ص ٣٩. جعفر السبحاني : التقية موضوعاً وحكماً ص ٤٥.

(٢) السفاح: أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب ، أول خلفاء بني العباس ، لم تطل أيامه ، ولد ١٠٥هـ ، ومات ١٣٦هـ أو ١٣١هـ . سير أعلام النبلاء ج ٦ ص ٣٣٣-٣٣٥ . الأعلام ج ٤ ص ١١٦.

(٣) د العميدي : التقية ص ٩٤ بتصرف. محمد الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣١١-٣١٣.

(٤) عن أبي عبد الله - عليه السلام - : " تبدأ بالتكبير أربعاً وثلاثين ، ثم التحميد ثلاثاً وثلاثين ، ثم التسبيح ثلاثاً وثلاثين " . المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٨ ص ٥١٧ . الجواهري : جواهر الكلام ج ١٠ ص ٣٩٧.

(٥) يقصد بذلك ترك: أشهد أن علياً ولي الله ، وحي على خير العمل . بحار الأنوار ج ٨٤ ص ١١١.

(٦) مرتضى الأنصاري : التقية ص ٣٩ - ٤٠. جعفر السبحاني : التقية موضوعاً وحكماً ص ٤٥.

(٧) د السيد ثامر العميدي : التقية ص ٩٥. محمد الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣١١-٣١٣.

(٨) مرتضى الأنصاري : التقية ص ٣٩. جعفر السبحاني : التقية موضوعاً وحكماً ص ٤٦.

إعلاءً لكلمة الإسلام ، إلا إذا كان قدوة للمسلمين ؛ فعلى القدوة أن يوطن نفسه على القتل^(١) ، والظاهر فيها : الاقتصار على مورد النص ، بالحث على حسن المعاشرة ، وعبادة مرضاهم ، وتشجيع جنائزهم ، والصلاة في مساجدهم ، والأذان لهم ، فلا يجوز التعدي إلى ما لم يرد فيه نص من الأفعال المخالفة للحق ، كذم بعض رؤساء الشيعة للتحبيب إليهم^(٢).
القسم الرابع : التقية المكروهة : ما كان تركها ، وتحمل الضرر أولى من فعله ممن يُقتدى به من الناس ؛ إعلاءً لكلمة الإسلام^(٣)، مثل الإتيان بما هو مستحب عند المخالفين ، مع عدم خوف الضرر، لا عاجلاً ، ولا آجلاً^(٤)، فيكون الضرر فيه هو التلبيس على عوام المذهب^(٥).

القسم الخامس : التقية المحرمة : ما ترتب على تركها مصلحة ، وعلى فعلها مفسدة جسيمة ، كما في سفك الدماء ، وقتل النفوس المحرمة ، وهتك الأعراض ؛ فلا تقية ؛ لأن المسلمين تتكافأ دماؤهم ؛ ولا تقية في الإفتاء بتحليل حرام أو تحريم حلال ، وقد ورد بعضه عن أهل البيت كما تدعي الشيعة، ولكنهم كانوا يخشون على شيعتهم من الحكام الظلمة ، وقد بينوا الأحكام الصحيحة للمقربين منهم ؛ فمنها ما وصل إلينا ، ومنها ما لم يصل ؛ لعدم نقل المقربين ، فلا تقية في إضلال الناس ، ولا ترويج الباطل ، ولا إسناد ظالم^(٦).
وكذلك من التقية المحرمة : التقية في القضاء بخلاف ما أنزل الله في كتابه ؛ لأن الله حكم على من حكم بغير ما أنزل الله بأنه من الظالمين ، ومن الفاسقين ، ومن الكافرين .
ومن التقية المحرمة : التقية المؤدية إلى فساد الدين ، أو المجتمع ، أو سبباً في هدم الإسلام ، أو النيل من مفاهيمه المقدسة ، أو محو بعض آثاره .

(١) د ثامر العميدي : التقية ص ٩٥ - ٩٦ . محمد الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣١١-٣١٣ .
(٢) الشيخ مرتضى الأنصاري : التقية ص ٤١ . جعفر السبحاني : التقية موضوعاً وحكماً ص ٤٦ .
(٣) مرتضى الأنصاري : التقية ص ٣٩ . محمد الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣١١-٣١٣ .
(٤) د العميدي : التقية ص ١٠٧ - ١٠٨ . محمد الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣١١-٣١٣ .
(٥) مرتضى الأنصاري : التقية ص ٤٠ . جعفر السبحاني : التقية موضوعاً وحكماً ص ٤٦ .
(٦) د العميدي : التقية ص ١٠٧ . بتصرف . محمد الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣١١-٣١٣ .

وكذلك من التقية المحرمة : التقية من غير ضرورة ، ولا حاجة ملحة ، وفي شرب الخمر ، والتقية التي يتجاوز فيها المكروه فيه إلى ما لم يكره فيه ؛ كمن أكره على أكل قطعة لحم محرم ؛ فأكل أكثر، والتقية عند إمكان التخلص من الضرر^(١) .

أقسام التقية بحسب الإكراه وقوته : تنقسم التقية بهذا الاعتبار إلى أربعة أقسام : التقية الخوفية، والإكراهية، والكتمانية ، والمداراتية^(٢).

القسم الأول التقية الإكراهية : ويشهد لها قوله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٣) ، وكذلك كل روايات التقية التي تفيد أن التقية كانت من العامة ، وفي وقت صدورهما كانت الشيعة قليلة جداً ، ومع ذلك كانوا يحبون الجهاد ! ، ولو لم يأمرهم الأئمة بالتقية لثاروا على أهل الضلال، وأستصلوا عن آخرهم في تلكم الفتن ، ولأوردوا أهل البيت موارد الهلكة والاستئصال ، ولم يبق من الشيعة أحد^(٤).

نقد هذا القسم : جاء عن الصادق: إن الله فوض إلى المؤمن أموره كلها ، ولم يفوض إليه أن يكون ذليلاً^(٥) وهذا ما فعله الحسين الشهيد -عليه السلام- حين قال : لا والله ، لا أعطيهم بيدي اعطاء الذليل ، ولا أفر منهم فرار العبيد^(٦)، وما لو ظهرت البدعة من تصويب القوانين المخالفة للإسلام ؛ عن الصادقين : إذا ظهرت البدع ؛ فعلى العالم أن يظهر علمه ، فإن لم يفعل سلب نور الإيمان^(٧) ، وعليه لعنة الله^(٨)^(٩).

القسم الثاني التقية الخوفية : يشهد لها قوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ

(١) د العميدي : التقية ص ٩٦ - ١٠٧ . محمد الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣١١-٣١٣ .

(٢) محمد صادق الحسيني الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣٠٨ .

(٣) سورة النحل : آية رقم ١٠٦ .

(٤) محمد صادق الحسيني الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣٢٠ .

(٥) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ١٥٦ . النوري : مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢١٠ .

(٦) المجلسي: بحار الأنوار ج ٤٤ ص ١٩١ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٣٧٢ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٢٥٢ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٧١ .

(٨) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٠٧ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٦٩ .

(٩) محمد صادق الحسيني الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣٢٨ - ٣٣٦ .

نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ^(١) ، وفسرها أمير المؤمنين : وأمرك أن تستعمل التقية في دينك ، وقد أذنت لك في تفضيل أعدائنا إن ألجأك الخوف إليه ، وفي إظهار البراءة إن حملك الوجل عليه ، وفي ترك الصلوات المكتوبات إن خشيت على حشاشة نفسك الآفات والعاهات^(٢) ، فالمستحب قول كلمة الكفر والبراءة عند الخوف على النفس أو الدين ، لكن إذا كان الشخص قدوة ، وكانت تقيته موهنة للدين فالأفضل تركها ، وتحرم إذا كانت في الدماء ، وذلة المؤمن ، وفساد الدين ، وإذا اتقى ظهرت البدعة ، ووهن الدين ، وراج الباطل ؛ فهي محرمة^(٣).

القسم الثالث التقية الكتمانية : عبارة عن كتمان المرام ، والمذهب ، وعدم ترويجه ظاهراً ، بل السعي فيه سراً ، وذلك إذا ما ترتب على التظاهر به مفسدة مهمة ، كهلاك نفس ، وتشتيت المجتمع ، والمنع من رواجه ؛ كما كان الأمر كذلك في زمان الأئمة ، أو أن يكون بين قوم سوء ، ظاهر حكمهم ، وفعلهم على غير حكم الحق وفعله ؛ فكل شيء يعمل المؤمن بينهم - لمكان التقية - مما لا يؤدي إلى فساد في الدين فإنه جائز^(٤)، وكقول أبي عبد الله : اتقوا الله على دينكم ، واحجوه بالتقية ، ولو أن الناس يعلمون ما في أجوافكم : أنكم تحبون أهل البيت لأكلوكم بألسنتهم، ولنحلوكم في السر والعلانية^(٥).

وتعتقد الشيعة إن هذه التقية تكون في دولة إبليس ، الذي يليها إمام الضلالة الذي اغتصب الحق من أمير المؤمنين ، ومن تبعه ، وتكون بالسعي في ترويج المذهب سراً ، لا في كتمانه خاصة ، إذ في فرض الكتمان بلا تبليغ ؛ ينقرض المذهب بانقراض تلكم الجماعة الخاصة^(٦)، فالله يحب أن يعبد في السر ، كما يحب أن يعبد في العلانية^(٧)، وبه

(١) سورة آل عمران : آية رقم ٢٨ .

(٢) الأنصاري : التقية ص ٦٥ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٢٩ . بحار الأنوار ج ١٠ ص ٧٤ .

(٣) محمد صادق الحسيني الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣٣٦ - ٣٤٠ .

(٤) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢١٦ .

(٥) النعمان المغربي : شرح الأخبار ج ٣ ص ٥٧٧ . العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٠٥ .

(٦) النوري : مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢٥٥ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢١٠ .

(٧) محمد صادق الحسيني الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣٤٤ .

يظهر اختلاف حالات الأئمة والعلماء في بعض الأزمنة ، وهم أعلم بمواضعها ، فيدعون أن الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ^(١).

وحيث إن التقية دين الأئمة كما يزعم الشيعة ، والدين هو العبادة والخضوع ، وهي كتم المذهب عن المخالفين ، والسعي في رواجه سراً ، وعدم التظاهر به ^(٢)، فهم على دين من كتمه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله ^(٣)، وزعموا عن علي -عليه السلام- : «وكونوا في أهل ملتكم كأصحاب الكهف ، وإياكم أن تفتشوا أمركم إلى أهل، أو ولد حميم ، أو قريب ، فإن دين الله -عليه السلام- الذي أوجب التقية لأوليائه؛ فيقتلكم قومكم» ^(٤).

فحكم هذا القسم: تساوي التقية وتركها في الفضل، أو كونها تدخل في الأحكام التكليفية الخمسة ^(٥).

القسم الرابع التقية المداراتية : وهي حسن المعاشرة مع العامة بالصلاة معهم ، وعبادة مرضاهم ، وحضور جنازهم ، وما شاكل ؛ حفاظاً على الوحدة الإسلامية ، وتأيداً للدين ، واعلاء لكلمة الإسلام في مقابل الكفار والمشركين ، فيصبر وفي العين قذى ، وفي الحلق شجى ^(٦)، وقال علي -عليه السلام- : «صلوا في عشائهم، وعودوا مرضاهم ، واشهدوا جنازهم ، ولا يسبقونكم إلى شيء من الخير ، فأنتم أولى به منهم ، والله ما عبد الله بشيء أحب إليه من الخباء ، قيل وما الخباء ؟ قال : التقية» ^(٧)، وعن أبي عبد الله : «وأحبوا للناس ما تحبون لأنفسكم ، أما يستحي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ، ولا يعرف حق جاره» ^(٨).

فالمستفاد من الآيات، والسنة المتواترة ، وعمل الأئمة الاهتمام بالوحدة الإسلامية ، والحذر من التشتت والتفرق ، إذ في كل عصر كانت الوحدة الإسلامية محفوظة ، وكان المسلمون كيد واحدة على من سواهم؛ آل أمر المجتمع إلى الصلاح والعزة ، وذاقوا حلاوة

(١) البحراني : الحدائق الناضرة ج ١٢ ص ٣٩٥ . العاملي : الصراط المستقيم ج ٢ ص ١١٨ .

(٢) محمد صادق الحسيني الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

(٣) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٣٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٧٢ .

(٤) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٢٥٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٠ ص ٧٩ .

(٥) محمد صادق الحسيني الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣٤٨ .

(٦) الصدوق : علل الشرائع ج ١ ص ١٥١ . الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ١٥٨ .

(٧) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢١٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤٣١ .

(٨) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٢ ص ٦ . الكليني : روضة الكافي ج ٨ ص ١٢٦ - ١٢٧ .

النعم المادية والمعنوية ، وكل عصر ظهر الخلاف فيه بين المسلمين - كزامننا هذا - آل الأمر إلى الفساد ، وسلط عليهم الأجانب واستعمروهم ، وعرف الكفار ذلك ؛ فعملوا بشتى الطرق على إيجاد التفرقة ، وإبعاد القرآن عن الأمة ، وتضعيف العلماء في قلوب الناس ، ونصب أعداء الدين بدلاً منهم ، حتى آل أمر المجتمع المسلم إلى ما ترى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ^(١) .

شروط التقية :

١- التقية تكون بعد العجز عن الهجرة إلى محل يقدر فيه على إظهار دينه ، فيسعى بكل الوسائل للخروج من المكان الذي يعجز فيه عن إظهار إيمانه ، والفرار بدينه .

٢- التقية تكون بقدر الضرورة ؛ فتقدر بقدرها .

٣- يجب على المستضعف أن يتقي بأدنى ما يمكن مما هو خروج عن أحكام الشرع ، وهذا لا يتعدى اللسان في كثير من الأحوال ، وإن وسعه السكوت فلا حاجة للتقية . فالتقية باللسان لا بالعمل .

٤- يجب على المتقي أن يقي نفسه من التلف ، فموافقة الكفار رخصة ، وإظهار الدين وشعائره عزيمة ، فلو تلفت نفسه لذلك كان مأجوراً .

٥- ألا تكون التقية بمعاونة الكفار ضد المسلمين بالقتل ونحوه فالأصل في التقية أن تكون مع الكفار ، ولا تتعداهم إلى المسلمين إلا إذا وافق الحال حال الكفار في الظلم ، وغيره مما هو ضرورة ^(٢) .

ومن هذه الشروط نفهم أن التقية ليست بالرحابة التي يدعيها الشيعة ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " بئسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ ، بئسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ لَا يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، بئسَ الْقَوْمُ قَوْمٌ يَمْشِي الْمُؤْمِنُ بَيْنَهُمُ بِالتَّقِيَّةِ " ^(٣) .

(١) محمد صادق الحسيني الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

(٢) د زياد بن عابد المشوخي : الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي ص ٣٩٩ - ٤٠٠ بتصرف .

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٦٦٠ .

فكيف تتم الوحدة التي يدعيها الشيعة وقد جعلوها مع أهل السنة ؟ وما حالهم مع واقع المسلمين الآن في العراق ، واليمن ، وسوريا ، ولبنان ، والبحرين التي تغص بالفتن بين الشيعة والسنة ؟ .

أليس هذا دليل على أن التقية سبب رئيس في الدماء التي تسيل ؟ وأن الكتمان سبب في ضياع كثير من أحكام أئمتهم ، التي قد تكون سببا في جمع شمل الأمة ؟ .
فالله أسأل أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل والحال ، إنه سميع عليم .

المبحث الرابع تقديس الأئمة وأثره على عقيدة التقية

أولاً : ظهور آثار التقديس في تحويل المذهب إلى جمعية سرية مغلقة تعمل في الخفاء بوجه آخر علني؛ نظراً لتقديس النصوص الواردة عن أئمتهم في وجوب التقية ، جعلوا المذهب الشيعي ديناً مغلقاً على أتباعه المقربين منهم ، وليس للعامة السؤال عن خفايا المذهب ، فما بالك بأهل السنة ؟ .

يقول بعض علمائهم ؛ وكأنه يثبت ما قرناه من حيث لا يشعر : ليس معنى التقية عند الإمامية أنها تجعل منهم جمعية سرية ؛ لغاية الهدم والتخريب ، كما يريد أن يصورها بعض أعدائها ، كما أنه ليس معناها : أنها تجعل الدين وأحكامه سراً من الأسرار ، لا يجوز أن يذاع لمن لا يدين به ، وكأنهم كان لا يشفي غليلهم إلا أن تقدم رقابهم إلى السيوف ؛ لاستئصالهم عن آخرهم في تلك العصور التي يكفي فيها أن يقال : هذا رجل شيعي ؛ ليلاقى حتفه على أيدي أعداء آل البيت من الأمويين ، والعباسيين ، بل والعثمانيين^(١).

قال الحسين -عليه السلام- : لولا التقية ما عرف عدونا من ولينا^(٢) ، ولتكون حلقة الدين محكمة لا يدخل فيها من ليس منها ؛ فالجميع يستخدم التقية ، وكلما كان الرجل أتقى كان أقرب إلى الله والأئمة ، عن محمد بن علي: أشرف أخلاق الأئمة ، والفاضلين من شيعتنا استعمال التقية^(٣) ، ولأنهم يتعاملون مع إبليس وأتباعه ؛ فلا يوجد حل لبقاء المذهب غير

(١) محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية ص ١٠٠ - ١٠٢ بتصرف .

(٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٢٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤١٥ .

(٣) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٢٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤١٥ .

الكتمان والتقية ، قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : لولا التقية ما عبد الله في الأرض في دولة إبليس ، ودولة إبليس : ولاية إمام ضلالة على آدم ، قال علي - عليه السلام - : وما زلت في دولة إبليس منذ قبض نبيكم بترككم إياي واتباعكم غيري^(١) ، وبناء على هذه الأجواء فإظهار المذهب يعني القتل، عن أبي جعفر: اكنموا أسرارنا ، ولا تحملوا الناس على أعناقنا^(٢).

نقد هذا الأثر : كيف يقولون ذلك وهم يروون عن أبي عبد الله : لا تكتموا الشهادة^(٣) ، فكيف بنا ونحن نشهدهم على دينهم أن يقولوا كلمة الحق فيدعون أن الحق في كتمان الشهادة ! نعوذ بالله .

ثانياً : ظهور آثار التقديس في الاعتقاد بجواز الصلاة خلف المخالف تقية :

تعتقد الشيعة الاثنا عشرية بعدم جواز الصلاة خلف المخالف إلا من باب التقية ؛ فيقول الرضا : " ولا تصل خلف أحد إلا خلف رجلين : من تثق به ، وتدينه بدينه وورعه ، وآخر من تتقي سيفه ، وسوطه ، وشره ، وبوائقه ، وشنعه ؛ فصل خلفه على سبيل التقية والمداراة ، وأذن لنفسك وأقم ، وأقرأ فيها ؛ لأنه غير مؤتمن به ، فإن فرغت قبله من القراءة ، أبق آية منها ؛ حتى تقرأ وقت ركوعه ، وإلا فسبح إلى أن يركع "^(٤).

وسئل أبو جعفر: أيجوز الصلاة خلف من وقف على أبيك وجدك ؟ فأجاب : لا تصل وراءه ، ويشمل هذا الحكم : الزيدية ، والفتحية ، والواقفية^(٥) ، وسئل عن رجل يحب أمير المؤمنين ، ولا يتبرأ من عدوه ، ويقول : هو أحب إلي ممن خالفه ؛ فقال : هذا مخلط ، وهو عدو ، فلا تصل خلفه ، ولا كرامة ، إلا أن تتقيه^(٦).

ويفترون على الحسين - عليه السلام - أنه صلى على مخالف وبدلاً من أن يدعو الحسين - وحاشاه - له بالرحمة؛ أخذ يلغنه: " اللهم العن فلاناً عبداً ، ألف لعنة مؤتلفة غير مختلفة ، اللهم اخز عبدك في عبادك ، وبلادك ، واصله حر نارك ، وأذقه أشد عذابك ؛ فإنه كان

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي ص ٤١٦ . الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢٥٣ .

(٢) الطوسي : الأمالي ص ٣٦٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤١٧ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٠٤ ص ٣١٢ .

(٤) فقه الرضا ص ١٤٤-١٤٥ . بحار الأنوار ج ٨٨ ص ١٠٦ . الأنصاري : التقية ص ٥٢ .

(٥) البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٠ ص ٥ . الجواهري : جواهر الكلام ج ١٣ ص ٢٧٤ .

(٦) البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٠ ص ٥ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٨ ص ٣٠٩ .

يتولى أعدائك ، ويعادي أوليائك ، ويبغض أهل بيت نبيك " (١) ، وينقلون بعد ذلك عن الإمامين : زين العابدين ، وجعفر الصادق نفس الفعل (٢) .
ولماذا يعاملوننا هكذا ؟ قال أبو عبد الله لأننا عندهم كلاب ، وخنازير ، وحمير (٣) ، وعن الصادق قرده (٤) .

فالجاحد لولاية علي كعابد وثن ، إن الرجل ليدخل علينا بولايتنا ، وبالبراءة من أعدائنا ؛ فنرى مكتوباً بين عينيه مؤمن أو كافر ، قال الله - ﷻ - : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ (٥) (٦) .

ووعدوا بالثواب كذباً ؛ فعن الصادق : " من صلى معهم في الصف الأول ، كان كمن صلى خلف رسول الله - ﷺ - والأئمة (٧) في الصف الأول (٨) ، وغفر له بعدد من خالفه ، وكتب الله له بها خمساً وعشرين درجة ، وأربع وعشرين صلاة ، ويخلف عليهم ذنوبه ، ويخرج بحسناتهم (٩) .

نقد هذا الأثر : وأتساءل رغماً عني ، ما الضرورة التي تلجئ الشيعة أن يلعن المخالف ، وقد نهاهم الإمام علي - ﷺ - قال : إني كرهت لكم أن تكونوا شتامين لعائين (١٠) .
أهل السنة أصحاب القلوب النقية فيقولون : إِنَّ وِلَاةَ زَمَانِنَا يَجِبُ الْغَزْوُ مَعَهُمْ مَتَى غَزَوْا ، وَإِنْ صَلَّوْا بِنَا وَكَانُوا فَسَقَةً مِنْ جِهَةِ الْمَعَاصِي جَازَتْ الصَّلَاةُ مَعَهُمْ ، وَإِنْ كَانُوا مُبْتَدِعَةً لَمْ تَجْزِ الصَّلَاةُ مَعَهُمْ إِلَّا أَنْ يُخَافُوا ؛ فَيُصَلِّي مَعَهُمْ تَقِيَّةً وَتُعَادُ الصَّلَاةُ (١١) .

-
- (١) البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٠ ص ٤١٤ . الجواهري : جواهر الكلام ج ١٢ ص ٤٨ - ٤٩ .
(٢) البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٠ ص ٤١٤ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢ ص ٧٧١ .
(٣) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٣١١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٢٤ .
(٤) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ٤ ص ٢٥٥ .
(٥) سورة الحجر : آية رقم ٧٥ .
(٦) محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٣٩٩ - ٤٠٠ . الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ج ١ ص ١٥٧ . بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٨١ .
(٧) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ج ٦ ص ٤٥٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤١٢ .
(٨) الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ١٠٩ . البحراني : الحقائق الناضرة ج ١١ ص ٧١ .
(٩) البحراني : الحقائق الناضرة ج ١١ ص ٧١ - ٧٢ . وسائل الشيعة ج ٨ ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .
(١٠) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٢ ص ٣٩٩ . النوري : مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٣٠٦ .
(١١) تفسير القرطبي ج ١ ص ٩١٢ . أبو حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ج ٣ ص ٢٩١ .

وَهَذَا إِنَّمَا كَانَ أَصْلُهُ : أَنَّ الْوَلَاةَ الَّذِينَ كَانُوا يُصَلُّونَ بِالنَّاسِ لَمَّا فَسَدَتْ أَدْيَانُهُمْ ، وَلَمْ يُمْكِنْ تَرْكُ الصَّلَاةِ وَرَاءَهُمْ ، وَلَمَّا اسْتَطِيعَتْ إِزَالَتُهُمْ صَلَّيَ مَعَهُمْ وَوَرَاءَهُمْ ؛ كَمَا قَالَ عُثْمَانُ -رضي الله عنه- : الصَّلَاةُ أَحْسَنُ مَا يَفْعَلُ النَّاسُ ، فَإِذَا أَحْسَنُوا فَأَحْسِنْ ، وَإِذَا أَسَاءُوا فَاجْتَنِبْ إِسَاءَتَهُمْ ، ثُمَّ كَانَ مِنَ النَّاسِ : مَنْ إِذَا صَلَّيَ مَعَهُمْ تَقِيَّةً أَعَادُوا الصَّلَاةَ لِلَّهِ ، وَمِنْهُمْ : مَنْ كَانَ يَجْعَلُهَا صَلَاتِهِ . وَبِجُوبِ الإِعَادَةِ أَقُولُ ، فَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرِكَ الصَّلَاةَ مَعَ مَنْ لَا يَرْضَى مِنَ النَّائِمَةِ ، وَلَكِنْ يُعِيدُ سِرًّا فِي نَفْسِهِ ، وَلَمَّا يُوْثِرُ ذَلِكَ عِنْدَ غَيْرِهِ (١) .

وهم يروون ما يناقض صحة الانتماء بالمخالف ؛ فعن الصادق : " لا تصل خلف الغالي وإن كان يقول بقولك ، والمجهول ، والمجاهر بالفسق ، وإن كان مقتصداً " (٢) ، وسئل عن رجل يكذب بالقدر ؛ فقال : ليعد كل صلاة صلاها خلفه ؛ وكذلك من قال بالجسم (٣) ، وعن الرضا : " لا يقتدى إلا بأهل الولاية " (٤) .

ثالثاً : ظهور آثار التقديس في منع صرف الصدقات لغير الشيعة إلا في حال التقيّة ؛ ولم نر قط أن إيران الشيعية صرفت معونة لدولة من الدول السنية ، حيث يروون أن أبا عبد الله سئل عن الصدقة على الناصب والزيدية فقال : لا تصدق عليهم بشيء ، ولا تسقمهم من الماء إن استطعت (٥) ، ولا كرامة ، يعطيهم من غير الزكاة ، وسأل رجل الرضا : لي زكاة ، فإن لم تجد لها أحداً ، فصرها صراراً ، واطرحها في البحر ؛ فان الله -تعالى- حرم أموالنا وأموال شيعتنا على عدونا (٦) ، ولا أطفالهم (٧) .

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٢٨٦٨-٢٨٦٩ بتصرف .

(٢) الجواهري : جواهر الكلام ج ١٣ ص ٢٧٤ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٨ ص ٣١١ .

(٣) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة ج ٢ ص ٢١٦-٢١٧ . الأنصاري : التقيّة ص ٤٧ .

(٤) الجواهري : جواهر الكلام ج ١٣ ص ٢٧٤ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٨ ص ٣١٢ .

(٥) البحار ج ٣٧ ص ٣٤ . النوري : مستدرك الوسائل ج ٧ ص ١٠٨-١٠٩ . مستدرك سفينة البحار ج ٤ ص ٣٩١-٣٩٣ .

(٦) البحراني : الحدائق الناضرة ج ١٢ ص ٢٠٥ . الجواهري : جواهر الكلام ج ١٥ ص ٣٨٢ . وسائل الشيعة ج ٩ ص ٢٢٣-٢٢٤ .

(٧) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة ج ١٢ ص ٢٠٧ . الصدوق : الأمالي ص ٢٠٥ . الجواهري : جواهر الكلام ج ١٣ ص ٢٧٤ . وسائل الشيعة ج ٨ ص ٣١١-٣١٢ .

نقد هذا الأثر : عن علي -عليه السلام- : لا تصدقوا بشيء من نسككم إلا على المسلمين ،
وتصدقوا بما سواه غير الزكاة على أهل الذمة ^(١) فيا ليتهم أنزلونا منزلة أهل الذمة ! .

رابعاً : ظهور آثار التقديس في الاعتقاد بأن الشيعة لا إثم عليه في الكذب بل أحياناً يُوجر :

ومع أنه من القواعد المقررة عند جموع المسلمين : أنه لا تجوز طاعة مخلوق في
معصية الخالق، روت الشيعة روايات تندي لها الجبين دماً قبل العرق من هوي التردي في
مهاوي الكذب منها : -

يفتري الشيعة عن محمد بن علي إن أحد أتباعه سأله بعض أهل السنة : " من خير الناس
بعد رسول الله -عليه السلام- ؟ فقال : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان -عليهم السلام- ، فهل عليّ حرج ؟ وإنما
أردت أخير أي : أهو خير ؟ استفهماً ، لا إخباراً ، فقال محمد بن علي : قد شكر الله لك
جوابك هذا لهم ، وكتب الله أجره ، وأثبتته لك في الكتاب الحكيم ، وأوجب لك بكل حرف ما
تعجز عنه أمني المتمنين ، ولا تبلغه آمال الآملين " ^(٢) .

وعن الصادق : " واستعمل التقية في دار التقية واجب ، ولا حنث ، ولا كفارة على من
حلف تقية ؛ يدفع بذلك ظلماً عن نفسه " ^(٣) .

ويكذبون على علي بن محمد فيدعون أن رجلاً سأله : بليت اليوم بقوم من العوام ؛ فقالوا :
إنك لا تقول بإمامة أبي بكر ؛ فحفتهم ؛ فقلت : نعم ، وأنا أريد : نعماً من الأنعام الإبل ،
والبقر ، والغنم ، فقالوا : لا نقنع حتى تحلف ، قل : والله الذي لا إله إلا هو الطالب الغالب
العدل المدرك العالم من السر ما يعلم من العلانية ، فقلت : نعم ، وأنا أريد : نعماً من
الأنعام ، فقالوا : لا نقنع منك إلا أن تقول : أبو بكر هو الإمام ، والله الذي لا إله إلا هو ،
وساق اليمين ، فقلت : أبو بكر بن أبي قحافة إمام ، أي : هو إمام من انتم به ، واتخذ
إماماً ، وأكمل القسم ؛ فقتلوا بهذا مني ، وجزوني خيراً ، ونجوت منهم ؛ فكيف حالي عند
الله ؟ قال محمد : خير حال ، قد أوجب الله لك مرافقتنا في عليين ؛ لحسن تقيتك ^(٤) ، وكتب
الله له بتقيته بعدد كل من استعمل التقية من شيعتنا ، ومواليينا ، ومحبيينا حسنة ، وبعدد كل

(١) محمد صادق الروحاني : فقه الصادق ج ٢٤ شرح ص ١٣ .

(٢) النوري : مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢٦٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤٠٥ .

(٣) جواهر الكلام ج ٢١ ص ١٣ . بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٢٦ . وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٥٠ .

(٤) الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢٦٧ بتصرف .

من ترك التقية منهم حسنة ، أدناها حسنة لو قوبل بها ذنوب مائة سنة لغفرت ، ومن أرشده له مثل هذا الأجر ^(١).

وكذبوا عن رسول الله -ﷺ- : احلف بالله كاذباً ، ونج أخاك من القتل ^(٢)، وسئل أبو جعفر عن الحلف للعشار ^(٣) فقال : فاحلف لهم ؛ فهو أحلى من التمر والزبد ^(٤) .

نقد هذا الأثر : يرد عليهم أبو عبد الله: "يا معشر الشيعة : إنكم قد نسبتُم إلينا ، كونوا لنا زيناً ، ولا تكونوا علينا شيناً" ^(٥)، ويوصي أبو جعفر: يا معشر شيعتنا ، اسمعوا وافهموا وصايانا ، وعهدنا لأوليائنا، اصدقوا في قولكم ، وبروا في أيمانكم لأوليائكم وأعدائكم ، ولا تدخلوا غشاً ولا خيانة على أحد ^(٦) ، ويسأل أبو الحسن عن الرجل يحلف ، وضميره على غير ما حلف عليه ؟ قال : اليمين على الضمير ^(٧).

سئل أبو عبد الله: عما يجوز ، وما لا يجوز في النية على الإضرار في اليمين ، قال : قد يجوز في موضع ، ولا يجوز في آخر : فأما ما يجوز : فإذا كان مظلوماً ؛ فما حلف عليه ونوى اليمين ، فعلى نيته ، وأما إذا كان ظالماً فاليمين على نية المظلوم ^(٨) ويقول أهل السنة : وإذا أكره الرجلُ على أن يحلفَ ، وإلّا أخذَ له مالٌ كأصحابِ المكسِ ، وظلّمةِ السُّعَاةِ ، وأهلِ الاعتداءِ ، قيل : لا تقيّةَ له في ذلكَ ، وإنّما يدرأُ المرءُ بيمينه عن بدنه لا ماله . وقيل : لا يحنثُ ، وإن درأَ عن ماله ، ولم يخفَ على بدنه وهو الصحيح ، لأنّ المدافعةَ عن المالِ كالمُدافعةِ عن النفسِ ، وقالَ رسولُ الله -ﷺ-: "كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ ، دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعَرِضُهُ" ^(٩). جاءَ رجلٌ إلى رسولِ الله -ﷺ- فقالَ : يَا

-
- (١) بحار الأنوار ج ٧١ ص ١٦ - ١٧. النوري : مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .
 (٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٣ ص ٢٢٥ . البحراني : الحقائق الناضرة ج ٢١ ص ٤٠٩ .
 (٣) العشار : من يأخذ على السلع مكساً . المعجم الوسيط : مادة عشر ص ٦٠٢ .
 (٤) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٣ ص ٢٢٥ . البحراني : الحقائق الناضرة ج ٢١ ص ٤١٠ .
 (٥) الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ١٠٩ . البحراني : الحقائق الناضرة ج ١١ ص ٨٠ .
 (٦) النوري الطبرسي : مستدرک الوسائل ج ٧ ص ٢١١ .
 (٧) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٢١ ص ٤٠٩ . جواهر الكلام ج ٣٢ ص ٢٠٥ . وسائل الشيعة ج ٢٣ ص ٢٤٦ .
 (٨) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٢١ ص ١١٠ . جواهر الكلام ج ٣٢ ص ٢٠٥ . البحار ج ٧٠ ص ٢٠٦ .
 (٩) رواه مسلم : شرح مسلم للنووي ج ١٦ ص ٣٥٧ . البغوي : شرح السنة ج ١٣ ص ١٣٠ .

رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي ؟ قَالَ : " فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ " . قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلَنِي ؟ قَالَ : " قَاتِلْهُ " ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي ؟ قَالَ : " فَأَنْتَ شَهِيدٌ " ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتَهُ ؟ قَالَ : " هُوَ فِي النَّارِ " ^(١) .

وَإِنْ بَدَرَ الْحَالِفُ بِيَمِينِهِ لِلْوَالِي الظَّالِمِ قَبْلَ أَنْ يَسْأَلَهَا ؛ لِيَذُبَّ بِهَا عَمَّا خَافَ عَلَيْهِ مِنْ مَالِهِ وَبَدَنِهِ فَحَلَفَ لَهُ فَإِنَّهَا تَلْزَمُهُ ، وَفِي مَنْ أَخَذَهُ ظَالِمٌ ؛ فَحَلَفَ لَهُ بِالطَّلَاقِ أَلْبَتَّةَ مَنْ غَيْرِ أَنْ يُحْلِفَهُ وَتَرْكُهُ وَهُوَ كَاذِبٌ ، وَإِنَّمَا حَلَفَ خَوْفًا مِنْ ضَرْبِهِ وَقَتْلِهِ وَأَخْذِ مَالِهِ : فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا تَبَرَّعَ بِالْيَمِينِ غَلَبَةَ خَوْفٍ وَرَجَاءِ النِّجَاةِ مِنَ ظُلْمِهِ ؛ فَقَدْ دَخَلَ فِي الْإِكْرَاهِ ، وَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ ، وَإِنْ لَمْ يَحْلِفْ عَلَى رَجَاءِ النِّجَاةِ فَهُوَ حَانِثٌ ^(٢) .

خامساً : ظهور آثار التقديس في حمل الفتاوى الموافقة للعامة على التقية :

كانت ولا زالت التقية باب واسع للخروج من كل قول ، أو حكم ، أو فتوى تخالف المذهب الشيعي ، أو تتناقض مع أحد أصوله ؛ فكثيراً ما تجد أئمتهم يقولون : يحمل هذا على التقية .

ويجاهر الصدوق بالعداوة لنا حتى في فتاوى علمائنا فيقول : " وقد عرفت منا مراراً أن الشهرة الفتوائية كانت بمرتبة من الأهمية عند الشيعة ، بحيث كانوا يطرحون لأجلها الأخبار المخالفة لها ، ويحملونها على التقية ، أو على محامل أخرى ؛ ووجه ذلك : أن اشتهاً الفتوى بين أصحاب الأئمة وبطانتهم ، المطلعين على مذاقهم مما يكشف كشافاً قطعياً عن مرادهم الجدي ، وبالجمله فإن الشهرة في مقام الفتوى ؛ موهنة للأخبار ، وإن كانت مستفيضة ، بل متواترة إجمالاً ، فيجب حملها على التقية ^(٣) .

وفي مواضع كثيرة يقول علمائهم : " يمكن أن يكون ورد مورد التقية ؛ لأنه موافق لمذهب العامة ، أو : إن هذين الحديثين محمولان على التقية ؛ لأنهما خالفاً إجماعنا ، أو يقولون : " الروايتان السابقتان محمولتان على حال التقية ، والخوف ، أو يقولون : " هذه أخبار مورد التقية ؛ لموافقتها لمذاهب العامة ، وفي النهاية يجتمعون ويفتون : بعدم العمل

(١) رواه مسلم : شرح مسلم ج ٢ ص ٥٢٢-٥٢٣ . البغوي : شرح السنة ج ١٠ ص ٢٤٨ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ١٨٠٦ بتصرف .

(٣) الشيخ حسين علي المنتظري : البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر ، تقريراً لأبحاث الحاج آقا حسين الطباطبائي البروجردي ، ط نكين ، نشر مكتبة آية الله العظمى المنتظري - قم ، ط ٣ ، ١٤١٦ هـ - ص ٣٢٥ - ٣٢٦ .

بمذهب العامة ؛ فيقولون بعد ذكر فتاوى العامة : ولسنا نعمل به ؛ وإجماع الفرقة المحقة على خلافه ، وهذا أمر يلحظه من له أدنى اطلاع على كتب الفقه والعقيدة الشيعية ، فلا نطيل الوقت في تحديد مواضعه .

كيف يدعون إلى الوحدة الإسلامية وهم لا يوافقوننا في حكم واحد من أحكام الدين ؟ .

سادساً : ظهور آثار التقديس في جواز فعل وإفتاء بما يرضي المخالفين من باب التقية :

تعتقد الشيعة أن الفتوى المحملة على التقية لا يفتى بها إلا إلى أهل الخلاف ؛ ليوافق مذهبهم ، أما ما وافق قواعدهم فهو ما يجوز أن يفتى به للشيعة ^(١) ، حتى في الأحكام الفرعية مثل : قولهم : ولا يجوز لأحد من أهل الإيمان أن يغسل مخالفاً للحق في أمر الولاية ، ولا يصلي عليه ، إلا أن تدعوه ضرورة إلى ذلك من جهة التقية ، فيغسله تغسيل أهل الخلاف ، ولا يترك معه جريدة ، وإذا صلى عليه لعنه في صلاته، ولم يدع له فيها ^(٢)، حتى وصل الأمر إلى جواز التقية في المجاملات؛ عن الصادق: "عليكم بمجاملة أهل الباطل" ^(٣).

وجوز الرضا: الوضوء على مذهب العامة ؛ إذا حضره عامي ^(٤)، وعن أبي عبد الله: "صلوا في مساجدهم، واغشوا جنائزهم ، وعودوا مرضاهم ، وقولوا لقومكم ما يعرفون ، ولا تقولوا لهم ما لا يعرفون" ^(٥).

وعن الصادق : " ما سمعت مني يشبه قول الناس ؛ فيه التقية ، وما سمعت مني لا يشبه قول الناس ؛ فلا تقية فيه" ^(٦) ، وذلك بسبب غصب الخلافة ، وتوابع هؤلاء الكفرة عليه ، وما بلغ من حال الأئمة ؛ فجلسوا في زاوية التقية، وحث الشيعة على استشعار شعار التقية ، والتدين بما عليه الفرقة الغوية - يقصد أهل السنة - ، حتى كورت شمس الدين النيرة ؛ فلم يعلم من أحكام الدين إلا القليل ، لامتزاج أخباره بأخبار التقية ؛ فصاروا يخالفون بين الأحكام ؛ فتراهم يجيبون في المسألة الواحدة بأجوبة متعددة ؛ مع كونهم لا

(١) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٣ ص ٣١٨.

(٢) الجواهري: جواهر الكلام ج ٤ ص ٨٥. البحراني : الحقائق الناضرة ج ٣ ص ٤٠٩ - ٤١٠.

(٣) الكليني : الروضة من الكافي ج ٨ ص ٦. الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٠٧.

(٤) د السيد ثامر العميدي : التقية في الفكر الإسلامي ص ٨٥.

(٥) الصدوق : الاعتقادات ص ١٠٩. الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٢٧٢.

(٦) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٢٥ ص ٥٦٣. العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٢ ص ٢٨٥.

يحضرهم أحد من المخالفين ، وأحياناً لا يحضرهم أحد من المخالفين ولا الشيعة ؛ وقد يكون بعض الأجوبة لم يقل به أحد من المخالفين ، مما أدى لحيرة الشيعة بين هذه الأحكام أيها يعمل به (١) .

ويعدون من كرامات علمائهم أنه لما دخل هولاءكو ملك المغول بغداد وفعل ما فعل ، هرب أهل الحلة إلا القليل منهم ، وكان من هؤلاء القليل أحد علماء الشيعة ، الذي خاطب السلطان هولاءكو أنهم مطيعون داخلون تحت ولايته ، فحضرُوا إلى السلطان ؛ فألف له العالم الشيعي حديثاً يبشره فيه بعلامات بنصره على المسلمين ، حتى لا يضر أهل الحلة ، ولا يهدم المشهدين الشريفين ، وألف كتاباً سماه البشارة أهداه له ؛ فعينه نقيباً ، وبعدها قام هو والخواجة بإقتاعه بدخول الدين الإسلامي ، ثم طلق امرأته ثلاثاً ، واجمع علماء المذهب على وجوب المحلل ، ولكن العالم أباح له مراجعتها بلا محل ؛ فانتحل التشيع ! (٢)

فهل من الكرامة أن يعين الرافضي التتار على أهل السنة ، ويساعدهم في خراب بغداد عاصمة دولة الخلافة ؟ .

سابعاً : ظهور آثار التقديس في الخلاف في حكم سفك الدماء المحرمة :

ونتساءل : هل يجوز للشيعة أن يقتل سنياً إذا لم يكن هناك تقية ؟ والجواب هناك خلاف بين فقهاء الاثني عشرية ، من ذلك سؤال لأحد مراجعهم وهو : ما الحكم إذا ولى إمام جائر واحداً من الشيعة ، هل يجوز له طاعته في حكمه الجائر ؟ ، كان الجواب : يجوز له حينئذ أن يفعل في حال التقية ما لم يبلغ قتل النفوس ، فأما قتل النفوس ؛ فلا يجوز فيه التقية على أي حال (٣) ، لأن التقية إنما شرعت لحقن الدماء ، أما إذا كان العلم بالتقية منوطاً بإراقة الدماء المحقونة ، فلا غاية موجبة للتقية ، وقد تضافرت الفتاوى ،

(١) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١ ص ٥ .

(٢) الحلي (ت ٧٢٦هـ) : خلاصة الأقوال في معرفة الرجال ، تحقيق : جواد القيومي ، نشر مؤسسة الفقاهة - قم ، ١٤٣١هـ / ١٣٨٨ش ج ١ هامش ص ٧ . الميرزا النوري : خاتمة المستدرک ج ٢ هامش ص ٤١٨ .

(٣) الجواهري النجفي : جواهر الكلام ج ٢١ ص ٣٩٠-٣٩١ . جعفر السبحاني : التقية ص ٤٧ .

والروايات على ذلك ^(١) ، قال الصادق : " التقية في كل شيء ، حتى يبلغ الدم فإذا بلغ الدم فلا تقية " ^(٢) .

وعن الرضا: لا يحل قتل أحد الكفار في دار التقية ، إلا قاتل ، أو باغ ، وذلك إذا لم تحذر على نفسك ^(٣) .

ومع كل هذه النصوص تجد ما يندى له الجبين بين السنة والشيعة : في العراق ، وسوريا ، ولبنان ، والبحرين ، وغيرها من البلاد ؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل .

والقضية أن معظم الذين يتحدثون عن الدماء المحرمة المحترمة عند الشيعة لم يسمعوا من هم أصحاب الدماء المحرمة حتى نعلم من الذي يستحق القتل ؟ .

يكذبون عن أبي عبد الله أنه أجاب عن سؤال: ما تقول في الناصب ؟ قال : حلال الدم ، ولكن أتقي عليك ، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطاً ، أو تغرقه في ماء؛ لكي لا يشهد عليك فافعل ، قيل: وما تقول في ماله؟ قال: أتوه (تضييعه وإفساده) ما قدرت عليه ^(٤) ، وكذلك من شتم علياً قتل ^(٥) .

عن أبي جعفر قيل له : رأيت من جدد الإمام منكم ما حاله ؟ فقال : من جدد إماماً من الله ، وبرئ منه ، ومن دينه : فهو كافر مرتد عن الإسلام ، ودمه مباح في تلك الحال ، إلا أن يرجع ، ويتوب إلى الله مما قال ، ويسأل أبو الحسن عن المنكر وقتله : إنا إذا سمعنا منه ذلك أوليس لي دمه مباح ؛ كما أبيح دم الساب لرسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - والإمام ؟ فقال : نعم ، بلى والله حل دمه ، وأباحه لك ، ومن سمع ذلك منه ^(٦) .

ثامناً : ظهور آثار التقديس : في الإساءة إلى بيت النبي ﷺ :-

(١) د السيد ثامر العميدي : التقية في الفكر الإسلامي ص ١٥٣ .

(٢) الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢٧٤ .

(٣) الجواهري النجفي : جواهر الكلام ج ٢١ ص ١٢ - ١٣ .

(٤) البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٨ ص ١٥٦ - ١٥٧ . الجواهري: جواهر الكلام ج ٢١ ص ١٢ - ١٣ .

(٥) محمد الروحاني : فقه الصادق ج ٢٥ شرح ص ٤٧٦ . الصدوق : علل الشرائع ج ٢ ص ٦٠١ .

(٦) البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٨ ص ١٥٦ - ١٥٧ . الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٥ ص ٤٩ . البحار ج ١٠ ص ٢٢٦ .

قدست الشيعة التقية ، وكفرت من تركها ، حتى لا يتشاركوا مع أعدائهم في أي شيء ، ولا يتساهلوا في مخالفتهم حتى في لبس لباس أعدائهم ، ولا يطعموا مطاعمهم ، ولا يسلكوا مسالكهم ، فيكونون من أعداء الأئمة (١) ، فأدى ذلك إلى تقديس التقية أكثر من نصره أهل البيت أنفسهم فكانت المآسي المتتالية عليهم بسبب التقية من أنصارهم المتخاذلين عن نصرتهم .

فيحلف الصادق بكل ممرارة : وأيم الله لو دعيتم لتنصرونا ؛ لقلتم : لا نفعل ؛ إنما نتقي ، ولكانت التقية أحب إليكم من آباءكم ، وأمهاتكم ، ولو قام القائم ما احتاج إلى مسائلتكم عن ذلك ، ولأقام في كثير منكم من أهل النفاق حد الله (٢) .

واستباحوا الكذب ، فهذا أبو عبد الله يأتيه سائل فيقول : " جعلت فداك يأتينا الرجل من قبلكم يعرف بالكذب (٣) ؛ فيحدث بالحديث فنستبشعه ؟ فقال أبو عبد الله : يقول لك : إني قلت ليل : إنه نهار ، أو للنهار : إنه ليل ، قال : لا ، قال : فإن قال لك هذا أني قلته ؛ فلا تكذب به ؛ فإنك إنما تكذبني " (٤) .

حتى وإن كان الناقل مبتدعاً ؛ فعن الصادق ، وأبي عبد الله : " لا تكذب بحديث أتاكم به مرجئي ، أو قدرتي ، ولا خارجي نسبة إلينا ؛ فإنكم لا تدرون لعله شيء من الحق ؛ فتكذبون الله - ﷻ - فوق عرشه " (٥) .

ويكمل لإلغاء العقل تماماً فيروون عن رسول الله - ﷺ - : " إنما الهالك أن يحدث أحدكم بشيء منه لا يحتمله ؛ فيقول : والله ما كان هذا ، والله ما كان هذا ، والإنكار هو الكفر " (٦) .

(١) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٥ ص ١٤٦ .

(٢) الجواهري : جواهر الكلام ج ٢١ ص ٣٩٢ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٣٥ .

(٣) كيف ذلك وأمير المؤمنين يقول : " إن أمرنا صعب مستصعب : لا يحتمله إلا عبد امتحن الله قلبه للإيمان ، ولا تعي حديثنا إلا صدور أمينة ، وأحلام رزينة . بحار الأنوار ج ٢ ص ٢١٢ . المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٢ ص ٤٢٤ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ٢١١ .

(٥) الشيخ الصدوق : علل الشرائع ص ٣٨٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ٢١٢ .

(٦) بحار الأنوار ج ٢ ص ١٨٩ . علي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ٢٧٢ .

ومن تفضيل علي على رسول الله -ﷺ- بل على الله -ﷻ-: أنه تجوز البراءة من النبي -ﷺ- والنطق بكلمة الكفر تقية، ولكن لا يجوز البراءة من علي -ﷺ- حتى لو أدى ذلك إلى القتل؛ فلا رخصة فيه لقول علي: ستدعون إلى سبي؛ فسبونني، وتدعون إلى البراءة مني فمدوا الرقاب؛ فإني على الفطرة^(١)، فإن من برئ مني فلا دنيا له ولا آخرة^(٢).

نقد هذا الأثر: يبدوا أن الشيعة تساهلوا في حق علي -ﷺ- فعن أبي عبد الله أنه سئل: مد الرقاب أحب إليك أم البراءة من علي -ﷺ- فقال: الرخصة أحب إلي^(٣)، وقيل له: يوشك أن ندعى للبراءة من علي -ﷺ- فكيف نصنع؟ قال: فابراً منه^(٤)، فسئل البراءة أم القتل، فقال: والله ما ذلك عليك^(٥)، وعن الصادق: ولم ينههم عن إظهار البراءة، أباح لهم عند الإكراه^(٦). فالذي برئ فرجل فقيه في دينه، وأما الذي لم يبرأ فقتل؛ فرجل تعجل إلى الجنة^(٧).

تاسعاً: ظهور آثار التقديس في إبطال صلاة الجمعة والجماعات:

تبعاً لتقديس الإمام المنتظر عندهم؛ تركوا الجماعات والجمع لعدم وجود إمام صالح لها، فكان تقديسهم للأئمة أعظم من تقديسهم للصلاة، فتحت عنوان في كثير من كتب الفقه الشيعية مؤداه: القول بحرمة الجمعة في زمان الغيبة، تجد كلاماً وروايات تدل على تحريم الجمعة، وعدم وجوبها إلا في حدود التقية لأهل الخلاف^(٨)، وبناء عليه تجد من يقول: بنفي وجوب الجمعة في زمن الغيبة^(٩)، وبعضهم قال: بوجوبها عيناً في زمان

(١) ضعفه جعفر السبحاني: التقية ص ٤٩. الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٢٨.

(٢) جعفر السبحاني: التقية ص ٤٩. الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٣٢.

(٣) رواية مرسلة عند جعفر السبحاني: التقية ص ٥١. النوري: مستدرک الوسائل ج ١٦ ص ٤٧.

(٤) رواية مرسلة. جعفر السبحاني: التقية ص ٥١. العاملي: وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٣٠.

(٥) موثقة. جعفر السبحاني: التقية ص ٥٢. وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٢٥-٢٢٦. مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢٧١.

(٦) جعفر السبحاني: التقية ص ٥٢. الميرزا النوري: مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢٧١.

(٧) العاملي: وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٢٦. محمد الروحاني: فقه الصادق ج ٧ ص ٣٢٤-٣٢٥.

(٨) موسى الموسوي: الشيعة والتصحيح ص ١٢٧. البحراني: الحقائق الناضرة ج ٩ ص ٤٤٠.

(٩) فقه الرضا ص ١٢.

الغيبة ، ومنهم من يقول : بسقوط تعيينها العيني لسقوط الشروط ؛ وهو الأشهر ، ومنهم من يقول : بالخيار بين صلاة الظهر، وصلاة الجمعة^(١).

ومنهم من يقول : بعدم مشروعية إقامتها مع فقد الإمام الغائب ، ومنهم من يقول : باستحبابها^(٢)، ولذلك فإن الشيعة في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية : يعطلون الجمعة ، ولا يقيمون الجماعة في حسينياتهم^(٣).

يقول الخميني : يلزم على الأخوة الإيرانيين ، والشيعة في سائر البلدان الإسلامية ، أن يتجنبوا الأعمال السقيمة المؤدية إلى تفرقة صفوف المسلمين ، ويلزم الحضور في جماعات أهل السنة ، والابتعاد بشدة عن إقامة صلاة الجماعة في المنازل ، ووضع مكبرات الصوت بشكل غير مألوف ، وعن إلقاء النفس على القبور المطهرة، والأعمال التي قد تكون مخالفة للشرع^(٤).

نقد هذا الأثر: يقول أحد مجيديهم ومصلحيهم : اعتقد جازماً أن فقهاءنا اجتهدوا أمام النص الصريح بسبب واحد ، ألا وهو إيجاد الفارقة بين الصف الإسلامي الكبير ، وحمل الشيعة على عدم التلاحم مع الفرق الإسلامية الأخرى في صلاة يوم الجمعة ، فأنا لا أشك أبداً بأن كثيراً من الروايات وضعت في العصر الأول من الصراع بين الشيعة والتشييع ؛ وذلك كي يمنع الشيعة من الحضور في صلوات الجمعة التي هي في حقيقتها تظاهرة إسلامية كبرى ، وعدم الاختلاط بسائر الفرق الإسلامية والمشاركة معها في شعار الإسلام^(٥).

عاشراً : ظهور آثار التقديس في القول بجواز كتمان العلم :

مع أن الله تعالى حرم كتمان العلم فقال - جل جلاله - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾^(٦) ، وقوله - ﷻ - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا

(١) موسى الموسوي : الشيعة والتصحيح ص ١٢٧.

(٢) محمد صادق الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٢٤٣.

(٣) محمد عبد الرحمن عوض : الشيعة وجذور الكراهية ص ٢٧.

(٤) الشيخ جعفر السبحاني : أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم ص ١١.

(٥) موسى الموسوي : الشيعة والتصحيح ص ١٢٦ - ١٢٧.

(٦) سورة البقرة : آية رقم ١٥٩.

يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ • أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ • ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١﴾ .

يفتري الشيعة على أنمتهم أنهم كانوا يجيزون كتمان العلم في زمن التقية ، فعن أبي عبد الله: كان أبي يفتي في زمن بني أمية عما قتله البازي ، والصقر فهو حلال ، وكان يتقيهم ، وأنا لا أتقيهم ، وهو حرام ما قتل ^(٢) ، وهذا يتبعه اختلاط الأمور على العامة الذين يعتقدون فيهم العلم ^(٣) .

فاستدلوا بذلك على وجوب كتمان العلم عن غير أهله ، لأن الأئمة - كما زعموا - بحثوا فلم يجدوا له أهلاً للحمل ، ولا موضعاً للحفظ ؛ فحفظه الأئمة في صدورهم ! ^(٤) ، فأين علوم الأئمة إذا ؟ .

حادي عشر : ظهور آثار التقديس في وقوعهم في فخ التناقض في كثير من المسائل ويعترفون أئمة السبب:

نظراً لتقديس التقية ، وتقديس أقوال الأئمة ، تعارض التقديسان ، فلما تعارضا ظهر عوار المذهب فانظر معي إلى عدة أمثلة تبين هذه الطامة التي تزلزل كل ذي عقل سليم من الشيعة إن تدبرها :

قال أحد أصحاب أبي جعفر : سألته عن مسألة فأجابني ، ثم جاءه رجل فأجابه بخلاف ما أجابني ، ثم جاءه رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي ، فلما خرج الرجلان ، سأل الرواي أبا جعفر فقال : إن هذا خير لنا ، وأبقى لكم ، ولو اجتمعتم على أمر واحد ؛ لصدقكم الناس علينا ، ولكان أقل لبائنا وبقائكم ، فقال فقال : شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة ، أو النار ؛ لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين ، فأجاب بنفس الإجابة ^(٥) ،

(١) سورة البقرة : آية رقم ١٧٤ - ١٧٦ .

(٢) الجواهري : جواهر الكلام ج ٣٦ ص ١٠ .

(٣) الشيخ محمد منظور نعماني : الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام ص ١٨٦ .

(٤) المازندراني : شرح الكافي ج ٧ ص ١٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ٦٤ .

(٥) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١١٩ . الصدوق : علل الشرائع ص ٣٨٨ . بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

فلماذا التقية مع الشيعي ؟ وهل يحكم عليه بقول الصادق : الرياء مع المنافق في داره عباده ، ومع المؤمن شرك^(١) ، فهل يجرؤ الشيعة على اتهام أبي جعفر بالشرك ؟ ! .
وعن أبي الحسن حين سئل عن اختلاف أصحابه قال : اختلاف أصحابي لكم رحمة ، أنا فعلت ذلك بكم ؛ لو اجتمعتم على أمر واحد لأخذ بركابكم^(٢).

وعن أبي عبد الله أن رجلاً سألته : ربما دخلت المسجد وبعض أصحابنا يصلي العصر ، وبعضهم يصلي الظهر ؟ فقال : أنا أمرتهم بهذا ، لو صلوا على وقت واحد ؛ لعرفوا ؛ فأخذوا بركابهم^(٣). مع أن الصلاتين أربع ركعات ، وهما سريتان ، فلماذا التقية ، والسؤال المحير : كيف عرف أنهم يصلون الظهر أم العصر ؟.

ولما اعترض بعض الشيعة على اختلاف الشيعة في المواقيت ؛ يفترون أن الصادق اعترف لهم قائلاً : أنا خالفت بينهم^(٤).

واشتكى بعض الشيعة لأبي عبد الله قائلاً - وهو يتألم لفرقتهم واختلافهم - : إنه ليس شيء أشد علي من اختلاف أصحابنا ؛ فقال : ذلك من قبلي^(٥) .

فماذا يفعل الشيعي إذا سمع هذين الحديثين : الأول عن الصادق : من توضأ ثلاثاً ثلاثاً فلا صلاة له ، وعنه أيضاً : توضأ مثني مثني ، ولا تزيد عليه ، فإنك إن زدت عليه ، فلا صلاة لك^(٦) .

وإذا رأى التناقض بين قول أبي عبد الله : من صلى في غير وقت فلا صلاة له ، وقول أبي جعفر : لأن أصلي بعد ما مضى الوقت أحب إلي^(٧) . وبين قول أبي عبد الله : صلاة الرجل في منزله جماعة تعدل أربعاً وعشرين صلاة ، وبين قوله : اشتكت المساجد إلى الله

(١) بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٤٢١ . الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الأمامية ص ١٠٩ .

(٢) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١ ص ٧ . الصدوق : علل الشرائع ص ٣٨٨ .

(٣) الجواهري : جواهر الكلام ج ٧ ص ١٦٣ . الصدوق : علل الشرائع ص ٣٨٨ . العاملي : وسائل الشيعة ج ٤ ص ١٣٧ .

(٤) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١ ص ٧ ، ج ٦ ص ١٤٣ .

(٥) البحراني : الحقائق الناضرة ج ١ ص ٧ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٣ ص ١٥٧ .

(٦) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٢ ص ٢٧٢ . الجواهري : جواهر الكلام ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٧) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٦ ص ٢٨٣ . الجواهري : جواهر الكلام ج ٧ ص ٢٧٥ .

تعالى الذين لا يشهدونها، فأوحى الله إليها : وعزتي وجلالي لا قبلت لهم صلاة واحدة ، ولا نالتهم رحمتي ^(١) .

وبين قولهم : التسبيح في الركوع فريضة من تركه عمداً ؛ فلا صلاة له ، وبين إجابة أبي عبد الله حين سئل : أيجزئ عني أن أقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله في الركوع ، والسجود مكان التسبيح ، قال : نعم ^(٢) .

نقد هذا الأثر : انظر إلى صراحة هذا الأخبار في اختلاف أجوبته في مسألة واحدة ، في مجلس واحد، أمام راو واحد، و تعجب الراوي ، ولو كان الاختلاف إنما وقع لموافقة العامة ؛ لكفى جواب واحد بما هم عليه، ولعل السر في ذلك : أن الشيعة إذا خرجوا عنهم مختلفين ، كل ينقل عن إمامه خلاف ما ينقله الآخر ؛ سخف مذهبهم في نظر العامة، وكذبوهم في نقلهم، ونسبوهم إلى الجهل وعدم الدين ، وهانوا في نظرهم، بخلاف ما إذا اتفقت كلمتهم ، وتعاضدت مقالاتهم، فإنهم يصدقونهم، ويشدد بغضهم لهم ولإمامهم، ومذهبهم، ويصير ذلك سبباً لثوران العداوة ^(٣) .

وكيف يكذبون الفرق الأخرى وهم يروون عن أبي عبد الله : لا تكذبوا بحديث أتاكم به أحد، وهناك تساهل أكبر مع العلم بما يخالف ما نقل عنهم عن أبي الحسن : ولا تقل لما بلغك عنا ، أو نسب إلينا : هذا باطل، وإن كنت تعرف خلافه ؛ فإنك لا تدري لم قلنا ، وعلى أي وجه ، وصفة ^(٤) .

ويتعاضم التسامح في ما لم يخطر ببال أحد فيسأل أبو عبد الله : إن الرجل ليأتينا من قبلك فيخبرنا عنك بالعظيم من الأمر ؛ فتضيق بذلك صدورنا ؛ حتى نكذبه ، فقال : أليس عني يحدثكم ؟ قال : بلى ، قال : فيقول الليل إنه نهار ؟ وللنهار إنه ليل ؟ قال : لا ، قال : رده إلينا فإنك إن كذبت فإنما تكذبنا ^(٥) ، فلا يضيق صدرك من الذي أمرك أبي ، وأمرتك به ، أو ورد الأمر به عنمن قبلنا من الأئمة ، بخلاف ما أمرناك به ، فلا والله ما أمرناك ، ولا أمرناه ، إلا بأمر وسعنا ، ووسعكم الأخذ به ، ولكل ذلك تصاريف ومعان توافق الحق ؛

(١) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٧ ص ٣٢٧ - ٣٢٨ . بحار الأنوار ج ٨٣ ص ٣٦٧ - ٣٦٨ .

(٢) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٨ ص ٢٤٦ . الجواهري : جواهر الكلام ج ١٠ ص ٩١ - ٩٢ .

(٣) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١ ص ٦ .

(٤) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٥٨٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ١٨٦ .

(٥) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٥٨١ - ٥٨٢ .

فردوا إلينا الأمر وسلموا لنا ، واصبوا لأحكامنا ، وارضوا بها ، والراعي الذي فرق بينكم ، هو أعرف بمصلحة غنمه ، إن شاء فرق بينها لتسلم ، ثم يجمع بينها ؛ ليأمن من فسادها ، وخوف عدوها ^(١).

ولكن أبا عبد الله يعطينا ما يعصمنا فيقول : اتقوا الله ، ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا ، وسنة نبينا ﷺ - ؛ فإننا إن تحدثنا حدثنا بما وافق القرآن والسنة ، إنا عن الله وعن رسوله نتحدث ، فلا نحدث عن فلان وفلان ، فيتناقض كلامنا ^(٢) .

ثاني عشر : ظهور آثار التقديس في تقديس أقوال شراح فتاوى آل البيت :

ومن أهم آثار التقية : وجوب الرجوع في معظم الفتاوى المنسوبة لأهل البيت إلى أقوال علماء المذهب ؛ حتى يستطيعوا أن يوجهوا الروايات ، ويفرقوا بين ما قيل لأجل العمل به عند الشيعة ، وما قيل لأجل التقية والضرورة . وبذلك يبقى العلم محجوراً على أقول علماء الشيعة الذين يحكمون على الروايات ؛ والتي تعد عندهم معصومة لا يجوز العمل بخلافها ، ولكن حينما يقول الشارح أنه من باب التقية ، أو السهو ، أو النسيان ، أو الضرورة ؛ أوقف العمل بقول الإمام المعصوم ؛ بناء على قول عالم ليس بمعصوم ؛ قال بخلاف ظاهر قول الإمام ، فوا عجباً على عقول تسلم لعقول مساوية لها في عدم العصمة!

ويرد أحدهم رداً يجعل المذنبين من علماء الشيعة حكماً على المعصومين من أئمتهم فيقول : لعلك لاحظت أن الاختلاف بين جمهور علماء الشيعة كان بسبب تقية الأئمة ؛ ومن هنا دخلت الشبهة على جمهور متأخريهم ، فظنوا هذا الاختلاف إنما نشأ من دس أخبار الكذب فيها ، فوضعوا مصطلح : الترجيح بين الأخبار بالتقية بعد العرض على الكتاب العزيز ؛ ليميزوا بين صحيحها وسقيمها ، وصدور أجوبة متعددة في المسألة الواحدة من الأئمة ؛ لئلا يثبت عليهم قول واحد ، وليكون كثير من الأحكام مفوضة إليهم على الخصوص ، كما كانت مفوضة لرسول الله ﷺ - وليسلم المسلم لأمرهم لا غير ، وهذا لا

(١) علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ١٥٧ .

(٢) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١ ص ٩ - ١٠ بتصرف .

يرد كون الأحاديث قد دست عليهم من قبل : فطحي، أو واقفي^(١)، أو زيدي، أو عامي، أو كذاب، أو غال، ونحوهم من بعض كذابي الشيعة^(٢).

ثالث عشر : ظهور آثار التقديس في اعتقاد إيمان أبي طالب ، وجميع آباء النبي -ﷺ- :

تعتقد الشيعة الاثنا عشرية أن آباء النبي -ﷺ- مسلمون من آدم إلى أبيه عبد الله ، وأن أبا طالب كان مسلماً ، وأمه آمنة كانت مسلمة ، وأن عبد المطلب كان حجة ، وأبا طالب كان وصيه ، وقيل : العكس^(٣)، وكان أبو طالب يظهر الشرك ، ويستتر الإيمان ؛ ليكون أشد تمكناً من نصرة رسول الله -ﷺ-^(٤) .

عن أبي عبد الله: نزل جبرئيل -عليه السلام- على النبي -ﷺ- فقال : يا محمد ، إن ربك يقرئك السلام ، ويقول : إني حرمت النار على صلب أنزلك ، وبطن حملك ، وحجر كفلك ، فالصلب أبيك عبد الله ، والبطن آمنة بنت وهب ، وأما الحجر أبي طالب وفاطمة بنت أسد^(٥) ، وثدي أَرْضَعْتِك : حليلة بنت أبي ذؤيب^(٦) .

ويخصون بمزيد من التأكيد جده ، فيروون عن أبي عبد الله: يحشر عبد المطلب يوم القيامة أمة واحدة ، عليه سيماء الأنبياء ، وهيبة الملوك^(٧).

لكنهم يثمنون دور أبي طالب ويعلمون إيمانه من غير تقية ، وهتفوا بذلك في أجيالهم ، وأدوارهم ، بملء الأفواه ، وبكل صراحة ، وجبهوا من خالفهم^(٨) ، هذا الإيمان الذي أخفاه حتى آخر لحظات حياته تقية ، فيروون: إن أبا طالب أظهر الشرك، وأسر الإيمان^(٩)، وآمن

(١) هناك تناقض فعن أبو عبد الله : لا تكذبوا بحديث أتاكم به مرجئي ، ولا قدرني ، ولا خارجي نسبة إلينا ؛ فإنكم لا تدرون لعله شيء من الحق ؛ فتكذبوا الله فوق عرشه. الصدوق : علل الشرائع ص ٣٨٧ . بحار الأنوار ج ٢ ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(٢) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة ج ١ ص ٨ بتصرف .

(٣) الصدوق : الاعتقادات ص ١١٠ . المفيد : أوائل المقالات ص ٤٥ - ٤٦ . بحار الأنوار ج ١ ص ١١٧ .

(٤) الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ١٧٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٨ هامش ص ١٨١ .

(٥) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٥١٨ . الشيخ الصدوق : الأمالي ص ٤٣٣ .

(٦) الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ٢٥٦ . بحار الأنوار ج ٣٥ ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٧) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٥١٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٥ ص ١٥٧ .

(٨) الشيخ الأميني : الغدير ج ٧ ص ٤١٠ .

(٩) الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٢٧١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٨١ .

بحساب الجمل^(١)، بكل لسان^(٢)، فاتاه الله أجرهم مرتين^(٣)، لو وضع إيمانه في كفة، وإيمان الخلائق في الكفة الأخرى، لرجح إيمانه^(٤)، فمن زعم أن أبا طالب كان كافراً؟ كذبوا^(٥).

وعن أبي ذر -رضي الله عنه- : والله الذي لا إله إلا هو، ما مات أبو طالب حتى أسلم بلسان الحبشة، وقال لرسول الله -ﷺ- : أتفقه الحبشة، قال : يا عم إن الله علمني جميع الكلام، قال : يا محمد، { اسدن لمصافا قاطالاها }، يعني : أشهد مخلصاً : لا إله إلا الله، فبكى رسول الله -ﷺ-^(٦)، ويمكن حمل هذا الخبر على أنه أظهر الإسلام بلغة أخرى أيضاً في مواطن أخرى^(٧).

ويزعمون أن سبب هذه السرية : كانت ضرورة لابد منها ؛ لأن الدعوة كانت بحاجة إلى شخصيات اجتماعية قوية تدعمها، وتحافظ على قائدها ؛ شرط ألا تكون طرفاً في النزاع، فتتكلم من مركز القوة ؛ لتتمكن الدعوة من الحركة، مع عدم مواجهة ضغط كبير يشل حركتها، ويحد من فاعليتها^(٨)، وما كانت حاجة من أبي طالب مسيئة عند الموت إلى التلطف بتينك الكلمتين اللتين كرس حياته الثمينة بالهتاف بمفادهما في شعره، ونثره، والدعوة إليهما، والذب عن صدع بهما، ومعاناة الأهوال دونهما، حتى يومه الأخير، ما كانت حاجة مسيئة عندئذ إلى التفوه بهما كأمر مستجد، فمتى كفر؟^(٩).

(١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٥٢١. المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٧٨.

(٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٥٢١. المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٧٨.

(٣) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٥٢٠. المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٧٧-٧٨.

(٤) الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ٨ ص ٧٠. بحار الأنوار ج ٣٥ ص ١٥٦-١٥٧.

(٥) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٥٢٠. المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ١٣٦.

(٦) مولى المازندراني : شرح الكافي ج ٧ ص ١٨١. المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٧٨.

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٧٨. الشيخ الأميني : الغدير ج ٧ ص ٤١٠.

(٨) جعفر مرتضى العاملي : الصحيح من سيرة النبي الأعظم ج ٣ ص ٢٥٧. محمد رضا الطبسي النجفي (ت ١٤٠٥ هـ) : منية الراغب في إيمان أبي طالب، تحقيق : محمد جعفر الطبسي، ط مؤسسة بوستان كتاب- قم، نشر مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، ط ٢، ١٤٢٨ هـ / ١٣٨٦ ش هامش ص ١٠.

(٩) الشيخ الأميني : الغدير ج ٧ ص ٤١١.

ولكن ما هو السبب الذي من أجله ظهر القول بكفر أبي طالب ، وإنه في ضحضاح من نار ؟ الجواب أن زعمت الشيعة : كان أمير المؤمنين -عليه السلام- يعلن بنفاق أبي سفيان -عليه السلام- ، فشكا معاوية -عليه السلام- ذلك إلى بعض بني أمية ، وبني مروان ؛ فقالوا له : إن إسلام أبيه أخفى من نفاق أبيه ، فأظهر كفره ، فجعل يقول : ألا إن أبا طالب مات كافراً ، وأمر الناس بذلك فصارت سنة ، بغضاً وحسداً منهم لفارس المسلمين ^(١) .

نقد هذا الأثر: حماية أبي طالب للنبي -عليه السلام- لا خلاف عليها ^(٢) ، وثبت بالدليل إن أبا طالب مات مشركاً ^(٣) ، وحظي بشفاعته النبي -عليه السلام- في تخفيف العذاب عنه ، وإنه أهون أهل النار عذاباً ^(٤) ،

(١) محمد رضا الطوسي النجفي : منية الراغب في إيمان أبي طالب ص ٩ - ١٠ .

(٢) يقول ابن كثير: وخالفه في ذلك عمه أبو طالب ، وكان رسول الله -عليه السلام- أحب خلق الله إليه طبعاً ، وكان يحنو عليه ، ويحسن إليه ، ويدافع عنه ، ويخالف قومه في ذلك ، مع أنه على دينهم ، إلا أن الله تعالى قد امتحن قلبه بحبه حباً طبعياً لا شرعياً ، وكان استمراره على دين قومه من حكمة الله تعالى ، ومما صنعه لرسوله من الحماية ، إذ لو كان أسلم أبو طالب لما كان له عند مشركي قريش وجاهة وكلمة ، ولما كانوا يهابونه ويحترمونه ، ولا جترعوا عليه ، ولمدوا أيديهم ، وألسنتهم بالسوء إليه ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، وقد قسم خلقه أنوعاً وأجناساً . فهذان العمان كافران أبو طالب وأبو لهب ، ولكن هذا يكون في القيامة في ضحضاح من نار ، وذلك في الدرك الأسفل من النار ، وأنزل الله فيه سورة في كتابه تتلى على المنابر ، وتقرأ في الموعظ والخطب ، أنه سيصلى ناراً ذات لهب ، وأمرأته حمالة الحطب . البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٤٤ .

(٣) قال رسول الله -عليه السلام- لأبي طالب: " يا عم ، قل : لا إله إلا الله ، كلمة أشهد لك بها عند الله فلم يزل رسول الله -عليه السلام- يعرضها عليه ، حتى قال أبو طالب : هو على ملة عبد المطلب ، وأبى أن يقول : لا إله إلا الله ؛ فقال رسول الله -عليه السلام- : «أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ . { التوبة : ١١٣ } ، وأنزل الله تعالى في أبي طالب : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ . { القصص : ٥٦ } . متفق عليه : فتح الباري ج ٣ ص ٢٥٣ . شرح صحيح مسلم

ج ١ ص ٣٢٧-٣٢٨ . الطبراني : المعجم الكبير ج ٢٠ ص ٣٤٩ .

(٤) قال العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - للنبي -عليه السلام- : ما أغنيت عن عمك ، فإنه كان يحوطك ويغضب لك ؟ قال : «هو في ضحضاح من نار ، ولو أنا لكان في الدرك الأسفل من النار» رواه البخاري : فتح الباري ج ٧ ص ٢٢٢ . الطبراني : المعجم الكبير ج ٢٣ ص ٤٠٥ . وعن ابن عباس ، أن رسول

وإن أبا النبي -ﷺ- في النار ^(١) ، وأن الله -ﷻ- لم يأذن له في الشفاعة لأمه ^(٢) .
وهذا لا ينقص من قدر النبي -ﷺ- بل هذا من البلاء الذي ابتلي به رسول الله ليرفع الله درجاته .

المبحث الخامس موقف أهل السنة من التقية

قلما نجد من علماء أهل السنة من يفرد للحديث عن التقية باباً خاصاً ، ولكن الفقهاء يذكرون الكلام عنها في أبواب الإكراه ، وأحكام الأسير ، وعلماء أصول الفقه يتعرضون للكلام عنها في أبواب الرخصة ، والعزيمة ^(٣) ، أو أبواب عوارض الأهلية ^(٤) ، أما علماء التفسير والحديث فيتحدثون عنها : في معرض الكلام عن تفسير وشرح الأحاديث التي تتناول المعاني التي تقترب من مفهوم التقية ؛ ولذلك نجد كثيراً من علماء أهل السنة يتحدثون عن التقية بدون ذكر تعريف لها وقد يعرفها بعضهم بتعريفات لا تتسم بالجمع والمنع .

الله -ﷻ- قَالَ: «أَهْلُونَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ» مسلم . النووي : شرح صحيح مسلم ج ٣ ص ٨٤ - ٨٦ .

(١) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ قَالَ: جَاءَ حُصَيْنٌ إِلَى النَّبِيِّ -ﷺ- قَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا كَانَ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيَقْرِي الضَّيْفَ مَاتَ قَبْلَكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «إِنَّ أَبِي وَأَبَاكَ فِي النَّارِ» ، فَمَا مَضَتْ عَشْرُونَ لَيْلَةً حَتَّى مَاتَ مُشْرِكًا . الطبراني : المعجم الكبير ج ٤ ص ٢٧ - ٢٨ . النووي : شرح مسلم ج ٣ ص ٧٩ .

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ: زَارَ النَّبِيُّ -ﷺ- قَبْرَ أُمِّهِ ، فَبَكَى وَأَبَكَى مِنْ حَوْلِهِ ، فَقَالَ : «اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفَرَ لَهَا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي ، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا فَأُذِنَ لِي ، فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تَذَكَّرُ الْمَوْتَ» . الطبراني : المعجم الكبير ج ٥ ص ٨٢ . النووي : شرح مسلم ج ٧ ص ٤٩ - ٥١ . البغوي :

شرح السنة ج ٥ ص ٤٦٣ .

(٣) العزيمة : ما شرعه الله أصالة من الأحكام العامة التي لا تختص بحال دون حال ، ولا بمكلف دون مكلف ، وغير متعلق بالعوارض . د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ص ١٤٢ . أيمن موسى : غاية المأمول ص ١٧٥ .

(٤) عوارض الأهلية : مثل الجنون ، والنوم ، والإغماء ، والطفولة ، والسفه ، والغفلة ، والدين . وهي تجعل عمل العامل لا يترتب عليه آثارا شرعية في حكم الشرع . انظر د عبد الوهاب خلاف : علم أصول الفقه ص ١٦١ - ١٦٢ .

أولاً : تعريف التقية : يعرفها السرخسي^(١) : " أن يقي نفسه من العقوبة بما يظهره ، وإن كان يضر خلافه"^(٢).

ويعرفها بعض مفسري السنة: محافظة النفس، أو العرض ، أو المال من شر الأعداء ، سواء كان العداء لأجل اختلاف الدين ، أو لأغراض دنيوية^(٣). ويعرفها ابن حجر^(٤) : " الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد ، وغيره للغير"^(٥)، قال ابن مسعود: "مَا مِنْ كَلَامٍ أَتَكَلَّمُ بِهِ لَدِي سُلْطَانٍ أَدْرَأُ عَنِّي مِنْهُ ضَرْبَتَيْنِ بِالسَّوْطِ إِلَّا كُنْتُ مُتَكَلِّمًا بِهِ"^(٦).

ثانياً : أقسام التقية عند أهل السنة : القسم الأول : ما يوجب الهجرة : والعمدة في هذا القسم والذي يليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^(٧).

وهي بهذا المعنى تعني التقية حتى يتم له الخروج ؛ فكل مؤمن وقع في محل لا يمكن له أن يظهر دينه ؛ لتعرض المخالفين له ، وجب عليه الهجرة - إذا استطاع - إلى محل يقدر

(١) محمد بن رضي الدين السرخسي ، فقيه حنفي ، سكن حلب ، ودمشق ، وتوفي بها ٥٧١هـ .
الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ٢٤ .

(٢) محمد بن رضي الدين السرخسي : المبسوط ج ٢٤ ص ٤٥ .

(٣) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : محود شكري الألوسي البغدادي ، ط دار إحياء التراث العربي - بيروت ، دت ج ٣ ص ١٢١ . الروحاني : فقه الصادق ج ٧ ص ٣٠٤ .

(٤) ابن حجر : أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، أصل عائلته من عسقلان ، ومولده ، ووفاته بالقاهرة ، ولد ٧٧٣هـ ، وتوفي ٨٥٢هـ ، صاحب فتح الباري . الزركلي : الأعلام ج ١ ص ١٧٨ .

(٥) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ١٢ ص ٣١٤ .

(٦) الطبراني : المعجم الكبير ج ٩ ص ١٧١ . ابن أبي شيبة : المصنف ج ٧ ص ٦٤٣ .

(٧) سورة النساء : آيات رقم ٩٧ - ١٠٠ .

فيه على إظهار دينه ، ولا يجوز له أن يبقى بهذا المحل ، ويخفي دينه ، ويتشبث بعذر الاستضعاف ؛ فإن أرض الله -ﷻ- واسعة .

نعم إن كان ممن لهم عذر شرعي في ترك الهجرة كالصبيان ، والنساء ، والعميان ، والمحبوسين ، والذين يخوفهم المخالفون بالقتل ، أو قتل الأولاد ، أو الآباء ، أو الأمهات ؛ فإنه يجوز له المكث مع المخالف ، والموافقة بقدر الضرورة ، ويجب عليه أن يسعى في الحيلة للخروج والفرار بدينه ، ولو كان التخويف بفوات المنفعة ، أو بلحوق المشقة التي يمكنه تحملها كالحبس مع القوت ، والضرب القليل الغير المهلك : لا يجوز له موافقتهم ، وفي صورة الجواز أيضاً موافقتهم رخصة ، وإظهار مذهبه عزيمة ، فلو تلفت نفسه لذلك فإنه شهيد قطعاً ، ودليلاً قصة حبيب بن زيد الأنصاري^(١) :

لما قال له مسيلمة الكذاب^(٢) : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال : أتشهد أني رسول الله ؟ فقال : لا أسمع ، فلم يزل يقطعه إرباً إرباً ، وهو ثابت على ذلك ، حتى مات في يديه^(٣).

القسم الثاني : ما فيه خلاف في وجوب الهجرة : اختلف العلماء في وجوب الهجرة ، وعدمه فيه ، فقال بعضهم : تجب لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تُقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾^(٤) ، وبدليل النهي عن إضاعة المال ، وقال قوم : لا تجب إذ الهجرة عن ذلك المقام مصلحة من المصالح الدنيوية ، ولا يعود من تركها نقصان في الدين ؛ لاتحاد الملة ، وعدوه القوي المؤمن لا يتعرض له بالسوء من حيث هو مؤمن ، وقال بعضهم : الحق أن الهجرة هنا قد تجب أيضاً

(١) حبيب بن زيد بن عمرو بن عاصم بن عمرو المازني النجاري : شهد العقبة ، قتله مسيلمة الكذاب في حروب الردة حوالي ١٢هـ . أبو نعيم : حلية الأولياء ج ١ ص ٣٥٦ . وله : معرفة الصحابة ج ٢ ص ٨٢٨ .

(٢) مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب : الحنفي الوائلي ، أبو ثمامة ، وقيل : اسمه (هارون) ، ومسيلمة لقبه ، ويقال : (مسلمة) وصغره المسلمون تحقيراً له ، متنبئ ، من المعمرين . ولد ونشأ باليمامة ، وعرف برحمان اليمامة ، ولما ظهر الإسلام كتب مسيلمة إلى النبي -ﷺ- ليشرکه في النبوة سنة ١٠هـ ، وأكثر مسيلمة من وضع أسجاع يضاهي بها القرآن ، فلما انتظم الأمر لأبي بكر ، انتدب له (خالد بن الوليد) على رأس جيش قوي ، هاجم ديارهم ، فظفر خالد ، وقتل مسيلمة سنة ١٢هـ . الزركلي : الأعلام ج ٧ ص ٢٢٦ .

(٣) محمد علي الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٨ .

(٤) سورة البقرة : آية رقم ١٩٥ .

: إذا خاف هلاك نفسه، أو أقاربه ، أو هتك حرمة بالإفراط ، ولكن ليست عبادة ، وقربة حتى يترتب عليها الثواب ؛ فإن وجوبها لمحض مصلحة دنيوية لذلك المهاجر لا لإصلاح الدين ؛ ليرتب عليها الثواب ، وليس كل واجب يثاب عليه؛ لأن التحقيق أن كل واجب لا يكون عبادة بل كثير من الواجبات ما لا يترتب عليه ثواب ، كالأكل عند شدة المجاعة ، والاحتراز عن المضرات المعلومّة ، أو المظنونة في المرض ، وعن تناول السموم في حال الصحة ؛ وغير ذلك ، وهذه الهجرة أيضا من هذا القبيل ، وليست هي كالهجرة إلى الله تعالى ورسوله -ﷺ- ؛ لتكون مستوجبة بفضل الله -ﷻ- لثواب الآخرة، وعد قوم من باب التقية مداراة الكفار ، والفسقة ، والظلمة ، وإلانة الكلام لهم ، والتبسم في وجوههم ، والانبساط معهم ، وإعطائهم لكف أذاهم ، وقطع لسانهم ، وصيانة العرض منهم ، ولا يعد ذلك من باب الموالاتة المنهي عنها، بل هي سنة، وأمر مشروع ^(١) بشرط عدم رضا القلب بذلك، أو موافقتهم في عباداتهم .

حكم التقية عند أهل السنة والجماعة: يظن كثير من الناس أن التقية عيب في حق من تخلق بها ، ولكننا نرى أن التقية إذا توفرت فيها الشروط والأركان لم تكن نقصاً على الإطلاق .
ويذهب جمهور أهل السنة إلى أن الأصل في التقية هو الحظر، وجوازها ضرورة ، فتباح بقدر الضرورة ، مع خوف القتل ، أو القطع ، أو الإيذاء العظيم ^(٢) ، والأفضل ألا يفعل ^(٣) .
قيل لأحد أئمة أهل السنة : إن عرضت على السيف تجيب ؟ قال : لا ، إذا أجاب العالم تقية ، والجاهل يجهل ، فمتى يتبين الحق ^(٤) ، وذلك لقوله تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ

(١) شهاب الدين الألوسي : تفسير روح المعاني ج ٣ ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٢) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٦٦٥ . أبو الفرج بن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ط المکتب الإسلامي، دار ابن حزم - بيروت ، ط ١، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ص ١٨٧ .

(٣) يقول أبو الفرج : الإكراه على كلمة الكفر يبيح النطق بها ، وعن أحمد روايتان : إحداهما : أنه يخاف على نفسه . والثانية : أن التخويف لا يكون إكراها حتى ينال بعذاب ، فالأفضل ألا يفعل ، نص عليه أحمد ، في أسير خير بين القتل، وشرب الخمر، فقال: إن صبر على القتل فله الشرف ، وإن لم يصبر، فله الرخصة ، فإن أكره على الطلاق ، لم يقع ، نص عليه أحمد ، وهو قول مالك ، والشافعي ، وخالف أبو حنيفة : وقال يقع لأن رضا القلب عنده يختلف عن الاختيار الظاهري . زاد المسير في علم التفسير ص ٧٩٦ - ٧٩٧ .

(٤) القائل الإمام أحمد - رحمه الله - . أبو الفرج بن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير ص ١٨٧ .

﴿١﴾ ، وقوله تعالى : ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢).

وقوله -ﷺ- حين عذب المشركون آل ياسر ؛ فقتلوا ياسراً وزوجته سمية ، وكادوا أن يقتلوا عماراً -ﷺ- ؛ فأعطاهم عمار ما أرادوا بلسانه مكرهاً ؛ فشكا ذلك إلى رسول الله -ﷺ- فقال له رسول الله -ﷺ- كيف تجد قلبك ؟ قال : مطمئن بالإيمان ، فقال رسول الله -ﷺ- : فإن عادوا فعد ؛ وقد أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر ، حتى خشي على نفسه القتل ، أنه لا إثم عليه إن كفر ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولا تبين منه زوجته ، ولا يحكم عليه بحكم الكفر (٣).

إذن التقية : " أن يقي الإنسان نفسه بما يظهره ، وإن كان يضر خلافه ، وقد كان بعض الناس يأبى ذلك ، ويقول : إنه من النفاق الصحيح (٤) ، ولكن الصحيح أن إجراء كلمة الشرك على اللسان مكرهاً ، مع طمأنينة القلب بالإيمان من باب التقية ، إن لم يمكنه التورية ؛ ولم يشايعوه على كفرهم ، ولا أن يعينوهم على مسلم بفعل أو بقول (٥). فإن ذلك جائز ، ولا يترتب عليه آثاراً شرعية .

فَيَجُوزُ إِظْهَارُ الْمُوَالَاةِ بِاللَّفْظِ ، وَالْفِعْلِ دُونَ مَا يَنْعَقِدُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالضَّمِيرُ ، وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -ﷺ- : التَّقِيَةُ الْمُشَارُ إِلَيْهَا مُدَارَاةٌ ظَاهِرَةٌ ، وَقَالَ : يَكُونُ مَعَ الْكُفَّارِ أَوْ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ ، فَيَتَّقِيهِمْ بِلِسَانِهِ ، وَلَا مَوَدَّةَ لَهُمْ فِي قَلْبِهِ . وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : خَالَطُوا النَّاسَ ، وَزَالُواهُمْ ، وَعَامِلُوهُمْ بِمَا يَشْتَهُونَ ، وَدِينُكُمْ فَلَا تَتْلُمُوهُ . وَقَالَ الصَّادِقُ - رحمه الله - : التَّقِيَةُ وَاجِبَةٌ ، إِنِّي لَأَسْمَعُ الرَّجُلَ فِي الْمَسْجِدِ يَشْتُمُنِي فَأَسْتَتِرُ مِنْهُ بِالسَّارِيَةِ لِنَا يَرَانِي ، وَقَالَ : الرِّيَاءُ مَعَ الْمُؤْمِنِ شِرْكٌ ، وَمَعَ الْمُنَافِقِ عِبَادَةٌ (٦).

(١) سورة آل عمران : آية رقم ٢٨ .

(٢) سورة النحل : آية رقم ١٠٦ .

(٣) الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ١٨٠٣ .

(٤) الإمام ابن حجر : فتح الباري ج ١٢ ص ٣١٤ .

(٥) الإمام ابن جرير الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ج ٣ ص ٢٢٨ .

(٦) أبي حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ج ٢ ص ٤٤١-٤٤٢ .

واعلم أن التقية سبب للنجاة ، لكنها لا تغير من قدر الله شيئاً ؛ فقد سئل رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- :
يا رَسُولَ اللَّهِ ، أَرَأَيْتَ رُقِيَ نَسْتَرَقِيهَا ، وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ ، وَتَقَاةً نَتَقِيهَا ، هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ
اللَّهِ شَيْئاً ؟ قَالَ -ﷺ- : " هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ " (١).

ولذلك من المتفق عليه: أن ترك التقية هو الأفضل والأولى للمؤمن ، وأن يثبت المسلم
على دينه ، ولو أفضى إلى قتله ، وذلك بأدلة كثيرة منها : جاء عن بلال -رضي الله عنه- حين أظهر
الإسلام مع جماعة من المؤمنين : " أَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ ، فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ
الْحَدِيدِ ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلَّا وَقَدَّ وَاتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا ، إِلَّا بِلَالٌ
فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ ، وَأَخَذُوا يَطُوفُونَ بِهِ
شِعَابَ مَكَّةَ ، وَهُوَ يَقُولُ أَحَدٌ أَحَدٌ " (٢).

وما جاء في ترجمة عبد الله بن خُذَافَةَ السهمي (٣) : أن الروم أسرتَه ، فجاءوا به إلى
ملكهم ، فقال له : تنصر ، وأنا أشركك في ملكي ، وأزوجك ابنتي ؛ فقال له : لو أعطيتني
جميع ما تملك ، وجميع ما تملكه العرب ، على أن أرجع عن دين محمد -ﷺ- طرفة عين
، ما فعلت ! فقال : إِذَا أَقْتَلْتُكَ ، قال: أنت وذاك ! فأمر به فصلب ، وأمر الرماة فرموه قريباً
من يديه ورجليه ، وهو يعرض عليه دين النصرانية ، فيأبى ، ثم أمر به فأنزل ، ثم أمر
بِقَدْرِ فَأَحْمِيت ، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر ، فإذا هو عظام تلوح. وعرض
عليه فأبى ، فأمر به أن يلقي فيها ، فرفع في البكرة ليلقى فيها ، فبكى ؛ فطمع فيه ،
ودعاه ، فقال عبد الله له : إِنِّي إِنَّمَا بَكَيْتُ ؛ لِأَن نَفْسِي إِنَّمَا هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ ، تُلْقَى فِي هَذِهِ
الْقَدْرِ السَّاعَةِ فِي اللَّهِ ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ لِي بَعْدُ كُلُّ شَعْرَةٍ فِي جَسَدِي نَفْسٌ تَعَذِّبُ هَذَا
الْعَذَابَ فِي اللَّهِ ، وفي بعض الروايات : أنه سجنه ومنع عنه الطعام والشراب أياماً ، ثم
أرسل إليه بخمر ولحم خنزير ، فلم يقربه ، ثم استدعاه ، فقال: ما منعك أن تأكل؟ فقال: أما
إنه قد حلَّ لي ، ولكن لم أكن لأشمتك فيّ ؛ فقال له الملك : فَاقْبَلْ رَأْسِي ، وَأَنَا أَطْلُقْكَ . فقال
: وتطلق معي جميع أسرى المسلمين؟ قال: نعم ؛ فقبل رأسه ، فأطلقه وأطلق معه جميع
أسرى المسلمين عنده ، فلما رجع قال عمر بن الخطاب : حَقَّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَقْبَلَ رَأْسَ

(١) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ١٧٨٤ .

(٢) ابن حبان : صحيح ابن حبان ج ٤ ص ٢٧٢ . أبو نعيم : حلية الأولياء ج ١ ص ١٤٩ .

(٣) أَبُو خُذَافَةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ خُذَافَةَ بْنِ قَيْسٍ أَحَدُ السَّابِقِينَ ، هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ ، وَفَدَّ النَّبِيَّ -ﷺ- رَسُولاً
إِلَى كِسْرَى ، مَاتَ ابْنُ خُذَافَةَ فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ -رضي الله عنه- . سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٤٨ - ٣٥١ .

عبد الله بن حذافة ، وأنا أبدأ ، فقبل رأسه ^(١) ، فلماذا لم يأخذ سيدنا الحسين -عليه السلام- بالرخصة والتقية ، رغم أن ذلك كان سهلاً عليه ليتمكن من الهرب من قتلته ؟ ولماذا لم يُثبِت الإمام عليّ -عليه السلام- معاوية -عليه السلام- في حكم الشام لحين استتباب الأمر له ؟ فهل تتهمون الأئمة هنا بترك التقية ؟ ، وأنهم ليسوا منكم ؛ كما قال أئمة أهل البيت أم هم جبناء ؟ نعوذ بالله .

الرد على عقيدة التقية عند الشيعة الاثني عشرية :

يقول سليمان بن جرير ^(٢) : أن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مقاتلين : لم يظهروا معهما من أئمتهم على كذب أبداً ، وهما : القول بالبداء ، وإجازة التقية ، وأما التقية : فإنه لما كثرت وكبرت على أئمتهم مسائل شيعتهم في الحلال والحرام ، وغير ذلك من صنوف أبواب الدين ، فأجابوهم فيها ، وحفظ شيعتهم جواب ما سألوه عنه ، وكتبوه ، ودونوه ، ولم يحفظ أئمتهم تلك الأجوبة ؛ لتقادم العهد ، وتفاوت الأوقات ؛ لأن مسائلهم لم ترد في يوم واحد ، ولا في شهر واحد ، بل في سنين متباعدة ، وشهور متباينة ، وأيام متفاوتة ، وأوقات متفرقة ؛ فوقع في أيديهم في المسألة الواحدة عدة أجوبة مختلفة ، متضادة ، وفي مسائل مختلفة أجوبة متفقة ، فلما وقفوا على ذلك منهم ؛ ردوا إليهم هذا الاختلاف ، والتخليط في جواباتهم ، وسألوا عنه ، وأنكروه عليهم ، وقالوا من أين جاء هذا الاختلاف ، وكيف جاز ذلك .

قالت لهم أئمتهم : إنما أجبنا بهذا للتقية ، ولنا أن نجيب بما أجبنا ، وكيف شئنا ؛ لأن ذلك إلينا ، ونحن أعلم بما يصلحكم ، وما فيه بقاؤنا ، وبقاؤكم ، وكف عدونا وعدوكم ، عنا وعنكم ؛ فمتى يظهر هؤلاء على كذب ؟ ، ومتى يعرف الحق من الباطل ؟ ^(٣) .

ولما كانت الشيعة تقول : بإمامة إلهية لعلّي وأبناءه ، ويسترون ذلك بستر من التقية والكتمان ؛ وبما أن الأئمة من أهل البيت كانوا ينفون نظرية الإمامة الإلهية ، وينفون علمهم بالغيب ، فقد أطلق المتكلمون الإماميون على هذه الحالة : اسم التقية ؛ وذلك لكي

(١) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٥٠ - ٣٥١. مختصر تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٨ - ٣٤٩.

(٢) سليمان بن جرير : الرقي ، الذي قال : إن الإمامة شوري ، وإنها تنعقد برجلين من خيار الأمة ، وأجاز إمامة المفضل ، وأهل السنة يكفرونه ؛ من أجل أنه يكفر عثمان -عليه السلام-. النوبختي : فرق الشيعة هامش ص ١١٠.

(٣) الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ٧٨ - ٧٩ . النوبختي : فرق الشيعة ص ١١٠ - ١١٢.

يفسروا ظاهرة التناقض بين أقول الأئمة ، وسيرتهم العلنية القائمة على الشورى ، والعلم الطبيعي ، وبين دعوى الإمامة الإلهية القائمة على النص ، والتعيين ، والعلم الإلهي الغيبي ، والتي كان ينسبها الإماميون لأهل البيت سرّاً " (١).

ويقول الألوسي - رحمه الله - : وفي كتبهم ما يبطل كون أمير المؤمنين علي وبنيه - عليه السلام - ذوي تقية ، بل ويبطل فضلها الذي زعموه منها : -
أن أمير المؤمنين - عليه السلام - قال : علامة الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضررك ، على الكذب حيث ينفعك (٢).

وقوله : إني والله لو لقيتهم واحدا وهم طلاع الأرض كلها ما باليت ولا استوحشت ، وإني من ضاللتهم التي هم فيها ، والهدى الذي أنا عليه ؛ لعل بصيرة من نفسي ، ويقين من ربي ، وإلى لقاء الله تعالى ، وحسن ثوابه لمنتظر راج (٣) ، وفي هذا دلالة على أن الأمير لم يخف ؛ وهو منفرد من حرب الأعداء وهم جموع ، ومثله لا يتصور أن يتأتى فيما فيه هدم الدين (٤).

وقال - عليه السلام - : تقبلوا إلى ست خصال أتقبل لكم الجنة : إذا حدثتم فلا تكذبوا ، وإذا وعدتم فلا تخلفوا ، وإذا أئتمنتم فلا تخونوا ، وغضوا أبصاركم ، واحفظوا فروجكم ، وكفوا أيديكم وألسنتكم ، وعن أمير المؤمنين - عليه السلام - : لا يصلح من الكذب جد ولا هزل (٥).

ويقول الألوسي - رحمه الله - : ومما يرد قولهم أيضا : إن التقية لا تكون إلا لخوف ، والخوف قسمان : الأول الخوف على النفس ، وهو منتف في حق حضرات الأئمة بوجهين : أحدهما : أن موتهم الطبيعي باختيارهم كما أثبت هذه المسألة الكليني في الكافي ، وعقد لها بابا وأجمع عليها سائر الإمامية ، وثانيهما : أن الأئمة يكون لهم علم بما كان ، وما يكون فهم يعلمون آجالهم ، وكيفيات موتهم ، وأوقاته بالتفصيل ، والتخصيص ، فقبل وقته لا يخافون على أنفسهم ويتقون في دينهم ، ويغرون عوام المؤمنين .

(١) د عمر عبد الله كامل : رسالة إلى إخواننا الشيعة الإمامية ص ٤١ .

(٢) قال العاملي : محمول على الاستحباب : مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٢٥٥ . بحار الأنوار ج ٢ ص ١٢٢ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٣ ص ٥٩٧ .

(٤) الألوسي : تفسير روح المعاني ج ٣ ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٥) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٨ ص ٥٣٥ .

القسم الثاني : خوف المشقة ، والإيذاء البدني ، والسب ، والشتم ، وهتك الحرمة ، ولا شك أن تحمل هذه الأمور ، والصبر عليها وظيفة الصلحاء ؛ فقد كانوا يتحملون البلاء دائما في امتثال أوامر الله تعالى ، وربما قابلوا السلاطين الجبابرة ، وأهل البيت النبوي أولى بتحمل الشدائد في نصرة دين جدهم -ﷺ- .

وأیضا لو كانت التقية واجبة لم يتوقف إمام الأئمة عن بيعة خليفة رسول الله -ﷺ- ستة أشهر وماذا منعه من أداء الواجب أول وهلة (١).

وفي النهاية : يجب أن نفرق بين التقية والاستضعاف ، وبين الهزيمة الداخلية والاستكانة للعدو ، والركون إليه ، وفقدان الثقة في الله ، وترك التوكل عليه ؛ ذلك أن الإنسان يملك في نفسه قوة عظيمة - هي قوة الرفض بقلبه - وهذه القوة سماها رسول الله -ﷺ- جهاداً حين قال : " مَا كَانَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ لَهُ حَوَارِيُونَ يَهْدُونَ بِهَدْيِهِ ، وَيَسْتَنُونَ سُنَّتَهُ ، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، وَيَعْمَلُونَ مَا تُنْكِرُونَ ، مَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ " (٢)، وقال ابن مسعود -رضي الله عنه- : " بحسب المرء أن يرى منكراً لا يستطيع له غيراً أن يعلم الله أنه له منكر " (٣) .

فإن استعلاء القلب على الهزيمة الداخلية ، وبقاء قوة رفضه للباطل ، مهما استطال وانتفش ، وقوة ضبطه للسلوك ؛ لتأكيد الاعتزال ، وعدم المشايعة بالعمل ؛ لهو جهاد القلب ، وإنه لجهاد له أثره الواقع في حياة الناس " (٤) ؛ قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٥) ، والوليعة تعني : الساتر ، والحصن ونحوهما ، يستتر بهما

(١) الألوسي: روح المعاني ج ٣ ص ١٢٥. الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ٢٦ - ٢٧ .

(٢) رواد مسلم : شرح مسلم ج ٢ ص ٣٨٤ - ٣٨٦. الطبراني : المعجم الكبير ج ١٠ ص ١٣ .

(٣) الطبراني : المعجم الكبير ج ١٠ ص ٢٢٣ .

(٤) محمد بن سعيد القحطاني : الولاء والبراء في الإسلام ص ٣١٤ .

(٥) سورة التوبة : آية رقم ١٦ .

الإنسان ، فالمؤمن ليس له وليجة ؛ ليستتر بها من الله ، ورسوله ، والمؤمنين ، بل هناك الوضوح في التعامل ^(١) مع كل ما ذكر فمن يخدع وهو يعبد الله كأنه يراه ؟ .

وكيف تسوغ التقية للإمام وسيد الأئمة الذي أمره ربه فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ ^(٢) ، وقال تعالى له : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٣) ، ومدح الله من قال الحق ، ولم يخش غير الله ؛ فقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ﴾ ^(٤) ، وحذر الذين تخالف أقوالهم ما يبطنون في قلوبهم فقال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٥).

فعن علي - عليه السلام - : أيها المؤمنون ، إنه من رأى عدواناً يعمل به ، ومنكراً يدعى إليه ؛ فأنكره بقلبه فقد سلم وبرا ، ومن أنكره بلسانه فقد آجر ، وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا ، وكلمة الظالمين السفلى ؛ فذلك الذي أصاب سبيل الهدى ، وقام على الطريق ، ونور في قلبه اليقين ^(٦) .

فكيف الجمع بين الصدق والكذب ؟ وكيف الاجتماع بين الصادق والكاذب ؟ وليس الكاذب فحسب بل الكاذب الذي يظن أن الكذب ضرورياً ، واجباً عليه ، وأكثر من هذا يعتقده من أعظم القربات إلى الله تعالى ، فهذه هي عقيدتهم في الكذب ، وتقديسهم له وغلوهم ^(٧) .

متى ينتهي العمل بالتقية ؟ لا تنتهي التقية عند الشيعة الاثني عشرية إلا في الرجعة قبل يوم القيامة ، عن أمير المؤمنين - عليه السلام - قال : قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي

(١) محمد عبد الرحمن عوض : الشيعة وجذور الكراهية ص ٥٥ .

(٢) سورة المائدة : آية رقم ٦٧ .

(٣) سورة الحجر : آية رقم ٩٤ .

(٤) سورة الأحزاب : آية رقم ٣٩ .

(٥) سورة المنافقون : آية رقم ١ - ٢ .

(٦) علي النمازي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ١٤٥ .

(٧) الشيخ إحسان إلهي ظهير : الشيعة والسنة ص ١٤٣ بتصرف .

ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيَبَدِّلَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَّا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴿١﴾ ، أي : يعبدونني آمنين ، لا يخافون أحداً في عبادتي ، ليس عندهم تقية ، وإن لي الكرة بعد الكرة ، والرجعة بعد الرجعة " (٢).

قال معاذ بن جبل (٣) -رحمه الله- : " كانت التقية في جِدة الإسلام ، قبل قوة المسلمين ؛ فأما اليوم فقد أعز الله الإسلام أن يتقوا من عدوهم " (٤) ، وقال سعيد بن جبيرة (٥) -رحمه الله- : ليس في الإسلام تقية ؛ إنما التقية في أهل الحرب (٦).

وما أذن فيه للتقية فإنه مؤقت ، ولا يجوز الاستمرار فيه ، إلا حال العجز عن الهجرة ؛ خشية أن يولد للمسلم أولاد ؛ فيوالون الكافرين ، وهم لا يعلمون أن ما عليه آبائهم كان تقية (٧) .

بعض الفروق بين التقية عند أهل السنة ، والشيعة الاثني عشرية :

- أولاً : التقية عند أهل السنة ليست من أصول الدين ، والتقية الشيعية من أصول الدين .
- ثانياً : التقية عند أهل السنة غالباً مع أهل الكفر ، والتقية الشيعية تكون مع المسلمين .
- ثالثاً : التقية عند أهل السنة رخصة ، وتركها أفضل ، وعند الشيعة عزيمة واجبة .
- رابعاً : التقية عند أهل السنة تستخدم في حال الاستضعاف والضرورة والإكراه ، وتزول بزوال العذر ، لكنها عندهم في كل حال ، وبأعذار واهية .
- خامساً : التقية عند أهل السنة بالأقوال دون الأفعال ، وعند الشيعة بكليهما .

(١) سورة النور : آية رقم ٥٥ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٤٧ .

(٣) أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ أَوْسٍ ، الْخَزَرَجِيُّ ، الْمَدَنِيُّ ، الْبَدْرِيُّ ، الْعَقَبِيُّ ، أَسْلَمَ مُعَاذٌ وَلَهُ ١٨ سَنَةً ، جَمَعَ الْقُرْآنَ ، أَعْلَمَ النَّاسَ بِحَرَامِ اللَّهِ وَحَلَالِهِ ، تُوْفِيَ ١٧ هـ وَهُوَ ابْنُ ٣٨ سَنَةً . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٢٦٧ - ٢٧٨ .

(٤) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٦٦٥ .

(٥) سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ بْنِ هِشَامٍ : الْوَالِبِيُّ مَوْلَاهُمْ ، الْحَافِظُ ، الْمُفَرِّغُ ، الْمُفَسِّرُ ، الشَّهِيدُ ، أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيُّ ، الْكُوفِيُّ ، تَابِعِي ، أَعْلَمَهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَلَدَ ٤٥ هـ ، أَخَذَ الْعِلْمَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، وَابْنِ عَمْرٍو ، قَالَ أَحْمَدُ : قَتَلَ الْحِجَابَ سَعِيداً ، وَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُفْتَقِرٌ إِلَى عِلْمِهِ ، قَتَلَ : ٩٥ هـ . الذهبي : سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٧٩ - ٢٩٤ . الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ٩٣ .

(٦) البغوي : تفسير البغوي ص ١٩٩ بتصرف .

(٧) أبو بكر الجزائري : أيسر التفاسير ص ١٤٦ بتصرف .

سادساً : تقية أهل السنة ليست سجية ولا خلقاً ، بخلاف التقية الشيعية التي هي دثارهم وشعارهم.

سابعاً: التقية عند أهل السنة ليست وسيلة لإعزاز الدين ؛ قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ^(١) ، بخلاف دين الشيعة الذي من كتبه أعزه الله ، ومن أظهره أدله الله .

فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به كثيراً من خلقه .

ولذلك كانت التقية سبباً في خروج كثير من الناس على أئمتهم من الشيعة ؛ لأن الإمام كان يبدي رأياً في مسألة بعينها ، ثم لا يلبث أن يبدي رأياً يناقضه ، فإن سئل في ذلك نسب الأمر إلى التقية.

ومن ذك قصة الرجل الذي جاء إلى محمد الباقر فسأله عن مسألة بعينها ، فأجابه بجواب عنها ، وفي عام آخر سأله عن نفس المسألة ، فأجابه بإجابة مغايرة للأولى ، فسأل عن ذلك ، فقليل له : إن جوابه خرج مخرج التقية ، فقال : علم الله أنني ما سألته عنها إلا وأنا صحيح العزم على التدين بما يفتيني به ، وقبوله ، والعمل به ، فلا وجه لاتقائه إياي وهذه حالي ، ولم يكن معنا غيري حتى يتقيه ، وكانت النتيجة : أن عدل الرجل عن إمامة محمد الباقر ، وقال : لا يكون إماماً من يفتي بالباطل على شيء من الوجوه ، ولا في حال من الأحوال ، ولا يكون إماماً يفتي بالتقية من غير ما يجب عند الله ، ولا هو يرخي ستره ، ولا يغلق بابه ، ولا يسع الإمام إلا الخروج والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ^(٢).

وليس من شك أن التقية وهذه حالها ، قد شككت كثيراً من المؤمنين بالتشيع في أئمتهم ، وكان ينتهي الأمر باستنكارهم ، والخروج على الإمام ، والشك فيه وفي دعوته ^(٣).

ونختم الإجازة العامة لجميع أهل السنة وغيرهم بصحة العمل بأقوال الأئمة حال التقية ، لما جاء عن أبي عبد الله: " لا يسع الناس حتى يسألوا ، ويتفقهوا ، ويعرفوا إمامهم ،

(١) سورة التوبة : آية رقم ٣٣ . سورة الفتح : آية رقم ٢٨ . سورة الصف : آية رقم ٩ .

(٢) د مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب ص ١٩٧ بتصرف . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٣٢ - ٣٤ . الطوسي : اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) في ترجمة عمر بن رباح ص ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٣) د مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب ص ١٩٨ .

ويسعهم أن يأخذوا بما يقول ، وإن كان تقية " (١) ، فهذا مما يتيح لنا أن نعمل بما وافق مذهبنا .

وكذلك فقد نهو أتباعهم حتى عن مجرد التنويه لنا بعقائدهم فكيف نعرف ضروريات دينهم ، قال أبو عبد الله: إياكم والتنويه ، ويفسر الصدوق التنويه فيقول : الرفع والتشهير والدعوة ، يعني : لا تشهروا أنفسكم ، أولا تدعوا الناس إلى دينكم (٢) .
نسأل الله لنا ولهم الهداية .

(١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٨٩ - ٩٠ . وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١١٠ - ١١١ .

(٢) الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٢٦ . الطوسي : الغيبة ص ٢١١ . بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٨٢ .

الفصل الخامس

التقديس وأثره على عقيدة الرجعة

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الرجعة .

المبحث الثاني : مراحل الرجعة .

المبحث الثالث : تقديس الأئمة وأثره على عقيدة الرجعة.

المبحث الرابع: موقف أهل السنة من القول بالرجعة .



المبحث الأول

تعريف الرجعة

إن أطماع اليهود في البيئة التي حملت لواء الإسلام قديمة جداً ، فبعد أن نزع اليهود إلى الجزيرة العربية نقلوا معهم من الأساطير التي شاعت بينهم إبان الأسر البابلي العقائد الكثيرة ، والأطماع العديدة ، وكان من بين هذه الأساطير اليهودية عقيدة التناسخ التي أصبحت مصدراً رئيسياً عند الاثني عشرية لعقيدة "الرجعة" ، التي اعتنقوها كتعبير عن مشاعر الانتقام والحق الذي انطوت عليه نفوس بعض الذين زعموا ظلم آل البيت من أعدائهم ، ومن أجل هذا دسوا في العقيدة الشيعية القول بتقديس أرواح الأئمة ، ليفتحوا باب الأمل أمام الشيعة الذين يأسوا من خروج منتظرهم المزعوم ، وأتبع ذلك تقديس فقهاءهم ؛ فابتدعوا لهم ولاية الفقيه ، وقد ساعد العمل السري ، والتحريف العقائدي في إشاعة جو من الاضطراب السياسي والعقدي في الأمصار الإسلامية ، كنوع من الحرب النفسية ، وتعميق مشاعر الإحباط والهزيمة في كيان الأمة الإسلامية.

والشيعة تقسم الرجعة إلى قسمين : رجعة من موت ، ورجعة من غيبة ؛ فهناك من يغيب عن العيون ، ويبقى ما شاء الله له حياً ، حتى يأذن الله له : فالمنتظر غائب ، وحين يظهر ، يبعث الرسول ﷺ - وأمير المؤمنين ، والسيدة الزهراء ، والحسن ، والحسين ، وجميع الأئمة ، والخواص ، والمقربين : أحياء ، ويبايعونه ، ثم يبعث الله أعدائهم وأبا بكر ، وعمر ، وعائشة ، ومن والاهم من والمنافقين فيعاقبهم^(١) .

تعريف الرجعة في اللغة : الرجعة : المرة من الرجوع^(٢) ، وهي الحياة المتعلقة بهذا الجسم^(٣) ، وهي عَوْدُ طَائِفَةٍ مِنَ الْغَزَاةِ إِلَى الْغَزَاةِ بَعْدَ قُفُولِهِمْ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ

(١) الشيخ محمد منظور النعماني : الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام ص ١٩٠ .

(٢) يقول النووي : هي بفتح الراء قال الأزهري وغيره : لا يجوز فيها إلا الفتح ، وأما رجعة المرأة المطلقة ففيها لغتان : الكسر والفتح . النووي : شرح صحيح مسلم ج ١ ص ٢١٦ .

(٣) ابن قرقول : مطالع الأنوار على صحاح الآثار ج ٣ ص ١٢٢ .

لَقَادِرٌ ﴿١﴾، قيل : على رَجْعِ الماءِ إِلَى الإِحْلِيلِ ، وَقِيلَ : إِلَى صُلْبِ الرَّجُلِ ، وَتَرْبِيعَةِ الْمَرَأَةِ . وَقِيلَ : على إِعَادَتِهِ حَيًّا بَعْدَ مَوْتِهِ وَبِلَاةٍ ، وَقِيلَ : على بَعْثِ الْإِنْسَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٢﴾ . وهي مذهب لمن يؤمن بالرجوع إلى الدنيا بعد الموت مطلقاً ، وفي علم الأحياء : العودة إلى الحياة بعد موت ظاهري ، أو سبات ﴿٣﴾ ، وهي مذهب قوم في الجاهلية يقولون : إن الميت يرجع إلى الدنيا ، ويكون فيها حياً كما كان ، والرافضة يقولون : إن علياً - عليه السلام - مستتر في السحاب ﴿٤﴾ ، فلا يخرج مع من خرج من ولده ، حتى ينادي مناد من السماء أخرج مع فلان ﴿٥﴾ .

تعريف الرجعة في اصطلاح الشيعة الاثني عشرية : يمكن تعريف الرجعة: بأن الله تعالى يحيي قوماً من أمة محمد - صلى الله عليه وآله وسلم - بعد موتهم ، قبل يوم القيامة ﴿٦﴾ ، فيقاتلوا الأحياء على الدين ﴿٧﴾ ، في صورهم التي كانوا عليها ؛ فيعز منهم فريقاً ، ويذل فريقاً ، ويبدل المحقين من المبطلين ، والمظلومين منهم من الظالمين ، وذلك عند قيام مهدي آل محمد ﴿٨﴾ .

(١) سورة الطارق : آية رقم ٨ .

(٢) السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي : تاج العروس ج ٢١ ص ٧٧ .

(٣) مجمع اللغة العربية:المعجم الوسيط ص ٣٣١ . الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : الرجعة ، مراجعة : مجتبی السماعيل ، راضي الأحسائي ، تحقيق ط مؤسسة فكر الأوحـد - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م ص ٢٩ .

(٤) يرد على هذا الافتراء جابر بن عبد الله فيقول : هذا كذب . الميرزا النوري الطبرسي:خاتمة مستدرك الوسائل ج ٤ ص ٢١٠ . بينما يثبت ذلك المجلسي فيقول في بعض رواياته:أتاكم علي في السحاب،أي: عمamته.بحار الأنوار ج ١٦ ص ٢٥١ .

(٥) ابن منظور : لسان العرب ج ٢٠ ص ١٥٩١ .

(٦) الشيخ المفيد : المسائل السرورية ص ٣٢ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٧ . وفي لفظ : أموات يضربون هامات الأحياء . الشيخ سعد بن عبد الله الأشعري القمي (ت ٣٠١هـ) : المجموعة الحديثية المعروفة بـ (مختصر بصائر الدرجات) وفيه رسالة الرجعة : للحسن بن سليمان الحلبي ، تحقيق : مشتاق صالح المظفر ، نشر المجلسي - قم ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ / ١٣٨٨ش ص ٥٥٣ ، ١٢٦ .

(٨) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٧٧ - ٨٧ .

وتعبير أوضح : أن الله تعالى يعيد عند ظهور المهدي قوماً ممن كان تقدم موته من شيعة ؛ ليفوزوا بثواب نصرته ، ومعونته ، ومشاهدة دولته ، فيلتذوا بما يشاهدون من ظهور الحق ، وعلو كلمة أهله ، ويعيد قوماً من أعدائه ؛ لينتقم منهم ، فالطائفة الأولى تصعد في مدارج الكمال، الثانية تنال عقابها الشديد^(١).

ويفسر بعض شذاذ الشيعة - كما يرمونهم بني جلدتهم من الاثني عشرية - الرجعة بأنها : " رجوع الدولة، ورجوع الأمر والنهي إلى الأئمة ، وإلى شيعتهم ، وأخذهم بمجاري الأمور، دون رجوع أعيان الأشخاص ، بمعنى : رجوع الدولة دون رجوع الأجسام^(٢) .

أهمية عقيدة الرجعة عند الشيعة الاثني عشرية : اعتمدت الاثنا عشرية الرجعة وقدرتها كضرورة من ضروريات المذهب ، ونظرية مسلمة يجب الإقرار بها واعتقادها ، وتجديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ، وفي كل وقت كالإقرار في كثير من الأوقات بالتوحيد ، والإمامة ، والمعاد ، فأجمعت عليها ، وتواترت بها الأخبار ، ودلت عليها عدة من الآيات البينات^(٣) .

وعقيدة الرجعة عقيدة لازمة لفكرة المهديّة^(٤)،

فكل من زعموا إمامته سيرجع إلى الدنيا^(٥) ؛ ولذا فإن هذه العقيدة فشّت في جميع فرق الشيعة في مختلف العصور حتى يومنا هذا .

نقد هذا الزعم : ثبت في كتب الشيعة أنهم كانوا يعدون من الغلو القول : بأن موسى بن جعفر كان ظاهراً بين الخلق يروونه جميعاً يتراءى لأهل النور بالنور ، ولأهل الكدورة بالكدورة ، في مثل خلقهم الإنسانية ، والبشرية اللسانية ، ثم حجب الخلق جميعاً عن إدراكه ، وهو قائم بينهم ، موجود كما كان ، غير أنهم محجوبون عنه ، وعن إدراكه ،

(١) المفيد : أوائل المقالات ص ٢٩٣ . رضا المظفر : عقائد الإمامية ص ٩٤ . بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٢٨ . ناصر الشيرازي : الأمل ج ٩ ص ٥٠٢ . ناصر الشيرازي : الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ج ٩ ص ٥٠٢ .

(٢) المفيد : أوائل المقالات ص ١٥٢ - ١٥٣ . المجلسي: بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٣٨ .

(٣) الميرزا محمد مؤمن الأسترابادي (ت ١٠٨٨هـ) : الرجعة ، تحقيق : فارس حسون كريم ، ط مهر - قم ، نشر دار الاعتصام ، منشورات أنوار الهدى - قم ، ط ١ ، ١٤١٥هـ - ص ٧ - ٨ .

(٤) د محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٩ .

(٥) الشيخ إحسان إلهي ظهير : الشيعة والتشيع ص ٢٥٤ بتصرف .

كالذي كانوا يدركونه ، وإن موسى بن جعفر لم يمت ، ولم يحبس ، وإنه غاب واستتر ، وهو القائم المهدي ^(١) ، فما الفرق بين موسى بن جعفر ، ومحمد بن الحسن العسكري ؟ والأولى أن يقال بظهور الذي رأيناه حياً بيننا ، لا من معظم الشيعة لم يروه مرة واحدة في حياتهم .

ويعتقد كثير من الباحثين أن الذي أسس لفكرة الغيبة والرجعة هو : عبد الله بن سبأ ليمهد الطريق للقول بدوام الإمامة ؛ إذ عقيدة الإمامة تسبق عقيدة الرجعة والغيبة والظهور بل هن فرع عنها ، أما الهدف الماكر من روائها : فلكي يجمد نشاط المسلمين في كل شيء ، ويحسر دعوتهم ، ويوقف جهادهم ، ويجعلهم في موقف الانتظار ، ريثما يحضر الإمام فيملاً الأرض عدلاً ^(٢) .

ولكنهم لم يتفطنوا إلى أن القول بالرجعة يسوقهم إلى أمر في غاية الخطورة وهو : أن قيام المنتظر عندهم سيؤدي قطعاً إلى عدم وجود شيعي واحد على ظهر الأرض ، وإن تنازلت قلت : عدم وجود مؤمن واحد بالمنتظر ، دليلنا : قول أبي عبد الله : يقوم القائم ، وليس لأحد في عنقه عهد ، ولا عقد ، ولابيعة ، والمعنى : هذه الأمور الثلاثة متقاربة ، ويمكن أن يراد بالعهد : الميثاق ، والملاقاة ، والصحبة ، أو الوصية ، وبالعقد : عقد الصلح ، والمهادنة ، وبالبيعة : الاقرار للغير بالخلافة مع التماسح بالأيدي ^(٣) .

أقوال علماء الاثني عشرية في الرجعة : تعد الرجعة قول الأكثرين من الشيعة الإمامية ، والاعتقاد بالقائم : محمد بن الحسن العسكري ، وهو قول جميع الشيعة الاثني عشرية ^(٤) ، قال الصدوق : اعتقادنا في الرجعة أنها حق ، والقول بالتناسخ باطل ، ومن دان بالتناسخ فهو كافر ؛ لأن في التناسخ إبطال الجنة والنار ^(٥) .

وممن تردد في الرجعة المفيد فقال : وليس بعد دولة القائم دولة لأحد ، إلا ما جاءت به الرواية من قيام ولده ، ولم ترد به على القطع والثبات ، وأكثر الروايات أنه لم يمض مهدي هذه الأمة إلا قبل القيامة بأربعين يوماً يكون فيها : الهرج ، وعلامة خروج الأموات ،

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٠٨ - ٣٠٩ بتصرف .

(٢) حسن صادق : جذور الفتنة في الفرق الإسلامية من عهد الرسول حتى مقتل السادات ص ٧٠ .

(٣) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤٠٢ .

(٤) الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : الرجعة ص ٢٨ .

(٥) الشيخ الصدوق : الاعتقادات ص ٦٠ - ٦٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٢٨ .

وقيام الساعة للحساب والجزاء ، والله أعلم بما يكون ^(١) ، ونعجز عن تصحيح القول بالرجعة نظراً ، واستدلالاً ، وإثبات عدم استحالتها عقلاً ، ولكن محققي الإمامية ردوا هذا التأويل ؛ لعموم قدرة الله تعالى ، وعدم منافاته للتكليف ^(٢) ، وأصبح ذلك من ضرورات المذهب ، فلا يصح تغيير كلمة وجوب الرجعة إلى كلمة الجواز ^(٣) .

على أن جماعة من العلماء تأولوا ما ورد من الأخبار في الرجعة على رجوع الدولة ، والأمر ، والنهي ، دون رجوع الأشخاص ؛ لما ظنوا أن الرجعة تنافي التكليف ، وليس كذلك ، لأنه ليس فيها ما يلجئ إلى فعل الواجب ، والامتناع من القبيح ، والتكليف يصح معها ^(٤) .

والخلاصة: أن الرجعة المراد بها: رجوع الأئمة وشيعتهم، وأعدائهم، ممن محض (أي : أخلص ^(٥)) من الفريقين الإيمان، أو الكفر محضاً، ولم يكن ممن أهلكه الله في الدنيا بالعذاب، فإن من أهلكه الله بالعذاب لا يرجع إلى الدنيا، قال تعالى : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ^(٦) ، وروي عن أبي عبد الله ، وأبي جعفر: كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرجعة ^(٧) ، إلا إذا كان لهم قصاص ، كما لو قتلوا ظلماً ، ولم يكونوا ماحضين للإيمان أو للكفر ؛ فإنهم يرجعون مع قاتليهم، ويعيشون بعد أن يقتصوا منهم ثلاثين شهراً ، ثم يموتون في ليلة واحدة ^(٨) .

أول القائلين بالرجعة : يؤرخ الألويسي للقول بالرجعة فيقول : أول من قال بها : عبد الله بن سبأ ، ولكنه خصها بالنبي - ﷺ - ، وتبعه : جابر الجعفي ^(٩) في أول المائة الثانية ؛

(١) المفيد : أوائل المقالات ج ٢ ص ٣٨٧ . الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : الرجعة ص ٢٨ .

(٢) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٣) المفيد: أوائل المقالات ص ٢٩٢ - ٢٩٣ . الطوسي: التبيان ج ١ ص ٢٥٤ - ٢٥٥ . بحار الأنوار ج ٥ ص ١٤٠ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٢٧ .

(٥) الكليني : فروع الكافي ج ٣ هامش ص ٢٣٥ .

(٦) سورة الأنبياء : آية رقم ٩٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦١ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٥٢ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٨١ .

(٨) الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي : الرجعة ص ٢٥ - ٢٦ .

(٩) أبو عبد الله جابر بن يزيد بن الحارث الجعفي تابعي ، من فقهاء الشيعة ، كوفي ، أثنى عليه بعض رجال الحديث ، واتهمه آخرون بالقول بالرجعة . مات بالكوفة ١٢٨ هـ ، عن سفيان : كان الناس يحملون

فقال : برجعة علي -ﷺ- لكن لم يوقتها بوقت ، ولما أتى القرن الثالث قرر أهله من الإمامية رجعة الأئمة كلهم وأعدائهم ، وعينوا لذلك وقت ظهور المهدي ، واستدلوا على ذلك بما رواه عن أئمة أهل البيت ، والزيدية كافة منكرون لهذه الدعوى إنكاراً شديداً ، وقد ردّوها في كتبهم على وجه مستوفى بروايات عن أئمة أهل البيت أيضاً تعارض روايات الإمامية (١) .

ومن أقوال ابن سبأ التي أسست لتيك العقيدة: "العجب ممن يصدق أن عيسى -ﷺ- يرجع ويكذب أن محمداً -ﷺ- لا يرجع ، فوضع لهم الرجعة ، فقبلت منه ، ثم تحول إلى القول بأن علياً يرجع ، وهذه الفكرة أخذها ابن سبأ عن اليهود ، فعند اليهود أن النبي إلياس -ﷺ- صعد إلى السماء ، وسيعود ؛ فيعيد الدين والقانون ، ووجدت هذه الفكرة في النصرانية في عصورها الأولى (٢) .

وبسبب هذه الجذور دخلت هذه العناصر الجديدة في فكرة المهدي عند الشيعة من مؤسس فتنهم عبد الله بن سبأ اليهودي المتمسلم ؛ فإنه زعم لما قُتل علي -ﷺ-: أنه لم يقتل ؛ وإنما الذي قتل شيطان تمثل في صورته ، وأن علياً صعد إلى السماء ، كما صعد عيسى -ﷺ- ، وأن الجزء الإلهي في علي لا يموت ، وهو الذي يجيء في السحاب ، والرد صوته ، والبرق تبسمه ، وأنه سينزل إلى الأرض فيملؤها عدلاً ، بعدما ملئت جوراً وظلماً (٣) ، وفرقة السبئية أول فرقة قالت : بالتوقف ، والغيبة ، والرجعة ، وقالت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي -ﷺ- (٤) ؛ ومن هنا أجمعت فرق الشيعة كلهم على فكرة الرجعة لمن اختارته لها مهدياً ، على خلاف بينهم في المهدي من هو ؟ إلا أن السر في

عن جابر قبل أن يظهر القول بالرجعة ، فلما أظهره اتهمه الناس في حديثه ، وتركه بعضهم . الميرزا النوري: خاتمة المستدرک ج ٤ ص ٢١٠ - ٢١١ . النووي : شرح مسلم ج ١ ص ٢١٦ - ٢١٨ . الأعلام ج ٢ ص ١٠٥ .

(١) الألوسي : تفسير روح المعاني ج ٢٠ ص ٢٦ .

(٢) د محمود أبو رية: أضواء على السنة المحمدية (دفاع عن الحديث) ، ط دار المعارف - القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٩٤م ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٣) د عبد العليم عبد العظيم البستوي : المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة ، ط دار ابن حزم - بيروت ، نشر المكتبة المكية - مكة ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ص ٦٢ - ٦٣ بتصرف .

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل ص ١٤١ . د بسمة جستنية : أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة ص ٥٦٨ .

اختلافهم ، وتعدد أحزابهم : هو ما كانت تمليه عليهم ظروفهم السياسية ، وأهواؤهم المادية ، وأغراضهم المختلفة ^(١).

وهناك من يرى أن أول من قال بالرجعة هو كيسان مولى علي بن أبي طالب -عليه السلام- فادعى رجعة محمد بن الحنفية ، ثم تسربت إلى طوائف الإمامية ، فكان لكل منها منظر ^(٢) ، وتبعته الكيسانية فقالت: يرجع الناس في أجسامهم التي كانوا فيها ، ويرجع محمد -عليه السلام- وجميع النبيين فيؤمنون به، ويرجع علي -عليه السلام- ؛ فيقتل معاوية بن أبي سفيان ، وآل أبي سفيان ، ويهدم دمشق ، ويغرق البصرة ^(٣).

والأعجب من ذلك ما ادعاه الصدوق : إن أول من قال بالغيبة والرجعة : عمر بن الخطاب -عليه السلام- فإنه قال لما قبض النبي -عليه السلام- : والله ، ما مات محمد -عليه السلام- ، وإنما غاب كغيبه موسى -عليه السلام- عن قومه ، وإنه سيظهر بعد غيبته ^(٤) ، حتى ذكره أبو بكر بقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ^(٥) ^(٦).

الأدلة على الرجعة كما تدعيها الشيعة :

من المعلوم أن الشيعة الاثني عشرية دائماً حين تدلل على عقائدها تدخل الروايات والآراء؛ لتفسر القرآن بما يؤيد معتقدها ، فيأتون بالآيات غير الصريحة ويدسون فيها الروايات ليثبتوا معتقدهم الفاسد منها :

الدليل الأول : أخبر الله -عليه السلام- عن حشرين : حشر أكبر يوم القيامة في قوله تعالى : ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ ^(٧) ، وحشر الرجعة قبل القيامة : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ

(١) الأشعري : مقالات الإسلاميين ج ١ ص ٨٦. د عبد العليم البستوي : المهدي المنتظر ص ٦٣.

(٢) د محمد حسين الذهبي : التفسير والمفسرون ج ٢ ص ٩. الصدوق : كمال الدين ص ٤٢ .

(٣) النوبختي : فرق الشيعة ص ٨٢ .

(٤) يقصدون قول عمر كما في صحيح البخاري : والله ما مات رسول الله -عليه السلام- والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك وليبعثه الله فليقطع أيدي رجال وأرجلهم . ابن حجر : فتح الباري ج ٧ ص ٣١.

صحيح ابن حبان ج ٧ ص ٧٥٩-٧٦٠.

(٥) سورة الزمر : آية رقم ٣٠ .

(٦) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٤١ - ٤٢.

(٧) سورة الكهف : آية رقم ٤٧.

فَوَجَّاءَ مِمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١﴾، وقوله تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (٢).

الدليل الثاني : قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (٣) ؛ هؤلاء سبعون ألفاً هرب أغنياؤهم من الطاعون، وتركوا الفقراء؛ فعاقبهم الله فماتوا جميعاً ، ثم مر بهم نبي من بني إسرائيل ، يقال له : أرميا(٤)، فدعا الله أن يحييهم ؛ فأحياهم الله، وبعثهم معه. فهؤلاء ماتوا ، ورجعوا إلى الدنيا، ثم ماتوا بآجالهم(٥).

وقال تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ﴾ (٦) ، فهذا مات مائة سنة ، ورجع إلى الدنيا، ثم مات بأجله(٧).

الدليل الثالث : قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٨) ؛ وذلك أنهم لما سمعوا كلام الله قالوا : لا نصدق به حتى نرى الله جهرة ؛ فأخذتهم الصاعقة ، فماتوا فقال موسى -عليه السلام- : يا رب ما أقول لبني إسرائيل إذا رجعت إليهم ؟ فأحياهم الله له ، فرجعوا إلى الدنيا فأكلوا، وشربوا ، ونكحوا النساء ، وولد لهم الأولاد ، ثم ماتوا بآجالهم(٩) .

(١) سورة النمل : آية رقم ٨٣. ذكره الحلي : مختصر البصائر ص ١٣٩ - ١٤٠.

(٢) سورة القصص : آية رقم ٥.

(٣) سورة البقرة : آية رقم ٢٤٣.

(٤) أرميا بن حلقيا : من سبط لاوى بن يعقوب. ابن كثير : قصص الأنبياء ج ٢ ص ٣٢٦.

(٥) الصدوق: الاعتقادات ص ٦٠-٦١. أحمد الأحسائي: الرجعة ص ١٠. الحلي: مختصر البصائر ص ١٣٥.

(٦) سورة البقرة : آية رقم ٢٥٩.

(٧) هو عزيز ، أو أرميا . الصدوق : الاعتقادات ص ٦١. أحمد الأحسائي : الرجعة ص ١٠-١١.

(٨) سورة البقرة : آية رقم ٥٦.

(٩) الشيخ الصدوق : الاعتقادات ص ٦١. أحمد بن زين الدين الأحسائي : الرجعة ص ٩.

الدليل الرابع : قال الله تعالى ممتناً على عيسى -عليه السلام- : ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي ﴾ ^(١) ، فجميع الموتى الذين أحياهم عيسى -عليه السلام- بإذن الله رجعوا إلى الدنيا ، وبقوا فيها ، ثم ماتوا بآجالهم ^(٢).

الدليل الخامس : قال الله عن أصحاب الكهف : ﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَارْدَاذُوا تِسْعًا ﴾ ^(٣) ، ثم بعثهم الله فرجعوا إلى الدنيا ؛ ليتساءلوا بينهم - وقصتهم معروفة - وقال النبي -ﷺ- : " يكون في هذه الأمة مثل ما يكون في الأمم السالفة ؛ فيجب على هذا الأصل أن تكون في هذه الأمة رجعة ^(٤) .

الدليل السادس : قال تعالى : ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ ^(٥) ، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ^(٦) ، فالיום الذي يحشر فيه الجميع غير الذي يحشر فيه فوج ^(٧).

الدليل السابع : قال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ ^(٨) ، يعني في الرجعة؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ لَبِثَ لَكُمْ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ ^(٩) ، والتبيين في الدنيا، لا في الآخرة ^(١٠) .

الدليل الثامن : قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ ^(١١) قال أبو جعفر : الرجعة ^(١٢) ، وقول من قال :

(١) سورة المائدة : آية رقم ١١٠ .

(٢) الشيخ الصدوق : الاعتقادات ص ٦١ - ٦٢ . أحمد الأحسائي : الرجعة ص ١١ .

(٣) سورة الكهف : آية رقم ٢٥ .

(٤) الشيخ الصدوق : الاعتقادات ص ٦٢ .

(٥) سورة الكهف : آية رقم ٤٧ .

(٦) سورة النمل : آية رقم ٨٣ .

(٧) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ٦٢ .

(٨) سورة النحل : آية رقم ٣٨ .

(٩) سورة النحل : آية رقم ٣٩ .

(١٠) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ٦٣ .

(١١) سورة التوبة : آية رقم ١١١ .

(١٢) الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٢٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٧ .

الرجعة لا تجوز إلا في زمن النبي؛ ليكون معجزاً له، ودلالة على نبوته: باطل؛ لأن عندنا يجوز إظهار المعجزات على يد الأئمة والأولياء^(١).

وعن أبي جعفر: "أيام الله -ﷺ- ثلاثة: يوم يقوم القائم، ويوم الكرة، ويوم القيامة"^(٢)، وعن الرضا حين سئل عن الرجعة قال: "إنها لحق قد كانت في الأمم السالفة، ونطق بها القرآن"^(٣).

روي أن رجلاً جاء للصادق فقال: إن من شيعتكم من لا يقول برجعتكم؟ فقال: "إنما سمعوا قول جدنا رسول الله -ﷺ- ونحن سائر الأئمة نقول: ﴿وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾"^(٤)، فالعذاب الأدنى: عذاب الرجعة، والعذاب الأكبر: عذاب يوم القيامة^(٥)، وعذاب الرجعة: يكون بالسيف، يوسم أعدائهم على الأنف والشفتين كالبهائم على الخراطيم^(٦).

فهل علينا أهل السنة من لوم إن اتبعنا هدي النبي -ﷺ- ولم نعمل بهدي أئمتهم؛ فأهل العلم يقولون: رحم الله عبداً انتهى إلى ما سمع، ولا تكليف إلا بعد علم.

ويقول أيضاً إن بعض الشيعة يقولون: معنى الرجعة أن يرد الله إلينا ملك الدنيا، وأن يجعله للمهدي؛ فقال الصادق: "ويحهم ومتى سلبنا الملك حتى يرد علينا"^(٧)، ثم يعترف أبو جعفر بأنه: "لا يعتقد أهل العراق بالرجعة"^(٨) فما حال هؤلاء القوم بعد هذا الإنكار؟

الدليل العقلي على وقوع الرجعة: اعتقاد الرجعة داخل تحت مقدور الله -ﷻ- غير مستحيل في نفسه؛ فإذا ثبت دخولها تحت مقدور الله تعالى، فالطريق إلى إثباتها إجماع الإمامية على وقوعها، فإنهم لا يختلفون في ذلك؛ وإجماعهم حجة؛ وسببه هو دخول قول الإمام

(١) الشيخ الطبرسي: تفسير مجمع البيان ج ١ ص ٢٢٣.

(٢) قال الشيخ الصدوق: الكرة: الرجعة. المجلسي: بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٣.

(٣) الهيئة العلمية في مؤسسة المعارف الإسلامية: معجم أحاديث المهدي، ط عترة، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، ط ٢، ١٤٢٨ هـ - ح ١١٥٥ ج ٥ ص ٣٤٨.

(٤) سورة السجدة: آية رقم ٢١.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٥٦.

(٦) المجلسي: بحار الأنوار ج ٣٠ ص ١٦٦. الحسن الحلي: مختصر بصائر الدرجات ص ١٩١.

(٧) المجلسي: بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٢٦ بتصرف.

(٨) المصدر السابق ج ٥٣ ص ٤٠.

فيه ، وما يشتمل على قول المعصوم من الأقوال لابد فيه من كونه صواباً ^(١) ، وقد نقل كثير من علماء الاثنى عشرية الإجماع على القول بالرجعة ^(٢) .

وكذلك فإن الوجه في رجعة الذين يرجعون أن الله - ﷻ - ؛ إنما خلق الموت والحياة ؛ ليبْلُوهم أيهم أحسن عملاً ، وقد لا يتهاى في نظام الخَلقة - وخصوصاً في أدوار الفترة - بلاؤهم ، وفتنتهم ؛ بحيث يظهر سرائرهم ، وتتم الحجة عليهم ؛ فيقضي عليهم إما بالنار أو الجنة قضاء حتم ، أو يحول بين بلائهم الموت المقدر لهم من دون أن يكون ذلك نقمةً عليهم ، واستئصالاً لهم ؛ فلا بد من رجوعهم إلى الحياة الدنيا ؛ ليتم بلاؤهم على ما ورد بذلك روايات أهل البيت .

أما إذا كان في عمل الإنسان الواحد ، أو القوم ، أو المجتمع : ما يُسَجَّلُ عليه أو عليهم البوار والنار قضاء حتم ، كالذي يستعجل بالشر ، ويباهل النبي ، أو يقترح عليه أن يأتي بآية كذا وكذا ، فيؤتاها ، ولا يؤمن بها عناداً ، أو يقتل نفسه دفعا للبلاء الذي توجه إليه ، وغير ذلك من الموارد التي لا مجال للبحث عنها ، فحينئذ يتم بلاؤه ، ويظهر سريره ، ويحتم عليه بالهلاك ، وإذا أهلكه الله بعذاب نازل إليه أو إليهم لا يبقى مجال لإقالتهم عن البلوى الأولى ، وإرجاعهم إلى دار الامتحان مجدداً ^(٣) .

ومن أهم الأدلة العقلية ما حكاه علماء الشيعة من روايات عن اجتماع النجوم في السماء سنوات طويلة ، تمهيداً للرجعة ، ثم يقولون : " ثم اعلم أن هذه الخيالات ، والروايات ، وإن لم تكن مبنية على أصل متين ؛ لكنها مما يرفع استبعادات الأوهام عن الأخبار الواردة في الرجعة ^(٤) .

من الذي يرجع من الأمم : الرجعة عند الشيعة الاثنى عشرية : " تختص بمن محض الإيمان ، ومحض الكفر دون ما سوى هذين الفريقين " ^(٥) ، وهم الذين يسألون في القبر ، وأما باقي الناس يلهى عنهم ^(١) .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٣٨-١٣٩ بتصرف.

(٢) نقل الإجماع الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ٣٢ .

(٣) كلام عبد الرحيم الشيرازي . انظر المجلسي : بحار الأنوار ج ٨٩ هامش ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٤) قال عبد الرحيم الشيرازي محقق بحار الأنوار : " لم نجد ترجمة رجال السند في شيء من تراجم العامة ، والخاصة " . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٤ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٥) الشيخ المفيد : المسائل السرورية ص ٦٢-٦٣ بتصرف.

ولعلك تتسائل : ما مدى تمحيض الكفر ؟ والجواب عن علي -عليه السلام- : من أراد أن يقاتل شيعة الدجال؛ فليقاتل الباكي على دم عثمان -عليه السلام- ، والباكي على دم أهل النهروان ، إن من لقي الله -تعالى- مؤمناً بأن عثمان قتل مظلوماً ؛ لقي الله ساخطاً عليه ، ويدرك الدجال ، قال رجل : يا أمير المؤمنين ، فإن مات قبل ذلك ؟ قال : فيبعث من قبره حتى يؤمن به وإن رغم أنفه (٢).

فإذا رجع من محض الكفر: أوهم الشيطان أعداء الله -تعالى- إنما ردوا إلى الدنيا لطغيانهم على الله؛ فيزدادوا عتواً ، فينتقم الله تعالى منهم بأوليائه المؤمنين ، ويجعل لهم الكرة عليهم ، فلا يبقى منهم أحد إلا وهو مغموم بالعذاب ، وتصفو الأرض من الطغاة ، ويكون الدين لله تعالى (٣).

ولكننا نجد علماء الاثني عشرية يفسرون كلام المعصوم على خصوص أمة محمد -عليه السلام- دون غيرها ، فيقررون أن : الرجعة تكون لمحضي الإيمان من أهل الملة ، وممحضي النفاق منهم دون من سلف من الأمم الخالية (٤).

ويقول المفيد : "إن الراجعين إلى الدنيا فريقان : أحدهما: ما علت درجته في الإيمان ، وكثرت أعماله الصالحات ، وخرج من الدنيا على اجتناب الكبائر والموبقات ؛ فيريه الله -تعالى- دولة الحق ، ويعزه بها ، ويعطيه من الدنيا ما كان يتمناه .والآخر: من بلغ الغاية في الفساد والعدا ، وانتهى في خلاف المحقين إلى أقصى الغايات ، وكثر ظلمه لأولياء الله ، واقترافه السيئات ؛ فينتصر الله تعالى لمن تعدى عليه قبل الممات ، ويشفي غيظهم منه بما يحله من النِّقَمات ، ثم يصير الفريقان من بعد ذلك إلى الموت ، ومن بعده إلى النشور ، وما يستحقونه من دوام الثواب والعقاب" (٥).

لكنهم يتناقضون فيقولون : الرجعة تشمل الأمم قبلنا ، يؤيد رجعة بعض الأمم قبلنا : ما جاء عن جبريل -عليه السلام- أنه أخبر أن الله تعالى قال للنبي -عليه السلام- : "قتلتُ بدم يحيى بن زكريا

(١) الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٢٩ - ١٣٠. بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٦٠.

(٢) الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٢٤. المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢١٩.

(٣) الشيخ المفيد : المسائل السرورية ص ٣٥. المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٣٨.

(٤) الشيخ المفيد : المسائل السرورية ص ٦٢-٦٣ بتصرف.

(٥) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٧٨ .

سبعين ألفاً ، وإنّي أقتل بدم ابنك الحسين بن علي سبعين ألفاً ، وسبعين ألفاً^(١)، وسئل أبو عبد الله هل لعلي -عليه السلام- كرات ؟ قال : نعم إنها لكرات ، وكرات ، ما من إمام في قرن إلا ويكر البر والفاجر في دهره ، حتى يدل الله المؤمن من الكافر^(٢).
ومن هؤلاء سعد بن أبي وقاص -عليه السلام-؛ فعن أبي عبد الله : إن سعداً يكر فيقاتل علياً -عليه السلام-^(٣).

ولكن الرجعة ليست كما زعموا لهؤلاء فقط ؛ فهناك من يأتي لنصرة الحسين -عليه السلام- ونجد الشيعة الذين ينفون صفات الله عنه ، ويلعنون من يقول بالتجسيم والتصوير يفترون رواية : أنه حين ينهزم جند الحسين في حربهم مع إبليس يقول أبو عبد الله: فعند ذلك يهبط الجبار -عليه السلام- في ظلل من الغمام ، والملائكة ، وقضي الأمر ، ورسول الله -عليه السلام- أمامه بحربة من نور " ^(٤) والسؤال أليس هذا غلو ؟ .

حكم الإيمان بالرجعة عند الشيعة الاثني عشرية : تعد الرجعة من ضرورات مذهبهم ؛ مدعين أنها : ثابتة بالتوقيف ، وليس للنظر فيه مجال^(٥)؛ وأجمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار^(٦)، حتى نظموها في أشعارهم ، واحتجوا بما تواتر عندهم ، في قريب من مائتي حديث صريح، رواها نيف وأربعون من الثقات العظام، والعلماء الأعلام، في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم ، و إن من يشك في الرجعة ؛ فهو شاك في أئمة الدين^(٧). قال

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢٣٣ .

(٢) علي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٩ ص ٩٣ .

(٣) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٧٥ . معجم المهدي ح ١١٦٧ ج ٥ ص ٣٦٤ . الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٥٢ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٤٣ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٣٢ .

(٦) اجماع الشيعة الإمامية الاثني عشرية على اعتقاد صحة الرجعة ، فلا يظهر مخالف يعتد به ، وممن صرح بثبوت الاجماع : الطبرسي في مجمع البيان ج ٧ ص ٢٩٤ . الحر العاملي : الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة ، تحقيق : مشتاق المظفر ، ط نكارش ، نشر دليل ما- قم ، ط ١٤٢٨هـ / ١٣٨٦ش ص ٧٤ - ١٠٤ . بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٢٢ . الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٠٣ .

الحسين -عليه السلام-: " هذا علمٌ خاصٌّ ، لا يسع الأمة جهله ، حتى صرت ما أنا بيوم القيامة أشد يقيناً من بالرجعة " (١) .

ولذلك اتفقت الإمامية على وجوب (٢) رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا ، وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف (٣) ؛ ولا معنى لاختلافهم ؛ لأن الإجماع والضرورة قامتاً على رجوع أعيان الأموات (٤) .

وعن علي -عليه السلام-: " من أنكر أن لي في الأرض كرة بعد كرة ، ودعوة بعد دعوة ، وعودة بعد رجعة ؛ فقد رد علينا ، ومن رد علينا فقد رد على الله " (٥) ، وعن رسول الله -عليه السلام-: " من أنكر القائم من ولدي فقد أنكرني " (٦) .

ومنهم من يعدها شرطاً في صحة الإيمان أو كماله ؛ فعن الصادق: من أقر بالرجعة فهو مؤمن (٧) ، وليس من منهم من لم يؤمن بكرة الأئمة (٨) ، لما رواه المخالف عنه -عليه السلام-: " لتتبعن سنن من قبلكم (٩) ، وقد رأيت في أخبار المخالفين زيادة ما تقول الشيعة من الإشارة إلى أن علياً -عليه السلام- يعود إلى الدنيا ، بعد ضرب ابن ملجم ، وبعد وفاته ، كما رجع ذو القرنين (١٠) ، فإن ذا القرنين ليس بملك ، ولا نبي ، لكن كان عبداً صالحاً ، ضرب على قرنه الأيمن في طاعة الله ؛ فمات ، ثم بعثه الله فضرب على قرنه الأيسر ؛ فمات ؛ فبعثه

-
- (١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٩ بتصرف . الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ٤٠ .
 (٢) علق إبراهيم الأنصاري: لعل لفظ وجوب من زيادة النساخ ؛ إذ المراد : تصحيح القول بالرجعة لا إثبات وجوبها . الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٥٣ بتصرف .
 (٣) الحسن بن سليمان الحلي : المحتضر هامش ص ٣٢ . الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٤٦ .
 (٤) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٢٩٢ .
 (٥) الحر العاملي : الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة ص ٣٤٤ - ٣٤٥ .
 (٦) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٤١٢ .
 (٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٢١ بتصرف .
 (٨) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٩٢ . معجم المهدي ح ١١٥٧ ج ٥ ص ٣٥٠ . المفيد: المسائل السرورية ص ٣٠ - ٣٢ .
 (٩) رواه البخاري . ابن حجر : فتح الباري ج ١٣ ص ٣٤٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٤٠ - ١٤١ .
 (١٠) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٠٧ .

الله وسُمِّيَ ذو القرنين ، مثله علي بن أبي طالب - عليه السلام -^(١) ، ومن شك ، فهو شاك في أئمة الدين^(٢) .

نقد هذه الأدلة من كتبهم : يقول بعض علماءهم : الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة ؛ فيتطرق التأويلات عليها ؛ وإنما المعول في إثبات الرجعة على إجماع الإمامية على معناها ، فالمعنى غير محتمل ، وإن كانت تعضده النصوص^(٣).

ويقول غيره : على أن جماعة من العلماء تأولوا ما ورد من الأخبار في الرجعة على رجوع الدولة والأمر والنهي ، دون رجوع الأشخاص ؛ لما ظنوا : أن الرجعة تنافي التكليف^(٤) ؛ لأن من يرجع إلى الدنيا ؛ فهو راجع إلى دار التكليف ، فإن قلتم بتكليفه ثانياً ؛ قلنا الأصل براءة ذمته من أصل التكليف ، وقد أجمع المسلمون على أن محمداً - صلى الله عليه وآله وسلم - خاتم النبيين ، وإن قلتم إنه ليس بمكلف قد نقضتم قولكم بأن يرجع لإقامة الدين ، وإن قلتم بالرجوع للجزاء ، فهو خلاف الإجماع ، لأن الجزاء يوم القيامة إجماعاً ، ولو صحت الرجعة لصحة التوبة ، فما المانع من توبة محض الكفر بعد الرجعة ؟^(٥).

وعليه فالقول بالرجعة يناقض التكليف ، وعقيدة الثواب والعقاب ، والجنة والنار .

نسأل الله الهداية والصواب .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٢ ص ٢١٠ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٢٣ .

(٣) الطبرسي : مجمع البيان ج ٧ ص ٤٠٦ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٣٩ بتصرف .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٢٧ . الطبرسي : تفسير مجمع البيان ج ٧ ص ٤٠٦ .

(٥) أحمد بن زين الدين الأحسائي : الرجعة ص ٣٠ - ٣١ .

المبحث الثاني

مراحل الرجعة

تعتبر الرجعة من العقائد المتداخلة مع عقائد الغيبة والظهور واليوم الآخر وما هي إلا مراحل في عقول الشيعة الاثني عشرية ؛ ليصلوا بذلك إلى تقديس أجساد وأرواح الأئمة ومنحهما صفة الخلود، فلا بد من إلقاء نظرة سريعة عن مدى تقديسهم لأئمتهم في هذه العقائد لنقف على أهم مظاهر هذا الغلو الواضح .

المطلب الأول : المرحلة الأولى عقيدة الغيبة :

تدعي الشيعة أن الغيبة والاختفاء من الطرق التي استخدمها رسول الله -ﷺ- في الدعوة السرية^(١) فقد اختفى رسول الله -ﷺ- في الشعب تارة ، وأخرى في الغار ، واقتدى به علي -ﷺ-؛ ففقد عن المطالبة بحقه^(٢) ، وعمل بوصية رسول الله -ﷺ- يا أخي ، إن قريشاً ستظاهر عليك ، وتجتمع كلمتهم على ظلمك ، فإن وجدت أعواناً ؛ فجاهدهم ، وإن لم تجد أعواناً ؛ فكف يدك ، واحقن دمك ، فإن الشهادة من وراءك^(٣) .

ولذلك تعد عقيدة الغيبة من العقائد التي امتحنت الشيعة في الإيمان بها ، لما جاء عن أبي جعفر محمد بن علي: إنما سمي المهدي مهدياً : لأنه يهدي إلى أمر خفي ، يهدي ما في صدور الناس ، ويبعث الرجل ؛ فيقتله فلا يدري في أي شيء قتله^(٤). وسمي القائم ؛ لأنه

(١) عن أبي عبد الله: اكتتم رسول الله -ﷺ- بمكة مستخفياً خمس سنين ، ليس يظهر ، وعلي معه وخديجة -ﷺ-، ثم أمره الله تعالى أن يصدع بما يؤمر ؛ فظهر ، وظهر أمره ، وفي رواية : ثلاث سنين مستخفياً ، وعنه : كان علي بن أبي طالب مع رسول الله -ﷺ- لم يعلم بهما أحد. الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٢٣ - ٣٢٤. الطوسي : الغيبة ص ٢٠٨ .

(٢) الطوسي : الغيبة ص ٢٠٨ . بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٩١ . السيد الشريف المرتضى (ت ٤٢٦هـ) : المقنع في الغيبة ، تحقيق : السيد محمد علي الحكيم ، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ص ٥٢ ، ٥٧ .

(٣) الطوسي: الغيبة ص ٢٠٩ . الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ج ١١ ص ٧٤. بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٤٣٧ .

(٤) محمد بن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة ص ٢٤٥ .

يقوم بعد ما يموت بأمر الله ^(١) ، ويتساءل متسائل : ما معنى يموت ؟ أليس من عقائدهم أن المنتظر حي ؟ أليس هذا رجعة ؟ وليست غيبة ؟ .

فتراهم يفترون عن رسول الله -ﷺ- أنه سئل : لما سمي القائم ؟ فقال : لأنه يقوم بعد موت ذكره ، وارتداد أكثر القائلين بإمامته ، فقيل له : ولما سمي المنتظر ؟ قال : لأن له غيبة يكثر أيامها ، ويطول أمدها ^(٢) ، فقد صرح موسى بن جعفر بأن : " الشيعة تربي بالأماني منذ مائتي سنة " ^(٣) ، ومع ذلك فاعتقاد الغيبة والإمام الخفي يسود كافة فروع الشيعة ^(٤) .

وعقيدة الغيبة تعني : " غيبة الإمام المنتظر المنقذ عن الأعين ، واختفاؤه إلى وقت معلوم " ^(٥) ، وهي من ضرورات المذهب لما روي عن رسول الله -ﷺ- : " من أنكر القائم من ولدي ، فقد أنكرني " ^(٦) ،

وإذا مات مات : مات ميتة جاهلية ^(٧) . وكان مثل إبليس في امتناعه من السجود لآدم ^(٨) ^(٩) .

ويستدلون : بالإجماع على عدم عصمة غير صاحب الزمان ، فثبت وجوده ^(١٠) .

(١) الطوسي : الغيبة ، تحقيق : علي أكبر غفاري ، نشر الفجر - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ / ١٣٨٢ ش ص ٢٦٣ .

(٢) معجم أحاديث الإمام المهدي ح ١٢٤٧ ج ٥ ص ٤٩٥ . بحار الأنوار ج ٥٠ ص ١١٨ .

(٣) ابن أبي زينب النعماني (ت ٣٦٠ هـ) : الغيبة ، تحقيق : فراس حسون كريم ، نشر دار الجوادين - قم ، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م ص ٣٠٥ . الطوسي : الغيبة ص ٢١٣ .

(٤) د عبد العظيم البستوي : المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة ص ٦١ .

(٥) د أبو الفتوح الأنور : شيعة إيران وأصولها ص ١١٩ .

(٦) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٧٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٣ .

(٧) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٨٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٣ .

(٨) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٥ .

(٩) مع كونهم رووا عن أبي عبد الله أنه قيل له : من عرف الأئمة ولم يعرف الإمام الذي في زمانه أمؤمن هو ؟ قال : لا ، قيل : أمسلم هو ؟ قال : نعم . الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٧٧ . بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٩٦ .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢١٥ .

والجواب سهل : مقدمات غير مسلم بها عقلاً ، فلا يثبت بها حكم ، لأنه لا يجب على الله شيء ؛ ثم كيف تثبت العصمة لشخص غير موجود لم تختبر عدالته فضلاً عن عصمته .
وتعتقد الشيعة أنه قد ولد للحسن العسكري ولد بسر من رأى ، في ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٥هـ ، وكان عمره عند وفاة أبيه خمس سنين ، آتاه الله الحكم صبياً ، وجعله في حال الطفولة إماماً ، وغاب غيبة صغرى مدتها : أربعاً وسبعين سنة ^(١) ، والغريب في تحديد مدة الغيبة أنه يوجد نص يحدد مدة الغيبة بستين سنة ، وهذا من التناقض الواضح بين الروايتين ^(٢) .

ولقد روى الحسن العسكري ابنه المهدي محتجباً عن الناس ، إلا القليل من الخاصة ، ليثبت لهم إمامته بعده ، ثم ازداد المهدي احتجاباً بعد وفاة أبيه ، وأصبح لا يكاد يتصل بالناس إلا عن طريق سفرائه الأربعة ، مع عدد من الخاصة المأمونين ، وكان المهدي يؤكد عليهم كل مرة الكتمان والحذر ^(٣) .

وبدأت الغيبة الكبرى سنة ٣٢٨هـ ، وقيل : ٣٢٩هـ ، وهي سنة وفاة آخر النواب ، بعدما جاء توقيع من المنتظر نسخته : " بسم الله الرحمن الرحيم يا علي بن محمد السمري ^(٤) أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فإنك ميت ما بينك ، وبين ستة أيام ، فاجمع أمرك ، ولا توص إلى أحد يقوم مقامك ، فقد وقعت الغيبة التامة ، فلا ظهور إلا أن يأذن الله ، وذلك بعد طول الأمد ، وقسوة القلوب ، وامتلاء الأرض جوراً ، وسيأتي من شيعتي من

(١) هاشم البحراني: مدينة المعاجز ج ٥ ص ١٤٧ - ١٤٨ . جعفر السبحاني: أضواء على عقائد الشيعة ص ٢١٨ .

(٢) الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٧٨ . نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٣٥ .

(٣) الشهيد الصدر : تاريخ الغيبة الكبرى ص ٤٤ .

(٤) أبو الحسن علي بن محمد السمري ، قام بأمر البابية بعد موت النوبختي ، إلى أن توفي ٣٢٩هـ ، وصدر التوقيع الشريف من قبل صاحب على يده ؛ إعلماً بانتهاج دور النيابة الخاصة ؛ والغيبة الصغرى ، وبدأت الغيبة الكبرى ، وصار الأمر للفقهاء الذين يعبر عنهم بالنواب العامة للإمام . الشيخ الطوسي: الرسائل العشر ص ١٦ . هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٥ ص ١٤٨ - ١٤٩ . المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٧ ص ٤٤٠ - ٤٤١ .

يدعي المشاهدة ، ألا من ادعى المشاهدة قبل خروج السفيناني ، والصيحة ، فهو كذاب مفتر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ^(١).

ولذلك فإن الشيعة الإمامية يعتقدون أن : كل من ادعى الأمر - أي السفارة والباب - بعد السمرى آخر النواب الأربعة في الغيبة الصغرى ؛ فهو كافر منمّس (ضال) مضل ^(٢).

وتبدأ المحنة بعد موت الحسن العسكري ؛ فتفترق الشيعة إلى ١٤ ، أو ١٥ ، أو ٢٠ فرقة ؛ لأنهم أصبحوا بلا إمام ، فمن قائل : أنه لم يمت ، وأنه القائم ، وأنه لا يجوز عليه الموت ، وقائل : بموته ، وقائل : بأن الإمامة انقطعت بموت الحسن عقيماً ، وقائل : بإمامة أخيه جعفر ، أما الاثنا عشرية قالوا : بأن للحسن ولداً أخفى مولده ، خوفاً من السلطان ، وبعضهم قالوا : التبس علينا الأمر ، فنحن لا ندري ما نقول ^(٣).

ويرجعون فعتذرون عن غيبته المزعومة بأن الأرض إن خلت من إمام لساخت بأهلها ، حيث كذبوا على علي - عليه السلام - : إن الله لا يخلي الأرض من حجة له على خلقه ظاهراً معروفاً ، أو خافياً مغموراً ؛ لكي لا يبطل حجته وبياناته ، وليس للعباد طلب إظهار ما ستره الله ، ولا البحث عن اسمه وموضعه ، ولا السؤال عن أمره ومكانه ، بل البحث محرم لا يحل ، والتنويه باسمه معصية ، والسكوت عن ذلك صيانة لديننا ، وسلامة لدماء شيعتنا ^(٤).

ولا يجوز أن يكون القائم غيره ، بقي في غيبته ما بقي ، ولو بقي عمر الدنيا ؛ لأن الذي نصبه ، وبشر به النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والأئمة وهو المهدي ، إذا خرج عيسى بن مريم ، فصلى خلفه ، لأنه خليفته ^(٥).

الأدلة على ثبوت ولادة منتظرهم المزعوم : زعموا عن أبي الحسن : "إن صاحب الأمر لا يموت حتى يرى ولده من بعده" ^(٦)، وعن أبي جعفر : ولن يخرج الله ذلك العالم حتى يرى

(١) هاشم البحراني: مدينة المعاجز ج ٥ ص ١٤٩ - ١٥١. جعفر السبحاني: أضواء على عقائد الشيعة ص ٢١٨.

(٢) محمد البحراني : دعوى السفارة في الغيبة الكبرى ص ٣١. بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٧٨.

(٣) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ج ٢ ص ٨٢٨ - ٨٢٩.

(٤) الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ١٠٢ - ١٠٤ بتصرف .

(٥) الشيخ الصدوق : الاعتقادات ص ٩٥. المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٧٩.

(٦) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتام النعمة ص ٢٢٠. المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٤٢.

في ولده من يعلم مثل علمه ^(١) ،

وعن أبي الحسن : " لم يكن لي ولدٌ ، وسأرزق ولداً ^(٢) ، وحين ولد المنتظر قال : زعم الظلمة أنهم يقتلونني ؛ ليقطعوا هذا النسل ، فكيف رأوا قدرة الله ، وسماه المؤمل ^(٣) ، ولم يظهر ولده في حياته ، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته " ^(٤) ، فلا ندري من أين جاءت هذه الأخبار !.

كيف تطور الاعتقاد بالغيبة : يرجح أن أول من قال بغيبة الإمام فرقة السبئية تبعاً لمؤسسها عبد الله بن سبأ اليهودي ؛ لأنها : أول فرقة قالت بالتوقف ، والغيبة ، والرجعة ، وقالت بتناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي ^(٥) ، وقيل : أن أول من وضع فكرة الغيبة هو عثمان بن سعيد العمري ^(٦) وهو أول السفراء للإمام المهدي وكانت سفارته من عام ٢٦٠هـ إلى ٢٦٥هـ ، بعدما ظهر لهذا الرجل معجزات تؤيد قوله كما زعمت الشيعة ، وكان يتلقى الأموال من الزكاة ، والخمس ؛ ليوصلها لآل البيت ، فصار باب الإمام الغائب ، ثم تبعه ابنه محمد ^(٧) وكيلاً ، وكانت سفارته من عام ٢٦٥هـ إلى ٣٠٥هـ ، وتبعه في الوكالة الحسن بن روح النوبختي ^(٨) وكانت سفارته من عام ٣٠٥هـ حتى ٣٢٦هـ ،

(١) محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٥٥٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٥٣ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٣٠٣ .

(٣) الطوسي : الغيبة ص ١٤٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٠ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٣٣٤ .

(٥) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٤١ . الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ١٩ - ٢٠ .

(٦) أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري الموثوق عندهم ، السمان لأنه كان يتاجر في السمن تغطية للأمر ، أول السفراء في زمان الغيبة ، وكان وكيلاً للإمامين الهادي ، والعسكري ، مات ٣٠٥هـ . نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ١٠٥ - ١٠٦ . البحراني : مدينة المعاجز ج ٥ ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٧) أبو جعفر محمد عثمان بن سعيد العمري كان وكيلاً عن المهدي بعد أبيه ، بقي حوالي ٥٠ سنة في هذا المنصب ، توفي ٣٠٤ أو ٣٠٥هـ ، ووثقه المفيد . الطوسي : الرسائل العشر ص ١٦ . البحراني : مدينة المعاجز ج ٥ ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٨) أبو القاسم الحسين بن روح بن بحر النوبختي ، الباب الثالث لصاحب الأمر ، خرج على يديه توافيق كثيرة ، صارت النيابة إليه بعد محمد بن سعيد ، وكثرت غاشيته حتى كان الأمراء والوزراء يركبون إليه ، مات ٣٢٦هـ ، ووثقه المفيد . نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ١٠٦ - ١٠٧ . هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٥ ص ١٤٨ - ١٤٩ .

الذي قال عنه بعض من كان ينافسه في منصب الوكيل : ما دخلنا مع أبي القاسم الحسين بن روح في هذا الأمر إلا ونحن نعلم فيما دخلنا فيه ، لقد كنا نتهارش على هذا الأمر كما تتهارش الكلاب على الجيف ^(١) ، ثم تبعه في الوكالة أبو الحسن السمرى والذي كانت سفارته من ٣٢٦هـ حتى ٣٢٩هـ ، الذي وقعت بعده الغيبة التامة ^(٢).

وقد كان البابية والنواب عن الإمام المنتظر يفرضون لأنفسهم القداسة ووجوب الطاعة ، وإلا كان خطر اللعن والغضب منهم ^(٣) .

والفرق بين الباب والوكيل : أن الباب يلتقي بالإمام الغائب ، والوكيل يلتقي بالباب ، ولا يرى الإمام، ويكون الوساطة بين الشيعة والباب ^(٤) ، وهل هم ثقات نقبل رواياتهم ؟.

والجواب : اسمع ما تحس بأن الجبال تكاد أن تندك من هول ما تسمع عن وكيل المنتظر الذي يسمع لقوله ويطاع ؛ فاقراً معي عافاك الله : وكالة الإمام : فقيل : إنه ملازم للعدالة ، التي هي فوق الوثاقة . أقول : الوكالة لا تستلزم العدالة ، ويجوز توكيل الفاسق إجماعاً ، وبلا إشكال ... وأما النهي عن الركون للظالمين ؛ فهو أجنبى عن التوكيل ^(٥) ، الله أكبر وكيل المنتظر غير معصوم ، فكيف يبنى مذهب على أقوال رجال غير معصومين ، ثم يحكمون بالكفر على من لم يقر بأقوالهم المقدسة عندهم ! .

ولذلك لا تستغرب أن بعض علماء الشيعة الاثني عشرية يردون توقيعات الغائب ، فمنهم من يقول : " لا أفتي بهذا الحديث ، بل أفتي بما عندي بخط الحسن بن علي ^(٦) ، ويؤيده آخر فيقول : " فإن خط المعصوم أقوى من النقل بوسائل ... فيكون تضعيفاً " ^(٧) ، سبحانه الله ! .

(١) الطوسي : الغيبة ص ٣٩٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٥٩ .

(٢) نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٢٨ - ٢٩ .

(٣) خالد عبد المحسن التوجيهي : ولاية الفقيه وتطورها ، ملحق مجلة البيان ، ط الملك فهد الوطنية - الرياض ، ١٤٣١هـ ص ١٢ .

(٤) د ناصر القفاري : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ج ١ ص ٨٣٥ .

(٥) السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي : معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، نشر مؤسسة الإمام الخوئي الإسلامية - النجف ، ط ٥ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ج ١ ص ٧١ بتصرف .

(٦) البحراني : الحقائق الناضرة ج ٢٢ ص ٥٦٨ . الطبرسي : خاتمة المستدرك ج ٣ ص ٤٩٨ .

(٧) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٣٠ ص ٢٧٤ .

وقسموا الغيبة إلى : صغرى (قصرى) ، وكبرى (طولى)^(١) ، وجعلوا النواب عن الناحية المقدسة أربعة آخرهم السمرى ، وعلى هذا يكون قد انتقلت الولاية الفعلية من الإمام القائم صاحب الزمان إلى الفقهاء^(٢).

الأثر المهم المترتب على عقيدة الغيبة :

التناقض بين روايات المذهب في كل شيء عن المهدي وخذ أمثلة :

تناقضهم في مكان غيبة المنتظر :

قيل : في مكان لا يعرفه غير الباب الذي رفض أن يبوح به ، وأخرج توقيعاً منه يقول : " إن عرفوا المكان دلوا عليه "^(٣).

وقيل : مختبئ في جبل رضوى من جبال فارس : عن أبي عبد الله: " رضوى من جبال فارس ، أحبنا فنقله الله إلينا ، أما إن في كل شجره مطعم ، ونعم أمان للخائف مرتين ، أما إن لصاحب هذا الأمر فيه غيبتين : واحدة قصيرة ، والأخرى طويلة "^(٤) ، وعند رجعة الحسين -عليه السلام- يأتي جبل رضوي ، فلا يبقى أحد من المؤمنين إلا أتاه ، وسيقيم هنالك على سرير من نور قد حف به الأنبياء حتى يقوم المهدي^(٥).

ويؤيده أيضاً : قول أبي عبد الله: إن أرواح المؤمنين ترى آل محمد في جبال رضوى ، فتأكل طعامهم ، وتشرب من شرابهم ، وتحدث معهم في مجالسهم حتى يقوم قائمنا أهل البيت ، فإذا قام قائمنا ، بعثهم الله تعالى ، وأقبلوا معه يلبنون زمراً زمراً^(٦).

(١) وهذا الغائب الذي بقي خمس سنين في السرداب ، ثم غاب الغيبة الكبرى ، بحكم السن : يتيم ، يجب أن يحفظ له ماله حتى يؤنس منه الرشد ، ويحضنه من يستحق حضائنه ، فإذا ما تم له سبع : أمر بالطهارة ؛ والصلاة ، فمن لم يتوضأ ، ولم يصل يجب الحجر على ماله ، هذا إن كان موجوداً فما بالك بالغائب . عبد الله الغنيمة : مختصر منهاج السنة ص ٥٣ .

(٢) كثير من علماء الشيعة وخصوصاً في إيران لا يعرفون اللغة العربية ؛ فكيف يستنبطون الأحكام من كتاب الله وسنة نبيه ، مع العلم بأن المعرفة بالعربية أحد ضرورات العالم المجتهد . سليمان الخراشي: أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ٤٣ .

(٣) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٣٣ . نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٣٣ .

(٤) الطوسي : الغيبة ص ١٠٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٥٣ .

(٥) ابن جرير الطبري الشيعي: دلائل الإمامة ص ٧٨ . هاشم البحراني: مدينة المعاجز ج ٢ ص ٢٧٣ .

(٦) الحسن الحلي : المحتضر ص ٢٠ . بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٤٣ . ج ٢٧ ص ٣٠٨ .

وقيل : في بعض شعاب جبل ذي طوى على مشارف المدينة النبوية: عن أبي جعفر: يكون لصاحب هذا الامر غيبة في بعض هذه الشعاب - ثم أوماً بيده إلى ناحية ذي طوى (١) ، يهبط القائم من ثنية ذي طوى، في عدة أهل بدر(٢).

وقيل بالمدينة : كما أخبر أبو محمد (٣)، والرضا : قال ستكون حيرة ، فسئل : فإذا كان كذلك فالى أين أذهب ؟ قال : إلى المدينة (٤) ، ويمدحها أبو عبد الله فيقول : لا بد لصاحب هذا الأمر من غيبة ، ولا بد له في غيبته من عزلة ، ونعم المنزل طيبة (٥)، ويخرج صاحب هذا الأمر من المدينة إلى مكة (٦).

وقيل : إنه في سرداب سامراء : والحرس عليه ، وكان ذلك سنة ٢٧٦هـ (٧).

والراجع من أساطيرهم : هذه ليست إقامته الدائمة لنفك هذا الاشتباك حتى نجتمع بين الأقوال ؛ فاعتقاد الإمامية كما يقول الصدوق : الحجة القائم بأمر الله ، صاحب الزمان ، وخليفة الرحمن في أرضه ، الحاضر في الأمصار ، الغائب عن الأبصار (٨).

فإنه يعيش بيننا ولكن لا نعرف شخصه : عن أبي عبد الله الصادق: فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل الله بحجته ما فعل بيوسف أن يكون صاحبكم المظلوم المجروح حقه : صاحب هذا الأمر يتردد بينهم ، ويمشي في أسواقهم ، ويطأ فرشهم ، ولا يعرفونه حتى يأذن الله له أن يعرفه بنفسه؛ كما أذن ليوسف حتى قال له إخوته : إنك لأنت يوسف ، قال : أنا يوسف (٩) . فكلما تقدمت السنين في عصر الغيبة، والأجيال قل الذين عاصروا

(١) البحار ج ٥٢ ص ٣٤١. مستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ٦٠٣. معجم أحاديث

المهدي ح ٧٧٤ ج ٤ ص ٣٦٥. ح ١٤٦٠ ج ٧ ص ٣٩. النعماني: الغيبة ص ١٨٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٧٠. معجم أحاديث المهدي ح ٧٧٤ ج ٤ ص ٣٦٥. النعماني: الغيبة ص ١٨٧.

(٣) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٨٦ - ٣٨٧. الطوسي : الغيبة ص ١٤٤.

(٤) بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٥٦. النعماني: الغيبة ص ١٩١. م أحاديث المهدي ح ١٢٤٥ ج ٥ ص ٤٩١ - ٤٩٢.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٥٣. الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤٠٠.

(٦) تراث النبي : سيفه ، ودرعه ، وعمامته ، وفرسه ، ولأمته . بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٤٢ .

(٧) علي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٣٦١. بحار الأنوار ج ٥١ ص ٩٧.

(٨) الصدوق : الاعتقادات هامش ص ٩٤. النوري الطبرسي : كشف الأستار ص ٢١٥ - ٢١٦.

(٩) الصدوق: كمال الدين ص ٣٢٠ - ٣٢١. بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٥٤.

العسكري ، وشاهدوا ابنه المهدي حتى انقروا ، ووجدت أجيال لا تعلم شكل المهدي ، بحيث لو واجهوه ما عرفوه ، ومن هنا تيسر له فرصة السفر إلى مختلف أنحاء البلاد كمكة ، ومصر ، من دون أن يكون ملفتاً لنظر أحد ، وهذا معنى خفاء العنوان ، ويمكن أن يعيش في أماكن سنين متطاولة ، من دون أن يلتفت إلى حقيقته أحد ، حتى يأذن الله بالفرج ^(١) .

تناقضهم في حكم تسمية المهدي باسمه : بمطالعة كتب الرافضة تجد روايات تسميه : محمداً ، وروايات تذكره بالإشارة ، وروايات : لا يحل لكم ذكره باسمه ^(٢) ، ولا يسميه باسمه إلا كافر ^(٣) ؛ ولذلك جعلوا له ألقاباً ينادونه بها منها : القائم ، الخلف ، الناحية المقدسة ، صاحب الزمان ، صاحب العصر ، صاحب الأمر ^(٤) ، وأهم أقوالهم :

القول الأول : النهي عن تسميته باسمه مطلقاً من دون تقية : فرواية تكفر من يسميه ^(٥) ، وأخرى لا يحل لكم تسميته ^(٦) ، وثالثة تحرم عليهم تسميته ^(٧) ، وأخرى تأمرهم أن يقولوا : الحجة ^(٨) ، فلا يرى جسمه ، ولا يسمى اسمه ^(٩) ، والسبب إن دللتهم على الاسم أذاعوه ،

(١) الشهيد الصدر : تاريخ الغيبة الكبرى ص ٤٥ .

(٢) نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٣٢ .

(٣) معنى الكفر: من كان شبيهاً بالكافر. أصول الكافي ج ١ ص ٣٩٢ . الصدوق: كمال الدين ص ٥٨٧ .

(٤) سامح عباس الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ص ٧٥ .

(٥) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٣٣ . نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام ص ٣٣ . معجم

أحاديث المهدي ح ٩٠٥ ج ٥ ص ٤٥ . بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٣ . وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٣٨ . عن أبي عبد الله .

(٦) الصدوق : كمال الدين ص ٣١٣ . نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٣٣ .

(٧) الصدوق : كمال الدين ص ٣٧٨ . الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٤١ .

(٨) أصول الكافي ج ١ ص ٣٩٢ . بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٢ .

(٩) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٩٢ . بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٣ . عن أبي عبد الله .

وإن عرفوا المكان دلوا عليه ^(١)، فاتقوا الله وامسكوا ^(٢)، بل لقد خافوا عليه من أولاد فاطمة، فلو أن بني فاطمة علموه، حرصوا على أن يقطعوه بضعة ^(٣).

القول الثاني: هو مما استأثر آل محمد بعلمه: زعموا أن عمراً -عليه السلام- سأل علياً -عليه السلام- عن اسم القائم فقال: أما اسمه فلا؛ لا أحدث باسمه حتى يبعثه الله، وهو مما استودع الله -عليه السلام- رسوله في علمه ^(٤).

القول الثالث: ذهب جماعة إلى أن النهي مخصوص بزمان الغيبة الصغرى ^(٥) لاشتداد الخوف والتقية ^(٦)، ولا يحل لهم تسميته حتى يظهره الله -عليه السلام- ^(٧).

القول الرابع: جواز التسمية بالحروف المقطعة، كما فعل الحسن العسكري حين بعث إلى بعض من سماه شاة مذبوحة، وقال: هذه من عقيقة ابني {م ح م د} ^(٨)، وعن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-: "ثم {م ح م د}، سماه باسمه، ابن الحسن المهدي الناطق القائم ^(٩)، وعن الباقر: "والخلف المأمول المنتظر {م ح م د} ابن الحسن بن علي" ^(١٠)، وعن جعفر الصادق مثله ^(١١).

(١) الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٣٩٢. وسائل الشيعة ج ١ ص ٤٨٧. الصدر: تاريخ الغيبة الكبرى ص ٤٦.

(٢) الشيخ الطوسي: الغيبة ص ٢٤٤. الشهيد الصدر: تاريخ الغيبة الكبرى ص ٤٦.

(٣) النعماني: الغيبة ص ٣٠٠. نعمة الله الجزائري: أحوال المنتظر ص ٣٢. الطوسي: الغيبة ص ٢٠٨. عن الباقر.

(٤) المجلسي: بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٤. الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ص ٥٨٨.

(٥) من الغريب أن هناك تناقض في تحديد مدة الغيبة فبعض الروايات تحددها بأربع وسبعين سنة. ينظر هاشم البحراني: مدينة المعاجز ج ٥ ص ١٤٧-١٤٨. جعفر السبحاني: أضواء على عقائد الشيعة الإمامية ص ٢١٨.

(٦) الصدوق: كمال الدين ص ٣٧٨. نعمة الله الجزائري: أحوال الإمام المنتظر ص ٣٥.

(٧) الجزائري: أحوال الإمام المنتظر ص ٣٣-٣٤. عن موسى بن جعفر. الصدوق: الأمالي ص ٤١٩. محمد بن جرير الطبري الشيعي: دلائل الإمامة ص ١٧٦. عن أبي الحسن الثالث. الصدوق: علل الشرائع ج ١ ص ٩٨. عن أبي جعفر. الطوسي: الغيبة ص ٢٨٢. وعن علي -عليه السلام-.

(٨) الميرزا النوري: مستدرك الوسائل ج ١٥ ص ١٤١.

(٩) المجلسي: بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٤٣. وحيد الخراساني: منهاج الصالحين ج ١ ص ٢٠٣.

(١٠) الشيخ الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ص ٣١٤.

(١١) معجم أحاديث المهدي ح ٨٩٧ ج ٥ ص ٣٨. المجلسي: بحار الأنوار ج ٤٨ ص ١٥.

الرأي الخامس : جواز ذكره باسمه صراحة ، كما قال الحسن العسكري لجاريته : " ستحملين ولداً ، واسمه محمداً " ^(١)، وعن علي - عليه السلام - : " له اسمان : اسم يخفى فأحمد ، وأما الذي يعلن فمحمداً " ^(٢)، وقيل : وكني بجعفر ^(٣) ، وقيل : أبو القاسم ^(٤)، وقال الحسن: هذه عقيقة ابني محمد ^(٥) ، وقيل : عبد الله ^(٦).

الرأي السادس : جواز الذكر بين الخاصة، لا في المحافل ، ومجامع الناس : خرج من توقيعات المنتظر المزعوم : " ملعون من سماني في محفل من الناس أو في مجمع من الناس " ^(٧).

القول السابع : جواز تسميته بالكنية: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : يخرج رجل من ولدي اسمه اسمي ، وكنيته كينتي ^(٨)، عن أبي جعفر: اسمه اسم نبي ^(٩)، فكيف نذكره ؟ قال العسكري : قولوا الحجة من آل محمد ^(١٠) .

كنيته : أبو القاسم ، وأبو جعفر ، قال أبو جعفر: المكنى بعمه ^(١١).
وأهم ألقابه: المهدي ^(١٢)، الحجة، القائم ، صاحب الزمان ، والخلف الصالح ، والصاحب، والغريم ^(١).

-
- (١) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٤٣. نعمة الله الجزائري : أحوال المنتظر ص ١٧.
(٢) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٥. نعمة الله الجزائري: أحوال المنتظر ص ٣٧. وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٤٤.
(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٥.
(٤) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٤٤.
(٥) وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٤٣. معجم أحاديث المهدي ح ١٢٨٦ ج ٥ ص ٥١. البحار ج ٥١ ص ١٥.
(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٩١.
(٧) وسائل الشيعة ج ١٦ ص ٢٤١. بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٣. ج ٥٣ ص ١٨٤. نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٣٣.
(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٤ ص ٣٠٥. وفي رواية : اسم أبيه اسم أبي ج ٣٧ ص ٢.
(٩) معجم أحاديث المهدي ج ٤ ص ٣٥٢.
(١٠) الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٥٨٨.
(١١) ابن جرير الطبري الشيعي: دلائل الإمامة ص ٢٨٥. معجم المهدي ح ٧٦٥ ج ٤ ص ٣٥١.
(١٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٦. نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٢٩.

الرأي الرابع : لا يمكن الترجيح بين هذه الآراء إذ كلها تدور حول التقيّة والكتمان .
وتناقضوا في مولده : فمن قائل : أنه ولد في ٢٣ رمضان ٢٥٨هـ ، وقيل : ٩ ربيع الأول ٢٥٨هـ ^(٢) ، وقيل : ٨ شعبان ٢٥٦هـ ^(٣) ، وقيل : ليلة النصف من شعبان ٢٥٥هـ ^(٤) ، وقيل : ليلة جمعة من رمضان ٢٥٥هـ ^(٥) ، وقيل : الجمعة ٣ ^(٦) ، أو ٨ شعبان سنة ٢٥٧هـ ^(٧) ، قبل موت أبيه بسنتين وسبعة أشهر ^(٨) ، وقيل : ٢٥٢هـ ^(٩) ، وقيل : ليلة الجمعة من رمضان ٢٥٤هـ ^(١٠) .

وتناقضوا في بداية غيبته الصغرى :

فالقول الأول قال المفيد : فأما القصرى فمنذ وقت مولده ، إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته ، وعدم السفراء بالوفاة ^(١١) ، فكانت حياته منذ الولادة مقرونة بالاستتار من الناس ، ويمكن أن نعتبر السنوات الخمس التي قضاها المهدي مع والده من ضمن الغيبة الصغرى تبعاً للشيخ المفيد ^(١٢) .

القول الثاني : وهو الرأي الذي عليه أكثر الباحثين والمؤرخين ، والذي يعتبر بداية الغيبة الصغرى منذ وفاة العسكري في الثامن من ربيع الأول سنة (٢٦٠هـ-) ، وبذلك تكون مدّة

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٦ . نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٣٥ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٣-٢٤ .

(٣) الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٢٨ . بحار الأنوار ج ٥١ ص ٤ . ص ٢٤ . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٢٩ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢ .

(٥) البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٧ ص ٤٤٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٠ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٥ .

(٧) المصدر السابق ج ٥١ ص ١٥ .

(٨) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٩٦ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٤٦ .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٠ .

(١٠) نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٢٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٦ .

(١١) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٦٥ . البحراني : مدينة المعاجز ج ٥ ص ١٤٨ . مستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ٨٧ .

(١٢) محمد القزويني : الإمام المهدي من المهد إلى الظهور - ط الوفاء - قم ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م ص ١٦٩ .

الغيبة الصغرى تسعاً وستين سنة ، وأقلّ من ستّة أشهر، بدليل أن عمته حكيمة كانت تراه حتى صار كبيراً ، ورآه أيضاً أربعين رجلاً في بيت الحسن العسكري ، وقال لهم : هذا إمامكم ، ورآه العمري ، ورأته جارية أبي الحسن وخادمه ^(١) المسمى عقيد وهو ابن سنتين ، ولما حضرت صلاة الجنازة على الحسن العسكري ، تقدم جعفر بن محمد : (الذي كان يشرب النبيذ ، ويقامر ، ويلعب الطنبور) ؛ ليصلي على أخيه الحسن ، فلما هم بالتكبير ، خرج صبيٌّ ، فجبذ برداء جعفر بن علي ، وقال : تأخر يا عم فأنا أحق بالصلاة على أبي ؛ فتأخر جعفر وقد اربد وجهه ^(٢) ، وعن أبي جعفر : إمام يخنس سنة ستين ومائتين ، ثم يظهر كالشهاب ^(٣).

وتناقضوا : كم كان عمره حين غاب ؟

قيل : سنتين وأربعة أشهر ، وقيل : أربع سنين ^(٤) ، وقيل : خمس سنين ^(٥) ؛ لأن أباه توفي سنة ٢٦٠ هـ ^(٦) ، وقيل : ثمان سنين ^(٧) ، وقيل تسع سنين ، وقيل : سبع عشرة سنة ^(٨) ، وقيل : بعد مولده بثلاثة أيام ^(٩) ، وقيل : بعد أربعين يوماً ^(١٠) ، وقيل : صار رجلاً في شهور وغاب ^(١١) ، وقدره بعضهم : بستين ، وآخر : بأربع عشرة سنة ، وثالث : بإحدى وعشرين سنة ^(١٢).

-
- (١) قال بعض أهل البيت : خدامنا ، وقوامنا شرار الخلق . الطوسي : الغيبة ص ٢١٤ .
 (٢) الصدوق : كمال الدين ص ٣٩٩ - ٤٣٢ باختصار . بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٣٣٢ - ٣٣٤ .
 (٣) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤٠١ .
 (٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٤ . الطوسي : الغيبة ص ٢٦١ .
 (٥) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٤ . علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٥٠٥ .
 (٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٠ . البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٧ ص ٤٤٠ .
 (٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٠ .
 (٨) بالتحديد في سنة ٢٧٥ هـ . كما قال ابن الأزرق . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٤ .
 (٩) الطوسي : الغيبة ص ٢٣٧ . البحراني : مدينة المعاجز ج ٨ ص ٣١ . بحار الأنوار ج ١٥ ص ١٨ .
 (١٠) الطوسي : الغيبة ص ١٤٨ - ١٤٩ . دلائل الإمامة ص ٥٠١ . بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٠ .
 (١١) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٤٢٩ بتصرف .
 (١٢) الشيخ الطوسي : الغيبة ص ١٤٥ .

وتناقضوا في اسم والدته : فمن قائل : إنها صقيل^(١) ، أو نرجس^(٢) ، أو مريم بنت زيد العلوية^(٣) ، وقيل : نرجس^(٤) ، ورووا : كان على قبر نرجس بسامراء لوح عليه مكتوب : هذا قبر أم محمد^(٥) ، وقيل : مليكة بنت يشوعا بن قيصر الروم ، وينتهي نسبها لشمعون بن حمون الصفا ، ابن عمّة مريم ، وصي عيسى -عليه السلام- وقيل : ابن خال عيسى^(٦) ، وقيل : ريحانة^(٧) ، وقيل : سوسن^(٨) ، وقيل : خمط^(٩) ، وقيل : حكيمة^(١٠) ، وبعضهم حاول الجمع بين هذه الأسماء^(١١) .

ويتناقضوا في موت أمه : فعن جارية الحسن العسكري: "إن أم المهدي ماتت في حياة أبي محمد ، وعلى قبرها لوح مكتوب عليه هذا قبر أم محمد " ^(١٢) ؛ وقيل : إنه دخل السرداب في دار أبيه وأمه تنظر إليه^(١٣) .

ويختلفون هل ولد قبل وفاة أبيه أم بعدها ؟ قيل : ولد للحسن ولدٌ بعد وفاته بثمانية أشهر ، وكذبوا من زعم أنه ولد في حياة أبيه^(١٤) ، وعن الباقر : " لا تزالون تمدون أعناقكم إلى الرجل منا تقولون : هذا هو ، فيذهب إلى ربه ، حتى يبعث الله لهذا الأمر من لا تدرون ولد

-
- (١) بحار الأنوار ج ٥ ص ١٢ ، مستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ٣٠٩ .
 (٢) بحار الأنوار ج ٥ ص ٢ . معجم أحاديث المهدي ح ١٢٨٤ ج ٦ ص ٥٠ .
 (٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥ ص ٢٥ .
 (٤) البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٧ ص ٤٤٠ . الصدوق : كمال الدين ص ٤١٧-٤١٨ .
 (٥) علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٣٨٩ .
 (٦) بحار الأنوار ج ٥ ص ٧ . معجم أحاديث المهدي ح ١٢٥٥ ج ٥ ص ٥١٤ .
 (٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥ ص ١٥ . معجم أحاديث المهدي ح ١٢٨٤ ج ٦ ص ٥٠ .
 (٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥ ص ١٥ . معجم أحاديث المهدي ح ١٢٨٤ ج ٦ ص ٥٠ .
 (٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥ ص ٢٤ .
 (١٠) معجم أحاديث المهدي ح ٩٠٤ ج ٥ ص ٤٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥ ص ٢٣ .
 (١١) علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٢٥ .
 (١٢) الحقائق الناضرة ج ٤ ص ١٣٨ . مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٣٧٦ . المعجم ح ١٣٥٧ ج ٦ ص ٢٣٢ .
 (١٣) هذا قول ابن الأزرقي حكاية المجلسي : بحار الأنوار ج ٥ ص ٢٤ .
 (١٤) النعماني المغربي: شرح الأخبار ج ٣ ص ٣١٤ . علي العاملي: الصراط المستقيم ج ٢ ص ٢٧٧ .

؟ أم لم يولد ؟ خلق أم لا؟^(١). ومنهم من يقول : مات أبوه وهو حمل في بطن أمه ، فلم يوص لأحد بعده ^(٢) ، وقيل : إنه ولد في سنة ٢٥٦هـ ، بعد مضي أبي الحسن بسنتين ^(٣) ، وقيل : ولد قبل موت أبيه بسنتين ^(٤).

قال النوبختي : إن للحسن بن علي ولداً سماه محمداً ، ولد قبل وفاته بسنين ، قيل : كان عمره عند وفاة أبيه خمس سنوات ، وقالت فرقة : بل ولد للحسن ولد بعده بثمانية أشهر ، وفرقة قالت : أنه لا ولد للحسن أصلاً ؛ لأننا قد امتحنا ذلك ، وطلبناه بكل وجه فلم نجده ^(٥).

ويتناقضون في كيفية نشأة المنتظر؟ : روي عن أبي الحسن: إنا معاشر الأوصياء ننشأ في اليوم مثلما ينشأ غيرنا في الجمعة ، وإن الصبي منا إذا أتى عليه الشهر كان كمن أتى عليه سنة ، وإن منا ليتكلم في بطن أمه ، ويقرأ القرآن ، قال الراوي : ولقد رأيته رجلاً قبل مضي أبي محمد بأيام قلائل؛ فلم أعرفه ^(٦)، وفي رواية : " إنا معاشر الأئمة ننشأ في اليوم كما ينشأ غيرنا في السنة" ^(٧).

وعن عمه الحسن وجدته: أدلى لسانه في في الحجة كأنه يغذيه لبناً أو عسلاً ، ثم تكلم يوم سابعه بالتوحيد، والصلاة على النبي وآله ، وقيل تكلم يوم مولده ، وكان إذا عطس أحد خدامه قال له يرحمك الله ^(٨).

ويتناقضون في سبب غيبته بناء على اختلاف الروايات : السبب الأول : القتل

عن أبي عبد الله: إنه يخاف - وأوماً إلى بطنه - يعني القتل ^(٩) أو الذبح ^(١٠).

-
- (١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٣٩. محمد إبراهيم النعماني : الغيبة ص ١٨٨.
 - (٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٩٦.
 - (٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٢.
 - (٤) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٩٦.
 - (٥) النوبختي : فرق الشيعة ص ١٠٠ - ١٠١ بتصرف .
 - (٦) نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٢٨.
 - (٧) الشيخ الطوسي : الغيبة ص ١٥٩ - ١٦٠.
 - (٨) نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٢٠ بتصرف .
 - (٩) الاثنا عشرية يعتقدون : أن الأئمة يعلمون متى يموتون ، ولا يموتون إلا باختيار منهم . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٩٦. المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢٨٥.
 - (١٠) ابن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة ص ٢٨٨.

والثاني بغض الله للشبهة: عن أبي جعفر: إن الله إذا كره لنا جوار قوم نزعنا من بين أظهرهم (١).

والثالث: لا ينكشف إلا بعد ظهوره؛ كما لم ينكشف وجه الحكمة لما أتاه الخضر من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار لموسى -عليه السلام- إلا وقت افتراقهما (٢). والسبب الرابع الخوف: يقول الصدوق: إحدى العلل التي من أجلها وقعت الغيبة الخوف، ولا يجسرون على الإشارة، خوفاً من طاغية زمانه (٣).

السبب الخامس: حتى تتشابه الأئمة بالأنبياء فيمكن التوصل بهم في غيبتهم: فعن الصادق: إن لله رسلاً مستعلنين، ورسلاً مستخفين، فإذا سألته بحق المستعلنين، فسله بحق المستخفين، وأوصياء مستعلنين، ومستخفين، وكذلك يكون المهدي خاتم الأئمة (٤).

فائدة الغيبة كما تدعي الشيعة الاثني عشرية:

أولاً: حصول الاجماع الحاصل من وجود قول المهدي بين آراء الطائفة! : فلا يترك الأئمة على الضلال، بل يبين لهم الحق في كل باب من غير أن يعرفوه، ولهذا كانت الأقوال المجهولة القائل عنه أكثر اعتباراً من غيرها، ويقول: إن القائل بذلك القول هو الإمام (٥).

وذلك بأن يحصل لأحد من سفراء الامام الغائب العلم بقوله، إما بنقل مثله له سراً، أو بتوقيع، أو مكتابة، أو بالسماع منه شفاهاً، على وجه لا ينافي امتناع الرؤية في زمن الغيبة، ويحصل ذلك لبعض حملة أسرارهم، ولا يمكنهم التصريح بما اطلع عليه، والاعلان بنسبة القول إليه، والاتكال في إبراز المدعى على غير الاجماع من الأدلة الشرعية، لفقدائها، وحينئذ فيجوز له إذا لم يكن مأموراً بالاخفاء، أو كان مأموراً بالاطهار لا على وجه الافشاء أن يبرزه لغيره في مقام الاحتجاج، بصورة الاجماع، خوفاً من الضياع، وجمعاً بين امتثال الأمر بإظهار الحق بقدر الامكان، وامتثال النهي عن

(١) نعمة الله الجزائري: أحوال المنتظر ص ١٤٧. وبنحوه الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٤٠٣.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٩٠. نعمة الله الجزائري: أحوال الإمام المنتظر ص ١٤٨.

(٣) يقصد بالطاغية: هارون الرشيد - رحمه الله - . الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٣٨.

(٤) انظر الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٣ - ٣٥ بتصرف.

(٥) نعمة الله الجزائري: أحوال الإمام المنتظر ص ١٤٩.

إذاعة مثله لغير أهله من أبناء الزمان ، ولا ريب في كونه حجة إما لنفسه فلعلمه بقول الإمام ، وإما لغيره فلكشفه عن قول الامام .

فإن قيل : " فإذا كان الإمام غائباً بحيث لا يصل إليه أحد من الخلق ، ولا ينتفع به ، فما الفرق بين وجوده وعدمه ؟ . ادعوا : إنا غير قاطعين على أن الامام لا يصل إليه أحد ، ولا يلقاه بشر ، فهذا أمر غير معلوم ، ولا سبيل إلى القطع عليه ، وإذا كانت العلة في استتار الإمام ، خوفه من الظالمين ، واتقائه من المعاندين ، فهذه العلة زائلة في أوليائه وشيعته ، فيجب أن يكون ظاهراً لهم ، وغير ممتنع أن يكون الامام يظهر لبعض أوليائه ممن لا يخشى من جهته شيئاً من أسباب الخوف ، وهذا مما لا يمكن القطع على ارتفاعه (١) .

وثانياً : من فوائدها استخراج المؤمنين من أصلاب الكافرين : عن أبي عبد الله سئل عن الغيبة فقال : ودائع مؤمنون في أصلاب قوم ، وكذلك القائم لا يظهر أبداً حتى تخرج ودائع الله - ﷻ - فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله فقتلهم (٢) .

ثالثاً : بيان نظرية الحكمة المجهولة في الغيبة : كما قال الصادق : " إن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره (٣) ، وأنه أمر من أمر الله ، وسر من سر الله ، وغيب من غيب الله " (٤) .

رابعاً : التمهيد : قال أبو جعفر : " والله لتمييزن ، والله لتمحصن ، والله لتغربلن " (٥) .

خامساً : اثبات نظرية الخوف ، والتقية (٦) .

وتناقضوا في مدة الغيبة الكبرى : يسألوننا لماذا نستعجل (٧) فقد أخبرهم علي - ﷺ - فقال : إنه سيغيب ستة أيام ، أو ستة أشهر ، أو ست سنين ... فإن له بداعات ، وإرادات ، وغايات ، ونهايات (٨) .

(١) الطوسي : الغيبة ص ٧٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٣٢١ - ٣٢٣ باختصار .

(٢) الصدوق : علل الشرائع ص ١٤٨ . بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٤٣٦ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٩١ .

(٤) الشيخ الصدوق : علل الشرائع ج ١ ص ٢٤٦ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١١٤ .

(٦) د عمر عبد الله كامل : رسالة إلى إخواننا الشيعة الإمامية ص ٥٣ - ٥٤ .

(٧) لماذا نستعجل فعمر الدنيا كما روى عن أهل البيت مائة ألف سنة ، لسائر الناس عشرون ألف سنة ، وثمانون ألف سنة آل محمد ، من هذه المدة يوم طوله خمسين ألف سنة كرة رسول الله - ﷺ - ويملك

وأخبر السجاد : إن للقائم منا غيبتان : إحداهما أطول من الأخرى ، أما الأولى : فستة أيام ، وستة أشهر، وست سنين ^(٢) ، وعن أبي جعفر: ستبقون ستة (سبتا) من دهركم لا تعرفون إمامكم ، قلت : وكم الستة جعلت فداك ؟ قال : ستة أيام ، أو ستة أشهر، أو ست سنين ، أو ستون سنة^(٣)^(٤). وقيل : سبعين سنة، وقيل : مائة وأربعين سنة ^(٥). وعن أبي عبد الله: الأولى أربعين يوماً ، والأخرى ستة أشهر أو نحو ذلك^(٦).

والإظهار : أنه قابل للبداء ^(٧) ؛ ولذلك قيل : أمد غير معين ^(٨) ، كما قال أبو عبد الله : ليغيبن إمامكم سنيماً من دهركم^(٩) ، فكلما اشتد غضبه الله تعالى على أهل الأرض أخره ^(١٠) ، كذب الوقتون؛ إنا أهل بيت لا نوقت " ^(١١) ، وعن الصادق : حاش لله أن يوقت ظهوره

أمير المؤمنين أربعاً وأربعين ألف سنة ، ويبقى ستة آلاف سنة يهرم فيها الحسين حتى يقع حاجباه على عينه من الكبر (نقص في العصمة) في رواية في ألف سنة ، وفي رواية فيمكث في الأرض أربعين سنة. الميرزا محمد مؤمن الأسترابادي : الرجعة ص ٣٣- ٣٦ . بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١١٦ ، ٤٣ ، ٦٤ . مستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ٣٧٥ ، ٣٩٢ . ج ٤ ص ٨٩ . ج ٩ ص ٩٤ .

(١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٩٧ . نعمة الله الجزائري : أحوال المنتظر ص ٥٩ . معجم أحاديث المهدي ح ٦١٥ ج ٤ ص ٨٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ١١٨ .

(٢) علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٤ ص ٤٥٤ . بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٣٤ .

(٣) من الغريب أن هناك تناقض في تحديد مدة الغيبة فبعض الروايات تحددها بأربع وسبعين سنة ، وأخرى بستين سنة . ينظر هاشم البحراني: مدينة المعاجز ج ٥ ص ١٤٧- ١٤٨ . جعفر السبحاني: أضواء على عقائد الشيعة الإمامية ص ٢١٨ . الصدوق : كمال الدين ص ٣٧٨ . نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٣٥ .

(٤) معجم أحاديث المهدي ح ١٢٤٦ ج ٥ ص ٤٩٣ .

(٥) علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ٧٤ .

(٦) ابن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة ص ٢٨٨ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٣٤ - ١٣٥ .

(٨) الطوسي : الغيبة ص ٢٦٣ . معجم أحاديث المهدي ، تعليق على ح ١٢٤٦ ج ٥ ص ٤٩٣ .

(٩) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٩٥ .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١١٧ . الطوسي : الغيبة ص ٢٦٣ .

(١١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١١٧ . الطوسي : الغيبة ص ٢٦٤ . معجم أحاديث المهدي ح ٩٣١ ج ٥ ص ٧٢ .

بوقت يعلمه شيعتنا... ومن وقت لمهديننا وقتاً ؛ فقد شارك الله في علمه ؛ لأنه هو الساعة^(١) ،

وعن أبي جعفر: ما وقتنا فيما مضى ، ولا نوقت فيما يستقبل^(٢) ، وعنه : من وقت لك من الناس شيئاً فلا تهابن أن تكذبه^(٣) ، فهل نكذب من مضى من الأئمة ؟ .
وقيل : إن في القائم سنة من نوح -عليه السلام- وهي طول العمر^(٤) ؛ فيكون الأمد أكثر من ٩٥٠ سنة، وعن الصادق: مثل أمرنا في كتاب الله ، مثل صاحب الحمار ، أماته الله مائة عام ، ثم بعثه^(٥) .

وعن أبي عبد الله : القائم من ولدي ، يعمر عمر الخليل عشرين ومائة سنة يدري به ، ثم يغيب غيبة في الدهر ، ويظهر في صورة شاب موفق ابن اثنين وثلاثين سنة ، حتى ترجع عنه طائفة من الناس^(٦) ، وفي رواية : يقوم في الناس أربعين سنة^(٧) .
ويوضح أبو عبد الله السبب في التأخير فيقول : " قد كان لهذا الأمر وقت ، وكان في سنة أربعين ومائة ؛ فحدثتم به ، وأذعتموه ؛ فأخره الله -عليه السلام- مرتين ، أو ثلاثة^(٨) ، ولكنكم أذعتم فزاد الله فيه^(٩) ، فما كل ما يعلم يقال ، ولا كل ما يقال حان وقته ، ولا كل ما حان وقته حضر أهله^(١٠) ،

قيل لأبي جعفر: إن علياً كان يقول إلى السبعين بلاء ، وبعد البلاء رخاء ، ومضت السبعون ولم نر رخاء ؟ فقال : إن الله وقت هذا الأمر في السبعين ، فلما قتل الحسين -عليه السلام- اشتد غضب الله على أهل الأرض ، فأخره إلى أربعين ومائة سنة ، فحدثناكم ، فأذعتم

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١ .

(٢) نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ١٥٣ . الطوسي : الغيبة ص ٢٦٤ .

(٣) نعمة الله الجزائري : أحوال المنتظر ص ١٥٤ - ١٥٥ . الطوسي : الغيبة ص ٢٦٤ .

(٤) الطوسي : الغيبة ص ٢٦٢ . معجم أحاديث المهدي ح ٧١٧ ج ٤ ص ٢٨٥ . البحار ج ٥٢ ص ٢١٧ .

(٥) الطوسي : الغيبة ص ٢٦٣ . معجم المهدي ح ١٤٧٣ ج ٧ ص ٧١ - ٧٢ . البحار ج ٥٢ ص ٢٢٤ .

(٦) معجم أحاديث المهدي ح ١١٥٠ ج ٥ ص ٣٣٨ .

(٧) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٨٧ . معجم أحاديث المهدي ح ١١٥٠ ج ٥ ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١١٧ . معجم أحاديث المهدي ح ٩٣٢ ج ٥ ص ٧٢ - ٧٣ .

(٩) الطوسي : الغيبة ص ٢٦٥ . بحار الأنوار ج ٤ ص ١١٣ . مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ٣٠٠ .

(١٠) الحسن بن سليمان الحلبي : مختصر بصائر الدرجات ص ٥٨٠ .

؛ فأخره الله ، ولم يجعل له بعد ذلك وقتاً عندنا ، وكان الأمر في فأخره الله ^(١) ، عن أبي عبد الله: أبي الله إلا أن يخالف وقت الموقتين ^(٢).

ويدافعون عن هذا التناقض الواضح فيقولون : الوجه في هذه الأخبار أن نقول : إن صحت ، أنه لا يمتنع أن يكون الله تعالى قد وقت هذا الأمر في الأوقات التي ذكرت ، فلما تجدد ما تجدد تغيرت المصلحة ، واقتضت تغييره إلى وقت آخر ، وكذلك فيما بعد ، إلى أن يجيء الوقت الذي لا يغيره شيء ؛ فيكون محتوماً ^(٣).

نقد هذا التناقض: بما يرد الشيعة على الرضا حين قال له قائل : قوم وقفوا على أبيك يزعمون أنه لم يمت، قال : كذبوا ، وهم كفار بما أنزل الله -ﷻ- على محمد -ﷺ- لو كان الله يمد في أجل أحد من بني آدم لحاجة الخلق إليه ؛ لمد الله في أجل رسول الله -ﷺ- ^(٤).

والعجيب أنهم حين يحاولون الرد يقولون : راجع مجلدات ، وكتب الفلاسفة تجد فيها من المقالات والبراهين الكثيرة الجلية العقلية لأكابر فلاسفة الغرب في إثبات إمكان الخلود في الدنيا الدنيا للآسان . وقال بعض كبار علماء أوروبا : لولا سيف ابن ملجم لكان علي بن أبي طالب من الخالدين في الدنيا ؛ لأنه قد جمع جميع صفات الكمال والاعتدال ^(٥) ؛ ونعم الاستدلال .

ونتساءل : لماذا استمرت الغيبة رغم ظهور بعض الدول الشيعية كالعبيدية ^(٦) ، والبويهية ^(٧) ، ومن آخر تلك الدول إيران المعاصرة ، والشيعة يستطيعون نصرته ،

(١) نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ١٤٧ . الطوسي : الغيبة ص ٢٦٥ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١١٨ . معجم أحاديث المهدي ج ٥ ص ٧٢ .

(٣) الطوسي : الغيبة ص ٢٦٦ بتصرف .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٢٦٥ .

(٥) الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء : أصل الشيعة وأصولها ص ١٥١ .

(٦) الدولة العبديّة { الفاطمية - العلوية - الباطنية } : حكموا مصر والمغرب والشام، أول خليفة منهم بالمغرب المهدي عبيد الله ٢٩٦هـ / ٩٠٩م، وآخرهم: العاضد لدين الله ، خُلِعَ على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م ومات بها ، وأقيمت الدعوة العباسية بمصر قال الذهبي: فكانوا أربعة عشر متخلفاً ، لا مستخلفاً. الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٢٩ ص ١٩٥ .

(٧) الدولة البويهية { الديلمية } : حكموا العراق إلى خراسان من عام ٣٣٤هـ / ٩٤٩م ، أول ملوكهم عماد الدولة بن بويه، وآخرهم عز الدولة بن جلال الدولة أبي طاهر، مات ٤٤١هـ ، قال ابن كثير في

وحمايته في دولتهم ، وأعدادهم بالملايين ، وهم يفدونه بأرواحهم صباح مساء ! ^(١).
وتناقضوا في عمر المنتظر عند خروجه وهيئته : فبعض الروايات تقول : إنه سيظهر كيف شاء ، وبأي صورة شاء (٢) ، وعن أبي عبد الله : ويظهر في صورة شاب موفق ابن اثنين وثلاثين سنة ^(٣) ، وفي رواية : " ابن ثلاثين سنة " ^(٤) . ويقطع الخلاف أبو جعفر فيقول : ليس صاحب هذا الأمر من جاز الأربعين ^(٥).

وحتى يشجعوهم على هذا التقديس الأعمى : وعدوا من صدق بهذه الغيبة بأجور منها : فأقرب ما يكون العباد من الله - ﷺ - وأرضى عنهم إذا افتقدوا الحجة ^(٦) ، فعن النبي - ﷺ - : " أفضل أعمال شيعتنا انتظار فرج الله ^(٧) .

ويفترون عنه - ﷺ - : " سيأتي قوم من بعدكم ، الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم ، قالوا يا رسول الله : نحن كنا معك ببدر ، وأحد ، وحنين ، ونزل فينا القرآن ، فقال : إنكم لو تحملوا ما حملوا ، لم تصبروا صبرهم " ^(٨) ، وعن علي بن الحسن : من ثبت على موالاتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله - ﷻ - أجر ألف شهيد من بدر وأحد ^(٩).
نقد هذه الأجور : غاب عنهم أنهم يكفرون الصحابة ^(١٠) ، أم يقصدون الذين لم يرتدوا ؟.

حوادث سنة ٣٤٧ هـ : وقد امتلأت البلاد رفضاً ، وسباً للصحابة من بني بويه ، ثم استطاع طغرل بك - الزعيم السلجوقي - أن يسقط الدولة البويهية عام ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م في بغداد ، وأزال من على أبواب المساجد سب الصحابة . د علي الصلابي : الدولة العثمانية ، نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م ج ٢ ص ٢٠١ .

(١) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ٢٥ بتصرف .
(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٧ .
(٣) النعماني المغربي : الغيبة ص ١٩٥ . معجم أحاديث المهدي ح ١٥٠ ج ٥ ص ٣٣٨ - ٣٣٩ . بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٨٧ .
(٤) الطوسي : الغيبة ص ٢٦١ . معجم المهدي ح ١١٥٠ ج ٥ ص ٣٣٩ . بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٨٧ .
(٥) الطوسي : الغيبة ص ٢٦١ . معجم المهدي ح ٩٤٥ ج ٥ ص ٨٧ . بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣١٩ .
(٦) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٩٤ - ٩٥ ، ١٤٥ ، ٩٥ . الصدوق : كمال الدين ص ٣١٧ .
(٧) مستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٨٩ . بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٥٠ ، ١٢٢ . الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٥٨٤ .
(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٤٧ ، ج ٥٢ ص ١٣٠ . الطوسي : الغيبة ص ٢٧٦ .
(٩) معجم أحاديث المهدي ح ٧٢٠ ج ٤ ص ٢٩١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٢٥ .
(١٠) سامح عباس الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ص ٧٩ .

وتناقضوا في حكم منكر عقيدة غيبة المنتظر :

قال الشيخ المفيد: إتفقت الإمامية على أنّ من أنكر إمامة أحد من الأئمة وجد ما أوجبه الله له من فرض الطاعة فهو كافر ضالّ مستحقّ للخلود في النار^(١).

ويفترون عن رسول الله -ﷺ-: القائم من ولدي ، من أطاعه فقد أطاعني ، ومن عصاه فقد عصاني ، ومن أنكره في غيبته فقد أنكرني ، ومن كذبه فقد كذبنني^(٢)، ومات ميتة جاهلية^(٣)، ويدخل النار^(٤). وبعضهم يقول: من أنكر المهدي فقد كفر ، والكفر هنا : غير المصطلح الفقهي^(٥).

وما حال الشيعة بعد غيبته ؟

يعترف الصدوق المتوفى (٣٨١هـ) ، فيقول : "رجعت إلى نيسابور وأقمت بها ؛ فوجدت أكثر المختلفين إليّ من الشيعة قد حيرتهم الغيبة ، ودخلت عليهم في أمر القائم الشبهة ، وعدلوا عن طريق التسليم " ^(٦) . فما بالنا بالشيعة الآن !.

وقيل لجعفر الصادق: " تأملت في مولد قائمنا ، وغيبته ، وإبطاؤه ، وطول عمره ، وبلوى المؤمنين من بعده في ذلك الزمان ، وتولد الشكوك في قلوب الشيعة من طول غيبته ، وارتداد أكثرهم عن دينهم ، وخلعهم ربقة الإسلام من أعناقهم ، فأخذتني الرقة ، واستولت علي الأحزان " ^(٧) ؛ فقال له جعفر ما هداً به روعه .

ونتساءل كيف يعيش القائم هذا العمر المديد بلا موت؟ فيرد الرضا حين سئل : " قوم قد وقفوا على أبيك يزعمون أنه لم يمّت ؟ قال : كذبوا ، وهم كفار بما أنزل الله -ﷻ- وعلى

(١) علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ١٤٤ . ج ٨ ص ٣٤٣ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٣ . علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ١٤ - ١٥ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٣ . معجم أحاديث المهدي ح ٥٥٨ ج ٣ ص ٤٩٩ .

(٤) مختصر بصائر الدرجات ص ٢٠٦-٢٠٧ . مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٢٦٦ .

(٥) معجم أحاديث المهدي ح ٣٨٩ ج ٣ ص ٤٠ - ٤٢ .

(٦) الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ١٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١ ص ٧٣ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٢٠ .

محمد -ﷺ- ولو كان الله يمد في أجل أحد من بني آدم لحاجة الخلق إليه ؛ لمد الله في أجل رسول الله -ﷺ- (١).

التعليق على ما مر من التناقض :

نقول لعقلاء الشيعة : تدبروا هذه الروايات جيداً لتكتشفوا امراً في غاية الخطورة ، وهو أن هذا التناقض قد يودي بمن اقتنع به إلى فتنة في دينه ، فكيف يكفر من لم يؤمن بهذا التناقض ؟ وكيف يخلد في النار من لم يعرف اسم إمامه ، ولا مكانه ، ولا متى يظهر ، ولا رآه مرة في حياته ، ولم يسمع صوته ، ولم يصل خلفه ؟ أجيئوا رحمكم الله تعالى ! .

فقد قرر كثير من علماء الاثني عشرية قاعدة : تناقض الروايات الشديد ، كما يظهر بالمراجعة والمقارنة ؛ يوهن الرواية ، ويثير حولها أكثر من سؤال (٢).

فالخلاف الواضح هنا سببه اختلاف الروايات المنصوص عليها عند الشيعة ظاهراً ، فقد كانت أئمتهم في زمن التقية ، فكثيراً ما يجيبون السائل على وفق معتقده ، أو معتقد بعض الحاضرين ، أو بعض من عساه أن يصل إليه من المناوئين ، أو يكون عاماً قاصراً على سببه ، أو قضية في واقعة مختصة بها ، أو اشتباه على بعض النقلة عنهم ، أو عن الوسائط بيننا وبينهم (٣).

فكيف بنا نحن ولم نعلم ما حكمة هذا التناقض ؟ وكيف نؤمن بعقيدة غير واضحة المعالم؟.

وإذا كان الأئمة قولهم قول الله ، فكيف يقع الخلاف في أقوال الله تعالى بهذا التناقض الواضح ؟ فالله سبحانه كريم لا يتعبنا إلا بما نعلم ، ولا يحاسبنا من غير تكليف ، فأفيقوا رحمكم الله وأسألوا علماءكم ، قبل فوات الأوان ، فالعمر واحد ، وجنة أبداً ، أو نار أبداً ، نسأل العافية والسلامة .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٢٦٥ .

(٢) السيد جعفر مرتضى : الصحيح من سيرة النبي الأعظم ج ٤ ص ٢٦٨ .

(٣) المحقق البحراني : الحدائق الناضرة ج ١ ص ١٧ .

المطلب الثاني

عقيدة النيابة عن الإمام الغائب المنتظر

إن اختراع عقيدة النيابة عن المنتظر ، ثم إعطاء صاحبها السلطة المطلقة المقدسة ، ووصفه بالعصمة كان أخطر تحول فقهي سياسي عند الاثني عشرية ؛ لأنه نقلهم من الانتظار إلى التحرك ، ومن عدم الرضا بإمامة أحد إلا الغائب المنتظر إلى القبول بإمامة الولي الفقيه ، واتباعه في كل ما يقول بدعوى أنه معصوم ، وبذلك تنظر خطورة هذه العقيدة ، من التحول من اتباع المعصوم إلى اتباع غير المعصومين ! .

وهي المرحلة الأولى من ولاية الفقيه ؛ فالسفراء ، والنواب عن الإمام الغائب في الغيبة الصغرى ، هم الواسطة بين الإمام والناس في تبليغ الأحكام^(١) ، ثم من بعدهم مهدت الطريق لولاية الفقهاء.

ومعنى النيابة الخاصة : استنابة الإمام شخصاً بخصوصه في إيصال أقواله ، وأوامره للشريعة ، وأخذ الحقوق الشرعية كالخمس ، والزكاة ؛ ولذا أطلق لفظ السفير على النواب الأربعة ، كقول الحسن العسكري : عثمان بن سعيد وابنه محمد : ثقتان ؛ فما أديا إليك عني ؛ فعني يؤديان ، وما قالاك ؛ فعني يقولان ؛ فاسمع لهما ، وأطعهما ، فإنهما الثقتان المأمونان .

ومعنى النيابة العامة والمرجع الديني : هو استنابة الإمام كل من توفرت فيه صفات معينة ، في أمر معين كما في قول الصادق : " من كان منكم ممن قد روى حديثنا ، ونظر في حالنا وحرماننا ، وعرف أحكامنا ؛ فليرضوا به حكماً ؛ فإنني قد جعلته عليكم حاكماً " ^(٢) .

وهذا تنصيب للفقهاء العارفين بالأحكام عن طريق روايات الأئمة ، أن يقضوا بين الناس ، فلا يأخذ مباشرة من الإمام مثل النيابة الصغرى^(٣) ، ففي أثناء غيبة القائم : تخاطبه

(١) بعد انقطاع سلسلة الإمامة، وغيبة المهدي ، فليس لفقيه، ولا لسيد، ولا لمجتهد حق في الخمس، ولهذا ادعى أكثر من عشرين شخصاً النيابة، من أجل أن يأخذوا الخمس ليسلمه للحجة. د حسين الموسوي: الله ثم للتاريخ ص ٦١.

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ٢٢١-٢٢٢. الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١ ص ٣٤.

(٣) محمد سند البحراني: دعوى السفارة في الغيبة الكبرى، ط مكتبة فخرآوي- جدحفص- البحرين، ط ١، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ص ٣٠-٣١.

الملائكة ، والمؤمنون ، والجن ، ويخرج أمره ونهيه إلى ثقاته ، وولاته ، ووكلاته ، ويقعد ببابه محمد بن نصير النميري - أول نوابه - في يوم غيبته ^(١) فاجعلوا بينكم رجلاً قد عرف حالنا ، وحرماننا ، فإني قد جعلته عليكم قاضياً ، وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر ^(٢).

أول السفراء عن المنتظر كما تدعي الشيعة الاثني عشرية :

كان أول السفراء عنه : حكيمة عمّة بنت أبي جعفر الثاني ، وعمّة الحسن العسكري ، وهي التي حضرت ولادة المنتظر ^(٣) ، وقالت بعد وفاة الحسن: والله ، إني لأراه صباحاً ومساءً ، وإنه ليخبرني قبل أن أسأله ^(٤). وبعد وفاة النائب الرابع انقطعت البابية ، وأخرجوا توقيعاً منسوباً للإمام يقول : " أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ، فإنهم حجتي عليكم ، وأنا حجة الله " ^(٥).

ومن العجيب أن يقبلوا أقوال السفراء والنواب ، وهم بإجماع الشيعة ليسوا بمعصومين مثل الإمام ، ويقبلون الأحكام التي تأتي بتوقيع من المهدي عن طريقهم ، ثم يلعنون من ادعى البابية كذباً مثل الشريعي ^(٦) ،

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦.

(٢) الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ١٢١. محمد البحراني : دعوى السفارة في الغيبة ص ٥٣.

(٣) يقول المجلسي : في قبة العسكريين قبراً منسوباً لها ، ولا أدري لم لم يتعرضوا لزيارتها مع ظهور فضلها ، مع أنها كانت مستودع أسرارهم ، وكانت أم القائم عندها، وكانت من السفراء والأبواب بعد غيبته؛ فينبغي زيارتها. الجزائري : أحوال الإمام المهدي ص ١٧-١٨ .

(٤) نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٢٨.

(٥) مستدرك سفينة البحار ج ٢ ص ٢١٥ ، ٢٤٢. ج ١٠ ص ٤٠٣. وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٤٠. بحار الأنوار ج ٢ ص ٩٠. ج ٥٣ ص ١٨١. مركز نون للتأليف والترجمة : سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية (دراسات في ولاية الفقيه) نشر جمعية المعارف الإسلامية - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ص ٢٩ - ٣٠.

(٦) الشريعي : من أصحاب أبي الحسن علي بن محمد ، ثم الحسن بن علي - عليهم السلام - ، وكان يكنى : أبا محمد ، كذب على الأئمة ، وقال عنهم ما لم يقولوه ، فلعنّته الشيعة ، وتبرأت منه ؛ بناء على خروج توقيع من الإمام بلعنه والبراءة منه ، وظهر منه الكفر والإلحاد . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٦٧. الطوسي : الغيبة ص ٢٤٦ - ٢٧٤.

ومحمد بن نصير النميري ^(١) ، وأحمد بن هلال الكرخي ^(٢) ، وأبو طاهر ^(٣) ، والحسين بن منصور الحلاج ^(٤) ،

وابن أبي العزاق ^(٥) ، وغيره . ففكرة النيابة الخاصة أعطت فرصة لثلاثي عشرية في مرحلة الغيبة الصغرى كي تعيد النظر في بنائها ، واستعملت هذه النيابة في حينها لإثبات

(١) محمد بن نصير النميري : من أصحاب أبي الحسن محمد بن علي ، لما توفي أبو محمد ، ادعى مقام أبي جعفر محمد بن عثمان ، ففضحه الله بما ظهر منه من الكفر والجهل ، ولعنه أبو جعفر ، وتبرأ منه ، وكان قد ادعى ذلك بعد الشريعي ، وادعى النبوة ، وإن علياً أرسله ، وقال : بالتناسخ ، وأن الحسين هو الرب ، وإباحة المحارم ، وتحليل نكاح الرجال ، ونقل عنه : أنه كان يفعل ذلك عافانا الله . بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٦٧ . الطوسي : الغيبة ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢) أحمد بن هلال الكرخي من أصحاب أبي محمد اجتمعت الشيعة على وكالة محمد بن عثمان في حياة الحسن ، ولما مضى الحسن قالت الشيعة للكرخي : ألا تقبل وكالة أبي جعفر بعد أبيه ، وقد نص الإمام المفترض عليه ، فقال : لم أسمعني نص عليه بالوكالة ، ولا أنكر أباه ، ولا أجسر على القطع لأبي جعفر أنه الوكيل ، فقالوا : قد سمعنا غيرك ، فقال : أنتم وما سمعتم ، فلعنه الشيعة وتبرعوا منه ، وقد جاء لعنه بتوقيع المهدي . الطوسي : الغيبة ص ٢٤٨ . بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٦٨ .

(٣) أبو طاهر محمد بن علي بن بلال ، جمع مالا بحجة أنها للقائم ، فجاءه أبو جعفر ، وقال : نشدتك الله ، ألم يأمرك صاحب الزمان أن تسلم الأموال لي ؟ فقال : نعم ، فقيل له : من أين رأيت القائم ؟ قال : أدخلني أبو جعفر إلى بعض دوره ، فأشرف عليّ من علو داره ، وأمرني بتسليم المال إليه ، فقيل له : ومن أين علمت أنه القائم ؟ قال : من الهيبة والرعب الذي أخذني ، ثم امتنع عن دفع المال لأبي جعفر ، فلعنه القائم والشيعة . الطوسي : الغيبة ص ٢٤٨ - ٢٤٩ . بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٦٩ .

(٤) الحسين بن منصور الحلاج ، لما أراد الله أن يظهر فضيحته ، بعث إلى أبي سهل إسماعيل بن علي النوبختي يستدعيه ؛ ليحتال عليه ، وذلك لقدر أبي سهل عند الناس ، وقال له : أنا وكيل صاحب الزمان ، وأمرني بمراسلته ، فقال له أبو سهل : إني سائلك سؤالاً يسيراً : أني كبرت ، وشاب شعري ، وأني أخضبه بالحناء لأخفي الشيب ، هل يمكنك أن تغنيني عن الخضاب ؟ وتجعل لحيتي سوداء ، فألجمه ، فصار أضحوكة . الطوسي : الغيبة ص ٢٤٩ - ٢٥٢ . بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٧٠ .

(٥) أبو جعفر محمد بن علي الشلمغاني العزاقري ، كان وجيهاً عند بني بسطام ؛ بسبب تزكية أبي القاسم الحسين بن روح له ، فكان يكذب ، وينسبه لأبي القاسم ؛ فيقبل الناس قوله ، حتى انكشف ذلك لأبي القاسم فأنكره ، ونهى بني بسطام عن كلامه ، وأمرهم بلعنه ، وأظهروا الكتاب له ؛ فخاف ، ومرغ وجهه بالتراب ، وقال لهم : اكنموا عليّ الخبر ، ثم قال : باتحاد الله به ، وأن الله خلق سبع عوالم ، وسبع أودام ، ثم ظهر التوقيع بلعنه ، قتل ٣٢٢ ، وقيل : ٣٢٣ هـ . ببغداد . الطوسي : الغيبة ص ٢٥٢ - ٢٥٨ . بحار الأنوار ج ٥١ ص ٣٧١ - ٣٧٤ .

وجود المهدي ، وحماية مذهب الإمامية من الانتكاس والضعف ، وأهم ما فيها أنها أرست فكرة جواز النيابة عن المهدي حينئذ ، وبهذا أعطت للمذهب الاثني عشري معناه العقائدي ، إلا أنها في المقابل فرضت عليه جموداً فقهيّاً ، وخموداً سياسياً طال .

المطلب الثالث عقيدة الظهور

يعتقد بعض الناس أن عقيدة الرجعة هي عقيدة الظهور ، ولكنهما عقيدتان مختلفتان، فالظهور أثناء موت الجسد ، أما الرجعة تكون بالروح والجسد معاً ، والظهور يكون لبعض الناس دون البعض ، أم الرجعة فتكون لكلك من عاصر المنتظر في آخر الزمان - كما تدعي الشيعة - ولذلك بوب المجلسي : في بحار أنواره باباً بعنوان : إنهم يظهرون بعد موتهم، ويظهر منهم الغرائب ، ويأتئهم ، أرواح الأنبياء-عليه السلام- وتظهر لهم الأموات من أوليائهم وأعدائهم^(١).

ثالث مراحل عقيدة الرجعة : عقيدة الظهور؛ يمكن تعريف هذه العقيدة : ظهور النبي -ﷺ- الأئمة بعد موتهم لبعض الناس، ثم عودتهم لقبورهم^(٢).

وتعتقد الشيعة أن احتجاب الإمام عن الأنظار قد يزول أحياناً ، عندما توجد مصلحة في زواله ، كما لو أراد المهدي أن يقابل شخصاً من البشر ؛ لأجل أن يقضي له حاجة ، أو يوجه له توجيهاً ، أو ينذره إنذار ، فإن المقابلة تتوقف على رؤيته ، ولا تتم مع الخفاء ، ويكون مقدار ظهوره للناس محدداً بحدود المصلحة ، فإن اقتضت أن يظهر للناس ظهوراً تاماً لكل راء تحقق ذلك ، واستمرت الرؤية بمقدار أداء غرضه من المقابلة ، ثم يحتجب فجأة فلا يراه أحد ، بالرغم من أنه لم يغادر المكان الذي كان فيه ، وإذا اقتضت ظهوره لشخص دون شخص ؛ تعين ذلك أيضاً ؛ إذ قد يكون انكشافه للآخرين خطراً عليه^(٣) .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣٠٢ .

(٢) سامح عباس الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ص ١٠٤ .

(٣) الشهيد الصدر : تاريخ الغيبة الكبرى ص ٤٣ .

وعقيدة الظهور دخلت في الفكر الشيعي على يد ابن سبأ^(١) ، يتشبهون في ذلك بما جاء في الكتاب المقدس من أن عيسى -عليه السلام- ظهر معه موسى وإيليا -عليهم السلام- لتلاميذه وتكلموا معهم^(٢) .

وزعمت الشيعة أن المهدي ظهر لجماعة كثيرة من أصحاب والده العسكري ، ونقلوا عنه أخباراً ، وأحكاماً شرعية^(٣) ، عن الرضا قال بخراسان : رأيت رسول الله -صلى الله عليه وآله- ههنا ، والتزمته^(٤) . وأن النبي -صلى الله عليه وآله- ظهر في مسجد قباء لأبي بكر ، وأمره برد الحق إلى أمير المؤمنين علي -عليه السلام-^(٥) .

وزعموا أن الأخبار استفاضت عن الأئمة بظهورهم بأجسامهم على الحقيقة ، وأنهم يحضرون أينما أرادوا من الدنيا ، كما ظهر الحسين -عليه السلام- للأئمة^(٦) ، وكما ظهر آدم ونوح -عليهم السلام- للنبي -صلى الله عليه وآله- عند البيت^(٧) .

وجاء عن رواية الشيعة أن أمير المؤمنين -عليه السلام- لما مات حضر جنازة جسده ، وقال للحسن -عليه السلام- : يا أبا محمد إنه لا تموت نفس إلا ويشهدها ، أفما يشهد جسده^(٨) ؛ فيموت من مات منا ، وليس بميت^(٩) .

وكان الرضا يقابل أباه بعد موته ، ويتلقى وصاياه ، وأقواله ، وظهر أبو جعفر لبعض الشيعة ، ورأى بعض الشيعة أبا عبد الله ، وعلي للإمام الحسن بن علي وراء ستار ، وظهر وصي موسى لعلي وبعض شيعته^(١٠) .

وقد ورد أن بعض صالحى الشيعة كان يصلي إماماً بالناس في محراب الحسن العسكري وهو في التشهد من الركعة الثانية أطل الجلوس ، فلما سئل في ذلك قال : " إن الحجة دخل

(١) د عبد العظيم عبد العظيم البستوي : المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة ص ٦١ .

(٢) إنجيل متى ١٧ / ٢-٣ ص ٣١ . إنجيل مرقس ٩ / ٤ ص ٧١ . إنجيل لوقا ٩ / ٨ ص ١٠٩ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٠٧ . نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٥٣ .

(٤) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣٠٣ . علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٢٠٠ .

(٥) محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٣١٤ - ٣١٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣٠٤ .

(٦) حسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ٣٥ بتصرف .

(٧) البحار ج ٦ ص ٢٣١ . مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٨٥ . الحلبي : المحتضر ص ٣٥ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٩) محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٣١٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣٠٣ - ٣٠٥ بتصرف .

الروضة للسلام على أبيه فعرضني ما رأيت من جمال الأنوار إلى أن خرج منها " (١) .
وعن أبي عبد الله: " يفقد الناس إمامهم ، يشهد الموسم يراهم ، ولا يرونه (٢) ، ويخالطهم (٣) ، ويمشي في الأسواق ، ويطأ بسطهم ، وهم لا يعرفونه ، حتى يأذن الله له أن يعرفهم بنفسه (٤) . ويحكي رجل من رواة الشيعة أنه رأى صاحب الزمان هو وجماعة معه من الشيعة في الحج (٥) .

ولا يكون الظهور خاص بأهل البيت وحدهم ، بل بأعدائهم فعن الباقر: كنت خلف أبي وهو على بغلته ، فإذا برجل في عنقه سلسلة يقول له : اسقني ، اسقني ، فقال الملك الموكل به لا تسقه لا سقاها الله ، فنظرت إليه فإذا هو معاوية (٦) ، وكذلك يظهر الفاسقين الغاصبين - أبو بكر وعمر - في كل موسم ، حتى يرميهم الشيعة بالحجارة أثناء رمي الجمار بالحج (٧) ، ويكون هذا الظهور في أجسادهم الأصلية (٨) .

نقد عقيدة الظهور من داخل كتب الشيعة الاثنس عشرية :

قال المفيد : إن رسل الله تعالى من البشر وأنبياءه والأئمة من خلفائه محدثون ، مصنوعون ، تلحقهم الآلام ، وتحدث لهم اللذات ، وتنمي أجسادهم بالأغذية ، وتنقص على

(١) المصدر السابق ج ٥٣ ص ٢٤٧ بتصرف .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٨ - ٩ . نعمة الله الجزائري : أحوال الإمام المنتظر ص ٥٨ .

(٣) أصول الكافي ج ١ ص ٣٩٧ . معجم المهدي ح ٩٢٨ ج ٥ ص ٦٨ . وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٣٥ . دلائل الإمامة ص ٢٨٥ .

(٤) الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٣٩٦ . ابن جرير الشيعي: دلائل الإمامة ص ٢٨٦ . الصدوق : كمال الدين ص ٣٨ - ٣٩ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٨ - ٩ .

(٦) الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ٣٦ بتصرف .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣٠٥ - ٣٠٦ .

(٨) يقول المجلسي : المجيء والإرادة إما في المنام ، أو في اليقظة بأجسادهم المثالية ، أو بأجسادهم الأصلية ، وقيل : للأرواح الكاملة أن يتمثلوا في صور أجسادهم أحياناً لمن شاءوا في هذه النشأة الدنيوية ، كما تمثل رسول الله - ﷺ - لأبي بكر حين أنكر حق علي . محمد باقر المجلسي (ت ٣٢٨ هـ) : مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ، نشر دار الكتب الإسلامية - طهران ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ / ١٣٦٣ ش ج ٣ ص ٣٥١ . بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٣٠٧ . الحسن بن سليمان الحلبي : المحتضر ص ٣٦ . المجلسي : مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول ج ٥ ص ٢٧٣ .

مرور الزمان ، و يحل بهم الموت ، ويجوز عليهم الفناء ، وعلى هذا القول إجماع أهل التوحيد ، و قد خالفنا فيه المنتمون إلى التفويض ، وطبقات الغلاة .
 فأما أحوالهم بعد الوفاة : فإنهم ينقلون من تحت التراب ؛ فيسكنون بأجسامهم وأرواحهم جنة الله تعالى ، فيكونون فيها أحياء يتنعمون إلى يوم الممات ، يستبشرون بمن يلحق بهم من صالح أممهم وشيعتهم ، و يلقونه بالكرامة ، وينتظرون من يرد عليهم من أمثال السابقين في الديانات ، وإن رسول الله -ﷺ- والأئمة من عترته خاصة لا تخفى عليهم بعد الوفاة أحوال شيعتهم في دار الدنيا بإعلام الله تعالى لهم ذلك ، حالاً بعد حال ، ويسمعون كلام المناجي لهم في مشاهدهم المكرمة العظام بلطفية من ألطاف الله تعالى يبينهم بها من جمهور العباد ، وتبلغهم المناجاة من بعد كما جاءت به الرواية ، وهذا مذهب فقهاء الإمامية كافة ، وحملة الآثار منهم ^(١) ، وهذا يهدم عقيدة الظهور .

المطلب الرابع ولاية الفقيه

بدأت الغيبة الكبرى للمنتظر بعد ختم النيابة الخاصة على لسان السمرى، وعاد الأمر بالشيعة إلى اللحظة الثقافية السنية ، التي تقول بخلو الزمان من نبي بعد وفاة الرسول -ﷺ- ، وما يسمى بعقيدة ختم النبوة.

إلا أن عقيدة ختم النيابة الخاصة عن المهدي عند الشيعة لم تذهب بهم إلى حيث ذهبت عقيدة ختم النبوة عند السنة ، فقد لجأ الشيعة إلى عقيدة التقية والانتظار لظهور المهدي ، وذلك لقطع الطريق أمام مدعي النيابة الخاصة وللانسجام مع الأسس التي قامت عليها الإمامة (عدم خلو الأرض من إمام معصوم معين بالنص يتصدى للاجتهاد الديني وللإمامة السياسية).

ومن هنا فقد رفض متكلمو الإمامية الأوائل دعوة المعتزلة والشيعة الزيدية ، الذين لم يشترطوا العصمة ولا النص في الإمام ، إلى تبني نظرية ولاية الفقيه، التزاماً بنظرية الإمامة والتقية والانتظار، واستناداً إلى فقدان الفقيه للعصمة والتعيين من الله، ولتعارض نظرية ولاية الفقيه مع نظرية الإمامة الإلهية.

(١) المفيد : أوائل المقالات ص ٧٢. المجلسي : مرآة العقول ج ٥ ص ٢٧٣ - ٢٧٤.

وفي تواصل مع هذه الحقيقة أسست المدونات الشيعية الأولى في إحدى مهماتها وتجلياتها وعياً انتظاريّاً وفقهاً إخبارياً روائياً يرفض الاجتهاد ويفضي الى تعليق وظائف الدولة الدينية الرئيسية على وجود الإمام المعصوم، وانطلاقاً من هذه الخلفية القدرية ، يستقل الفقه الشيعي كحاجة اجتماعية ماسة وواقعية ، ويتلبس بالتنظير للغائب ، أمام الواقع للاضطلاع بمهمة بناء المعرفة الدينية بأمور الغيبة ، وصناعة جيل من المنتظرين المتناسلين على امتداد التاريخ ، حتى تحقق الحتمية التاريخية ظهور الإمام المهدي .

وهذه هي المرحلة الأخيرة من عقيدة النيابة عن الإمام المنتظر : وهي ولاية المحدث المجتهد فعديتهم في " المجتهد الجامع للشرائط : أنه نائب للإمام في حال غيبته ، وهو الحاكم والرئيس المطلق له ما للإمام ، والراد عليه كالراد على الإمام ، والراد على الإمام كالراد على الله تعالى، وهو على حد الشريك بالله ، وذلك من مختصاته لا يجوز لأحد أن يتولاها دونه إلا بإذنه، كما لا تجوز إقامة الحدود والتعزيرات إلا بأمره وحكمه، ويرجع إليه في الأموال التي هي من حقوق الإمام! ^(١) .

وكان أول من تحدث عن تفويض الفقهاء والمحدثين في إقامة الحدود في عصر الغيبة هو الشيخ المفيد في كتابه المقنعة^(٢)، وأول من استخدم مصطلح النيابة عن ولي الأمر هو أبو الصلاح الحلبي^(٣) في مجال القضاء والحدود بتحقيق الشروط في الفقيه النائب^(٤) ، ثم تطور الأمر بعد ذلك إلى القول بجواز صلاة الجمعة بإمامة الفقيه بدلاً من الإمام لحين ظهوره ، ومن هنا ظهرت ولاية الفقيه ! نيابة عن الإمام المنتظر .

هذا وتنقسم الولاية بشكل عام إلى قسمين : الأولى : تكوينية الثانية : تشريعية .

الولاية التكوينية : ومفادها : أن الله تعالى قد أعطى الأئمة ولاية على تدبير شؤون الكون ، أو قسم منها للنبي ﷺ والأئمة^(٥) . وبناء على هذا التعريف يكون لهم حق الطاعة في

(١) محمد رضا المظفر : عقائد الإمامية الاثني عشرية ص ٥٧ .

(٢) د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الإمامية الاثني عشرية ص ٣٤٧ .

(٣) أبو الصلاح الحلبي : تقي بن نجم الدين مات سنة ٤٤٧هـ عظيم القدر من علماء الإمامية . د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الإمامية الاثني عشرية ، هامش ص ٣٤٨ .

(٤) د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الإمامية الاثني عشرية ص ٣٤٨ .

(٥) محمد فضل الله: نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية ، ط دار الملاك- بيروت ، ط ١،

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م ص ٧٧.

مجال التكوين ، وتسخير الأشياء والموجودات لإرادة صاحب هذه الولاية ، يتمكن بسببها من التصرف في الموجودات الخارجية ، دون أن يعني هذا الكلام تناقضاً سيقع في مبدأ العلية الجاري في الكون ، أو مبدأ التوحيد الذي ينص على أن كل شيء في الكون معلول لإرادة الله تعالى ، وأضعف مراتبها : ولاية الإنسان على أعضائه ، وهذه قد تسلب من الإنسان بحدوث ونحوه ، وأقوى من هذه المرتبة : يكون الإنسان بسببها قادر على التصرف في مجال أوسع ، كتحرّك حجر بدون أن يلمسه ، بأن يأمر بتحرّكه ، وهناك مرتبة اسمى : يملك بها التأثير في مجال أوسع ، ولا تكون هذه المراتب إلا بإذن الله تعالى ، ولا يمكن لمخلوق أن يستقل بها بعيداً عن إرادة الله ، وشيعة أهل البيت تعتقد أن الله تعالى أكرم أنبياءه ، وأوصياء أنبياءه - ومنهم أئمتهم - بكرامة الولاية التكوينية ، بمراتبها السامية المناسبة لمقام المخلوقين ، المرئيين ، وإذن الله تعالى^(١).

وفي هذا التفسير للولاية التكوينية احتمالات : بعضها باطل ، وبعضها ثابت لا شك فيه ، وبعضها ممكن ، لكن لا دليل عليه منها على سبيل المثال : الاحتمال الأول : إن للولاية دوراً تنفيذياً ، وإدارياً ، يتمثل في : سد النقص في المولّي عليه ، فالأب يكون ولياً على الطفل ، على أساس أن الطفل لا يستطيع أن يتحرك بما يصلحه ، فيأتي الأب (الولي) ليكمل هذا النقص ، وهذا الاحتمال باطل تقدس الله عنه .

الاحتمال الثاني : أن الله فوض إلى الأنبياء والأئمة أمر تدبير الكون وشؤونه ، بمعنى أنهم يأمرّون الشمس أن تشرق ، ويدبرون لها إشراقها ، وهكذا البحار ، والنجوم ، وهذا التفويض في بعض معانيه باطل بالضرورة، بل ربما كان الاعتقاد به يقارب الكفر أو الشرك ، وهو الاعتقاد باستقلالهم عن الله ، فلا يتدخل في إدارة شؤون الكون.

الاحتمال الثالث : أن الله فوض تدبير شؤون الكون إلى النبي والأئمة ، مع بقائه فعلاً في موقع التأثير والفاعلية ، وهذا المعنى لا دليل عليه ، بل الدليل قائم على بطلانه .

الاحتمال الرابع : أن الله تعالى جعل الأنبياء والأئمة موظفين مثل الملائكة ، ومهمتهم الوظيفية هي إدارة الكون في كل حركته ونظامه ، وهذا أيضاً لا دليل عليه ، بل هو مرفوض ؛ فالأئمة ليس وظيفتهم إدارة الكون، بل هم فوق ذلك ، ومهمتهم الرسالية أشرف وأعلى من ذلك .

(١) مركز نون للتأليف والترجمة : (دراسات في ولاية الفقيه) ص ٥ - ٧ .

الاحتمال الخامس : أن الله مكن الأنبياء من أن يقوموا ببعض الأعمال التي هي خارقة للعادة ، وأن الله أعطى الأنبياء والأئمة القدرة التكوينية التي يحتاجونها في نبوتهم وإمامتهم ، في حدود الوسائل التي يمكن أن يستخدموها ، فيتصرفون في خلال هذه الدائرة، وهذا هو معنى الولاية التكوينية التي يؤمن بها كل المسلمين ؛ لأنه يدخل في نطاق المعجزة أو الكرامة .

الاحتمال السادس : أن الله تعالى جعل لهم الولاية على الكون بمعنى : إن زمام العالم التكويني بأيديهم ، ولهم السلطة التامة على جميع الكائنات بالتصرف فيها ، كيفما شاؤوا إعداماً ، وإيجاداً ، ولهم أن ينقلوا الشمس من المشرق إلى المغرب ، وأن يزيلوا الجبال ، إلا أن هذا ليس عليه دليل ، ولم يقل به القرآن ، بل القرآن على خلافه ، وهذا يعني أن القائلين بالاحتمال الخامس يختلفون تماماً مع القائلين بالاحتمال السادس خلافاً حقيقياً لا لفظياً^(١).

القسم الثاني : الولاية التشريعية عند الشيعة الاثني عشرية : نحن لا نرى للأئمة ولاية تكوينية ؛ حيث إن الاعتقاد بالولاية التكوينية ينافي التوحيد الخالص ، وأما ولايتهم التشريعية : فهي قيامهم بمهام الإمامة لحفظ الدين، وقيادة المؤمنين ، وفقاً للتشريعة المطهرة ؛ كما بلغها رسول الله -ﷺ- ، ورسم معالمها القرآن^(٢).

وهي حقان : الأول حق التشريع : تعتقد الشيعة أن الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - والأئمة من ولده يملكون علماً ربانياً - وحياً ، أو إلهاماً ، أو نحو ذلك - يمكنهم من خلاله معرفة حقائق الأشياء ، ومعرفة ماذا يريد الله تعالى ، وبالتالي معرفة ما الحكم الشرعي المناسب الواقعي الذي يريده الله تعالى .

الثاني حق الأمر والنهي : فللولي أن يأمر وينهى ، وعلى الآخرين أن يطيعوه ، ويجتنبوا نواهيه^(٣).

علة ابتداء عقيدة ولاية الفقيه : بعد غياب المنتظر ، وقلة الذين يظهر إليهم ، وانتهاء عصر النيابة ، ومضي سنوات كثيرة على ذلك ، كان ولا بد أن يظهر حل ؛ حتى يتصل عوام الشيعة بإمامهم المنتظر ، فكانت ولاية الفقيه ! التي تمثل تطوراً نوعياً في علاقة

(١) السيد محمد حسين فضل الله : نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية ص ١٣ - ٢٢ بتصرف .

(٢) المصدر السابق ص ٨٨ - ٨٩ بتصرف .

(٣) مركز نون للتأليف والترجمة : دراسات في ولاية الفقيه ص ٨ .

الشيعة بتقديس أئمتهم ، فحطوا من قدرهم حتى أوصلوهم إلى سيطرة العقول البشرية الغير معصومة على طريق رجعتهم ، مما يساعد - لو تدبر الشيعة ذلك - في تأخر الرجعة ؛ لأن الله كما يزعم الشيعة غضب عليهم فأخر رجعتهم ، وظهور منتظرهم ، فما الفرق بين فقهاء هذا العصر ، وفقهاء العصور المغضوب عليهم ؟ فعلة التأخير واحدة ! .

ولاية الفقيه تعني: حاكمية الفقيه المجتهد الجامع لشروط الفتوى والقضاء، وقيامه مقام الحاكم الشرعي، وولي الأمر ، والإمام المنتظر في زمان غيبته في الصلاة وما جرى مجراها^(١) ، فينوب عن المنتظر في : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقضاء ، ودفع وتلقي الخمس، والجهد على خلاف بينهم في ذلك^(٢) .

ومن الواضح أن : " نظرية ولاية الفقيه من النظريات السياسية التي تقوم على أصول عقدية عند الشيعة الاثني عشرية ؛ وذلك لارتباطها الوثيق بعقيدة الإمامة عندهم ، وقد كثر كلام العلماء خاصة هذه الأيام بعد تعرض هذه العقيدة للانتقاد داخل المجتمع الإيراني " ^(٣) ، ومن المعلوم أن ولاية الفقيه لا تطبق اليوم إلا في المجتمع الإيراني ، وتعد هذه النظرية تطبيقاً عملياً للفقه السياسي الشيعي الذي بدأ يخاطب الناس بعيداً عن العبادات .

ولم يكن الخميني أول من قال بولاية الفقيه، ولكنه هو الذي قدم فكرتها ، فتحوّلت إلى حكومة الفقيه ، لتملأ الفراغ في غيبة الإمام ^(٤) ، كما قال الصادق: كان أبي أئمتهم على حلال الله ، وحرامه ، وكانوا عيبة علمه ، وكذلك هم اليوم مستودع سري ، وأصحاب أبي حقاً ، إذا أراد الله بأهل الأرض سوء ؛ صرف بهم عنهم السوء ، هم نجوم شيعتي أحياء وأمواتاً ، هم الذين أحيوا ذكر أبي ، بهم يكشف الله كل بدعة ، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين ، وتأويل الغالين ^(٥) .

(١) مركز نون للتأليف والترجمة : سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية (دروس في ولاية الفقيه) ط جمعية المعارف الإسلامية - بيروت ، ط ١ ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م ص ١٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٧٣ ص ١٤٦ . ج ٨٩ ص ١٤٦ .

(٢) خالد التويجري: ولاية الفقيه وتطورها ص ١١ . مركز نون للتأليف والترجمة : دراسات في ولاية الفقيه ص ٩ .

(٣) خالد التويجري : ولاية الفقيه وتطورها ص ٦ بتصرف .

(٤) مركز نون للتأليف والترجمة : دروس في ولاية الفقيه ص ١٥ .

(٥) وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٤٥ . محمد البحراني : دعوى السفارة في الغيبة الكبرى ص ٥٨ .

ولذلك تجدر الإشارة إلى أن ولاية الفقيه تتكون من ثلاث نظريات سياسية حلت مكان نظريات أخرى:

الأولى : نظرية الولاية : وهي الصيغة التي ابتكرها فقهاء الشيعة لتحل محل الخلافة ، وبذلك يصبح رجل الدين الشيعي هو الولي ، وينزل منزلة الخليفة .
والثانية : نظرية المرجعية : لتكون صيغة موازية لفكرة الحكومة .
والثالثة : نظرية التقليد : أي: التزام الشيعة بتنفيذ تعليمات وأحكام أئمتهم ؛ لتحقيق الانتماء للمذهب^(١).

ولا تعد الولاية التكوينية - فضلاً عن ولاية الفقيه - من أصول الاعتقاد عند الشيعة ، فلا يضر عدم الإيمان بها في إسلام الشخص ، ولم يدع أحد العلماء ذلك ، حتى القائلين بها ، بل هناك علماء آخرون لم تثبت لديهم الولاية التكوينية ؛ لأن مصطلح الولاية التكوينية مصطلح حادث ، ولا نجد له عيناً ولا أثراً في كلمات المتقدمين ، فضلاً عن النصوص والروايات^(٢).

ولقد مرت ولاية الفقيه بعدة مراحل من أهمها :

المرحلة الأولى : هي مرحلة السفراء والنواب ، وحدث نزاع مشهور بين نواب كُثُر على الخمس ، فكان الرجل يجمع الأموال ، ويطمع فيها ، فيدعي البابية حتى لا يسلمها لغيره^(٣).

المرحلة الثانية : مرحلة الاجتهاد : بدأت بموت السفير الرابع - السمري - سنة ٣٢٩هـ ، حين بدأت الغيبة الكبرى ، فانقطعت السفارة بين الإمام وبين الناس ، فكان محرماً على الشيعة تجاوز الإمام والتعدي على اختصاصاته السبع وهي : الولاية على أموال القصر والصغار ممن لا ولي له، والولاية على مال الخمس ، والزكاة ، والأوقاف ، وصرفها ، وإقامة الحدود . والولاية على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . والولاية على الحكومة ، والسياسات ، وحفظ الثغور ، وتنظيم البلاد ، والولاية على النفوس مطلقاً ، والولاية على التشريع^(٤).

(١) رجب البنا : الشيعة والسنة ص ٢٣٤ - ٢٣٥ بتصرف .

(٢) السيد محمد حسين فضل الله : نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية ص ٢٣ - ٢٥ بتصرف .

(٣) خالد التويجري : ولاية الفقيه وتطورها ص ١٤ .

(٤) المرجع السابق ص ١٥. نقلاً عن ناصر مكارم الشيرازي : ولاية الفقيه وحدودها .

وبدأ بعض الفقهاء يفتحون باب الاجتهاد في بعض المسائل ؛ نظراً لتعطل الشريعة لغيبة الإمام ، واستدلوا بالمنقول عن الإمام الغائب بتوقيعه " أما الحوادث الواقعة : فارجعوا إلى رواة حديثنا ؛ فإنهم حجتى عليكم ، وأنا حجة الله ^(١) ، ولكن كان اجتهاداً محدوداً في بدايته ؛ لأنهم كانوا يعتبرونه تدخلاً في اختصاصات الإمام ^(٢) ، ثم بدأ الفقهاء يرون ضرورة بدأ الاجتهاد في استنباط الأحكام من روايات آل البيت ، بمعنى تجاوز المتون إلى الفهم ، ثم تطور الأمر إلى القول بجواز تولي الفقيه إقامة الحدود ، وادعوا أن ذلك من الإمام المنتظر، وكان هذا تمهيداً لنظرية النيابة العامة عن الإمام الغائب ، الذي عبروا عنه بقولهم : " فأما إقامة الحدود فهو إلى سلطان الإسلام المنسوب من قبل الله تعالى ، وهم أئمة الهدى من آل محمد -ﷺ- ومن نصبوه لذلك من الأمراء والحكام ، وقد فوضوا النظر فيه إلى فقهاء شيعتهم مع الإمكان ^(٣) ، وهي التصور الأول لولاية الفقيه ، وإن شئت قلت الخرق الأول لولاية القائم .

المرحلة الثالثة : النيابة العامة كانت هذه النقطة على يد الكركي ^(٤) ، والنراقي ^(٥) ، اللذين استدلوا بما روى عن الصادق : " أنظروا إلى من كان منكم قد روى حديثنا ، ونظر في حالنا وحرامنا ، وعرف أحكامنا ؛ فلترضوا به حكماً ؛ فإنني قد جعلته عليكم حاكماً ، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه ؛ فإنما بحكم الله استخف ، وعلينا رد ، والراد علينا كالراد على الله تعالى ، وهو على حد الشرك بالله " ^(٦) ؛ لأن الفقهاء أمناء الرسل ^(١) .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ٩٠ .

(٢) خالد بن عبد المحسن التوحيدي : ولاية الفقيه وتطورها ص ١٥ .

(٣) وسائل الشيعة ج ٢٨ ص ٤٩ - ٥٠ . مركز نون : دروس في ولاية الفقيه ص ٢٠ .

(٤) الكركي : أبو جعفر علي بن الحسين بن عبد العال الكركي العاملي ، الملقب بالمحقق الثاني ، والصدوق ، من أعلام القرن العاشر الهجري ، ولد ببجل عامل بلبنان ٨٦٨ هـ ، مجتهد ، أصولي ، إمامي ، له عدة مؤلفات ، منها : شرح القواعد ، حاشية الشرايع ، جامع المقاصد توفي ٩٤٠ هـ . لجنة تحقيق الهداية للصدوق ص ٢١٢ . التوحيدي : ولاية الفقيه ص ١٩ .

(٥) أحمد بن محمد مهدي بن أبي ذر النراقي الكاشاني ، فقيه ، شيعي ، ولد في نراق من قرى كاشان ١١٨٥ هـ ، درس على يد بحر العلوم ، وجعفر كاشف الغطاء ، وكان مرجعاً بعد وفاة والده ، له مؤلفات منها مستند الشيعة ، وتنقيح الفصول ، توفي ١٢٤٥ هـ . انظر خالد التوحيدي : ولاية الفقيه ص ١٩ .

(٦) البحار ج ٢ ص ٢٢١ . الحر العاملي : الفصول المهمة ج ١ ص ٥٣٨ . وسائل الشيعة ج ٢٧ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

ثم جاء الخميني ليضيفي على الفقهاء القداسة ؛ ورفعهم إلى درجة المعصوم ، بل إلى مقام الله تعالى حين قرر بوجوب طاعة الأئمة في جميع أحكامهم التشريعية ^(٢) ، فقالوا وقالوا : ولاية الفقيه : ولاية الله ، وحاكميته ^(٣).

ويلخص الدستور الإيراني مهمة الفقيه في الولاية عن إمام الزمان فقرر المشرع الإيراني : " تكون ولاية الأمر والأمة في غيبة الإمام المهدي في جمهورية إيران الإسلامية : للفقيه ، العادل ، المتقي ، البصير بأمر العصر ، الشجاع ، القادر على الإدارة والتدبير " ^(٤)؛ مستدلين بقول الصادق: " الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك " ^(٥).

ويضعون شروطاً للفقيه الذي يلي الولاية في عصر الغيبة وهي : ١- العقل الوافي ^(٦)
٢- الإيمان ^(٧) ٣- العدالة ^(٨) ٤- الفقاهاة ^(٩) (بمعنى أن يكون الفقيه مجتهداً ، عارفاً بأمر زمانه ^(١٠)) ٥- القوة وحسن الولاية (الكفاءة ^(١١)) ٦- ألا يكون من أهل البخل ، والحرص ، والطمع ، وأن يقدر نفسه بضعفة الناس ^(١٢)

(١) مركز نون للتأليف والترجمة : دراسات في ولاية الفقيه ص ٢٠.

(٢) خالد التويجري : ولاية الفقيه وتطورها ص ٢٧ بتصرف .

(٣) مركز نون : دروس في ولاية الفقيه ص ٣٢ .

(٤) انظر دستور جمهورية إيران الإسلامية ص ٢٠.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ١ ص ١٨٣.

(٦) قال علي : يحتاج الإمام إلى قلب عقول ، ولسان قوول ، وجنان على إقامة الحق صوول ، وعن أبي عبد الله : لا يكون السفه إمام التقي . المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه ج ١ ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

(٧) قال تعالى : " ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً " . النساء : ١٤١ ، وقال النبي ﷺ : الإسلام يعطو ، ولا يعطى عليه . الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه ج ١ ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٨) قال تعالى : " ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار " هود : ١١٣ . ، قال الإمام علي : لا تصلح الإمامة إلا لرجل في ثلاث خصال : ورع يحجزه عن معاصي الله ، وحلم يملك به غضبه ، وحسن الولاية على من يلي ، حتى يكون كالوالد الرحيم . دراسات في ولاية الفقيه ص ٢٤ . المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه ج ١ ص ٣٢٢.

(٩) قال علي : لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج ، والدماء ، والأحكام : البخيل ؛ فتكون أموالهم نهمته ، ولا الجاهل ؛ فيضلهم بجهله ، ولا الجافي ؛ فيقطعهم بجفائه ، ولا الحائف ؛ فيتخذ قوماً دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم ؛ فيذهب بالحقوق ، ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة ؛ فيهلك الأمة . دراسات في ولاية الفقيه ص ٢٥ . المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه ج ١ ص ٣٢٩ - ٣٣٠.

(١٠) مركز نون للتأليف والترجمة : دروس في ولاية الفقيه ص ٣٧ - ٣٨.

٧- الذكورة (٣) ٨- طهارة المولد (٤) ٩- البلوغ ١٠- سلامة الأعضاء والحواس (٥) ، وهذه هي الأمور المتفق عليها في شروط الولي ، وهناك أمور اختلفوا فيها .
 أما صفات القيم في هذا العصر فتتلخص في : العلم التام بالقانون ، الحصانة الأخلاقية (وتعني : العدالة وهي ملكة نفسانية ، والتقوى ، والورع) ، الكفاءة الإدارية (قال علي - عليه السلام : أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه ؛ حتى يصل إلى الهدف من نصبه .
 وتكون صلاحيات الفقيه هي نفس ما كان للإمام ، فليس هناك دليل يخصص صلاحية دون أخرى (٦) ؛ وذلك مأخوذ من قول المنتظر الغائب : فأما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً لهواه ، مطيعاً لأمر مولاه ، فللعوام أن يقلدوه (٧) .

صلاحيات الفقيه في هذه الولاية :

- ١- هو العين الساهرة على تطبيق الأحكام الإسلامية ، والنظام الإسلامي .
- ٢- المسئول السياسي الأول عن اتخاذ جميع القرارات السياسية .
- ٣- المسئول عن تعيين الأشخاص في المواقع السياسية ، التي يحتاجها المجتمع ؛ فبمقدوره الاستغناء عن رئيس الدولة ، ورئيس الحكومة ، ومجلس النواب ، والمجلس

- (١) قال تعالى : " قال اجعلني على خزان الأرض إني حكيم عليم " يوسف : ٥٥ . وقال الإمام علي : إن أحق الناس بهذا الأمر أقواهم عليه ، وأعلمهم بأمر الله فيه . دراسات في ولاية الفقيه ص ٢٤ . الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه ج ١ ص ٣١٩ - ٣٢٢ .
- (٢) قال الإمام علي : ولا تدخلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ، ويعدك بالفقر ، ولا جباناً يضعفك عن الأمور ، ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور ، فإن البخل والجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله . مركز نون : دراسات في ولاية الفقيه ص ٢٥ .
- (٣) قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم : المرأة لا تولى القضاء ، وقال : لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ، ولا يقدر الله أمة قادتهم امرأة . دراسات في ولاية الفقيه ص ٢٩ - ٣٠ . المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه ج ١ ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .
- (٤) فلا تعقد الولاية لولد الزنا . المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه ج ١ ص ٣٦٣ .
- (٥) الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ج ١ ص ٣٦٩ .
- (٦) مركز نون للتأليف والترجمة : دروس في ولاية الفقيه ص ٣٨ - ٤١ .
- (٧) الشيخ محمد السند البحراني : دعوى السفارة في الغيبة الكبرى ص ٣٠ .

التشريعي ، ويمقدوره تعيين كل ذلك ، وله أن يتنازل عن بعض الصلاحيات لأحد من الشعب .

- ٤- صاحب القرار العسكري ، والصلح ، والحرب ، وتأمين الثغور لدفع الأعداء .
- ٥- المسؤول عن أمن النفوس ، والأموال ، والأعراض .
- ٦- المسؤول الأول عن القضاء وببده إجراء الحدود ، وتعيين القضاة .
- ٧- الولي على جميع الأموال الشرعية ، بما فيها الخمس والأطفال ، ووارث من لا وارث له .
- ٨- المراقب للوضع الاقتصادي ، ويملك تحديد سقفاً للملكية الفردية .
- ٩- المشرف على الوضع الثقافي للأمة ، وصيانتها من التغريب والبدع .
- ١٠- ببده طلاق المرأة إن رفعت أمرها إليه ، وهو ولي من لا ولي له ، والولي على الأيتام والقصر ، والمجانين ، وأموال الغائبين ^(١) .

وقد حدد الدستور الإيراني في المادة ١١٠ وظائف ، وصلاحيات الفقيه في عدة أمور:

- ١- تعيين الأعضاء الفقهاء لمجلس صيانة الدستور .
 - ٢- نصب أعلى مسئول قضائي في البلاد .
 - ٣- تولي القيادة العامة للقوات المسلحة على النحو التالي :
- نصب ، وعزل رئيس أركان الجيش ونصب ، وعزل القائد العام لقوات حرس الثورة الإسلامية .

(١) مركز نون للتأليف والترجمة : دراسات في ولاية الفقيه ص ٥٥-٥٩ باختصار . الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ج ٢ ص ٥ - ٧ بتصرف .

• تشكيل مجلس الدفاع الأعلى الوطني مؤلفا من سبعة أعضاء : وهم { رئيس الجمهورية ، رئيس الوزراء ، وزير الدفاع ، رئيس أركان الجيش ، القائد العام لقوات حرس الثورة الإسلامية ، عضوين مستشارين تعينهما القيادة }.

• تعيين قادة القوات الثلاث باقتراح مجلس الدفاع الأعلى . وإعلان الحرب ، والصلح ، والتعبئة العامة باقتراح مجلس الدفاع الأعلى .

٤ - إقرار رئيس الجمهورية بعد انتخابه من قبل الشعب .

٥ - عزل رئيس الجمهورية ، مع ملاحظة مصالح البلاد بعد صدور حكم المحكمة العليا ، أو مجلس الشورى بعدم كفاءته السياسية .

٦ - العفو، أو التخفيف من العقوبات ، في إطار الموازين الإسلامية، بعد اقتراح المحكمة العليا^{(١)(٢)}.

نقد هذه النصوص الدستورية : مع أن الفقهاء المجتهدين لا يشترط فيهم العصمة ، ومع ذلك يفترض طاعة الناس لولايتهم ، فلا ينحصر الإمام المفترض طاعته في الإمام المعصوم ؛ لأن الفقيه العادل بمقتضى عدالته يجبر التخلّفات والاشتباهاً بعد انكشافها ، كما يفعل الإمام المعصوم^(٣).

ولكن نلاحظ أنه " بدأ التنافس بين السادة والمجتهدين للحصول على الخمس ، ولهذا بدأ كل منهم بتخفيض نسبة الخمس المأخوذة من الناس ، حتى يتوافد إليه الناس أكثر من غيره ، أما ما يسرقه الوكلاء دون علم السيد ، فحدث ولا حرج !^(٤).

(١) دستور جمهورية إيران الإسلامية ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) بالنظر لهذه المادة نجد : أنه لم يعد لرئيس الجمهورية إلا السمع والطاعة لأمر الفقيه ، وبالتالي يكون الشعب الذي اختاره لا قيمة له ، أليس في الشعب قائم أهل البيت واجماعهم حجة كما يعتقدون ؟ .

(٣) الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ج ١ ص ١٢٠.

(٤) د حسين الموسوي : لله ثم للتاريخ ص ٦٥ - ٦٦ بتصرف .

ولذلك بدأت الدعوات بالشك في إطلاق طاعة الإمام فإن " التوقيع وما يليه من الأخبار لا ينهض لإثبات الولاية الاستقلالية للفقهاء كالإمام إلا فيما خرج بالدليل ، وبالجمل لا شك في قصور الأدلة على إثبات أولوية الفقيه بالناس من أنفسهم ، كما هي ثابتة لجميع الأئمة ، ولا يوجد دليل على أن الفقيه أولى ببال الناس من أنفسهم ^(١) ؛ لأن ما استدل به على الولاية المطلقة في عصر الغيبة غير قابل للاعتماد عليه ، ومن هنا قلنا : بعدم ثبوت الولاية له إلا في موردين وهما الفتوى والقضاء ، أما غيرهما فلم تدلنا عليه رواية تامة الدلالة والسند ^(٢) ، وإذا اقتصر على هذين الأمرين رجعنا لمضمون عقيدة أهل السنة في علمائهم . مع التأكيد على أن الروايات في هذا المجال هي في معظمها ضعيفة السند ، كما أنها متعارضة ، ويخالف بعضها بعضاً ، ما يعني إخضاع الروايات نفسها لمنهج البحث العلمي ^(٣) .

ما الذي يجب على الشيعي خلال مدة غيبة الإمام والهدنة مع المخالفين ؟ :

تدعي الشيعة أن على الشيعي في عصر الغيبة الكبرى عدة مهام إسلامية ، لها أكبر الفضل والأثر في تربية الفرد وتكامله ، وقربه من تعاليم ربه ورضاه ، ويفضل في ذلك - أحياناً - عن عصر النبوة (يقصدون الصحابة - ﷺ - مع أنهم خير القرون) ، وعصر الظهور ، وتتلخص هذه المهام فيما يأتي :

- ١ - الإيمان بالغيب ؛ فيغلب ميل الإنسان الفطري لشهادة الحس ، والمكان ، والزمان .
- ٢ - تحمل التضحيات والمشاق في سبيل إيمانه ، تلك المشاق التي كانت موجودة في عصر النبوة ، ولن تكون في عصر الظهور ، ولها قسمان : تمحيص اختياري يؤديها الفرد بطواعية واختيار لخدمة عقيدته ، وما يقع على الفرد من المجتمع من قهر ، ومطاردة ضد إيمانه ، وعليه أن يصمد حتى لو وصل إلى حد الشهادة .

(١) الشيخ مرتضى الأنصاري : المكاسب ، تحقيق : لجنة تحقيق التراث بمجمع الفكر الإسلامي ، نشر مؤسسة الإمام الهادي - قم ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ - ج ٣ ص ٥٥٣ .

(٢) السيد الخوئي : الاجتهاد والتقليد ص ٤١٩ - ٤٢٠ بتصرف .

(٣) السيد محمد حسين فضل الله : نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية ص ٤٠ .

٣- صمود الفرد ضد الإغراء ، سواء كان لمصلحة شخصية ، أو شهوة نفسية ، أو مال ، أو شهرة ، وهذا هو المحك الأساسي للتمحيص (الفتن) داخل عصر الغيبة .

٤- إيمان الفرد بالمهدي ، ويتجلى ما يستلزمه من توضيحات ، ومصاعب ؛ فيصبر على التمحيص والابتلاء ، وانتظاره لخروج المهدي مهما طالّت مدة غيبته ، حتى يكون أفضل من شهداء بدر وأحد ، وهم أفضل من أهل كل زمان ، لما صار عندهم من الإيمان بوجود المهدي كأنه العيان ، بل أفضل من عامة المعاصرين لعصر النبوة ^(١).

نقد نظرية ولاية الفقيه :

إذا تدبرنا أمراً في غاية الخطورة وهو : أن الإمام قبل ظهور هذه النظرية كان واحداً ، فلا يشاركه أحد في ولايته وحكمه ، وحسب نظرية ولاية الفقيه العامة فإن كل فقيه هو صاحب سلطة عامة، وهذا يؤدي إلى تعدد الحكام ، وإلى تفتيت الأمة إلى آلاف الحكومات ، وآلاف الدول ، وهذا مناقض لأصل الشريعة التي تفرض وحدة الأمة الإسلامية، ووحدة الدولة الإسلامية، وتحرم الخروج عن الجماعة.

حسب نظرية ولاية الفقيه العامة فإن التقليد في الأحكام الشرعية يجب أن يسار فيه تبعاً للفقهاء الأعلام؛ فإذا تولى السلطة فقيه أقل علماً فإن عليه أن يقلد الفقيه الأكثر علماً منه ويخضع لرأيه، وهنا يحصل الدور والمناقضة ، وليس هذا افتراضاً نظرياً، بل هو إشكالية واقعة ، فقد كان في إيران «شريعتمداري» مرجعاً كبيراً وكانت غالبية الشعب في إيران تعتبره أعلم من الخميني، وكان لا يقر بنظرية الولاية العامة للفقهاء ، ولكن الخميني استعمل سلطته كحاكم وأخضع «شريعتمداري» ، وهذا يعد دكتاتورية وليست ولاية .

(١) السيد الشهيد الصدر : تاريخ الغيبة الكبرى ص ٤٥٧ - ٤٧٦ باختصار .

المطلب الخامس

مقدمات وعلامات الرجعة

يدعي الشيعة الاثنا عشرية أن لرجعة الأئمة مقدمات لابد منها ، مثل أن يخرج اثنا عشر من بني هاشم ، كلهم يدعوا إلى نفسه ^(١) ، ومثل : ليس بين قيام القائم ، وبين قتل النفس الزكية ^(٢) إلا خمس عشرة ليلة ^(٣) - يعني : سنة ١٤٠ هـ - ^(٤) ، وحتى تغير الحبشة على البيت ، فيكسرونه ، ويؤخذ الحجر يعني : سنة ٣١٧ هـ ^(٥) ، فينصب في مسجد الكوفة ^(٦) ، وحتى يجتمع المؤمنون بالكوفة ^(٧) ، وحتى يبرأ بعض الشيعة من بعض ، ويلعن بعضهم بعضاً ، ويتفل بعضهم في وجه بعض ، وحتى يشهد بعضهم بالكفر على بعض ، حتى يقوم القائم ؛ فيرفع ذلك كله ^(٨) .

ولابد من فتنة صماء ، ويظهر بدن في السماء ، يرى في قرن الشمس ، يقول : هذا أمير المؤمنين قد كر في هلاك الظالمين ^(٩) ، وحتى يخرب حائط مسجد دمشق ^(١٠) ، وتنكسف

(١) الطوسي : الغيبة ص ٢٦٩ .

(٢) النفس الزكية : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، الملقب : الأرقط ، والمهدي ، والنفس الزكية ، أحد الأمراء الأشراف الطالبين ، من أصحاب الصادق ، قتل : ١٤٥ هـ بالمدينة أو بالكوفة . الطوسي : الغيبة ص ٢٧٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٨٢ .
(٣) أصول الكافي ج ١ ص ٣٩٧ . الطوسي : الغيبة ص ٢٧٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠٣ .

(٤) سليمان الخراشي : أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ص ٧٢ .

(٥) وتم رد الحجر إلى مكانه سنة ٣٣٩ هـ . معجم أحاديث المهدي ح ١٣٦٠ ج ٦ ص ٢٣٦ .

(٦) الطوسي : الغيبة ص ٢٧٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢١٥ .

(٧) الطوسي : الغيبة ص ٢٧٥ . بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٠ . الصدوق : كمال الدين ص ٥٨٨ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢١١ . الطوسي : الغيبة ص ٢٦٩ .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٨٩ . الطوسي : الغيبة ص ٢٦٩ - ٢٧٠ بتصرف .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢١٢ . الطوسي : الغيبة ص ٢٧٠ .

الشمس في النصف من شهر رمضان ، والقمر في آخره ^(١) ، وإذا وقعت النار في حجازكم ، وجرى الماء في نجفكم ^(٢) ، وملكت بغداد الترك ^(٣) .
موت أحمر بالسيف ، وموت أبيض بالطاعون ، وجراد في غير حينه ، أحمر كلون الدم ^(٤) .

وظهور الخوف الشديد ، وزلزال ، وسيف قاطع بين العرب ، واختلاف شديد بين الناس ، وتشتيت في دينهم ، وتغير في حالهم ، حتى يتمنى المتمنى الموت صباحاً ومساءً ، من عظم ما يرى من كلب الناس ، وأكل بعضهم بعضاً ، وخروجه عند الإياس ، والقنوط ^(٥) .
وبالترتيب الزمني لهذه الأحداث الذي جاء في الروايات ما ملخصه : سنة ٦١٠ تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً ، ٦٢٠ يموت العلماء ، ٦٣٠ ينقص النيل والفرات ، ٦٤٠ تمطر السماء حجارة ، ٦٥٠ يسلط على البهائم التي ماتت بالحجارة السباع ، ٦٦٠ يموت نصف الأنس والجن ، ويقتل القائم ، ٦٧٠ لا يولد لمؤمن ، ٦٨٠ تصير النساء كالبهم ، ٦٩٠ تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصى آدم ، ٧٠٠ تطلع الشمس سوداء ، ٧٨٧ يظهر رجل يقال له المزيدي الرومي ، ورجل من مكة اسمه سفيان بن حرب ^(٦) يخرج القائم بعده بثمانية أشهر ، لا زيادة ولا نقصان يوم ^(٧) .

نقد هذه المقدمات من واقع كتبهم : بالطبع السنوات التي رويت قبل ذلك لم يقع شيء منها فهي محض افتراء ، وإن كانت في الرجعة ، فهي روايات تتناقض مع ما سبق ، فما ورد في روايات أهل البيت : أن تمام الرجعة ، أو جلها ومعظمها ؛ إنما تكون بعد ظهور دولة الحق بظهور المهدي المنتظر يتناقض مع المقدمات السابقة ، حيث يكون الجو صالحاً لأعمال الخير ، ودعائم الشيطان والطغيان منكسرة ، بعكس أيامنا هذه ؛ إنما هو لئلا يعذر

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢١٣ . الطوسي : الغيبة ص ٢٧٢ .

(٢) مستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ٤٧ . علي العاملي : الصراط المستقيم ج ٢ ص ٢٥٨ .

(٣) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ٤٧ .

(٤) أحمد بن زين الدين الأحسائي : الرجعة ج ٧١ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٣١ .

(٦) قال الأحسائي : السفياني من ذرية سفيان بن حرب ، اسمه عثمان بن عنبسة ، يخرج في العاشر من جماد الأول ، اليوم الذي يخرج في الدجال من أصفهان أو سجستان ، ويظهر القائم في العاشر من محرم .
الرجعة ص ٦٥-٦٦ .

(٧) قال أحمد بن زين الدين الأحسائي : وهذا الحديث مقطوع مرسل . انظر الرجعة ص ٦٣-٦٤ .

معتذرهم يوم القيامة : أنه قد عاقه عن الخير ، والعمل الصالح ما كان مسلطاً على جوه مع الطغيان ، ووساوس الشيطان ، أو يدعي مدعيهم : بأن ولادته في البيت الفلاني الغاشم الظالم ، أو مجتمع الشرك والضلال ، وبيئة الفحشاء والفساد ؛ هو الذي أخذ بناصيته إلى الكفر^(١).

هل الرجعة هي التناسخ^(٢)؟ يؤمن الشيعة الاثنا عشرية بأن : القول بالتناسخ باطل ، ومن دان بالتناسخ فهو كافر ؛ لأن في التناسخ إبطال الجنة والنار^(٣) ، فالرجعة " التي يذهب إليها أهل التناسخ فاسدة^(٤) .

ثم نجد المفيد ينقل عن أحد الشعراء عقيدة التناسخ بعينها ، ولا يعقب عليها ، فيقول هذا الشاعر لرجل ناظره : إني لا اعتقد أن الله -ﷻ- يرد هذا إلى الدنيا كلباً ، أو قرداً ، أو خنزيراً ، أو ذرة ؛ فإنه والله متجبر ، متكبر ، كافر^(٥) . أليس هذا هو عين التناسخ ؟ . وقال رجل لجعفر الصادق : تقول بالرجعة ؟ فقال : نعم ، فقال : أقرضني من كيسك هذا خمسمائة دينار ، فإذا عدت أنا وأنت رددتها إليك ، فقال له في الحال : أريد ضميناً يضمن لي أنك تعود إنساناً ، وإني أخاف أن تعود قرداً ، فلا أتمكن من استرجاع ما أخذت^(٦) . ويروون أن عبد الملك بن مروان^(٧) :

-
- (١) كلام عبد الرحيم الشيرازي . انظر المجلسي : بحار الأنوار ج ٨٦ هامش ص ٢٤٥ .
- (٢) تناسخ الأرواح : انتقالها في الأشخاص الآدمية وغيرها ، من جسد إلى جسد ، وتنعيمها ، وتعذيبها بحسب زكاتها وخبثها ، فإذا كانت النفس شريرة : أخرجت من قلبها التي هي فيه ، وألبست قالباً يناسب شرها من كلب ، أو خنزير ، ونحو ذلك ، فإن أخذت جزاء شرها ، بقيت في ذلك القالب ، تنتقل من فرد إلى فرد ، وإن لم تأخذ انقلبت إلى قالب أشر منه ، حتى تستوفي جزاء الشر ، وفي الخير تنتقل إلى أعلى ، حتى تستوفي خيرها . الشيخ المفيد : المسائل السرورية هامش ص ٤٦ .
- (٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٣٠ . الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ٦٣ .
- (٤) الشيخ الطوسي : التبيين في تفسير القرآن ج ٣ ص ٤٧ .
- (٥) الشاعر : امرئ القيس الحميري ، وكان ينشد في حضرة المنصور العباسي ، وقال ذلك : لسوار من علماء الاثني عشرية . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٣٢ ، ج ١٠ ص ٢٣٣ .
- (٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٠٧ .
- (٧) أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية : الفقيه ، ولد ٢٦هـ ، ملك بعد أبيه الشام ومصر ، كان قبل الخلافة عابداً ، توفي ٨٦هـ . سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٢٩٧ - ٢٩٨ .

لما مات ، مسخه الله وزغاً^(١) ، ثم هرب هذا الوزغ ؛ فقالت الإمامية : الجسد ذهب إلى الجحيم ، ومسخت الروح وزغاً ، كما مسخ كل من كان يسب أبناء الأنبياء في بني إسرائيل ؛ فلذلك كل عثماني في هذه الأمة يبغض علياً ؛ فإنه يمسح وزغاً عند موته ، وأن من قتل وزغاً خرج من ذنوبه ، وعليه الغسل بعد قتله ، وأطلقوا على مروان بن عبد الملك: الوزغ بن الوزغ ، وكذلك من يموت من بني أمية يمسح وزغاً^(٢).

وعن أبي جعفر الملقب بمؤمن الطاق أنه لقي أبو حنيفة النعمان بن ثابت - رحمه الله - فسأله أبو حنيفة : إنكم تقولون بالرجعة ؟ قال : نعم . قال أبو حنيفة : فأعطني الآن ألف درهم حتى أعطيها لك ألف دينار إذا رجعنا . قال أبو جعفر : فأعطني كفيلاً بأنك ترجع إنساناً ، ولا ترجع خنزيراً^(٣).

وقال إسماعيل بن محمد الذي يعرف بالسيد : فالرجعة التي نذهب إليها ، هي ما نطق بها القرآن ، وجاءت بها السنة ، وإني لا اعتقد أن الله تعالى يرد هذا - رجلاً من الشعراء يدعى سواراً - إلى الدنيا كلباً ، أو قرداً ، أو خنزيراً ، أو ذرة ، فإنه والله متجبر ، متكبر ، كافراً^(٤).

نقد هذه الأساطير : هذه الروايات تتضمن معنى التناسخ وهذه دعوى يدعيها بعض الرواة عن جعفر الصادق ، أن أرواح الأئمة انتقلت إليه وهذه كما قال بعض المستشرقين : " يوجد داخل نطاق التشيع نظريات مغالى فيها ، تجمع على تجسد الألوهية في علي والأئمة ، ولا يقتصر القول على اعتبار مشاركة أولئك السادة للكائن الأعلى في الصفات والقوى الإلهية والتي ترفعهم فوق المستوى البشري المألوف ، ولكن على اعتبار أن علياً والأئمة من

(١) الوزغ { للذكر } ، والوزغة { للذكر والأنثى } : جنسٌ سحالي من فصيلة الوزغيات ، سامٌ، يسكن البيوت، من أنواعه: أبو بريص ، وتُعبَة: أخضر الرأس والحلق، جاحظ العينين، ولا يكاد يبرأ لديغه ، والوحرة . المعجم الوسيط ص ١٠١٧ ، ١٠٣٧ .

(٢) مستدرک سفينة البحار ج ١٠ ص ٢٩١ - ٢٩٢ بتصرف . الحدائق الناضرة ج ٤ ص ١٩٥ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٩٩ .

(٤) معجم أحاديث المهدي ح ٥٣٢ ج ٣ ص ٣٧٤ . بحار الأنوار ج ١٠ ص ٢٣٣ . ج ٥٣ ص ١٣٢ .

ولده خاصة هم صور وأشكال يتمثل فيها الجوهر الإلهي ذاته ، وأن جثمانية هذا الجوهر ليست إلا حادث طارئ^(١).

فالحقيقة الإلهية عندهم لابد لها من التعيين في جسد بشري ، وأنها تظل تنتقل من جسد إلى جسد ، حتى تبلغ كمالها الأعظم في هيكل إنساني هو أعظم هياكلها أو تجسدها ، وهذا الجسد البشري هو بهاء الله تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً^(٢).

وتؤمن أهل السنة بوجود المسخ في الأمم السابقة ، وقد يقع في أمتنا آخر الزمان ؛ فالنبي -ﷺ- أتى بضرب قد شوي ، فأخذ النبي -ﷺ- عوداً ، فجعل يعد أصابعه ، ثم قال : أمة من بني إسرائيل مسخت دواب في الأرض ، وإنني لا أدري ، أي دواب هي ، فلم يأكل منه^(٣).

وعنه -ﷺ- : "الجان مسخ الجن كما مسخت القردة من بني إسرائيل"^(٤) ، وحديثه -ﷺ- : "فقدت أمة من بني إسرائيل لا يدري ما فعلت ؟ وإنني لا أراها إلا الفأر ، إذا وُضع لها ألبان الإبل لم تشرب ، وإذا وُضع لها ألبان الشاء شربت"^(٥).

وقد جاء القرآن به كما في قصة القرية التي كانت حاضرة البحر في سورة الأعراف ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾^(٦).

ماذا يفعل القائم حين يخرج كما تدعي الاثنا عشرية : يدعي أحد علمائهم : نحن نعلم بالدليل القطعي في الإسلام أهمية هذا اليوم الموعود عند الله -ﷻ- وعند رسوله -ﷺ- ؛ فإنه اليوم الذي يتحقق به الغرض الأساسي من خلق البشرية ، وتنفذ به آمال الأنبياء والمرسلين ، وتتكلل جهودهم بالنجاح ، بوجود المجتمع العادل ، وإنجاز دولة الحق^(٧).

(١) د بسمة بنت أحمد بن محمد جستنيه : أثر الديانات الوثنية في عقيدة الرافضة ص ٣٦٢.

(٢) دبسمه جستنيه: أثر الديانات الوثنية في عقيدة الرافضة ص ٣٦٢ ، عن عبد الرحمن الوكيل: البهائية.

(٣) الطبراني : المعجم الكبير ج ٢ ص ٨١. مسلم : شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٣ ص ١٠٩.

(٤) البغوي : تفسير البغوي ص ٤٩٧. القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ٢١٤.

(٥) رواه البخاري : فتح الباري ج ٦ ص ٣٩٤. البغوي : شرح السنة ج ١٢ ص ٢٠٠.

(٦) سورة الأعراف : آيات رقم ١٦٣ - ١٦٦.

(٧) الشهيد الصدر : تاريخ الغيبة الكبرى ص ٤٢.

وادعى علماء الاثنا عشرية أموراً لابد من تحققها عند ظهور القائم في آخر الزمان منها : ينتظر المهدي إلى أن يجتمع إليه من أصحابه عدة أهل بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أقاصي الأرض، فإذا اجتمعت له هذه العدة من أهل الإخلاص ، أظهر الله أمره ، فإذا كمل العقد ؛ وهو عشرة آلاف رجل ؛ خرج بإذن الله -ﷻ- ، فلا يزال يقتل أعداء الله حتى يرضى الله -ﷻ- (١) .

فإذا خرج حكم بحكم سليمان وداود ، ولا يسأل بينة (٢) ؛ وهو أمر جديد ، وكتاب جديد ، وقضاء جديد (٣)؛ وسنة جديدة ، على العرب شديد (٤)؛ ليس شأنه إلا القتل ، لا يستتيب أحداً ، ولا تأخذه في الله لومة لائم (٥) ، ولا يكتفي بذلك بل يقتل حفاظ القرآن الكريم الذين يتلونه كما نزل ولا ندري لماذا ؟ فعن أبي جعفر: " إذا قام قائم آل محمد ضرب فساطيط يعلم فيها القرآن على ما أنزل ، فأصعب ما يكون على من حفظه اليوم لأنه يخالف فيه التأليف " (٦) أي تأليف القرآن الحالي الموافق لجميع المصاحف ! .

ويورث الأخ الذي آخى بينهما في الأظلة (٧)، ولم يورث الأخ من الولادة " (٨)، ويحكم بثلاث لم يحكم بها أحد قبله : يقتل الشيخ الزاني ، ويقتل مانع الزكاة ، ويورث الأخ أخاه في الأظلة (٩) .

وفعل شيئاً غريباً : " أنه يقتل من بلغ العشرين ، ولم يتفقه في الدين " (١٠) .

-
- (١) الشيخ الصدوق : إكمال الدين ص ٣٧٨ . الميرزا النوري : خاتمة المستدرک ج ٥ ص ٢٤٠ .
 (٢) الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٣٩٧ . الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٧ ص ٣٦٥ .
 (٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٣٥ . الشيخ المفيد : الإرشاد ص ٣٨٤ .
 (٤) وسبب تخصيص العرب عند الشيعة كما يدعون عن أبي عبد الله: فإن لهم خبر سوء؛ أما إنه لا يخرج مع القائم منهم أحد. الطوسي : الغيبة ص ٢٨٤ .
 (٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٣١ . ٣٣٢ .
 (٦) معجم أحاديث المهدي ح ٨٦٧ ج ٤ ص ٥٠٦ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٩ .
 (٧) يقول الصدوق: إن الله آخى بين الأرواح في الأظلة، قبل أن يخلق الأبدان بألفي عام: الاعتقادات ص ٨٣ .

- (٨) مستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٢١٥ . معجم أحاديث المهدي ح ١١٤٤ ج ٥ ص ٣٢٨ .
 (٩) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٠٩ ، ٣٧١ . معجم أحاديث المهدي ح ١١٤٣ ج ٥ ص ٣٢٦ .
 (١٠) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٨١ . المجلسي : مرآة العقول ج ٤ ص ٣٠٢ .

وينتج عن ذلك مذبحه مروعة لكن هذه المذبحه ليست للكفار والمنافقين فقط ، بل للموالين أيضاً ؛ حيث : " يقضي القائم بقضايا ينكرها بعض أصحابه ممن قد ضرب قُدَّامه بالسيف ، وهو قضاء آدم -عليه السلام- فيقدمهم ، فيضرب أعناقهم ، ثم يقضي الثانية ، فينكرها قوم آخرون ممن قد ضرب قُدَّامه بالسيف ، وهو قضاء داود -عليه السلام- فيقدمهم فيضرب أعناقهم ، ثم يقضي الثالثة ، فينكرها قوم آخرون ممن قد ضرب قُدَّامه بالسيف ، وهو قضاء إبراهيم -عليه السلام- فيقدمهم فيضرب أعناقهم ، ثم يقضي الرابعة ، وهو قضاء محمد -عليه السلام- فلا ينكرها أحد عليه" (١).

وإذا خرج حرم اتفاق الأموال على الشيعة ، يقول أبو عبد الله: موسع على شيعتنا أن ينفقوا مما في أيديهم بالمعروف ، فإذا قام قائمنا حرم على كل ذي كنز كنزه ، حتى يأتيه به ، فيستعين به على عدوه (٢) ، وهو قول الله -تعالى-: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣) .

ثم يتوجه إلى قبر جده -عليه السلام- فيكسر الحائط الذي على القبر ثم يخرج الأزرق ، وزريق- يعني الشيخين ، غضين رطبين فيلعنهما ، ويتبرأ منهما ، ويصلبهما ، ثم ينزلهما ويحرقهما ، ثم يذريهما في الريح ، ويكسر المسجد (٤) ، وفي رواية : فإذا دخل المدينة أخرج اللات والعزى فأحرقهما (٥) .

ثم يقوم بضرب أعناق خمسمائة من قریش ، ثم خمسمائة أخرى ثم أخرى ، حتى يفعل ذلك ست مرات ، ويحرق أجسادهم في جوف المسجد النبوي (٦) .

ثم يذبح العرب تنفيذاً لوصية أبي عبد الله حيث قال : ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح (١) ؛ لأن " رسول الله -عليه السلام- سار في أمته باللين واليمن ، وكان يتألف الناس ، والقائم أمر

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٨٩ . معجم أحاديث المهدي ح ٨٥١ ج ٤ ص ٤٨٣ .

(٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٩ ص ٥٤٧ - ٥٤٨ . معجم أحاديث المهدي ح ١٥٦٧ ج ٧ ص ٢٢٩ .

(٣) سورة التوبة : آية رقم ٣٤ .

(٤) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٨٦ . معجم أحاديث المهدي تعليق على ح ٨٤٨ ج ٤ ص ٤٧٧ - ٤٧٩ .

(٥) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٨٦ . معجم أحاديث المهدي تعليق على ح ١٤٦٣ ج ٧ ص ٥٥ .

(٦) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٩١ . معجم المهدي تعليق على ح ٨٤٨ ج ٤ ص ٤٧٧ - ٤٧٩ .

أن يسير في الناس بالقتل ، بذاك أمر في الكتاب الذي معه ، أن يسير بالقتل ، وألا يستتيب أحدا فالويل لمن ناوأه" (٢) .

ولا يقبل صاحب هذا الأمر الجزية ؛ كما قبلها رسول الله -ﷺ- (٣) ، ويعرض الايمان على كل ناصب ، فإن دخل فيه بحقيقة ، وإلا ضرب عنقه أو يؤدي الجزية كما يؤديها اليوم أهل الذمة (٤) ، فلا يقبل إلا الإسلام ، وهذا لا يتنافى مع كونه سيحكم بحكم التوراة ، أو بأمر جديد ؛ لأنه سيقم عليهم الحجة بكتبهم حتى يسلموا ، وهذا في بادئ أمره (٥) . فيأمر بالكافر فيؤخذ بنواصيهم وأقدامهم ، ثم يخبط بالسيف خبطاً (٦) .

والأدهى من هذه المذابح زعم الشيعة : " بينا رجل على رأس القائم يأمره وينهاه ، إذ قال: أديروه فيديروه إلى قدامه ، فيأمر بضرب عنقه ، فلا يبقى في الخافقين شيء إلا خافه" (٧) ، بل الانتقام يكون لكل من آذى المسلمين فعن أبي عبد الله : إذا قام قائمنا رد الله كل مؤذٍ للمؤمنين في زمانه ، في الصورة التي كان عليها وفيها بين أظهرهم ؛ لينتقم منه المؤمنون (٨) .

وترد إليه الحميراء (٩) ، حتى يجلدوها الحد ، وينتقم لفاطمة منها ، لفريتها على أم إبراهيم (١٠) . ويحضر الناس ؛ فيقول لهم القائم: من أراد أن ينظر إلى آدم ، وشيث ، ونوح ، وسام وسام (١١) ، وإبراهيم ، وإسماعيل ، وموسى ، ويوشع ، وعيسى ،

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٤٩ .

(٢) معجم أحاديث المهدي تعليق على ح ٨٤٣ ج ٤ ص ٤٧٤ . بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٥٣ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٤٥ .

(٤) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٧٣ ، ٣٧٥ . معجم أحاديث المهدي ح ٨٤٩ ج ٤ ص ٤٧٩ - ٤٨٠ .

(٥) نعمة الله الجزائري : أحوال المهدي ص ٣٢ . بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٨٢ . معجم أحاديث المهدي ح ١٥٦٥ ج ٧ ص ٢٢٥ .

(٦) بحار الأنوار ج ٥١ ص ٥٩ . محمد الصفار: بصائر الدرجات ص ٣٧٩ . المفيد : الاختصاص ص ٣٠٤ .

(٧) معجم الإمام المهدي ح ١١١٣ ج ٥ ص ٢٩١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٥٥ .

(٨) معجم الإمام المهدي ح ١١٦٥ ج ٥ ص ٣٦٢ .

(٩) الحمراء أو الحميراء : أي البيضاء ، المراد بها عائشة - رضي الله عنها - ، وهو لقب كان يناديها به رسول الله -ﷺ- . بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٤٢ . و ج ٣١ ص ٦٤٠ . ابن منظور : لسان العرب ج ١٢ ص ٩٩٠ .

وشمعون^(٣) ، ومحمد ، وأمير المؤمنين ، والحسن ، والحسين -ﷺ- ، والأئمة من ولد الحسين ؛ فليُنظر إليّ ، ثم يقرأ الصحف التي نزلت على كل الأنبياء ؛ فإذا سمعت كل أمة كتاب نبيها ؛ أقرت له بأنه لم يبدل منه حرف واحد ، ثم تظهر الدابة^(٤) ، وهي آخر من يقبض روحه من الأئمة ، وهي علي -ﷺ-^(٥) .

ويكون خروج الدابة بعد المهدي ، ويهدم الكعبة ، ويبنيها على قواعد إبراهيم ؛ لأن الذي بناها ليس بنبي، ولا وصي^(٦)، ويظهر أنف المهدي وعينه {أمير المؤمنين}، وحاجبا الضلالة {الشيخان}^(٧)، ويقطع أيدي بني شيبه السراق ، ويعلقها على الكعبة^(٨) ، يهدم مسجد الرسول ؛ حتى يرده إلى أساسه^(٩) ، ويأتي باثنين يخبطان الناس بأسياقهما بين الصفا والمروة^(١٠) ، ثم يسير إلى الكوفة ؛ ليهدم بها أربعة مساجد ، ولم يبق مسجداً على وجه الأرض له شرف إلا هدمها، وجعلها جماء^(١١) .

-
- (١) ابن جرير الطبري الشيعي: دلائل الإمامة ص ٢٥٦ - ٢٥٧. الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ٥٨٢ - ٥٨٣. ولفظ: ويبعث القائم نقمة. معجم أحاديث المهدي ح ١١٠٧ ج ٥ ص ٢٨٥. المجلسي: بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٧٥ - ٢٧٦.
- (٢) هو سام بن نوح -ﷺ- سأل بنو إسرائيل عيسى -ﷺ- أن يحيي لهم سام بن نوح ؛ فخرج أشمط . أحمد بن زين الدين الأحسائي : الرجعة ص ١١.
- (٣) شمعون : رسول من الثلاثة المرسلين إلى أنطاكية التي ذكرت قصتهم في يس : آيات ١٣ - ٣٢. وقيل : الذي ذكرت قصته في البقرة : آيات ٢٤٦ - ٢٥٢، كان قبل داود ، ويسمى أيضا : شمويل . تفسير البغوي ص ١٤٨ - ١٤٩. ص ١٠٧٦ - ١٠٧٧. تفسير القرطبي ج ١ ص ٥٤٨. ج ٢ ص ٢٥٦٥ - ٢٥٦٦.
- (٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٩ - ١٠ بتصرف .
- (٥) مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٢٤٨. بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٥٢. الحلي: مختصر بصائر الدرجات ص ١٦٣.
- (٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١١ بتصرف .
- (٧) الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ٥٦٩ - ٥٧٠. بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١١٠.
- (٨) مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ١٥٢. بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٣٢. الطوسي: الغيبة ص ٢٨٢.
- (٩) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم ج ٢ ص ٢٥٤. الطوسي : الغيبة ص ٢٨٢.
- (١٠) حمران بن أعين، وميسر بن عبد العزيز. البحار ج ٥٣ ص ٤١. مختصر البصائر ص ١٤٠.
- (١١) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ٧ ص ٢٨١. الشيخ المفيد : الإرشاد ج ٢ ص ٣٨٥.

والدور على قرابات النبي ﷺ - فيبدأ بقريش يقتلهم بالسيف ، حتى يقول أكثر الناس : ما هذا من آل محمد ، ولو كان من آل محمد لرحم ^(١) ، فيقتل ألفا وخمسمائة قرشياً ، ليس فيهم إلا فرخ زنية ^(٢) .

وأراك تتخيل معي قدر الدماء التي تسيل في سبيل علي ! أراك تقول : بل في سبيل الله ؛ لا في سبيل علي ؛ كما قال أبو جعفر: الموت في سبيل الله ، هو : القتل في سبيل علي - ﷺ - ^(٣) .

ويستمر القتل حتى يذهب ثلث الناس ^(٤) . ويذهب من كل سبعة خمسة ^(٥) ، ويذهب ثلثا الناس ^(٦) ، ويذهب تسعة أعشار الناس ^(٧) . حتى إنه ليبعث إلى رجل لا يعلم الناس له ذنباً فيقتله ، حتى إن أحدهم يتكلم في بيته ، فيخاف أن يشهد عليه الجدار ! ^(٨) .

وتتناقض في عدد سنين ملكه :

تتناقض الشيعة في عدد سنين الملك فيدعون : إن القائم ليملك ثلاثمائة وتسع سنين ، كما لبث أصحاب الكهف ^(٩) ، وفي رواية : يملك القائم تسع عشرة سنة وأشهر ^(١٠) ، وفي رواية : تسعة عشرة سنة ، ثم يخرج المنتصر (الحسين) ^(١١) ، وقيل : فيمكث سبعاً ،

(١) محمد إبراهيم النعماني : الغيبة ص ٢٣٨ .

(٢) ابن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة ص ٤٥٥ . معجم المهدي ح ٨٤٨ ج ٤ ص ٤٧٨ . وكثرة القتل كان في بني الحسن أظهر ، وإن كان وقع في بني العباس . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٥٤ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٤١ . الحلي : مختصر البصائر ص ١٤١ .

(٤) الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٥٩٥ .

(٥) معجم أحاديث المهدي ح ٩٩٧ ج ٥ ص ١٥٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٠٧ .

(٦) معجم أحاديث المهدي ح ٩٩٨ ج ٥ ص ١٥٥ - ١٥٦ . بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١١٣ . الطوسي : الغيبة ص ٢١٢ .

(٧) معجم المهدي ح ٩٩٩ ج ٥ ص ١٥٦ - ١٥٧ . بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٤٤ . محمد النعماني : الغيبة ص ٢٨٣ .

(٨) محمد بن إبراهيم النعماني : كتاب الغيبة ص ٢٤٣ . الشيخ الطوسي : الغيبة ص ٢٨٢ .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٩٠ ج ٥٣ ص ١٠٠ .

(١٠) معجم أحاديث المهدي ح ١١٤٩ ج ٥ ص ٣٣٧ . الطوسي : الغيبة ص ٢٨٣ .

(١١) الطوسي : الغيبة ص ٢٨٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٠٠ .

أو ثماناً، أو تسعاً - يعني سنة - ولا خير في الحياة بعد هذا ، أو قال : لا خير في الحياة بعدهن ^(١) ، وقيل : إن قصر عمره فسبع ، أو ثمان ، وإلا فتسع ^(٢) ، وقيل : سبع سنين ، يكون سبعين سنة من سنينك هذه ^(٣) . وقيل : عمر الخضر ^(٤) ، وفي رواية : فيمكث فيما بين خروجه إلى يوم موته ثلاثمائة سنة ونيفاً ^(٥) . وقيل : كثره خمسين ألف سنة ، ويمكث أمير المؤمنين في كثره أربعة وأربعين ألف سنة ^(٦) ، وقيل : " ويمكث في الناس أربعين سنة ^(٧) .

لا تعليق غير أن نقول كل إناء ينضح بما فيه ، فدينهم المخالفة والتناقض ؛ فطفح على رواياتهم .

أول البلاد التي ينزل فيها المنتظر :

عن أبي عبد الله : " أول ما يبدأ القائم بأنطاكية ، فيستخرج منها التوراة ، وسائر كتب الأنبياء ؛ من غار فيه عصا موسى - عليه السلام - ، وخاتم سليمان - عليه السلام - ^(٨) ؛ فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة ، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل ، وبين أهل الزبور بالزبور ، وبين أهل الفرقان بالفرقان ^(٩) .

حكم من يُبَايع أو يُبَايع قبل القائم :

يدعون عن الصادق : " كل بيعة قبل ظهور القائم ؛ فبيعته كفر ، ونفاق ، وخديعة ، لعن الله المبایع لها ، والمبایع له " ^(١٠) ، وعن أبي عبد الله : " كل راية ترفع قبل قيام القائم ؛ فصاحبها طاغوت يُعبد من دون الله - عز وجل - " ^(١١) .

(١) معجم أحاديث المهدي تعليق على ح ١٤١ ج ١ ص ٤٣٨ .

(٢) الطبري الشيعي: دلائل الإمامة ص ٢٥٢ . معجم أحاديث المهدي ح ١٣٩ ج ١ ص ٤٣٠ .

(٣) الطوسي: الغيبة ص ٢٨٣ . معجم المهدي ح ١١٥٣ ج ٥ ص ٣٤٣ . البحار ج ٥٢ ص ٣٩١ .

(٤) الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٣٣٢ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٨٦ . الطوسي : الغيبة ص ٢٨٥ .

(٦) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٠٤ . الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٩٨ .

(٧) الطبري الشيعي : دلائل الإمامة ص ٢٥٤ - ٢٥٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٨٧ .

(٨) محمد بن جرير الشيعي : دلائل الإمامة ص ٤٦٦ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٠٠ .

(٩) القاضي النعماني: شرح الأخبار ج ٣ ص ٣٩٧ . نعمة الله الجزائري : أحوال المنتظر ص ٣١ .

(١٠) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٨ . الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ٥٢٥ .

(١١) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٨ . مستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٢٥٨ .

وإن خرج أحد من أهل البيت قبل هذه العلامات ؛ يجوز الخروج معه لا ^(١)، فمثل من خرج من أهل البيت قبل قيام القائم : مثل فرخ طار ، ووقع من وكره ؛ فتلاعب به الصبيان ^(٢) .

وعن محمد بن علي: "إن لبني العباس راية ، ولغيرهم رايات ، فأياك إياك ، ثم إياك إياك - ثلاث مرات - حتى ترى رجلاً من ولد الحسين -ﷺ- يبايع له بين الركن والمقام معه سلاح رسول الله -ﷺ- ، ومغفر ^(٣) رسول الله -ﷺ- ودرع رسول الله -ﷺ- وسيف رسول الله -ﷺ- ، ضع خدك على الأرض ، ولا تحرك رجلك ؛ حتى ينزل الروم الرملية ^(٤) ، والترك الجزيرة ^(٥) ، ويناد مناد من دمشق " ^(٦) . وإذا كان الأمر كذلك فلماذا خرج الإيرانيون لقتال العراقيين تحت راية الخميني ؟ ويلوحون الآن بقتال أمريكا وغيرها ؟ ويقاتلون إخواننا في اليمن ، وفي سوريا ، والبقية تأتي .

من أين يخرج الذين يرجعون للدنيا ؟ وما أعمالهم ؟

تدعي الروايات أنهم يخرجون : من مسجد السهلة بالكوفة حيث صلى جميع الأنبياء ، ومنها يظهر عدل الله ، وفيها يكون قائمه ، والقوام من بعده ، وهي منازل النبيين والأوصياء والصالحين " ^(٧) .

ما هي أحداث بيعة المهدي ؟ ومتى يخرج ؟

تدعي الشيعة أن القائم يبايع عند الحجر الأسود ، وأول من يبايعه جبرائيل ، وميكائيل -ﷺ- ^(١) ، وفي وقيل : محمد رسول الله -ﷺ- ^(٢) ، وقيل : أول من يتبعه محمد -ﷺ- وعلي الثاني ^(٣) .

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٣٧ بتصرف. الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ٥٥٤ .

(٢) مستدرك الوسائل ج ١١ ص ٣٧ . الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ٤٦ .

(٣) المغفر: زرد ينسج على شكل حلقة من الدروع، على قدر الرأس، يلبس تحت القلنسوة . المعجم الوسيط ص ٦٥٦ .

(٤) الرملية : مدينة عظيمة بفلسطين . انظر النوري : مستدرك الوسائل ج ١١ هامش ص ٣٩ .

(٥) الجزيرة : عدة أماكن بالعراق منها : جزيرة أقور وهي بين دجلة والفرات ، تحت الموصل ، وجزيرة ابن عمر ، فوق الموصل ، ولعل المراد أحدهما . النوري : مستدرك الوسائل ج ١١ هامش ص ٣٩ .

(٦) المصدر السابق ج ١١ ص ٣٩ .

(٧) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٥ ص ٢٥٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٤٨ .

متى يخرج المنتظر؟ :

في الحين الذي ينقل فيه الشيعة الإمامية عن الإمامين الباقر والصادق: " أنه بعد تأخير الظهور عن سنة مائة وأربعين لم يجعل الله بعد ذلك وقتاً " (٤) .

ويدعون : " إن القائم ينادى باسمه ليلة ثلاث وعشرين من رمضان ، ويقوم يوم عاشوراء ؛ ويوافق يوم عاشوراء في هذا العام يوم السبت - ولا أدري لما السبت وليس الجمعة ! (٥) - .

وقيل : " لا يخرج القائم إلا في وتر من السنين : تسع ، وثلاث ، وخمس ، وإحدى " (٦) .

تناقضهم في الخارجين مع المنتظر :

يدعون عن الحسين - عليه السلام - : فأكون أول من تنشق عنه الأرض ، فأخرج خرجة يوافق ذلك خروج علي - عليه السلام - ، وقيام قائمنا ، وحياة رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ، ثم ينزل عليّ وفد من السماء من عند الله ، لم ينزلوا إلى الأرض قط ، ولينزلن إلى جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وجنود من الملائكة ، ولينزلن محمد - عليه السلام - وعلي ، وأنا ، وأخي ، وجميع من مَنَّ الله عليه (٧) . وقيل : ينشر إسماعيل بن جعفر الصادق فيكون أول منشور في عشرة من أصحابه (٨) . وعن علي - عليه السلام - : وأنا صاحب النشر الأول ، والنشر الآخر ، وبني يكمل الدين (٩) .

(١) والغريب أن جبريل - عليه السلام - قد أخبر النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أنه لن ينزل إلى الأرض بعد موته ؛ فقال له حين حضرته الوفاة : " يا محمد الآن أصدد إلى السماء ، ولا أنزل إلى الأرض أبداً ، وعن أبي جعفر : " هذا آخر هبوطي إلى الدنيا ؛ إنما كنت أنت حاجتي فيها " مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٤٦٠ . بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٩٩ . الصدوق : علل الشرائع ص ٤٢٠ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٩١ .

(٣) الحسن بن سليمان الحلبي : مختصر بصائر الدرجات ص ٥٨١ .

(٤) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ٤٧ .

(٥) بينهما ١٠٧ تقريباً .

(٦) الطوسي : الغيبة ص ٢٧٥ . بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٩٠ . الصدوق : كمال الدين ص ٥٩٣ .

(٧) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٣٩ . وفي لفظ : أول من ينفذ تراب القبر الحسين . مختصر البصائر ص ١٦٩ ، ٥٧٩ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٧٦ . الحسن الحلبي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٤٤ .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٩٨ . الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٣ ص ٩٩ .

نقد هذه الروايات : أهل السنة يعتقدون : أن أو من تنشق عنه الأرض يوم القيامة : هو رسول الله -ﷺ- كما أخبر نبي كريم فقال : "فَيَقُولُ عِيسَى -ﷺ- لَيْسَ ذَاكُم عِنْدِي ، وَلَكِنْ انْطَلِقُوا إِلَى سَيِّدٍ وَلَدِ آدَمَ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ انْطَلِقُوا إِلَى مُحَمَّدٍ -ﷺ- صلى الله عليه وآله وسلم- " (١) .

ولو قلنا بقولهم لكان فضل الله على الحسين -ﷺ- أعظم من فضل الله على محمد -ﷺ- ، أو نلتمس لهم العذر ؛ فنقول : أنه لا يؤمن بصحة أحاديث أهل السنة ؛ فنقول : ونحن مثلكم .

المطلب السادس

آخر مراحل الرجعة : عقيدتهم في اليوم الآخر

تتميز عقيدة الاثني عشرية في اليوم الآخر بتقديس بالغ للأئمتهم ؛ حتى إنهم جعلوه خاصاً بأئمتهم من أوله إلى أن يسكن أهل الجنة في مساكنهم ، وأهل النار في دركاتهم - نعوذ بالله تعالى - ، فيظهر تقديس الأئمة في كل مراحل ومنازل هذا اليوم العظيم ، ولهذا التقديس معالم منها :

أولاً : وجوب تلقين المحتضر أسماء الأئمة: عن أبي جعفر: " لقنوا موتاكم عند الموت شهادة أن لا إله إلا الله، والولاية ، والإقرار بالأئمة واحداً بعد واحد حتى ينقطع الكلام " (٢) .

ثانياً : اعتقاد أن رسول الله -ﷺ- والأئمة يشاهدون وفاة شيعتهم: روت الشيعة الإمامية أن كل محتضر يرى قبل موته أمير المؤمنين -ﷺ- (٣) ، كذلك يحضرون عند السؤال في القبر (٤) .

وهذا مما أجمع عليه أهل الإمامة ، وتواتر الخبر به عن الصادقين من الأئمة، غير أنني أقول : إن معنى الرؤية هو العلم بثمرة ولايتهما ، دون البصر (١) .

(١) رواه البخاري : فتح الباري ج ٥ ص ٨٢ .

(٢) نسوا الإقرار بالنبوة . العاملي: وسائل الشيعة ج ٢ ص ٤٥٨ . الطبرسي : مستدرک الوسائل ج ٢ ص ١٢١ .

(٣) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى ج ٢ ص ١٣٣ .

(٤) هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٢ ص ١٣٠ - ١٣٢ .

ثالثاً : الاعتقاد بأن الدار الآخرة بما فيها ملكٌ لهم: فعن علي: " بي وعلى يدي تقوم الساعة " ^(٢)؛ وإن الله تعالى أمهر فاطمة ربع الدنيا ، وأمهرها الجنة والنار، تدخل أعداءها النار ، وتدخل أولياءها الجنة ^(٣).

مع أن فاطمة -عليها السلام- قالت للنبي -صلى الله عليه وآله- معترضة وهي تبكي : " زوجتني بالمهر الخسيس ^(٤) ؟ فقال لها رسول الله -صلى الله عليه وآله- ما أنا زوجتك ، ولكن الله زوجك من السماء وجعل مهرك خمس الدنيا ما دامت السماوات والأرض ^(٥).

ويدعون عن أبي عبد الله : " إلينا الصراط، والميزان، وحساب شيعتنا، والله لأنا أرحم بكم منكم بأنفسكم " ^(٦)، ويقف عليٌّ أمام النار ويقول لها : " هذا لي ، وهذا لك " ^(٧).

فعلي عند الشيعة ديان ^(٨) الناس يوم القيامة ^(٩) ، ويرد عليهم دعاء أبي عبد الله: لا إله إلا أنت ديان الدين وجبار الجبابرة ^(١٠) .

ويدعون أن رسول الله -صلى الله عليه وآله- قال له: يا علي ؛ أنت ديان هذه الأمة ، والمتولي حسابهم ، ألا وإن المآب إليك، والحساب عليك ، والصراط صراطك ، والميزان ميزانك ، والموقف موقفك ، وعن أبي الحسن: " إلينا إياب الخلق ، وعلينا حسابهم ، فما كان لهم من ذنب فيما

- (١) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٧٣ - ٧٤. الحسن بن سليمان الحلبي ص ١٣ - ١٤ .
 (٢) علي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٢٩٥. بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٣٤٨.
 (٣) علي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٨ ص ٢٤٨. بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٠٥.
 (٤) بالبحث نجد أنهم رووا أن النبي -صلى الله عليه وآله- أشهد الصحابة ؛ وعلى رأسهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير -عليهم السلام- على أنه زوج فاطمة لعلي -عليه السلام- على مهر قدره : أربعمئة مثقال من فضة ؛ فهل قبل علي بشهادة الكفار ؟. مستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٣٣٥ - ٣٣٦. بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١١٩ - ١٢٠ بتصرف .
 (٥) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢١ ص ٢٤١. المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٤٤.
 (٦) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٣٠٥. بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٧٨.
 (٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٧ ص ١٨٧، ج ٨ ص ١٦٦.
 (٨) اسم الديان من أسماء الله الحسنى كما روت الشيعة . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٢٦.
 (٩) سليم بن قيس الهلالي : كتاب سليم بن قيس ص ٢٥٦. بحار الأنوار ج ٣٤ ص ٢٥٩.
 (١٠) البحار ج ٩٨ ص ١٥٧. الحقائق الناضرة ج ١٧ ص ٤٣١. مستدرک الوسائل ج ٦ ص ٣٧٦.

ينهم وبين الله ؛ حتمنا ^(١) على الله في تركه ؛ فأجابنا إلى ذلك ، وما كان بينه وبين الناس استوهبناه منهم ، وأجابوا إلى ذلك ، وعوضهم الله ^(٢) . وعن أبي جعفر : فإذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، بعث رب العزة علياً ؛ فأنزلهم منازلهم من الجنة ، وزوجهم ، وهو الذي يغلق على أهل الجنة إذا دخلوا فيها أبوابها ؛ لأن أبواب الجنة إليه ، وأبواب النار إليه ^(٣) .

بل إن من أصول الإيمان عندهم : الاعتقاد بأن حساب جميع الخلق يوم القيامة إلى الأئمة ^(٤) .

ونرد عليهم بقوله - جل جلاله - : ﴿ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾ ^(٥) .

رابعاً : الاعتقاد بأن رسول الله - ﷺ - والأئمة يشفعون يوم القيامة في مذنب الشيعة خاصة ^(٦) ، يقول الرضا : إذا كان يوم القيامة ولينا حساب شيعتنا ، فمن كانت مظلمته فيما بينه وبين الله : حكمنا فيها ؛ فأجابنا ، ومن كانت مظلمته فيما بينه وبين الناس استوهبناه ؛ فوهبت لنا ، ومن كانت مظلمته بينه وبيننا كنا أحق من عفى وصفح ^(٧) .

خامساً : الاعتقاد بأن الله جعل علياً شريكاً للنبي - ﷺ - في فضائله يوم القيامة : تدعي الشيعة عنه - ﷺ - أنه قال لعلي - عليه السلام - : يا علي سألت ربي فيك خمس خصال ؛ فأعطاني ، أما أولها : فسألت ربي أن أكون أول من تنشق عنه الأرض ، وأنفض التراب عن رأسي ، وأنت معي ؛ فأعطاني . وأما الثانية : فسألت ربي أن يقفني عند كفة الميزان ، وأنت معي ؛ فأعطاني . وأما الثالثة : فسألت ربي أن يجعلك في القيامة صاحب لوائي ؛ فأعطاني . وأما الرابعة : فسألت ربي أن يسقي أمتي من حوضي بيدك ؛ فأعطاني ، وأما الخامسة : فسألت ربي أن يجعلك قائد أمتي إلى الجنة ؛ فأعطاني ، فالحمد لله الذي من علي بذلك ^(٨) .

(١) من أهم عقائد أهل السنة : أنه لا يجب على الله شيء يفعل ما يشاء ؛ لأنه فاعل بالاختيار سبحانه .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٢٧٢ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٧ ص ٣٣٨ . الحسن الحلي : المحتضر ص ٢٧١ .

(٤) الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة ج ١ ص ٤٤٦ .

(٥) سورة الغاشية : آية رقم ٢٥ - ٢٦ .

(٦) الشيخ المفيد : أوائل المقالات ص ٧٩ - ٨٠ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٨ ص ٤٠ . الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ١١٩ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٠ ص ٧٠ - ٧١ . الشيخ الأميني : الغدير ج ٢ ص ٣٧٣ .

فتجد اسم علي مكتوب على باب الجنة ، وعلى أجنحة جبرئيل ، وبين كتفي صلصائل ، وعلى العرش ، وعلى أبواب الجنة ^(١) ، بل يسبق النبي -ﷺ- للجنة : " وأما التي أعطاني به في الآخرة؛ فإنه صاحب لوائي - لواء الحمد - يقدمني به إلى الجنة ، وهو عون لي على مفاتيح خزائن الجنة ^(٢) ، وعنه : " إن حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب ، فإذا دقت الحلقة على الصفيحة طنت وقالت : يا علي ^(٣) ، ولذلك من طنت - صوتت - أذنه فليصل على علي ، وليقل : من ذكرني بخير ؛ ذكره الله بخير ^(٤) .

فلو أن عبداً من عبادي أتى بذنوب كالجبال الرواسي ، ثم توسل لي بحق هؤلاء ؛ لعفوت له ^(٥) .

وعن رسول الله -ﷺ- : في الجنة ثلاث درجات ، وفي النار ثلاث دركات ؛ فأعلى درجات الجنة : لمن أحبنا بقلبه ، ونصرنا بلسانه ويده ، وفي الدرجة الثانية : من أحبنا بقلبه ، ونصرنا بلسانه ، وفي الدرجة الثالثة : من أحبنا بقلبه ؛ وفي أسفل درك من النار : من أبغضنا بقلبه ، وأعان علينا بلسانه ويده ، وفي الدرك الثانية من النار : من أبغضنا بقلبه ، وأعان علينا بلسانه ، وفي الدرك الثالثة من النار : من أبغضنا بقلبه ^(٦) ^(٧) .

ويدعون عن رسول الله -ﷺ- : " ما من عبد ولا أمة يموت وفي قلبه مثقال حبة من خردل من حب علي إلا أدخله الله الجنة " ^(٨) ،

فهو قسيم الجنة والنار ^(١) ، وإن لم يقل كما تقول الشيعة ^(٢) .

(١) حسن سليمان الحلي : المحتضر ص ١٨٩ - ١٩٠ باختصار .

(٢) القاضي النعمان المغربي : شرح الأخبار ج ٢ ص ٤٦٤ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٨ ص ١٢٢ . الشيخ الأميني : الغدير ج ٣ ص ٤٢٠ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٩٥ ص ٦١ - ٦٢ . النووي : الأذكار ص ٤٩٣ .

(٥) القاضي النعمان المغربي : شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ج ٣ ص ٦ بتصرف .

(٦) ماذا يقولون حين يسمعون أن سب علي -ﷺ- كان يُعرض على الصحابة ؛ فيقول الواحد منهم : " معاذ الله ويأبى حتى لو قطع عنقه أو عطاؤه فمن علي فقد سب النبي ومن سب فقد سب الله -ﷻ- ومن سب الله كفر . القاضي النعماني المغربي : شرح الأخبار ج ١ ص ١٧١ - ١٧٢ . قال سعد بن أبي وقاص : لو وضع المنشار على مفرقي ؛ على أن أسب علياً ما سببته أبداً . فمن سب علياً ؛ فقد سب النبي -ﷺ- بحار الأنوار ج ٣٧ ص ٢٧٠ . النسائي : السنن الكبرى ج ٨ ص ٥١٣ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٩٣ .

(٨) أبو جعفر الطوسي : الأمالي ص ٤٩٢ . وبنحوه القاضي النعماني : شرح الأخبار ج ٢ ص ٥٠١ .

نقد هذه الرواية : نحن نحب علياً -عليه السلام-؛ لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- أمرنا في شخص من أصحابه وهو بريدة ^(٣) -عليه السلام- فقال: "يَا بُرَيْدَةُ تَبْغِضُ عَلِيًّا؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: لَا تَبْغِضْهُ" ^(٤)، وفي رواية: "وَأِنْ كُنْتَ تُحِبُّهُ فَازْدَدْ لَهُ حُبًّا؛ فَقَالَ بُرَيْدَةُ: "فَمَا كَانَ أَحَدٌ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ عَلِيٍّ" ^(٥).

قُلْتُ: لَعَلَّ بُرَيْدَةَ -عليه السلام- بِإِزْرَانِهِ عَلَى نَفْسِهِ، يَصِيرُ لَهُ عَمَلُهُ ذَلِكَ طَاعَةً وَجِهَادًا! ^(٦)؛ لأنه دليل إخلاصه: حين يذكر ما ينتقص به نفسه؛ ليرفع به قدر علي. بل كان الصحابة -عليهم السلام- يتحدون من كان يُظَنُّ فيهم بُغْضُ علي بإظهار ما يظهر حبه مثل ما فعل ابن عباس -عليه السلام- حين كان في الحج؛ فلم يسمع من الناس تلبية فسأل: "مَا لِي لَا أَسْمَعُ النَّاسَ يُلَبُّونَ؟ قِيلَ: يَخَافُونَ مِنْ مُعَاوِيَةَ؛ فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ فُسْطَاطِهِ، فَقَالَ: لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ فَإِنَّهُمْ قَدْ تَرَكَوا السُّنَّةَ مِنْ بُغْضِ عَلِيٍّ" ^(٧)، ونحن ننأى بمعاوية -عليه السلام- عن هذا بدليل: أن التلبية ما زالت إلى يومنا، ولم نسمع بأن معاوية -عليه السلام- عاقب أحداً على التلبية حتى ابن عباس -عليه السلام-. بل صرح رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "لَا يُبْغِضُ عَلِيًّا مُؤْمِنٌ، وَلَا يُحِبُّهُ مُنَافِقٌ" ^(٨) وكانت الصحابة تدافع عن علي ولا يخافون في ذلك لومة لائم؛ فهذا ابن عمر ^(٩) -عليه السلام- جَاءَهُ

(١) المجلسي: بحار الأنوار ج ٣٩ ص ١٩٥.

(٢) الكليني: الروضة من الكافي ج ٨ ص ٢٠٤.

(٣) بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَسْلَمِيُّ: أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَأَبُو سَهْلٍ، وَأَبُو سَاسَانَ، وَأَبُو الْحُصَيْبِ، أَسْلَمَ عَامَ الْهَجْرَةِ، وَشَهِدَ غَزْوَةَ خَيْبَرَ، وَالْفَتْحَ، وَكَانَ مَعَ النَّوَاءِ، مَاتَ: ٦٣ هـ أو ٦٢ هـ. الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٩١-٩٢.

(٤) ابن حجر: فتح الباري ج ٨ ص ٧٨.

(٥) النسائي: السنن الكبرى ج ٨ ص ٥١٦-٥١٧.

(٦) الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٩٢.

(٧) النسائي: سنن النسائي الكبرى ج ٥ ص ١٦١.

(٨) الطبراني: المعجم الكبير ج ٢٣ ص ٣٧٥.

(٩) عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلٍ الْعَدَوِيُّ، أَسْلَمَ وَهُوَ صَغِيرٌ، ثُمَّ هَاجَرَ مَعَ أَبِيهِ ثُمَّ يَحْتَلِمُ، وَاسْتَصْغَرَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَأَوَّلُ غَزَوَاتِهِ الْخَنْدَقُ، وَهُوَ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ، لَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ، قَالُوا لَهُ: إِنَّكَ سَيِّدُ النَّاسِ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ، فَأَخْرَجَ يُبَايِعُ لَكَ النَّاسُ؛ فَأَبَى خَوْفَ أَنْ يَرِاقَ دَمَ بَسْبِيهِ، مَاتَ ٧٣ هـ. الذهبي: سير أعلام النبلاء ج ٤ ص ٣١٨-٣٤٣.

نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقِ (١) فَقَامَ عَلَى رَأْسِهِ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَبْغِضُ عَلِيًّا ، قَالَ : فَرَفَعَ إِلَيْهِ ابْنُ عُمَرَ رَأْسَهُ ؛ فَقَالَ : أَبْغِضَكَ اللَّهُ ، تَبْغِضُ رَجُلًا سَابِقَةً مِنْ سَوَابِقِهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا (٢).

سادساً : الاعتقاد بأن ملك الموت لا يقبض روح علي : قال رسول الله -ﷺ- : ليلة أسري بي إلى السماء ، ما مررت بملاً من الملائكة إلا سألتني عن علي ، حتى ظننت أن اسمه أشهر من اسمي ، فقابلت ملك الموت فقال : يا محمد ما فعل علي ، فقلت : حبيبي ملك الموت ، هل تعرفون علياً ؟ فقال : والذي بعثك بالحق ، ما في السموات موضع ، ولا في الأرض إلا واسمك واسم علي مكتوب عليه ، وإني لأتولى قبض أرواح الخلائق بيدي ، ما خلاك وعلياً ، فإن الله يتولى ذلك ، إكراماً لكما (٣).

سابعاً : علي في الآخرة أعظم حظاً من النبي -ﷺ- : فعن رسول الله -ﷺ- : أيها الناس نحن في القيامة ركبان أربعة ليس غيرنا ؛ أنا على البراق ، وأخي صالح على ناقة الله التي عقرها قومه ، وابنتي فاطمة على ناقتي العضباء ، وعلي على ناقة من نوق الجنة ، وعلى رأسه تاج من نور (٤) ؛ فعلي يركب من الجنة وعلى رأسه تاج منها ، والنبي يركب من الدنيا ولا يلبس التاج فهو خير من كل الراكبين ! .

ثامناً : حبهم ينجي يوم القيامة : عن رسول الله -ﷺ- : حبي وحب أهل البيت ينفع في سبعة مواطن أهوالهن عظيمة : عند الله ، وعند الموت ، وعند القبر ، ويوم الحشر ، وعند الحوض ، وعند الميزان ، وعند الصراط (٥) ، وعن علي -ﷺ- : من أحبني رأي

(١) نافع بن الأزرق بن قيس: الحنفي، البكري ، الوائلي، الحروري، أبو راشد ، رأس الازارقة ، أمير قومه وفقههم ، من أهل البصرة ، صحب ابن عباس ، من قواد الثورة على عثمان ، كفر علياً وعثمان ، وصوب ابن ملجم ، وأباح قتل أطفال المخالفين ونسائهم ، وأسقط رجم الزاني ، وجوز الكفر على الأنبياء ، خرج على يزيد سنة ٥٥هـ ، ومعه بعض الخوارج ؛ فاستولوا على الأهواز وما وراءها في ثلاثين ألف فارس ، فبقيت الحرب ١٩ سنة حتى فرغ منهم الحجاج ، قتل يوم (دولاب) قرب الاهواز سنة ٦٥هـ / ٦٨٥م. الشهرستاني: الملل والنحل ص ١٠١-١٠٤. الزركلي: الأعلام ج ٧ ص ٣٥١-٣٥٢.

(٢) القاضي النعمان: شرح الأخبار ج ١ ص ١٦٢. ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٦ - ٧ .

(٣) الحسن الحلي: المحتضر ص ١٤٠. المجلسي : بحار الأنوار ج ١٨ ص ٣٠٠. ج ٣٨ ص ١٣٨.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٧ ص ٢٣٠ - ٢٣١. الصدوق : الأمالي ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٥) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٥٨. علي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٤ ص ٤٣٨ .

يوم القيامة حيث يحب ، ومن أبغضني رأني يوم القيامة حيث يكره ^(١) ، وعلامة حبهم : إذا كان يوم القيامة دُعِيَ الناسُ بأسمائهم ، إلا شيعتك فإنهم يدعون بأسماء آبائهم لطيب مولدهم ^(٢) ، فإنه لا يبغض علي إلا ولد الزنا ^(٣) ، فالحمد لله نحن نحب علياً - عليه السلام - .

تاسعاً : نفس علي تشهد جنازة جسدها : افتري محدثي الكوفة : أن علياً لما مات ، وحمل الحسن ، والحسين جنازته ، رأياه يخاطبهما في الطريق ، ولما وصلا إلى القبر إذا بفارس ملثم يقول لهما : أنتما الحسن ، والحسين رضيعا العصمة ؟ قالا : نعم ، قال : سلماه إلي وامضيا في دعة الله ، فقال له الحسن : إنه أوصى إلينا ألا نسلمه إلا إلى أحد رجلين : جبرائيل أو الخضر فمن أنت ؟ فكشف النقاب ؛ فإذا هو أمير المؤمنين ، ثم قال : يا أبا محمد إنه لا تموت نفس إلا ويشهدها أمير المؤمنين أفما يشهد جسده ، ولما دفن في ضريحه وجدا رسول الله ، وآدم ، وإبراهيم - صلى الله عليه وآله وسلم - يتحدثون معه ، والزهراء ، ومريم ، وآسية ينحن ، ويندبن ^(٤) .

وهذا يضاد العصمة من وجوه منها : أنه أخبر بشيء فلم يحدث ، وأنه نسي أن يخبرهما بهذا ، وعدم علمهما بالغيب ينقض عقيدة الشيعة في علم الأئمة ! .

عاشراً : جعلوا علياً من علامات الساعة وأول من يسأل عنه العباد : فعن أمير المؤمنين - عليه السلام - : "أنا دابة الأرض" ^(٥) ، أنف المهدي ، وعينه ^(٦) . وعن الرضا : "أول ما يسأل عنه العبد حبنا أهل البيت" ^(٧) .

(١) الطوسي: الأمالي ص ٢٧٩. بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٥٧. ج ٣٤ ص ٣٣٦. النعمان المغربي : شرح الأخبار ج ١ ص ٤٥١ .

(٢) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٥٠ . القاضي النعمان المغربي : شرح الأخبار ج ٣ ص ٤٩٥ .

(٣) الشيخ الأميني: الغدير ج ٣ ص ٤٧ . القاضي النعمان المغربي : شرح الأخبار ج ١ ص ١٦٨ .

(٤) هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٢ ص ١٠٤ . قال المجلسي: تفرد بهذين الخبرين البرسي ولا اعتمد على ما تفرد بنقله ، ولا أردهما ؛ لورود الأخبار الكثيرة الدالة على ظهورهم بعد موتهم في أجسادهم المثالية. بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٥) ابن شهر آشوب : مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٢٢ . بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٢٤٣ . ج ٥٣ ص ١١٠ - ١١١ .

(٦) هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٣ ص ٩٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١١٠ .

(٧) روي أن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة الصلوات المفروضة ، وعن الزكاة المفروضة ، وعن الصيام المفروض ، وعن الحج المفروض ، وعن ولايتنا أهل البيت ، وفي رواية : عن عمره فيما أفناه ،

وهؤلاء لم يسمعوا بقوله تعالى على لسان نبيه -ﷺ-: ﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفَعَّلُ بِي وَلَا بَكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ ^(١) ، ولا بقوله -ﷺ-: "فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُهُ ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ" ^(٢) ، فهل هناك أحد بعد النبي -ﷺ- يشعر بالأمان في هذا اليوم ؟ نسأل الله السلامة والعافية .

المبحث الثالث

تقديس الأئمة وأثره على عقيدة الرجعة

أولاً : ظهور آثار التقديس في الاعتقاد أن سبب الرجعة النار لأهل البيت :

تقدس الشيعة النار من أعدائها ، ولذلك ابتدعوا الرجعة تمهيداً في أذهان متبيعيهم لفكرة قتل أهل السنة ، فمن الأدعية التي افترها الشيعة عن أبي عبد الله أنه قال لشيعته أن تقرأ في زيارة الحسين -ﷺ- قوله : " وإنك ثار الله في الأرض من الدم الذي لا يدرك ثأره من الأرض إلا بأوليائه ؛ فالله تعالى أودع الأرض أجساد قاتليه ؛ فيأمر الأرض بتعذيبهم بالخسف وغيره ، أو يأمر الملائكة والجن بتعذيبهم ، أو يؤخر عذابهم حتى ينتقم له منهم في الرجعة ، وفي القيامة ^(٣) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ ^(٤) ، قال أبو عبد الله : " ذلك والله في الرجعة ، أما علمت أن أنبياء الله كثيراً لم ينصروا في الدنيا وَقُتِلُوا ، وأئمة قد قُتِلُوا ولم ينصروا ، فذلك في الرجعة ^(٥) . وحينما يرجع أمير المؤمنين -ﷺ- ، ويرجع أعداؤه ، فيسمهم بميسم ^(٦) معه كما توسم البهائم على الخراطيم - الأنف

وشبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه ، وعن حبنا أهل البيت . الصدوق: الأمالي ص

١٩٠ . وسائل الشيعة ج ٤ ص ١٢٤ . بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٧٩ .

(١) سورة الأحقاف : آية رقم ٩ .

(٢) رواه البخاري . انظر ابن حجر : فتح الباري ج ١٣ ص ٤٨١ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٩٨ ص ١٧٠ .

(٤) سورة غافر : آية رقم ٥١ .

(٥) الميرزا محمد مؤمن الأسترابادي : الرجعة ص ٤١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٥ .

(٦) وسمه : كواه بألة تسمى الميثم كالمكواة ؛ فأثر فيه بعلامة . المعجم الوسيط ص ١٠٣٢ .

والشفتين - (١). وعن أبي عبد الله قال الله لمحمد - ﷺ - : " لو قد بعث الله القائم ؛ فينتقم لي من الجبارين ، والطواغيت من قريش ، وبني أمية ، وسائر الناس " (٢).

وما هي الأسباب التي تجعل المهدي ينتقم منهم كما يفترها الشيعة الاثني عشرية ؟

افتري الشيعة على الصحابة أموراً هم منها براء ، منها : أخذ فدك من فاطمة ، وتمزيق عمر للكتاب الذي كتبه لها رسول الله - ﷺ - في محضر المهاجرين والأنصار ؛ حتى بكت واستغاثت برسول الله - ﷺ - عند قبره (٣)، وضربُ عمر لسلمان ، وإشعال النار في باب علي لإحراقهم به (٤)، وضرب يد فاطمة بالسوط (٥) ، ورفس بطنها ، وإسقاط (٦) محسناً (٧)

، وضرب خدها (٨) ، ومحاولة قتل معاوية لعلي - ﷺ - (٩) ، وسيم الحسن ، وقتل الحسين ، وذبح أطفاله ، وبني عمه ، وأنصاره ، وسبي ذراري الرسول - ﷺ - ، وإراقة دماء آل محمد - ﷺ - ، وكل دم سفك ، وكل فرج نُكح حراماً ، وكل رين ، وخبث ، وفاحشة ، وإثم ، وظلم ، وجور ، وغشم ، منذ وقت آدم حتى وقت قيام القائم .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٠ ص ١٦٦ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٣٦٨ . ج ٥١ ص ٤٩ . ج ٥٣ ص ٥٨ ، ١٢٠ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٧ - ١٨ بتصرف .

(٤) يقول المجلسي : كل ذلك لإرغامه على بيعه أبي بكر حتى هددوه بالقتل إن لم يفعل ، وبعدها قال عمر : لم يكن الله ليجمع لكم النبوة والخلافة . انظر المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٨ بتصرف .

(٥) يقول المجلسي : ضربها عمر بالسوط على عضدها حتى صار أسوداً . البحار ج ٥٣ ص ١٩ .

(٦) لكن محسناً ولد في حياة النبي - ﷺ - بدليل أنه قال : أروني ابني ما سميتموه ، فقال علي : سميتُه حرباً فقال - ﷺ - بل هو محسن ، وهناك رواية تقول : إن محسناً فسد من زخم قنفذ - عمر - العدوي ، وفي رواية : أما محسن بن علي فهلك وهو صغير ، ويهدم هذا كله ما رواه ابن أبي الحديد فيقول : أروي عنك ما يرويه بعض الناس من أن فاطمة روعت فألقت محسناً ؟ فقال : لا تروه عني ، ولا تروي عني بطلاثة . بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٣٣ .

(٧) قال المجلسي : سقط لسنة أشهر . انظر المصدر السابق ج ٥٣ ص ١٩ بتصرف .

(٨) يقول المجلسي : ضربها عمر على خدها حتى بدا قرطاهما تحت خمارها ، وهي تجهز بالبكاء . فرد علي : لا تكشف خمارك ، وإلا هلك كل من على الأرض ، أخرج يا عمر حتى لا أشهر سيفي فأهلك الأمة .

المصدر السابق ج ٥٣ ص ١٩ .

(٩) المصدر السابق ج ٥٣ ص ٢١ بتصرف .

حتى زعموا زوراً وبهتاناً إلى ادعاء باطل أن فاطمة العفيفة الطاهرة -عليها السلام- أخذت بتلابيب (ثيابه من عند نحره) عمر ، فجذبتة إليها ، وقالت للصحابه الذين أجبروا علياً -عليه السلام- على الخروج ، وبيعة أبي بكر -عليه السلام-: لئن لم تخلوا عنه لأنشرن شعري ^(١) ، ولأشقن جيبى ، فما صالح بأكرم على الله من أبى ، ولا الناقة بأكرم منى ، ولا الفصيل بأكرم على الله من ولدي - ونعم التشبيهه ! ، قال سلمان : فرأيت حيطان المسجد تقلعت من أسفلها ^(٢) ، وهذا أمر غاية في العجب ألا يوجد في الأمة نخوة حتى يصل الخطب لهذا التهديد الذي يتهم الصحابة بقلّة النخوة ، ويتهم علي -عليه السلام- بقلّة الحيلة ، ويتهم العفيفة بما لا يستطيع اللسان أن ينطقه .

كل ذلك يعده القائم على أبي بكر وعمر -عليهما السلام- بعد رجعتهما ، وصلبهما ؛ فيقران به ، ثم يأمر بهما ، فيقتص منهما ، ثم يأمر نار فتخرج فتحرقهما ، ثم يأمر ريح فتتسلفهما في اليم نسفاً ^(٣) .

فاستحق أبو بكر وعمر -عليهما السلام- لقباً فرعون وهامان هذه الأمة ^(٤) ، والجبّ والطاغوت ملعونين ^(٥) . واللّات والعزى ^(٦) ، وصنما قريش .

ولذلك يحكم المفيد على الشيخين بكل جرأة ووقاحة بأن : "السمع الوارد عن أئمة الهدى بالقطع عليهم بالخلود في النار ، والتدين بلغنهم ، والبراءة منهم إلى آخر الزمان ، منع من الشك في حالهم ، وأوجب القطع على سوء اختيارهم ، فجروا في هذا الباب مجرى فرعون ، وهامان ، وقارون ، ومجرى من قطع الله على خلوده في النار ، ودل القطع على أنهم لا يختارون أبداً الإيمان، فهم شر الدواب عند الله ، ولو تابوا في الرجعة لا يقبل لهم توبة ^(٧) .

ماذا يفعل القائم بأبي بكر وعمر وعائشة والصحابه -عليهم السلام- غير ما ذكر؟

(١) الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ٣ ص ٢٨٨ . البحار ج ٢٨ ص ٢٠٦ .

(٢) المجلسي : مرآة العقول ج ٥ ص ٣٤٢-٣٤٣ . بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٢٠٦ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١١ - ١٤ . بتصرف .

(٤) المصدر السابق ج ٥٣ ص ١٧ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٥٨٧ . ج ٥٣ ص ٣٩ .

(٦) الحسن الحلي : المحتضر ص ١٦٣ . ابن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة ص ٤٨٠ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٣٢ - ١٣٣ . بتصرف .

لن تصدق حين تسمع : لا يسكن دم الحسين حتى يقتل المهدي من المنافقين الكفرة
الفسقة سبعين ألفاً^(١).

وومن هؤلاء بالطبع كما تدعي الشيعة : أبي بكر وعمر وعائشة - ، يقتلهم في كل
يوم ألف قتلة^(٢).

وزعموا أن صاحب الزمان لقي رجلاً من شيعته فقال : " يأذن لولي الله ؛ فأخرج بين
الصفاء والمروة في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً سواء فيقوم هؤلاء الأشاوس بضرب الحجاج
بالسيف بين الصفاء والمروة^(٣) ، وأجيء إلى يثرب ، فأهدم الحجرة ، وأخرج من بها ،
وهما طريان ، فأمر بهما تجاه البقيع ، وأمر بخشبتي يصلبان عليهما ، فتورق من تحتها
، فيفتتن الناس بهما أشد من الفتنة الأولى ، فينادي مناد من السماء : " يا سماء أبيدي ،
ويا أرض خذي ؛ فيومئذ لا يبقى على الأرض إلا مؤمن قد أخلص قلبه للإيمان ، ويكون
بعد ذلك الكرة ، الكرة ، الرجعة ، الرجعة^(٤) .

ولذلك يعتقد الشيعة أن أبا بكر وعمر - حين يرجعان إلى الدنيا سيظهران الندامة
على غصب الخلافة من أمير المؤمنين - ، لكن بلا فائدة^(٥) ، فيؤتي بأبي بكر وعمر
- فيضربان بسياط من نار ، لو وقع سوط منها على البحار لغلت من مشرقها إلى
مغربها ، ولو وضعت على جبال الدنيا لذابت حتى تصير رماداً .

وهذه عائشة - أيضاً لها ذنوبٌ مثل ذنوب إبيها ؛ عن أبي جعفر قال : " أما لو قام
قائماً لقد ردت إليه الحميراء حتى يجلدها الحد ، وحتى ينتقم لابنة محمد - فاطمة -
منها ، قيل له : جعلت فداك ، ولم يجلدها الحد ؟ قال : لفريتها على أم إبراهيم ، فقيل
له : ولم أخره الله للقائم ؟ فقال : لأن الله - بعث محمداً - رحمة ، وبعث القائم
نقمة^(٦) .

(١) المصدر السابق ج ٤٥ ص ٢٩٨ .

(٢) المصدر السابق ج ٣١ ص ٦٢٢ . ج ٥٣ ص ١٤ .

(٣) المجلسي: بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٤٠ .

(٤) الأسترايادي: الرجعة ص ٥٧ . بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٠٤ . مختصر بصائر الدرجات ص ٥١٢ .

(٥) علي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٧ ص ٤٦ بتصرف .

(٦) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ٢٤٢ . ابن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .

ويعتقدون أن الله يعيد الحروب التي هزم فيها الأئمة ؛ لينتصروا فيها ، ويملكون الأرض : فيروي الشيعة عن ابن عباس -رضي الله عنه- أن الأئمة : " يملكون الأرض في آخر الزمان " (١) ، فالحسين -رضي الله عنه- يقبل برايته حتى ينتقم من بني أمية ، ومعاوية وآل ثقيف ، ومن شهد حربه ، ثم يبعث الله إليهم بأنصاره يومئذ من أهل الكوفة ثلاثين ألفاً ، ومن سائر الناس سبعين ألفاً ، فيقاتلهم بصفين مثل المرة الأولى ، حتى يقتلهم ، ولا يبقى منهم مخابراً ، ثم يبعثهم الله -ﷻ- فيدخلهم أشد عذابه مع فرعون وآل فرعون ، ثم كرة أخرى مع رسول الله -ﷺ- حتى يكون خليفة الله في الأرض ، ويكون الأئمة عماله ، حتى يعبد الله علانية في الأرض ، كما عبد الله سراً في الأرض ، ثم يعطي الله نبيه -ﷺ- ملك جميع أهل الدنيا (٢) . ويعاتبهم الله -ﷻ- على ما فعلوه في أمير المؤمنين ؛ فيقول تعالى : ﴿ قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴾ (٣) هو أمير المؤمنين -رضي الله عنه- قال : ما أكفره ؟ أي : ماذا فعل وأذنب حتى قتلوه ، ثم قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ ﴾ (٤) أي لم يقض أمير المؤمنين -رضي الله عنه- ما قد أمره الله ، وسيرجع حتى يقضي ما أمره (٥) فيهم .

ثانياً : ظهور آثار التقديس في اعتقاد أن تطبيق الشرع وظهوره متوقف حتى يقوم القائم :

أسلفنا فيما سبق أن تطبيق الشرع معطل حتى يظهر القائم ، وإن الدين لن يكمل إلا إذا ظهر المنتظر ؛ كما يقول أحد علمائهم : نحن نعلم بالدليل القطعي أهمية هذا اليوم الموعود ، فإنه اليوم الذي يتحقق به الغرض الأساسي من خلق البشرية ، وتنفيذ به آمال الأنبياء والمرسلين ، وتتكمل جهودهم بالنجاح ، بوجود المجتمع العادل ، وإنجاز دولة الحق (٦) . فيقيم الحدود فالزاني المحصن يجرمه ، ومانع الزكاة فيضرب عنقه (٧) .

(١) سورة آل عمران : آية رقم ١٥٧ .

(٢) الميرزا محمد مؤمن الأسترابادي : الرجعة ص ٦٢ .

(٣) سورة عبس : آية رقم ١٧ .

(٤) سورة عبس : آية رقم ٢٣ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٦ ص ١٧٤ .

(٦) الشهيد الصدر : تاريخ الغيبة الكبرى ص ٤٢ .

(٧) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٦٠٩ .

ويعتقدون أن الدين لن يظهر إلا بقيام القائم : قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ ^(١) أي : يظهره الله في الرجعة عن أبي عبد الله قال : " إذا خرج القائم لم يبق مشرك بالله العظيم ، ولا كافر إلا كره خروجه ^(٢) ، وفي رواية : "حتى لو أن كافراً ، أو مشركاً كان في بطن صخرة ، لقالت : يا مؤمن في بطني كافر فاكسرني واقتله ^(٣) ، وذلك عند خروج عيسى -عليه السلام- حين تصير الملل كلها ملة واحدة ^(٤) .

وعلماء الشيعة يعترفون بنجاح المهدي في مهمته في الحين الذي فشلت كل الأنبياء حتى محمد -عليه السلام- ؛ فيقول الخميني : " لقد جاء الأنبياء جميعاً من أجل إرساء قواعد العدالة في العالم ، لكنهم لم ينجحوا حتى النبي محمد -عليه السلام- خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية لم ينجح في ذلك ، وإن الشخص الذي سينجح في ذلك المنتظر " ^(٥) .

ثالثاً : ظهور آثار التقديس في الاعتقاد بأن الرجعة رجعات وكرات ، ليعيدوا حكم داود -عليه السلام- :
يستغرب القارئ حين يقرأ : إذا أذن الإمام بالخروج دعا الله باسمه العبراني الأكبر ^(٦) ، فلماذا يترك ٩٩ اسماً لله باللغة العربية ، ثم يتوجه إلى رب العباد بلغة اليهود ؟ .
ويعتقد الشيعة أن علياً -عليه السلام- حكم بحكم كل الأنبياء قبله إلا داود -عليه السلام- ^(٧) ،

(١) سورة التوبة : آية رقم ٣٣ .

(٢) الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٦٠٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٣٤٦ .

(٣) الشيخ الصدوق : كمال الدين وتمام النعمة ص ٦٠٨ .

(٤) ابن جرير الطبري : تفسير الطبري ج ١٠ ص ١٢٢ - ١٢٣ بتصرف .

(٥) مقطع من خطاب الخميني ، بمناسبة ذكرى مولد المهدي في ١٥ شعبان ١٤٠٠ هـ ، وأذيع في راديو طهران ، ونشرته صحيفة الرأي العام الكويتية: عدد ١٧ شعبان ١٤٠٠ هـ ، ومجلة المجتمع الكويتية: عدد ٨٨ بتاريخ ١٩٨٠/٧/٨ م ، واستنكرته جريدة المدينة بالمملكة العربية السعودية: عدد ٤ رمضان ١٤٠٠ هـ . الغنيمي : عقائد الشيعة الإمامية ص ٨٣ .

(٦) معجم أحاديث المهدي ح ١٤٥٦ ج ٧ ص ٢٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٦٨ .

(٧) الشاهرودي: مستدرک سفينة البحار ج ٣ ص ٣٧٩ . الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٤٦٢ .

عن الصادق: "يكون بعد القائم اثنا عشر مهدياً^(١) ، من ولد الحسين -عليه السلام-^(٢) ، وعن الحسين -عليه السلام-: "منا اثنا عشر مهدياً : أولهم أمير المؤمنين علي -عليه السلام- ، وآخرهم التاسع من ولدي وهو القائم بالحق^(٣) ، يصلي خلفه عيسى بن مريم -عليه السلام-^(٤) . وهناك خلاف هل هم اثنا عشر مهدياً ، أم اثنا عشر إماماً^(٥) .

ويفترون على رسول الله -عليه السلام- قوله : "يا علي إنه سيكون بعدي اثني عشر إماماً ، ومن بعدهم اثني عشر مهدياً ، فأنت يا علي أول الاثنا عشر إماماً^(٦) !. ويرجح بعضهم أن الاثني عشر مهدياً هم من الأئمة من ذرية القائم^(٧) . وهذه الأخبار مخالفة للمشهور ، وطريق التأويل عند الشيعة على أحد وجهين:

الأول : أن يكون المراد بالاثنا عشر مهدياً النبي -عليه السلام- وسائر الأئمة سوى القائم ، بأن يكون ملكهم بعد القائم ، وقيل : برجة القائم بعد موته ؛ وبه يمكن الجمع بين الأخبار .
الثاني : أن يكون هؤلاء المهديون من أوصياء القائم هادين للخلق في زمن سائر الأئمة الذين رجعوا ؛ لئلا يخلو الزمان من حجة ، وإن كان أوصياء الأنبياء والأئمة أيضاً حججاً^(٨) . ويعتقد الشيعة أن النبي -عليه السلام- وعلي -عليه السلام- لن ينصروا ، ولن يؤمنَ بهما إلا في الرجعة^(٩) .

ويعتقدون : أن الأئمة يسبقون الأنبياء في الرجعة إلى دار الدنيا ، ورجوع الأنبياء يكون لنصرة الإمام علي -عليه السلام- ، وهذا من تفضيل الأئمة على الأنبياء .
يقول أبو جعفر: يقوم القائم في عالمه تسع عشرة سنة ، ثم يخرج المنتصر إلى الدنيا : وهو الحسين -عليه السلام- فيطلب بدمه ودم أصحابه ، فيقتل ويسبي ، حتى يخرج السَّفَّاح : وهو

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٤٥ . وفي رواية أحد عشر . الطوسي : الغيبة ص ٢٨٥ .

(٢) الحسن بن سليمان الحلبي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٧٢ - ١٧٣ ، ١٩٧ .

(٣) الشيخ الصدوق : الإمامة والتبصرة ص ٢ .

(٤) الصدوق : كمال الدين ص ٢٥١ . الحسن الحلبي : المحتضر ص ٢٤٨ . الطوسي : الغيبة ص ٢٨٥ .

(٥) الصدوق : كمال الدين ص ٣٣٥ . الحسن الحلبي : مختصر بصائر الدرجات ص ٥٧٩ - ٥٨٠ .

(٦) الحسن بن سليمان الحلبي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٧٥ .

(٧) القاضي النعمان المغربي : شرح الأخبار ج ٣ ص ٤٠٠ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٤٨ - ١٤٩ بتصرف .

(٩) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٨١ - ٨٢ بتصرف .

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - (١) ، وفي رواية أخرى : " يرجع في خمسة وسبعين ألفاً " (٢) .

وقال أبو عبد الله : " أول من تنشق الأرض عنه ، ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي - عليه السلام - ، وإن الرجعة ليست بعامة ، وهي خاصة لا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً ، أو محض الشرك محضاً " (٣) .

وعن أبي عبد الله قال : " أول من يكر في الرجعة الحسين بن علي - عليه السلام - ، ويمكث في الأرض أربعين سنة ، حتى يسقط حاجباه على عينيه " (٤) . وعن أبي جعفر : " ولسوف يرجع جاركم الحسين بن علي - عليه السلام - ألفاً ، فيملك حتى تقع حاجباه على عينيه من الكبر " (٥) .

وعن أبي عبد الله : ويكون خروجه على إثر خروج القائم ، ويخرج الناس بعده فوجاً بعد فوج ، ومن قتل معه ، ومعه سبعون نبياً ، فيدفع إليه القائم الخاتم ، فيكون الحسين - عليه السلام - هو الذي يلي غسله ، وكفنه ، وحنوطه (٦) ، ويواري به في حفرته (٧) ، ويكون من ذرية الحسين اثنا عشر مهدياً بعده (٨) .

ولكن يبدأ التناقض يظهر فمما سبق يتبين أن القائم يخرج قبل الحسين - عليه السلام - ، ويموت (٩) ، ويغسله الحسين (١٠) لكن : يروون عن رسول الله - صلى الله عليه وآله - أنه قال : يخرج الحسين - عليه السلام -

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٩٩ . الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٧٣ .

(٢) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٨٩ .

(٣) الأسترابادي : الرجعة ص ٥٤ ، ٦١ . بحار الأنوار ج ٦ ص ٢٥٣ - ٣٥٤ .

(٤) مختصر بصائر الدرجات ص ١٣٦ . بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٤ .

(٥) الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٣١ . بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٤٣ - ٤٤ .

(٦) الحنّاط أو الحنوط : كل ما يخلط من الطيب لأكفان الموتى . المعجم الوسيط ص ٢٠٢ .

(٧) روي أن موت القائم في عام ٦٨٠ من رجعتة على يد سعيدة التميمية ، لها لحية ، ترميه بجاون صخر ، وهو متجاوز في الطريق ؛ فتقتله ، ويولى الحسين بعده ٨٠ سنة ، ثم يقوم علي لنصرة الحسين ، ثم يقتل علي ، ثم يرجع آخر الرجعات مع شيعته . أحمد الأحسائي : الرجعة ص ٦١ - ٦٢ . بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٠٣ .

(٨) الصدوق : كمال الدين وتام النعمة ص ٣١٤ . معجم أحاديث المهدي ح ١٦١ ج ٥ ص ٣٥٦ .

(٩) قال أبو عبد الله : إن جاءك من يقول : إنه نفث يده من تراب قبره فلا تصدقه . الطوسي : الغيبة ص ٢٦٣ .

(١٠) الحسن بن سليمان الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٩٦ - ١٩٧ ، ٥٧٩ .

ﷺ - موافقاً لخروجي ، وخروج علي ، والحسن ، وقيام القائم ، ثم لينزلن وفد من السماء من الملائكة ، ومعهم جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، ومن من الله عليه ، معهم خيل بُلُق من نور ، لم يركبها مخلوق ، ويخرج من مسجد الكوفة عين من دهن ، وأخرى من لبن ، وثالثة من ماء ^(١) ، ورواية أخرى تقول : " والله لينبعن لعلي في مسجد الكوفة عينان ؛ تفيض أحدهما عسلاً ، والأخرى سمناً ، ويغترف منهما شيعته " ^(٢).

وآخر من يموت على ظهر الأرض هو الإمام ؛ لئلا يحتج أحد على الله - ﷻ - أنه تركه بغير حجة ^(٣) ، والإمام الذي يكون آخر من يموت بعدما قتل هو علي - ﷺ - ^(٤) ، وقيل : الحسين ؛ لأنه هو الذي يغسل المهدي ^(٥).

إذاً : فالكل يخرج في وقت واحد ، وليسوا مرتبين كما يظهر مما سبق .
وجاء في الروايات أن علياً - ﷺ - له أكثر من رجعة ، فالرجعة التي يحاسب فيها الحسين الخلاق في الدنيا قبل يوم القيامة ، يعوضها فيحاسب الخلق هو يوم القيامة ! .
قال علي - ﷺ - إن لي الكرة بعد الكرة ، والرجعة بعد الرجعة ، وأنا صاحب الرجعات ، والكرات ، وصاحب الصولات ، والنقمت ، والدولات العجيبات ، وأنا أسماء الله الحسنى ، وإلي إياب الخلق جميعاً ، وأنا الإياب الذي يؤوب إليه كل شيء بعد الفناء ، وإلي حساب الخلق جميعاً ^(٦) ، وأنا الشاهد يوم الدين ، وأنا الذي علمت علم المنايا ، والبلايا ، والقضايا ، وفصل الخطاب ، والانساب ، وأنا الذي سخرت لي السحاب ، والرعد ، والبرق ، والظلم ، والأنوار ، والرياح ، والجبال ، والبحار ، والنجوم ، والشمس ، والقمر ، وأنا الذي اهلكت عاداً ، وثموداً ، وأصحاب الرس ، وقروناً بين ذلك كثيراً ، ومهلك فرعون ، ومنجي موسى - ﷺ - ، وأنا الذي أنحلتني ربي اسمه ، وكلمته ، وعلمه ، وفهمه ^(٧) .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٢ .

(٢) الحسن بن سليمان الحلبي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٦٩-١٧٠ .

(٣) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١١٤ . الحسن الحلبي : مختصر بصائر الدرجات ص ٥٧٨-٥٧٩ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٨ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١١٥ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٤٧ . الحسن الحلبي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٦٢ .

(٧) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٤٨ - ٤٩ . الحسن الحلبي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٦٤ .

وسئل أبو عبد الله هل لأمير المؤمنين كرات ؟ قال : نعم إنها لكرات ، وكرات ^(١) .
وغالوا حتى جعلوا الرجعة لإبليس أيضاً : عن أبي عبد الله قال : " إن إبليس : ﴿ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ ^(٢) ؛ فأبى الله ذلك عليه ، فقال : ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾ ^(٣) ، فإذا كان يوم الوقت المعلوم : ظهر إبليس - لعنه الله - في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم ، وهي آخر كرة يكرها أمير المؤمنين - عليه السلام - ، وإنها لكرات ثم كرات ، ما من إمام إلا ويكر معه البر والفاجر ، حتى يدل الله المؤمن من الكافر ^(٤) .

وتؤمن الشيعة الاثنا عشرية : " أن النبي - صلى الله عليه وآله - يقتل إبليس وحزبه في الرجعة ، وذلك بعد أن يرجع أمير المؤمنين - عليه السلام - في أصحابه ، وجاء إبليس في أصحابه ، ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات ، يقال لها : " الروحا " قريب من الكوفة ، فيقتتلون قتالاً لم يقتتل مثله منذ خلق الله - صلى الله عليه وآله - العالمين ، وإذا بأصحاب أمير المؤمنين قد رجعوا إلى خلفهم القهقري مائة قدم ^(٥) ، حتى وقعت بعض أرجلهم في الفرات ، فعند ذلك يهبط

(١) الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ٩ ص ٩٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية رقم ١٤ .

(٣) سورة الحجر : آية رقم ٣٦ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٤٢ . الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٤٥ .

(٥) وأتعب ممن يتقهقرون وهم : الفقهاء ، الذين يخرجون مع القائم الذي ينفلق له الصخر ، ويكلمه الحجر والشجر ، ويبايعه جبريل الذي يضع رجلاً على بيت الله الحرام ، والأخرى على بيت المقدس ، معهم سيوف على كل سيف كلمة تفتح ألف كلمة ، يرون الرجل فيعرفونه صالح أم طالح ، وهم أنواع : منهم من يفتقد من على فراشه ليلاً فيصبح بمكة ، وبعضهم يسير في السحاب ، ، ومنهم من يطير مع الملائكة ، ومنهم من يمشي مع الملائكة مشياً ، ومنهم من يسبق الملائكة ، ومنهم من يقضي بين مائة ألف ملك ، يحيطون بما بين الخافقين ، فليس شيء إلا وهو مطيع لهم ، وسباع الأرض والطير تطلب رضاهم في كل شيء ، وإن الرجل منهم ليعطى قوة أربعين رجلاً ، وإن قلبه لأشد من زبر الحديد ، ولو مروا بالجبال الحديد لقلعوها ، ولا يكفون سيوفهم حتى يرضى الله ، يرفع الله لهم كل منخفض ، ويخفض كل مرتفع ، حتى تكون الدنيا عند الإمام بمنزلة راحته حتى يبصرها جميعاً ، ويضع القائم يده على رأس العباد ؛ فيجمع بها عقولهم ، وخبولهم تطير في الهواء ، فكيف يتقهقر أمثال هؤلاء ؟ . الصدوق : كمال الدين ص ٦٠٨ - ٦١٢ . ابن أبي زينب : الغيبة ٣٢٦ - ٣٢٩ . ابن جرير الطبري الشيعي : دلائل الإمامة ص ٢٤٣ ، ٢٣٨ . معجم أحاديث المهدي ح ١٤٥٤ ج ٧ ص ٢٥ - ٢٦ .

الجبار -عليه السلام- في ظل من الملائكة ، وقضي الأمر ، ورسول الله -ﷺ- بيده حربة من نور ، فإذا نظر إليه إبليس رجع القهقري ناكصاً على عقبيه ؛ فيلحقه النبي -ﷺ- فيطعنه طعنة بين كتفيه ، فيكون هلاكه ، وهلاك جميع أشياعه ، فعند ذلك يعبد الله -ﷻ- ولا يشرك به شيئاً ، ويملك أمير المؤمنين -عليه السلام- أربعاً وأربعين ألف سنة ، حتى يلد الرجل من شيعة علي -عليه السلام- ألف ولد من صلبه ذكراً ، في كل سنة ذكراً ، وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة ، وما حوله بما شاء الله -ﷻ- " (١).

وقد أنكر أبو عبد الله أن يكون يوم الوقت المعلوم يوم القيامة فقال : أتحسب أنه يوم يبعث الله تعالى الناس ؟ لا ، ولكن الله -ﷻ- أنظره إلى يوم يبعث الله -ﷻ- قائمنا ، فإذا بعث؛ فيأخذ بناصيته ، ويضرب عنقه (٢).

نقد هذا الأثر: هذه الأخبار مخالفة للمشهور وطريق التأويل عند بعض علمائهم على أحد وجهين :

الأول : أن يكون المراد بالاثني عشر مهدياً : النبي -ﷺ- وسائر الأئمة ، سوى القائم ؛ بأن يكون ملكهم بعد القائم ، وقيل : برجعة القائم بعد موته ، وبه يمكن الجمع بين الأخبار. ويشهد لذلك ما جاء عن أبي جعفر: والله ليملكن منا أهل البيت رجل بعد موته ثلاثمائة سنة ، ويزدادون تسعاً ، قيل : متى يكون ذلك ؟ قال : بعد القائم قيل : وكم يقوم القائم في عالمه ؟ قال : تسعة عشرة سنة (٣) .

الثاني : أن يكون هؤلاء المهديون من أوصياء القائم ، هادين للخلق في زمن سائر الأئمة ، الذين رجعوا لئلا يخلو الزمان من حجة ، وإن كان أوصياء الأنبياء والأئمة أيضاً حججاً ، والله يعلم (٤) .

ويرد الشيعة : اعلم أن قوماً من الجهال ظنوا أن تلك الأخبار منافية للأخبار الدالة على رجعة النبي -ﷺ- والأئمة ، وبذلك اجتروا على رد الأخبار المستفيضة ، بل المتواترة المأثورة عن الأئمة الأطهار وهو فاسد من وجوه : الأول : أنه ليس في أكثر أخبار الرجعة التصريح باجتماعهم في عصر واحد فلا تنافي ؛ بل ظاهر بعض الأخبار أن رجعة بعض

(١) الطوسي : الغيبة ص ٢٧٦. معجم المهدي ح ١١٦ ج ٥ ص ٣٦٠. مختصر البصائر ص ١٤٦.

(٢) الحلي: مختصر بصائر الدرجات ص ١٤٥ - ١٤٦. ابن جرير الشيعي: دلائل الإمامة ص ٤٥٣.

(٣) الطوسي : الغيبة ص ٢٨٥.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٤٨ - ١٤٩ بتصرف.

الأئمة بعد القائم أو في آخر زمانه ، وما روي أن بعد القائم تقوم الساعة بعد أربعين يوماً ، فهو خبر واحد لا يعارض الأخبار الكثيرة ، مع أنه قال بعض علمائنا في كتاب كتبه في الرجعة : إن للقائم أيضاً رجعة بعد موته ، فيحتمل أن يكون مورد الخبر الموت بعد الرجعة.

الثاني : إن ظاهر تلك الأخبار عدم اجتماع إمامين في تلك الحياة المعروفة ، بل بعضها صريح في ذلك ، ولو صح نحمله على أن زمان الرجعة ليس زمان تكليف فقط ؛ بل هو واسطة بين الدنيا والآخرة ، بالنسبة إلى جماعة دار تكليف ، وبالنسبة إلى جماعة دار جزاء ؛ فكما يجوز اجتماعهم في القيامة لا يبعد اجتماعهم في ذلك الزمان.

الثالث : أن أخبار الرجعة أكثر وأقوى من تلك الأخبار ، فلا ينبغي ردها والأخذ بهذه^(١). وسئل أبو عبد الله: "أَيُّكُمْ إِمَامَانِ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ؟" (٢) قَالَ : لَا " (٣) ، وفي رواية : " لَا إِلَّا إِمَامٌ صَامِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ ، وَيَتَكَلَّمُ الَّذِي قَبْلَهُ " (٤) .

رابعاً : ظهور آثار التقديس في أن في الرجعة تظهر كرامة الشيعي ، وعقاب الناصب :

تعتقد الاثنا عشرية أن الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة : الحسين بن علي -عليه السلام- فأما يوم القيامة ؛ فإنما هو بعث إلى الجنة ، وبعث إلى النار^(٥).

ولأن الذي يرجع لم يستوف رزقه وأجله : سئل أمير المؤمنين -عليه السلام- عن ناس من الشيعة يزعمون : أنهم يردون إلى الحياة بعد الموت فقال: إن الله -تعالى- ابتلى قوماً بما كان من ذنوبهم ، فأماتهم قبل آجالهم التي سميت لهم، ثم ردهم إلى الدنيا؛ ليستوفوا رزقهم وآجالهم، ثم أماتهم بعد ذلك^(٦).

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٠٨-١٠٩.

(٢) يقول المنتظري : لا يكون إمامان في وقت واحد ؛ لأن الاثنين لا يتفقان في تدبيرهما ، ولا في فعلهما ، فإذا كان كلاهما مفترض الطاعة لم يكن أحدهما أولى بالطاعة من صاحبه ، فيكون التشاجر والفساد . الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه ج ١ ص ٤١١ . ونقول : أليس هذا منافياً للعصمة .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٠٧.

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٠٨ . محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٥٠٦.

(٥) الميرزا الأسترابادي : الرجعة ص ٥٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٤٣ . معجم أحاديث المهدي ح ١١٦٢ ج ٥ ص ٣٥٧ . الحسن بن سليمان الحلبي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٤٦.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٧٣.

وهذا قد وقع في من كان قبلنا كما تزعم الشيعة ؛ قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ ^(١) ، خرجوا فراراً من الطاعون ، أو الجهاد ؛ فأماتهم الله عقوبة قبل آجالهم ، ثم أحياهم بدعوة نبي من الأنبياء ؛ ليكملوا بقية آجالهم ^(٢) .

والذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها ، فأماته الله مئة عام ، ثم بعثه ، فبقي في الدنيا ، ثم مات بأجله ، والسبعين الذين أختارهم موسى للقاء ربه ، فقالوا : أرنا الله جهرة ؛ فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، فماتوا ، ثم أحياهم الله لموسى ، فرجعوا إلى الدنيا ، وأكلوا ، وشربوا ، ونكحوا النساء ، وولد لهم الأولاد ، ثم ماتوا بآجالهم ، وجميع الموتى الذين أحياهم الله لعيسى - عليه السلام - بإذن الله رجعوا إلى الدنيا ، وبقوا فيها ، ثم ماتوا بآجالهم ، وأصحاب الكهف لبثوا في كهفهم ثلاث مئة سنين وازدادوا تسعا ، ثم بعثهم الله فرجعوا إلى الدنيا بعد موتهم ^(٣) .

من الآثار المترتبة على التقديس : اعتقاد أن الأجل أجلان :

تزعم الشيعة الاثنا عشرية : أن للعبد الذي يرجع أجلان : أجل الموت ، وأجل القتل ، أو أجل الموت ، وأجل الرجعة ، عن أبي جعفر : نزلت هذه الآية هكذا : " كل نفس ذائقة الموت ومنشورة " هكذا نزل بها جبريل على محمد - عليه السلام - ^(٤) ، ويستغرب القارئ حين يقرأ : " أن عليا - عليه السلام - يكون آخر من يقبض روحه من الأئمة ^(٥) ؛ والسبب أن الله يردده للدنيا ليذوق الموت بعد قتله ! .

لكن يزيل هذا العجب إجابة أبي جعفر حين سئل : أخبرني عمَّن قُتِلَ : مات ؟ قال : لا ، الموت موت ، والقتل قتل ، فقيل له : ما أحد يقتل إلا مات ، فقال : فرق الله بين القتل والموت ، فقال : ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ﴾ ^(٦) ،

(١) سورة البقرة : آية رقم ٢٤٣ .

(٢) الشيخ الصدوق : الاعتقادات ص ٦٠ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٢٨ - ١٢٩ بتصرف .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٤ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٩ ص ٤٥٧ .

الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ١١٥ - ١١٦ .

(٥) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٥٣٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٨ .

(٦) سورة آل عمران : آية رقم ١٤٤ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾ ^(١) ، فقيل له : ألم يقل الله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ^(٢) ، أفرأيت من قتل ألم يذوق الموت ؟ فقال : ليس من قتل بالسيف ، كمن مات على فراشه ، إن من قتل لابد أن يرجع إلى الدنيا حتى يذوق الموت ^(٣) . وعن الرضا : من مات من المؤمنين قُتل ، ومن قُتل مات ^(٤) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ ﴾ ^(٥) ، عن الباقر : " وليس أحد يؤمن بهذه الآية إلا له قتلة وميتة ، وأنه مَنْ قُتل يُنشر حتى يموت ، ومن مات يُنشر حتى يُقتل " ^(٦) ، والظاهر أن المراد بالنشر : الرجعة ؛ لأنه لا موت بعد نشر القيامة ^(٧) .

عن أبي عبد الله قال : " ليس أحد من المؤمنين قُتل إلا سيرجع حتى يموت ، ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع حتى يقتل " ^(٨) . ويشرح ذلك أبو جعفر فيقول في تفسير قول الله - ﷻ - : ﴿ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ ^(٩) ، فيقول : " القتل في سبيل الله هو القتل في سبيل عليّ - ﷺ - وذريته ؛ فمن قُتل في ولايته ؛ قتل في سبيل الله ^(١٠) .

وعن أبي إبراهيم : لترجعن نفوس ذهبت ، وليقتص يوم يقوم ، من عذب يقتص بعذابه ، ومن أغبط أغاظ بغيطه ، ومن قتل اقتص بقتله ، ويرد لهم أعدائهم معهم ؛ حتى يأخذوا بثأرهم ، ثم يعمرهم بعدهم ثلاثين شهراً ، ثم يموتون في ليلة واحدة ، قد أدركوا ثأرهم ،

(١) سورة آل عمران : آية رقم ١٥٧ .

(٢) سورة الأنبياء : آية رقم ٣٥ .

(٣) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٥-٦٦ . الأسترابادي : الرجعة ص ٤١-٤٢ . مختصر البصائر ص ١٢١-١٢٢ .

(٤) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٦ . الأسترابادي : الرجعة ص ٤٢ . مختصر بصائر الدرجات ص ١٢٢-١٢٣ .

(٥) سورة آل عمران : آية رقم ١٥٧ .

(٦) البحار ج ٥٣ ص ٤١ ، ٦٤ . الأسترابادي : الرجعة ص ٥٦ . مختصر البصائر ص ١٣٤ .

(٧) الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٨٢ بتصرف . الحلبي : مختصر البصائر ص ١٢٨ .

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٤٠ ، ٥٣ . أحمد بن زين الدين الأحسائي : الرجعة ص ٢٦ .

(٩) سورة آل عمران : آية رقم ١٥٧ .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٤ ص ١٢ . الشيخ الصدوق : معاني الأخبار ص ١٦٧ .

وشفوا أنفسهم ، ويصير عدوهم إلى أشد النار عذاباً ، ثم يوقفون بين يدي الجبار فيؤخذ لهم بحقوقهم ، وبعد ذلك تبقى الأرواح ساهرة لا تنام ، ولا تموت ^(١).

وفي تفسير قول الله - جل جلاله - : ﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾ ^(٢) ، قال أبو عبد الله : هي والله للنصّاب ، وذلك في الرجعة : يأكلون العذرة ^(٣) . وقوله - جل جلاله - : ﴿ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ ^(٤) ، هو علي بن أبي طالب - عليه السلام - إذا رجع في الرجعة وقوله - جل جلاله - : ﴿ رَبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ ^(٥) ، وعن أمير المؤمنين - عليه السلام - هو أنا إذا خرجت أنا وشيعتي ، وخرج عثمان بن عفان وشيعته ، ونقتل بني أمية ، فعندها يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ^(٦) .

ونحن نعتقد أن الله - عز وجل - جعل للعباد حشر واحد يوم القيامة ، لكننا نجد عند الاثني عشرية رأي آخر ، فهم يعتقدون أن الله - جل جلاله - أخبر عن حشرين : الحشر الأكبر يوم القيامة في قوله تعالى : ﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ ^(٧) ، وحشر الرجعة قبل يوم القيامة : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ^(٨) .

فالحشر حشران : عام وخاص ، والدليل أنه سبحانه قال مخبراً عن يحشر من الظالمين أنهم يقولون يوم الحشر الأكبر :

﴿ رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ ^(٩) ^(١٠) ، وللعمامة في هذه الآية تأويل مردود: أنه خلقهم أمواتاً في أصلاب آبائهم ، ثم أماتهم بعد

(١) الأسترابادي:الرجعة ص ٥٩ - ٦٠. بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٤٤. الحلي:مختصر بصائر الدرجات ص ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) سورة طه : آية رقم ١٢٤.

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٥١. الميرزا محمد مؤمن الأسترابادي : الرجعة ص ٤٠.

(٤) سورة المؤمنون : آية رقم ٧٧.

(٥) سورة الحجر : آية رقم ٢.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٤.

(٧) سورة الكهف : آية رقم ٤٧.

(٨) سورة النمل : آية رقم ٨٣.

(٩) سورة غافر : آية رقم ١١.

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٣٦.

الحياة ، ثم بعثهم ، وهذا باطل لا يجري على لسان العرب ؛ لأن الفعل لا يدخل إلا على ما كان بغير الصفة التي انطوى اللفظ على معناها ، ومن خلقه الله أمواتاً لا يقال : أنه أماته ؛ وإنما يقال هذا : فيمن طرأ عليه الموت بعد الحياة ، ولا يقال : أحيا الله ميتاً ، إلا أن يكون قد كان قبل إحيائه ميتاً ، وهذا بين لمن تأمله ، فالمراد من حياتهم : حياة الرجعة التي تكون لتكليفهم ، والندم على تفريطهم ، فلا يفعلون ذلك ، فيندمون يوم العرض على ما فاتهم من ذلك^(١).

نقد هذه الروايات : ما هذا الذي يقال : ألغاز ؟ أليس الله تعالى يقول : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾^(٢) ، يريد الله تعالى ذكره : لا يذوق هؤلاء المتقون في الجنة الموت بعد الموتة الأولى التي ذاقوها في الدنيا^(٣) .

أما عقيدة أهل السنة : أن المقتول مات بأجله الذي أجله الله له ، الذي لا يتقدم موته عليه لحظة ، ولا يتأخر عنه لحظة ، فإنه -ﷺ- حكم بأجل العباد على علم من غير تردد ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون.

وأما الأحاديث التي فيها أن بعض الطاعات تزيد في العمر ، مثل صلة الرحم ، ونحو ذلك مما جاء أنه يقصر العمر ، فهذا في الصحف التي يقع فيها المحو والإثبات ، وعلم الله -ﷻ- لا يقع فيه تغيير ، ولا زيادة ، ولا نقصان ، والحق أن الأجل واحد ، فإن المقتول إن لم يقتل لعاش إلى أجله الذي هو الموت .

ونرد عليهم بقول الله -ﷻ- : ﴿ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوَ تَشْعُرُونَ ﴾^(٤) ، وقوله جل شأنه : ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴾^(٥) ، وقال سبحانه : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(٦).

(١) الشيخ المفيد : المسائل السرورية ص ٣٣-٣٤.

(٢) سورة الدخان : آية رقم ٥٦.

(٣) أبو جعفر الطبري : تفسير الطبري ج ٢٥ ص ١٤٧.

(٤) سورة الشعراء : آية رقم ١١٣.

(٥) سورة الغاشية : آية رقم ٢٦.

(٦) سورة الأنبياء : آية رقم ٤٧.

سئل الحسين -عليه السلام-: عن حوض النبي -عليه السلام- في الدنيا أم في الآخرة؟ فقال : بل في الدنيا، قيل له : فمن الذائد عنه ؟ قال : بيدي ؛ فليردنه أوليائي ، وليصرفن عنه أعدائي ^(١) . وللصدوق رأي آخر يقول : اعتقادنا في الحوض أنه حق ، والوالي عليه يوم القيامة علي -عليه السلام- يسقي منه أوليائه ، ويذود عنه أعداءه ^(٢) .

وبعض أهل السنة يقول : إن الحشر الجمع ، وهو على أربعة أوجه : حشرين في الدنيا ، و حشرين في الآخرة : أما الذين في الدنيا ، فقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ ^(٣) كانوا من سبط لم يصبهم جلاء ، وكان الله -عليه السلام- قد كتب عليهم الجلاء ، فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا ، وكان أول حشر حشروا في الدنيا إلى الشام ، قال ابن عباس : من شك أن المحشر في الشام ؛ فليقرأ هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ ^(٤) ، وأن النبي -عليه السلام- قال لهم : اخرجوا ، قالوا إلى أين ؟ قال : إلى أرض المحشر ؛ وهذا أول المحشر. وهم أول من حُشر من أهل الكتاب ، وأخرج من دياره ، وقيل : إنهم أخرجوا إلى خيبر ، وأن معنى " لأول الحشر " إخراجهم من حصونهم إلى خيبر ، وآخره : إخراج عمر -عليه السلام- إياهم من خيبر إلى نجد ، وأذرعات ، وقيل : تيماء ، وأريحاء ، وذلك بكفرهم ، ونقض عهدهم. وأما الحشر الثاني: فحشرهم قرب القيامة ؛ تأتي نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، تبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا ، وتأكل منهم من تخلف ^(٥) ، والله أعلم .

ولا تعجب أنهم يعتقدون أن الأبناء يحملون أوزار الآباء : عن أبي عبد الله: " القائم والله يقتل ذراري قتلة الحسين -عليه السلام- بفعال آبائهم " ^(٦) ، وعنه في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٧) ،

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٩ . الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٦٢ .

(٢) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ٦٥ .

(٣) سورة الحشر آية رقم ٢ .

(٤) سورة الحشر : آية رقم ٢ .

(٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ص ٣٠٢٣ بتصرف . تفسير البغوي ص ٢٩١ بتصرف .

(٦) الشيخ الجواهري : جواهر الكلام ج ٢١ ص ٣٧٥ .

(٧) سورة البقرة : آية رقم ١٩٣ .

قال : " أولاد قتلة الحسين ^(١) . وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ ^(٢) ، قال : " ذلك قائم آل محمد يخرج ؛ فيقتل بدم الحسين بن علي - عليه السلام - فلو قتل أهل الأرض لم يكن مسرفاً " ^(٣) .

نقد هذه الروايات : ويعترض معترض بقوله تعالى : ﴿ أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ ^(٤) ؛ فيقول الرضا : " صدق الله في جميع أقواله ، ولكن ذراري قتلة الحسين - عليه السلام - يرضون بفعال آبائهم ، ويفتخرون بها ، ومن رضي شيئاً كان كمن أتاه ^(٥) .

ومن قال أن أهل السنة يرضون بقتل الحسين - عليه السلام - بل يدعون على قتلة الحسين - عليه السلام - بالويل والثبور ، ومنهم من يلعن قاتله ومن أعان على ذلك ^(٦) . قال أحد التابعين : إِنَّا لَعْنِدُ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - ، قال : فَسَمِعْتُ صَارِخَةً ؛ فَأَقْبَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ ، فَقَالَتْ : قُتِلَ الْحُسَيْنُ . قَالَتْ : قَدْ فَعَلُوها ، مَلَأَ اللَّهُ بُيُوتَهُمْ ، أَوْ قُبُورَهُمْ ، عَلَيْهِمْ نَارًا ، وَوَقَعَتْ مَغْشِيَا عَلَيْهَا ، وَقَمْنَا ^(٧) .

وهذا واحد من الذين شهدوا مقتله يقول : شهدت مقتل الحسين ، فرمى الحسين بسهم ، فأصاب حنكه ، فجعل يلتقي الدم ، ثم يقول : هكذا إلى السماء ، فيرقى به ، وذلك أن الحسين دعا بماء ليشرب ، فلما رماه حال بينه وبين الماء ، فقال الحسين : اللهم ظمه ، اللهم ظمه ، قال : فحدثني من شاهده وهو يموت ، وهو يصيح من الحر في بطنه ، والبرد في ظهره ، وبين يديه المراوح والثلج ، وخلفه الكانون ، وهو يقول : اسقوني ، أهلكني العطش ؛ فيؤتي بالعس العظيم فيه السويق أو الماء واللبن لو شربه خمسة لكفاهم ، قال :

(١) علق عبد الله البحراني : " لعل المراد بالعدوان ما يسمى ظاهراً عدواناً ، وإن كان في الواقع موافقاً للعدل " . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢٩٦ .

(٢) سورة الإسراء : آية رقم ٣٣ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢٩٨ .

(٤) سورة النجم : آية رقم ٣٨ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٥ ص ٢٩٥ .

(٦) من قتلة الحسين : عبيد الله بن زياد ، وحُوَيْرَة ، وسانان الوهيلي ، وشمر بن ذي الجوشن ، وسانان بن أنس النخعي ، وعُمَرُ بْنُ سَعْدٍ . الزركلي : الأعلام ج ٣ ص ١٥٤ ، ج ٧ ص ٢٦٢ .

(٧) جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢ هـ) : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق : د بشار عواد معروف ، ط مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ج ٦ ص ٤٣٩ .

فيشربه ، ثم يعود فيقول : اسقوني أهلكني العطش ، قال : فانقد بطنه كانقداد البعير ^(١) ، وفي رواية : رمى رجل الحسين وهو يشرب ، فشل شدقه ، فقال : لا أرواك الله ؛ فشرب الرجل حتى تفطر ^(٢) .

وآخر يقول : ما أحد ممن أعان على قتل الحسين -ﷺ- خرج من الدنيا حتى تصيبه بلية ، ومعنا رجل من طي ، فقال الطائي : فأنا ممن أعان على قتل الحسين ، فما أصابني إلا خير ، قال : وعشي السراج ، فقام الطائي يصلحه ، فعلقت النار في سباحته ، فمر يعدو نحو الفرات ، فرمي بنفسه في الماء ، فأتبعناه ، فجعل إذا انغمس في الماء رفرفت النار على الماء ، فإذا ظهر أخذته حتى قتله ^(٣) .

قال أحد السلف ليبين عقيدته : " لو كنت ممن قاتل الحسين -ﷺ- ، وأدخلت الجنة ؛ لاستحييت أن أنظر إلى وجه النبي -ﷺ- " ^(٤) ، وقال أحد السلف : لما قتل الحسين بن علي -ﷺ- رأيت رسول الله -ﷺ- في المنام ، فقال : إن رأيت البراء بن عازب فأقر مني السلام ، وأخبره أن قتلة الحسين بن علي في النار ، وإن كاد الله ليسحت أهل الأرض منه بعذاب أليم . قال : فأتيت البراء فأخبرته ، فقال : صدق رسول الله -ﷺ- ، قال رسول الله -ﷺ- : من رآني في المنام ؛ فقد رآني ، فإن الشيطان لا يتصور بي ^(٥) . وقال غيره : " والله لو كنت فيمن قاتل الحسين بن علي ؛ فأتتني المغفرة من ربي فأدخلني الجنة ؛ لاستحييت أن أمر على رسول الله -ﷺ- فينظر في وجهي " ^(٦) ، وكانوا لا يقبلون الرواية عن شارك في قتله ^(٧) . فهل هذا يكفي للنجاة من عذاب القائم في الرجعة ؟

تناقضهم في وجوب خروج المحضين للكفر والإيمان : تجد روايات تجعل الرجعة اختيارية فعن أبي عبد الله في إجابة لسؤال عن الذين ماتوا من الشيعة ينتظرون خروج القائم ، قال :

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٤٤٩-٤٥٠ . أبو الحجاج المزي : تهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٣٠ .

(٢) الطبراني : المعجم الكبير ج ٣ ص ١٢٢ .

(٣) جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي : تهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٣٧ .

(٤) القائل إبراهيم النخعي . المزي : تهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٣٨-٤٣٩ . الطبراني : المعجم الكبير ج ٣ ص ١١٩ .

(٥) جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي : تهذيب الكمال ج ٦ ص ٤٤٦ .

(٦) القائل أبو الحجاج المزي . أبو الحجاج المزي : تهذيب الكمال ج ٢٥ ص ١٥٣ .

(٧) المصدر السابق ج ٢١ ص ٣٥٧ .

إذا قام أتى المؤمن في قبره ؛ فيقال: يا هذا إنه قد ظهر صاحبك ؛ فإن تشأ أن تلحق به فالحق ، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم ^(١).
ومن لم يلحق فله الأجر؛ فعن أبي عبد الله: "ومن عرف إمامه ، ثم مات قبل أن يرى هذا الأمر ، ثم خرج القائم كان له من الأجر كمن كان مع القائم في فسطاطه " ^(٢) ، وفي رواية : مثل أجر من قتل معه ^(٣).

المبحث الرابع موقف أهل السنة من القول بالرجعة

كان ولا يزال القول بالرجعة : جرح وطعن في الرواي من محدثي الشيعة ، حتى وإن لم يجدوا فيه مطعناً ، مع أنها لا توجب خروجاً عن الدين ، أو خدشاً في عقيدة التوحيد ^(٤) .
ولنا سؤال: إذا كانت عقيدتكم النقية ، ودثاركم الكتمان ، وعلماؤكم أتقاكم ، وعامتكم لا يعلمون حجة تقوم علينا ألا نعد نحن وكل من كان على شاكلتنا من الضلال ؟ إن قلتم نعم ؛ فنحن ناجون إن شاء الله تعالى ، كما قال جعفر بن محمد: حقيق على الله أن يدخل الضلال الجنة ، قالوا كيف ذلك ؟ قال : يموت الناطق ، ولا ينطق الصامت ؛ فيموت المرء بينهما ؛ فيدخله الله الجنة ^(٥) ، وإن قلتم : لستم ضلال ، فالحمد لله الذي نجانا من النار على أيديكم. وهناك من كلام الأئمة ، وشراح كلامهم ما يهدم عقيدة الرجعة من هذه الأقوال :
جاء عن شريك بن عبد الله النخعي القاضي الكوفي : أنه قيل له : إن أقواماً يزعمون أن جعفر بن محمد ضعيف الحديث ؛ فقال : أخبرك القصة ، كان جعفر بن محمد رجلاً صالحاً مسلماً ورعاً ، فاكتنفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون من عندهم ، ويقولون حدثنا جعفر بن محمد ، ويتحدثون بأحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر ؛ ليستأكلون الناس بها ... ذكروا أن جعفرأ حدثهم أن معرفة الإمام تكفي عن الصوم والصلاة ، وعن

(١) الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٥ ص ٩٠. الطوسي : الغيبة ص ٢٧٧. المجلسي : بحار الأنوار ج ٥ ص ٩١-٩٢. معجم أحاديث المهدي ح ١١٥٤ ج ٥ ص ٣٤٦.
(٢) الشيخ الطوسي : الغيبة ص ٢٧٧. الصدوق : كمال الدين وتام النعمة ص ٣١٧ ، ٥٨٤.
(٣) الشيخ الطوسي : الغيبة ص ٢٧٨.
(٤) د عبد العليم البستوي : المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة ص ٧٧ .
(٥) الطوسي : الغيبة ص ٢٧٨ .

رجعته هو وأبيه وجده يوم القيامة ، وأن علياً في السحاب ، يطير مع الريح ، وأنه كان يتكلم بعد الموت ، وأنه كان يتحرك على المغسل ، وأن إله السماء ، وإله الأرض الإمام ؛ فجعلوا لله شريكاً ، جهال ضلال^(١) .

وما قاله شارح الكافي : انقطاع أمر الدنيا بالموت مناسب لختم الدنيا ؛ لانقطاع العمل حينئذ ، وعند ذلك يتحقق حال كل شخص ، ويعلم أنه من أهل الجنة ، أو من أهل النار ، ولذلك قيل من مات قامت قيامته^(٢) ، أجل من يموت قامت قيامته الصغرى ، وموته بداية للثواب أو العقاب ، الذي يكون قسم منه في البرزخ ، والقسم الآخر في القيامة الكبرى ، أي : القيامة العامة ... إن على الظالمين أن ينتظروا العذاب في الدنيا ؛ كعذاب الأمم السابقة ، كالصاعقة والزلازل ، والكسف من السماء ، والقحط ، أو القتل على أيدي جيوش التوحيد كما كان في بدر ، وما أبغى قادة المشركين فيها ؛ إلا أن يتيقظوا ويتوبوا^(٣) .

قال رسول الله -ﷺ- : " مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ ، لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ ، يَسْرُهَا أَنَّهَا تَرْجِعُ إِلَى الدُّنْيَا ، وَلَا أَنْ لَهَا الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، إِلَّا الشَّهِيدُ ، فَإِنَّهُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ ، فَيُقْتَلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ " ^(٤) .

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- ، قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- ، فَمَرَرْنَا بِصَبْيَانٍ فِيهِمَا ابْنُ صَيَّادٍ ^(٥) ، فَفَرَّ الصَّبِيَّانُ ، وَجَلَسَ ابْنُ صَيَّادٍ ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- كَرِهَ ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ -ﷺ- : تَرَبَّتْ يَدَاكَ ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَقَالَ : لَا ، بَلْ تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : ذَرْنِي ، يَا رَسُولَ اللَّهِ حَتَّى أَقْتُلَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ- : إِنْ يَكُنِ الَّذِي تَرَى ، فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ ^(٦) .

(١) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ٤ ص ٢٧٤ بتصرف .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٠٢ .

(٣) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ج ١٣ ص ٢٩٣ .

(٤) رواه مسلم : شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٣ ص ٢٧ .

(٥) ابن صياد ، وابن صائد وأسمه صافٍ ، وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره ، ولا شك في أنه دجال من الدجاجلة ، وإنما أوحى إليه بصفات الدجال ، وكان في ابن صياد قرآن محتملة ، ولهذا قال لعمر : إِنْ يَكُنْ هُوَ فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ . النووي : شرح صحيح مسلم ج ١٨ ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

(٦) متفق عليه : فتح الباري ج ٣ ص ٢٥٠-٢٥١ . النووي شرح مسلم ج ١٨ ص ٢٦١ .

وفيه الرد على من يدعي الرجعة إلى الدنيا لقوله -ﷺ- لعمر: إن يكن هو الذي تخاف منه فلن تستطيعه ؛ لأنه لو جاز أن الميت يرجع إلى الدنيا ؛ لما كان بين قتل عمر له حينئذ ، وكون عيسى بن مريم هو الذي يقتله بعد ذلك منافاة ، والله أعلم ^(١).

قلت وفيه دليل على أن الأجل واحد سواء كان موتاً أو قتلاً ؛ حيث نهى النبي -ﷺ- عن قتله ، ولو كان القتل غير الموت لما نهى عن قتله .

قال تعالى : ﴿ وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ^(٢) ، أي : كل قرية أهلكت تبقى في الهلاك حتى قيام الساعة ، أو تبقى في عدم الرجعة إلى الدنيا ، أو إلى التوبة حتى قيام الساعة ^(٣).

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ^(٤) ، وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- قوله : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ﴾ ^(٥) ، تكديبا بأمر الله ، أو بأمرنا ، فإن الناس صاروا في البعث فريقين : مكذب ، ومصدق ، ذكر لنا أن رجلاً قال لابن عباس : إن ناساً بهذا العراق يزعمون : أن علياً مبعوث قبل يوم القيامة ، ويتأولون هذه الآية ، فقال ابن عباس : كذب أولئك ، إنما هذه الآية للناس عامة ، ولعمري لو كان علي مبعوثاً قبل يوم القيامة : ما أنكحنا نساءه ، ولا قسمنا ميراثه ^(٦).

قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ^(٧).

وعن علي -رضي الله عنه- قال وهو مشتكى : لأبنين بمصر منبراً ، ولأنقض دمشق حجراً حجراً ، ولأخرجن اليهود والنصارى من كور العرب ، ولأسوقن العرب بعصاي هذه ، فقيل له : يا

(١) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري ج ٦ ص ١٩٥ .

(٢) سورة الأنبياء : آية رقم ٩٥ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٥٢ .

(٤) سورة يس : آية رقم ٣١ .

(٥) سورة النحل : آية رقم ٣٨ .

(٦) تفسير الطبري ج ١٤ ص ١١٢ . أبو حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ج ٧ ص ٣١٩ .

(٧) سورة المؤمنون آية رقم ٩٩ - ١٠٠ .

أمير المؤمنين ، كأنك تخبر أنك تحيي بعد ما تموت ؟ فقال : هيهات ، ذهبت في غير مذهب ، يفعله رجل مني ^(١).

فيتجاسرون ويقولون : هذا من باب التقية ^(٢) ، وهل التقية من إمام يموت ، والسامع له شيعي من أصحابه ، فمتى تقال كلمة الحق إذا ؟ إذا كان أشجع الناس يجبن عند الموت ! . وعنه -عليه السلام- في الرجعة : ويحك يا أعور ، هو جمع أشتات ، ونشر أموات ، وحصد نبات ، وهنات بعد هنات ، مهلكات مبيرات ، لست أنا ، ولا أنت هناك ^(٣) .

ويتجاسرون أيضاً ويقولون : هذا من باب التقية ، وهل التقية من إمام والسامع له شيعي من أصحابه ، فمتى تقال كلمة الحق إذا ؟ إذا كان أشجع الناس يجبن أمام شيعته ! . وإذا قالوا : إن من أسرار آل محمد لا يستطيع كل أحد أن يتعلمها ، قلنا : هداكم الله ، ألم تنقلوا عن علي -عليه السلام- أنه سئل عن الرجعة فقال : هذا علم خاص لا يسع الأمة جهله ، ورد علمه إلى الله ^(٤) .

عن أبي جعفر: " لا تقولوا الجبت والطاغوت، ولا تقولوا الرجعة ، فإن قالوا : إنكم كنتم تقولون ذلك، فقولوا : أما اليوم فلا نقول؛ فإن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قد كان يتألف الناس بالمائة ألف درهم ؛ ليكفوا عنه؛ فلا تتألفونهم بالكلام ^(٥).

وهذا أبو عبد الله الذي رد على من يزعم رجعة محمد بن الحنفية ؛ فقال : حدثني أبي : أنه كان فيمن عاده في مرضه ، وفيمن أغمضه ، وفيمن أدخله حفرته . وتزوج نساؤه ، وقسم ميراثه " ^(٦).

وهذا الرضا الذي رد على من قال بغيبة أبيه - موسى الكاظم - ورجعته بقوله : بلى والله لقد مات، وقُسمت أمواله ، ونُكحت جواريه ^(٧).

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٠ .

(٢) يقول المجلسي : إن أمير المؤمنين اتقى عباية الأسدي لأنه لا يتحمل أسرار آل محمد . بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٠ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٥٩ .

(٤) بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٦٨ - ٦٩ . الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٧٦ .

(٥) هذا تقية . الحسن الحلي : مختصر البصائر ص ٥٨٠ ، ١٣٧ . بحار الأنوار ج ٥٣ ص ٣٩ - ٤٠ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٢ ص ٨٠ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٨ ص ٢٥٥ .

ويوضح الصادق عقيدته ، فيقول حين يُسأل عن مات في هذه الدار أين تكون روحه ؟ فقال : من مات وهو ماحض للإيمان محضاً أو ماحض للكفر محضاً نقلت روحه من هيكله إلى مثله في الصورة " النفس " وجوزي بأعماله إلى يوم القيامة ، فإذا بعث من في القبور أنشأ جسمه ، ورد روحه إلى جسده ، وحشر ليوفيه أعماله ، فالمؤمن تنتقل روحه من جسده إلى مثل جسده في الصورة ، فيجعل في جنة من جنان الله يتنعم فيها إلى يوم المآب ، والكافر تنتقل روحه من جسده إلى مثله بعينه ، فتجعل في نار ، فيعذب بها إلى يوم القيامة ، وشاهد ذلك قوله تعالى : ﴿ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (١) . فأخبر سبحانه أن مؤمناً قال بعد موته ، وقد أدخل الجنة : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، وشاهد ما ذكرناه في الكافر قوله تعالى : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (٣) ، وأخبر أن كافراً يعذب بعد موته غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة يخلد في النار ، والضرب الآخر : من يلهى عنه وتعدم نفسه عند فساد جسمه فلا يشعر بشيء حتى يبعث ، وهو من لم يمحض الإيمان محضاً ولا الكفر محضاً ، وقد بين الله تعالى ذلك عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ أَفُنْصِلُكُمْ مِنْهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴾ (٤) ، فبين إن قوماً عند الحشر لا يعلمون مقدار لبثهم في القبور ، حتى يظن بعضهم أن ذلك كان عشراً ، ويظن بعضهم أن ذلك كان يوماً ، وليس يجوز أن يكون ذلك وصف من عذب إلى بعثه أو نعم إلى بعثه ؛ لأن من لم يزل منعماً أو معذباً لا يجهل عليه حاله فيما عومل به ، ولا يلتبس عليه الأمر في بقائه بعد وفاته (٥) .

وقولهم في الرجعة كذبهم فيه قول الله تبارك وتعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ (٦) ، يخبر أن أهل القبور لا يبعثون إلى يوم النشور ، وهذه الآية قطعت كل أمل في الرجعة إلى الدنيا ، سواء أكانت للعمل الصالح أم لغيره ؛ وقد بين الرب تبارك وتعالى

(١) سورة يس : آية رقم ٢٦-٢٧ .

(٢) سورة غافر : آية رقم ٤٦ .

(٣) سورة يس : آية رقم ٢٦ .

(٤) سورة طه : آية رقم ١٠٤ .

(٥) الشيخ المفيد : تصحيح اعتقادات الإمامية ص ٨٨ - ٩٠ بتصرف .

(٦) سورة المؤمنون : آية رقم ١٠٠ .

فيها استحالة الرجوع إلى الدنيا ، وعلل هذه الاستحالة بوجود برزخ لا يمكن لأحد أن يتجاوزه ، حجز بين الموت والبعث ، وبين الدنيا والآخرة ، فالمفلح من اغتنم حياته قبل أن يسأل الرجعة قبل الموت وهيئات .

قال تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ (١) .
ولو أن الذين كانوا وراء فكرة الرجعة كانوا مخلصين لأئمة الشيعة لم يصورهم بهذا المظهر الراغب في الحكم ، حتى أن الله سيعيدهم إلى هذه الدنيا الفانية مرة أخرى ؛ ليحكموا فيها بعض الوقت ، وهم أئمة لهم جنة عرضها كعرض السموات والأرض أعدت للمتقين ، والإمام " علي " يقول : والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ، ولا في الولاية إربة ، ولكنكم دعوتموني إليها ، وحملتوني عليها " (٢) .

وفي ظني أن عقيدة الرجعة ما هي إلا أمل قالت به الشيعة لتظل الجماهير متبعة للأئمتها برغم موتهم ، وزوال ملكهم ، وهذا قاسم مشترك بين كل طوائفهم ، بل قاسم مشترك لكل من زال ملكه من الملل السابقة.

ولو كان غصب الخلافة أعظم جرماً من الكفر والشرك ، لكان إرجاع الكفرة ، والمشركين ، والذين ادعوا الألوهية مع الله - كفرعون ونمرود وغيرهما - أولى بالرجوع ، والشيعة الاثنى عشرية لم يقولوا بذلك ، فوجب أن يكون - حسب مقياسهم - : أن يكون غصب الخلافة ، أو التعدي على آل البيت أعظم جرماً من الشرك ، ومن ادعاء الألوهية ، وقتل الأنبياء بغير حق ، وهم لا يقولون بهذا ؛ فظهر بطلان قولهم بوجوب إعادة رجعة أولئك الخلفاء ؛ لعقابهم في الدنيا بسبب غصبهم الخلافة .

ثم إن قولهم : برجوع النبي - ﷺ - ، وعلي ، وسائر الأئمة ، وإخراجهم من قبورهم ؛ لحضور هذا العقاب في الرجعة ، فيه تعذيب لهم بالموت مرة أخرى ، والموت أشد آلام الدنيا ، فلماذا يؤلم الله - ﷻ - أحبائه عبثاً ؟ إذ الموت لا بد أن يشمل كل كائن حي ، فإذا أحياء الله هؤلاء فلا بد من تجرعهم الموت مرة أخرى ، فكيف يعذب أوليائه بالموت مرتين في الدنيا وغيرهم مرة واحدة ؟ ألا ترون أن هذا ليس من العدل ؟ (٣) .

(١) سورة المنافقون : آية رقم ٩ .

(٢) الشيخ المنتظري : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ج ١ ص ٨٠ .

(٣) الألووسي: مختصر التحفة ص ٢٠١ - ٢٠٣ ، ص ٢٩٤ . إحسان ظهير : الشيعة والتشيع ص ٣٧٦ .

وإذا كانت الرجعة للنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - والأئمة : بعد ظهور " المهدي " الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، فما الفائدة من رجوعهم ؛ لأن القسط والعدل قد استتبوا والأئمة أعلى شأنًا وأجل قدرًا من أن يطلبوا الحكم للحكم ، والإمام علي - عليه السلام - يقول : " إن دنياكم هذه أهون عندي من عفطة عنز ، إلا أن أقيم حقاً وأبطل باطلاً " فرجوعهم من العبث الذي ينتزعه عنه الله تعالى .

تشابه عقيدة الرجعة مع عقيدة اليهود والنصارى : تعتقد اليهود برجعة بعض الأنبياء مثل إيليا - عليه السلام - حيث تقول التوراة أن إيليا صعد إلى السماء ^(١) ، ثم تقول : " هأنذا أُرسلُ إِلَيْكُمْ إِيلِيَّا النَّبِيُّ قَبْلَ يَوْمِ رَبِّ ، الْيَوْمِ الْعَظِيمِ وَالْمَخُوفِ ، فيرد قلب الآباء على الأبناء ، وقلب الأبناء على آبائهم ؛ لئلا آتي وأضرب الأرض بلعنة " ^(٢) ، كما تعتقد النصارى بذلك ؛ فيقول الإنجيل : " وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا ، فَهَذَا هُوَ إِيلِيَّا الْمَزْمُوعُ أَنْ يَأْتِيَ " ^(٣) ، كما يعتقدون بعقيدة الظهور كما تقول التوراة أن موسى وإيليا ظهرا لعيسى - عليه السلام - ^(٤) ، كما تعتقد النصارى أن رجوع إيليا سيكون مقدمة لرجوع عيسى - عليه السلام - فيقول الإنجيل : " إن إيليا يأتي أولاً ؛ فيرد كل شيء " ^(٥) ، ويصرح الإنجيل برجعة الأنبياء من الموت فيقول : " لأن قوماً كانوا يقولون : إن يوحنا قام من الأموات ، وقوماً إن إيليا ظهر ، وآخرون إن نبياً من القدماء قام " ^(٦) ، ثم تحكي التوراة عن إيليا أنه : " قتل جميع الأنبياء بالسيف فأرسلت إزابل إلى إيليا تقول : هكذا تفعل الآلهة " ^(٧) ، وهذه بعض وجوه التشابه بين العقيدتين .

نقد عقيدة الغيبة :

بقليل من الفكر والتدبر يكتف من عنده أدنى مسحة فقه في الدين والعلم أن الرجعة عقيدة ماناقضة مع عقيدة الإمامة ؛ لأن الإمام الذي لا يستطيع أن ينتصر في أول ولايته يكون

(١) الكتاب المقدس : سفر الملوك الثاني ١/٢ ص ٥٨٣ .

(٢) الكتاب المقدس : سفر ملاخي ٤/٥ - ٦ ص ١٣٥٨ .

(٣) الكتاب المقدس : إنجيل متى ١٤/١١ ص ١٩ .

(٤) الكتاب المقدس : إنجيل متى ٣/١٧ ص ٣١ . إنجيل لوقا ٩/٣٠ ص ١١٠ .

(٥) الكتاب المقدس : إنجيل متى ١١/١٧ ص ٣١ .

(٦) الكتاب المقدس : إنجيل لوقا ٨/٩ ص ١٠٩ .

(٧) الكتاب المقدس : سفر الملوك الأول ١/١٩ - ٢ ص ٥٧١ .

أعجز عن ذلك في آخر ولايته، ومن فشل في أول مراحل حياته فبالأحرى أن يفشل في بقيتها ، كما أنها تتناقض مع عقيدة العصمة في كون التناقض صفة ملازمة لكل جزء من عقيدة الرجعة ، فلماذا التناقض ؟ فإن كان من النقلة فهذا طعن في أصل النقل فكيف يختار الضعفاء لنقل دينه ، وإن كان من الأئمة سقط المذهب ، وتتناقض الرجعة مع عقيدة البداء في كون كل المقدمات التي قيلت عنها قضاء مبرم على بعض الناس بالجنة كالأئمة واتباعهم، وقضاء مبرم على بعض الناس بالنار حتى ولو تابوا كالشيعين والصحابه وأعداء الأئمة في نظر الشيعة ، وأمام هذا التناقض : كيف يكفر منكر الرجعة؟ وهل يجوز أن تقوم الأحكام الشرعية على الظنون ؟ .

يؤكد جعفر الصادق وجود المهدي فيقول : " لا يكون الإمام إلا وله عقب ، إلا الإمام الذي يخرج عليه الحسين بن علي فإنه لا عقب له" (١) .

وينقضه : أن الثابت لدى بعض مؤرخي الشيعة أن الإمام الحسن العسكري توفي ولم ير له خلف ، ولا أثر، ولم يعرف له ولد ظاهر ، فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه (٢) .

ومما يؤكد عدم مولد المنتظر ما جاء في كتاب الكافي : أن الخليفة العباسي المعاصر لأبي محمد الحسن العسكري ، حين اعتل الحسن ، أمر خمساً من خدمه من خاصته ومن يثق بهم بلزوم دار الحسن ، وتعرف خبره وحاله ، وبعث جماعة من المتطبيين بلزوم داره ، والاختلاف إليه صباحاً ومساءً ، فلما كان بعد يومين أو ثلاثة أخبر أنه قد ضعف ، وأمر عشرة من أصحاب قاضي القضاة ممن يثق بدينه ، وأمانته، وورعه ، وأمرهم بلزوم دار الحسن ليلاً ونهاراً ، فلم يزالوا هناك حتى توفي ، فصارت في سامراء ضجة، وبعث السلطان إلى داره من فتشها ، وفتش حُجَرَاها ، وختم على جميع ما فيها ، وطلبوا أثر ولده ، وجاؤوا بنساء يعرفون الحمل ؛ فدخلن على جواريه ينظرن إليهن ، فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل ، فجعلت في حجرة ، ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه ، ونسوة معهم ، ثم أخذوا بعد ذلك في تهيئته ، وعطلت الأسواق ... فلما دفن أخذ السلطان والناس في طلب ولده ، وكثر التفتيش في المنازل ، والدور ، وتوقفوا عن قسمة ميراثه ، حتى

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٥١ ، ج ٥٣ ص ٧٥ - ٧٦ .

(٢) أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي : فرق الشيعة ص ١٥١ .

تبيين بطلان الحمل ، فلما تبين لهم بطلان الحمل عنهن ؛ قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر ، الذي طلب الإمامة لنفسه ^(١)؛

فلما فعل ذلك شنع الشيعة عليه لقبوه بجعفر الكذاب ^(٢) .

وفي ظني أن الهدف من غيبة الإمام هو نقل الإمامة لفقهاء المذهب كما قال الخميني : " في عصر غيبة ولي الأمر وسلطان العصر يقوم نوابه وهم الفقهاء الجامعون لشرائط الفتوى ، والقضاء مقامه في إجراء السياسات وسائر ما للإمام إلا البداءة بالجهاد ^(٣) ، ليحيوا مذهبهم بعدما كاد أن أو إن شئت قلت انتهى في قلوب أتباعه ، ولو أنهم تدبروا قليلاً لتوقفوا عن هذا التقديس الأعمى لفقهاءهم .

تشابه عقيدة الغيبة مع عقيدة اليهود والنصارى :

تعتقد اليهود بوجود كاهن حي لا يموت يسمى ملكي صادق وصفه الإنجيل بأنه : " ملك السلام ، بلا أب ، بلا أم ، بلا نسب ، لا بداءة أيام له ، ولا نهاية حياة بل هو مشبه بابن الله هذا يبقى كاهناً إلى الأبد " ^(٤) ، فكأنه أفضل من كل البشر حتى من الأنبياء -عليهم السلام- ؛ لأن كلاً منهم له بداية حياة ، أما ملكي صادق لا أول لحياته بل لا يرى القبر تقول التوراة : " حتى يحيى إلى الأبد فلا يرى القبر " ^(٥) ، وكل من كان حياً وآمن بهذا فلن يموت إلى الأبد

(١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٥٨٠ - ٥٨١ بتصرف . الصدوق : كمال الدين ص ٤٩ - ٥٢ .
(٢) تزم الشيعة جعفرًا لعدة أسباب منها : بكاء الإمام السجاد عند بيان أحوال جعفر الكذاب ، وما يفعل بأخيه العسكري وابنه الحجة . مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٤٠٠ . ولتيميز عن جعفر الصادق بلقب الكذاب . مستدرك سفينة البحار ج ٦ ص ٢٢٧ . إخبار الإمام علي الهادي في الليلة التي ولد جعفر الكذاب وكان أهل البيت مسرورين وهو غير مسرور ، فقال: سيضلُّ به خلق كثير . مستدرك سفينة البحار ج ٨ ص ٧٥ . والتوقيعات الشريفة الواردة عن الناحية المقدسة في ذم جعفر الكذاب ، ولعنه ، وإنه ارتد بعد التوقيع بأحد عشر يوماً . مستدرك سفينة البحار ج ١٠ ص ٤٠٢ . معجم أحاديث المهدي ح ٧١٩ ج ٢٨٧ - ٢٨٩ . ومن ح ١٣٦١ إلى ح ١٣٦٧ ج ٦ ص ٢٣٩ - ٢٥٢ . وفي بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٤٧ .

(٣) الخميني : تحرير الوسيلة ، ط سفارة الجمهورية الإيرانية - دمشق ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ج ١ ص ٤٣٥ .

(٤) الكتاب المقدس : رسالة بولس إلى العبرانيين ٧ / ٢ - ٣ ص ٣٥٨ - ٣٥٩ .

(٥) الكتاب المقدس : رسالة بولس إلى العبرانيين ٥ / ٤ - ٦ ص ٩١٢ . ٢٠ / ٦ ص ٣٥٨ .

" (١) وحينما أرد الله أن يهب لداود الملك الأبدى والحياة الأبدية شبهه بملكي صادق ؛ تقول التوراة : " أقسم الرب ولن يندم : أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق ، الرب عن يمينك يحطم في يوم رجزه ملوكاً يدين بين يديه ، ملأ جثثاً أرضاً واسعة سحق رؤوسها " (٢) ، كما تعتقد النصارى في عيسى كذلك يقول الإنجيل عن المسيح : " أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق ... أن يخلصه من الموت " (٣) .

قال تعالى رداً على هؤلاء : ﴿ فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾ (٤) ، فلم يقل بالخلد والملك الذي لا يبلى إلا إبليس ، إذ الملك الذي لا يبلى هو ملك الله وحده ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِنْتَ فَهُمْ الْحَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ (٥) ، فكيف نجمع بين ملك الأبد مع أن الخلد ليس لأحد غير الله سبحانه ! ، فاللهم اهدنا لخير الهدى ، وأجعلنا من عبادك السعداء.

مختصر عقيدة المهدي عند أهل السنة : الاسم : محمد أو أحمد بن عبد الله من ولد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وفاطمة - رضي الله عنها - ، **الشهرة :** المهدي ، **مولده :** المدينة المنورة ، **مهاجرة :** بيت المقدس ، **عمره وقت ظهوره :** أربعون سنة ، **ظهوره :** في آخر الزمان عند فساد الناس ، **أعماله :** يملأ الأرض عدلاً ، ويسير على السنة ، ولا يترك سنة إلا أقامها ، ولا بدعة إلا أزالها ، ويؤلف بين قلوب أمة الإسلام ، **مكثه في الدنيا بعد ظهوره :** سبع سنين ، أو ثمانين ، أو تسع سنين (٦) ، فيها يخرج الدجال ، فيأوي المهدي وأتباعه إلى بيت المقدس ويعصمهم الله من فتنته ، ثم ينزل عيسى - عليه السلام - من السماء فيلحق بالمهدي - عليه السلام - ، ويقتلا الدجال (٧) .

(١) الكتاب المقدس : إنجيل يوحنا ٢٦/١١ ص ١٦٩ .

(٢) الكتاب المقدس : المزمير ٩/٤٩ ص ٨٦٦ .

(٣) الكتاب المقدس : رسالة بولس إلى العبرانيين ٤/٥ - ٦ ص ٩١٢ . ٢٠/٦ ص ٣٥٨ .

(٤) سورة طه : آية رقم ١٢٠ .

(٥) سورة الأنبياء : آيات رقم ٣٤ - ٣٥ .

(٦) معجم أحاديث المهدي ح ١٤١ ج ١ ص ٤٣٣ - ٤٣٤ .

(٧) اللجنة العلمية بجمعية الترتيل : الشيعة في ميزان الشريعة ص ١٦ بتصرف .

الفصل السادس

التقديس وأثره على عقيدة البداء

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف البداء .

المبحث الثاني: أهمية البداء عند الشيعة الاثني عشرية .

المبحث الثالث: شروط البداء .

المبحث الرابع: تقديس الأئمة وأثره على عقيدة البداء .

المبحث الخامس: موقف أهل السنة من البداء .



المبحث الأول

تعريف البداء

قدست الشيعة الاثني عشرية البداء على الله سبحانه ومن قال به فرووا عن الصادق أنه قال : يُبْعَثُ عبد المطلب أمة وحده، عليه بهاء الملوك ، وسيماء الأنبياء ، وذلك أنه أول من قال بالبداء^(١) .

وكتب الشيعة من دعوى البداء لله في حرج عظيم ، تتحول وتتحيل في التخلص منه ، ولو بتحريف كلمة عن موضعها ، فبداء الشيعة في كتبها عقيدة يهودية محضة ، سلكته الكتب عن السنة الأئمة في قلوب الشيعة تخلصاً من تبعة دعوى من دعاويها ، وأدب الأئمة خالص من كلها وبريء ، وتظهر خطورة البداء في أنه يستلزم سبق الجهل ، وحدوث العلم ، وكلاهما محال على الله -ﷻ- ، فإن علمه أزلي وأبدي ؛ لقوله -ﷻ- ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢) .

ومع تبرأهم منه تجد روايات تفضحهم مثل زعم أحد أئمة الشيعة أن نبي الله لوطاً -ﷺ- كان يخاف من البداء لله إلى حد أنه طالب ملائكة العذاب أن يُعَجِّلُوا بقومه العذاب ؛ كي لا تتغير إرادة الله فيهم ، بسبب من الأسباب التي خفيت عليه وتظهر فيما بعد ، روى عن محمد الباقر: بعد ذكر رسل الله الذين أرسلوا إلى قوم لوط ، قال لهم لوط : يا رسل ربي : فما أمركم ربي فيهم ؟ قالوا : أمرنا أن نأخذهم بالسحر ، قال : فلي إليكم حاجة . قالوا : وما حاجتك ؟ قال : تأخذونهم الساعة، فإني أخاف أن يبدو لربي فيهم . فقالوا : يا لوط : إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب^(٣) .

تعريف البداء والنسخ في اللغة : البداء : بالمد ، وفتحيتين ، مصدر بدا له : أي ظهر له رأي غير الأول منعه عنه ، ويقال : بدا لي بداءٌ : تغير رأيي على ما كان عليه ، والبداء: استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم ؛ وذلك على الله غير جائز^(٤). والبداء عند الإمامية

(١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤٤٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٥ ص ١٥٨ .

(٢) سورة الأنعام : آية رقم ٥٩ .

(٣) الكليني : فروع الكافي ج ٥ ص ٥٤٦ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٢ هامش ص ١٦٦ .

(٤) ابن منظور : لسان العرب ج ٤ ص ٢٣٤ بتصرف .

لغة: ظهور الشيء بعد الخفاء ، وحصول العلم به بعد الجهل ، ومعناه : تغير العزم^(١).
وقيل : البداء من الإبداء والإظهار حقيقة ، وإطلاق لفظ البداء عليه سبحانه تنزل بعلاقة
المشكلة^(٢).

ومعنى البداء في الإنسان : ظهور رأي جديد له ، غير رأيه السابق ؛ فيبدوا له ترك الفعل
أو فعله، بعد أن كان عازماً على تركه ؛ لجهله بالمصالح والمفاسد الموجودة في الفعل أو
الترك ، والتي قد وصل إليها قبلاً ، وهذا مستحيل في حق ذات الله المقدسة^(٣).
والظاهر أن الوجه في تفسير البداء بالإبداء : هو التفصي من نسبة الجهل إلى الله تعالى
؛ لأن القول بالبداء يدل صراحة على وقوع التغيير^(٤) في المشيئة حقيقة^(٥) ، إذ لا معضد
لهذا المعنى في اللغة ولا في الشرع .

ويدعي المفيد : إن إطلاق لفظ البداء ، فإنما صرت إليه بالسمع الوارد إلينا عن الأئمة ،
ولو لم يرد به سمع أعلم صحته ؛ لما استجرت إطلاقه ، فصرت إليه على المعاني التي لا
تأبأها العقول ، وليس بيني وبين كافة المسلمين في هذا الباب خلاف ، وإنما خالف من
خالفهم في اللفظ ، دون ما سواه ، وهذا مذهب الإمامية بأسرها ، وكل من فارقها في
المذهب ، ينكره على ما وصفت من الاسم دون المعنى ، ولا يرضاه^(٦).

أما النسخ لغة : الإزالة ، والرفع ، والنقل ، والتحويل^(٧)، ويستعمل في الرفع حقيقة ،
ويراد به النقل مجازاً ، وقيل: إنه حقيقة في النقل مجاز في الرفع والإزالة ، وقيل مشترك

(١) محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ٤ ص ٣١١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ هامش
ص ٩٢ . محاضرات الشيخ محمد باقر علم الهدى : البداء آية عظمة الله ، تقرير : السيد علي الرضوي
، منشورات الولاية ، ط ١ ، ١٤٣٣ هـ ص ٢٥٥ - ٢٥٦ .

(٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ هامش ص ١٩٦ . محمد علم الهدى : البداء ص ٢٧٣ .

(٣) الشيخ حسن عبد الساتر: نظرية البداء محاولة جديدة لفهمها ، نشر مؤسسة العروة الوثقى - بيروت
، ١٤١٠ هـ ص ٢٢ . السيد : محمد سلطان كلاتر : البداء عند الشيعة الإمامية ، ط جامعة النجف
الدينية - النجف ، د ت ص ١٦ . جعفر السبحاني : البداء ص ١٤ .

(٤) يقول المجلسي : هذا يؤدي إلى أن لا ننق بشي من أخبار الله تعالى . البحار ج ٤ ص ١١٤ .

(٥) الشيخ محمد باقر علم الهدى : البداء آية عظمة الله ص ٢٧٥ - ٢٧٦ بتصرف .

(٦) المفيد : أوائل المقالات ص ٨٠ . جعفر السبحاني : البداء في ضوء الكتاب والسنة ص ١٣ .

(٧) مصطفى قصير العاملي : البداء والنسخ ص ٤٤ - ٤٥ .

بين الإزالة والرفع ^(١)، وقال آخرون : معناه الإبطال ، ومنه قولهم : نسخت الرياح الآثار ^(٢).

معاني البداء في القرآن الكريم : ورد لفظ البداء في عدة مواضع من القرآن تدور حول الظهور بعد الخفاء منها : قوله - ﷻ -: ﴿ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ ﴾ ^(٣)، وقال - ﷻ -: ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُئْنَهُ ﴾ ^(٤)، وقال - ﷻ -: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴾ ^(٥)، وقال - ﷻ -: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾ ^(٦)، وقال - ﷻ -: ﴿ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا ﴾ ^(٧)، قال - ﷻ -: ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ ﴾ ^(٨)، قال - ﷻ -: ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْذُونَ ﴾ ^(٩)، وقال - ﷻ -: ﴿ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ ^(١٠)، وقال - ﷻ -: ﴿ وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ ^(١١)، وقال -

(١) ابن النجار: شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير ، تحقيق : د محمد الزحيلي ، د نزيه حماد ، ط مكتبة العبيكان - بيروت ، ط ١، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م ج ٣ ص ٥٢٥ - ٥٢٦.

(٢) الجصاص (ت ٣٧٠ هـ) : الفصول في الأصول ، تحقيق : د عجيل جاسم النشمي ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت ، ط ٢ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م ج ٢ ص ١٩٧.

(٣) الأنعام : ٢٨ . ومعنى بدا : ظهر . تفسير الجلالين ص ٢٧٤ . تفسير البغوي ص ٤١٧.

(٤) يوسف : ٣٥ . بدا : ظهر للعزير بعد رؤية القميص . تفسير الجلالين ص ٤٩١ . تفسير البغوي ص ٦٤٥.

(٥) الزمر : ٤٧ . بدا : ظنوها حسنات فبانت سيئات . تفسير الجلالين ص ٩٤٧ . تفسير البغوي ص ١١٢٩.

(٦) الزمر : ٤٨ . بدا : ظهر لهم مساوئ أعمالهم . تفسير الجلالين ص ٩٤٨ . تفسير البغوي ص ١١٢٩.

(٧) الجاثية : ٣٣ . بدا : ظهر لهم في الآخرة سيئات الدنيا . تفسير الجلالين ص ١٠٢٤ . البغوي ص ١١٨٣.

(٨) الممتحنة : ٤ . بدا : هذا دأبنا معكم ما دتم على كفركم . تفسير القرطبي ج ٢ ص ٣٠٤٨.

(٩) البقرة : ٣٣ . تبدون : ما تظهرون من قولكم : أتجعل فيها . تفسير الجلالين ص ٢٤ . البغوي ص ٢٦.

(١٠) البقرة : آية رقم ٢٧١ . تبدوا : تظهروا . تفسير الجلالين ص ١٠٤ . تفسير البغوي ص ١٧٢.

(١١) البقرة : ٢٨٤ . تبدوا : تظهروا . تفسير الجلالين ص ١١٠ . تفسير البغوي ص ١٨٣.

ﷺ: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ﴾^(١) ، وقال -ﷺ-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾^(٢).

بخلاف النسخ : قال تعالى : ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾^(٣) ، قال أبو جعفر: كذبوا ما هكذا هي ؛ إذا كان ينسى ، وينسخها ، ويأت بمثلها لم ينسخها ! ، وقال : ليس فيها ألف ولا واو ، قال : مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا مِثْلَهَا ، يقول : ما نमित من إمام ، أو ننس ذكره ، نأت بخير منه من صلبه مثله^(٤) فلم يكتفوا بالقول بالبداء بل حرفوا القرآن لموافقة مذهبهم الضال .

لفظ البداء في الحديث الشريف ومعناه في الشروح : ورد لفظ البداء في بعض الأحاديث النبوية الشريفة كحديث الأقرع ، والأبرص ، والأعمى حيث قال -ﷺ-: " بدا الله -ﷻ- أن يبتليهم "^(٥) ، أي : قضى بذلك^(٦) ، وفي رواية : " فأراد الله أن يبتليهم "^(٧) ، ولا شك عندي أن هذه الرواية أولى من الأخرى ؛ لأن نسبة "البداء" لله -ﷻ- محال ، فلم يأت البداء إلا في التوراة حيث جاء فيها : أنه بدا الله خلق السماوات والأرض ! ؛ ولذلك تكلف الحافظ ابن حجر بتأويل هذه الجملة المستنكرة بقوله : سبق في علم الله ، فأراد إظهاره ، وليس المراد أنه ظهر له بعد أن كان خافياً ؛ لأن ذلك محال في حق الله تعالى ، فعمل التغيير فيه من الرواة ، مع أن في الرواية أيضاً نظراً ؛ لأنه لم يزل مُريداً ، والمعنى : أظهر الله ذلك فيهم ، وقيل : معنى أراد قضى ، وقيل : ابتدأ الله أن يبتليهم ، وأولى ما يحمل عليه : أن المراد قضى الله أن يبتليهم ، وأما البدء الذي يراد به تغيير الأمر عما كان عليه فنا^(٨) يصح إطلاقه .

(١) النساء : ١٤٩ . تبدوا : تظهروا حسنة فيعمل بها . الجلالين ص ٢١٦ . تفسير البغوي ص ٣٤٧ .

(٢) المائدة : ١٠١ . تبد : تظهر لكم تسؤكم فتأمرؤا بالعمل بها . الجلالين ص ٢٦٠ . البغوي ص ١٨٣ .

(٣) سورة البقرة : آية رقم ١٠٦ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١١٦ .

(٥) رواه البخاري : فتح الباري ج ٦ ص ٥٦٤ - ٥٦٥ .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٤ .

(٧) رواه مسلم : شرح صحيح مسلم للنووي ج ١٨ ص ٣٠٩ .

(٨) ابن حجر : فتح الباري ج ٦ ص ٥٦٥ بتصرف .

وفي حديث علامات الساعة : " قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو - رضي الله عنه - وَكَانَ يَقْرَأُ الْكِتَابَ - : أَظُنُّ أَوَّلَهُمَا خُرُوجًا طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّهَا كُلَّمَا غَرَبَتْ أَتَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ فَسَجَدَتْ ، وَاسْتَأْذَنْتْ فِي الرَّجُوعِ ، فَيُؤْذَنُ لَهَا فِي الرَّجُوعِ ، حَتَّى إِذَا بَدَأَ اللَّهُ أَنْ تَطْلُعَ مِنْ مَغْرِبِهَا ، فَعَلَتْ كَمَا كَانَتْ تَفْعَلُ ، أَتَتْ تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَسَجَدَتْ ، وَاسْتَأْذَنْتْ فِي الرَّجُوعِ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا ، فَتَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، لَا يَرُدُّ عَلَيْهَا بِشَيْءٍ ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَذْهَبَ ، وَعَرَفَتْ أَنْ لَوْ أَذِنَ لَهَا لَمْ تَدْرِكِ الْمَشْرِقَ ، قَالَتْ : مَا أَبْعَدَ الْمَشْرِقَ رَبِّ مَنْ لِي بِالنَّاسِ ، حَتَّى إِذَا صَارَ الْإِفْقُ كَأَنَّهُ طَوْقٌ ، اسْتَأْذَنْتْ فِي الرَّجُوعِ ، فَقِيلَ لَهَا : اطْلُعِي مِنْ مَكَانِكَ ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا " (١).

وفي الحديث : " فَصَالَحَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - الْيَهُودَ عَلَى أَنْكُمْ تَكْفُونَا الْعَمَلَ ، وَلَكُمْ شَطْرُ الثَّمَرِ ، عَلَى أَنْ أَقْرَكُمْ مَا بَدَأَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ " (٢) ، أي : ما يظهره الله تعالى لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - من أفعالكم والتزامكم بالعهد.

البداء في اصطلاح المتكلمين الشيعة ينقسم إلى قولين متعارضين حقيقة لا لفظاً :

القول الأول : هناك من يحمل البداء على حقيقته بأن يقول : أنه ظهر له من الأمر ما لم يكن ظاهراً له ، وبدا له من النهي ما لم يكن ظاهراً له ؛ لأنه قبل ورود الأمر والنهي لا يكونان ظاهرين مدركين ؛ وإنما يعلم أنه يأمر وينهي في المستقبل ، فأما كونه أمراً أو ناهياً ، فلا يصح له أن يعلمه إلا إذا وجد الأمر والنهي ، وجرى ذلك مجرى أحد الوجهين المذكورين في قوله تعالى : ﴿ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (٣) ؛ بأن نحمله على أن المراد به : حتى نعلم جهادكم موجوداً ؛ لأن قبل وجود الجهاد لا يعلم الجهاد موجوداً ؛ وإنما يعلم كذلك بعد حصوله ، فكذلك (٤). نعوذ بالله تعالى من هذا القول قال تعالى : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٥) !.

(١) أحمد : المسند ، مسند عبد الله بن عمرو ج ١١ ص ٤٦٩ . تفسير الطبري ج ٨ ص ١٠٣ .

(٢) الطبراني : المعجم الكبير ج ١٣ ص ١٧٦ .

(٣) سورة محمد : آية رقم ٣١ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ هامش ص ١٢٥ . القمي : تفسير القمي ج ١ هامش ص ٣٩ .

(٥) سورة البقرة : آية رقم ٢٩ . سورة الأنعام : آية رقم ١٠١ . سورة الحديد : آية رقم ٣ .

ويؤكدون هذا المعنى الشرطي بروايات منها : ما كذبوا عن الرضا أنه سئل : هل يبدوا لله في المحتوم ؟ قال : نعم ، فقل له : فنخاف أن يبدوا لله في القائم ، فقال : إن القائم من الميعاد والله لا يخلف الميعاد^(١)!

ويدعي أحد المعاصرين قولاً من أشنع ما تسمع فيقول : إن الاعتراف بمجرد أنه يظهر لله من الأمور ما لم يكن محتسباً - بل كان المحتسب غيره - ليس له أهمية بالنسبة إلى جلال الله^(٢) ، نعوذ بالله من هذا الافتراء ، فالله سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما هو كائن من كل الوجوه ، علم لم يسبق بجهل سبحانه.

ويوافقه الصدوق فيقول : وأما قول الصادق : ما بدا لله في شيء كما بدا له في إسماعيل ابني ، فإنه يقول قاتله الله تعالى : ما ظهر لله سبحانه أمر في شيء كما ظهر في ابني إسماعيل ، إذ اخترمه قبلي ، ليعلم أنه ليس بإمام بعدي^(٣)، وبذلك يظهر أن الشيعة يقولون بتغير المشيئة وسبق الجهل على الله سبحانه .

القول الثاني : تغير معنى البداء باعتبار تغير متعلقاته : فالبداء له معان مختلفة تبعاً لتغير متعلقاته ومن أهمها:

البداء في العلم : أن يظهر له خلاف ما علم ، ولا أظن عاقلاً يظن هذا الاعتقاد. والبداء في الإرادة : أن يظهر له صواب على خلاف ما أراده وحكمه ، ولا يقول به عاقل أيضاً^(٤) ، لأن الإرادة فينا : شوق متأكد يحصل عقيب داع ، هو تصور الشيء الملائم ، تصوراً علمياً ، أو ظنياً ، أو تخيلياً ، موجب لتحريك الأعضاء الآلية ؛ لأجل تحصيل ذلك الشيء ، ولكنها في الله - ﷻ - هي عين الداعي ، وهي نفس علمه ، وعين ذاته^(٥) ،

(١) محمد بن إبراهيم النعماني : الغيبة ص ٣١٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

(٢) آية الله السيد أبو القاسم الخوئي والعلامة المجاهد الشيخ محمد جواد البلاغي : رسالتان في البداء ، نشر مركز الأبحاث العقائدية ، بالتعاون مع شبكة الإمامين الحسين للتراث والفكر الإسلامي - قم ، د ت ص ٢٣ .

(٣) الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ٤١ . التوحيد : ص ٣٣٦ . كمال الدين ص ٦٩ .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢٢ . بدر الدين العاملي : الحاشية على أصول الكافي ص ١١٣ .

(٥) محمد علم الهدى: البداء ص ٢٨٤ - ٢٨٥ . عن صدر الدين الشيرازي : المبدأ والمعاد .

ومقتضى كلامه هنا اتحاد العلم والمشئنة ، وهو قول واضح البطلان ، حيث قررنا قبل ذلك أن المشئنة محدثة وغير أزلية ^(١).

والبداء في الأمر والنهي : أن يأمر بشيء ، ثم يأمر بخلافه ؛ وهو معنى البداء ، وهذا ما لا ينكره عاقل ^(٢).

التعريف العرفي للبداء عند الشيعة الاثني عشرية : يوجد عدة تعريفات للبداء في العرف ، منها : إبداء شيء ، وإحداثه ، والحكم بوجوده بتقدير حادث ، وتعلق ، وإرادة حادثة ، بحسب الشروط ، والمصالح ، ومن هذا القبيل إيجاد الحوادث اليومية ^(٣) ، لأن القضاء سابق ، والبداء استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم ، وذلك على الله محال غير جائز .

ومنها : ترجيح أحد المتقابلين ، والحكم بوجوده بعد تعلق الإرادة بهما تعلقاً غير حتمي ^(٤)؛ لرجحان مصلحته ، وشروطه على مصلحة الآخر وشروطه ، ومن هذا القبيل إجابة الداعي ، وتحقيق مطالبه ، وتطويل العمر بصلّة الرحم ، وإرادة إبقاء قوم لعلمه ؛ بأنه يخرج من أصلابهم المؤمنون ، بعد إرادة إهلاكهم ؛ لعلمه بأنهم لا يؤمنون ، فرجح بقاؤهم وحكم به ؛ تحقيقاً لمعنى الإيمان .

ومنها : محو ما ثبت وجوده في وقت محدود ، بشروط معلومة ، ومصلحة مخصوصة ، وقطع استمراره بعد انقضاء ذلك الوقت ، والشروط ، والمصالح ، سواء ثبت بدله ؛ لتحقيق الشروط ، والمصالح في إثباته ، أو لا ، ومن هذا القبيل الإحياء ، والإماتة ، والقبض ، والبسط في الأمر التكويني ، ونسخ الأحكام بلا بدل ، أو معه في الأمر التكليفي ، والنسخ أيضاً داخل في البداء ^(٥) .

(١) محمد باقر علم الهدى : البداء آية عظمة الله ص ٢٨٦ .

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢٢ . بدر الدين العاملي : الحاشية على أصول الكافي ص ١١٣ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ هامش ص ٩٢ .

(٤) قال محمد صالح المازندراني : هذا من طغيان القلم ، أو سهو وذهول من القائل ، ولا يجوز على الله إلا الحتم ، ولا يقبل قضاؤه الترديد ، كما أن الندامة عليه محال ، ولم يحصل القطع بعد الترديد . شرح الكافي ج ٤ ص ٣١٤ .

(٥) بحار الأنوار ج ٤ هامش ص ٩٢ - ٩٣ . مصطفى قصير العاملي : البداء والنسخ ص ٥٥ .

ومنها : أن له تعالى أن يبدأ بشيء من خلقه ، فيخلقه قبل شيء ، ثم يعدم ذلك الشيء ، ويبدأ بخلق غيره ، أو يأمر بأمر ، ثم ينهى عن مثله ، أو ينهى عن شيء ، ثم يأمر بمثل ما نهى عنه ، وذلك مثل نسخ الشرايع ، وتحويل القبلة ، وعدة المتوفى عنها زوجها ^(١) . ومن خلال هذه التعاريف يتبين أن هناك خلط بين البداء والنسخ ، ثم هناك خلط بين العلم الإلهي السابق ، وظهور أثر هذا العلم للخلق ! ، ولأن الشيعة لا يقولون بالفراغ من القدر ؛ ظهر هذا التناقض الواضح ، فالأقدار تُغير الأقدار ، وخلط بين القولين السابقين عند المتكلمين في حقيقة البداء .

البداء المحال على الله تعالى ، ومحاولة التوفيق بين المتعارضين عند الشيعة : من الملاحظ في العرض السابق : وجود تعارض حقيقي بين تعريفات البداء ؛ ولهذا حاول بعض الشيعة التوفيق بين المتناقضين ، فقال بعضهم بضرب مثال يوضح المعنى المراد عند الشيعة الإمامية : " إذا خلق زيدا وأماته ، ثم خلق عمراً فهذا بداء ، أي : خلق جديد ، وإذا شب زيد ، ثم شاخ فهذا بداء ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ ^(٢) ، و ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ^(٣) .

وقيل يمكن التوفيق بتقسيم البداء لمعنيين هما :

١ - بداء ندامة أو بداء جهل : وهذا على الله تعالى محال ؛ لأن فيه ظهور حال الشيء بعد خفائه ^(٤) ؛ لقول الصادق : " من زعم أن الله بدا له في شيء بداء ندامة ، فهو عندنا كافر بالله العظيم " ^(٥) ، وهذا يدل على أن الصادق كان يرد على هذه المقالة التي ظهرت في وقته أو قبله ، مما يدل على أن القائلين بها كانوا معاصرين له ؛ فجاء هذا الموقف ليبين

(١) الشيخ الصدوق : التوحيد ص ٣٢٧ . بدر الدين العاملي : الحاشية على أصول الكافي ص ١١١ .

(٢) سورة الرحمن : آية رقم ٢٩ .

(٣) سورة الرعد : آية رقم ٣٩ .

(٤) علي العاملي : الصراط المستقيم ج ١ ص ٤٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٠٨ .

(٥) الصدوق : الاعتقادات ص ٤١ . المازندراني : شرح الكافي ج ٦ ص ٧٨ . بحار الأنوار ج ٤ ص

الاعتقاد الصحيح . ومثله قوله : " من زعم أن الله بدا له في شيء اليوم لم يعلمه أمس فابعدوا منه " ^(١)، وقول أبي عبد الله: إن الله لم يبد له من جهل ^(٢).

٢- بداء خلق : ويعتبر بحسب المصالح ، وهذا من الله جايئ وواقع ، وجاء الحث من الأئمة في أخبار جملة بالحث على اعتقاد البداء بهذا المعنى ^(٣).

تعريف البداء والنسخ في الاصطلاح: لتوضيح حقيقة البداء نأتي بمقدمات لابد منها :
الأولى : اتفقت الشيعة على أنه سبحانه عالم بالحوادث كلها غابرها ، وحاضرها ، ومستقبلها ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ^(٤). **الثانية :** أن الله تعالى لم يفرغ من أمر الخلق ، والإيجاد ، والتدبير ، والتربية فهو سبحانه كل يوم هو في شأن ^(٥) .
الثالثة : النظر في الروايات يُظهر أن مصير العباد يتغير بحسن أفعالهم ، وكذلك بسوء أعمالهم ، فليس للإنسان مصير واحد يصيبه على وجه القطع والبت ، بل المصير يتغير بحسب فعل العبد ^(٦).

فإذا وقفت على هذه المقدمات الثلاث فاعلم أنه يقع الكلام في البداء في مقامين : الأول : البداء في مقام الثبوت : أي تغير المصير بالأعمال الصالحة أو الطالحة . الثاني: البداء في مقام الإثبات : أي الإخبار عن تحقق الشيء علماً بالمقتضى مع خفاء المانع ^(٧).
ويمكن أن يقال أن البداء : استناد المتغيرات ، والتبدلات ، في الأطوار الإيجابية ، والأحكام التكوينية إلى الباري تعالى ، ووقوع التبدل ، لا في القضاء ، ولا في الدهر ، بل في الزمان ، وفي بعض القدر ، من غير لزوم تغير ، وتبدل ، وتلاحق ، وتعاقب ، بالقياس

(١) الصدوق : الاعتقادات ص ٤١ . مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٢٩١ . محمد المازندراني : شرح الكافي ج ٤ ص ٣٣٣ .

(٢) أي : بحسن شيء وقبحه وعدم معرفة مصلحة فيه . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٩٨ . مولى المازندراني : شرح الكافي ج ٤ ص ٣٣٢ - ٣٣٣ . مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٢٩١ .

(٣) علي بن يونس العاملي : الصراط المستقيم ج ١ ص ٤٩ - ٥٠ بتصرف .

(٤) الشيخ جعفر السبحاني : أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم ص ٤٢٨ .

(٥) قال تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ . القمر : ٤٩ . وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾ . الأحزاب : آية ٣٨ .

(٦) الشيخ جعفر السبحاني : أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم ص ٤٣١ .

(٧) المصدر السابق ص ٤٣٩ .

إلى الموجد المكون ^(١) ، لأنه لما كان خافياً علينا ، وكان مقتضى ما علمناه نحن ، أو عرفناه من خلال الدلائل والإشارات السابقة أطلقنا عليه اسم البداء ^(٢).

أما النسخ : رفع الأمر الثابت في الشريعة المقدسة بغيره ، سواء كان ذلك الأمر الثابت من الأحكام التكليفية ، أم كان من الأحكام الوضعية ، وسواء كان من المناصب الإلهية ، أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى من حيث هو المشرع ، لا من حيث هو خالق ومكون سبحانه ^(٣)، وبتعبير أخصر : رفع حكم شرعي بدليل متراخ عنه ^(٤) ، فالدليل الموصوف بأنه ناسخ : هو ما دل على أن مثل الحكم الثابت بالنص الأول ، غير ثابت في المستقبل ، على وجه لولاه لكان ثابتاً بالنص الأول ، مع تراخيه عنه ^(٥).

كيف يصح إطلاق البداء على الله تعالى مع أنه بمعنى الظهور بعد الخفاء؟ عند الشيعة :

وجوه كثيرة ذكرها القوم : **أوجهها وأولها** : أن هذه التسمية من باب المشاكلة ، وهو باب واسع من كلام العرب ، فإن الله سبحانه يعبر عن فعل نفسه في مجالات كثيرة بما يعبر به الناس عن فعل أنفسهم ؛ لأجل المشاكلة الظاهرية ، ولكونه مقتضى المحاورة مع الناس ، مثل : يخادعون الله وهو خادعهم ، ويمكرون ويمكر الله .

الوجه الثاني : إن البداء من حيث المعنى اللغوي ، وإن كان هو الانتقال والتحول من عزم إلى عزم بحصول العلم أو الظن بشيء بعدما لم يكن حاصلًا ، ولكنه إذا أضيفت هذه اللفظة إلى الله - ﷻ - أريد منه ظهور أمر غير مرتقب ، أو حدوث شيء لم يكن في حساب الناس حدوثه ووقوعه ، فالظهور والخفاء بالنسبة إلى الناس ، وإن كان الكل موجود في علم الله بأجمعه ^(٦).

الوجه الثالث : إن إطلاق البداء على الله - ﷻ - بمعنى الإظهار ، لا الظهور ، من باب التجوز ، والاستعارة ، أو المجاز ، فيراد به الظهور للعباد ، أو يكون الإطلاق حقيقياً ،

(١) الشيخ حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ٢٨ .

(٢) مصطفى قصير العاملي : البداء والنسخ ص ١١ .

(٣) المصدر السابق ص ٤٥ .

(٤) ابن النجار : شرح الكوكب المنير ج ٣ ص ٥٢٦ .

(٥) الشريف المرتضى : الذريعة إلى أصول الشريعة ، ط م الإمام الصادق - قم ، ١٤٢٩ هـ - ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٦) جعفر السبحاني : البداء في ضوء الكتاب والسنة ص ٥٧ - ٥٨ بتصرف .

ولكن تجعل اللام بمعنى من ، أي ظهر منه لغيره ما كان خفياً عليه ، وليس المراد تعقيب الرأي ، ووضوح أمر كان خفياً ^(١) .

على ما يطلق الناسخ عند إطلاقه ؟ : الناسخ هو الله تعالى حقيقة ، ويطلق على الطريق المعرفة لارتفاع الحكم من الآية وخبر الرسول -ﷺ- وتقريره ، والاجماع على الحكم ، وعلى من يعتقد نسخ الحكم ، والاتفاق على أن إطلاقه على الأخيرين مجاز ، وإنما الخلاف في الأولين ، فعند المعتزلة : حقيقة في الطريق ، لا فيه تعالى ، وعند الجمهور : حقيقة في الله تعالى مجاز في الطريق ، والنزاع لفظي ، والمنسوخ بالإجماع هو الحكم المتقدم ودليله ^(٢) .

أدلة البداء كما تحكيها الشيعة الاثنا عشرية : عن الرضا قال : " لما أنكرت البداء ؛ والله -ﷻ- يقول : ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ﴾ ^(٣) ، ويقول -ﷻ- : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ ^(٤) ، ويقول -ﷻ- : ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ^(٥) ، ويقول -ﷻ- : ﴿ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ ^(٦) ، ويقول -ﷻ- : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ^(٧) ، ويقول -ﷻ- : ﴿ وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٨) ، ويقول -ﷻ- : ﴿ مَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴾ ^(٩) ، ويقول الله -ﷻ- لنبيه -ﷺ- : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾ ^(١٠) ؛ أراد هلاكهم ، ثم بدا الله -ﷻ-

(١) مصطفى قصير العاملي : البداء والنسخ ص ١٠ - ١١ . جعفر السبحاني : البداء ص ٥٩ .

(٢) ابن النجار : شرح الكوكب المنير ج ٣ ص ٥٢٨ - ٥٢٩ .

(٣) سورة مريم آية رقم ١٦٧ .

(٤) سورة الروم آية رقم ٢٧ .

(٥) سورة البقرة آية رقم ١١٧ .

(٦) سورة فاطر آية رقم ١ .

(٧) سورة السجدة آية رقم ٧ .

(٨) سورة التوبة آية رقم ١٠٦ .

(٩) سورة فاطر آية رقم ١١ .

(١٠) سورة الذاريات آية رقم ٥٤ .

فقال : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) ^(٢).

من أقوال أهل البيت : عن أبي عبد الله: " ما بعث الله نبيا قط ؛ حتى يأخذ عليه ثلاثاً : الإقرار لله بالعبودية ، وخلع الأنداد ، وأن الله يمحو ما يشاء ، ويثبت ما يشاء " ^(٣) ، وما تنبأ نبي قط حتى يقر بخمسة : بالبداء ، والمشئنة ، والسجود ، والعبودية ، والطاعة ^(٤) ، وما عبد الله بشيء مثل البداء ^(٥) . وعن الرضا: " ما بعث الله نبياً قط إلا بتحريم الخمر ، وأن يقر لله بالبداء " ^(٦) ، ومن أنكر البداء له تعالى ؛ فقد نسب العجز إليه ، وأخرجه عن سلطانه ، وعبد إلهاً آخر ، ودان بدين اليهود ^(٧) ، وما عظم الله بشيء بمثل البداء ^(٨) .

وعنه قال : " وهل يمحو إلا ما كان ثابتاً ؟ وهل يثبت إلا ما لم يكن ؟ " ^(٩) ، وعن أبي جعفر أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلاً مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ ^(١٠) ، قال : " هما أجلان : أجل محتوم ، وأجل موقوف " ^(١١) . عن أبي جعفر: " من الأمور أمور موقوفة عند الله يقدم منها ما يشاء ، ويؤخر منها ما يشاء " ^(١٢) ، وأمر غير محتوم حتمها موقوف على مشئنة ، وإرادة حادثة في أوقاتها ، يقدم منها ما يشاء ، ويؤخر منها ما يشاء ؛ فعلم من ذلك تجدد إرادته تعالى في القسم الثاني ، وهو معنى البداء ؛ فعن أبي عبد الله: " المشئنة محدثة " ^(١٣)

(١) سورة الذاريات آية رقم ٥٥.

(٢) الشيخ الصدوق : التوحيد ص ٤٤٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١١٠ ، ١١٦ .

(٣) أصول الكافي ج ١ ص ١٩٧ . الصدوق : الاعتقادات ص ٤٠ . التوحيد ص ٣٢٥ . بحار الأنوار ج ٤ ص ١٠٨ .

(٤) أصول الكافي ج ١ ص ١٩٩ . الصدوق : التوحيد ص ٣٢٥ . بحار الأنوار ج ٤ ص ١٠٨ .

(٥) أصول الكافي ج ١ ص ١٩٧ . الصدوق : التوحيد ص ٣٢٤ . بحار الأنوار ج ٤ ص ١٠٧ .

(٦) أصول الكافي ج ١ ص ١٩٩ . الصدوق : التوحيد ص ٣٢٥ . بحار الأنوار ج ٤ ص ٩٩ .

(٧) مولى محمد صالح المازندراني : شرح أصول الكافي ج ٤ ص ٢٤٠ .

(٨) أصول الكافي ج ١ ص ١٤٦ . الصدوق : التوحيد ص ٣٣٤ . بحار الأنوار ج ٤ ص ١٠٧ .

(٩) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٩٧ . الطوسي : الغيبة ص ٤٣١ . الصدوق : التوحيد ص ٣٢٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٠٨ .

(١٠) سورة الأنعام : آية رقم ٢ .

(١١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٩٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١١٦ .

(١٢) أصول الكافي ج ١ ص ١٩٨ . البحار ج ٤ ص ١١٣ . مستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٢٩٤ .

(١٣) الصدوق : التوحيد ص ٣٢٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٤٤ .

، وفي رواية عن أبي عبد الله : إن الله خلق المشيئة قبل الأشياء ، ثم خلق الأشياء بالمشيئة ^(١) ، وحتى يتعدد الفعل تتعدد المشيئة فعن أبي الحسن: إن لله مشيئتين ، وإرادتين ^(٢) ، نعوذ بالله تعالى .

وعن أبي عبد الله: " ما بدا لله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له " ^(٣) ، والسؤال : كيف يكون في علمه ثم يبدو له ؟ .

نقد هذه الأدلة : هذه النصوص كما هو ظاهر أثبتت مرتبتين من مراتب القضاء والقدر وهما : العلم والكتابة ، ونفت مرتبتين وهما : المشيئة وخلق أفعال العباد وهذا يعني أن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد ؛ لاقتضائه الجبر عندهم حيث جعلوا الاختيار المطلق للعبد ، وهذا ينافي المشيئة المسبقة ، بل قالوا : إن الله -عز وجل- يريد الخير ، ولا يريد الشر ^(٤) ، وهذا فيه تجني على صفة المشيئة حيث صرح المفيد : " إن الله تعالى لا يريد إلا ما حسن من الأفعال ، ولا يشاء إلا الجميل من الأعمال ، ولا يريد القبائح ، ولا يشاء الفواحش " ^(٥) . وأظن أن هذا من تأثرهم بعقائد المجوس القائلين بوجود إلهين فاعل للخير وهو النور المسمى (اهورامزدا) وفاعل للشر وهو المسمى (واهرمن) ، كما أن لهم شبه بعقيدة النصاري الذين يقولون : إن الله لم يشأ الشر ولا يجبر الناس على فعل الخير وهذه محاولة من بعض المتكلمين الذين يحاولون أن يفسروا القدر بمعنى يوافق اختيار الإنسان وحرية في أفعاله حتى يمكن تبرير الثواب والعقاب في الدار الآخرة تبريراً تاماً ؛ وهذا تحت تأثير اللاهوت المسيحي في الشرق بطريقة غير مباشرة ^(٦) .

حكم الاعتقاد بالبداء عند الشيعة الاثني عشرية : يناور كثير منهم فيقول متقياً : دل العقل على تنزيه الله تعالى عن وصمة الحدوث والتغير ، وأنه تقدست أسماؤه أعلى من أن يقع معرضاً للحوادث والتغيرات ؛ ومن أجل ذلك ذهبوا إلى امتناع البداء على الله - بمعنى الظهور بعد الخفاء ، والعلم بعد الجهل - ؛ لاستلزامه كون ذاته محلاً للتغير والتبدل ،

(١) الصدوق : التوحيد ص ٣٣٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٤٥ .

(٢) الصدوق : التوحيد ص ٣٣١ .

(٣) الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ١٩٨ . الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٢٩١ .

(٤) د بسمه بنت أحمد بن محمد جستنية : أثر الديانات الوثنية في عقيدة الرافضة ص ٣٩٣ .

(٥) المفيد : تصحيح اعتقادات الإمامية ص ٥٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥ ص ٩١ .

(٦) د بسمه جستنية : أثر الديانات الوثنية في عقيدة الرافضة ص ٣٩٣ - ٣٩٧ نقلاً عن عدة مصادر .

المستلزم للتركيب والحدوث^(١) . فالله سبحانه لا يجوز عليه البداء بالرجوع عما أراده ، ولا المنع من مراده ، ولا يتعذر عليه شيء ، مع كثرة إرادته من أفعاله^(٢) ، ويتناقض مع نفسه^(٣) . وكل من وجدنا له قولاً ممن يعتبر قوله من العلماء ، واطلعنا على رأيه في الآراء نفى البداء عن الله تعالى^(٤) .

وبعضهم قال : إذا التزمنا القول بالبداء لابد من التأويل، وبعضهم: أوجب التلفظ بالبداء ظاهراً تأديباً، لا الاعتقاد بمعناه تعبداً^(٥) ، وجماهير علماء الشيعة يتبرأون من هذا الاعتقاد ؛ لاستلزامه حدوث علم الله تعالى^(٦) .

المبحث الثاني

أهمية البداء داخل المعتقد الشيعي وفائدته

أهمية البداء: يظهر من الأدلة تقديس الشيعة للبداء ، فجعلوا معرفة البداء من أهم المعارف الألهمية وأشرفها ، بحيث إن الله تعالى ما كان ليبعث نبياً إلا بعد الإقرار بالبداء له ، وأنه تعالى يحو ما يشاء ويثبت .

والظاهر أن الوجه في أهمية الاعتقاد به عندهم أنه يرجع بسعة علم الله تعالى ، قدرته ، ومالكيته ، فعدم الاعتقاد به يوجب الخلل في المعرفة ، إما في علمه تعالى ، والذهاب إلى أن الله تعالى خلق ما علم ، وما لم يخلقه إنما لم يخلقه لجهله به ، وإما من جهة قدرته تعالى على أن يفعل ما يريد ، وإما من جهة التشكيك في سعة مالكية الله تعالى ؛ ولذا

(١) الشيخ جعفر السبحاني : أضواء على عقائد الشيعة الإمامية ص ٤٣٠ .

(٢) الشيخ الطوسي : التبيان ج ٦ ص ٧٠ .

(٣) ثم يفجأنا مخاطباً ربه قائلاً: "منك المشيئة، وإليك البداء . الطوسي : مصباح المتجهد ص ٧٣ .

(٤) نقل محمد المازندراني نفى اعتقاد البداء في حق الله تعالى عن الطوسي، والمجلسي، والمرتضى، والمطهر الحلي. شرح الكافي ج ٤ ص ٣١٢ .

(٥) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ٤ ص ٣١٣ .

(٦) السيد محمد سلطان كلاتر : البداء عند الشيعة الإمامية ص ١٩ .

يكون إنكار البداء إنكار ركن أصيل من أركان المعرفة^(١) ؛ ولأن إنكار البداء يشترك مع القول : بأن الله غير قادر على أن يغير ما جرى عليه قلم التقدير^(٢) .

نقد هذا القول من كتبهم : من الشيعة من يهون من قيمة البداء؛ فيقول: البداء لا يستحق هذه العناية والتهويل الذي اهتم به المتأخرون ، واستوعروا مسلكه ، واستصعبوا حله ، ولست أرى فيه شيئا أوجب هذا الاستعصال ، وفهم وجه عنايتهم عندي أشكل من المسألة ، وما أدري سبب هذه العناية التامة العجيبة ؛ فهو مثل نسبة الرضا^(٣)، والغضب^(٤)، والكره^(٥)، والحب^(٦)، والحزن^(٧)،

والأسف^(٨) ، ويجب تأويله بوجه صحيح يمكن نسبته إلى الله -ﷻ-، وحينئذ - مدعياً - فالخلاف في البداء لفظي ، نظير أن يختلفوا في أن الله تعالى يغضب أو لا ، فمن نفاه فمراده نفي حقيقته ، ومن أثبته لابد أن يؤوله ؛ فالصحيح : أن يقال لا بداء كما لا غضب ، ولا رضاء ، وليس له تعالى يد^(٩)، ولا رجل^(١٠)، ولا عين^(١١)^(١٢).

(١) الشيخ محمد باقر علم الهدى : البداء آية عظمة الله ص ٩.

(٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ هامش ص ١٩٦ . محمد علم الهدى : البداء آية عظمة الله ص ٢٧٢.

(٣) قال تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ . سورة الفتح : ١٨ .

(٤) قال تعالى عن القاتل عمداً : ﴿ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾ . سورة النساء : ٩٣ .

(٥) قال تعالى عن المنافقين : ﴿ وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ ﴾ . سورة التوبة : ٤٦ .

(٦) قال تعالى عن المؤمنين : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ . سورة المائدة : ٥٤ .

(٧) لم أجد ما يدل على نسبة الحزن لله تعالى .

(٨) قال تعالى عن قوم فرعون : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾ . سورة الزخرف : ٥٥ .

(٩) قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾ . آل عمران : ٧٣ . وقال تعالى : ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ . الفتح

: ١٠ .

(١٠) في الحديث : " فَأَمَّا النَّارُ، فَلَا تَمْتَلِي حَتَّى يَضَعَ اللَّهُ فِيهَا رِجْلَهُ، فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ. البغوي: شرح

السنة ج ١ ص ٢٥٧ .

(١١) قال تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴾ . القمر : ١٤ ، ﴿ وَلِئَضْمَعُ عَلَى عَيْنِي ﴾ . سورة طه

: ٣٩ .

(١٢) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ٤ ص ٣١٣ .

ويرد عليهم الصادق: "ما عظم الله بمثل البداء" (١).

ومنهم من حاول التنزيه فوق في الاتحاد والحلول : فيقول : إذا اتصلت نفس النبي أو الولي بعلوم الله - ﷻ - التي نقشت في قلوب الملائكة ، والنفوس الكلية (٢) ، والقوى المنطبعة الفلكية (٣) ، وقرأوا فيها ما أوحى الله به إليهم ، وكتب في قلوبهم ، فلنبي أو الولي أن يخبر بما رآه بعين قلبه ، أو شاهده بنور بصيرته ، أو سمع بأذن قلبه ، من صرير أقلام أولئك الكرام ، كما رأى إبراهيم عليه السلام - -- أنه ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام - -- فإذا أخبر به الناس أو أراد أن يعمل بمقتضاه ، كان قوله حقاً ، وصدقاً ، وعمله مرضياً عند الله ؛ لأنه عن شهود كسفي ، لا كقول المنجم ، أو الكاهن ، فقولهما عن تجربة ناقصة . ثم إذا اتصلت نفسه بها تارة أخرى ، ورأى في تلك الألواح غير ما رآه أولاً ، وغير ما ناسبته الصور السابقة ، فيقال لهذا الأمر نسخ أو بداء (٤) .

(١) وإنما لم يعبد الله ، ولم يعظم بشيء مثل البداء : لأن مدار استجابة الدعاء ، والرغبة إليه سبحانه ، والرغبة منه ، وتفويض الأمر إليه ، والتعلق بين الخوف والرجاء ، وأمثال ذلك من أركان العبودية على البداء . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٩٧ .

(٢) هم الخلق الثاني لله حسب قوس النزول : النفوس الكلية المتعلقة بأبدان الأنبياء ، والأولياء ، والمرضىين من عباد الله الصالحين ، وعلومهم ليست دفعية ، بل تدريجية سواء كانت اكتسابية ، أم عن طريق الإحياء ، ولذا لا يكونون محيطين بالزمان ، والمكان ؛ لتعلقهم بالأبدان ، فلا يعلمون إلا مقتضيات الوقتية ، إلا من شملته العناية الإلهية ، واتصلت نفسه المقدسة بالملأ الأعلى ؛ فتفاض عليها صور المعقولات والحوادث كلها ، وبما أنها تدريجية العلم : يمكن أن تنتقش في ذهنهم صورة الحادث بواسطة شهود مقتضيات من دون التفات إلى موانع الحادث ، أو إلى شروط تلك مقتضيات ، ويكون غافلاً عن وجود المانع ، أو عن عدم الشرط ؛ فيحكم بوجود مقتضي ، ثم يبدو له عدم تحقق شرط ، أو وجود مانع . السيد كلانتر : البداء عند الشيعة الإمامية ص ٦١ - ٦٢ .

(٣) هم عباد روحانيون ، وهم من حيث المرتبة متوسطين بين العقول المحضة ، والأجسام ، ومع ذلك فهم مرايا لفعل الحق ، فتكون أفعالهم فعل الحق ، وأقوالهم قول الحق ، وإرادتهم مستهلكة في إرادة الحق ، ومثال طاعتهم لله كمثال طاعة الحواس للنفس العقلية ، فكما لا تحتاج النفس إلى أمر الحواس ، كذلك لا تحتاج إلى أمر العباد الروحانيين ، وهم لا يستطيعون خلافاً ولا تمرداً ، فتكون أفعالهم - كذواتهم - أفعال الحق ، كما أن الجوارح أفعال فعل الناطقة . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٩ . الشيخ محمد باقر علم الهدى : البداء آية عظمة الله ص ٣٠٠ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٨ . محمد علم الهدى : البداء آية عظمة الله ص ٢٩٧ .

وقد يضطرون إلى نسبة البداء إلى بعض مخلوقات الله تعالى من الملائكة ، والنفوس الكلية ؛ كما جاء عن جعفر الصادق: إن الله تعالى لا يأسف كأسفنا ، ولكنه خلق أولياء لنفسه ، مخلوقون ، مربوبون ، فجعل رضاهم رضا نفسه ^(١)، وسخطهم سخط نفسه ، وهكذا الرضا والغضب مما يشاكل ذلك ^(٢).

ومرة ينسبونه إلى العباد فيقول أحدهم : فالحوادث التي تحدث في هذا العالم الجسماني ، وتسند إلى الله تعالى ، كلها من قبيل الوصف بحال متعلق الموصوف ، مع أن كل ما يجري في هذا العالم الملكوتي يكون بإرادة الله تعالى ؛ لذا تنسب الأفعال الصادرة منا في الخارج إلى الله تعالى ، فالإسناد إليه تعالى مجازي ، وعلى ضوء هذا : يظهر لك أن إيجاد أمر من الله تعالى في الخارج لا يكون مانعاً من وجود حادث آخر ، أو من بقاءه وإبقائه ، وليس هذا تبديل في الرأي ، أو تجديد عزم ، أو إظهار ندم من إيجاد شيء أو إبقائه ؛ لأن بقاءه كان معلقاً على بقاء ذلك الأمر ، فالتجدد، والتبدل ، والتغير المحسوس في هذا العالم الجسماني ، في الحقيقة يكون في أفعالنا ، لا في علم الله تعالى الذي هو عين ذاته المقدسة ^(٣).

ومرة ينسبونه إلى بعض الملائكة : وهم العقول القادسة ^(٤)، وبعض خلقه كالنفوس ، فهذه المخلوقات يعلمون بتعليم الله ما سيقع على ما هو عليه ، ويعلمون الأسباب المؤدية إلى شيء من غير أن يطلعوا على ما يتفق مما نعتة لها ، فيظهر ما يقع على خلاف ما علموا مثل حديث : إن الله أعظم، وأجل ، وأعز ، وأمنع من أن يظلم ، ولكن خلطنا بنفسه فجعل ظلمنا ظلمه ^(٥).

فالعلم الإلهي له مرتبتان : علم ذاتي بالأشياء قبل وجودها ، والعلم الفعلي بالأشياء مع الإيجاد ، وبعد الإيجاد ، فالعلم الذاتي هو عين ذاته المقدسة ، وهو غير متناه ، ثابت ،

(١) كيف سوغت له نفسه أن ينسب تصورات الملائكة والنفوس المتوسطة إلى الله تعالى ؟ أليس في ذلك تنزيل للحق القويم عن قدسه وعلوه ، وجعله في عداد المخلوقين التي قد تتصور . محمد علم الهدى : البداء آية عظمة الله ص ٣٠٤ .

(٢) مولى المازندراني : شرح الكافي ج ٤ ص ٣١٣ . محمد علم الهدى : البداء ص ٢٩٩ .

(٣) حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ١٧ - ١٨ بتصرف . محمد سلطان : البداء ص ٦٥ - ٦٦ .

(٤) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ٤ هامش ص ١٨٠ .

(٥) المصدر السابق ج ٤ ص ٣١٣ .

بسيط ، لا يتغير ، تنطبق عليه جميع ما للذات من صفات ، بينما العلم الفعلي عين الفعل ، وهو غير ذاته سبحانه ، وهو متناه ؛ لأن الفعل متناه ، وهو متغير ، حادث ، تنطبق عليه جميع أحكام الفعل ، وقد أشار القرآن الكريم لهذين النحويين من العلم الإلهي بالأشياء ، وإن لم يرد التمييز بينهما من خلال اصطلاح الذاتي والفعلي ، فمثال العلم الذاتي قوله - ﷺ : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(١) ، ومثال الفعلي قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَعْلَمَ أَى الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ ^(٢) ، وعليه فإن المراد بالعلم هنا هو العلم الفعلي ^(٣) . وحتى لا ينسب التركيب والحدوث لله - ﷻ - نسب البداء للعقول القادسة ؛ لاستحالة حصول الصور والمقادير في ذاته تعالى ، ولامتناع استفاضتها من الغير ، والعقول القادسة وهم الملائكة - وإن لم يكن علمهم متأخر عن الجهل بالتأخر الزماني - لكن كان متأخرا بالتأخر الذاتي ؛ لأنهم في مرتبة ذاتهم غير عالمين ؛ لكون علومهم زائدة على ذواتهم ، وإنما أخذوا علومهم من الفيض على الإطلاق ، حتى النبي والأنمة فلم يكن علمهم من ذواتهم ؛ لأن علمهم بتعليم الله لهم ، ولأن علمهم ليس عين ذاتهم ، فعدم علمهم مقدم على علمهم ، لأن عدم علمهم ذاتي ، وعلمهم مقتبس ^(٤) .

فالذي يستحيل فيه التغيير والتبديل إنما هو ذات الله ، وصفاته ، وعالم أمره ، وقضائه السابق ، وعلمه الأزلي ، أما هذه الألواح القدسية ، وأقلامها الناقشة لصورها ، فهي التي وصفها الله سبحانه بالتردد ، وبالاقتلاء ، والملك الموكل بهذا التصوير ، الكاتب لهذه الأرقام الإلهية القدسية ملك كريم ، والله سبحانه هو المملي عليه ، على وجه يليق بعنايته المبرأة عن التغيير والحدوث ، ولو لم يكن الأمر كذلك ، لكانت الأمور كلها حتماً مقضياً ، فلا يتجدد متكون ، وكان الفيض الإلهي مقصوراً على عدد معين ، غير متجاوز حدود الابداع ^(٥) .

نقد هذه التأويلات برواية الرضا: " لقد أخبرني أبي عن آبائه عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - قال : " إن الله - ﷻ - أوحى إلى نبي من أنبيائه : أن أخبر فلاناً الملك

(١) سورة البقرة : آية رقم ٢٣١ .

(٢) سورة الكهف : آية رقم ١٢ .

(٣) كمال الحيدري : بحوث عقائدية (مراتب العلم الإلهي وكيفية وقوع البداء فيه) ص ٥ - ٧ .

(٤) المصدر السابق ج ٤ ص ١٨٣ - ١٨٤ بتصرف .

(٥) الشيخ محمد باقر علم الهدى : البداء آية عظمة الله ص ٢٩٦ بتصرف .

أنّي متوفيك إلى كذا وكذا ، فأتاه فأخبره ؛ فدعا الملك الله -ﷻ- وهو على سريرهِ حتى سقط من السرير ، وقال : يا رب أجلني حتى يشب طفلي ، وأقضى أمري ، فأوحى الله -ﷻ- إلى ذلك النبي : أن انت فلاناً الملك ، فاعلم أني قد أنسيت في أجله ، وزدت في عمره إلى خمس عشرة سنة ؛ فقال ذلك النبي: يا رب إنك تعلم أني لم أكذب قط ، فأوحى الله إليه : إنما أنت عبدٌ مأمور ، فأبلغه ذلك ، والله لا يسأل عما يفعل ^(١) .

فائدة البداء عند الشيعة الاثني عشرية :

- ١- تكمن فائدة البداء عنهم في الاعتراف الصريح بأن العالم بأجمعه تحت سلطان الله ، وقدرته في حدوثه وبقائه ، وأن إرادة الله نافذة في الأشياء أزلاً وأبداً .
- ٢- في القول بالبداء يتضح الفارق بين العلم الإلهي ، وبين علم المخلوقين ، فعلم المخلوقين - وإن كانوا أنبياء أو أوصياء - لا يحيط بما أحاط به علم الله تعالى إلا حيث يخبره الله تعالى به على نحو الحتم ^(٢)، فالبداء أسلوب من أساليب تعظيم الله تعالى ^(٣).
- ٣- هناك أثر تربوي يبعث الرجاء في قلوب المؤمنين ، فالاعتقاد بالبداء يضاهي الاعتقاد بقبول التوبة، والشفاعة ، وتكفير الصغائر باجتنب الكبائر ^(٤)، فإن الإنسان قادرٌ على تغيير مصيره بالأعمال الصالحة ، والطالحة ^(٥).
- ٤- كذلك فإن القول بالبداء : عبادة لله تعالى ^(٦) توجب انقطاع العبد إلى الله ، وطلبه إجابة دعائه منه ، وكفاية مهماته ، وتوفيقه للطاعة ، وإبعاده عن المعصية ،

(١) النبي: حزقيل . الصدوق : عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٦١ . بحار الأنوار ج ٤ ص ٩٥ .
 (٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ هامش ص ١٩٥ - ١٩٦ . بنحوه محمد علم الهدى : البداء ص ١٣ .
 (٣) حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ٧٧ . مصطفى قصير العاملي : البداء والنسخ ص ٢٩ - ٣٠ .
 (٤) محمد علم الهدى : البداء ص ٢٧٠ - ٢٧١ . حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ٩٥ .
 (٥) الشيخ جعفر السبحاني : محاضرات في الإلهيات ، نشر مؤسسة الإمام الصادق - قم ، دت ص ٢٢٩ .

(٦) حسن عبد الساتر : نظرية البداء محاولة جديدة لفهمها ص ٧٧ .

فإن إنكار البداء يلزمه يأس المعتقد بهذه العقيدة عن إجابة دعائه (١).

٥- امتحان نفس العبد وتوطئتها كما في قصة إبراهيم - عليه السلام - حين أمر بذبح ابنه (٢).

٦- دفعاً لمقولة اليهود : يد الله مغلولة ، واثبات حرية إرادته تعالى ، فله أن يتصرف في ملكه كيف يشاء ، فلا يكون فارغاً معطلاً ، كل يوم هو في شأن سبحانه (٣).

٧- أن يظهر للملائكة الكاتبين في اللوح ، والمطلعين عليه لطفه تعالى بعباده ، وإيصالهم في الدنيا إلى ما يستحقونه ؛ فيزدادوا به معرفة (٤) .

٨- أن البداء قد فرض من الأسس والأركان التي أخذت عن الأنبياء حينما أرسلوا (٥) حتى يعلم من إخبار الرسل والحجج أن لأعمالهم الحسنة مثل هذه التأثيرات في صلاح أمورهم ، ولأعمالهم السيئة تأثيراً في فسادهم ؛ فيكون صارفاً لهم عن السيئات ، داعياً لهم إلى الخيرات .

٩- إذا أخبر الرسل والأوصياء - أحياناً - من كتاب المحو والاثبات ، ثم أخبروا بخلافه يلزمهم الإذعان به، ويكون ذلك تشديداً للتكليف عليهم ، وسبباً في مزيد الأجر لهم ، وبهذا يمتاز المؤمنون الذين فازوا بدرجات اليقين ، عن الضعفاء غير الراسخين .

١٠- أن تكون هذه الأخبار تسلية من المؤمنين المنتظرين لفرج أولياء الله ، وغلبة الحق وأهله، حيث أخبر الأئمة بتعجيل الفرج ، رغم طول الأمد تسلية لشيعتهم ؛ ليثبتوا ؛ فقالوا للناس : ما أسرعه ، وما أقربيه تأليفاً لقلوب الناس ، وتقريباً للفرج .

(١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٩٥ - ١٩٦ . محمد علم الهدى : البداء ص ٢٧١ - ٢٧٢ . مصطفى قصير العاملي : البداء والنسخ ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) حسن عبد الساتر: نظرية البداء ص ٩ - ١٠ . بتصرف . مصطفى العاملي : البداء والنسخ ص ٣٣ .

(٣) حسن عبد الساتر: نظرية البداء ص ٩ - ١٠ . بتصرف . مصطفى العاملي : البداء والنسخ ص ٣٣ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٣١ - ١٣٣ باختصار .

(٥) حسن عبد الساتر : نظرية البداء محاولة جديدة لفهمها ص ٧٨ .

١١- الإيمان بالبداة من أعظم العبادات القلبية ؛ لصعوبته ، ومعارضته الوسواس الشيطانية فيه ، ولكونه إقراراً بأن له الخلق والأمر ، وهذا كمال التوحيد ^(١) ، وفيه من الأجر والثواب ما يعلمه إلا الله ^(٢).

كيف يمكن معرفة البداة مع كونه في علم الله تعالى ولا اطلاع للعبد عليه ؟ يمكن معرفة البداة عبر أمرين:

١- رؤية آثار التقدير الأول ثم رؤية التقدير الثاني ، كما حصل لقوم يونس - صلى الله عليه وآله وسلم- حيث رأوا آثار العذاب ، ثم أدركتهم الرحمة الإلهية ^(٣) ، ومثل عمل الصالحات التي تؤثر في التقديرات الإلهية ، فنرى أثر التقدير الأول في اقتراب البلاء ، إلا أن يحجبه عنا التقدير الثاني ، فنشكر الله تعالى على رفعه البلاء .

٢- أخبار الأنبياء والأولياء بإمكان التغيير في التقديرات ، فقد يغير الله ما يقوم إذا غيروا ما بأنفسهم ^(٤).

البداة عند الشيعة يكون في ليلة القدر من كل عام :

عن أبي عبد الله: " في ليلة تسع عشرة يلتقي الجمعان ^(٥)، يجمع الله فيها ما أراد من تقديمه ، وتأخير ، وإرادته ، وقضائه ^(٦)، ويكون له فيه البداة ، فإذا كان ليلة ثلاث وعشرين أمضاه ، فيكون من المحتوم الذي لا يبدو له فيه ^(٧) ، وأمر عنده موقوف له فيه المشيئة ^(٨) . فيميز الله سبحانه للإمام في ليلة القدر بين الأمور الحتمية ، والأمور التي

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٣١ - ١٣٣ باختصار .

(٢) حسن عبد الساتر : نظرية البداة محاولة جديدة لفهمها ص ٧٨ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١١٦ .

(٤) الشيخ محمد باقر علم الهدى : البداة آية عظمة الله ص ١٤ .

(٥) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٣٥٧ . الطبرسي: مستدرك الوسائل ج ٧ ص ٤٧١ .

(٦) عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٦١ - ١٦٢ . بحار الأنوار ج ٤ ص ٩٩ - ١٠٠ . الحقائق الناضرة ج ١٣ ص ٤٤٢ .

(٧) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٣٥٧ . البحراني: الحقائق الناضرة ج ١٣ ص ٤٤٢ .

(٨) الطبرسي : مجمع البيان ج ٦ ص ٣٧ . البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٣ ص ٤٥٠ .

تحتمل البداء ؛ ليخبر بالأمور الأولى حتماً ، وبالأمور الثانية على وجه إن ظهر خلافه لا ينسب إلى الكذب^(١).

أي يجمع الله بين طرفي كل حكم بالايقاع ، واللا إيقاع ، فالتقدير في ليلة تسع عشرة ، والإبرام في ليلة إحدى وعشرين ، والإمضاء في ليلة ثلاث وعشرين ، فالتقدير المذكور في هذين الخبرين : عبارة عن استحضاره بكميته ، وكيفيته ، مع عدم الترجيح بين ما في الوجود والعدم وهي المرتبة الأولى ، والمرتبة الثانية التي تقع في ليلة إحدى وعشرين ترجيح أحد الطرفين ، وهو المعبر عنها في الخبرين بالإبرام ، وفي ثانيهما بالإمضاء ، والمرتبة الثالثة في ليلة ثلاث وعشرين وهي الأمضاء والإبرام الحقيقي الذي لا يدخله البداء^(٢).

والبداء في ليلة القدر معناه : " يقدم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء من الآجال ، والأرزاق ، والبلايا ، والأعراض ، والأمراض ، ويزيد فيها ما يشاء ، وينقص ما يشاء ، ويلقيه رسول الله -ﷺ- إلى علي -ﷺ- ، ويلقيه أمير المؤمنين إلى الأئمة حتى ينتهي ذلك إلى صاحب الزمان ويشترط له في البداء ، والمشينة ، والتقديم ، والتأخير^(٣) .

أنواع العلوم التي يتضمنها علم الله تعالى : إن جميع الأمور معلومة عند ذاته المقدسة ، والمعلوم عنده قسمان : قسم في اللوح المحفوظ ، وهذا لا يقع فيه تغيير ولا تبديل ، وقسم في لوح المحو والاثبات^(٤) ، وهو قابل للتغيير والتبديل^(٥).

ما الذي يدخل فيه البداء : قسم بعض مفسريهم القضاء الإلهي إلى ثلاثة أقسام :

الأول : قضاء الله تعالى الذي لم يطلع عليه أحداً من خلقه ، والعلم المخزون الذي استأثر بعلمه لنفسه ، ولا ريب في أن البداء لا يقع في هذا القسم ، بل ورد روايات كثيرة عن أهل

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٩٩ .

(٢) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٣ ص ٤٥١ بتصرف يسير .

(٣) بدر الدين العاملي : الحاشية على أصول الكافي ص ١٧٢ . بحار الأنوار ج ٤ ص ١٠١ .

(٤) يظهر من الأخبار المنقولة عن الأئمة : أن قلوب المعصومين الأربعة عشر هي لوح المحو والاثبات .

محمد علم الهدى : البداء ص ٣٠٥ .

(٥) الشيخ محمد باقر علم الهدى : البداء آية عظمة الله ص ٢٧٥ .

البيت أن البداء إنما ينشأ من هذا العلم ، قال أبو جعفر: العلم علمان : فعلم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه^(١).

الثاني : قضاء الله الذي أخبر نبيه وملائكته أنه سيقع حتماً ، ولا ريب في أن هذا القسم أيضاً لا يقع في البداء أيضاً ، وإن اُفترق عن القسم الأول : بأن البداء لا ينشأ منه ، قال أبو جعفر: وعلم علمه ملائكته ورسله ، فما علمه ملائكته ورسله فإنه سيكون ، لا يكذب الله نفسه ، ولا ملائكته ، ولا رسله^(٢).

الثالث : قضاء الله الذي أخبر نبيه وملائكته بوقوعه في الخارج إلا أنه موقوف على أن لا تتعلق مشيئة الله بخلافه ، وهذا القسم هو الذي يقع فيه البداء ، قال أبو جعفر: وعلم عنده مخزون يقدم منه ما يشاء ، ويؤخر منه ما يشاء ، ويثبت ما يشاء ، فهي أمور موقوفة عند الله ، يقدم منها ما يشاء ، ويؤخر منها ما يشاء^(٣).

ويقع علم تلك الأمور عند مدبرات الأمور من الملائكة وغيرهم ، فيخبرون عنها مع جهلهم بالتوقف ، أو سكوتهم عنه مع العلم كما سكت عنه الله تعالى^(٤).

فالقضاء الحتمي الذي يعبر عنه باللوح المحفوظ ، وبألم الكتاب ، والعلم المخزون عند الله تعالى ، يستحيل أن يقع البداء فيه ، وإنما يكون البداء في القضاء الموقوف المعبر عنه بلوح المحو والاثبات^{(٥)(٦)}.

عن العالم: "لله - عز وجل - البداء فيما علم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء"^(٧).

(١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٩٥ . محمد علم الهدى: البداء ص ٢٦٥ - ٢٦٦ . مصطفى العاملي : البداء والنسخ ص ٣٤ - ٣٥ .

(٢) الكليني:أصول الكافي ج ١ ص ١٩٨ . محمد علم الهدى : البداء ص ٢٦٦ . مصطفى العاملي : البداء والنسخ ص ٣٦ .

(٣) الكليني:أصول الكافي ج ١ ص ١٩٨ . محمد علم الهدى : البداء ص ٢٦٧ . مصطفى العاملي : البداء والنسخ ص ٣٧ .

(٤) الصدوق : التوحيد هامش ص ٣٢٤ .

(٥) قلوب المعصومين الأربعة عشر هي لوح المحو والاثبات. محمد باقر علم الهدى : البداء ص ٣٠٥ .

(٦) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٩٨ . محمد علم الهدى : البداء ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

(٧) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٤٩ . الحسن الحلي : مختصر بصائر الدرجات ص ١٤٢ .

ويدخل البداء في كل قدر للإنسان عن أبي جعفر قال : إن الله -ﷻ- إذا أراد أن يخلق النطفة التي مما أخذ عليها الميثاق في صلب آدم -ﷺ-، أي بشراً تاماً ، أو ما يبدو له فيه - أي سقطاً- حرك الرجل للجماع ، ثم يبعث الله ملكين خلّاقين في الأرحام ما يشاء ، فيقتحمان بطن المرأة من فم المرأة ، فيصلان إلى رحم المرأة ، وفيها الروح القديمة المنقولة في أصلاب الرجال ، وأرحام النساء ، فينفخان فيها روح الحياة والبقاء ، ثم يوحى الله إلى الملكين : اكتباً عليه قضائي ، وقدري ، ونافذ أمري ، واشترطاً لي البداء فيما تكتبان... فربما عتّى ؛ فانقلب ، ولا يكون ذلك إلا في كل عات ، أو مارد ^(١).

بل إن " نسخ الشرايع ، والأحكام بشرية نبينا محمد -ﷺ- من البداء ، ونسخ الكتب بالقرآن من ذلك " ^(٢)؛ فعن أبي عبد الله أنه سئل عن قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ^(٣)، فقال : " كان الناس قبل نوح أمة ضلال ، فبدا لله ؛ فبعث المرسلين ، وليس كما يقولون: لم يزل ، وكذبوا " ^(٤).

فإرسال الرسل ونسخ الشرائع ، والأحكام بشرية نبينا محمد -ﷺ-، ونسخ الكتب بالقرآن من ذلك ^(٥).

وعن أبي عبد الله كانت الأرض ، وليس فيها رسول ، ولا نبي ، ولا حجة ، وذلك بين آدم ، ونوح في الفترة . ولو سألت هؤلاء عن هذا ؛ لقالوا : لن تخلق الأرض من حجة ، وكذبوا ؛ إنما ذلك شيء بدا الله -ﷻ- فيه ، فبعث الله النبيين مبشرين ، ومنذرين ، وقد كان بين عيسى -ﷺ- ومحمد -ﷺ- فترة من الزمان ، ولم يكن في الأرض نبي ، ولا رسول ، ولا عالم ، فبعث الله محمداً -ﷺ- بشيراً ، ونذيراً ، وداعياً إلى الله ^(٦) ؛ مع أنهم يقولون : لا تخلق الأرض من حجة!

(١) الكليني : أصول الكافي ج ٦ ص ١٤-١٥ بتصرف . بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٣٤٤-٣٤٥.

(٢) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ٤١.

(٣) سورة البقرة : آية رقم ٢١٣.

(٤) ليس كما يقولون : إن الله تعالى قدر الأمر في الأزل وقد فرغ منها فلا يتغير تقديراته تعالى " بل بدا

لله فيما كتب في لوح المحو والإثبات . تعليق علي أكبر غفاري الكليني : أصول الكافي ج ٨ ص ٨٢.

(٥) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ٤٠.

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ هامش ص ١٢٥.

بل توسعوا فقالوا : إن خلق الإنس والجن من البدء ، فقد سأل رجلٌ أبا عبد الله: إن الناس يزعمون أن الدنيا عمرها سبعة آلاف سنة ، فقال : ليس كما يقولون . إن الله خلق لها خمسين ألف عام ، فتركها قاعاً ، قفراً ، خاوية عشرة آلاف عام ، ثم بدا لله بداءٌ ؛ فخلق فيها خلقاً ليس من الجن ، ولا من الملائكة ، ولا من الإنس ، وقدر لهم عشرة آلاف عام ، فلما قربت آجالهم أفسدوا فيها ، فدمر الله عليهم تدميراً ، ثم تركها قاعاً ، قفراً ، خاوية عشرة آلاف عام ، ثم خلق فيها الجن ، وقدر لهم عشرة آلاف عام فيها ، فلما قربت آجالهم أفسدوا فيها ، وسفكوا الدماء ، وهو قول الملائكة : أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، كما سفكت بنو الجان ؛ فأهلكهم الله ، ثم بدا لله ؛ فخلق آدم ، وقرر له عشرة آلاف عام ، وقد مضى من ذلك سبعة آلاف ، ومائتان ، وأنتم في آخر الزمان ^(١) .

ومن هنا ظهر التناقض في أقوالهم في عقيدة يعتقدون أن الله لا يعظم ولا يعلم قدرته ولا إرادته إلا بها ، وعلى ذلك كيف يطلبون منا أن نؤمن بعقيدة مختلفة عن اعتقادنا في قدر الله وقضائه ، وعندنا والحمد لله من الاعتقاد بقضاء الله وقدره ما تطمئن إليه نفوسنا ، وتنشرح به صدورنا والحمد لله .

المبحث الثالث

شروط البداء

أولاً : البداء له شروط أربعة : أحدها : أن يكون الفعل المأمور به واحداً . **وثانيها :** أن يكون الوجه واحداً . **وثالثها :** أن يكون الوقت واحداً . **ورابعها :** أن يكون المكلف واحداً ^(٢) .

شروط النسخ :

- ١ - أن يكون الناسخ والمنسوخ دليلين شرعيين ، لا عقليين ، ولا أحدهما .
- ٢ - أن يكون المراد بالناسخ غير المراد بالمنسوخ .
- ٣ - أن يكون الناسخ منفصلاً عن المنسوخ .
- ٤ - أن يكون الناسخ مؤقتاً بغاية تقتضي ارتفاع ذلك الحكم .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٤ ص ٨٦ - ٨٧ .

(٢) الشريف المرتضى : الذريعة إلى أصول الشريعة ص ٣٠٤ .

- ٥- أن يكون النسخ في الأحكام الشرعية ، دون أجناس الأفعال .
- ٦- ألا يخرج النسخ عن ثلاث : أن يزول الحكم للأبد ، أو إلى بدل يضاده ، أو إلى بدل يخالفه.
- ٧- أن يقع العلم بالناسخ ، كما وقع العلم بالمنسوخ ^(١).
- ٨- ألا يكون الناسخ أضعف من المنسوخ ، بأن يكون أقوى منه ، أو مساوياً له .
- ٩- ألا يمكن الجمع بين الدليلين بكلام مقبول ، وإلا فلا نسخ .
- ١٠- أن يكون النسخ بعد علم المكلف بالمأمور به ، فلا تكليف قبل العلم .
- ١١- أن يكون بعد استقرار الفرض ؛ ليخرج عن البداء إلى الإعلام بالمدة ^(٢).

الفرق بين النسخ والبداء :

- ١- أن البداء هو أن يأمر بالأمر والآمر لا يدري ما يؤول إليه الحال ، والنسخ هو أن يأمر بالأمر والآمر يدري أنه سيحيله في وقت كذا .
- ٢- البداء ليس من صفات الباري تعالى ، وأما النسخ فمن صفات الله تعالى من جهة أفعاله كلها .
- ٣- النسخ نوع من الكون والفساد الجاريين في طبيعة العالم بتقدير خالقه ، ولذلك لا يخلو فعل من أفعاله تعالى منه أصلاً في دار الابتلاء ، أم لفظ البداء فيعبر عما يظهر من أفعال المختارين من الإنس ، والجن ، وسائر الحيوانات ، وهو خلق مذموم ؛ لأنه نتيجة الملل ، والندم ، والسامة ، وهذه الأخلاق منفية عن الملائكة بنص القرآن ، فكيف بالباري سبحانه ^(٣).

(١) المصدر السابق ص ٣٠١ - ٣٠٢ بتصرف يسير .

(٢) ابن النجار : شرح الكوكب المنير ج ٣ ص ٥٢٩ - ٥٣٠ بتصرف .

(٣) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) : الإحكام في أصول الأحكام ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت ، د ت ج ٤ ص ٦٨ - ٦٩ بتصرف .

٤- في حالة النسخ يعلم الله تعالى من الأزل أن ما أمر به من الأفعال محقق للمصلحة في وقت من الأوقات ، ونسخه محقق للمصلحة في وقت آخر، والبداء بخلافه حيث لم يعلم المصلحة .

٥- النسخ تحويل العبادة من شيء إلى شيء من حل إى حرمة والعكس ؛ وأما البداء فهو ترك ما عزم عليه ، فيبدو له العدول عن القول الأول ، وهو يلحق البشر؛ لنقصانهم^(١).

٦- البداء : أن يستصوب رأياً ، ثم ينشأ له رأي جديد ، لم يكن معلوماً له ؛ فيستلزم تغييراً في علم الله تعالى ، أما النسخ فهو تغيير الحكم الشرعي بآخر بعده في التوقيت ، وقد علم الله الحكمين قبل التكليف به فلا يستلزم تغييراً في علم الله تعالى^(٢) .

٧- البداء يكون في أحوال ثلاث : الأولى : إذا كان الفعل مستلزماً لمصلحة ، فالأمر به بعد النهي عنه إنما يكون لظهور ما كان خافياً من المصلحة ، الثانية : إذا كان الفعل مستلزماً لمفسدة ، فالأمر به بعد النهي عنه إنما يكون لظهور ما كان خفي من المفسدة ، الثالثة : الإخبار بنقيض ما أخبر به سابقاً ؛ وذلك لظهور علم لم يكن موجوداً ، أما النسخ رحمة من الله ، وتدرج في التشريع ، ولا يوجب لهم إفساد المصلحة من الحكمين ، بل تدرج ، بينما البداء يوجب فساد المصلحة التي كان مقضياً من أجلها^(٣).

٨- البداء تغيير في حكم الله وقضائه من خلال علمه الأزلي ، وفق السنن والقواعد الإلهية ، بينما النسخ كاشف عن انتهاء أمد الحكم وتوقيت العمل به^(٤) .

٩- من حيث حكمهما : جواز الأول ، واستحالة الثاني^(٥) ،

(١) القرطبي : تفسير القرطبي ج ١ ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

(٢) قتادة بن دعامة السدوسي : الناسخ والمنسوخ ص ٥ - ٧.

(٣) د إيمان العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال العقديّة عند الإمامية ، هامش ص ١٧٤.

(٤) مصطفى قصير العاملي : البداء والنسخ ص ٥٦.

(٥) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ٤ ص ٣١٦.

فيلزم من القول بالبداء على إطلاقه من غير تأويل ، سبق الجهل ، وحدوث العلم ، وكلاهما محال على الله تعالى ، والنسخ جائز عقلا ، وواقع فعلا في القرآن الكريم ^(١) .

١٠- أن البداء يخالف النسخ في قضية جوهرية ، إذ البداء هو تغيير في نفس القضية الواحدة ، وفي وقت واحد ، بينما النسخ تغيير لقضيتين ، يفصل بينهما فارق زمني، مستند إلى علم أزلي شامل لكلتا القضيتين ، وعليه فلا مجال للتوافق بين النسخ والبداء ^(٢) .

١١- والبداء منزلته في التكوين منزلة النسخ في التشريع ، فالنسخ كأنه بداء تشريعي ، والبداء كأنه نسخ تكويني ، ولا بداء في القضاء ، وإنما البداء في القدر ^(٣) ، فالنسخ يختص بالجانب التشريعي ، حيث يكون متوافقاً مع المصالح والمفاسد ، بينما البداء يتناول قضايا التكوين المرتبطة باختيار الإنسان ^(٤) .

١٢- حقيقة النسخ انتهاء الحكم التشريعي ، وانقطاع استمراره لا رفعه من وعاء الواقع ، وحقيقة البداء إنبات استمرار الأمر التكويني ، وانتهاء وقت اتصال الإفاضة ، لا أنه ارتفاع المعلول الكائن عن وقت كونه ، وبطلانه في حد حصوله ^(٥) .

١٣- النسخ يرتبط بالله تعالى ؛ إذ هو نتيجة حكمية مقدرة في الأزل ، يأمر بالحكم لمدة زمنية محددة ، ثم ينسخ هذا الحكم بعد انتهاء هذه المدة ، بينما البداء يرتبط بالإنسان عن طريق ممارسته علل وأسباب الفعل التي يمارسها باختياره ^(٦) .

(١) قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧هـ) : الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى ، تحقيق : د حاتم صالح الضامن ، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م ص ٧ .

(٢) حسن عبد الساتر : نظرية البداء محاولة جديدة لفهمها ص ٦٤ .

(٣) بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٦ - ١٢٧ . حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ١٣-١٤ .

(٤) حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ٦٤ . محمد سلطان كلانتر : البداء ص ٤٣ .

(٥) بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٧ - ١٢٨ . حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ١٤ . محمد كلانتر : البداء ص ٦١ .

(٦) حسن عبد الساتر : نظرية البداء محاولة جديدة لفهمها ص ٦٥ .

١٤- النسخ تغيير عبادة أمر بها المكلف ، وقد علم الأمر حين الأمر بالتكليف غاية ينتهي بها الإيجاب إليها ، ثم يرتفع بنسخها ، والبداء أن ينتقل الأمر عن ما أمر به ، وأراد دائماً بأمر حادث لا يعلم سابق .

١٥- أن سبب النسخ لا يوجب إفساد الموجب لصحة الخطاب الأول ، والبداء يكون بسببه دالا على إفساد الموجب ، لصحة الأمر الأول ، مثل أن يأمره بعمل يقصد به مطلوباً ؛ فيتبين أن المطلوب لا يحصل بذلك الفعل ؛ فيبدو له ما يوجب الرجوع عنه ، وكلا الأمرين يدل على قصور العلم والحق - ﷻ - منزله عن ذلك^(١).

فالمحققون من أهل السنة يقولون : الإرادة في كتاب الله نوعان : إرادة قدرية خلقية ، وإرادة دينية شرعية ، فالإرادة الشرعية هي المتضمنة : المحبة والرضا ، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات^(٢) .

فالإرادة الشرعية كقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٤) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾^(٥).

فهذا النوع من الإرادة لا تستلزم وقوع المراد ، إلا إذا تعلق به النوع الثاني من الإرادة ، وهذه الإرادة تدل دلالة واضحة على أنه تعالى لا يحب الذنوب ، والمعاصي ، والضلال ، والكفر ، ولا يأمر بها ، ولا يرضاها ، وإن كان شاءها خلقاً ، وإيجاداً ، وأنه يحب ما يتعلق بالأمور الدينية ، ويرضاها ، ويشيب عليها أصحابها ، ويدخلهم الجنة ، وينصرهم في

(١) أبو الفرج الجوزي : نواسخ القرآن ، تحقيق : محمد أشرف علي الملباري ، نشر المجلس العلمي لأحياء التراث الإسلامي - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ص ٨٣ .

(٢) د علي الصلابي : عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين ص ٦٨ .

(٣) سورة البقرة : آية رقم ١٨٥ .

(٤) سورة المائدة : آية رقم ٦ .

(٥) سورة الأحزاب : آية رقم ٣٣ .

الحياة الدنيا وفي الآخرة ، وينصر بها العباد من أوليائه المتقين ، وحزبه المفلحين ، وعباده الصالحين ، وهذه الإرادة تتناول جميع الطاعات حدثت ، أو لم تحدث^(١) .

والإرادة الكونية القدرية : هي الإرادة الشاملة لجميع الموجودات ، التي يقال فيها : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وهذه الإرادة مثل قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾^(٤) ، فمشيئة الله متعلقة بكل شيء ، سواء أحبه الله أم لا ، ولا تناقض ؛ لأن المحبة غير المشيئة ، والأمر غير الخلق ، فالأمر نوعان : تكويني لا يتخلف ، وتشريعي قد يتخلف من العصاة^(٥) .

وأهل السنة من باب الأدب الذي علمناه الأنبياء - ﷺ - ينسبون الخير لله وحده ، ولا ينسبون الشر لله تعالى - مع اعتقادهم أن الكل من خلقه سبحانه - قال تعالى عن قول إبراهيم - ﷺ - في دعائه : ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾^(٦) ، فمن فقه الأنبياء - ﷺ - أن نسب المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تعالى ، وقال - ﷺ - : ﴿ وَادْكُرْ عَبْدًا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾^(٧) ، وهذا أيوب - ﷺ - ينسب المرض للشيطان تأديباً مع الله تعالى ، ونختم بإخواننا الجن حين قالوا : ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرُّ أُرِيدَ يَمَنَ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾^(٨) ، فإنهم لما نسبوا الشر نسبوه عن طريق البناء للمجهول ، وحين نسبوا الخير لله نسبوه صريحاً وهذا من فقههم وبلاغتهم .

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ٨ ص ١٨٨ .

(٢) سورة الأنعام : آية رقم ١٢٥ .

(٣) سورة هود : آية رقم ٣٤ .

(٤) سورة البقرة : آية رقم ٢٥٣ .

(٥) د أحمد فريد : عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٢١٧ - ٢١٨ بتصرف .

(٦) سورة الأنبياء : آية رقم ٨٠ .

(٧) سورة ص : آية رقم ٤١ .

(٨) سورة الجن : آية رقم ١٠ .

المبحث الرابع

تقديس الأئمة وآثاره على عقيدة البداء

أولاً : ظهور آثار التقديس في الغلو في علم الأئمة في الحين الذي ينسبون فيه البداء إلى الله تعالى :
تعتقد الشيعة أن الأئمة أخبروا بالغائبات ، كما يظهر على أيديهم المعجزات ، فهم يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة ، الأنبياء ، والرسل^(١)، وإذا شاءوا أن يعلموا علموا ، وأنهم يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم^(٢)، وأنهم لا يفعلون شيئاً إلا بأمر الله ، وأنه ليس شيء من الحق في أيدي الناس إلا ومصدره الأئمة ، وأنه إن لم يخرج من عندهم فهو باطل^(٣) .

ثم ينسبون لأبي عبد الله : إني لأعلم ما في السموات ، وما في الأرضين ، وأعلم ما في الجنة ، وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان ، وما يكون إلى أن تقوم الساعة " ^(٤)، وإني والله لأعلم ما في سرائرهم ، وخواطرهم^(٥) .

وعن الصادق : إنهم علموا ما خلق الله -ﷻ- وذراه ، وبراه ، وعرفوا كم في السماء من نجم وملك ، وعلموا وزن الجبال ، وكيل ماء البحار ، وأنهارها ، وعيونها ، وما تسقط من ورقة إلا علموها ، ولا حبة في ظلمات الأرض ، ولا رطب ، ولا يابس إلا في كتاب مبين ، وهو في علمهم وقد علموا ذلك^(٦) .

(١) يقول المفيد : إن الأئمة من آل محمد قد كانوا يعرفون ضمائر بعض العباد ، ويعرفون ما كان قبل كونه ، وليس ذلك بواجب في صفاتهم ، ولا شرطاً في إمامتهم ، ولا بواجب عقلاً ، بل وجب لهم من جهة السماع ، فأما إطلاق القول بأنهم يعلمون الغيب ، فهو منكر بين الفساد ؛ لأن هذا إنما يستحقه من علم الأشياء بنفسه ، لا بعلم مستفاد ، وهذا لا يكون إلا لله - عز وجل - وعلى قولي هذا جماعة أهل الإمامة إلا من شذ عنهم من المفوضة والغلاة . المفيد : أوائل المقالات ص ٦٧ .

(٢) عن أبي جعفر : أنزل الله عز وجل النصر على الحسين - رضي الله عنه - حتى كان بين السماء والأرض ، ثم خيّر النصر ، أو لقاء الله ؛ فاختر لقاء الله . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣١٥ .

(٣) هذه الجمل عناوين لأبواب كتب ذكرها الكليني : في أصول الكافي ج ١ ص ٢١٩ إلى ٥٠٨ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٧ ص ٣٥ . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣١٦ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٠ ص ٩ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٦ ص ٢٨١ .

(٦) السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ١ ص ٣١٨-٣١٩ .

نقد هذا الأثر من كتبهم : عن أبي الحسن أنه قيل له : إنهم يزعمون أنك تعلم الغيب ؛ فقال : سبحان الله ضع يدك على رأسي ؛ فوالله ما بقيت في جسدي شعرة ، ولا في رأسي إلا قامت ، لا والله ما هي إلا رواية عن رسول الله -ﷺ-^(١) . عن أبي عبد الله : وأعطني محمداً -ﷺ- اثنين وسبعين حرفاً ، واحتجب حرفاً ؛ لنلا يُعلم ما في نفسه ، ويعلم ما في نفوس العباد ، وفي رواية : وحرف عند الله في غيبه^(٢) .

والله -ﷻ- يقول في كتابه العزيز : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^(٣) .

وقيل لأبي عبد الله الناس يقولون : تعلم قطر المطر ، وعدد النجوم ، وورق الشجر ، ووزن ما في البحر ، وعدد التراب ؛ فرفع يده إلى السماء ، وقال : سبحان الله ، لا والله ما يعلم هذا إلا الله^(٤) .

وعنه حين يُسأل : " الإمام يعلم الغيب ؟ قال : لا ، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك " ^(٥) ، وقيل له : أنت الذي تعلم الغيب ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله^(٦) .

وسئل أيضاً : إنك تعلم الغيب ؟ أنت عيبة علم الله ؟ موضع سر الله ؟ أمين على أحيائنا وأمواتنا ؟ قال : فوالله الذي لا إله إلا هو ما أعلم الغيب ، ولا أجرني الله في أمواتي ، ولا بارك لي في أحيائي إن قلت ذلك^(٧) .

قال الله -ﷻ- على لسان نبيه -ﷺ- : ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾^(٨) ، أي : من المنافع والمضار الدنيوية ، ولا أدري ما يحدثه الله من العبادات ، ويأمرني به وإياكم^(٩) ،

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٩٣ .

(٢) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢٥ - ٢٦ . محمد الصفار : بصائر الدرجات ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

(٣) سورة الأنعام : آية رقم ٥٩ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٩٤ .

(٥) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣١٣ .

(٦) الميرزا النوري الطبرسي : مستدرک الوسائل ج ١٥ ص ٢٤٢ .

(٧) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٢١ - ٣٢٢ .

(٨) سورة الأحقاف : آية رقم ٩ .

(٩) الشريف المرتضى : رسائل المرتضى ج ٣ ص ١٠٥ .

وقد سأل الله نبيه عن ليلة القدر ؛ فقال : لا أدري ^(١) ، أو لم أكن بها عالماً ^(٢) ، وسئل أبو الحسن عن رجل بات ليلة من ليالي منى بمكة ما حكمه ؟ قال : لا أدري ^(٣) . فأين علم الغيب ، وأين معرفة الغيب يوم أحد ، حين كسرت رباعيته -ﷺ- وقد قال الله -ﷻ- على لسان نبيه -ﷺ- : ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾ ^(٤) .

وقد زعمت الشيعة الاثني عشرية أن علم الأئمة على قسمين :

القسم الأول الوحي : وله طرق منها : أن يتلقاه روح القدس ^(٥) ، أو النكت في القلوب بالإلهام ، والنقر في الأسماع ^(٦) ، أو يسمع الإمام الكلام ، ولا يرى الملك أو الشخص ^(٧) ، وعلامته : أن يعطى السكينة والوقار ، حتى يعلم أنه كلام الملك ^(٨) ؛ أو ينكت في أذنه ، أو يؤتى في منامه ، أو يسمع صوت السلسلة تقع على الطشت ^(٩) ، أو يقذف في قلبه قذفاً ^(١٠) ، أو يسمع الصوت وهو في بطن أمه ، أو يسطع له نور بينه وبين السماء والأرض ، أو يرفع له عمود من نور يرى به ما بين المشرق والمغرب ^(١١) ؛ أو يؤيده الله -ﷻ- بروح منه مقدسة مطهرة ليست بملك ^(١٢) ، يرى به أعمال الخلق ^(١٣) ،

(١) المحقق البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٣ ص ٤٤٥ .

(٢) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٠ ص ٣٠٣ .

(٣) البحراني : الحقائق الناضرة ج ١٧ ص ٢٩٣ . الجواهري : جواهر الكلام ج ٢٠ ص ٥ .

(٤) سورة الأعراف : آية رقم ١٨٨ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٩ ص ١٥١ .

(٦) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣١٩ . السيد هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ٥ ص ٢٠٠ .

(٧) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٢٣٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١١ ص ٤١ .

(٨) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٢٦ .

(٩) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦١ ص ١٨٢ .

(١٠) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢ ص ١٧٤ .

(١١) محمد الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٤٧٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٤١ .

(١٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٤٨ . الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ٤ ص ٢٠٧ .

(١٣) محمد الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٤٥٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٤٠ .

نصب عينيه أينما تولى ونظر^(١) ، أو وحي كوشي أم موسى^(٢) ، أو يخدمه جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل^(٣) يحدثونه^(٤) ، أو يأتيه صاحب كصاحب سليمان ، أو كصاحب موسى ، أو كذي القرنين^(٥) ، أو يأتيه روح أعظم من جبرائيل ، وميكائيل^(٦) . وهذه الروح ملتبسة بهم ؛ كما قال أبو عبد الله: الروح إنه لفينا^(٧) ^(٨) ، أو يمدده بقوة قدسية يستعلم بها الإمام^(٩) ، ولكن قد يقبض الله عنه هذا فلا يعلم^(١٠) .

وقد يصل الإمام إلى عرش الرحمن؛ فعن أبو عبد الله: "إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله -ﷺ- العرش ، ووافى الأئمة معه ، ووافينا معهم ، فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد" ^(١١) .

بل قد يناجي الله علماً مباشرة ؛ كما كذبوا عن رسول الله -ﷺ-: ما ناجيته ؛ ولكن الله انتجاه^(١٢) ، إن الله ناجاه يوم الطائف ، ويوم عقبة تبوك ، ويوم خيبر ، ويوم حنين^(١٣) .

القسم الثاني : علم موروث :

-
- (١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٥١ ص ٢٥ .
 - (٢) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٣٥٧ .
 - (٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٩ ص ١١٧ - ١١٨ بتصرف .
 - (٤) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٣٦١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٤١ .
 - (٥) محمد بن الحسن الصفار : بصائر الدرجات ص ٣٦٢ . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٢٤ .
 - (٦) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٢٨ - ٣٢٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٦١ ص ١٨٢ .
 - (٧) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٢٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٨ ص ٢٦٥ .
 - (٨) حينما نتتبع طرق الوحي للأنبياء نكتشف أنهم مثل الأئمة ؛ فعن أبي جعفر قال : " الأنبياء على خمسة أنواع : منهم من يسمع الصوت مثل صوت السلسلة ؛ فيعلم ما عنى به ، ومنهم من ينبأ في منامه ؛ مثل يوسف وإبراهيم ، ومنهم من يعاين ، ومنهم من ينكت في قلبه ، ويوقر في أذنه " الصفار : بصائر الدرجات ص ٤١٠ - ٤١١ . بحار الأنوار ج ١١ ص ٥٣ .
 - (٩) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣١٣ . الجواهري : جواهر الكلام ج ١ هامش ص ١٨٢ .
 - (١٠) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣١١ .
 - (١١) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٠٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٣٦ .
 - (١٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٩ ص ١٥١ . الشيخ المفيد : الإرشاد ج ١ ص ١٥٣ .
 - (١٣) هاشم البحراني : مدينة المعاجز ج ١ ص ٣٧ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٣٩ ص ١٥٤ .

العلم الموروث : " علم جميع الأنبياء ، والأوصياء الذين من قبلهم ^(١) ، بل هم أعلم من سائر الأنبياء ؛ فقد جمع الله لمحمد -ﷺ- علم النبيين ، وجمع ذلك كله عند علي ^(٢) ؛ بل كان من أعلم الناس به " ^(٣) .

وزعموا أن النبي -ﷺ- قبل يموت قال : " يا علي إذا مت فاعسلني ، وكفني ، ثم أقعدني ، وخذ بمجامع كفني ، وأجلسني ، وسائلني ، واكتب ؛ قال علي : فأنبأني بما هو كائن إلى يوم القيامة ^(٤) .

ثم لا يتورعون عن نسبة البداء إلى الله بعد هذه الطوام ، فعن أبي عبد الله : " إن الله علمين : علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو ، من ذلك يكون البداء ، وعلم علمه ملائكته ، ورسله ، وأنبيائه ، ونحن نعلمه ^(٥) .

وعن أبي عبد الله : جاءه سائل فقال : إن الله تبارك وتعالى قال لنبيه : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾ ^(٦) ، أراد الله أن يعذب أهل الأرض ، ثم بدا لله ؛ فنزلت الرحمة ، فقال : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٧) ، فقال السائل : بدا لله ما لم يكن في علمه ^(٨) وعلم الإمام شامل للبداء ^(٩) .

ثانياً : ظهور آثار التقديس في اعتقاد تأثير القوى الفلكية في الحوادث الكونية :

يقرر بعض علماء الشيعة: ثبوت الحياة ، والعلم ، والاختيار للنجوم والأفلاك ^(١٠) . ويسمونها باسم : النفوس الفلكية ، ويدعون أنها الكتاب المبين المذكور في قوله تعالى :

(١) الشاهوردي: مستدرك سفينة البحار ج ٧ ص ٢٧٩. الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٢٨٠.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢٠٨. الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٢٨٠.

(٣) الشيخ الجواهري النجفي: جواهر الكلام ج ٢٢ ص ١٠٠.

(٤) المجلسي: بحار الأنوار ج ٤٠ ص ١٥٢ بتصرف .

(٥) الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ١٩٨. الشاهوردي: مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٢٩١.

المجلسي: بحار الأنوار ج ٤ ص ١٠٩ - ١١٠.

(٦) سورة الذاريات : آية رقم ٥٤.

(٧) سورة الذاريات : آية رقم ٥٥.

(٨) محمد بن الحسن الصفار: بصائر الدرجات ص ١٤٣. المجلسي: بحار الأنوار ج ٤ ص ١١٠.

(٩) الشيخ الصدوق: التوحيد هامش ص ٢٩٨.

(١٠) محمد سلطان كلانتر: البداء ص ٩ ، تقريراً لكلام المحقق الكاشاني ، والشيخ الأنصاري .

﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ ﴾ ^(١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ﴾ ^(٤) ، وغيرها من الآيات التي تصرح بأن الكتاب المذكور محتو على جميع الموجودات ^(٥) .

وإذا قيل : وما علاقة هذا بالبداء ؟ وكيف يصح نسبة البداء إلى الله - ﷻ - مع إحاطة علمه بكل شيء أزلاً، وأبداً، على ما هو عليه في نفس الأمر ، وتقديسه عما يوجب التغيير ، والسnoch ، ونحوهما ؟ .

تزعم الشيعة : أن القوى المنطبعة الفلكية لم تحط بتفاصيل ما سيقع من الأمور دفعةً واحدة ؛ لعدم تنامي تلك الأمور، إنما ينتقش فيها الحوادث شيئاً فشيئاً ، وجملة فجملته ، مع أسبابها ، فإن ما يحدث في عالم الكون والفساد ؛ إنما هو من لوازم حركات الأفلاك ، ونتائج برركاتها ، فهي تعلم أنه كلما كان كذا ؛ كان كذا ، فمهما حصل لها العلم بأسباب حدوث أمر ممّا في هذا العالم حكمت بوقوعه فيه ، فينتقش فيها ذلك الحكم ، وربما تأخر بعض الأسباب الموجب لوقوع الحادث على خلاف ما يوجب به بقية الأسباب لولا ذلك السبب ، ولم يحصل لها العلم بذلك بعد ؛ لعدم إطلاعها على سبب ذلك السبب ، ثم لما جاء أوانه ، واطلعت عليه حكمت بخلاف الحكم الأول ، فيمحي عنها نقش الحكم السابق ، ويثبت الحكم الآخر ، وأما نسبة ذلك كله إلى الله تعالى ؛ فلأن كل ما يجري في هذا العالم الملوكوتي إنما يجري بإرادة الله تعالى ^(٦) .

بل فعلهم بعينه فعل الله ؛ حيث إنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، إذ لا داعي لهم على الفعل إلا إرادة الله ؛ لاستهلاك إرادتهم في إرادة الله تعالى ، وإن كانت إرادتهم وحكمهم كلها نفسانية ، جزئية ، زمانية ، على حسب وجودهم ، فكل كتابة تكون

(١) سورة الزخرف : آية رقم ٤ .

(٢) سورة النمل : آية رقم ٧٥ .

(٣) سورة سبأ : آية رقم ٣ .

(٤) سورة الحديد : آية رقم ٢٢ .

(٥) السيد محمد سلطان كلانتر : البداء عند الشيعة الإمامية ص ٦٣ - ٦٤ بتصرف .

(٦) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٨ .

في الألواح الإلهية ، والصحائف القدرية^(١) هي مكتوب الحق الأول ، بعد قضائه السابق ، المكتوب بالقلم الأعلى ، في اللوح المحفوظ ، المصان عن المحو والاثبات ، والنسخ والتبديل^(٢).

وإذا كانت الأسباب لوقوع أمر ولا وقوعه متكافئة ، ولم يحصل للقوي المنطبعة الفلكية العلم برجحان أحدهما بعد ؛ لعدم مجيء أوان سبب ذلك الرجحان بعد ، كان لها التردد في وقوع ذلك الأمر ولا وقوعه ، فينتقش فيها الوقوع تارة ، واللاوقوع أخرى ، فهذا هو السبب في البداء^(٣).

والصحيح كما يزعمون : يحتمل أن يكون لكل شيء فلك سوى الأفلاك المعروفة الحركات ، وقد قدر له عدد من الدورات ، فإذا أراد الله إطالة مدتهم أمر بإبطائه في الحركة ، وإذا أراد الله سرعة فثائه أمر بإسراعه ، ثم علق المحقق : هذا الاحتمال عجيب !^(٤) ، وكيف يتعجب وقد رووا عن أبي جعفر: إن الله إذا أراد فناء قوم أمر الفلك فأسرع الدور بهم ، فكان ما يريد من النقصان ، فإذا أراد الله بقاء قوم أمر الفلك فأبطأ الدور بهم ، فكان ما يريده من الزيادة ، فلا تنكروا ؛ فإن الله يمحو ما يشاء ، ويثبت ، وعنده أم الكتاب^(٥).

نقد هذا الأثر: هذا أثر واضح من الديانات الوثنية كالصابئة فمن أهم معتقداتهم : أن الإله المعبود واحد في ذاته ، وأنه جعل الكواكب مدبرة في العالم السفلي ، والإله تعالى يظهر في الكواكب ويتشخص بأشخاصها من غير تعدد في ذاته ، وقد يظهر أيضاً في الأشخاص الأرضية الخيرة^(٦).

ثالثاً : ظهور آثار التقديس في أنه سبب للأجر :

(١) يقول محمد علم الهدى : الصحائف السماوية ، والألواح القدرية : أعني قلوب الملائكة العمالة ، ونفوس المدبرات العلوية المشار إليها في قوله تعالى : " فالدبرات أمراً " النازعات : ٥ . البداء ص ٢٩٥-٢٩٦ .

(٢) محمد باقر علم الهدى : البداء ص ٢٩٤ بتصرف . جعفر السبحاني : البداء ص ٥٩ - ٦٠ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٨ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٠٣ .

(٥) مولى المازندراني : شرح الكافي ج ٦ ص ٣٢٤ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٠ .

(٦) د بسمه بنت أحمد بن محمد جستنية : أثر الديانات الوثنية في عقيدة الرافضة ص ٣٦٣ .

تفتري الشيعة العقيدة ثم تضع لها من الثواب ما لا يحصى ، فجعلوا الاعتقاد بالبداء من أعظم أفعال المؤمن، فعن أبي عبد الله: "لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ؛ ما فتروا عن الكلام فيه"^(١) .

رابعاً : ظهور آثار التقديس في جعل البداء سبباً لعذاب أناس بذنب آخرين :

من المقرر شرعاً أن الإنسان يسعى لنفسه ، ولا يحمل أحد وزر أحد ، غير أن الشيعة لهم أمر آخر، عن أبي عبد الله: أوحى الله إلى إبراهيم أنه سيولد لك ، فقال لسارة ، فقالت : أألد وأنا عجوز ؟ فأوحى الله إليه : أنها ستلد ، ويعذب أولادها أربعمئة سنة بردها الكلام عليّ ، فلما طال على بني إسرائيل العذاب ضجوا وبكوا إلى الله أربعين صباحاً ؛ فأوحى الله إلى موسى وهارون -عليهما السلام- : يخلصهم من فرعون ، فحط عنهم سبعين ومئة سنة^(٢) .

خامساً : ظهور آثار التقديس في اعتقاد البداء في الإمامة :

تتناقض الشيعة فتقول أحياناً لتصل إلى نتيجة خبيثة وهي اعتقاد البداء في الإمامة فتقول : إن الأرض لو خلت من الإمام لانخسف بأهلها ، ويتناقضون فيروون عن أبي عبد الله: قد كانت الأرض وليس فيها رسول ، ولا نبي ، ولا حجة ، وذلك بين آدم ونوح -عليهما السلام- في الفترة ، ولو سألت هؤلاء لقالوا : لن تخلوا الأرض من حجة - وكذبوا - إنما ذلك شيء بدا لله - ﷻ - فيه ؛ فبعث الله النبيين مبشرين ، ومنذرين ، وقد كان بين عيسى -عليه السلام- ومحمد -ﷺ- فترة من الزمان ، لم يكن في الأرض نبي ، ولا رسول، ولا عالم ؛ فبعث الله محمداً بشيراً ونذيراً^(٣) .

ومن ذلك البداء أنه كان لجعفر الصادق ولدين: موسى الملقب بأبي الحسن ، وإسماعيل الملقب بأبي محمد ، وكان المرجى بعده أبا محمد ، فقال أبو جعفر: بدا لله في أبي محمد بعد أبي جعفر ما لم يكن يعرف له ،

(١) أصول الكافي ج ١ ص ١٩٩ . الصدوق : التوحيد ص ٣٢٥ . بحار الأنوار ج ٤ ص ١٠٨ .

(٢) بحار الأنوار ج ٤ ص ١١٨ . ج ١٣ ص ١٤٠ . مستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٢٩٣ .

(٣) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٢ .

كما بدا له في موسى بعد مضي إسماعيل (١) ما كشف به عن حاله " (٢)، وأبو محمد ابني الخلف من بعدي عنده علم ما يحتاج إليه ، ومعه آلة الإمامة (٣).
وما بدا لله (٤) في شيء كما بدا له في ابني إسماعيل؛ إذ اخترمه قبلي (٥)؛ ليعلم أنه ليس بإمام بعدي (٦)، ومن أدعيتهم لزيارة محمد بن علي: السلام عليك يا من بدا لله في شأنه (٧).

والسبب في البدو لله سبحانه في أمر تنصيب إسماعيل بن جعفر القائم مقام جعفر الصادق: أنه ظهر من إسماعيل ما لم يرتضه منه أبوه جعفر الصادق فجعل القائم مقامه موسى (٨) .

(١) إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر الهاشمي القرشي : جد الخلفاء الفاطميين ، وإليه نسبة (الإسماعيلية) ، وهي من فرق الشيعة في الأصل ، وتميزت عن الاثني عشرية بأن قالت بإمامته بعد أبيه ، والاثنا عشرية تقول : بإمامة أخيه موسى الكاظم ، توفي في حياة والده ، وفي الإسماعيلية من يرى أن أباه أظهر موته تقية حتى لا يقصده العباسيون بالقتل ، وكان أبو جعفر المنصور طلبه ؛ فشهد له عامل المدينة بأنه مات ، توفي ١٤٣ هـ. الزركلي : الأعلام ج ١ ص ٣١١ - ٣١٢.

(٢) المعنى : قضى الله في أبي محمد بعد موت أبي جعفر بما لم يكن معروفاً لأبي محمد عند الخلق ، وهو الإمامة ، والخلافة. انظر تعليق علي أكبر غفاري . الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٨٥. علي العاملي : الصراط المستقيم ج ٢ ص ١٩٦.

(٣) الكتب والسلاح وغير ذلك مما يختص بالإمام . تعليق علي أكبر غفاري الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٨٥.

(٤) يفسره رواية: ما ظهر لله أمر كما ظهر له في إسماعيل ابني . الصدوق: التوحيد ص ٣٢٧. بحار الأنوار ج ٤ ص ١٠٩.

(٥) وقد كذبوا على الله في ذلك ، وعلى أئمتهم - يظنون في الله غير الحق ظن الجاهلية - يدعون أن الله كان يريد الإمامة لأبي جعفر ، ثم لما مات قبل أن يصبح إماماً ، حينئذ بدا لله العلي القدير أن يكون الإمام أبو محمد ففعل ، وذلك كما أنه قد كان يريد الله أن يجعل إسماعيل إماماً ، ثم (والعياذ بالله) بدا لله الرأي الجديد ، فغير رأيه السابق ، فجعل موسى الكاظم إماماً للناس ، ونسوا - قاتلهم الله - أنه ينتج من أكاذيبهم هذه نسبة الجهل إلى الله العليم الخبير .

(٦) الصدوق : الاعتقادات ص ٤١. التوحيد ص ٣٢٧. المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٢.

(٧) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٥٤٨.

(٨) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٣.

وفي ذلك شيء غريب وهو : أنه روي عن الصادق أنه قال : " ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل ؛ إذ أمر أباه بذبحه ، ثم فداه بذبح عظيم (١).
وعن أبي الحسن أنه قال لابنه الحسن: يا بني أحدث الله -ﷻ- شكراً ؛ فقد أحدث الله -ﷻ- فيك أمراً (٢).

مع أنهم رووا عن أبي جعفر أن الإمامة ليس فيها بداء حيث قال : من المحتوم الذي لا تبديل له عند الله : قيام قائمنا ، فمن شك فيما أقول ؛ لقي الله وهو به كافر ، جاحد (٣).
وقيل لأبي جعفر: إن علياً يقول : إلى السبعين بلاء ، وبعد السبعين رخاء ، فقد مضت السبعين ! ، ولم يروا رخاءً ، فقال أبو جعفر : إن الله كان قد وقت هذا الأمر في السبعين ، فلما قتل الحسين -ﷻ- اشتد غضب الله على أهل الأرض ؛ فأخره إلى أربعين ومائة سنة ، فحدثناكم ، فأذعن الحديث ، وكشفتم قناع السر ؛ فأخره الله ، ولم يجعل لذلك عندنا وقتاً ، يحو الله ما يشاء ، ويثبت ، وعنده أم الكتاب (٤).

ومن البداء ما جاء عن الرضا: إن مروان بن محمد لو سئل عنه صاحب القبر ، ما كان عنده منه علم ، فقال رجل : إنما عني بذلك : أبا بكر وعمر ، فقال : لقد جعلهما في موضع صدق ، فقال جعفر بن محمد : إن مروان بن محمد لو سئل عنه محمد -ﷻ- ما كان عنده منه علم ، لم يكن من الملوك الذين سموا له ، وإنما كان له أمر طراً .
بيان : مروان بن محمد هو الذي من خلفاء بني أمية وكانت خلافته من الأمور الغريبة كما يظهر من السير ، والمقصود أن خلافته كانت من الأمور البدائية التي لم تصل إلى النبي -ﷺ- في حياته ، فلو كان سئل في حياته عن هذا الأمر ، لم يكن له علم بذلك ؛ لأن مروان لم يكن من الملوك الذين سُموا للنبي -ﷺ- (٥).

نقد هذا الأثر : ويرد النوبختي ليبين الفرق بين الله -ﷻ- والإمام فيقول : لما توفي علي بن محمد بن علي بن موسى (أبو الحسن العسكري) ، قالت فرقة من أصحابه بإمامة ابنه محمد ، وقد كان توفي في حياة أبيه بسر من رأى ، وزعموا أنه حي لم يميت ، واعتلوا في

(١) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي ص ١١٢ .

(٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٨٥ . الميرزا النوي : خاتمة المستدرک ج ٤ ص ٤٨٤ .

(٣) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٢٨ ص ٣٤٩ . محمد علم الهدى : البداء ص ٣٠٧ .

(٤) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٠ . الميرزا النوري : مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٣٠١ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ٩٧ .

ذلك بأن أباه أشار إليه ، وأعلمهم أنه الإمام من بعده ، والإمام لا يجوز عليه الكذب ، ولا يجوز البداء فيه ، فهو وإن ظهرت وفاته في حياة أبيه ، فإنه لم يمت في الحقيقة ، ولكن أباه خاف عليه فغيبه ، وهو المهدي القائم ، وقالوا فيه بمثل مقالة أصحاب إسماعيل بن جعفر (١).

سادساً : من آثار التقديس في اعتقاد استنفاذ المشيئة والتقدير :

تزعّم الاثنا عشرية : أن اليهود قالوا : " إن الله قد فرغ من الأمر؛ لأنه تعالى عالم في الأزل بمقتضيات الأشياء ، فقدر كل شيء على وفق علمه (٢). بل هو تعالى كل يوم هو في شأن ، لا يشغله شأن عن شأن ، يحيي ، ويميت ، ويخلق ، ويرزق ، ويفعل ما يشاء ، وقلنا : يمحو الله ما يشاء محوه وإعدامه ، ويثبت ما يشاء إثباته وإيجاده " (٣)، وهذا ليس ببداء كما قالت اليهود ، وأتباعهم ، فنسبتنا اليهود في ذلك إلى القول بالبداء ، وتابعهم على ذلك من خالفنا من أهل الأهواء المختلفة " (٤) .

ولأن الأئمة يعلمون علم الغيب فإذا بدا لله أي قضى الله وحتم ما كان قد قدر في علمه المكنون مما له فيه البداء ، أعلمهم ذلك فلا بداء حينئذ فإنه كائن لا محالة (٥) . والبداء ليس واحداً ، بل متعدد كما جاء عن علي -عليه السلام- : " فإن له بداءات ، وإرادات ، وغايات ، ونهايات " (٦). نعوذ بالله ! هذا يستلزم الجهل عليه تعالى ! .

ومن هذا البداء ما جاء عن أبي عبد الله حين دخل عليه رجل ، وقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقام قائماً ، وقال : " مه إن هذا الاسم لا يصلح لأحد إلا لأمير المؤمنين -عليه السلام- ، ولم يسم به أحد فرضي به إلا كان مأبوناً ، وإن لم يكن فيه أبلّي به " (٧).

وعن جعفر بن محمد : " ما من مولود يولد إلا إبليس من الأبالة بحضرته ، فإن علم الله أنه من شيعتنا ؛ حجبته عن ذلك الشيطان ، وإن لم يكن من شيعتنا ؛ أثبت الشيطان إصبعه

(١) النوبختي : فرق الشيعة ص ١٤٩ .

(٢) الصدوق : التوحيد ص ٣٢٤ .

(٣) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي ج ٤ ص ٢٤١ بتصرف .

(٤) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ٤١ .

(٥) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي ص ١٧٦ .

(٦) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ٦ ص ٢٣٧ .

(٧) الميرزا النوري : مستدرك الوسائل ج ١ ص ٤٠٠ .

السبابة في دبره ؛ فكان مأبونا ، فإن كانت امرأة أثبت في فرجها ؛ فكانت فاجرة ، فعند ذلك يبكي الصبي بكاءً شديداً؛ إذا هو خرج من بطن أمه ، والله بعد ذلك يحو ما يشاء ، ويثبت وعنده أم الكتاب " (١) ، فيمكن أن يهديه الله ، بعد ما فعل به ذلك إبليس ! .
ونسأل الشيعة الاثني عشرية : هل يبكي صبيانكم حين يولدون أم أنهم منزهون عن ذلك ؟ وهل يجوز أن يورث الصبي من والديه ، أو يرثه ذووه إن لم يستهل صارخاً ؟ .

سابعا : ظهور آثار التقديس في أنه يدخل في خلق الطالحين ، ولا يدخل في خلق الصالحين :

لأن الشيعة تعتقد عقيدة المعتزلة من ان الله لا يريد الشر ، نسبوا إلى الله سبحانه أنه لا يجعل البداء في خلق الصالحين فعن أبي جعفر في قصة خلق آدم - عليه السلام - قال : " فاعترف الله تبارك وتعالى غرفة من الماء العذب الفرات ، فصلصلها ، فجمدت ، ثم قال : منك أخلق النبيين ، والمرسلين ، وعبادي الصالحين ، والأئمة المهتدين الدعاة إلى الجنة ، وأتباعهم إلى يوم القيامة ، ثم اغترف غرفة من الماء المالح الأجاج ، فصلصلها ، فجمدت ، ثم قال لها : منك أخلق الجبارين ، والفراعنة ، والعتاة ، وأخوان الشياطين ، والدعاة إلى النار إلى يوم القيامة ، وأتباعهم ، قال وشرط في ذلك البداء ، ولم يشترط في أصحاب اليمين البداء ، ثم خلط المائين " (٢).

سادسا : ظهور آثار التقديس في تشبيه الله - عز وجل - بخلقه :

تدعي الاثنا عشرية : إن نظير القول بالبداء أن الصانع منا شيء لا بد أن يتصور ذلك الشيء أولاً ، وأن تتعلق مشيئته ، وميله إلى صنعه ثانياً ، وأن يتأكد العزم عليه ثالثاً ، وأن يقدر طوله ، وعرضه ، وحدوده ، وصفاته رابعاً ، وأن يشتغل بصنعه ، وإيجاده خامساً ، وأن يمضي صنعه سادساً ، حتى يجيء على وفق ما قدره ، إلا أن هذه الأمور في صنع الخلق لا تحصل إلا بحيلة ، وهمة ، وفكر ، وشوق ، ونحوها بخلاف صنع الحق ؛ فإنه لا يحتاج إلى شيء من ذلك ، وكثرة البداء تدل على : كمال مختارية الله تعالى ، وكمال علمه وقدرته ورحمته ، وهذا البداء يقع في صور متعددة لا يعلم عددها إلا هو سبحانه (٣) .

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢١ . أبو نصر العياشي : تفسير العياشي ، تحقيق : السيد

هاشم الرسولي المحلاتي ، ط الأعلمي - بيروت ، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م ج ٢ ص ٢٣٤ .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٦١ ص ٣٠٠ .

(٣) المصدر السابق ج ٤ ص ٢٥٧ .

مثال ذلك ما جاء عن أبي عبد الله: كان في بني إسرائيل نبي وعده الله أن ينصره إلى خمسة عشر ليلة ؛ فأخبر بذلك قومه ، فقالوا : والله ، إذا كان ليفعلن ، ليفعلن ، فأخبره الله إلى خمسة عشر سنة ، وكان فيهم من وعده الله النصر إلى خمسة عشر سنة ، فأخبر بذلك النبي قومه ، فقالوا : ما شاء الله ، فجعله الله لهم في خمس عشر ليلة (١). ويقول عالمهم : إن صفحة الأعيان بالنسبة إلى الله تعالى ، كصفحة الأذهان بالنسبة إلى النفس الناطقة ، فكما أن النفس الناطقة عالمة بجميع الصور الذهنية ؛ لأنها مخلوقة لها ، كذلك صفحة الأعيان بالنسبة إلى الله تعالى مخلوقة له ، ولهذا يكون علمه تعالى بالأشياء حضورياً لا حصولياً ، فالعلم الحصولي : هو عين النفس ، وهي مسألة اتحاد العاقل مع المعقول ، أما العلم الحضورى : فهو عبارة عن انكشاف الشيء بتمام ذاته ، وحقيقته ، وهويته لدى العالم ، ولا ينقسم إلى تصور وتصديق ، ويكون عين المعلوم الخارجى (٢).

سابعاً : ظهور آثار التقديس في اعتقاد كثرة البداء في الفعل الواحد :

ومثاله البداء في أجل المؤمن تقديساً لروحه الطاهرة ، ودليله حديث النبي -ﷺ- : ما ترددت في شيء أنا فاعله مثل ترددي في قبض نفس المؤمن ؛ يكره الموت ، وأكره مساءته ، ولا بد له منه ، تردد تعالى في قبض عبده المؤمن الذي قدر أجله ، عبارة عن رد ما قدره أولاً ، وتوقفه ، وتأخيره في قبضه ، فإنه سبحانه قادر عليه ، ومالك على إمضاء ما قدره ، وكذلك قادر على تأخيره وصرف الموت عنه ، وهذا يدل على كثرة وقوع البداء في أمر موت المؤمن ، فأنساً لأجل المؤمن مرة بعد مرة كي يرضى عبده (٣) .

ودليل كثرة البداء في أمر تقديس المؤمن عند ربه ما جاء عن أبي عبد الله: قال تعالى : إن العبد من عبيدي المؤمنين ليذنب الذنب العظيم مما يستوجب به عقوبتي في الدنيا والآخرة ، فأنظر له فيما فيه صلاحه في آخرته ؛ فأعجل له العقوبة عليه في الدنيا لأجازه بذلك الذنب ، وأقدر عقوبة ذلك الذنب ، وأقضيه ، وأتركه عليه موقوفاً غير ممضي ، ولي في إمضائه المشيئة ، وما يعلم عبدي به ، فأتردد في ذلك مراراً على إمضائه ، ثم أمسك

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ١١٢ .

(٢) السيد محمد سلطان كلانتر : البداء عند الشيعة الإمامية ص ٢٠-٢٤ بتصرف .

(٣) الشيخ محمد باقر علم الهدى : البداء آية عظمة الله ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

عنه فلا أمضيه ؛ كراهة لمساءته ، وحيداً على إدخال المكروه عليه ، فأتطول عليه بالعفو والصفح ؛ محبة لمكافأته ؛ لكثير نوافله التي يتقرب بها إلي في ليله ونهاره ، ^(١) .

وفي ترجمة أحد الرواة ويدعى : ميسر بن عبد العزيز ، وكان كوفياً ثقة ، قال له أبو جعفر : " يا ميسر أما إنه قد حضر أجلك غير مرة ، ولا مرتين ، كل ذلك يؤخرك الله تعالى بصلتك لرحمك " ^(٢) ، وقيل عنه : " أنه ممن يجاهر في الرجعة " ^(٣) ، فكيف يحضر أجل موته مرتين ، ومن أهم عقائدهم أن للعبد أجلين فقط .

ومع تناقض أقوالهم في معنى البداء ، يتضح سقوط هذا الاعتقاد ، فكيف يحثنا الشرع على التيقن في عقائدهم ، ثم نتبع أدلة غايتها جميعاً يتطرق لها التأويل والنقض ، فاللهم ألهمنا الصواب .

المبحث الخامس

الرد على عقيدة البداء

أسلفنا القول : أن بعض الشيعة يتبرأ من القول بالبداء باعتبار نسبة الجهل لله ، وتضطر إلى القول به لوروده في السمع ، ولكن حينما نبحت قليلاً في روايات الأئمة نجد أموراً تتناقض مع هذا مثل : حينما يعد أبو جعفر صفات الله - ﷻ - التي هي سبب في وجود المخلوقات ، لا يعد منها البداء ؛ فعن أبي جعفر - : لا يكون شيء في الأرض ، ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبعة : بمشيئة ، وإرادة ، وقدر ، وقضاء ، وإذن ، وكتاب ، وأجل ، فمن زعم : أنه يقدر على نقص واحدة منهن فقد كفر " ^(٤) ، وعن أبي عبد الله قال : " القضاء ، والقدر خلقتان من خلق الله ، والله يزيد في الخلق ما يشاء " ^(٥) .

يقول المحقق الطوسي : إن الإمامية " لا تقول بالبداء ، وإنما القول به ما كان إلا في رواية رويها عن جعفر الصادق أنه جعل إسماعيل القائم مقامه بعده ، فظهر من إسماعيل ما لم يرتضه منه ، فجعل القائم مقامه موسى فسئل عن ذلك ؛ فقال : بدا لله في إسماعيل ،

(١) الشيخ محمد باقر علم الهدى : البداء آية عظمة الله ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة ج ٩ ص ٣٨٩ . النوري : مستدرک الوسائل ج ١٥ ص ٢٤٠ .

(٣) الحر العاملي : وسائل الشيعة ج ٣٠ ص ٤٩٩ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٣ ص ١٢٤ .

(٤) أحمد البرقي : المحاسن ج ١ ص ٣٧٩ - ٣٨٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥ ص ١٢١ .

(٥) أحمد البرقي : المحاسن ج ١ ص ٣٨٢ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥ ص ١١٢ .

وهذه رواية آحاد ، وعندهم - يعني أهل السنة - أن خبر الواحد لا يوجب علماً ، ولا عملاً ^(١).

وعن أبي جعفر في قوله تعالى : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ ^(٢) ، كان في العلم والتقدير ثلاثين ليلة ، ثم بدا لله فزاد عشراً ، فتم ميقات ربه للأول والآخر أربعين ليلة ^(٣).

وعن أبي جعفر وأبي عبد الله أنهما قالا : إن الناس لما كذبوا برسول الله - ﷺ - هم الله - ﷻ - بهلاك أهل الأرض إلا علياً فما سواه بقوله :

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾ ^(٤) ، ثم بدا له فرحم المؤمنين ، ثم قال لنبيه - ﷺ - : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^{(٥)(٦)}.

ويتأولون المعنى : أراد الله - ﷻ - إرادة غير حتمية ، بهلاك أهل الأرض ممن بلغت إليه الدعوة ، أو مطلقاً ، إلا علياً وخديجة - ﷺ - ^(٧). وعن جعفر: كان القتل قد كتب على إسماعيل مرتين ؛ فسألت الله في دفعه فدفعه ^(٨). وهل هذا بداءات؟ ، أم إرادات غير حتمية؟ ، وإذا كانت غير حتمية فلماذا الدعاء؟ ، ولماذا لم يعلمها من يعلم ما كان ، وما هو كائن فاطمئن لها قلبه ؟ .

التأريخ لبداء القول بالبداء عند الشيعة بالمعنى الممنوع عقلاً وشرعاً : يدعي بعض علماء الشيعة أن البداء لم يقل به من الشيعة إلا فرقة المختارية ، والذي روجها أولاً قائدهم المختار الثقفي ، واستدلوا بما سجل بعض المؤرخين من أهل السنة بذكر قصة حدثت بين جنديين من

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٣ .

(٢) سورة الأعراف : آية رقم ١٤٢ .

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص ٦٣ . المجلسي : بحار الأنوار ج ١٣ ص ٢٢٧ .

(٤) سورة الذاريات : آية رقم ٥٤ .

(٥) سورة الذاريات : آية رقم ٥٥ .

(٦) الروضة من الكافي ج ٨ ص ٩٠ . بحار الأنوار ج ٩ ص ٢٣٩ . تفسير القمي ج ٢ ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

(٧) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ١٢ ص ٣٢ .

(٨) المفيد: تصحيح اعتقاد الإمامية ص ٦٦ ، والمسائل العكبرية ص ٩٩ . بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٥ .

جنود المختار بن أبي عبيدة الثقفي^(١)، عندما سمعوا بأن المختار قال لهم أن القضاء نزل بهزيمة الأعداء ، وعندما انهزم جيش المختار عاتب الجندي أخاه ، فقال له : أو ما قرأت قوله تعالى : " يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب " !^(٢).

ويحكي النوبختي أيضاً قصة عن المختار الثقفي حين هزم ولم يبق معه سوى سبعين رجلاً وحاربوا أعدائهم بالحجارة ، والقصب ، والسكاكين ، لأنهم جعلوا القصب مكان الرماح ، وقد كان قال لهم أبو الخطاب : قاتلوهم ، فإن قصبكم يعمل فيهم عمل الرماح والسيوف ، ورماحهم ، وسلاحهم لا تضركم ، فلما قتل منهم نحو ثلاثين ، قالوا له : ما ترى ما يحل بنا من القوم ، وما نرى قصبنا يعمل فيهم ، ولا يؤثر فيهم ، وقد عمل سلاحهم فينا ، وقتل ما ترى منا ، فقال لهم : إن كان قد بدا لله فيكم ، فما ذنبي^(٣).

وإنما صار المختار إلى اختيار القول بالبداء : بأنه كان يدعي علم ما يحدث من الأحوال : إما بوحي يوحى إليه ، وإما برسالة من قبل الإمام ، فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة ، فإن وافق كونه قوله : جعله دليلاً على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال : قد بدى لربكم ، وكان لا يفرق بين النسخ والبداء ، قال : إذا جاز النسخ في الأحكام : جاز البداء في الأخبار ، وقد قيل : إن السيد محمد بن الحنفية تبرأ من المختار حين وصل إليه هذا^(٤) ، وبهذا تكون المسألة من ادعاءات أبي الخطاب^(٥) ، دون أن نعرف مبرراً على حمل كلامه على بقية فرق الشيعة ،

(١) الشيخ حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ٥٥ - ٥٦ .

(٢) يقصد ما ذكره الطبري: قال أبو مخنف : حدثني حصيرة بن عبد الله ، أن عبد الله بن نوف خرج من بيت هند بنت المتكلفة ، حين خرج الناس إلى حروراء ، وهو يقول: يوم الأربعاء ، ترفعت السماء ، ونزل القضاء ، بهزيمة الأعداء، فأخرجوا على اسم الله إلى حروراء ، فخرج ، فلما التقى الناس للقتال ضرب على وجهه ضربة ، ورجع الناس منهزمين ، ولقيه عبد الله بن شريك النهدي ، وقد سمع مقالته ، فقال له : ألم تزعم لنا يا بن نوف أنا سنهزمهم! قال : أو ما قرأت في كتاب الله : «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» ! . الطبري : تاريخ الرسل والملوك ج ٦ ص ١٠٤ .

(٣) النوبختي : فرق الشيعة ص ١١٨ بتصرف .

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢٢ .

(٥) حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ٥٦ . البغدادي : الفرق بين الفرق ص ٣٨ .

في الوقت الذي تلعن الشيعة فيه أبا الخطاب على لسان الصادق ^(١) .
من أول من قال بالبداء عند الشيعة الاثني عشرية : عن أبي عبد الله: " إن عبد المطلب جد النبي -ﷺ- أول من قال بالبداء ، وفي ذلك قصة حكاها أبو عبد الله: " يبعث عبد المطلب أمة وحده ، عليه بهاء الملوك ، وسيماء الأنبياء ؛ وذلك أنه أول من قال بالبداء " ^(٢) ، أي : البداء في الفعل لا في العلم وهو دليل على نسبة الاختيار إليه تعالى، ومن لم يقل به قائل بالجبر، وهو في الحقيقة سلب القدرة عنه تعالى ^(٣) .

والقصة : أن عبد المطلب أرسل رسول الله -ﷺ- إلى رعاته في إبل ندت له، فجمعها له ، وأبطأ عليه ، فأخذ بحلقة الكعبة ، وقال : " يا رب أتهلك آلك إن تفعل فأمر ما بدا لك " ، ثم رجع رسول الله -ﷺ- ، فقبله ، وقال : يا بني لا وجهتك بعد هذا في شيء ، فإني أخاف أن تغتال فتقتل ^(٤) . فعبد المطلب هو أول من قال بالبداء بمعنى : أول من قال بهذا اللفظ ، أو أول من قال من أولاد إسماعيل ، أو أول من قال من غير الأنبياء ، والأوصياء ، أو تفتن لإمكان البداء ^(٥) .

كيف أولت الرافضة معنى البداء في أفعاله تعالى ؟ حينما تقرأ المعنى اللغوي للبداء تظهر لك مشكلة وهي : أن في نسبة هذا المعنى لله تعالى ما يوهم نسبة الجهل لله تعالى ، أو نسبة التغيير في علمه سبحانه ، أو نسبة التغيير في قضائه وقدره تعالى. فحاول بعض علماء الشيعة أن يتعرض لحل هذا الإشكال باتجاهات ثلاثة :

(١) يقصد قول أبي إسحاق الإسفراييني : وَاعْلَمْ أَنَّ السَّبَبَ الَّذِي جُوزَتْ الْكَيْسَانِيَّةُ الْبِدَاءُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى : أَنَّ مُصْعَبَ ابْنِ الزَّبِيرِ بَعَثَ إِلَيْهِ عَسْكَرًا قَوِيًّا ، فَبَعَثَ الْمُخْتَارَ إِلَى قِتَالِهِمْ أَحْمَدُ بْنُ شَمِيطٍ ، مَعَ ثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمُقَاتِلَةِ ، وَقَالَ لَهُمْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّ الظُّفَرَ يَكُونُ لَكُمْ ، فَهَزَمَ ابْنُ شَمِيطَ فَيَمِينَ كَانَ مَعَهُ ، فَعَادَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَيُّنَ الظُّفَرِ الَّذِي قَدْ وَعَدْتَنَا ، فَقَالَ لَهُ الْمُخْتَارُ : هَكَذَا كَانَ قَدْ وَعَدَنِي ، ثُمَّ بَدَأَ فَاتَهُ -ﷺ- قَدْ قَالَ : يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيَثْبُتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ. التبصير في الدين ص ٣٤. مصطفى العامل: البداء ص ٢٣.

(٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٥١٨. المجلسي : بحار الأنوار ج ١٥ ص ١٥٨.

(٣) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي ص ٢٦٠.

(٤) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٤٤٧. المجلسي : بحار الأنوار ج ١٥ ص ١٥٧-١٥٨. الشاهرودي : مستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٢٩٩.

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ١٥ ص ١٥٧ - ١٥٨. والمصدر نفسه ج ١٠٨ ص ٢٠٥.

الاتجاه الأول : ويمثله الشيخ الصدوق ، والشيخ المفيد ، والشيخ المرتضى ، ويذهبون إلى أن التغيير إنما هو في المعلوم ، دون العلم ، فالعلم الإلهي ثابت أزلاً وأبداً ، وأما التغيير الملموس : إنما هو في طبيعة المعلوم ، مع العلم أن التغيير معلوم أزلاً ، وهذا الاتجاه يتمثل في جانبين : كلامي ، وفلسفي ^(١).

أما الجانب الكلامي يمثله الصدوق في كتابه التوحيد ، فذهب إلى أن هناك طرفين للقضية الواحدة ، ولكل طرف ظرف خاص ، بحيث يأمر الله تعالى بالعمل بطرف تلك القضية ، ثم ينهى عنه بمثل ما أمر به ؛ لعلمه بأن صلاح العباد يترتب على ذلك الأمر والنهي ، بالنسبة إلى طرفي القضية الواحدة، وهذه القضية بطرفيها مقررة أزلاً في علم الله تعالى ، والبداء هنا يأتي بمعنى النسخ ^(٢).

قال الصدوق : يجب علينا أن نقر لله تعالى بأن له البداء ، أي : أن له يبدأ بشيء من خلقه فيخلقه قبل شيء ، ثم يعدم ذلك الشيء ، ويبدأ بخلق غيره ، أو يأمر بأمر ، ثم ينهى عنه مثله ، أو ينهى عن شيء ، ثم يأمر بمثل ما نهى عنه ، وذلك مثل نسخ الشرائع ، وتحويل القبلة ، ولا يأمر الله تعالى ، ولا ينهى إلا لمصلحة في ذلك الوقت ^(٣).

ويؤيده الشيخ المفيد ، فيقرر : أن البداء عنده كالنسخ عند غيره ، ويصرح أنه لا خلاف بينه وبين المسلمين إلا في اللفظ ، وأنه مخصوص بأحكام القضاء والقدر مثل النسخ ^(٤).

الاتجاه الثاني فلسفي : حيث يضيف على البداء مفهوم النسخ ، ولكنه يختلف عن النسخ المعروف ، فيذهب إلى تقسيم النسخ إلى نسخين : تشريعي ، وتكويني ، والبداء يقع في الثاني منهما ، فيكون التغيير المشمول بالبداء : هو في ظاهر عالم التكوين ، لا في العلم الإلهي ، فالله تعالى لا يتصور فيه حركة ، أو انتقال ، أو تغير ، أو تبدل ، وإنما التجدد ، والحق ، والتدرج ، والتعاقب إنما هو في طبيعة المعلولات ، ولما كانت المعلولات ترتقي

(١) د عائشة المناعي: أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية، ط دار الثقافة - الدوحة - قطر ، ط ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ص ٦٣.

(٢) الشيخ حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ٢٥ - ٢٦.

(٣) الشيخ الصدوق : التوحيد ص ٣٢٧.

(٤) الشيخ حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ٢٧. المفيد : أوائل المقالات ص ٨٠.

بأسبابها إلى الله تعالى عن طريق الارتباط العلي، فهي مستندة في تغيرها إليه تعالى ، دون تغير العلة الأولى^(١).

إذاً : ينتهي النسخ والبداء إلى مفهوم واحد ، إلا أن البداء دائرته عالم التكوين ، والنسخ عالم التشريع^(٢).

الاتجاه الثاني : يرى أن حدوث التغيير إنما يكون في ذات العلم ، لا في ذات المعلوم ، حيث يفترض أن العلم الإلهي عبارة عن تسجيل معلومات في لوحين مخلوقين لله تعالى ، أحدهما : اللوح المحفوظ (القضاء) الذي لا تغيير فيه أصلاً ، مدون فيه كل الأمور مع كل ظروفها ، وملابساتها المقتضية للعمل ، ثم تفصيلات هذه الأمور ، إضافة إلى أجله، وكيف يكون ، والمؤثرات التي تتحكم في ذلك ، وتجري كل الأمور وفقها بلا تغيير ولا تبديل.

أما اللوح الثاني : لوح المحو والاثبات (القدر) وفي هذا السجل تؤخذ مقتضيات الأمور بين الاعتبار دون الموانع ، فإذا حصل المانع ، انمحى ذلك الشيء ، وسُجل شيء آخر غيره ، لحكمة ما ، يجهلها ، مثل صلة الرحم مقتضى لطول العمر ، والعكس ، والتغيير الواقع في هذا اللوح يسمى البداء^(٣). والذي قرر ذلك : قرر من حيث لا يعلم نظرية الكمون والظهور ، وفكرة البذور الإلهية ، التي نادى بها الأفلاطونية المحدثه أولاً ، ثم نادى بها المعتزلة وسموها بنظرية الذر ثانياً^(٤).

الاتجاه الثالث : يذهب إلى أن التغيير في العلم ، دون تأويل لطبيعة العلم ، والعلم المتغير ليس هو علم الخالق ، بل هو من دونه من المخلوقين ، فالتغيير في علم الناس ، لا في علم الله تعالى ، فيكون البداء بمعنى الإبداء ، أي : ظهور أمر للإنسان لم يكن يتوقعه ، حيث إن الشيء الخاضع لذلك الشرط ، لا يحيط به علم الإنسان إلا عند وقوعه؛ لذلك فإن

(١) حسن عبد الساتر: نظرية البداء ص ٢٧ - ٢٨. مصطفى العاملي : البداء والنسخ ص ٥٥. محمد كلاتر: البداء ص ٥٨.

(٢) حسن عبد الساتر: نظرية البداء ص ٢٨ - ٢٩. بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٦ - ١٢٧. محمد كلاتر: البداء ص ٥٨.

(٣) الشيخ حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ٢٩ - ٣٠. المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٩.

(٤) الشيخ حسن عبد الساتر : نظرية البداء هامش ص ٣٠.

الإنسان لا يملك موقفاً ثابتاً ازاء هذه الأمور ؛ لذلك يصح أن يظهر لنا من أفعال الله ما كنا نظن خلافه^(١).

وبتعبير آخر فلسفي : يرى أن التغير الواقع إنما يقع في علم النفس الفلكية ، في مرتبة الخيال ، وذلك لأن علومها جزئية ، متغيرة ، وفق اكتمال الشروط التامة للفعل الخاضع لأسباب معينة ، أو نقصانها ، وتختلف نسبة العلم المتغير ودلالته بالنسبة إلى العلم الإلهي ، بحسب قانون القضاء العام ، ودور الأسباب، وموقعها من الإرادة الإلهية ، وطبيعة التوافق بينهما ؛ لحصول ظاهرة التغير ، فالعالم العلوي ثابت ، تام ، منزه عن المواد وتعلقاتها ، بعكس عالم الكون والفساد ، وبهذا لا يخرج التغير عن العالم الحسي^(٢).

ولذلك حاول بعض علمائهم تأويل معنى البداء إلى خصوصه في بعض الأشياء دون بعض ، وفي ذلك عدة وجوه منها على سبيل المثال لا الحصر :

١ - أن المراد من المحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم ، واثبات حكم آخر بدلاً عن الأول.

٢ - أنه تعالى يحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة ؛ لأنهم مأمورون بكتابة كل قول وفعل ، ويثبت غيره .

٣ - أنه تعالى أراد بالمحو أن من أذنب أثبت ذلك الذنب في ديوانه ، فإذا تاب عنه محا عن ديوانه .

٤ - يحو الله ما يشاء : وهو من جاء أجله ، ويدع من لم يجيء أجله ويثبته .

٥ - أنه تعالى يثبت في أول السنة ، فإذا مضت السنة محيت ، واثبت في كتاب آخر للمستقبل .

٦ - يحو نور القمر ، ويثبت نور الشمس .

٧ - يحو الدنيا ، ويثبت الآخرة .

(١) المصدر السابق ص ٣٠ - ٣١ بتصرف .

(٢) المصدر السابق ص ٣٣ - ٣٥ بتصرف .

٨- أنه في الأرزاق ، والمحن ، والمصائب ، يثبتها في الكتاب ، ثم يزيلها بالدعاء والصدقة ، وفيه حث على الانقطاع إلى الله تعالى .

٩- تغير أحوال العبد ، فما مضى منها فهو المحو ، وما حضر وحصل فهو الإثبات .

١٠- يزيل ما يشاء من حكمه ، لا يطلع على غيبه أحد ، فهو المتفرد بالحكم كما يشاء ، وهو المستقل بالإيجاد، والإعدام، والإحياء، والإماتة، والإغناء، والإفقار، بحيث لا يطلع على تلك الغيوب أحداً من خلقه^(١).

البداء ليس ندامة عند الشيعة : تدعي الشيعة الاثني عشرية أن : البداء ليس كما يظنه جهال الناس بأنه ندامة؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولكن يجب علينا أن نقر لله تعالى بالبداء ، ومعناه : أن له أن يبدأ بشيء من خلقه ، فيخلقه قبل شيء ، ثم يعدم ذلك الشيء ، ويبدأ بخلق غيره ، أو يأمر بأمر ، ثم ينهى عن مثله ، أو ينهى عن شيء ، ثم يأمر بمثل ما نهى عنه ، وذلك مثل نسخ الشرائع ، وتحويل القبلة ، وعدة المتوفى عنها زوجها ، ولا يأمر الله عباده بأمر في وقت ما إلا وهو يعلم أن الصلاح لهم في ذلك الوقت ، في أن يأمرهم في ذلك الوقت ، ويعلم في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ما أمرهم به ، فإذا كان في ذلك الوقت أمرهم بما يصلحهم ، فمن أقر الله - ﷻ - بأن له أن يفعل ما يشاء ، ويعدم ما يشاء ، ويخلق مكانه ما يشاء ، ويقدم ما يشاء ، ويؤخر ما يشاء ، ويأمر بما شاء كيف شاء ، فقد أقر بالبداء ، وما عظم الله - ﷻ - بشيء أفضل من الإقرار بأن له الخلق ، والأمر ، والتقديم والتأخير ، وإثبات ما لم يكن ، ومحو ما قد كان ، وإثبات البداء^(٢).

ما هي أول واقعة بداء في سلسلة الإمامة وهل يتناقض هذا مع العلم السابق لله سبحانه ؟ :

عن الصادق قال : " من زعم أن الله بدا له في شيء اليوم ما لم يعلمه أمس ؛ فابروا منه "^(٣)، ويعلق الصدوق فيقول : " إنما البداء الذي ينسب إلى الإمامية القول به هو :

(١) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٤.

(٢) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي ص ١١١ - ١١٢.

(٣) الشيخ الصدوق : الاعتقادات في دين الإمامية ص ٤١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١١١.

ظهور أمره ؛ تقول العرب : بدا لي شخص ، أي : ظهر لي لا بداء ندامة - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - ، وكيف ينص الصادق على إسماعيل بالإمامة ، مع قوله فيه : " إنه عاص لا يشبهني ولا يشبه أحداً من آبائي " ^(١) ؛ ولذلك روي : " كذب الوقاتون ، وهلك المستعجلون ، ونجا المؤمنون " ^(٢) .

وقال أبو عبد الله مشيراً إلى وقوع البداء في كون المنتظر بدلاً من محمد العسكري ؛ فقال : كان هذا الأمر فيّ ، فأخره الله ، ويفعل بعد ذلك في ذريتي ما يشاء ^(٣) .

وحول تأخر ظهور القائم المنتظر بعد التوقيت مراراً ، يتوجه القول إلى البداء ؛ فيقول أبو جعفر رداً على سؤال : ألهذا الأمر أمر تريخ إليه أبداننا ، وننتهي إليه ؟ قال : بلى ، ولكنكم أذعنتم ؛ فزاد الله فيه ^(٤) .

ويقول الطوسي : والوجه في هذه الأخبار أن نقول : إن صحت ، أنه لا يمتنع أن يكون الله تعالى قد وقت هذا الأمر في الأوقات التي ذكرت ، فلما تجدد ما تجدد تغيرت المصلحة ، واقتضت تغييره إلى وقت آخر ، وكذلك فيما بعد ، ويكون الوقت الأول ، وكل وقت يجوز أن يؤخر مشروطاً بأن لا يتجدد ما يقتضي المصلحة تأخيرها ، إلى أن يجيء الوقت الذي لا يغيره شيء ؛ فيكون محتوماً ، وعلى هذا يتأول ما ذكر من الأخبار عن تأخير الأعمار عن أوقاتها ، والزيادة فيها عند الدعاء ، وصلة الرحم ، وما روي في تنقيص الأعمار عن أوقاتها إلى ما قبله ، عند فعل الظلم ، وقطع الرحم ، وغير ذلك ، وكذلك يتأول لفظ البداء ، ويبين أن معناها النسخ ، على ما يريده جميع أهل العدل فيما يجوز فيه النسخ ؛ لأن

(١) ومما جاء من أخبار إسماعيل بن جعفر : أن الوليد بن صبيح قال جاني رجل فقال ألا أريك ابن الرجل ، قال : فذهبت معه ؛ فجاء بي إلى قوم يشربون الخمر فيهم إسماعيل بن جعفر ، قال : فخرجت مغموماً ، فجئت إلى الحجر ، فرأيت إسماعيل متعلقاً بأستار الكعبة يبكي قد بل أستار الكعبة بدموعه ؛ فسألت أبا عبد الله ؛ فقال : ابتلي ابني بشيطان يتمثل في صورته ، وقد روي : إن الشيطان لا يتمثل في صورة نبي ، ولا وصي نبي ، فكيف يجوز أن ينص عليه في الإمامة مع صحة هذا القول منه فيه " . الصدوق : إكمال الدين وتمام النعمة ص ٧٠ .

(٢) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ٣٦٨ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٠٣ - ١٠٤ .

(٣) الطوسي : الغيبة ص ٢٦٥ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١١٤ .

(٤) وهذا لمصلحة اقتضت ذلك . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١١٣ - ١١٤ .

البداء في اللغة هو الظهور ، فلا يمتنع أن يظهر لنا من أفعال الله تعالى ما كنا نظن خلافه ، أو نعلم ولا نعلم شرطه^(١) .

قال رسول الله -ﷺ-: إن المرء ليصل رحمه ، وما بقي من عمره إلا ثلاث سنين ؛ فيمدها الله إلى ثلاث و ثلاثين سنة ، وإن المرء ليقطع رحمه ، وقد بقي من عمره ثلاث و ثلاثين سنة ، فيقصرها الله إلى ثلاث سنين أو أدنى^(٢) .

حكم الاعتقاد بالبداء عند أهل السنة:

يعتقد أهل السنة أن البداء مستحيل على الله تعالى ؛ لأننا توافقنا على أن الأمر بالشئ لا يمنع من النهي عن شئ آخر ، ولا يلزم من الانتهاء عنه الإخلال بذلك المأمور ، وبيان أن البداء محال : أن ذلك الفعل في ذلك الوقت لابد وأن يكون إما حسناً ، وإما قبيحاً وكيفما كان ، فإما أن يقال المكلف ما كان عالماً بحاله ، ثم بدا له ذلك ، فلذلك اختلف الأمر والنهي ، وذلك محال لاستحالة البداء على الله تعالى ، وإما أن يقال : أنه كان عالماً بحاله ؛ فيلزم منه إما الأمر بالقبيح ، أو النهي عن الحسن ، وذلك أيضاً محال^(٣) .

ومن جوز النسخ في اعتقاد معاني أخبار الله تعالى ، وخبر رسوله -ﷺ- فقد وصف الله تعالى بالبداء ، وأنه ظهر له في الثاني ما لم يكن يعلمه قبل ، فمن جوز البداء على الله فهو خارج عن ملة الإسلام^(٤) .

والقول بتجدد علمه -ﷺ- كُفِّرَ بِإِجْمَاعِ أئِمَّةِ أَهْلِ السُّنَّةِ ، فَمَنْ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ عَالِمًا حَتَّى خَلَقَ لِنَفْسِهِ عِلْمًا فَعَلِمَ بِهِ فَهُوَ كَافِرٌ ، وكذلك إذا أريد بالبداء : أن يريد الشئ دائماً ، ثم ينتقل عن الدوام ؛ لأمر حادث ، لا بعلم سابق ، أو يكون سببه دالاً على إفساد الموجب لصحة الأمر الأول ، بأن يأمره لمصلحة لم تحصل ، فيبدو له ما يوجب رجوعه عنه ، أو لبيان غاية مجهولة للحكم^(٥) .

(١) الطوسي : الغيبة ص ٢٦٦ بتصرف .

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢١ .

(٣) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦هـ) : المحصول في علم الأصول ، تحقيق : طه جابر فياض العلواني ، نشر مؤسسة الرسالة - الرياض ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ج ٣ ص ٣١٦ .

(٤) الجصاص : الفصول في الأصول ج ٢ ص ٢٠٧ .

(٥) ابن النجار : شرح الكوكب المنير ج ٣ ص ٥٣٦ - ٥٣٧ بتصرف .

ولا يجوز أن يكون هذه المعاني من معاني النسخ ؛ لأنه غير جائز أن يكون الحكم الأول مراداً في الوقت الثاني الذي ورد فيه النسخ ، ثم أبطله ونهى عنه ؛ لأن ذلك هو البداء ، ولا يجوز على الله تعالى ، إذ هو العالم بالعواقب ، فغير جائز أن يبدو له علم شيء لم يكن علمه في الأول^(١) .

وزعم بعضهم : أنه يجوز على الله تعالى البداء ، فيما لم يطلع عليه عباده ، وهذا خطأ ؛ لأنهم إن أرادوا بالبداء : أن يظهر له ما كان خفياً عنه ، فهذا كفر ، وإن كانوا أرادوا به تبديلاً لعبادات ، والفروض فهذا لا ننكره ، إلا أنه لا يسمى بداءً ؛ لأن حقيقة البداء ما بينا ، ولم يكن لهذا القول وجه ، أما نسخ الفعل قبل دخوله وقته فيجوز ، وليس ذلك ببداء ، والدليل على جواز ذلك : أن الله تعالى أمر إبراهيم - عليه السلام - بذبح ابنه ، ثم نسخه قبل وقت الفعل ، فدل على جوازه ، والدليل على أنه ليس ببداء ما بيناه من أن البداء ظهور ما كان خفياً عنه ، وليس في النسخ قبل الوقت هذا المعنى^(٢) .

ومن أسباب استحالة البداء على الله أنه لو جازَ أَلَّا يَكُونَ مُرِيدًا لِمَا أَمَرَ بِهِ ، لَجَازَ أَنْ يَكُونَ مُرِيدًا بِضِدِّهِ ، وَلَوْ جَازَ ذَلِكَ لَمَا كَانَ الْمَأْمُورُ مُطِيعًا بِفِعْلٍ مَا أَمَرَ بِهِ ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ مُطِيعًا لَهُ بِفِعْلٍ مَا أَرَادَهُ مِنْهُ ، وَكَانَ لَا يَكُونُ عَاصِيًا بِفِعْلٍ مَا نَهَا عَنْهُ ، لِأَنَّهُ قَدْ أَرَادَهُ مِنْهُ ، فَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُرْتَكِبُ النَّهْيِ مُطِيعًا لِلَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا أَرَادَهُ مِنْهُ ، وَهَذَا يُوجِبُ سَقُوطَ مَعْنَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، وَيَجْعَلُ وُرُودَهُمَا عَبَثًا وَسَفَهًا ، فَإِذَا صَحَّ هَذَا ، ثُمَّ وَرَدَ الْأَمْرُ مُقْتَضِيًا لِإِرَادَةِ الْفِعْلِ لَمْ يَجْزُ أَنْ يَكْرَهُهُ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ مِنْهُ وَفِي النَّهْيِ عَنْهُ بَعْدَ الْأَمْرِ بِهِ ؛ كَرَاهَةً لَذَلِكَ الْفِعْلِ بِعَيْنِهِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي أَرَادَهُ ، وَهَذَا هُوَ الْبَدَاءُ الَّذِي هُوَ مَنْفِيٌّ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكْرَهُهُ بَعْدَ إِرَادَتِهِ لَهُ إِلَّا وَقَدْ اسْتَحْدَثَ عِلْمًا لَمْ يَكُنْ عِلْمَهُ وَقْتَ إِرَادَتِهِ ، أَوْ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ عَبَثًا وَسَفَهًا فِي الْبَدَاءِ ، وَالْوَجْهَانِ جَمِيعًا مَنْفِيَّانِ عَنِ اللَّهِ - ﷻ - وَلَيْسَ يَمْتَنِعُ أَنْ يُرَادَ الْفِعْلُ مِنْ وَجْهِ وَيَكْرَهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ ؛ فَتَتَعَلَّقُ الْإِرَادَةُ وَالْكَرَاهَةُ بِهِ مِنْ وَجْهَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ ، فَأَمَّا مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ فَلَا^(٣) .

السبب الذي من أجله اعتقدت الشيعة بالبداء :

(١) الجصاص : الفصول في الأصول ج ٢ ص ١٩٩-٢٠٠ .

(٢) أبو إسحاق الشيرازي : اللمع في أصول الفقه ص ١٢١ - ١٢٢ .

(٣) الجصاص : الفصول في الأصول ج ٢ ص ٢٣٤-٢٣٥ .

والعلة في اعتقاد البداء هو التغطية على كذبهم : " فإن أئمة الرافضة وضعوا القول بالبداء لشيعتهم ، فإذا قالوا : إنه سيكون لهم أمر ، وشوكة ، ثم لا يكون الأمر على ما أخبروه ، قالوا : بدا لله تعالى فيه ^(١) .

يقول أبو جعفر وأبو عبد الله : إذا حدثناك بأمر أنه سيجيء من ها هنا ؛ فجاء من ها هنا ، فإن الله يصنع ما يشاء ، وإن حدثناك اليوم بحديث ، وحدثناك غداً بخلافه ، فالله يمحو ما يشاء ويثبت ^(٢) .

فيقال لهم : أليس هذا خرم في عصمتهم ، وعلمهم ، ووضع الشيعي في وضع الحرج في الدين حين لا يستطيع أن يفعل أن يعتقد عقيدة إلا بعد التأكد من عدم وجود مخالف لها ؟ .
ويقال لهم : أليس الله تعالى قد ملك قوماً من الكفار العصاة الظلمة ، ومكنهم ، وأذل قوماً من الكفار العصاة الظلمة ، وملك غيرهم رقابهم ، وملك قوماً صالحين فضلاء مؤمنين ، ومكنهم ، وبسط أيديهم ، وأذل قوماً صالحين فضلاء مؤمنين ، وملك غيرهم رقابهم ، ومد أعمار قوم كفار طغاة ، واخترم آخرين منهم قبل بلوغ الاكتهال ، وفعل مثل ذلك بقوم مؤمنين أفاضل ، ومكن قوماً عصاة مردة من البيان والكلام في العلوم حتى أضلوا أمما من الخلق ، وجعل آخرين منهم بلداء أغبياء ، وفعل مثل ذلك أيضاً بالمؤمنين سواء بسواء ، فما الذي جعل هذا حكمه دون عكس كل ذلك ، وما الفرق بين هذا من أفعاله تعالى ، وبين أن يأمر اليوم بأمر ، ثم ينهى عن مثله غداً ، وما يفرق بين كل ما ذكر إلا عديم عقل ، أو وقح سخيف .

فإن قالوا : إن هذا هو البداء لزمهم مثل ذلك في كل ما ذكرنا آنفاً ، وفي إحيائه من يحيي ، ثم إماتته ، وفي إغنائه من يغني ، ثم إفقاره ، وفي تصحيحه جسم من يرزقه العافية ، ثم يمرضه ، وفي الهرم بعد الفتوة لزم الروافض على ذلك وصف البارئ تعالى بالجهل مع النصوص القطعية ، والأدلة العقلية الدالة على استحالة ذلك في حقه ، وأنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ، ولا في السماء .

(١) قول لسليمان بن جرير الريدي . حكاه الطوسي : التبيان في تفسير القرآن ج ١ ص ١٣ - ١٤ .

جعفر السبحاني : البداء في ضوء الكتاب والسنة ص ١١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١٢٣ .

(٢) أبو حمزة الثمالي (ت ١٤٨ هـ) : تفسير القرآن الكريم ، أعاد جمعه : عبد الرزاق محمد حسين

حرز الدين ، ط دار المفيد - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ص ٢١٧ - ٢١٨ . المجلسي : بحار

الأنوار ج ٤ ص ١١٩ . تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٣٣ .

وإن أئمة الرافضة وضعوا لشيعتهم مفاالتين : لم يظهرها معهما من أنمتهم على كذب أبدأ ، وهما : القول بالبداء ، وإجازة التقية ، فأما البداء فإن أنمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيها في العلم فيما كان ، ويكون من الأخبار ، وما يكون في غد ، وقالوا لشيعتهم أنه سيكون في غد ، وفي غابر الأيام كذا وكذا ، فإن جاء ذلك الشيء على ما قالوه ، قالوا لهم ألم نعلمكم أن هذا يكون ؛ فنحن نعلم من قبل الله ما علمته الأنبياء ، وبيننا وبين الله مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء بها عن الله ما علمت ، وإن لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا إنه يكون على ما قالوه ، قالوا بدا الله في ذلك فلم يكونه ، فمتى يعرف الحق من الباطل ؟ والصدق من الكذب ؟^(١).

ولما ادعوا عدم البداء في الشيء المقدور المحتوم ، والعلم الأزلي بوجود الأشياء ، فاتهم روايات تتضمن البداء في العلم الأزلي ، والقدر المحتوم ، مثل قول أبو عبد الله حين سئل عن قوله تعالى : ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴾^(٢) ، قال : لا مقدراً ، ولا مكوناً ، وسئل عن قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾^(٣) ، قال : كان مقدراً غير مذكور^(٤)^(٥).

(١) قول لسليمان بن جرير الريدي. الطوسي: التبيان في تفسير القرآن ج ١ ص ١٣ - ١٤. جعفر السبحاني: البداء ص ١١. الأشعري القمي : المقالات والفرق ص ٧٨ - ٧٩. ونقله مذباً له المازندراني: شرح الكافي ج ٤ ص ٣١١-٣١٢.

(٢) سورة مريم : آية رقم ٦٧ .

(٣) سورة الإنسان : آية رقم ١ .

(٤) الكليني : أصول الكافي ج ١ ص ١٩٧ - ١٩٨. بحار الأنوار ج ٥٧ ص ٦٣.

(٥) الانسان الكامل الذي هو أكمل المخلوقات ، وأكمل من العقل الأول (هو : العقل المجرد وهو المخلوق الأول للواجب تعالى ، وهو أكمل موجود في القوس النزولي الذي معناه : يكون العلم مبدأه من الله والنزول إلى عالمنا) ؛ لأنه مالك للحضرات الخمس { الحضرة التي هي عالم الأجسام ، والحضرة الملكوتية السفلى التي هي عالم المثال ، والحضرة الملكوتية العليا التي هي عالم النفوس المتعلقة ، والحضرة الجبروتية التي هو عالم العقول المجردة ، الحضرة الخامسة وهي الحقيقة المحمدية ، التي هو عالم الأسماء والصفات } ، فعلم الله الفعلي معناه : ظهور معلوم الحق على ما علمه ، الشيء لا يفقد مرتبته العالوية بحضوره في مرتبة وجودية أخرى ، فيكون هذا العلم من باب التجلي ، لا من باب التجافي ، وإلا لزم نقصان الخزائن الإلهية ، ونفادها كلما نزل منها شيء ، ولازمه التغيير والتحول ، والزيادة

عن أبي جعفر: "فإذا حدثناكم الحديث ، فجاء على ما حدثناكم به ، فقولوا : صدق الله ، وإذا حدثناكم الحديث ، فجاء على خلاف ما حدثناكم به ، فقولوا : صدق الله ، تؤجروا مرتين" (١).

أما النصوص: فكقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٢) ، وقوله تعالى : ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ (٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَظَبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٥).

وأظن أن العلة في جعل البداء من عقائدهم أن الذي يريد أن يكذب على أهل البيت فإنه كان يدعي العصمة لنفسه ، ويخبر بأشياء ، فإذا ظهر كذبه فيها ، قال : إن الله وعدني بذلك غير أنه بدا له منه ، وأسند ذلك إلى أهل البيت مبالغة في ترويح أكاذيبه .

ويؤيد ما قلت ما قاله أحد مؤرخي الإمامية : لأنه كان يدعي أحد من يدعي صحبة الإمام علم ما يحدث من الأحوال ، إما بوحى يوحى إليه ، وإما برسالة من قبل الإمام ؛ فكان إذا وعد أصحابه بكون شيء ، وحدث حادثة ، فإن وافق كونه قوله : جعله دليلاً على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال : قد بدى لربكم ، وكان لا يفرق بين النسخ والبداء ، ويقول : إذا جاز النسخ في الأحكام ؛ جاز البداء في الأخبار (٦).

وأما قوله تعالى ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ فالمراد بها إنما هو محو المنسوخ ، وإثبات الناسخ ، ومحو السيئات بالחסنات كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ (٧) ،

والنقصان . السيد محمد سلطان كلانتر : البداء ص ٥٠-٥١ . السيد كمال الحيدري : بحوث عقائدية (مراتب العلم الإلهي) ص ٢٠-٢١ .

(١) قال علي غفاري: مرة للتصديق وأخرى للقول بالبداء. الكليني: أصول الكافي ج ١ ص ٤٣٠ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١١٨ .

(٢) سورة الحديد : آية رقم ٣ .

(٣) سورة الرعد : آية رقم ٩ .

(٤) سورة الأنعام : آية رقم ٥٩ .

(٥) سورة الحديد : آية رقم .

(٦) أبو الفتح الشهرستاني : الملل والنحل ص ١٢٢ .

(٧) سورة هود : آية رقم ١١٤ .

ومحو الحسنات بالردة على ما قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْتِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(١) ، أو محو المباحات ، وإثبات الطاعات على ما قاله أهل التفسير ^(٢) ، أو محو ما يشاء من الآجال ، أو الأرزاق ، وإثبات غيرها ، ويجب الحمل على ذلك جمعا بينه وبين الأدلة القاطعة الدالة على امتناع الجهل في حق الله تعالى ^(٣) .

مع كونهم رويوا أنه كتاب واحد فقط ، كما قال أبو عبد الله: إن الله كتب كتاباً فيه ما كان ، وما هو كائن ، فوضعه بين يديه ، فما شاء منه قدم ، وما شاء منه أخر ، وما شاء منه محا ، وما شاء منه أثبت ، وما شاء منه كان ، وما لم يشأ لم يكن ^(٤) .

أما ما وقع من كلمات المعصومين من الإنباء بالحوادث المستقبلية ؛ فتحقيق الحال فيها : أن المعصوم متى ما أخبر بوقوع أمر مستقبل على سبيل الحتم والجزم ، ودون تعليق ، فذلك يدل على أن ما أخبر به مما جرى به القضاء المحتوم ؛ فإن الله لا يكذب نفسه ولا نبيه ^(٥) .

ومتى ما أخبر المعصوم بشيء معلقاً على ألا تتعلق المشيئة الإلهية بخلافه ، ونصب قرينة متصلة ، أو منفصلة على ذلك الخبر ، فهذا الخبر يدل على جريان القضاء الموقوف الذي هو موضع البداء ، والخبر الذي أخبر به المعصوم صادق ، وإن جرى فيه البداء ، وتعلقت المشيئة الإلهية بخلافه ، فإن الخبر منوط بالألا تخالفه المشيئة ^(٦) .

ظاهرة البداء في الديانات القديمة : عند استعراضنا للديانات القديمة نلمس أن مفهوم ظاهرة البداء جلي في سلوك الأنسان في هذه الديانات ، ونبدأ بديانة بلاد الرافدين (سومر وآشور) التي طورت حياة الإنسان الدينية وتصورات الروحية التي سادت جميع نواحي الشرق الأدنى ، مروراً بالديانات المصرية القديمة ، واليونان ، والرومان ، في عصورها

(١) سورة البقرة : آية رقم ٢١٧ .

(٢) الطبرسي : مجمع البيان في تفسير القرآن ج ٦ ص ٣٧ .

(٣) الآمدي : الإحكام في أصول الأحكام ج ٣ ص ١٢١ - ١٢٢ بتصرف .

(٤) بحار الأنوار ج ٤ ص ١١٩ . مستدرك سفينة البحار ج ١ ص ٢٩٥ . تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٣٢ .

(٥) المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١١٣ . أبو القاسم الخوئي : تفسير البيان ص ٣٩٤ .

(٦) الكليني : أصول الكافي ج ١ هامش ص ١٩٦ . أبو القاسم الخوئي : تفسير البيان ص ٣٩٤ .

المبكرة ، التي كانت تتضمن أدعيتهما (الإليازة و الأوديسه) : طلب عون الآلهة ، ومساعدتها في قضاء حوائجهم ؛ معتقدة أن الآلهة يحق لها أن تغير مواقفها لمصلحة من يتوسل إليها .

كما كانت عند البابليين والمصريين القدماء، بالطلب من الآلهة التي يمكن أن تدفع عنهم همّاً أو غمّاً بعد أن يبدوا لها شيء يكون في صالحهم، وكذلك ديانة الهنود، والبوذية، وديانة فارس القديمة، وديانة الصينيين^(١).

ومن خلال استعراضنا لهذه الديانات يمكن أن نستنتج : أنه ظاهرة إنسانية ، ونزعة عامة ، جسدها الإنسان في حياته اليومية ، هي ظاهرة التغير التي تعاشه دائماً ، وأدرك أنه طرف في هذا التغير ، فما عليه إلا أن يعمل ؛ ليكون هذا التغير لصالحه ، بعد أن جزم أن هذا التغير توجهه قوى تراوحت عنده بين كونها غيبية ، أو مرئية ، ومن هنا تقدم لها بالعبادة، والتبجيل ، والاحترام ، والطاعة ؛ بغية تغيير مواقفها ازاءه ، وجعلها إلى جانبه^(٢).

اليهود وعقيدة البداء : ذهبت اليهود أن قلم التقدير والقضاء حينما جرى على الأشياء في الأزل استحال أن تتعلق المشيئة بخلافه ، ومن أجل ذلك قالوا يد الله مغلوطة عن القبض والبسط ، والأخذ والعطاء ، فقد جرى فيها قلم التقدير ، ولا يمكن فيها التغير . ومن الغريب أنهم - قاتلهم الله - التزموا بسلب القدرة عن الله تعالى ، ولم يلتزموا بسلب القدرة عن العبد، مع أن الملاك في كلاهما واحد ؛ فقد تعلق العلم الأزلي بأفعال الله تعالى ، وبأفعال العبيد على حد سواء^(٣).

يقول الرضا: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾^(٤)، يعنون : إن الله تعالى قد فرغ من الأمر ، فليس يُحدثُ شيئاً^(٥) ، فقال الله - ﷻ -: ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾^(٦) ، وإن قوماً

(١) الشيخ حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ٣٨ - ٣٩ .

(٢) الشيخ حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ٣٩ .

(٣) الكليني : أصول الكافي ج ١ هامش ص ١٩٥ .

(٤) سورة المائدة : آية رقم ٦٤ .

(٥) الصدوق : عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٦١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ١١٣ .

(٦) سورة المائدة : آية رقم ٦٤ .

سألوا أبا موسى عن البداء، فقال: وما ينكر الناس من البداء ، وأن يقف الله قوماً يرجيهم لأمره^(١).

وإثبات البداء رد على اليهود ؛ لأنهم قالوا : إن الله قد فرغ من الأمر ؛ فقلنا : كل يوم هو في شأن يحيي ، ويميت ، ويخلق ، ويرزق ، ويفعل ما يشاء ، والبداء ليس ندامة ، وإنما هو من ظهور أمر؛ وقال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾^(٢) ، أي ظهر لهم ، ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبد صلة لرحمه زاد في عمره ، ومتى ظهر له منه قطيعة لرحمه نقص من عمره.

وربما تمحل البعض وقال : إنا لا نقول بالجهل والندامة بل الله تعالى قضى حكماً يعلم أنه يغيره بسبب حادث مثلاً ، ويحكم الله تعالى بقصر عمر زيد مع أنه يعلم أنه يتصدق ويصل الرحم فيستحق طول العمر ، ويغير الحكم الأول ويطيل عمره وهذا معنى لا يناسب سائر أقوال الشيعة ؛ لأن فيه تناقضاً واضحاً مثل أن يقال عزم زيد على إقامة عشرة أيام في بلد مع أنه يعلم أنه لا يقيم به أكثر من ثلاثة أيام ، وكيف يحكم الله تعالى بقصر عمر رجل يعلم أنه يطيل عمره ؟ .

فإن قيل لا تناقض بين حكمين مختلفين موقوفين على شرطين مختلفين فيحكم بقصر عمره إن لم يصل الرحم ولم يتصدق ، ويطيله إن تصدق ووصله ، فيرفع التناقض باختلاف الشرط .

قلنا لا يطلق الإرادة والمشيئة والقضاء والقدر وأمثالها إلا على الطرف المثبت الذي حصل شرطه إلي حكم الشارع بوقوعه ، ولا يطلق على ما يعلم تعالى انه لا يقع قط . فلا يقال : قضى الله تعالى بظلمة النهار وضياء الليل على فرض كون الشمس طالعة ليلاً وآفلة نهاراً^(٣)؛ لأننا نقول هذا من باب قوله -ﷺ-: ﴿حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾^(٤) ، وأمثال ذلك ، ولا يدل شيء منها على نفي العلم سبحانه^(٥).

(١) الصدوق : عيون أخبار الرضا ج ١ ص ١٦١ . المجلسي : بحار الأنوار ج ٤ ص ٩٨ .

(٢) سورة الزمر : آية رقم ٤٧ .

(٣) مولى محمد صالح المازندراني : شرح الكافي ج ٤ ص ٣١١ .

(٤) سورة محمد : آية رقم ٤٧ .

(٥) السيد بدر الدين بن أحمد الحسيني العاملي : الحاشية على أصول الكافي ص ١١٣ .

وفي الكتاب المقدس رجل اسمه حزقيا ، مرض مرض الموت ، فجاءه النبي أشعيا بأمر من الله يأمر بالوصية لأنه سيموت ، وبدلاً من استسلامه للأمر توجه إلى الله بالصلاة ، والدعاء ، والبكاء مناجياً ربه ، فأوحى الله إلى نبيه إن الله قد استجاب دعاءه ، فاذهب إليه وأخبره أن الله مد في عمره خمس عشر سنة (١).

و تقر اليهود أيضاً بوقوع البداء من الله بمعان أخرى ، كما ثبت ذلك في توراتهم ، ويعبرون عن هذه العقيدة بكلمتين (الحزن،والندم)؛ ففي سفر التكوين: " ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض . وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض. وتأسف في قلبه. فقال الرب : أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته. الإنسان مع بهائم ودبابات الأرض وطيور السماء. لأنني حزنت أني عملتهم" (٢).

وفي سفر الخروج يخاطب موسى -عليه السلام- ربه فيقول " لماذا يتكلم المصريون قائلين أخرجهم بخبث ليقتلهم في الجبال ، ويفنيهم عن وجه الأرض . ارجع عن حمو غضبك واندم على الشر بشعبك . أذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك وقلت لهم أكثر نسلكم كنجوم السماء وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد . فندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه " (٣) ، وفي سفر القضاة: " لأن الرب ندم من أجل أنينهم بسبب مضايقتهم وزاحميتهم " (٤).

وفي سفر صموئيل الثاني : " وبسط الملاك يده على أورشليم ؛ ليهلكها ؛ فندم الرب عن الشر ، وقال للملاك المهلك الشعب كفى الآن رد يدك " (٥).

وتكررت كلمة الندم في مواضع أخرى نذكر بعضها مثل : القضاة ١٨/٢ ، صموئيل الأول ٣٥/١٥ ، صموئيل الثاني ٢٤/١٦ ، أخبار الأيام الأول ١٥/٢١ ، المزمير ٤/١١٠ ، أرميا ١٦/٢٠ ، أرميا ١٣/٢٦ - ١٩ ، يونس ١٣/٢ ، عاموس ٦-٣ / ٧ ، وغيرها . وبهذه النصوص يظهر جلياً عقيدة البداء والندم عند اليهود ، تعالى الله عما يقولون .

(١) الشيخ حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ٤٢ - ٤٣ . الكتاب المقدس : أشعيا ٣٨ / ١ - ٨ .

(٢) الكتاب المقدس : العهد القديم ، سفر التكوين ، الإصحاح السادس آية رقم ٥ - ٨ ص ١٠-١١ .

(٣) الكتاب المقدس : العهد القديم ، سفر الخروج ، الإصحاح ٣٢ آية رقم ١٢ - ١٤ ص ١٤٠-١٤١ .

(٤) الكتاب المقدس : العهد القديم ، سفر القضاة ، الإصحاح الثاني آية رقم ١٨ ص ٣٨٢ .

(٥) الكتاب المقدس : العهد القديم ، سفر صموئيل الثاني ، الإصحاح ٢٤ / ١٦ ص ٥٢٦ .

بينما نجد نصوصاً تكذب هذه النصوص وتتعارض معها ؛ حين تقول التوراة كلاماً منسوباً إلى الله - جل جلاله - على لسان بعض رسله ؛ فيزعمون أن الله يقول : " ليس الله إنساناً فيكذب . ولا ابن إنسان فيندم . هل يقول ولا يفعل . أو يتكلم ولا يفي " (١).

وفي موضع آخر تزعم التوراة : " نصيح إسرائيل لا يكذب ، ولا يندم ؛ لأنه ليس إنساناً ليندم " (٢).

وجدير بالذكر أن اليهود والنصارى أنكروا النسخ ، برغم ذكره في التوراة والانجيل ، وكان رفضهم بحجة أن القول بالنسخ يؤدي إلى القول بالبداء (٣).

(١) الكتاب المقدس : العهد القديم ، سفر العدد ، الإصحاح ٢٣ / ١٩ ص ٢٥٣ .

(٢) الكتاب المقدس : العهد القديم ، سفر صموئيل الأول ، ١٥ / ٢٩ ص ٤٥٢ .

(٣) الشيخ حسن عبد الساتر : نظرية البداء ص ٥٨ .

الخاتمة

وفيها أهم النتائج والتوصيات



الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله - سبحانه - أقول : إن ما كتبته في طيات البحث ما هي إلا نصوص من داخل كتب الشيعة الإمامية الاثني عشرية ، وكتب أهل السنة والجماعة - على اختلاف مشاربهم - .

وقد حاولت - قدر المستطاع - ألا أتحيز لمذهب بعينه - وإن كنت مقتنعاً به - ، ولم أتحيز لهوى شخصي ، ولا لعصبية عمياء ، فإن الهدف الأسمى الذي أطمع الوصول إليه : الحق - ما استطعت لذلك سبيلاً - .

وفي الختام : توصلت إلى عدة نتائج من أهمها :

- ١- أن التقديس قد تخلل في معظم عقائد الشيعة الاثني عشرية ، وأثر تأثيراً واضحاً في كل نواحي المذهب - إيجاباً و سلباً - وكان من أهم نتائج هذا التقديس : غموض كثير من العقائد على علماء المذهب فضلاً عن عوامه ، وأكبر مثال عقيدة البداء ، ومنها وجود رغبات وشهوات واتجاهات من مصلحتها نمو هذا التقديس ، والجهل ، وتقليد السابقين ،
- ٢- بظهور تقديس الأئمة ظهرت النزعات العرقية ، والعصبية الدينية ، والدس في الروايات ، والجدال في متشابهات القرآن ، وتشويه التاريخ ، وإبراز المثالب والمطاعن ؛ وهذا بسبب الحب الغير منضبط بضوابط الشرع .
- ٣- حينما يقرأ القارئ في كتب الاثني عشرية يشعر بأن التاريخ قد توقف عند موت الحسين ، فكل حديثهم يدور حول الفترة ما بين البعثة ووقعة كربلاء ؛ مما ساعد على تجمد الفكر ، وتجديد فكرة العودة للوراء ؛ مما يوسع هوة الخلاف بيننا وبينهم .
- ٤- بسبب تقديس الأئمة انخلعت الشيعة من تاريخ الأئمة ، لتسطر تاريخاً مشوهاً .

٥- قدست الشيعة الاثنا عشرية أئمتهم تقديساً قريباً من تقديس رب العالمين ؛ فعبّدوا الأسماء لهم ، ومنحوهم أسماء الله الحسنی ، وصفاته العلا .

٦- صرفت الشيعة الاثنا عشرية - بناءً على تقديس أئمتهم - مخ العبادة لأئمتهم ؛ فدعّوهم من دون الله تعالى ، فتوجهوا إليهم بدلاً من القبلة ، وقصدوا قبورهم ، وبلادهم أكثر من تقديس المسجد الحرام ، والنبوي الشريفين ، وجعلوا زيارتهم أعظم أجراً من الحج والعمرة .

٧- كانت بدعة الشيعة أشد من بدعة الخوارج ، فإن الخوارج كفروا بعض الصحابة ، لكن الشيعة كفرت الصحابة إلا قليلاً ، بل من أجمعوا على فضله كأبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- وكذبوا عليهم ما لم يكذبه غيرهم ، كما كانت أكثر من النصارى الذين لم يختلفوا في تفضيل حواريي عيسى - عليه السلام - .

٨- قدست الشيعة مذهبهم وفقهاءهم حتى جعلوا كل من عاداهم من أولاد الزنا ، ومن خالفهم - ولو في فرع من فروع المذهب - كافراً ، بل خلدوهم في النار وبعضهم سمهاهم مسلم الدنيا ، كافر الآخرة .

٩- قدست الشيعة الاثنا عشرية أئمتهم أكثر من القرآن الكريم ؛ فلا يفسره غيرهم ، ولمّا لم يجدوا في القرآن ما يؤيد عقائدهم قالوا : بتحريفه ، وادعوا نزول كتب غير القرآن على أئمتهم .

١٠- قدست الشيعة أئمتهم أكثر من تقديس الأنبياء ؛ ففضلوهم عليهم ، وجعّوا الانبياء مطالبين بالإيمان بإمامتهم، وادعوا نزول الوحي عليهم ، وجعلوا سنتهم مساوية لسنته في التشريع ، ولو تعارضتا قدمت سنتهم ؛ لأن أقوالهم تنسخ القرآن والسنة فكان ذلك خرقاً لعقيدة ختم النبوة .

١١- لم تسلم عقيدة اليوم الآخر من التقديس ؛ فقد جعلته الشيعة ملكاً خالصاً لأئمتهم ، حتى تميزوا عن الأمة بفهم خاص لهذا الاعتقاد ؛ فكل أحداثه تدور حول أئمتهم

حتى إدخال المؤمنين الجنة ، وأعدائهم النار ، فكل شيء في الآخرة كما زعموا لأئمتهم - نعوذ بالله تعالى - .

١٢- قدست الشيعة أئمتهم أكثر من تقديس الملائكة ؛ فجعلتهم خدماً لهم ، واتهموهم بعدم العصمة ، وأنهم يختلفون وهم قضاتهم .

١٣- قالت الشيعة بالعصمة اللاهوتية للأئمة ؛ فالأئمة لا يرتكبون صغيرةً ، ولا كبيرةً ، ولا يسهون ، ولا ينسون ، ولا يتركون واجباً ، ولا مندوباً ، ولم يفتهم علم ، حتى الغيب والضمائر .

١٤- قدست الشيعة الكذب ؛ فأطلقوا عليه اسم التقية ، وتعبدوا لله به ، وجعلوه تسعة أعشار الدين ، وحكموا على من لم يتق بالكفر ، وأحلوا الحلف كذباً ، والصلاة خلف المخالف من باب التقية ، واستباحوا دماء ، وأموال ، وأعراض مخالفينهم إن لم تدعهم إلى ذلك التقية ، كما قدسوا مخالفة أهل السنة في كل شيء حتى لعنواهم .

١٥- قدست الشيعة أرواح وأجساد الأئمة ؛ فقالوا بخلودهم منذ عالم الأظلة والذر ، حتى يخلدوا في الجنة ، وذلك باعتقاد رجعتهم ، وغيبتهم ، وظهورهم بعد موتهم ؛ لينتقموا من أعدائهم .

١٦- قدست الشيعة علوم أئمتهم ؛ فادعوا علمهم بما كان ، وما يكون ، وما هو كائن إلى يوم القيامة ، بينما تناقضوا في اعتقاد البداء على الله - عز وجل - بين قائل به ، وبين منكر له ، وبين مؤل لنصوصه ، وكأن علم الأئمة أقدس عندهم من علم الله - تعالى - .

١٧- أثرت التقديس في تمزيق الصف الإسلامي ، فحينما نسمع بهذه الفروقات الكبرى بين عقائد أهل السنة ، وعقائد الشيعة ؛ يعترينا الأمل في جمع الشمل حول مظلة القرآن والسنة حتى وإن كان في آخر الزمان على الأقل ؛ لكننا نجدهم يعتقدون رجعة الأئمة ؛ لقتل الصحابة ومن تبعهم .

١٨- الاختلاف مع الشيعة في مسألة التقديس : اختلافٌ أصوليٌّ ، وليس خلافاً فرعياً ؛ وذلك لأنهم جاءوا بأصول جديدة يريدون أن يلزمونا بها كالإمامة ، والعصمة ، والتقية ، والرجعة ، والبداء .

١٩- براءة الصحابة من حب الرياسة والزعامة ، وخروج قداسة الدنيا من قلوبهم ؛ فلم يعبدوا إلا الله تعالى ، ولم يتبعوا غير القرآن والسنة ، والدليل على ذلك : أن أبا بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - ماتوا فقراء ولم يتول واحد من أولادهم الخلافة بعدهم ولم يوص واحد منهم لولده بالخلافة .

٢٠- حب الصحابة لآل البيت واضح وجلي ؛ فهو ليس بالجفاء كفعل النواصب ، ولا بالتقديس المذموم كفعل الروافض ، بل جعلوهم في محلهم من الإحترام والتقدير ، وعلو القدر دون إفراط ولا تفريط ، والسبب الرئيس في ذلك هو : أنهم قدسوا الله وحده .

٢١- أن الروافض حينما منحوا صفات الله - عز وجل - للأئمة لم يكن ذلك تقديساً لهم وحسب ، بل كان ثلماً في تقديس الله - سبحانه وتعالى - بتشبيهه بخلقه ؛ فإن خالد بن الوليد - رضي الله عنه - حين سماه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : سيف الله ، قضى رب العالمين أن يموت خالد على فراشه ؛ حتى لا يقول قاتله : كسرت سيف الله ، فما بال الشيعة الاثني عشرية حين يقولون عن الإمام علي - رضي الله عنه - : يد الله ، وجنب الله ، ووجه الله ، فماذا يقول قاتله حينها ؟ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

الباحث

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم .
- ٢- الكتاب المقدس .
- ٣- الإنجيل .
- ٤- إبراهيم سليمان الجبهان : تبديد الظلام وتنبيه النيام ، ط دار الشعب - القاهرة ، نشر المجمع العلمي - جدة ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ٥- (ابن أبي الحديد الشيعي) عز الدين عبد الحميد بن هبيرة الله المعتزلي (ت ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) : شرح نهج البلاغة ، تحقيق : محمد إبراهيم ، ط الأميرة - بيروت ، نشر دار الكتاب العربي - بغداد ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .
- ٦- (ابن أبي زينب النعماني الشيعي) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب (ت ٣٦٠هـ) : الغيبة ، تحقيق : فراس حسون كريم ، نشر دار الجوادين - قم ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .
- ٧- (ابن الأعرابي) أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد بن بشر (٢٤٥-٣٤٠هـ) : معجم ابن الأعرابي ، تحقيق وتخريج : عبد المحسن بن إبراهيم بن أحمد الحسيني ، نشر دار ابن الجوزي - الدمام ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ٨- (ابن الجزري) أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي (ت ٨٣٣هـ) : النشر في القراءات العشر ، تحقيق : علي محمد الصباغ ط دار الكتب العلمية - بيروت ، دت .
- ٩- (ابن العربي) القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن العربي المعافري (٤٦٨-٥٤٣هـ) : العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، نشر المكتبة السلفية - القاهرة ، ط ٨ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

- ١٠- (ابن العطار) أبو الحسن علاء الدين علي بن إبراهيم بن داود بن بن سلمان بن سليمان الشافعي (٦٥٤ - ٧٢٧هـ) : الاعتقاد الخالص من الشك والانتقاد ، تحقيق : د سعد الزويهري ، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .
- ١١- (ابن النجار) الشيخ محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي (ت ٩٧٢هـ) : شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير ، تحقيق : د محمد الزحيلي ، د نزيه حماد ، نشر مكتبة العبيكان - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
- ١٢- (ابن النديم) أبو الفرج محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق الوراق البغدادي (ت ٤٣٨هـ / ١٠٤٧م) : الفهرست ، نشر دار المعرفة - بيروت ، دت .
- ١٣- (ابن تيمية) شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد النميري الحنبلي (٦٦١ - ٧٢٨هـ) : منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية ، ، تحقيق : د محمد رشاد سالم ، ط مؤسسة قرطبة - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ١٤- (.....) : الإيمان الأوسط، تحقيق: أبو يحيى محمود أبو سن ، دار طبية للنشر - الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ .
- ١٥- (.....) : مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي ، وابنه محمد ، ط دار التقوى - بلبس ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ .
- ١٦- (ابن حزم الظاهري) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القرطبي اليزيدي مولى يزيد بن أبي سفيان الأموي (٣٨٤ - ٤٥٦هـ) : الفصل في الملل والأهواء والنحل ، تحقيق : د محمد إبراهيم نصر ، د عبد الرحمن عميرة ، نشر دار الجيل - بيروت ، دت .

- ١٧- (.....) : الإحكام في أصول الأحكام ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، منشورات دار الآفاق الجديدة - بيروت ، د ت .
- ١٨- (ابن جني) أبو الفتح عثمان الموصلي (٣٢٢-٣٩٢هـ) : اللمع في العربية ، تحقيق : د سميح أبو مُغلي ، دارمجدلاوي للنشر - عمان - الأردن ، ١٩٨٨م .
- ١٩- (ابن حبان) الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (٢٧٠-٣٥٤هـ) : صحيح ابن حبان على التقاسيم والأنواع ، تحقيق : د محمد علي سونمر ، د خالص آي دمير ، ط ابن حزم - بيروت ، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر ، ط ١ ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م .
- ٢٠- (ابن خلدون) ولي الدين عبد الرحمن بن محمد (٧٣٢-٨٠٨هـ) : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش ، نشر دار يعرب - دمشق ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
- ٢١- (ابن شهر الشيعي) آشوب : مناقب علي بن أبي طالب ، نشر المكتبة الحيدرية - النجف ، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م .
- ٢٢- (ابن عاشور) محمد الطاهر المالكي (١٢٩٦-١٣٩٣هـ) : تفسير التحرير والتنوير ، نشر الدار التونسية - تونس ، ١٩٨٤م .
- ٢٣- (ابن عثيمين) أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن العثيمين الوهيبي التميمي (١٣٤٧-١٤٢١هـ) : شرح رياض الصالحين ، تحقيق : د محمد محمد تامر ، نشر دار العنان - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- ٢٤- (ابن فارس) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (٣٩٥هـ) : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط دار الفكر - بيروت ، نشر المجمع العلمي العربي الإسلامي (محمد الداية) ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ٢٥- (ابن قرقول) أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم الحمزي الوهراني (٥٠٥-٥٦٩هـ) : مطالع الأنوار على صحاح الآثار في فتح ما استغلق من كتاب الموطأ

والبخاري ومسلم وإيضاح مبهم لغتها وبيان المختلف من أسماء رواتها وتمييز مشكلها وتقييد مهملها ، تحقيق: أحمد عويس جنيدي ، واللجنة البحثية بدار الفلاح - القاهرة ، نشر وزارة الأوقاف - قطر ، ط ١ ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

٢٦- (ابن قولويه القمي الشيعي) أبو القاسم جعفر بن محمد (ت ٣٦٨هـ) : كامل الزيارات ، تحقيق : جواد القيومي ، ط مؤسسة النشر الإسلامي ، نشر الفقاهة - قم ، ط ١ ، عيد الغدير ١٤١٧هـ.

٢٧- (ابن قيم الجوزية) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (٦٩١-٧٥١هـ) : بدائع الفوائد ، تقديم : بكر بن عبد الله أبو زيد ، تحقيق : علي بن محمد عمران ، ط دار عالم الفوائد للنشر ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي - جدة ، نشر مؤسسة الراجحي الخيرية ، د ت .

٢٨- (ابن كثير) الحافظ الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (٧٠١ أو ٧٠٤ - ٧٧٤هـ) : الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، تحقيق : الشيخ أحمد محمد شاكر ، نشر دار الكتاب والسنة ، دار الشريعة - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠١٠م .

٢٩- (.....) البداية والنهاية ، تحقيق : مأمون محمد سعيد الصاغري ، محمود عبد القادر الأرناؤوط ، ط إيبكس - بيروت ، نشر دار ابن كثير - دمشق ، ط ٢ ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .

٣٠- (.....) السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، نشر دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٦م.

٣١- (.....) قصص الأنبياء ، تحقيق : د عبد الحي الفرماوي ، نشر دار الطباعة والنشر الإسلامية - القاهرة ، طبعة خاصة لمؤسسة النور بالمنصورة ، ط ٥ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

- ٣٢- (.....) مختصر تفسير ابن كثير ، اختصره وحققه : محمد علي الصابوني : ط دار القرآن الكريم - بيروت نشر مؤسسة الراجحي الخيرية ، ط ٧ ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨١م .
- ٣٣- (ابن منظور) محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفرقي (٦٣٠-٧١١هـ) : لسان العرب ، تحقيق: عبد الله علي الكبير، وآخرون ، ط دار المعارف المصرية - القاهرة ، دت.
- ٣٤- (أبو الفرج الجوزي) جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي (ت ٥٩٧هـ) : زاد المسير في علم التفسير، نشر المكتب الإسلامي، دار ابن حزم - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- ٣٥- أبو بكر الجوهري الشيعي : السقيفة وفدك ، تحقيق : باسم مجيد الساعدي ، نشر قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة - كربلاء ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م
- ٣٦- (أبو جعفر النحاس) محمد بن أحمد بن إسماعيل الصفار المرادي النحوي المصري (ت ٣٣٨هـ) : النسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، نشر المكتبة العلامة - القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م .
- ٣٧- (أبو حمزة الثمالي الشيعي) ثابت بن أبي صفية بن دينار الكوفي (ت ١٤٨ أو ١٥٠هـ) : تفسير القرآن الكريم ، أعاد جمعه : عبد الرزاق محمد حسين حرز الدين ، نشر دار المفيد - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .
- ٣٨- (أبو حيان الأندلسي) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان ، أثير الدين الغرناطي الأندلسي الجياني النفزي الظاهري (٦٥٤-٧٤٥هـ) : تفسير البحر المحيط ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض ، وآخرون ، نشر دار الكتب العلمية - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .

- ٣٩- (أبو زهرة) الإمام محمد أحمد مصطفى أحمد (١٣١٥ / ١٩٨٩ - ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م) : تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، ط دار الفكر العربي - القاهرة ، د ت.
- ٤٠- (آل كاشف الغطاء الشيعي) الشيخ محمد حسين بن الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء ينسب إلى مالك الأشتر النخعي (١٢٩٤-١٣٧٣ هـ) : أصل الشيعة وأصولها مقارنة مع المذاهب الأربعة ، نشر دار الأضواء - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- ٤١- (الأحسائي الشيعي) الشيخ أحمد بن زين الدين (١١٦٦ - ١٢٤١ هـ) : العصمة ، تحقيق : صالح أحمد الدباب ، نشر مؤسسة البلاغ ، شمس هجر - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م .
- ٤٢- (الأزهرى) أبو منصور محمد بن أحمد الهروي (٢٨٢ - ٣٧٠ هـ) : تهذيب اللغة ، تحقيق : عبد العظيم محمود ، محمد علي النجار ، ط سجل العرب ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة ، د ت
- ٤٣- (الأسترابادي الشيعي) الشهيد بمكة الميرزا محمد مؤمن بن دوست محمد الحسيني (ت ١٠٨٨ هـ) : الرجعة ، تحقيق : فارس حسون كريم ، ط مهر - قم ، نشر دار الاعتصام ، منشورات أنوار الهدى - قم ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ .
- ٤٤- (الأشعري) أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠ - ٣٣٠ هـ) : الإبانة عن أصول الديانة ، تحقيق : د فوقيه حسين محمود ، ط دار الأنصار - القاهرة ، ط ١ ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .
- ٤٥- (.....) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط الدار النوذجية ، المكتبة العصرية - بيروت نشر شركة أبناء شريف الأنصاري ، ط ١ ، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .

- ٤٦- (الأشعري الشيعي) الشيخ سعد بن عبد الله القمي (ت ٣٠١هـ) :
المجموعة الحديثية المعروفة بـ (مختصر بصائر الدرجات) وفيه رسالة الرجعة : للشيخ
عز الدين أبي محمد الحسن بن سليمان الحلي العاملي (كان حيا ٨٠٢هـ) ، تحقيق :
مشتاق صالح المظفر ، نشر مكتبة العلامة المجلسي - قم ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ / ١٣٨٨ش
٤٧- (.....) المقالات والفرق ، تعليق : د محمد جواد مشكور ، ط
حيدري ، نشر مؤسسة مطبوعاتي عطالي - طهران ، ١٣٩١هـ .
- ٤٨- (الأصفهاني الشيعي) أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن
الهيثم المرواني الأموي (٢٨٤-٣٥٦هـ) : مقاتل الطالبين ، تعليق : السيد أحمد صقر ،
ط أمير ، انتشارات الشريف الرضي - قم ، ط ٢ ، ١٤١٦هـ / ١٣٧٤ش .
- ٤٩- (الأصفهاني) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى
ابن مهران (٣٣٦-٤٣٠هـ) : حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ط دار الكتب العلمية
- بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م
- ٥٠- (الأصفهاني) الشيخ أبو السعادات أسعد بن عبد القاهر بن أسعد (ت
٦٤٠هـ) : شرح الولاء في شرح دعاء صنمي قريش ، تحقيق : قيس العطار ١٤٢١هـ
، د ط أ ت .
- ٥١- (الألباني) الإمام والمحدث أبو عبد الرحمن محمد بن الحاج نوح بن نجاتي
بن آدم الأشقودري الألباني الأرنبوطي (١٩١٤-١٩٩٩م) : صحيح الجامع الصغير
وزيادته ، ط المكتب الإسلامي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- ٥٢- (الألوسي) أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)
: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، تحقيق : محمود شكري الألوسي
البغدادي ، ط إدارة الطباعة المنيرية - القاهرة ، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت ،
ط ٢ ، د ت .

- ٥٣- (الأمين الشيعي) عبد الحسين بن أحمد الأميني التبريزي النجفي (١٣٢٠-١٣٩٠هـ) : الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، نشر مؤسسة الأعلمي - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- ٥٤- (الأنباري) أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان بن سماعة بن فروة بن قطة بن دعامة (٢٧١ - ٣٢٨هـ) : الزاهر في معاني كلمات الناس ، تحقيق : د حاتم صالح الضامن ، عز الدين البدوي النجار ، ط مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- ٥٥- (الأنصاري الشيعي) مرتضى بن محمد أمين بن مرتضى بن شمس الدين بن محمد شريف الأنصاري (١٢١٤ - ١٢٨٢هـ) : التقيّة ، تحقيق : فارس الحسون ، ط مهر ، نشر مؤسسة قائم آل محمد - قم ، ط ١ ، ١٤١٢هـ .
- ٥٦- (الإسفرائيني) أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي التميمي (ت ٤٢٩ / ١٠٣٧هـ) : الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط المدني ، نشر مكتبة محمد علي صبيح وأولاده - القاهرة ، د ت .
- ٥٧- (الإمام) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (١٦٤ - ٢٤١هـ) : المسند ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وآخرون ، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ٥٨- (الإمام الرضا الشيعي) الإمام أبو الحسن وأبو علي علي بن موسى (١٤٨ - ٢٠٣هـ) : كتاب الفقه المنسوب (فقه الرضا) ، تقديم : جواد الشهرستاني - قم ، تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - بيروت ، ط ١ ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .

- ٥٩- (الإمام الشيعي) القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ) : شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم ، دت .
- ٦٠- (الإمام) أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني (٩٣-١٧٩هـ) : الموطأ ، ط دار الحديث - القاهرة ، ط ٤ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
- ٦١- (الإيجي) القاضي عضد الدين أبو الفضل عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي الشيرازي الشافعي (٦٨٠-٧٥٦هـ) : المواقف في علم الكلام ، نشر عالم الكتب - بيروت ، دت.
- ٦٢- (البرقي الشيعي) أبو جعفر أحمد بن أبي عبد الله خالد (ت ٢٧٤ أو ٢٨٠هـ) : الرجال ، انتشارات دانشگاه - طهران شمارة ، د ت .
- ٦٣- (.....) : المحاسن ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ، نشر المجمع العالمي لأهل البيت ، ط ٣ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .
- ٦٤- إحسان إلهي ظهير (١٣٦٠-١٤٠٧هـ) : الشيعة والسنة ، نشر دار ابن حزم - القاهرة ، ط ١ ، ١٣٠هـ / ٢٠٠٩م .
- ٦٥- (.....) الشيعة وآل البيت ، نشر دار ابن حزم - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .
- ٦٦- (.....) التصوف ، ط دار ابن حزم - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .
- ٦٧- (.....) بين الشيعة والسنة ، ط دار ابن حزم - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .
- ٦٨- (البحراني الشيعي) السيد أبو المكارم هاشم بن سليمان بن إسماعيل الكتكاني التوبلاني البحراني (ت ١١٠٧ أو ١١٠٩هـ) : مدينة المعاجز (معاجز آل

(البيت)، نشر مؤسسة النعمان (حسن محمد إبراهيم علي الكتبي) - بيروت ، ١٤١١هـ / ١٩٩١ م .

٦٩- (البحراني الشيعي) محمد سند (١٣٨٢-١٤٠٠هـ) : دعوى السفارة في الغيبة الكبرى ، مكتبة فخرآوي - جدحفص - البحرين ، ط ١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢ م .

٧٠- (البحراني الشيعي) المحقق يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور الدرازي البحراني (١١٠٧-١١٨٦هـ) : الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة ، تحقيق : محمد تقي الإيرواني ، نشر دار الأضواء - بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩ م .

٧١- (البغوي) أبو محمد الحسين بن مسعود (٤٣٦-٥١٦هـ) : تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل ، نشر دار ابن حزم - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢ م

٧٢- (.....) : شرح السنة ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، زهير الشاويش ، نشر المكتب الإسلامي - بيروت ، دمشق ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م .

٧٣- (البرسي الشيعي) الحافظ رجب البرسي : مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت ، ط ١٠ ، دت .

٧٤- (البلاغي الشيعي) محمد جواد (ت ١٣٢٨هـ) : الهدى إلى دين المصطفى ، نشر مؤسسة الأعلمي - بيروت ، ط ٣ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥ م .

٧٥- (البهوتي) محمد بن أحمد الخلوتي (ت ١٠٨٨هـ) : حاشية الخلوتي على منتهى الإرادات ، تحقيق : سامي بن محمد بن عبد الله الصقير ، نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١ م .

٧٦- (البياضي الشيعي) زين الدين أبي محمد علي بن يونس العاملي النباطي (ت ٨٧٧هـ) : الصراط المستقيم إلى معرفة مستحقي التقديم ، نشر المكتبة المرتضوية لأحياء الآثار الجعفرية - طهران ، دت .

- ٧٧- (البيضاوي) القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر (ت ٦٨٥هـ) :
 منهاج الأصول ، ومعه جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي (ت ٧٧٢هـ) :
 نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول ، مع حاشية الشيخ محمد بخيت المطيعي ، ط مطابع
 المعاهد الأزهرية - القاهرة ١٤٢٨ - ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ م .
- ٧٨- (البيهقي) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى (ت ٤٥٨هـ) :
 الدعوات الكبير ، تحقيق : بدر بن عبد الله البدر ، نشر غراس - الكويت ، ط ١ ،
 ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٩ م .
- ٧٩- (.....) : السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ، مجلس دائرة المعارف
 النظامية - حيدر آباد - الهند ، ط ١ ، ١٤٣٤هـ .
- ٨٠- (التوجيهي) خالد عبد المحسن : ولاية الفقيه وتطورها ، ملحق مجلة البيان
 ، ط الملك فهد الوطنية - الرياض ، ١٤٣١هـ .
- ٨١- (الجزائري) أبو بكر : أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير ، نشر مكتبة أضواء
 المنار ، دار لينة - جدة ، ط ١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩ م .
- ٨٢- (الجزائري الشيعي) السيد نعمة الله (١٠٥٠ - ١١١٢هـ) : أحوال الإمام
 المنتظر - عليه السلام - ، تحقيق : ماجد العطية ، مهدي حمد الفتلاوي ، ط دار العلوم ،
 منشورات دليلنا ، إصدارات مركز وارث الأنبياء للتوثيق والدراسات الإسلامية - بيروت
 ط ١ ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢ م .
- ٨٣- (الجصاص) أحمد بن علي الرازي (ت ٣٧٠هـ) : الفصول في الأصول
 ، تحقيق : د عجيل جاسم النشمي ، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت ،
 ط ٢ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤ م .
- ٨٤- (الجواهري الشيعي) الشيخ محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦هـ) : جواهر
 الكلام في شرح شرائع الإسلام ، تحقيق : محمود القوجاني ، نشر دار إحياء التراث العربي
 - بيروت ، ط ٧ ، ١٩٨١ م .

- ٨٥- (الجوهرى) إسماعيل بن حماد: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، ط دار العلم للملايين - بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠١هـ — / ١٩٩٠م .
- ٨٦- (الحر العاملي الشيعي) الشيخ محمد بن الحسن (١٠٣٣-١١٠٤هـ —) : الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة ، تحقيق : مشتاق صالح المظفر ، ط نكارش ، نشر دليل ما - قم ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ / ١٣٨٦ش
- ٨٧- (.....) : الفصول المهمة في أصول الأئمة (تكملة الوسائل) ، تحقيق : محمد بن محمد الحسين القائيني ، ط نكين ، نشر مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا - قم ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٣٧٦ش .
- ٨٨- (.....) تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة ، تحقيق : السيد محمد رضا الحسيني الجالي ، ط مهر ، تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - قم ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ / ١٣٧٢ش .
- ٨٩- (الحسيني العاملي الشيعي) السيد بدر الدين أحمد بن زين العابدين العلوي (كان حيا سنة ١٠٥٠هـ) : الحاشية على أصول الكافي ، جمعها : السيد محمد تقى الموسوي (ت ١٠٩٤هـ) ، تحقيق : علي الفاضلي ، نشر دار الحديث - قم ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ / ١٣٨٣ش .
- ٩٠- (الحكمي) حافظ بن أحمد (١٣٤٢-١٣٧٧هـ) : معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد ، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر ، نشر دار ابن القيم - الدمام ، دار ابن حزم - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ٩١- (الحلبي الشيعي) العلامة أبو منصور جمال الدين الحسن بن سديد الدين بن يوسف بن زين الدين علي بن مطهر الأسدي (٦٤٨-٧٢٦هـ) : الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ط مكتبة الألفين - بئيد القار - الكويت ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .

- ٩٢- (.....) : خلاصة الأقوال في معرفة الرجال ، تحقيق : جواد القيومي ، ط سليمانزاده ، نشر مؤسسة الفقاهة - قم ، ط ٤ ، ١٤٣١هـ / ١٣٨٨ش.
- ٩٣- (الحلبي الشيعي) عز الدين أبو محمد الحسن بن سليمان بن محمد : المحتضر ، تحقيق : سيد علي أشرف ، ط شريعت ، انتشارات المكتبة الحيدرية - قم ، ١٤٢٤هـ / ١٣٨٢ش.
- ٩٤- (الحموي) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ) : معجم البلدان ، ط دار صادر - بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٥ م .
- ٩٥- (الخراشي) سليمان بن صالح: أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق ، ط شبكة الآل - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م
- ٩٦- (الخطيب البغدادي) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ) : الكفاية في معرفة أصول علم الرواية ، تحقيق : أبو اسحاق إبراهيم بن مصطفى آل بحبح الدمياني ، نشر دار الهدى - ميت غمر - الدقهلية ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣ م .
- ٩٧- (الخطيب التبريزي) محمد بن عبد الله: مشكاة المصابيح ، تحقيق : الشيخ الألباني ، نشر المكتاب الإسلامي ، ط ١ ١٣٨١هـ / ١٩٦١م دمشق ، ط ٢ ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م بيروت .
- ٩٨- (الخلوتي) أحمد بن محمد الصاوي المالكي (١١٧٥-١٢٤٢هـ) : حاشيته على تفسير الجلالين ، تعليق : علي محمد الضباع ، ط مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده- القاهرة ، ١٣٦٠هـ / ١٩٤١م.
- ٩٩- (الخميني الشيعي) السيد روح الله مصطفى : تحرير الوسيلة ، نشر سفارة جمهورية إيران - دمشق ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨ م .
- ١٠٠- (.....) كشف الأسرار ، ترجمة : د محمد البنداري ، تقديم : د محمد أحمد الخطيب ، تعليق : سليم الهلالي ، نشر دار عمار - عمان - الأردن ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧ م .

- ١٠١- (.....): مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية ، نشر مؤسسة الأعلمي بيروت ، ط١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .
- ١٠٢- (الخوارزمي) أبو القاسم جار الله محمود عمر الزمخشري (٤٦٧هـ - ٥٣٨هـ) : تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق : خليل مأمون شيحا ، نشر دار المعرفة - بيروت ، ط٣ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .
- ١٠٣- (الخوئي الشيعي) أبو القاسم الموسوي: البيان في تفسير القرآن ، ط فروردين ، منشورات أنوار الهدى - قم ، ط٨ ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ١٠٤- (.....) : معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة ، نشر مؤسسة الإمام الخوئي الإسلامية - النجف ، ط٥ ، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- ١٠٥- الدكتور أبو الفتوح محمد الأنور: شيعة إيران أصولها وموقف أهل السنة منها دراسة مقارنة (رسالة دكتوراة) ، ط الجندي - فاقوس - الشرقية - مصر ، ط١ ، ٢٠٠٧م .
- ١٠٦- الدكتور أحمد أحمد غلوش : النظام السياسي في الإسلام ، ط الشركة الدولية للطباعة ، نشر مؤسسة الرسالة - القاهرة ، ط٢ ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
- ١٠٧- الدكتور أحمد الوائلي الشيعي: هوية التشيع ، نشر مركز الأبحاث العقائدية - قم ، ط٢ ، د ت .
- ١٠٨- الدكتور أحمد أمين : ضحى الإسلام ، نشر الهيئة العامة للكتاب - القاهرة ، مكتبة الأسرة ١٩٩٧م .
- ١٠٩- الدكتور أحمد بن عبد العزيز الحصين : سلسلة ماذا تعرف عن الفرق والمذاهب ، نشر مكتبة الجامعة الأزهرية - أسيوط ، مكتبة الإيمان - القاهرة ، د ت .
- ١١٠- الدكتور أحمد راسم النفيس الشيعي: الشيعة والثورة ، نشر مركز الأبحاث العقائدية- إيران ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .

- ١١١- الدكتور أحمد سيد أحمد علي : التقريب بين أهل السنة والشيعة ما له وما عليه ، نشر دار اليقين - المنصورة ، ط ١ ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .
- ١١٢- الدكتور السيد ثامر العميدي الشيعي: التقيّة في الفكر الإسلامي ، ط مهر ، نشر الرسالة - قم ، ط ١ ، ١٤١٩هـ .
- ١١٣- الدكتور جواد جعفر خليلي الشيعي: محاكمات الخلفاء وأتباعهم، ط الإرشاد - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .
- ١١٤- الدكتور حسين الموسوي الشيعي: لله ثم للتاريخ ، ط دار ابن الجوزي - القاهرة ، من إهداءات مؤسسة الأهرام ١٩٩٨م ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م .
- ١١٥- الدكتور حمزة النشرتي وآخرون : سيرة آل بيت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -، نشر مكتبة النشرتي - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ١١٦- الدكتور راغب السرجاني : الشيعة نضال أم ضلال ، نشر دار الكتب المصرية - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .
- ١١٧- الدكتور زياد بن عابد المشوخي : الاستضعاف وأحكامه في الفقه الإسلامي ، أصل الكتاب رسالة دكتوراه بكلية الشريعة والقانون - جامعة أم درمان - السودان ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م ، نشر دار كنوز أشبيليا - الرياض ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م .
- ١١٨- الدكتور شوقي أبو خليل : أطلس السيرة النبوية ، نشر دار الفكر "المطبعة الهاشمية" - دمشق ، ط ٢ ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .
- ١١٩- الدكتور صالح الفوزان : الملخص الفقهي ، نشر الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء - الرياض ، ط ٣ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .
- ١٢٠- الدكتور عامر النجار : مذاهب الإسلاميين (الخوارج - الإباضية - الشيعة) نشر الهيئة العامة المصرية للكتاب - ٢٠٠٥م .
- ١٢١- الدكتور عبد القادر بن محمد عطا صوفي : دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية ، ط أضواء السلف - الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

- ١٢٢- (الدكتور) عبد الوهاب خلاف (ت ١٣٧٥هـ) : السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية ، ط دار القلم - القاهرة ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- ١٢٣- (.....) : علم أصول الفقه ، نشر دار الحديث - القاهرة ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م .
- ١٢٤- الدكتور علي أحمد السالوس : مع الاثني عشرية في الأصول والفروع ، نشر دار الفضيلة - الرياض ، دار الثقافة - قطر ، مكتبة دار القرآن - بلبيس ، ط ٧ ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .
- ١٢٥- الدكتور علي شريعتي الشهيد الشيعي: التشيع العلوي والتشيع الصفوي ، ترجمة : حيدر مجيد ، تقديم : د إبراهيم دسوقي شتا ، نشر الدار المصرية اللبنانية - القاهرة ، ط ١١ ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م .
- ١٢٦- الدكتور علي محمد الصلابي : الدولة العثمانية ، ط دار التوزيع والنشر الإسلامية - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م .
- ١٢٧- (.....) خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي شخصيته وعصره ، نشر مؤسسة اقرأ - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م .
- ١٢٨- (.....) : عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين ، ط اقرأ - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م .
- ١٢٩- (.....) : فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة ، نشر مؤسسة اقرأ - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م .
- ١٣٠- الدكتور علي جمعة محمد : المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية ، ط دار السلام - القاهرة ، ط ٤ ، ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م .
- ١٣١- الدكتور عمر محمد عبد المنعم الفرماوي : أصول الرواية عند الشيعة الإمامية عرض ونقد ، وأصل الكتاب رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين القاهرة - قسم

الحديث ١٩٩٦م ، ط مكتبة جزيرة الورد ، نشر مكتبة الإيمان - المنصورة ، ط ١ ،
١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

١٣٢- الدكتور محمد أحمد لوح : تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي عرض
وتحليل على ضوء الكتاب والسنة ، ط دار ابن القيم - الدمام - السعودية ، دار ابن عفان
- القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م ، وأصل الكتاب رسالة ماجستير للمؤلف .

١٣٣- الدكتور محمد خليل هراس : شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية ، تحقيق :
أبو عبد الرحمن عوض الجزار ، أبو عبد الله مصطفى العدوي ، ط دار ابن رجب ، دار
الفوائد - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .

١٣٤- الدكتور محمد يوسف محمود صيام : المهدي المنتظر عند فرق الشيعة
دراسة نقدية مقارنة ، رسالة ماجستير بقسم العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة ،
الجامعة الحرة في هولندا ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .

١٣٥- الدكتور محمود أبو رية : أضواء على السنة المحمدية (دفاع عن الحديث)
، ط دار المعارف - القاهرة ، ط ٦ ، ١٩٩٤م .

١٣٦- الدكتور موسى الموسوي الشيعي: الشيعة والتصحيح (الصراع بين الشيعة
والتشيع) ، نشر دار القلم - الكويت ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .

١٣٧- الدكتور موسى بن عقيلي بن أحمد الشخي : تقديس الأشخاص عند
النصارى وآثاره عرض ونقد ، رسالة ماجستير في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة برقم
جامعي (٤٢٥٨٨١٢٤) ، بكلية الدعوة أصول الدين ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة ،
١٤٢٩هـ .

١٣٨- الدكتور ياسر برهامي : المنة شرح اعتقاد أهل السنة ، نشر دار الخلفاء
الراشدين ، دار الفتح الإسلامي - الإسكندرية ، ٢٠٠٦م .

١٣٩- الدكتور إيمان صالح العلواني : مصادر التلقي وأصول الاستدلال في العقيدة
عند الإمامية الاثني عشرية عرض ونقد ، رسالة ماجستير ، قسم الحديث ، كلية الدعوة

وأصول الدين - جامعة أم القرى - مكة المكرمة ، ، نشر دار التدمرية - الرياض ، ١٤٢٩هـ.

١٤٠- الدكتور بسمه بنت أحمد بن محمد جستنية : أثر الديانات الوثنية في عقائد الرافضة ، رسالة دكتوراه في قسم العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى - مكة المكرمة ، رقم ٨-٧١٧٨-٤٢٠ ، ١٤٢٥هـ.

١٤١- الدكتور نادية حسني صقر : السبئية أخطر الحركات الهدامة في صدر الإسلام ، ط مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

١٤٢- الدكتورة عائشة المناعي : أصول العقيدة بين المعتزلة والشيعة الإمامية ، نشر دار الثقافة - الدوحة - قطر ، ط ١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

١٤٣- (الدهلوي) شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي بن شاه ولي الله أحمد بن عبد الرحيم: مختصر التحفة الاثني عشرية ، نقله من الفارسية : الشيخ غلام محمد بن محيي الدين بن عمر الأسلمي سنة ١٢٢٧هـ ، اختصره : محمود شكري الألوسي سنة ١٣٠١هـ ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، نشر المكتبة السلفية - القاهرة ، ١٣٨٣هـ.

١٤٤- (الذهبي) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ) : سير أعلام النبلاء ، تقديم : د سيد حسين العفاني ، تحقيق : خيرى سعيد ، ط المكتبة التوفيقية - القاهرة ، دت .

١٤٥- (الذهبي) د محمد حسين: التفسير والمفسرون ، نشر دار الحديث - القاهرة ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .

١٤٦- (الرازي) فخر الدين: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، تعليق : د علي سامي النشار ، نشر مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨م .

١٤٧- (الروحاني الشيعي) السيد محمد صادق الحسيني (ت ١٣٤٥هـ / ١٩٢٦م) : فقه الصادق ، تحقيق : قاسم محمد مصري العاملي ، منشورات الاجتهاد - قم ، ط ٤ ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م .

- ١٤٨- (الزبيدي) محمد مرتضي الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : محمود محمد الطناحي ، عبد الستار أحمد فراج ، مصطفى حجازي ، ط المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بوزارة الأعلام - الكويت ، ، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، وأعيد طبعه ٢٠٠٤م .
- ١٤٩- (الزمخشري) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (ت ٥٣٨هـ) : أساس البلاغة ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ط دار الكتب العلمية ، منشورات محمد علي بيضون- بيروت ، ط ١ ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- ١٥٠- (الزنجاني الشيعي) آية الله الحاج السيد إبراهيم الموسوي النجفي : عقائد الإمامية الاثني عشرية ، انتشارات حضرت مهدي - قم ، ١٣٦٣ش .
- ١٥١- (السبحاني الشيعي) جعفر: أضواء على عقائد الشيعة الإمامية وتاريخهم ، نشر دار مشعر - قم ، ١٤١٢هـ .
- ١٥٢- (.....) : البداء في ضوء الكتاب والسنة ، جمع : جعفر الهادي ، ط سبهر - طهران ، نشر معاونة العلاقات الدولية في منظمة الإعلام الإسلامي - طهران ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ١٥٣- (.....) : التقيّة موضوعاً وحكماً في الكتاب والسنة ، ط دار جواد الأئمة - بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .
- ١٥٤- (السجستاني) أبو داود سليمان بن شعيب بن الأشعث الأزدي (٢٠٢-٢٧٥هـ) : سنن أبي داود ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، محمد كامل قرّة بللي ، ط الرسالة العلمية - دمشق، بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .
- ١٥٥- (السرخسي) محمد بن رضي الدين: المبسوط ، ط دار المعرفة - بيروت ، ط ٢ ، د ت .

- ١٥٦- (السعدي) عبد الرحمن بن ناصر (١٣٠٧ - ١٣٧٦هـ) : أصول العقائد الدينية ، عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين : شرح أصول العقائد الدينية ، نشر دار كنوز أشبيليا - الرياض ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .
- ١٥٧- (.....) : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المعروف بتفسير السعدي ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، ط مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .
- ١٥٨- السيد سابق : فقه السنة ، نشر دار الريان للتراث - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ١٥٩- (الشربيني) شمس الدين الخطيب : الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع ، ط قطاع المعاهد الأزهرية ، ٢٠٠٤هـ / ٢٠٠٥م .
- ١٦٠- (الشريف الرضي الشيعي) : حقائق التأويل في مشابهة التنزيل ، شرح العلامة : محمد الرضا آل كاشف الغطاء ، نشر دار الأضواء - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ١٦١- (الشريف المرتضى الشيعي) السيد أبو القاسم علي بن الحسين الطاهر أبي أحمد الحسين الموسوي (٣٥٥ - ٤٣٦هـ) : الشافي في الإمامة ، تحقيق : السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب ، ط شريعت ، نشر مؤسسة الصادق - طهران ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٦م .
- ١٦٢- (.....) : الفصول المختارة من العيون والمحاسن ، ط مهر ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد - قم ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .
- ١٦٣- (.....) : المقنع في الغيبة والزيادة المكملة له ، تحقيق : السيد محمد علي الحكيم ، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث - بيروت ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- ١٦٤- (.....) : أمالي السيد المرتضى في التفسير والحديث والأدب ، تصحيح وتعليق : السيد محمد بدر الدين النعماني الحلبي ، ط مطبعة السعادة - مصر لصاحبها :

محمد إسماعيل ، على نفقة أحمد ناجي الجمالي ، ومحمد أمين الخانجي وأخيه ، ط١ ،
١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م .

١٦٥- (.....) رسائل المرتضى ، تحقيق : السيد أحمد الحسيني ، مهدي
الرجائي ، ط الخيام - نشر دار القرآن الكريم - قم ، ط١ ، ١٤٠٥هـ المجموعة الثالثة.

١٦٦- (الشاهرودي الشيعي) علي النمازي (ت ١٤٠٥هـ) : مستدرك سفينة
البحار ، تحقيق : حسن بن علي النمازي ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة
المدرسين - قم ، ١٤١٨هـ ق.

١٦٧- (الشنقيطي) محمد الأمين بن محمد المختار الجكني: أضواء البيان ، تعليق
: بكر بن عبد الله أبو زيد ، ط عالم الفوائد - جدة ، نشر مؤسسة الراجحي الخيرية ،
وجمع الفقه الإسلامي - جدة ، ط١ ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

١٦٨- (الشهرستاني) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (٤٧٩-٥٤٨هـ) : الملل
والنحل تحقيق : د أحمد حجازي السقا - محمد رضوان مهنا ، ط مكتبة جزيرة الورد -
المنصورة ، ط١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .

١٦٩- (الشهيد الصدر الشيعي) السيد محمد: تاريخ الغيبة الكبرى ، ط مكتبة
البصائر - بيروت ، نشر هيئة تراث السيد الشهيد الصدر - النجف ، ١٤٣٢هـ /
٢٠١١م.

١٧٠- (الشوكاني) محمد بن علي (١١٧٢-١٢٥٠هـ) : شرح الصدور بتحريم
رفع القبور، نشر الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء - الرياض ، ط١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م .

١٧١- (الشيباني) أبو عمرو: الجيم ، تحقيق : عبد الكريم العزباوي ، عبد
الحמיד حسن ، ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، نشر مجمع اللغة العربية -
القاهرة ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م

١٧٢- الشيخ محمد عبده : دروس من القرآن الكريم ، تقديم : الشيخ مصطفى عبد
الرازق ، ط شركة الأمل - إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة - القاهرة ، ط٢ ، ٢٠١١م.

- ١٧٣- (الشيرازي) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشافعي (٣٩٣-٤٧٦هـ)
 اللمع في أصول الفقه ، تحقيق : محيي الدين ديب مستو ، يوسف علي بديوي ، نشر دار
 الكلم الطيب - بيروت ، دار ابن كثير - دمشق ، ط ١ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
- ١٧٤- (.....) : : طبقات الفقهاء : تحقيق : د إحسان عباس ، ط الرائد العربي
 - بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٠م .
- ١٧٥- (الشيرازي الشيعي) الشيخ ناصر مكارم (١٣٠٥هـ) : الأمثل في تفسير
 كتاب الله المنزل ، ط سليمان زاده - قم ، نشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب - قم ، ط
 ١ التصحيح الثالث ، ١٤٢٦هـ / ١٣٨٤ش .
- ١٧٦- (الصدوق الشيعي) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) : الأمالي ، تعليق : حسين الأعلمي ، ط مؤسسة الأعلمي - بيروت ، ط ١ ،
 ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .
- ١٧٧- (.....) التوحيد، تحقيق السيد : هاشم الحسيني الطهراني ، نشر
 مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم ، ط ١٠ ، ١٤٣٠هـ .
- ١٧٨- (.....) الاعتقادات ، تحقيق : عصام عبد السيد ، ط مهر ، نشر المؤتمر
 العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣هـ / ١٣٧١ش .
- ١٧٩- (.....) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال ، تعليق : الشيخ حسين الأعلمي ،
 ط سليمانزاده ، نشر طليعة نور - قم ، ط ٥ ، ١٤٣١هـ .
- ١٨٠- (.....) علل الشرائع (سلوا أهل البيت) ، نشر دار المرتضى - بيروت
 ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م .
- ١٨١- (.....) عيون أخبار الرضا، ط أمير ، منشورات الشريف الرضي - قم
 ، ط ١ ، ١٣٧٨ش .
- ١٨٢- (.....) كمال الدين وتمام النعمة ، تحقيق : حسين الأعظمي ،
 منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت ، ط ١ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

- ١٨٣- (الصفار الشيعي) أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (ت ٢٩٠هـ —)
من أصحاب الإمام الحسن العسكري : بصائر الدرجات ، تحقيق : ميرزا محسن كوجه
باغي ، نشر مؤسسة الأعلمي - بيروت ، ط ١ ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .
- ١٨٤- (الصنعاني) أبو بكر عبد الرزاق بن همام (١٧٦-٢١١هـ) : المصنف ،
تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، نشر المكتب الإسلامي - بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٢هـ /
١٩٧٢م .
- ١٨٥- (الطبراني) أبو القاسم سليمان بن أحمد (٢٦٠ - ٣٦٠هـ) : الدعاء ،
أصل الكتاب رسالة دكتوراه للمؤلف من كلية الشريعة الإسلامية - جامعة أم القرى - مكة
المكرمة ١٤٠٥هـ ، تحقيق : د محمد سعيد بن محمد حسن البخاري ، نشر دار البشائر
الإسلامية - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ١٨٦- (.....) : المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ،
نشر مكتبة ابن تيمية - القاهرة ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م .
- ١٨٧- (الطبرسي الشيعي) الحاج ميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠هـ) : كشف
الأسرار عن وجه الغائب عن الأبصار ، تحقيق : علي الميلاني ، ط الخيام - قم ، نشر
نينوى الحديثة - طهران ، ط ٢ ، ١٤٠٠هـ .
- ١٨٨- (.....) : مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل ، تحقيق ونشر : مؤسسة
آل البيت لإحياء التراث - بيروت ، ط ٣ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .
- ١٨٩- (الطبرسي الشيعي) أبو علي الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير
القرآن ، ط دار العلوم - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م .
- ١٩٠- (الطبري) أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) : تفسير الطبري
المسمى (جامع البيان في تأويل القرآن) ، تحقيق : هاني الحاج ، عماد زكي البارودي ،
خيري سعيد ، ط المكتبة التوفيقية - القاهرة ، ٢٠٠٤م

- ١٩١- (الطبري الشيعي) أبو جعفر محمد بن جرير بن رستم: دلائل الإمامة ، منشورات الأعلمي - بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨ م .
- ١٩٢- (الطبسي الشيعي) محمد رضا النجفي (١٣٢٢ - ١٤٠٥هـ) : منية الراغب في إيمان أبي طالب ، تحقيق : محمد جعفر الطبسي ، ط مؤسسة بوستان كتاب - قم ، نشر مركز الطباعة والنشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي ، ط ٢ ، ١٤٢٨هـ / ١٣٨٦ ش .
- ١٩٣- (الطحاوي) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة: العقيدة الطحاوية ، نشر دار الكوثر - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١ م .
- ١٩٤- (الطوسي الشيعي) أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (٣٨٥ - ٤٦٠هـ) وابنه أبو علي الحسن بن محمد بن الحسن الطوسي : الأمالي ، تحقيق : بهراد الجعفري ، علي أكبر الغفاري ، ط دار الكتب الإسلامية - طهران ، ١٣٨٠ ش .
- ١٩٥- (.....) : اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي ، تحقيق : جواد القيومي الأصفهاني ، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم ، ط ١ ، ١٤٢٧هـ / ١٣٨٤ ش .
- ١٩٦- (.....): التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق : أحمد حبيب قصير العاملي ، نشر دار إحياء التراث العربي - بيروت ، د ت .
- ١٩٧- (.....) الرسائل العشر ، ط مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين - قم ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ .
- ١٩٨- (.....) : الغيبة ، تحقيق : علي أكبر غفاري ، ط الفجر - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٣هـ / ١٣٨٢ ش .
- ١٩٩- (.....) : الفهرست ، تحقيق : محمد صادق آل بحر العلوم، ط المكتبة المرتضوية- النجف- العراق، د ت .

- ٢٠٠- (الطوسي الشيعي) أبو نصر السراج الطوسي : اللمع ، تحقيق : د عبد الحليم محمود - طه عبد الباقي سرور ، ط دار الكتب الحديثة - القاهرة ، مكتبة المثنى - بغداد ، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م .
- ٢٠١- (العامري الشيعي) سليم بن قيس الهلالي (٢ ق هـ - ٧٦هـ) من أصحاب أمير المؤمنين والحسين وزين العابدين والباقر - عليهم السلام - : كتاب سليم بن قيس الهلالي (أسرار آل محمد) ، تحقيق : محمد باقر الأنصاري الزنجاني الخوئي ، نشر الهادي - قم ، ط ١ ، ١٤٢٠هـ / ١٣٨٧ش .
- ٢٠٢- (العاملي الشيعي) السيد جعفر مرتضى : الصحيح من سيرة النبي الأعظم ، نشر دار الهادي ، دار السيرة - بيروت ، ط ٤ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م .
- ٢٠٣- (.....) : مأساة الزهراء شبهاة وردود ، نشر دار السيرة - بيروت / قم ، ط ١ ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ٢٠٤- (العاملي الشيعي) مصطفى قصير : البداء والنسخ حقيقتهما وموقف الشيعة منهما ، نشر دار الهادي - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م .
- ٢٠٥- (العسقلاني) أحمد بن علي بن حجر (٧٧٣-٨٥٢هـ) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق : عبد العزيز بن باز ، محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر دار الحديث - القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .
- ٢٠٦- (العسكري الشيعي) مرتضى : عبد الله بن سبأ وأساطير أخرى ، ط دار الزهراء - بيروت ، ط ٦ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .
- ٢٠٧- (العياشي الشيعي) أبو نصر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي : تفسير العياشي ، تحقيق : السيد هاشم الرسولي المحلاتي ، منشورات الأعلمي - بيروت ، ط ١ ، ١٤١١هـ / ١٩٩١م .

- ٢٠٨- (العيني) الإمام بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى (ت ٨٥٥هـ) : شرح سنن أبي داود ، تحقيق : أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري ، ط مكتبة الرشد - الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- ٢٠٩- (الفخر الرازي) فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦هـ) : المحصول في علم الأصول ، تحقيق : طه جابر فياض العلواني ، نشر مؤسسة الرسالة - الرياض ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- ٢١٠- (الغنيمان) عبد الله الغنيمان : مختصر منهاج السنة النبوية ، نشر دار الصديق - صنعاء - اليمن ، ط ٢ ، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م .
- ٢١١- (القاضي) عياض : الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، تحقيق : د حمزة النشرتي ، الشيخ عبد الحفيظ فرغلي ، نشر مكتبة النشرتي - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .
- ٢١٢- (القحطاني) محمد بن سعيد بن سالم: الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف ، ط المكتبة التوفيقية - القاهرة ، ٢٠٠٣ م ، وأصل الكتاب رسالة ماجستير بقسم العقيدة - كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٤٠١ هـ .
- ٢١٣- (القرطبي) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ) : تفسير القرطبي المسمى (الجامع لأحكام القرآن) ، نشر دار ابن حزم - بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .
- ٢١٤- (القزويني الشيعي) محمد كاظم: الإمام المهدي من المهد إلى الظهور ، ط الوفاء - قم ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
- ٢١٥- (القفاري) أد ناصر بن عبد الله بن علي : أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ، رسالة دكتوراه ، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة - كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط ٢ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .

- ٢١٦- (القلموني) محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) : الخلافة ، ط الزهراء للإعلام العربي - القاهرة ، د ت .
- ٢١٧- (الكرمي) زين الدين مرعي بن يوسف (ت ١٠٣٣هـ) : شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور ، تحقيق : جمال بن حبيب صلاح ، ط الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء - الرياض ، ط ٤ ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م .
- ٢١٨- (الكليني الشيعي) محمد بن يعقوب (ت ٣٢٨ أو ٣٢٩هـ) : أصول الكافي ، تحقيق : محمد جعفر شمس الدين ، نشر دار التعارف - بيروت ، ط ٣ ، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .
- ٢١٩- (اللامردي الشيعي) محمد زكريا (محامي أهل البيت) : فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب ، ط مؤسسة النجف الأشرف - ألمانيا ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .
- ٢٢٠- (اللقاني) إبراهيم بن إبراهيم بن حسن (ت ١٠٤١هـ) : أرجوزة جوهرة التوحيد ، إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري (ت ١٢٧٧هـ) : تحفة المريد على جوهرة التوحيد ، تقديم وتعليق : لجنة العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر ، ط مطابع جامعة الأزهر ، القسم الثاني ٢٠٠٦م / ٢٠٠٧م ، ١٤٢٧هـ / ١٤٢٨هـ .
- ٢٢١- اللواء حسن صادق : جذور الفتنة في الفرق الإسلامية من عهد الرسول حتى مقتل السادات ط مكتبة مدبولي - القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٤م .
- ٢٢٢- (المازندراني الشيعي) أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي : مناقب آل أبي طالب ، تحقيق : د يوسف البقاعي ، نشر دار الأضواء - بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .

- ٢٢٣- (المازندراني الشيعي) المولى محمد صالح (ت ١٠٨١ أو ١٠٨٢هـ) :
شرح الكافي الأصول والروضة ، تعليق : الميرزا أبو الحسن الشعراني ، من منشورات
المكتبة الإسلامية - طهران ، د ت .
- ٢٢٤- (المامقاني الشيعي) عبد الله (١٢٩٠ - ١٣٥١هـ): تنقيح المقال في علم
الرجال ، تحقيق : السيد محيي الدين المامقاني ، ط ستارة ، نشر مؤسسة آل البيت لإحياء
التراث - قم ، ١٤٢٣هـ / ١٣٨١ش .
- ٢٢٥- (الماوردي) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت ٤٥٠هـ) : الأحكام
السلطانية والولايات الدينية ، تحقيق : د أحمد مبارك البغدادي ، نشر دار ابن قتيبة -
الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- ٢٢٦- (المجلسي الشيعي) محمد باقر (ت ١١١١هـ) : بحار الأنوار الجامعة
لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ط مؤسسة الوفاء - بيروت ، نشر دار إحياء التراث العربي -
بيروت ، ط الثالثة المصححة ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ٢٢٧- (.....) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول (شرح كتاب الكافي
لثقة الإسلام الكليني (٣٢٩ أو ٣٢٨هـ) ، نشر دار الكتب الإسلامية - طهران ، ط ٢ ،
١٤١٠هـ / ١٣٦٨ش .
- ٢٢٨- (المحلي) جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد (ت ٨٦٤هـ) ، جلال
الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) : تفسير الجلالين ، علق عليه :
صفي الرحمن المباركفوري ، تحقيق : المركز العلمي بدار السلام ، نشر دار السلام -
الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- ٢٢٩- (المرعشي الشيعي) السيد شهاب الدين الحسيني النجفي (١٢٧٦-
١٣٦٩ش) : القول الفاصل في الرد على مدعي التحريف ، تحقيق : محمد رضا جديدي
نزاد ، د السيد محمود المرعشي النجفي ، ط ستارة ، نشر مكتبة آية الله العظمى
المرعشي النجفي الكبرى - قم ، ١٤٢٤هـ / ١٣٨٢ش / ٢٠٠٣م .

- ٢٣٠- (المزي) جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ) : تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، تحقيق : د بشار عواد معروف ، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م
- ٢٣١- المستشار عبد الحليم الجندي : الإمام جعفر الصادق ، نشر دار المعارف- القاهرة، ١٩٨٦م .
- ٢٣٢- (المظفر الشيعي) محمد رضا: عقائد الإمامية ، نشر مركز الأبحاث العقائدية (قسم المشتركين) - قم ، ١٤٢٢هـ .
- ٢٣٣- (المفيد الشيعي) الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري (٣٣٦-٤١٣هـ) : الأمالي ، تحقيق : علي أكبر غفاري ، نشر دار التيار الجديد ، دار المرتضى - بيروت ، دت .
- ٢٣٤- (.....) الاختصاص ، تحقيق : علي أكبر غفاري ، منشورات مؤسسة الأعلمي - بيروت ، ط ١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .
- ٢٣٥- (.....) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - بيروت ، ط ٢ ، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
- ٢٣٦- (.....) : الإفصاح في الإمامة ، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم ، ط مهر ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد - قم ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ .
- ٢٣٧- (.....) الرسالة الثالثة في الغيبة ، تحقيق : علاء آل جعفر ، ط مهر - قم ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .
- ٢٣٨- (.....) : المسائل السرورية ، تحقيق : صائب عبد الحميد ، ط مهر - قم ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .

- ٢٣٩- (.....) : المسألة الكافئة في إبطال توبة الخاطئة ، تحقيق : علي أكبر زمانى نژاد ، ط مهر - قم ، نشر المؤتمر العالمى لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣هـ / ١٣٧١ش.
- ٢٤٠- (.....) : المزار (مناسك المزار) تحقيق : آية الله الحاج السيد محمد باقر الأبطحي ، ط مهر ، نشر المؤتمر العالمى لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .
- ٢٤١- (.....) : النكت الاعتقادية ، تحقيق : رضا المختاري ، ط مهر - قم ، نشر المؤتمر العالمى لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .
- ٢٤٢- (.....) : أوائل المقالات ، تحقيق : الشيخ إبراهيم الأنصاري ، ط مهر ، نشر المؤتمر العالمى لألفية الشيخ المفيد - قم ، ١٤١٣هـ .
- ٢٤٣- (.....) : مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة ، تحقيق : الشيخ مهدي نجف ، ط مهر - قم ، نشر المؤتمر العالمى لألفية الشيخ المفيد ، ط ١ ، ١٤١٣هـ .
- ٢٤٤- (المنتظري الشيعي) الشيخ حسين علي: البدر الزاهر في صلاة الجمعة والمسافر، تقريراً لأبحاث الحاج آقا حسين الطباطبائي البروجردي ، ط نكين ، نشر مكتبة آية الله العظمى المتظري - قم ، ط ٣ ، ١٤١٦هـ .
- ٢٤٥- (المنتظري الشيعي) المحقق آية الله العظمى : دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ، نشر الدار الإسلامية - بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- ٢٤٦- (المنقري الشيعي) نصر بن مزاحم (ت ٣١٣هـ) : وقعة صفين ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، نشر دار الجيل - بيروت ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- ٢٤٧- (النسائي) الإمام أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣هـ) : السنن الكبرى ، تحقيق : مركز البحوث بدار التأصيل - القاهرة ، ط مطابع قطر الوطنية - نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - قطر ، ط ١ ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م .

- ٢٤٨- (النميري) أبو زيد عمر بن شبة (اسمه زيد) بن عبدة بن ربيعة البصري
(ت ٢٦٢هـ) : تاريخ المدينة ، تحقيق : فهم محمد شلتوت ، طبع على نفقة: السيد
حبيب محمود أحمد - جدة ، ١٣٩٩هـ.
- ٢٤٩- (النووي) الإمام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الشافعي (٦٣١-
٦٧٦هـ) : الأذكار من كلام سيد الأبرار ، ط دار المنهاج - جدة ، نشر وزارة الأوقاف
والشئون الإسلامية - قطر ، ط ٤ ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- ٢٥٠- (.....) : المجموع شرح المذهب ، نشر دار الفكر - بيروت ،
١٩٩٧م .
- ٢٥١- (.....) : شرح صحيح مسلم ، مراجعة : الشيخ خليل الميس ،
ومجموعة من العلماء ، ط دار القلم - بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٢٥٢- (الهندي) رحمت الله بن خليل الرحمن الكيرانوي العثماني (ت
١٣٠٨هـ / ١٨٩١م) : إظهار الحق ، تحقيق: د محمد أحمد ملكاوي ، ط الرئاسة العامة
للبحوث والإفتاء- الرياض ، ط ٥ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .
- ٢٥٣- الهيئة العلمية في مؤسسة المعارف الإسلامية : معجم أحاديث الإمام المهدي
، ط عترة ، نشر مؤسسة المعارف الإسلامية - قم ، ط ٢ ، ١٤٢٨هـ .
- ٢٥٤- (الورداني الإباضي) أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم (٥٧٠هـ) : الترتيب
في الصحيح من حديث الرسول ، تصحيح وتعليق : نور الدين عبد الله بن حميد السالمي (ت
١٣٣٢هـ) ، نشر مكتبة مسقط - سلطنة عُمان ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
- ٢٥٥- (الورداني الشيعي) صالح: عقائد السنة وعقائد الشيعة التقارب والتباعد ،
ط عربية ، نشر مكتبة مدبولي الصغير - القاهرة ، ط ١ ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م
- ٢٥٦- (اليعقوبي الشيعي) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح :
تاريخ اليعقوبي ، تحقيق : عبد الأمير مهنا ، نشر الأعلمي - بيروت ، ط ١ ، ١٤٣١هـ /
٢٠١٠م .

- ٢٥٧- أيمن بن علي موسى : غاية المأمول في شرح البداية في الأصول ، نشر دار ابن رجب ، دار الفؤاد - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م .
- ٢٥٨- حسن عبد الساتر الشيعي (رئيس المحاكم الشرعية الجعفرية) : نظرية البداء محاولة جديدة لفهمها ، نشر مؤسسة العروة الوثقى - بيروت ، ١٤١٠هـ .
- ٢٥٩- دستور جمهورية إيران الإسلامية _ إصدار وزارة الإرشاد الإسلامي - طهران ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ .
- ٢٦٠- رجب البنا : الشيعة والسنة واختلافات الفقه والفكر والتاريخ ، ط دار المعارف المصرية ، ط ٢ ، ٢٠٠٥م .
- ٢٦١- رسول جعفریان الشيعي: أكذوبة تحريف القرآن بين الشيعة والسنة ، ط سلمان الفارسي ، نشر قسم التحقيق والتعليم بممثلة الإمام القائد السيد الخامني في الحج - قم ، ١٤١٣هـ .
- ٢٦٢- عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب النجدي الحنبلي (ت ١٢٨٥هـ) : فتح المجيد شرح كتب التوحيد ، ط أم القرى ، نشر دار الدعوة - القاهرة ، ١٩٩٨م .
- ٢٦٣- (علم الهدى الشيعي) الشيخ محمد باقر (١٣٤١-١٣٨٩هـ) : البداء آية عظمة الله ، تقرير : السيد علي الرضوي ، ط شركة الطباعة والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة ، منشورات الولاية ، ط ١ ، ١٤٣٣هـ .
- ٢٦٤- (كلانتر الشيعي) محمد سلطان: البداء عند الشيعة الإمامية ، ط جامعة النجف الدينية - النجف ، ١٩٧٥هـ .
- ٢٦٥- لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية : سلسلة الفتوحات العزمية ، الاصدار : ٣٠ ، بعنوان الشيعة والتشيع في فكر القادة ورؤية الأئمة ، شبهات حول الشيعة ، نشر دار الكتاب الصوفي - القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

- ٢٦٦- (فضل الله الشيعي) محمد حسين: نظرة إسلامية حول الولاية التكوينية ، نشر دار الملاك- بيروت ، ط١ ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .
- ٢٦٧- مجدي فتحي السيد : صحيح التوثيق في سيرة وحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، نشر دار الصحابة للتراث - طنطا ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ٢٦٨- مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز ، ط وزارة التربية والتعليم المصرية ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
- ٢٦٩- محب الدين الخطيب : الخطوط العريضة لدين الشيعة ، تقديم : د محمد عمارة ، ملحق مجلة الأزهر ، ذي الحجة : ١٤٣٣هـ .
- ٢٧٠- محماس بن عبد الله بن محمد الجلود : الموالات والمعادة في الشريعة الإسلامية ، نشر دار اليقين - المنصورة ، ط١ ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م
- ٢٧١- محمد عبد الرحمن عوض : الشيعة وجذور الكراهية بين الأسطورة والحقيقة ، ط دار البشير - القاهرة ، دت .
- ٢٧٢- محمد علي المعلم الشيعي: النقية في فقه أهل البيت ، تقريراً لبحث الحاج مسلم الداوري ، ط العلمية - قم ، ط١ ، ١٤١٩هـ .
- ٢٧٣- محمد منظور نعماني : الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام ، ترجمة : د سمير عبد الحميد إبراهيم ، ط مكتبة عبير للكتاب والأشغال التجارية - حلوان - مصر ، ١٩٨٦م .
- ٢٧٤- مركز نون للتأليف والترجمة : سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية (بحوث في ولاية الفقيه) نشر جمعية المعارف الإسلامية - بيروت ، ط١ ، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ٢٧٥- (.....) : سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية (دروس في ولاية الفقيه) نشر جمعية المعارف الإسلامية - بيروت ، ط١ ، ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م .
- ٢٧٦- مصطفى الشكعة : إسلام بلا مذاهب ، ط الدار المصرية اللبنانية - بيروت ، ط١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .

- ٢٧٧- مصطفى سلامة : المساعد في أصول التفسير ، نشر مكتبة الهدف - القاهرة
، ط ١، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- ٢٧٨- معتز شكري : ردود سريعة على عقيدة الشيعة ، نشر دار الإبداع -
الإسكندرية، ط ٢، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .

الفهرس العام

المحتويات

الموضوعات
المقدمة
المدخل : تعريف التقديس
المطلب الأول : تعريف التقديس في اللغة والاصطلاح
معنى تقديس الشخص
المطلب الثاني : نظرة في واقع التقديس عند الشيعة الاثني عشرية
أهم أسباب التقديس لدى الشيعة الاثني عشرية
المبحث الثاني نشأة الشيعة الاثني عشرية
المطلب الأول : تعريف الشيعة
لفظ الشيعة في القرآن الكريم
لفظ الشيعة في شروح السنة النبوية المطهرة
استخدام لفظ الشيعة في كتب التاريخ
تعريف الشيعة في كتب الشيعة الإمامية
تعريف الشيعة في كتب أهل السنة
التعريف المختار للشيعة
تعريف الشيعة الاثني عشرية
المطلب الثاني : آراء المؤرخين لنشأة الشيعة الاثني عشرية وفرقها
تطور الشيعة من مرحلة التكوين إلى مرحلة التنظير
سلسلة الأئمة عند الشيعة الاثني عشرية
من هم الرافضة ؟
آراء العلماء في عدد فرق الشيعة
متى ظهر مصطلح الشيعة الاثني عشرية ؟
الألقاب التي تطلق على الشيعة الاثني عشرية
فرق الشيعة الاثني عشرية
حقيقة الخلاف بين التيار الأخباري والأصولي

الأصول التي قام عليها المذهب الشيعي الاثني عشري
الفصل الثاني : التقديس وأثره في عقيدة الإمامة
المبحث الأول : تعريف الإمامة وأدلة إمامة علي - عليه السلام -
معنى الإمامة في اللغة
تعريف الإمامة في الاصطلاح
الأدلة على إمامة علي - عليه السلام -
المبحث الثاني : الإمامة عند أهل السنة وطرق ثبوتها
بما تثبت الإمامة العظمى عند الفرق الإسلامية ؟
المبحث الثالث : الآثار المترتبة على تقديس الأئمة
المطلب الأول : الآثار المترتبة على تقديس الأئمة ومظاهره على أركان الإيمان
أثر تقديس الأئمة على توحيد الله - عز وجل -
أثر تقديس الأئمة على عقيدة الأسماء والصفات الواجبة لله - عز وجل -
أثر تقديس الأئمة على عقيدة الإيمان بالرسول - صلى الله عليه وآله -
أثر تقديس الأئمة على عقيدة الإيمان بالملائكة - عليهم السلام -
أثر تقديس الأئمة على عقيدة الإيمان بالكتب السماوية
المطلب الثاني : الآثار المترتبة على تقديس الأئمة ومظاهره على مكانة الأئمة
أثر تقديس الأئمة في الغلو في منزلة الإمام وحكم منكر الإمامة
ظهور أثر التقديس في اعتقاد أن الكون كله خلق لهم فصرفوا لهم العبادات
ظهور أثر التقديس في الشروط التي وضعوها لتتصيب الإمام
ظهور أثر التقديس في الحكم على مخالفيهم
ظهور أثر التقديس في تقديسهم للأماكن
تقديس مدينة قم الإيرانية
تقديس مدينة كربلاء
تقديس مدينة الكوفة
تقديس مدينة النجف
تقديس مدينة سامراء

ظهور آثار التقديس في تعظيم أجور زيارة قبور أئمتهم
ظهور آثار التقديس في استغاثتهم بأصحاب القبور
ظهور آثار التقديس في الاستشفاء بطين قبر الحسين - عليه السلام -
الاعتقاد بنزول كتب غير القرآن الكريم على أئمتهم
ظهور آثار التقديس في غلوهم في فقهاءهم
تقديس الشيعة لأنفسهم ولمذهبهم
المبحث الرابع : تقديس الأئمة في ميزان أهل البيت
الفصل الثالث : التقديس وأثره على عقيدة العصمة
المبحث الأول : تعريف العصمة وأدلتها
تعريف العصمة في اللغة
تعريف العصمة في الاصطلاح
مكانة عقيدة العصمة داخل المعتقد الشيعي
حكم منكر عصمة الأنبياء
من هم المعصومون عند الشيعة الاثني عشرية
أدلة الشيعة الاثني عشرية على عصمة أئمتهم
الخلاف بين الفرق في عصمة الأنبياء
المبحث الثاني : آثار التقديس على عقيدة العصمة
المطلب الأول : آثار تقديس الأئمة ومظاهره على مكانة القرآن الكريم
الاعتقاد بأن القرآن ليس بحجة إلا بقول الإمام
تفسير معاني القرآن الكريم بما يوافق مذهبهم
ظهور آثار التقديس في إنكار القراءات المتواترة عند أهل السنة
إدعاء الشيعة تحريف القرآن الكريم
أمثلة من التحريف المزعوم للآيات القرآن الكريم
المطلب الثاني : آثار تقديس الأئمة ومظاهره على مكانة الإمام
النبي - صلى الله عليه وآله - لم يكن أمياً عند الشيعة !
تعطيل العمل بالشرعية السمحاء

الكذب على أهل البيت - عليهم السلام -
المطلب الثالث : آثار تقديس الأئمة ومظاهره على علاقتهم بمخالفهم
وجوب مخالفة أهل السنة في عباداتهم
اعتقاد بطلان عبادة كل الفرق المخالفة للشيعة الاثني عشرية
الإساءة للنبي - ﷺ - وآل بيته والصحابة الكرام
الإساءة للخلفاء الثلاثة - ؑ -
المبحث الثالث : عقيدة العصمة في ميزان أهل البيت
المبحث الرابع : موقف أهل السنة من القول بالعصمة
الفصل الرابع : التقديس وأثره على عقيدة التقية
المبحث الأول : تعريف التقية وأدلتها وأهميتها
معنى التقية في اللغة
التقية في التفسير
تعريف التقية في الاصطلاح
أدلة التقية عند الشيعة الاثني عشرية
أهمية التقية داخل المعتقد الشيعي
الفرق بين التقية وبعض المصطلحات الأخرى { المداراة - المداينة - المعاريض - التورية - الخداع في الحرب - النفاق }
المبحث الثاني : آراء الفرق الإسلامية في القول بالتقية
موارد التقية كما تحكيها كتب الفقه الشيعية
الإكراه وعلاقته بالتقية
المبحث الثالث: أقسام التقية وشروطها
المبحث الرابع : تقديس الأئمة وأثره عقيدة التقية
الشيعة جمعية سرية تعمل في الخفاء بوجه آخر علني
الاعتقاد بجواز خلف المخالف من باب التقية
منع صرف الصدقات لغير الشيعة الاثني عشرية
الشيعي الاثني عشري يؤجر بالكذب على أهل السنة

كل فتوى موافقة لأهل السنة تحمل على التقية
جواز فعل ما يرضي المخالف من باب التقية
تختلف الشيعة في حكم سفك دماء أهل السنة
الإساءة إلى بيت النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -
إبطال صلاة الجمعة والجماعة عند الشيعة الاثني عشرية
الشيعة يجوزون كتمان العلم
الشيعة ينسبون كل تناقض في المذهب للأئمتهم
تقديس أقوال شراح أقوال الأئمة
الشيعة تعتقد إيمان أبي طالب عم النبي - ﷺ -
المبحث الخامس : موقف أهل السنة من التقية
الفصل الخامس : التقديس وأثره في عقيدة الرجعة
المبحث الأول : تعريف الرجعة وأهميتها وأدلتها
معنى الرجعة في اللغة
تعريف الرجعة في الاصطلاح
أهمية عقيدة الرجعة عند الشيعة الاثني عشرية
أقوال علماء الشيعة الاثني عشرية في الرجعة
أول من قال بالرجعة ابن سبأ اليهودي
الأدلة على الرجعة كما تحكيها الشيعة
من الذي سيرجع من الأمم
حكم الإيمان بالرجعة عند الشيعة الاثني عشرية
المبحث الثاني : مراحل الرجعة
المطلب الأول : عقيدة غيبة المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية
التناقضات في عقيدة الغيبة
فائدة عقيدة الغيبة كما تدعي الشيعة الاثني عشرية
المطلب الثاني : ثاني مراحل الرجعة : عقيدة النيابة عن المنتظر
المطلب الثالث : ثالث مراحل الرجعة : عقيدة الظهور

المطلب الرابع : رابع مراحل الرجعة : ولاية الفقيه
صلاحيات الفقيه في دولة إيران
المطلب الخامس : خامس مراحل الرجعة : مقدمات وعلامات الرجعة
المطلب السادس : آخر مراحل الرجعة : اليوم الآخر
المبحث الثالث : تقديس الأئمة وأثره على عقيدة الرجعة
سبب الرجعة الثأر لآل البيت ممن ظلمهم من الصحابة - رضي الله عنهم -
تطبيق الشريعة متوقف حتى ظهور القائم المنتظر عندهم
الرجعة رجعات حتى يعود ملك آل داود - عليه السلام -
كرامة الشيعي وإهانة الناصب تظهر في الرجعة
الاعتقاد بأن لكل إنسان أجلان { موت وقتل }
المبحث الرابع : موقف أهل السنة من القول بالرجعة
نقد عقيدة الغيبة
الفصل السادس : التقديس وأثره في عقيدة البداء
المبحث الأول : تعريف البداء والنسخ وأدلته
معنى البداء في اللغة
معنى البداء في القرآن الكريم
معنى البداء في الحديث الشريف
البداء في اصطلاح الشيعة الاثني عشرية
معنى البداء يتغير بتغير متعلقاته
التعريف العرفي للبداء عند الشيعة الاثني عشرية
تعريف البداء والنسخ في الاصطلاح
أدلة البداء عند الشيعة الاثني عشرية
حكم الاعتقاد بالبداء عند الشيعة الاثني عشرية
ما الذي يدخل فيه البداء من علم الله - عز وجل -
المبحث الثاني : شروط البداء والنسخ
المبحث الرابع : تقديس الأئمة وأثره على عقيدة البداء

غلو الشيعة في علوم أئمتهم
يعتقدون تأثير القوى الفلكية في الأحداث الكونية
الاعتقاد بالبداء سبب في الأجر والثواب
الاعتقاد بالبداء سبب في العذاب لبعض الناس
يعتقد الشيعة أن البداء يجوز في الإمامة
الشيعة يعتقدون استئناف المشيئة
البداء يدخل في خلق الطالحين ولا يدخل في خلق الصالحين
الشيعة يعتقدون تشبيه الله بخلقه بسبب البداء
الشيعة يعتقدون جواز تعدد البداء في الفعل الواحد لله تعالى
المبحث الخامس : الرد على عقيدة البداء
متى بدأ الاعتقاد بالبداء
كيف أولت علماء الشيعة البداء على الله تعالى
حكم الاعتقاد بالبداء عند أهل السنة
سبب اعتقاد البداء عند الشيعة الاثني عشرية
البداء عند الديانات الأخرى
الخاتمة

جمهورية مصر العربية

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٩٨٢٥ / ٢٠١٥ م